الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية

مدخل الى تاريخ الحروب الصليبية

الحركات الدينية في اوروبا الوسيطة ودورها في صنع احداث الحروب الصليبية

السعي وراء الفترة الالفية السعيدة

تأليف وتحقيق وترجمة

الأستاذ الدكتور سهيل زكار

دمشق

١٩٩٥ - ١٤١٦هـ

الجزء الرابع

الحركات الدينية في اوربا الوسيطة ودورها في صنع احـــداث الحروب الصليبية

(السعي وراء الفترة الالفية السعـــيدة)

دمشق ١٤١٣ / ١٩٩٣

بسم الله الرحمن الرحيم

توطئة

هذا هو الكتاب الرابع في موسوعتنا ،وهو أول الأعمال المترجمة ،ترجمته عن الانكليزية ،وعنوان الكتاب الأصلي» السعي وراء الفترة الألفية السعيدة ،ومؤلفه هو الاستاذ نورمان كوهن ،الذي ولد في لندن عام ١٩١٥ ،وشهر كاستاذ جامعي متخصص حيث درس في أكسفورد ثم في مختلف جامعات انكلترا وسكوتلندا وايرلاندا ،وعندما أعاد طباعة كتابه هذا للمرة الثالثة عام ١٩٦٩ كان استاذا زميلا في جامعة سسكس في انكلترا ،وله عدة مؤلفات ، كان من أشهرها كتابنا الذي نقدمه الآن وكتاب أخر عن التآمر اليهودي العالمي حسبما ورد في كتاب» بروتوكولات حكماء صهيون « ٠

لقد عدلت بعض الشيء عنوان الكتاب الأصلي ومنحته عنوانا جديدا يتماشى مع القارىء العربي ،استخرجته من محتويات الكتاب ، وكما سلف بي وأشرت من قبل إن هذا الكتاب يأتي كمتمم مفيد جدا لمحتويات كتاب المدخل بأجزائه ، وفوائد هذا الكتاب تتخطى موضوع الحروب الصليبية لتفيد الباحث في تاريخ الاسلام بشكل عام ،وأكثر من هذا إنها تفيد في فهم مايعرف الآن باسم الحركات الأصولية في مسيحية القارة الأوربية ،هذه الحركات التي اسهمت بشكل فعال في تدمير النظام الماركسي في الاتحاد السوفييتي وفي أوربا الشرقية ،ولها تاثيرها النافذ على مختلف جوانب الحياة في الغرب الأوربي والشرق وفي الولايات المتحدة ،وهذه مسائل يحتاج القارىء العربي الى التبصر بها والتمعن ٠

- ١٤١٤ -

لقد بذلت كل جهد ممكن في المحافظة على روح الكتاب اثناء تاليفه وذللت معظم العقبات التي تعلقت باستخدام الاصطلاحات بالعربية ،وفقط سميت الذين كانوا يضربون انفسهم بالسياط وغيرها من الوسائل» باللطامين » على اساس ان اللطم في ايامنا لايعتمد فقط على الأكف بل هناك السياط وحتى السلاسل المعدنية ووسائل اخرى ،و باستثناء التحرج امام هذا الاصطلاح ارى أن ماتبقى لالبس به البته ،والله الموفق الى السداد ٠

من الله تعالى ارجو العون والتوفيق وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه اجمعين ٠

دمشق ٢٠ شعبان ١٤١٣ ، ١٢ شباط ١٩٩٣

تنويـــــــه

اعيد اخراج الصور بإذن من المتحـف البـريطاني والمكتبـة الملكية البلجيكية ومعهـــد كورتـــولد للفنون والســـيدة ج • ب• سومز

وابدي امتناني للاستاذ المتوفى غ• ر• أوسـت ولمطبعـة جامعة كمبردج للسماح لي بـالاقتباس مـن تـرجمه جـون برومیارد في

" الأدب والوعظ في انكلترا العصور الوسطى "

تمهيد لهذه الطبعة

لقد اتاح لي نشر الطبعة الثالثة من السعي وراء الفترة الألفية السعيدة الفرصة للقيام بمراجعة شاملة ،وقد مضى نحو ربع قرن تقريبا منذ ان بدات العمل في هذا الكتاب وثلاثة عشر عاما منذ ان انتهيت منه وسيكون تعليقا متواضعا على التقدم العلمي او على مرونتي العقلية او كليهما القول بأني لم اجد شيئا فيه الآن يتطلب التعديل او التوضيح ،ففي الواقع إني وجدت الكثير ،إن في الطبعة الجديدة ثلاثة عشر فصلا بدلا من إثني عشر ومقدمة وخاتمة مختلفتان وقد تم تغيير فصلين بصورة جوهرية مع عدد لايحصى من التغييرات التي جرت في مواضع مختلفة من الكتاب ، وقد يحب بعض القراء أن يعرف بتعابير عامة حجم ذلك ،إن التغييرات يمكن تلخيصها كما يلي

في المقام الأول إن نتائج البحوث الجديدة قد اخذت في الحسبان •

وما زال كتاب « السعي وراء الفترة الألفية السعيدة »الكتاب الوحيد في موضوعه أعني حول تقاليد الألفيين الثوريين والفوضوية الصوفية كما تطورت في أوربا الغربية بين القرنين الحادي عشر والسادس عشر • ولكن كانت هناك اسهامات جديدة كثيرة تتراوح بين المواد القصيرة والكتب الطويلة حول الظواهر الفردية ،وحلقات تلك القصه ،وبشكل خاص صورة تلك الديانة الغامضة ،أعني الروح الحرة ،التي ملأ فراغها جهود الأستاذ رومانا غارنيري Romana Guarnieri من روما ،وقد تضمنت هذه الجهود الكبيرة تعريف وتحقيق كتاب« مرآة الأرواح البسيطة »لمرغريت بوريت Marguerite porete ،وهو نص اساسي للروح الحره يتمم بشكل يثير الاعجاب نصوص رانتر Ranter المتأخرة عنها كثيرا ويشكل ملحقا للكتاب الحالي •

وقد انتج الأستاذ غارنيري أيضا طريقه التفهم والمعالجة الأقرب التي لم يحدث مثلها حتى الآن لتشكل تاريخا كاملا للديانة في ايطاليا كما في شمال ووسط اوروبا ومعرفتنا بالثابوريث البكارتي Pakarti والاداميت Adamites في بوهيميا قد تعمقت بصورة مماثلة ليس فقط بسبب التدفق المستمر للدراسات الماركسية التي انبثقت من تشيكوسلوفاكيا ،بل أيضا بالسلسلة المؤثرة والمنورة من المواد التي اضافها العالم الأمريكي الأستاذ هوارد كمنسكي Houard Kaminsky ودمجت الاضافات الكبيرة للمعرفة الى جانب كثير من المعارف الصغيرة في الفصول ذات العلاقة من هذا الكتاب •

وحيث ان السعي وراء الفترة الألفية السعيدة لم يقصد به ابدا أن يكون تاريخا عاما للانشقاق الديني أو الهرطقة في العصور الوسطى ،فإن معظم البحوث الجديدة في هذا المجال - وهي كثيرة - تترك المجادلة فيها دون مساس ،ومع ذلك فهي تجربة مثيرة للتفكير ان يقرأ مثل هذا المجال الواسع من الكتب الموثوقة مثل« الانشقاق والاصلاح في العصور الوسطى » الذي وضعه الأستاذ جفري روسل Jeffreyrussell « والهرطقة في اواخر العصور الوسطى »الذي وضعه الأستاذ غوردون ليف Gordonleff و« الاصلاح الجذري » الذي وضعه الأستاذ جورج وليمز وما من واحد من هذه الكتب لايتراكب مع السعي وراء الفترة الألفية السعيدة في أكثر من فصلين ،ولكنها فيما بينها تقدم تاريخا فخما للانشقاق يمتد من القرن الثامن الى السادس عشر ، وبالنظر اليها في هذا المحيط الأوسع فإن الطوائف والحركات الموصوفة في هذا المجلد تبدو بوضوح أكثر كحركات استثنائية وبالغة التطرف في تاريخ الانشقاق الديني ،وهي تشكل الجناح المفرط في فوضويته ، وتوضح هذه المقدمة غرابتها في حين أن الفصل الجديد(٢) يظهر كيف انها تتواءم مع الصورة الأكبر •

وكان التركيب الاجتماعي لهذه الطوائف والحركات والمحيط

الاجتماعي الذي عملت فيه قد جرى تبيانه بشكل واف في الطبعة الأولى ،وثبت انه لاضرورة لاجراء أي تغيير في هذا المجال • وربما يتسنى للمؤرخين الاقتصاديين بالبحث المفصل في الحالات الفردية ان يسلطوا ضوءا أكثر ،ولكن لايتوقع بالتأكيد شيء من التبادل الجاري للتعميم العقائدي بين المؤرخين الماركسيين وغير الماركسيين للهرطقة •

فلا شيء مثلا يمكن أن يكون اكثر عقما من المناقشة بين مؤرخين معينين في غرب وشرق المانيا حول ما إذا كانت الهرطقة يمكن أولا يمكن أن تفسر على أنها احتجاج من المحرومين من المزايا ، لأن المتقدمين على مايبدو كانوا عاجزين عن تخيل كيف يمكن أن يأتي الانشقاق من الطبقات التي تتمتع بالمزايا ، وافضل وقاية من مثل هذا الافراط في التبسيط هو بعض المعرفة بعلم اجتماع الدين ، وبهذه التقوية لايحتمل أن يتخيل المرء أن كل هرطقة العصور الوسطى كانت من نوع واحد تعكس النوع نفسه من عدم الرضى وتروق للقطاعات نفسها من المجتمع •

وإلى المدى الذي يتعلق بالثوريين الألفيين فإن اهمية مضمونها الاجتماعي يظهر في فصل بعد أخر في هذا الكتاب ،ولكني أيضا حاولت تلخيصها بأوجز ما يمكن في الخاتمة ، والخاتمة في الواقع هي الجزء من الكتاب الذي جذب أغلب الاهتمام بين المجموع ، وخاصة أن كثرة التعليق الايجابي والسلبي قد اثارها الايحاء بأن القصة الواردة في هذا الكتاب قد يكون لها بعض العلاقة بالهيجان الثوري في فرنسا ، وقد نوقشت هذه الحجه مطولا ليس فقط في النظرة العامة والمواد ،بل أيضا وبشكل أكثر افادة في المناقشات العفوية في الجامعات البريطانية وفي القارتين الأوربية والأمريكية ، حيث أني مازلت مقتنعا بأن الحجة صالحة ، فإني اعتقد انها تطلبت توضيحا اكثر ايجازا وإيضاحا ، وقد حاولت ذلك في الخاتمة الجديدة •

واخيرا إن المصادر والمراجع القديمة التي كانت تاريخية محضة قد

روجعت لتشمل الأعمال التاريخية التـي ظهـرت منذ تمـت كتـابة النسخة الأصلية من الكتـاب ،وهـي معلمـة بعـلامة نجمية ،ولكن السعي وراء الفترة الالفية السعيدة هو ملك للدراسة المقارنة للفتـرة الألفية بالدرجة نفسها على الأقل التـي لدراسـة تـاريخ العصـور الوسطى ، وفي ذلك المجال أيضا إن تقدما كبيرا جـدا قـد حـدث في السنوات الأخيرة وقد اردفت ثبت المراجـع والمصـادر بنخبـة مـن أسماء الكتب الجـديدة والآراء ،معـظمها يتعلق بمعتقـدات الجنس البشري وعاداته وبالنواحي الاجتماعية ، وكثير من هذه في ذاتهـا ، تحوي مصادر أكثر تمكن القارىء المهتم من الاستكشاف الى مـدى أبعد في هذا الحقل الصعب ، وذي الأهمية الحيوية مع ذلك •

جامعة سسكس،ن • ك

شباط ١٩٦٩

تقديم

مجال هذا الكتاب

لقد كان المعنى الأصلي « للألفية » ضيقا ودقيقا ، وكان للمسيحية دائما إيمان بالأخرويات (البعث والحساب)بمعنى المذهب المتعلق (بالأزمنة الأخيرة) أو (الأيام الأخيرة)أو (الحالة الأخيرة للعالم) وكانت الألفية المسيحية ببساطة أمرا يختلف عن الايمان المسيحي بالأخرويات وهي تشير الى الاعتقاد الذي يحمله بعض المسيحيين حول سلطة سفر رؤيا يوحنا(٢٠ - ٤ـ٦) أنه بعد المجيء الثاني للمسيح سيقيم مملكه مسيحية على الأرض وسيحكمها لمدة ألف عام قبل الحساب ، وطبقا لسفر رؤيا يوحنا سيكون مواطنوا هذه المملكة من شهداء المسيحية الذين سيبعثون لهذه الغاية قبل ألف سنة من البعث العام للموتى ، ولكن المسيحيين القدماء فسروا بالفعل هذا الجزء من النبوءة بمعنى متحرر أكثر منه حرفي ،ساووا فيه بين الشهداء والمؤمنين الذين يعانون ـ بمعنى أنفسهم - وتوقعوا المجيء الثاني في حياتهم ، وفي السنوات الأخيرة أصبح شائعا بين علماء أعراف وعادات ومعتقدات الانسان ،وعلماء الاجتماع وإلى حد ما بين المؤرخين ايضا استعمال الألفية بمعنى أكثر تحررا ، واصبحت الكلمة في الواقع ببساطة عنوانا موائما لنمط معين من الخلاص وهذه هي الطريقة التي ستستعمل بها في هذا الكتاب ٠

وتصور طوائف أو حركات الألفية دائما الخلاص بـ :

ا ـ جماعي : بمعنى أنه يستمتع به المؤمنون بشكل جماعي ٠

ب ـ أرضي : بمعنى أنه سيتحقق على هذه الأرض وليس في أي سماء عالمية أخرى ٠

ج ـ وشيك : بمعنى أنه سيأتي سريعا وفجأة ٠

د ــ جملة : بمعنى انه يحــول كلية الحياة على الأرض حتـــى أن الشريعة الجديدة لن تكون مجرد تحسين للحاضر بل الكمال نفسه •
هـ ــ معجزا : بمعنى أنه ســينجز بعــوامل خــارقة للطبيعـــة أو بمساعدتها •

وحتى ضمن هذه الحدود هناك بالطبع مجــال لتنوع غير محــدود (ص ١٤) وهناك طرائق ممكنة لاحصر لهــا لتخيل الفتــرة الألفية والطريق إليها • واختلفت الطوائف والحركات الألفية في المواقف من العدوانية الأكثر عنفا الى الأخف سلمية ، ومن الروحانية الأكثر رقة الى المادية الدنيوية الراسخة ، وقد اختلفت أيضــا بــدرجة كبيرة في التركيب الاجتماعي والوظيفة الاجتماعية •

وكان هناك بالتأكيد تنوع كبير بين الطوائف الألفية والحركات في اوربا العصور الوسطى ففــي أحــد الأطــراف كان هناك مــا يدعى « الروحانيون الفرنسيسكان » الذين ازدهــروا في القــرن الثــالث عشر ، وقد جاء هؤلاء النساك الزاهدون الأقوياء بشكل رئيس مــن خليط من العائلات النبيلة والمشتغلة بالتجارة التي شــكلت الطبقــة المهيمنة في المدن الأيطالية ، وكان العديد منهــا يتخلى عن ثــرواته ليصبح أفقر من أي شحاذ ، وفي تخيلاتهم كانت الفترة الألفية تعني عصرا للروح حيث يتوطد الجنس البشري كله في الصــلاة ،والتــأمل الصوفي والفقر الارادي •

وفي الطرف الأخر كانت الطــوائف الألفية المختلفــة والحــركات التي تطورت بين الفقراء الذين لاأصل لهــم في المدن والريف ، وكان فقر هؤلاء الناس اي شيء إلا أن نقول تطوعيا ، وكان نصــيبهم عدم الأمن الشديد القاسي ، وكانت الفيتهم عنيفــة فــوضوية ، وفي بعض الأحيان ثورية فعلا.

ويعالج هذا الكتاب الالفية التي ازدهرت بين الفقــراء الذين بــلا جذور في اوربا الغربية فيما بين القرن الحادي عشر والقرن السادس عشر ، والظروف التي شــجعت عليهــا ، ولكن إذا كان هــذا هـــو

الموضوع الرئيس فهو ليس الوحيد ، لأن الفقراء لم يوجدوا عقائدهم الألفية الخاصة وإنما تلقوها ممن كانوا أنبياء أو مخلصين ،وهؤلاء الناس كان العديد منهم أعضاء سالفين في الكهنوت الأدنى ، وبدورهم أخذوا أفكارهم من أكثر المصادر تنوعا ، وكانت بعض التخيلات الألفية موروثة من اليهود والمسيحيين الأوائل ، والأخرى من راعي دير رهبان القرن الثاني عشر يواكيم أوف فيور Joaachim of Fior ,وكان بعضها ثانية متصلا بالبدع الباطنية الموروثة المعروفة بأخوة الروح الحرة ، وسيفحص هذا الكتاب كلا من كيفية نشوء الهياكل الأساسية لهذه المعتقدات الألفية المختلفة وكيف تبدلت خلال انتقالها الى الفقراء ٠

إن شعور القوة في عالم الألفيين وعالم القلق الاجتماعي إذن لم يتصادف بل تراكب ، وكثيرا ما حدث أن قطاعات معينة من الفقراء كانت في قبضة بعض « انبياء »الألفية ، وعليه فان الرغبة العادية لدى الفقراء لتحسين الأحوال المادية لمعيشتهم أصبحت متمازجة مع متخيلات عالم تعاد ولادته في البراءة ، من خلال رؤيا لمذبحة ملحمة أخيرة ، وكانت الخيالات الشديدة تنسب وتربط بصور مختلفة باليهود أو الأغنياء الذين يبادون ، وبعدها سيقيم القديسون ــ أعني الفقراء ذوي العلاقة ــ مملكتهم ، وهي عالم بلا معاناة أو خطيئة(ص ١٥)٠

وبفعل الالهام بمثل هذه التخيلات يختلف كثير من الناس الفقراء الذين يوظفون في المشروعات تماما عن الثائرين المعتادين من الفلاحين والحرفيين بأهدافهم المحلية المحدودة ، وستحاول خاتمة هذا الكتاب توضيح خصائص هذه الحركات الألفية لفقراء العصور الوسطى ، وسوف توحي ايضا بأنها في نواح معينة كانت نواة منذرة ببعض الحركات الثورية الكبيرة في القرن الحالي ٠

ولاتوجد دراسة أخرى شاملة لهذه الحركات التي تميزت بها القرون الوسطى ، هذا ولقيت الطوائف الدينية الأكثر تزمتا التي ظهرت واختفت عبر العصور الوسطى في الواقع اهتماما كبيرا ،

ولكن اهتماما اقل قد اعطي لقصة كيف انه حدث مـرات ومـرات في حالات سوء التوجيه الجماهيري والقلق أن المعتقدات التقليدية حول عصر ذهبي منتظر او مملكة للخلاص كانت تخدم كوسائل للطموحات الاجتماعية والخصـومات ، ومـع عدم وجـود نقص في الدراسـات الرائعة التي تعالج حلقات فـردية أو نواح ، بقيت القصـة ككل غير محكية ويهدف الكتاب الحالي عند هذا الحد الى ملء الفراغ :

ولفتح هذا المجال الذي لم يكتشف بدرجة كبيرة لزم تمشيط مئات عديدة مـن المصـادر الأصـلية في اللاتينية واليونانية والفـرنسية القديمة ، فرنسية القرن السادس عشر والمانية العصـور الوسـطى والقرن السادس عشر العـالية والدنيا منهـا واسـتغرق البحـث والكتابة إجمالا نحو عشر سنوات ، وبسبب ذلك فإنها بـدت طـويلة بدرجة كافية لأن اقرر على مضض أن احد مـن التحـري في شـمال ووسط أوربا لا لأن عالم البحر المتوسط في العصور الوسـطى ليس لديه مشاهد باهرة بصورة مماثلة أو مساوية لتقـديمها ، ولكن لأنه بدا لي ان البحث الأكثر شمولا جغرافيا اقل اهمية مما ينبغي بـذله من جهد ودقة يمكن أن اقوم بها بالنسبة للمنطقة المغطاة ٠

وقد توفرت المادة الخام من المصادر المعاصرة الكثيرة التنوع :

حوليات ،تقـارير ،تحقيق لمحققين ،وإدانات أطلقهـا البـابوات والأسـاقفة والمجـامع والأجهـزة الدينية ، والنشرات الهجـومية ، والرسائل وحتى الأشعار الغنائية ، ومعظم هذه المواد كان يصدرها رجال الدين الذين كانوا معادين للمعتقدات والحركات التـي تـولوا وصفها ، ولم يكن سهلا دائما معـرفة الاضـافات والتحـريف غير المقصود أو التشويه المقصود ، ولكن لحسن الحظ ان الجانب الآخر أيضا انتج نصوصا أدبية رئيسه ، نجـا كثير منهـا مـن الجهـود المتلرقة للسلطات المدنية والكنسية لتدميرها ، وعليه كان من الممكن مراجعة المصادر الاكليركية ليس فقط بمقابلتها ببعضها بعضا ، بل بمقابلتها ايضا مع البيانات المكتوبة لعدد ذي شأن من متنبيء الفترة الالفية(ص ١٦) والبيان المقدم هنا هو حصيلة عملية طويلة لجمع

ومقارنة وتقويم وإعادة تقدير حشد كبير من الأدلة ، وإذا كان بشكل رئيس بيانا غير متردد ، بسبب أن كل الشكوك الكبيرة تقريبا ، والأسئلة التي أثيرت أثناء سير العمل قد أجابت نفسها بنفسها قبل النهاية ، فإن الشكوك التي مازالت باقية قد اشير اليها بالطبع ٠

السعي وراء الفترة الألفية السعيدة

الفصل الأول

تقاليد نبوءة سفر الرؤيا

سفر الرؤيا اليهودي والمسيحي القديم :

لقد تجمعت المواد الخام المختلفة التي خرج منها الايمان الثوري بالأخرويات (ص ١٩) تدريجيا خلال أواخر العصور الوسطى وهي تتألف من مجموعة متنوعة من النبوءات الموروثة من العالم القديم ، وفي الأصل كانت كل هذه النبوءات من اختراع المجموعات الدينية اليهودية في البداية ، والمسيحية فيما بعد لتواسي نفسها وتدعمها عندما كانت تواجه بالتهديد أو بحقيقة الاضطهاد وإنه من الطبيعي بدرجة كافية أن أقدم هذه التنبوءات لابد قد انتجت من قبل اليهود،وما ميز اليهود بشكل قاطع عن الشعوب الأخرى من العالم القديم كان موقفهم من التاريخ ، وبشكل خاص تجاه دورهم فيه ، وكان اليهود ـ باستثناء الفرس إلى حد ما ـ وحدهم من قام بالجمع بين الايمان الراسخ باله واحد وبين الاعتقاد الذي لايقبل المساومة ولايهتز أنهم هم انفسهم كانوا الشعب المختار من قبل الرب الواحد ، وكانوا على الأقل منذ الخروج من مصر مقتنعين بأن إرادة يهوا مركزة على بني اسرائيل ، وأن بني إسرائيل وحدهم مكلفون بتحقيق هذه الارادة ، وكانوا على الاقل منذ أيام الأنبياء مقتنعين بان يهوا لم يكن مجرد إله وطني قوي بل الرب الواحد القادر للتاريخ ، والذي يتحكم بمصائركل الأمم ، وصحيح أن الاستنتاجات التي استمدها اليهود من معتقداتهم قد اختلفت بدرجة كبيرة كان هناك العديد ، مثل« أشعيا الثاني »، ممن شعروا بأن

الانتخاب الالهي فرض مسؤولية اخلاقية خاصة عليهم هي الالتـزام باظهار العدل والرحمة في تعـاملهم مـع كل الناس، وفي نظـرهم إن المهمـة الالهية المعينة لبني اسرائيل كانت تنوير غير اليهـود مـن الشعوب، وهكذا يحمل خلاص الرب الى اطـراف الأرض، ولكن الى جانب هذا التفسير الاخلاقي وجد تفسير أخر ، أصبح أكثر جاذبية، حيث خضع الحماس القديم للوطنية لصدمة وضغط الهزائم المتكررة والنفي والتشتيت ، وبشكل دقيق لأنهم كانوا متأكدين تماما من أنهم الشعب المختار، فإن اليهود مالوا الى الاستجابة للخطر والاضطهاد، والصعوبات بخيالات الانتصار الشامل والرخاء غير المحـدود الذي سيمنحه يهوا بقدرته الكلية لشـعبه المختـار عند اكتمـال الزمـان (ص ٢٠)

ويوجد في كتب النبوءات فقـرات ـ يعـود بعضـها الى القـرن الثامن ـ تتنبأ بأنه من خلال كارثة كونيه هائلة ، ستشرق فلسطين وستكون شيئا لايقـل عن عدن جـديدة ، جنة مسـتردة ،وبسـبب إهمالهم ليهوا إن الشعب المختار يجب ان يعاقب في الواقع بالمجاعة والطاعون ،والحرب والأسر ، وفي الواقع يجب ان يخضعوا لحساب دقيق وشديد لدرجة أنه سيحدث عزلا فظيعا عن الماضي المذنب ، ولابد ان يكون يوما بالفعل ليهوا ، هو يوم الغضب عندما تـظلم الشـمس والقمر والنجوم ، وتنطوي السموات معا وتهتز الأرض وقتها يجـب ان يكون هناك حساب فعلي عندما يصبح الكفار ـ هـم الذين عند بني اسرائيل لم يؤمنوا بالله ، وايضا أعداء بني اسرائيل من الأمـم الوثنية ـ خاضعين للحساب ، ويتنبأوا إذا لم يدمروا كلية ولكن هذه ليست النهاية ، إن « البقية الناجية » من بني اسرائيل ستنجو مـن هذا العقاب ، ومن خلال هذه البقية سيتحقق الحلم الألهي ، وعندما يعود تجديد الأمة بهذا الشـكل وتتصـالح سـيتوقف يهـوا عن الانتقام ،ويصبح المنجي ، وستجتمع البقية الصالحة ـ معـا كمـا كان يعتقد مؤخرا ، مع الصالحين من الأموات الذين بعثوا الآن مرة اخرى في فلسطين ، وسيسكن يهوا بينهم كقاض وحاكم ، وسيحكم من قدس أعيد بناؤها ، وستصبح صهيون العاصمة الروحية للعـالم

إليها تسعى كل الامم وسيكون عالم عدل ، يحتمي فيه الفقراء ، وعالم سلام وانسجام حيث تصبح الحيوانات الخطرة البرية اليفة وغير مؤذية • وسيسطع القمر كالشمس وسيزداد ضوء الشمس سبعة اضعاف ، وستصبح الصحارى والأراضي البور خصبة وجميلة ، وسيكون هناك وفرة في الماء والعلف للمواشي وللقطعان ، وسيكون للانسان هناك وفرة في القمح والنبيذ والسمك والفاكهة وستتكاثر القطعان بدرجة كبيرة ، وبالتحرر من المرض والحزن من كل نوع ، ومن عدم التكافؤ ، والعيش وفق قانون يهوا المكتوب الآن في قلوبهم ، سيعيش الشعب المختار في فرح وسرور •

وفي سفر الرؤيا الذي كان موجها الى المراتب الدنيا من السكان اليهود في صورة من الدعاية الوطنية إن النبرة اكثر بساطة واكثر تبجحا ، وهذا بالفعل مدهش في سفر الرؤيا القديم « الرؤيا »أو « الحلم » الذي يشغل الفصل السابع من كتاب دانيال الذي تم تأليفه في نحو عام ١٨٥ق • م في لحظة حرجة غريبة في التاريخ اليهودي ، ولأكثر من ثلاثة قرون منذ نهاية النفي البابلي تمتع يهود فلسطين بمعيار عادل من السلام والأمان في البداية تحت حكم الفرس وفيما بعد تحت البطالسة(ص ٢١)ولكن الحال تغير عندما انتقلت فلسطين في القرن الثاني قبل الميلاد الى ايدي الأسرة الحاكمة السلوقية السورية ـ اليونانية ، وكان اليهود انفسهم منقسمين بشكل مرير حيث أنه في حين تبنت الطبقات العليا بحماس الأخلاق والعادات اليونانية ، تعلق الشعب العادي بعزم اكبر بمعتقدات ابائهم ، وعندما بلغ تدخل الملك السلوقي انطيوخوس الرابع ابفانس ، نيابة عن الطرف الموالي لليونان الى حد منع كل الشعائر الدينية ، كان رد الفعل هو الثورة المكابية ، وفي الرؤيا في كتاب دانيال الذي تم تأليفه في أوج الثورة ، رمزت أربعة وحوش الى القوى العالمية الأربع المتوالية : البابليون ،الميديون(بدون تاريخ)، الفرس واليونان والأخيرة منها ستكون مخالفة لسائر كل الممالك ، فتأكل الأرض كلها وتدوسها وتسحقها وعندما دالت هذه

الامبراطورية بدورها ، فإن اسرائيل مشخصا بشكل « ابن الانسان »:

« جاء مع سحب السماوات ، وجاء الى الايام القديمة ۰۰۰۰
وهناك أعطي السيادة والتألق ومملكة تجعل كل الشعوب ·
والأمم واللغات تخدمه ، إن سيادته ، سيادة دائمة لن تزول ·
وعظمة المملكة تحت كل السماء أعطيت لشعب القديسيين الأعلين ۰۰۰۰ »

ويذهب هذا الى مدى أبعد مما ذهب اليه أي من الأنبياء فلأول مرة تخيلت مملكة المستقبل البهية وهي لاتضم ببساطة فلسطين بل العالم كله ·

وهنا يمكن للمرء بالفعل أن يعرف نموذج ما سيحدث ، وهو سيبقى الخيال الرئيس للايمان الثوري بالاخرويات : يقع العالم تحت هيمنة قوة طاغية شريرة ذات تدمير غير محدود ـ وهي قوة علاوة على ذلك تتخيل على انها ببساطة بشرية بل شياطنية ، وطغيان هذه القوة سيصبح عنيفا أكثر فأكثر ، وستصبح معاناة ضحاياها غير محتملة اكثر فأكثر ـ حتى تدق الساعة فجأة وعندها يكون قديسو الرب قادرين على النهوض لازالتها وعندها سيرث القديسون انفسهم ، والناس المقدسون الذين كانوا حتى اليوم يتأوهون تحت نعال الظالمين سيرثون بدورهم السيادة على الأرض كلها وسيكون هذا أوج التاريخ ، ومملكة القديسيين لن تفوق فقط في بهائها كل الممالك القديمة بل لن يكون لها تال ، إنه بفضل هذا الخيال الجامح الذي مارسه سفر الرؤيا اليهودي والايمان بالاخرويات من خلال مشتقاته ، كان تأثير التخيل على غير القانعين والمخفقين في العصور التالية ـ واستمر هذا الفعل زمنا طويلا بعد أن نسي اليهود انفسهم وجوده نفسه ·

ومنذ أن تم ضم فلسطين من قبل بومبي في ٦٣ ق · م حتى حرب ٦٦ ـ ٧٢ م(ص ٢٢) صاحب صراعات اليهود ضد

سادتهم الجدد ، الرومان وأثارها تـدفق مـن المقـاتلين الرؤويين ، وبدقة شغلت هذه الدعاية الموجهـة للشـعب العـادي دورا كبيرا في التخيلات المتعلقة بالمخلص الأخروي أي المسيح ، وهذا الخيال كان بالطبع قديما بالفعل ،إذ كان المخلص بالنسبة للأنبياء هو الذي عليه أن يحكم الشعب المختار في نهاية الزمـان ، وكان عادة هـو يهـوا نفسه ، وفي الديانة الشعبية من جهة أخرى يبدو ان المسيح المنتـظر قد شـغل دورا كبيرا منذ أن دخلت الأمـة في مـرحلة انحـدارها السياسي، وكان في الأصل يتخيل في صورة ملك حكيم بشكل خاص ، وعادل وقوي من نسل داود ، يقوم بـاستعادة الثـروات الوطنية • وأصبح المسيح اكثر تفوقا على طبيعة البشر كلما أصـبحت الحـالة السياسية اكثر يأسا •

وفي رؤيا دانيال يبدو ابن الانسان الذي يظهر راكبا من السحاب انه يشخص بني اسرائيل ككل ، ولكن هنا بـالفعل ربمـا يكون قـد صور في صورة فرد فوق البشر ، وفي اسـفار الرؤيا لبـاروخ وعزرا التي تعود بـالاساس للقـرن الأول الميلادي ،الكائن فـوق البشري محقق بشكل لايقبل الجدل كرجل ، وملك محـارب مـوهوب بقـوى معجزة فريدة •

وفي عزرا يظهر المسيح كسبع يهوا ، الذي عندما يزأر فإن الآخـر واسوأ الوحوش - وهو الآن النسر الروماني - يتفجـر ملتهبـا ويستهلك ، ومرة اخرى ان ابن الانسان الذي يبيد أولا العـديد مـن الوثنيين بالنار والعواصف التي تخرج مع نفسه سـيجمع القبـائل العشرة التائهة من الأراضي الغريبة ويقيم في فلسـطين مملكة يمـكن فيها لاسرائيل الموحدة من جديد أن تزدهر في بهاء وسلام•

وطبقا لباروخ لابد أن يأتي زمان صعوبات رهيبة وظلم ،وهو زمـان الامبراطورية الأخيرة وهي الأسوأ أي الرومان ، وعندما يصل الشر الى أعظم وتيرة يأتي العدل ،ويظهر المسيح المنتظر ، وهو محـارب قوي سيهزم وسيطرد ويدمر جيوش الأعداء ، وسيأخذ قائد الرومان اسـيرا ويحضره مقيدا بـالسلاسل الى جبـل صـهيون حيث

يعدمه ،وسيقيم مملكة سوف تدوم حتى نهاية العالم ، وكل الأمم التي حكمت اسرائيل ستقع تحت السيف ، وبعض اعضاء الأمم الباقية ستخضع للشعب المختار ، وسيبدأ عصر النعيم الذي لايعرف الألم والمرض والموت في غير الأوان ، والعنف والنزاع والحاجة والجوع ، وفيه تعطي الأرض ثمارها بعشرات الألوف من الأضعاف ، لكن هل ستدوم هذه الجنة الأرضية الى الأبد أم لبضع قرون فقط الى حين استبدالها بمملكة عالمية اخرى ؟

لقد اختلفت الآراء حول هذا الأمر ، ولكن السؤال كان على أي حال مسألة اكاديمية ،وبشكل مؤقت أو أبدي إن مثل هذه المملكة كانت تستحق القتال من اجلها ، واسفار الرؤيا هذه قد رسخت انه بحلول مملكة القديسيين سيظهر المسيح المنتظر نفسه بصورة لاتقهر في الحرب ٠(ص ٢٣)٠

وكما تحت حكم الملوك الوكلاء ، أصبح الصراع مع روما مريرا اكثر فأكثر وأصبحت التخيلات المسائحية لدى كثير من اليهود شاغلا مستحوذا ، وطبقا ليوسف كانت بشكل رئيس اعتقادا في الحلول الوشيك لملك مسيحي ، ودفع هذا باليهود الى حرب انتحارية انتهت بالاستيلاء على القدس وتخريب المعبد في ٧٠ م ، وحتى سيمون بر ـ كوخبا الذي قاد الصراع الكبير من أجل الاستقلال الوطني في ١٣١م كان مايزال يحيى كمخلص منتظر ، ولكن القمع الدموي لهذه الثورة والقضاء على الوطنية السياسية وضع نهاية لكل من العقيدة الرؤوية ولرغبة اليهود في القتال ، ومع أنه في القرون التالية قام عدد من المسيحيين المزيفيين بين الجماعات المذشقة فإن ماقدموه كان مجرد إعادة ترتيب للبيت الوطني وليست إقامة امبراطورية عالمية رؤوية ، وعلاوة على ذلك فإنهم نادرا ما كانوا وراء ثورات مسلحة ، ولم يحدث هذا مطلقا بين اليهود الأوربيون ، ولم يعد اليهود بل المسيحيون هم الذين شرعوا يتوسعون في تقاليد نبوءات حلم دانيال ، وهم الذين استمروا على التعلق بها والاستلهام منها ٠

وباتت افكار المسيح الذي عانى ،ومات والمملكة التي كانت روحية صرفة ، هذه الأفكار التي أصبحت فيما بعد تعد قلب العقيدة المسيحية ، ابعد من أن تكون مقبولة من قبل كل المسيحيين الأوائل ، ومنذ ذلك الحين فإن المشكلة كما صيغت من قبل يوهانس وايس Johannes Weiss والبرت شويتزر Albert Shweitzer منذ نحو ستين سنة : كان الخبراء يتجادلون حول مدى تأثير تعاليم المسيح الخاصة بالرؤية اليهودية ، وإذا كانت هذه المسألة واقعة بعيدا خارج مجال الدراسة الحالية ، فإن بعض الأقوال التي تعزوها الأناجيل للمسيح تقع ضمنها بشكل واضح .إن النبوءة التي احتفل بها والتي سجلها متى بالتأكيد ذات دلالة كبيرة وتبقى هامة سواء نطق بها المسيح حقا ، أو اعتقد انه فعل ذلك :« لأن ابن الانسان سيأتي في بهاء أبيه مع ملائكته ثم يكافىء كل انسان حسب اعماله ، وحقا أقول لكم سيكون هناك بعض التوقف هنا للذين لن يتذوقوا الموت حتى يروا ابن الانسان يأتي في مملكته »٠

وليس مدهشا أن عددا كبيرا من المسيحيين الأوائل فسروا هذه الأشياء بتعابير الايمان الرؤي بالأخرويات الذي كانوا بالفعل يألفونه ، ومثلهم مثل عدد كبير جدا من أجيال اليهود قبلهم رأوا التاريخ مقسما الى عصرين :أحدهما سالف والثاني لاحق للحلول المنتصر للمسيح ٠

حتى انهم كثيرا ما اشاروا الى العصر الثاني« بالأيام الأخيرة » أو « العالم الآتي » وهذا لايعني أنهم كانوا يتوقعون نهاية سريعة مفاجئة وعنيفة لكل شيء بل على العكس فإنه لوقت طويل ٠ كانت اعداد من المسيحيين مقتنعين ليس فقط بأن المسيح سيعود بسرعة بقوة وعظمة بل ايضا انه عندما يعود فإن ذلك سيكون لاقامة المملكة المسيحية على الأرض(ص ٢٤) وكانوا يتوقعون بثقة مملكة تدوم ، سواء لألف من السنين أو لفترة غير محددة ، ومثل اليهود ، عانى المسيحيون من الاضطهاد واستجابوا له باثبات نشاط وقوة أكثر ، للعالم ولانفسهم ، وايمانهم بأن عصر المسيح

المنتظر وشيك ، حيث تصحح اخطاؤهم ويباد اعداؤهم ، وليست مدهشة الطريقة التي تخيلوا بها التحول العظيم الذي كان ايضا يدين بالكثير الى اسفار الرؤيا اليهودية ، التي كان لبعضها في الواقع انتشارا أوسع بين المسيحيين أكثر منه بين اليهود ،وفي السفر المعروف باسم« رؤيا يوحنا » تمتزج العناصر اليهودية والمسيحية في نبوءة أخروية ذات قوة شعرية كبيرة ، وهنا كما في كتاب دانيال ترمز عشرة وحوش رهيبة ذات قرون الى القوة العالمية الأخيرة وهي الآن الدولة الرومانية المضطهدة ، في حين ان وحشا أخر يرمز الى الكهنوت الروماني الاقليمي الذي طالب بتشريف الهي للامبراطور :

« ووقفت فوق رمل البحر ورايت وحشا طالعا من البحر وله عشرة قرون ٠ ٠ ٠ وأعطي أن يصنع حربا مع القديسيين ويغلبهم ، واعطي سلطانا على كل قبيلة ولسان وامة ، فسيسجد له جميع الساكنين على الأرض ، الذين ليست أسماؤهم مكتوبة منذ تأسيس العالم في سفر حياة ٠ ٠ ٠ ٠ثم رايت وحشا أخر طالعا من الأرض ٠ ٠ ٠ ويصنع أيات عظيمة ٠ ٠ ٠ ويضل الساكنين على الأرض بالآيات التي أعطي أن يصنعها ٠ ٠ ٠ ٠(ص ٢٥)٠

ثم رايت السماء مفتوحة ، وإذا فرس ، والجالس عليه يدعي امينا وصادقا ، وبالعدل يحكم ويحارب ٠ ٠ ٠ والأجناد الذين في السماء كانوا يتبعونه على خيل بيض لابسين بزا أبيض ونقيا ، ومن فمه يخرج سيف ماض لكي يضرب به الأمم٠ ٠ ٠ ٠

ورايت الوحش وملوك الأرض واجنادهم مجتمعين ليصنعوا حربا مع الجالس على الفرس ومع جنده ، فقبض على الوحش والنبي الكذاب مع الصانع قدامه الأيات التي بها أضل الذين قبلوا سمة الوحش ، والذين سجدوا لصورته وطرح الاثنان حيين الى بحيرة النار المتقدة بالكبريت ، والباقون قتلوا بسيف الجالس على الفرس ٠ ٠ ٠ ٠ وجميع الطيور شبعت من لحومهم ٠ ٠ ٠

ورأيت نفوس الذين قتلوا من أجل شهادة يسوع، ومن أجل كلمة الله والذين لم يسجدوا للوحش ٠ ٠ ٠ فعاشوا وملكوا مع المسيح الف سنة ٠ ٠ ٠ ٠ «وعند نهـايتها ـ الفتـرة الالفية بـالمعنى التـام للكلمة ـ تتبع هناك البعث العام للأموات والحساب الأخير عندمـا يكون الذين لم يوجدوا مكتوبين في كتاب الحياة قد طـرحوا في بحيرة النار ، وتهبط القدس الجديدة من السـماء لتـكون بيتـا وسـكنا للقديسين الى الأبد :

« ثم رايت سماء جديدة وارضا جديدة ، لان السماء الأولى والأرض الأولى مضتا ، والبحر لايوجد فيمـا بعـد ، وانا يوحنا رايت المدينة المقدسة أورشليم الجـديدة نازلة مـن السـماء مـن عند الله مهيأة كعروس مزينة لرجلها ، وسمعت صوتا عظيما من السماء قائلا هـو ذا مسكن الله مع الناس وهو سيسكن معهم وهم يكونون له شعبا ، والله نفسه يكون معهم إلها لهم وسيمسح الله كل دمعة من عيونهـم والموت لايكون فيما بعد ، ولايكون حزن ولا صراخ ولا وجع فيما بعد لأن الأمور الأولى قد مضت ، وقال الجالس على العـرش : هـا انا اصنع كل شيء جديدا ٠ ٠ وذهب بي بالروح الى جبـل عظيم عال واراني المدينة العظيمة أورشليم المقدسة نازلة من السـماء مـن عند الله ، لها مجد الله ولمعانها شبه اكرم حجر كحجر يشب بلوري »٠

وبذا كيف يمكن للناس اخذ هذه النبوءة بحرفيتها ، وبأي إشـارة محمومة ينتظرون تحقيقهـا في الحـركة المعـروفة بـالمونتانية ، وفي ١٤٦ م حدث في فريجيا أن رجلا مونتانيا اعلن نفسـه أنه تجسـيد للروح القدس « روح الحقيقة » وكان طبقا للكتاب الرابع من العهـد الجديد سيبشر بأشياء آتية ويبوح بهـا ، وجمـع حـوله عددا مـن المنجذبين واغلبهم مأخوذ بالتجارب الرؤوية التي كانوا يعتقدون بثقة بأنها ذات منشأ رباني والتي أعطوها حتى اسم « العهـد الثـالث » وكان موضوع استنارتهم الروحية المجيء الوشـيك للمملكة : فقـد كانت القدس الجديدة على وشـك النزول مـن السـماء الى الأرض الفريجيانية حيث تصبح مسكنا للقديسين ، واسـتدعى المونتـانيون

طبقا لذلك كل المسيحيين الى فريجيا لينتظروا هناك المجيء الثاني بالصيام والصلاة والتوبة المريرة ٠

وكانت حركة متقشفة عنيفة ، متعطشة للمعاناة وحتى للشهادة ، لانه او لم يكن الشهداء فوق الجميع هم الذين سيبقون في الجسد وسيكونون المسموح لهم بالعيش في الفترة الألفية السعيدة ؟ ولم يكن أي شيء موحيا بانتشار المونتانية بقدر هذا الاضطهاد نفسه ، ومنذ عام ١٧٧م وما يليه عندما اضطهد المسيحيون مرة أخرى في اقاليم كثيرة من الامبراطورية توقفت المونتانية فجأة عن ان تكون مجرد حركة محلية وامتدت طولا وعرضا ليس فقط عبر آسيا الصغرى بل الى افريقيا ، وروما وحتى الى بلاد الغال ، ومع أن المونتانيين لم يعودوا يتطلعون الى فريجيا ، فإن ثقتهم بالظهور الوشيك للقدس الجديدة لم يهتز ، وكان هذا صحيحا حتى عند تيرتوليان Tertullian أشهر علماء اللاهوت في الغرب في ذلك الوقت ، عندما انضم الى الحركة في السنوات الأولى من القرن الثالث حيث نجد تيرتوليان (ص ٢٦) يكتب عن معجزة عجيبة في فلسطين شوهدت مدينة مسورة في السماء في الصباح الباكر من كل يوم لمدة اربعين يوما وكانت تبهت مختفية مع تقدم النهار ، وكانت هذه علامة أكيدة على أن القدس السماوية على وشك النزول وكانت هذه هي الرؤيا نفسها التي كما سنرى تلهب وتمتن مقاومة حشود الشعوب الصليبية وهي تكدح نحو القدس بعد ذلك بنحو تسعة قرون ٠

وفي توقع المجيء الثاني من يوم لآخر وأسبوع لآخر كان المونتانيون يتبعون خطوات العديد من ، وربما أغلب المسيحيين الأوائل ، وحتى« كتاب الوحي » كان يتوقع حدوثها« قريبا » وبحلول منتصف القرن الثاني كان هذا الموقف قد أصبح نوعا ما غير عادي فقد كانت الرسالة الثانية لبطرس التي كتبت في نحو ١٥٠م مترددة :

فمن الرأفة قد يتمهل المسيح« حتى يعود الجميع الى التوبة » وفي

الوقت نفسه بدأت عملية بها حرمت اسفار الرؤيا المسيحية من النفوذ الذي كانت حتى الآن تتمتع به بشكل قانوني ، الى حد انه لم ينج سوى كتاب الرؤيا وذلك فقط بسبب انه نسب خطأ الى القديس يوحنا ومع ذلك إنه وإن اعتقدت أعداد متزايدة من المسيحيين بأن الفترة الالفية بعيدة وليست حدثا وشيكا فإن العديد كانوا وما يزالون قانعين انها ستأتي عند أكتمال الزمان.

ورسخ جوستين الشهيد Justin الذي لم يكن بالتأكيد مونتانيا هذه النقطة بوضوح كاف في حوار مع اليهودي تريفو Trypho ، وجعل هناك محاوره اليهودي يسأل : هل انتم معشر المسيحيين تتمسكون حقا بأن هذا المكان« القدس » سيبنى مرة أخرى وهل تعتقدون حقا أن شعبكم سيجتمع هنا في بهجة تحت حكم المسيح مع البطاركة والأنبياء ؟

و اجابه جوستين إنه في حين أن هذا ليس موقف جميع المسيحيين الحقيقيين ، فهم لايحملون هذه القناعة ، إنه هو وعدد كبير غيره متحدون في الايمان الواثق بأن القديسين سيعيشون حقا الف عام في قدس معادة البناء مزينة وموسعة ، وسواء أكانت نائية أم وشيكة ، إن مملكة القديسين يمكن بلا شك تصورها بطرق كثيرة مختلفة تتراوح من الاكثر مادية الى الاكثر روحانية ، ولكن بالتأكيد كانت تخيلات العديد حتى بين المتعلمين على أعلى مستوى من المسيحيين مادية بدرجة كافية ويقدم عينة قديمة من هذه التخيلات« الأب الرسولي » بابياس Papias ، الذي يحتمل انه ولد في نحو ٦٠ م ، والذي ربما يكون قد جلس عند قدمي القديس يوحنا وكان هذا الفريجيني رجل علم ، أوقف نفسه على حفظ الروايات الأولى عن دعوة المسيح ، ومع أن النبوءة الالفية التي يعزوها الى المسيح منحولة وغير منطقية ـ فإن نظائر لها موجودة في مختلف اسفار الرؤيا اليهودية مثل باروخ ـ ومن الأهمية بقدر كبير تبيان معدل ما توقعه بعض المتعلمين من المسيحيين المخلصين من فترة ما بعد

الحواريين ، وفوق ذلك ما اعتقـــدوه أن المســـيح نفســـه قـــد توقعه :(ص ٢٧)

« ستأتي الأيام وفيها ستظهر الكروم ولكل منها عشرة آلاف غصن وعلى كل غصن ، عشرة آلاف فرع ، وعلى كل فــرع حقيقــي عشرة الاف عنق على كل منها عشرة الاف عنقــود ، وفي كل عنقــود عشرة آلاف عنبة وكل عنبــة تعــطي خمس وعشرون « ميتــريتا » مـــن النبيذ ،وعندما يمسك أحد القديسين بعنقود، سيصيح عنقودا أخــر انا عنقود افضل خذني واحمد الرب من خــلالي ، ومثــل ذلك(قــال الرب)إن حبة من القمح ستحمل عشرة آلاف ســنبلة ، وكل ســنبلة بها عشرة الاف حبة ، وكل حبة تعــطي عشرة أرطــال مــن انقــى الدقيق ، نظيف وصاف ، والتفاح والبذور والعشب ستعطي بنســب مماثلة ، وكل الحيوانات ستتغذى فقط على ما ستأخذه مــن الأرض وستكون مسالمة وودودة لبعضها وخاضعة تماما للانســان.إن هــذه الامور قابلة للتصديق الآن من المؤمنين ، وسأل يهوذا لكونه كافــرا خائنا :كيف يمكن لمثل هذا النمو أن يتم من قبــل الرب ؟ ولكن الرب اجاب سيرى هذا الذين سيصلون الى هذه الأزمنة ».

وحمل ارنيوس Iranueus الذي كان ايضــا مــن اهــالي اســـيا الصغرى هذه النبوءات معه عندما جاء ليستوطن في بــلاد الغــال في نحو نهاية القرن الثاني.

وكأسقف لمدينة ليون وعالم لاهوت بارز يحتمل أن يكون قد فعــل اكثر من أي إنسان أخر لترسيخ التصور الألفي في الغرب ، وتشكل الفصول الختامية لرسالته الكبيرة« ضد الهرطقة » مقتــطفات أدبية مختارة شاملة حول المســيحية المنتــظرة والنبــوءات الألفية التــي انتخبت من العهدين القديم والجديد« وتتضــمن أيضــا فقــرة مــن بابياس »، وفي راي ارنيوس إنه جزء لازم من الارثوذكسية أن هــذه الأشياء ستأتي في الواقع للمرء بهذه الأرض من أجل منفعة كل مــن الموتى الصالحين الذين سيبعثون ، والصالحين من الأحياء ، ويظهر

السبب الذي يعطيه لاقتناعه أن الجزء الذي تشغله التخيلات المعوضة ليس أصغر مما كان عليه في ايام رؤيا دانيال :

« حيث أنه حق انه في هذه الخليقة التي كدحوا فيها وابتلوا أو امتحنوا بكل طريقة بالمعاناة، انهم يجب أن يلقوا الجزاء عن معاناتهم ، وإنه في هذه الخليقة التي قتلوا فيها من اجل محبة الرب يجب أن يحيوا مرة أخرى ، وإنه في هذه الخليقة التي تحملوا فيها العبودية يجب ايضا أن يحكموا، ولأن الله غني في كل شيء وكل شيء له ، إنه من الموائم بناء عليه ان تستعاد الخليقة نفسها الى حالتها البدائية ، وأن تكون دون تأهيل تحت سيادة الصالحين . . . . » .

وكان النمط لايزال هو نفسه في القرن الرابع عندما بدا لاكتانيتوس البليغ Lactontius في كسب المتحولين الى المسيحية ، فلم يتردد في تقوية جذب الفترة الالفية السعيدة بما يتعلق بالانتقام الدموي من الفاسدين(ص ٢٨):

« لكن الرجل المجنون (المسيح الدجال) سيقود وهو يغلي بغضب حقود جيشا ويحاصر الجبل الذي لجأ إليه الصالحون ، وعندما يرون أنهم قد حوصروا سيصيحون بصوت مرتفع طلبا لمعونة الرب وسيسمعهم الرب وسيرسل لهم محررا ، ثم تنفتح السماء بعاصفة ويهبط المسيح بقوة عظيمة يتقدمه سطوع ناري وحشد لاحصر له من الملائكة ، وكل هذه الجموع الكثيرة غير المؤمنة بالرب ستباد وستتدفق سيول من الدم . . . وعندها يحل السلام ويقمع كل شر ، سيقوم الملك الصالح المنتصر بحساب عظيم على أرض الأحياء والأموات وسوف يحيل كل الوثنيين من الناس للسخرة تحت إمرة الصالحين الذين هم أحياء ، وسيرفع الصالحين من الأموات الى الحياة الأبدية، وهو نفسه سيحكم معهم على الأرض وسيؤسس المدينة المقدسة ، ومملكة الصالحين هذه ستدوم الف عام، وخلال هذا الوقت ستكون النجوم أكثر سطوعا ، وسيزداد سطوع الشمس

ولن يتناقص او ينمحق القمر ، وسينزل مطر البركة من عند الرب صباحا ومساء، وستحمل الأرض كل الثمار دون جهد من الانسان والعسل بوفرة سيقطر من الصخور وستنفجر ينابيع الحليب والنبيذ ، وستدع وحوش الغابات توحشها وتصبح اليفة ٠ ٠ ٠ولن يعيش اي حيوان مفترس بعد ذلك على سفك الدماء فسيمد الله الجميع بطعام وافر غير آثم »

وعلى صفحات الكومودينانوس Commodis nus بلور شاعر لاتيني من الطبقة الدنيا(ربما)في القرن الخامس التخيلات المعتادة للنصر والانتقام في حث على حمل السلاح والقتال مفاجيء ، فكان اول نذير للالفية الصليبية التي قدر لها أن تتفجر في اوروبا في أواخر العصور الوسطى ، حيث طبقا للكومودينانوس عندما يعود المسيح سيكون على رأس جيش ليس من الملائكة ، بل من نسل الأسباط العشرة التائهة من بني اسرائيل الذين بقوا في أماكن خفية غير معروفة لبقية العالم ، وعرض« هؤلاء الناس الأخيرون المقدسون » كمجتمع فاضل وحيد لايعرف شيئا عن الكراهية والخداع أو الشهوة ، ويحمل كراهيته لسفك الدماء الى حد النباتية ، إنه ايضا مجتمع مؤيد من الرب لأن لديه مناعة تامة ضد التعب ، والمرض والموت قبل الأوان ، والآن يسرع هذا الحشد لتحرير القدس« الأم الأسيرة » « وهم سيحضرون مع ملك السماء ٠٠٠٠ وستبتهج كل الخليقة لرؤية الشعب السماوي ، فتسطح الجبال نفسها أمامهم وستتفجر الينابيع على طول طريقهم ، وستنحني السحب لحمايتهم من الشمس، ولكن هؤلاء القديسين سيكونون محاربين ضاريين، لايقاومون في الحرب ، غاضبون كالأسود يخربون الاراضي التي يعبرونها ويهزمون الأمم ويدمرون المدن ، وبإذن الرب يغنمون الذهب والفضة وينشدون التراتيل للأفضال التي تغمرهم ، ويهرب المسيح الدجال في خوف الى الأجزاء الشمالية(ص ٢٩) ويعود على رأس جيش من الاتباع الذين من الواضح انهم اولئك الناس الخرافيين المخيفيين الذين يعرفون بشكل جماعي باسم يأجوج ومأجوج ، والذين يقال إن الاسكندر الأكبر قد سجنهم في أقصى

الشمال ، غير أن المسيح الدجال سيهزم على يد ملائكة الرب وسيطرح في الجحيم •

وسيحول قادته ليصبحوا عبيدا للناس المقدسين ، وهم الناجون القلائل من الحساب الاخير ، وبالنسبة للناس المقدسين انفسهم ، فإنهم سيعيشون الى الأبد في القدس المقدسة خالدين لايهزمون ويتزوجون وينجبون ولايصابون بالمطر أو البرد في حين أن كل ما هو لهم أرض مجددة الشباب الى الأبد تصب ثمارها »•

التقاليد الرؤوية في اوربا العصور الوسطى

رأى القرن الثالث المحاولة الأولى لتكذيب الالفية ، عندما بدأ أوريجن Origen ، ربما الأكثر نفوذا بين كل علماء اللاهوت في الكنيسة القديمة بتصوير المملكة كحدث يمكن أن يقع لافي المكان ولا في الزمان بل فقط في نفوس المؤمنين ، وبشكل جماعي استبدل أوريجن إيمان الالفيين بالأخرويات بإيمان أخروي بالروح الفردية ، والذي حرك روحه المتعمقة في الخيال الهلنستي ، كان مظهر الرقي الروحي الذي بدأ في هذا العالم ليستمر في العالم الآخر ، ولهذا الموضوع شرع علماء اللاهوت من الآن فصاعدا يعطون اهتماما متزايدا ، وبات مثل هذا التحول في الاهتمام في الواقع موائما بشكل مثير للاعجاب لما اصبح الان كنيسة منظمة تتمتع بسلام غير منقطع تقريبا ، وموقف معترف به في العالم ، وعندما بلغت المسيحية في القرن الرابع موقعا ساميا في عالم البحر المتوسط ، واصبحت الديانة الرسمية للامبراطورية ، أصبح الرفض الكنسي للالفية مؤكدا ، واصبحت الكنيسة الكاثوليكية الان مؤسسة قوية مزدهرة ، تعمل وفق روتين راسخ تماما ، ولم يكن لدى الرجال المسؤولين عن إدارتها رغبة في رؤية المسيحيين يتعلقون باحلام عتيقة وغير موائمة

عن جنة ارضية جديدة ، وفي وقت مبكر من القرن الخامس قدم القديس أوغسطين المذهب الذي تطلبته الظروف الجديدة .

وطبقا لما جاء في كتاب « مدينة الرب » كان ينبغي فهم سفر الرؤيا كرمز روحي ، وبالنسبة للالفية التي بدات مع مولد المسيحية وفهمت تماما في الكنيسة ، اصبحت هذه على الفور عقيدة ارثوذكسية ، والآن إن الحقيقة المؤكدة هي ان ارنيوس البارز والمحترم قد يكون عدّ مثل هذا الاعتقاد جزءا لازما من الارثوذكسية ، شعر انه لايمكن التغاضي عنه وبذلت جهود مصممة لطمس الفصول الالفية من بحثه ضد الهرطقة ، وبمفعول جيد ، حتى انها قد اكتشفت فقط في عام ١٥٧٥ في مخطوط حدث أن المنقحين قد غفلوا عنه . (ص ٣٠)

ومع ذلك ينبغي أن لايقلل من اهمية التقاليد الرؤوية مع أن المذهب الرسمي لم يعد فيه مكان لها ، فلقد بقيت في العالم السفلي المظلم للديانة الشعبية الشائعة ، وبفضل التقاليد أصبحت فكرة القديسين من ذوي المستوى الأعلى منتشرة على نطاق واسع بالقوة نفسها في بعض الدوائر المسيحية كما كانت دائما بين اليهود ، مع انه منذ أن ادعت المسيحية بأنها دين عالمي لم تعد تفسر بالمعنى الوطني ، وفي المسيحية الرؤوية بقيت تخيلات الانتخاب الالهي ، واحييت ، واصبحت الاساس في الادب الذي دشن بسفر الرؤيا الذي شجع المسيحيين على أن يروا أنفسهم كشعب مختار من الرب ـ واختير كلاهما من اجل إعداد الطريق لاجل ولوراثة الالفيين ، وكان لهذه الفكرة جاذبية كبيرة حتى أن اي إدانة رسمية لم تكن لتمنع ظهورها مرات ومرات في عقول المحرومين من المزايا ، والمسحوقين ، وذوي التوجيه السيء وغير المتوازنين ، وقد اظهرت الكنيسة المؤسساتية في الواقع مهارة بالغة في التحكم في ، وفي توجيه الطاقات الانفعالية للمؤمنين وبشكل خاص في توجيه الآمال والمخاوف بعيدا عن هذه الحياة نحو الحياة الاخرى ، ولكن مع أن جهودها كانت ناجحة بشكل طبيعي .

إنها لم تكن كذلك بصورة دائمة ، وبشكل خــاص في أوقــات عدم الثقة العامة أو القلق حيث يكون الشعب دائما عرضــة للتحــول إلى سفر الرؤيا والحواشي التي لاحصر لها عليه ، وإلى جانب ذلك ظهــر تدريجيا موضوع آخر له تأثير مساو للكتابات الرؤوية التي اصبحت تعرف الآن باسم وســطاء الوحــي « الســبلينيون » في العصــــور الوسطى .

وتضمنت الرؤى اليهودية الهلنستية بعض الكتب التي ادعت مثل الكتب السبلينية الشهيرة المحفوظة في روما ، انهــا تسـجل أقــوال نبيات ملهمات ، وفي الواقع إن هذه « الهواتف » المكتوبة بتفــاعيل سداسية يونانية ، كانت انتاجا ادبيا يرمي إلى تحويل الوثنيين إلى اليهودية ، والتي كانت في الواقع تتمتع بــرواج عظيم بينهــم ، وعند الاهتداء إلى الدين الجديد بدأ المسيحيون بدورهم في اقرار نبــوءات سبلينية وهنا استمدوا الكثير واعتمدوا على السبلين اليهودي ، وما برح هذا الادب النبوئي الجديد يعرف مخلصا أخــرويا واحــدا هــو المسيح المحارب كما ظهر في سفر الرؤيا ، ولكن منذ الاسكندر الاكبر كان العالم اليوناني ــ الرومــاني قــد تعــود على تــأليه ملوكه او تعظيمهم حتى العبادة ، وكان هناك ملوك هلنستيون ممن حملوا لقب « المخلص » واباطرة رومان ممــن منحــوا القــاب تشريف الهية في حياتهم وعليه لم يكن من المدهش انه حالما وحدت المسيحية قــواتها مع الامبراطورية ، بات على السبلين المسيحي ان يحيي الامبراطور قسطنطين على انه الملك المسيحي المنتــظر (ص ٣١) وبعــد مــوت قسطنطين استمر الســبلين في ربــط اهمية اخـــروية بشــخص الامبراطور الروماني وبفضلهم ازدوجت تخيلات المسيحيين لاكثــر من الف سنة حول صورة المسيح المحـــارب وتضـــاعفت بــاخر هــو امبراطور الايام الاخيرة .

وكان اقدم سبلين معروف لاوروبا العصور الوسطى هي التبــوريتنا التي تعود بصورتها المســـيحية الى اواســـط القـــرن الرابـــع مــن ٣٤٠ ــ ٣٥٠ م ، ووقتهــا كانت الامبــراطورية مقســمة بين

الابنين الباقيين لقسطنطين :كونستانس الاول الذي حكم في الغـرب وكونستانتيوس الثاني الذي حكم في الشرق ،وكان الجدل الاريوسي في اوجه ، وبينما كان كونستانس مؤيدا قويا مخلصا للعقيدة وحاميا لاثناسـيوس ـ كان كونسـتانتيوس ميالا للاسس السـياسية اكثر منه للاسس الدينية ـ ومؤيدا للطـرف الاريوسي ، وفي ٣٥٠ م قتل كونستانس الذي ثبت انه حاكم فاسد شرير على أيدي قـواته ، واصبح كونستانتيوس الحـاكم الوحيد للامبـراطورية ، ويعـكس السبلين التبور تيني ردود فعل الكاثوليك تجاه هـذه العقبـة ، فهـو يتحدث عن « زمان الاحزان » ، عندما تقع روما في الاسر ويضـطهد الطغاة الفقـراء والابـرياء ويحمـون المذنبين ، ولكن يأتـي حينئذ إمبراطور يوناني يدعى كونستانس يوحد النصفين الغربي والشرقي من الامبراطورية تحت حكمه .

وبحضور مسيطر حكم كونستانس الطويل ، ذا الجسم المتناسب والوجه المتـلالىء الجميل ١١٢ (او ١٢٠) سـنة ، وكان عصره عصر وفرة : زيت ، نبيذ ، قمح ، مواد متـوفرة ورخيصـة ، وهـو ايضا عصر سيرى النصر النهائي للمسيحية ، فالامبراطور سـيدمر تدميرا تاما مدن الوثنيين ، وسيدمر معابد الالهـة المزيفـة ، وهـو سيستدعي الوثنيين انفسـهم للتعميد المسـيحي ، والوثنيون الذين سيرفضون التحول يجب أن يموتوا بـالسيف ، وفي نهـاية الحـكم الطويل سيتحول اليهود ايضا ، وعندما يحـدث ذلك ، يضيء الضريح المقدس في بهاء وسيتحلل الاثنى عشر شعب لياجوج ومـاجوج مـن قيودهم ، وهم بكثرة رمال البحر ، ولكن الامبراطور يحشد جيشـه ويبيدهم ، وما أن تنتهي مهمته سيرحل الامبـراطور الى القـدس ، ليضع هناك التاج الامبـراطوري والاردية على الجلجلة ، ومـن ثـم يسلم العـالم النصراني لعناية الرب ، ويبلغ العصر الذهبـي ومعـه الامبراطورية الرومانية النهاية ، ولكن قبل نهاية كل شيء يبقى وقت قصير للابتلاء ، حيث يظهر الآن المسيح الدجال ويحكم في المعبـد في القدس ، ويخدع العـديد بمعجـزاته ويضـطهد الذين لايسـتطيع خداعهم ، ومن اجل المختار سيقصر الرب هـذه الايام ، وسـيرسل

الملاك الكبير ميكائيل ليدمر الدجال ، وفي النهاية سينفتح السبيل امام المجيء الثاني ليحل . (ص . ٣٢).

ويلوح شخص امبراطور الايام الأخيرة الذي قدم للمرة الأولى من قبل التبورتينا انه أكبر منه في السبلين المعروف باسم « المنهج الكاذب » والنبوءة التي كانت متنكرة ، كعمل لأسقف القرن الرابع الشهيد ميثاديوس أسقف البتراء كانت في الحقيقة قد صنفت في حوالي نهاية القرن السابع ، وكان هدفها الاساسي ايجاد تعزية للمسيحيين السوريين في وضعهم الصعب غير المألوف كأقلية تحت الحكم الاسلامي ، وهو يبدأ بمسح لتاريخ العالم من جنة عدن الى الاسكندر، ثم يمر في مجلد واحد بزمن المؤلف نفسه ، وتحت مظهر التنبؤ بأشياء ستحدث يصف كيف أن الاسماعيليين الذين هزمهم جدعون مرة ودفع بهم للعودة الى صحاريهم عادوا وعاشوا في الأراضي من مصر الى أثيوبيا ، ومن الفرات الى الهند ، والمسيحيون سيعاقبون على خطاياهم باخضاعهم بعض الوقت من قبل هذه القبائل البدوية التي ترمز بالطبع الى الجيوش الاسلامية الفاتحة ويقتل الاسماعيليون الكهنة المسيحيين ، وينتهكون حرمة الأماكن المقدسة ، وبالقوة أو الخداع يغررون بالعديد من المسيحيين ويحرفونهم عن العقيدة الصحيحة، ويأخذون من المسيحيين قطعة من الأرض بعد قطعة ويتفاخرون بأن المسيحيين قد سقطوا في أيديهم الى الابد ٠

ولكن ــ وهنا تغامر النبوءة حقا للمرة الأولى في توقعات المستقبل ما أن تصبح الحالة سيئة أكثر مما كانت، حتى نجد امبراطورا قويا اعتقد الناس أنه مات منذ زمن طويل ينفض عنه النعاس ، وينهض في غضب ، ويهزم الاسماعيليين، ويدمر تماما اراضيهم بالنار والسيف ويضع عليهم نيرا اكثر قمعا بمائة مرة من الذي وضعوه على المسيحيين ، ويغضب أيضا من المسيحيين الذين تنكروا لربهم، ثم يتبع ذلك فترة من السلام والبهجة تتحد خلالها الامبراطورية في ظل حاكمها العظيم وتزدهر كما لم تفعل من قبل ٠

ولكن حشود يأجوج ومأجوج عندئذ تنطلق وتحدث خرابا شـاملا ورعبا حتى يرسل الرب قائدأمن جيش السماء يدمرهم في ومضة ثـم يرحل الامبراطور الى القدس لينتظر هناك المسيح الدجـال وعندمـا يحدث هذا الحدث المروع يضع الأمبراطور تـاجه فـوق الصـليب في الجلجلة ويحلق الصليب الى السماء، ويموت الامبراطور ويبدأ حكم المسيح الدجال ، ولكن قبل مضي وقت طويل يعود الصليب للظهور في السماوات كعلامة على ابن الانسان ، ثم يأتي المسـيح نفسـه على السحب في قوة وبهاء ، ليقتل الدجال بـالزفير مـن فمـه وليقـوم بالحساب الأخير ٠

و قد انتهت الحالات السياسية التي اثارت هذه النبوءات وفقدت من الذاكرة وقائعها ، و مع ذلك احتفظت النبوءات بـكل فتنتهـا ، و خلال فترة العصور الوسطى استمر الايحاء بالأخرويات السبلـينية الى جانب الايمان الأخروي المستمد من سفر الرؤيا ، معدلا إياهـا أو معـدلا بفعلهـا ، و لكن بشـكل عام كان يتجـاوزها الى الشعبية(ص ٣٣)

ومع ان السلبينيين كانوا غير قانونيين (شرعيين) وغير أصوليين فإنه كان لهم نفوذ كبير - في الواقـع بـاستثناء الكتـاب المقـدس وكتابات آباء الكنيسة - ربمـا كانت كتـاباتهم الأكثـر تـأثيرا في العصور الوسـطى في أوربـا و كثيرا مـا كانوا يملون البيانات على الشخصيات المهيمنة في الكنيسة والرهبان والراهبات مثل القـديس برنارد والقديس هيلدغارد اللذان كانت أراؤهما مقـدرة حتـى مـن البابوات والأباطرة الى حد اعتبارها ملهمة من الرب ، و علاوة على ذلك اثبتوا أنهم قابلين للتكيف بلا حدود ، وكثيرا ما كانت كتاباتهم تحرر ويعاد تفسيرها لمواءمة الأحوال و لتكتسب جـاذبية بـالنسبة لشواغل اللحظة ، و كانت تقدم في كل وقت لأشباع رغبـات المتلهفين من البشر الى نبوءة لا تقبل الجدل عن المستقبل ، و بـالفعل عندمـا وضعت النصوص الوحيدة المعروفة في الغرب بـاللاتينية وأصـبحت بناء على ذلك في متناول رجال الأكليروس فقط فإن بعض المعرفة عن

ـ ١٤٤٥ ـ فحواها قد تسربت حتى إلى أدنى المراتب من العامة ، و منذ القرن الرابع عشر و ما بعده بدأت التراجم في الظهور باللغات الأوربية المختلفة ، و عندما اخترعت الطباعة كانت هذه التراجم بين أول الكتب التي طبعت ، و في وقت قريب من نهاية العصور الوسطى عندما كانت المخاوف والآمال التي شكلت في البداية نبوءات السبليذيين لمدة تقارب الف سنة ماضية او أكثر من الماضي ما برحت هذه الكتب تقرأ و تدرس في كل مكان.

و تتحدث تقاليد يوحنا(★) عن محارب مخلص ينتظر أن يظهر في الأيام الأخيرة ، و تتحدث تقاليد السبليذيين عن اثنين ، و لكن كليهما يتفقان انه في تلك الأزمان سيظهر عدو رئيس للرب ، هو شخصية غير عادية للمسيح الدجال ، و كانت هذه شخصية أسهمت فيها معظم التقاليد المختلفة ، و أصبحت رمزا قويا بقدر ما هو معقد ، و هنا مرة اخرى كان تأثير رؤيا دانيال حاسما ، وعندما تكلمت هذه النبوءة عن « ملك سوف يرفع نفسه ويعظمها فوق كل إله »

«ويتكلم بكلمات عظيمة ضد الله كانت تشير سرا الى الملك الظالم انتيوخيوس ابيفانس الذي كان في الواقع مصابا بجنون العظمة ، ولكن أصل النبوءة سرعان مانسي حتى بينما كان سفر دانيال ما يزال معتبرا من الكتب المقدسة التي تتنبأ بأمور مستقبلية ، وبانفصاله عن محيطه التاريخي احيلت الشخصية الطاغية المعادية للرب في الأيام الأخيرة الى الرصيد الشائع من المعرفة الرؤوية اليهودية والمسيحية فيما بعد

وفي كتابات القديس بولس الى التسالو نيكيين وفي سفر الرؤيا تظهر هذه الشخصية على أنها المسيح الدجال « الذي يعارض ويرفع نفسه فوق كل ما يدعي رب ، أو مايعبد ، وهكذا فانه كاله يجلس في

★ ـ اي التي تستند الى سفر الرؤيا الذي يعزى الى يوحنا

معبد الرب مظهرا نفسه انه الرب ... وبالآيات والاعاجيب الكاذبة التي سيقوم بها النبي الكاذب من خلال قوى الشيطان سيخدع العالم ، وعلى السطح سيبدو فاضلا تماما وخيرا ، ومع أن شره عام فانه سيتمتع بخبث شديد وسيمكنه ذلك من اقامة حكم طاغ بالغ القوة : وقد أمكن له شن حرب على القديسين والتغلب عليهم وسيعطى القوة على كل العشائر وكل الألسن والأمم » (ص ٣٤)

وهذه الشخصية التي اعطيت الآن اسم المسيح الدجال يمكن بناء على ذلك اعتبارها كائنا بشريا ، امبراطورا او اميرا أو أسقفا يكون في آن واحد مغو وقاس ، اضافة الى كونه خادما واداة للشيطان ، ولكن المسيح الدجال لم يعتقد أبدا بأنه مجرد رجل مهما كان شريرا ، وتسربت توقعات الفرس (المزديين) بهزيمة الشيطان الكبير أهرمان في آخر الأيام المحبوكة مع الأسطورة البابلية حول معركة بين الاله الرسمي وتنين الفوضى ، الى الرؤوية اليهودية ، واثرت بعمق في تخيلات طاغية آخر الزمان ، وبالفعل في نبوءة دانيال ، فان انتيوخرس لايظهر فقط كملك ذي ملامح عنيفة بل ايضا كمخلوق ذي قرون تتعاظم وتطول حتى بالنسبة لجيش السماء ، وحتى تطرح بعض حشود السماء ، والنجوم على الأرض وتطأهم ، وتختم عليهم ، وفي سفر الرؤيا ان الدور التقليدي للمسيح الدجال مقسم بين الوحش الأول ــ التنين العظيم الأحمر الذي يظهر في السماوات ، أو ينهض من البحر وهو بسبعة رؤوس وعشرة قرون ــ والوحش الثاني ــ الدابة الهائلة ذات القرون التي تتكلم كتنين ، والتي تخرج من هدة لاقاع لها بداخل الأرض

وهنا ظهرت شخصية المسيح الدجال في شخصية الدابة ذات القرون التي تسكن في أعماق الأرض « الأفعى القديمة الشيطان نفسه » وخلال جميع القرون استمر الدجال في شغل خيال الناس والهابه واحتفظ بنوعيته الشيطانية ، وخلال العصور الوسطى كان لايصور فقط بصورة طاغية متوج بل ايضا كشيطان أو تنين يطير في

الهواء يحيط به شياطين اصفر ،و يحاول ان يطير عاليا ليثبت انه اله وهو يقذف به نحو موته من قبل الله (الصورة ١) وفي وسط القرن الثاني عشر رآه القديس هيلدغارد اوف بنجن في رؤيا في صورة وحش ذي رأس رهيبة لدابة سوداء كالفحم وعينين ملتهبتين وأذني جحش ومعدة متشعبة ذات اشواك حديدية .

وفي الواقع كان المسيح يشبه شيطان ، تجسيد ضخم عملاق لقوة فوضوية مدمرة ، ولتقدير كيف كان الشعور بمدى عدم محدودية القوة لديه ، وكم هي خارقة للقدرة البشرية ، وكم هي مرعبة ان على المرء ان ينظرفقط في صورة ملكيورلورك للشيطان ـ المسيح الدجال (هو هنا شبيه بالبابا) (الصورة ٢) ويعود تاريخ هذه الصورة الى وسط القرن السادس عشر والانفعال الذي تعبر عنه هو مزيج من الرعب والكراهية والازدراء ، وكانت تزعج الأوروبيين منذ قرون عديدة خلت (ص ٣٥)

وقد اثرت النبوءات السبلينية ونبوءات يوحنا في المواقف السياسية ، وبالنسبة لشعوب العصور الوسطى ، فالدراما المذهلة للأيام الأخيرة لم تكن خيالا حول مستقبل بعيد غير محدود ، بل كانت نبوءة مؤكدة تقريبا وفي اي لحظة معينة تعطي احساسا بكونها وشيكة التحقيق ، وتظهر حوليات العصور الوسطى لتاريخ الأحداث بوضوح كاف كيف ان احكاما سياسية خاصة كانت تتلون بهذه التوقعات ، وحتى في العهود الأكثر بعدا عن الوفاء بالغرض حاولت الحوليات ان تدرك ان الانسجام بين المسيحيين ، وان الانتصار على الكفار وان تلك الوفرة التي لانظير لها والازدهار ستكون من علامات العصر الذهبي ، ومع كل ملك جديد تقريبا حاولت رعاياه ان ترى فيه أخر امبراطور عليه أن يترأس العهد الذهبي ،بينما كانت الحو ليات تضفي عليه النعوت المسيحية التقليدية « ملك عادل » او ربما داود ، وعندما كانت تجربة كل زمان تأتي بالتحرر الذي لامفر منه من الوهم ، كان الناس يكتفون بمجرد ان التحقيق البهي قد تأجل الى العهد التالي ، واذا استطاعوا اعتبروا الملك الحاكم

كبشير عليه مهمه جعل الطريق ممهدا من اجل الامبراطور الاخير ، ولم يكن هناك ابدا اي نقص في الملوك لتوسم بدرجات مختلفة من الاخلاص او الملاحظات الساخرة حول هذه الآمال الملحة

وفي الغرب كانت الاسر الحاكمة في كل من فرنسا والمانيا تستثمر النبوءات السبلينية لدعم ادعاءاتها بالاهمية ، كما فعل الاباطرة البيزنطيون قبلهم في الشرق

وكان قدوم المسيح الدجال منتظرا حتى بتوتر كبير ، وعاش جيل بعد جيل في توقع مستمر للشيطان المدمر لكل شيء الذي كان حكمه مقدرا له ان يكون اضطرابا غير قانوني ، عصر متروك للسرقة والسلب والاغتصاب والتعذيب والمذابح ولكن من المقدر له ان يكون ايضا مقدمه لتحقيق المجيء الثاني لمملكة القديسين المترقب بشوق عظيم ، فقد كان الناس دائما في ترقب للعلامات التي طبقا للتقاليد النبوئية مقدرة ان تكون مبشرة ومصاحبة للزمن الأخير للمتاعب وحيث ان العلامات تشمل حكاما سيئين وحربا اهلية وتشتتا وجفافا ومجاعة ووباء ومذنباتا ووفياتا فجائية لأشخاص بارزين وزيادة في الخطايا العامة لم يكن هناك ابدا اي صعوبة في ايجادها والغزو او التهديد بالغزو من قبل الهون والمجر والمغول والمشارقة او الترك كان دائما يحرك ذكريات تلك الحشود حول المسيح الدجال ، وشعوب يأجوج ، وفوق كل شي كان أي حاكم يمكن ان يعتبر طاغية مرشحا لأخذ سمات المسيح الدجال ، وكانت الحوليات العادية تعطيه اللقب التقليدى « ملك ظالم » وعندما يموت مثل هذا الملك تاركا النبوءات دون تحقيق فانه سينخفض من مجرد د ملك عادل ،، الى مرتبة «عابر» ثم يستأنف الانتظار (ص ٣٦).

وهنا ايضا كانت فكرة اسلمت نفسها بصورة مثيرة للاعجاب الاستثمار السياسي وكثيرا ماحدث ان اعلن احد البابوات في وقار خصمه ـ امبراطورا عنيفا او ربما عدوا لبابا ـ ليكون هو المسيح الدجال نفسه واذا ذاك فان اللقب نفسه يلقى عليه.

ولكن اذا كانت الخيلات التقليدية حـــول الأيام الأخيرة تـــؤثر باستمرار على الطريقة التي كان ينظر بها الى الأحداث السياسية والشخصيات واللغة التي كانت تدار بها الصراعات السياسية ، انه فقط في بعض حالات اجتماعية ، كانت تعمل كأساطير اجتمـاعية ديناميكية وفي الوقت المناسب سنتفحص ماهي هذه الحالات ، ولكن من الضروري اولا القاء نظرة على تقاليد الانشقاق الديني الذي كان موجودا دائما في أوروبا العصور الوســطى والذي كان مــن الممــكن احيانا ان ينتج مدعين لأدوار المسيح المخلص ، او نصف مثل هــذه الأدوار .

- ١٤٥٠ -

الفصل الثاني

تقاليد الانشقاق الديني

قيم الحياة الرسولية :

كانت تقاليد النبوءة الرؤوية واحـدة فقـط مـن بين عدة شروط مسبقة للحركات التي يهتم بها هذا الكتـاب (ص ٣٧) والأخـرى كانت تقـاليد الانشـقاق الديني الذي دام خـلال العصـور الوسـطى ، وليس لأن هـذه الحـركات كانت تعبيرا نمـوذجيا عن الانشقا ق الديني ، بل على العكس ففي كثير من النواحـي كانت في جوهرها واهدافها وسـلوكها و(كمـا سـنرى) في تـركيبها الاجتماعي معا غير نمـوذجية ، ومـع ذلك ان هـذا الجيشـان الخاص يمكن فهمه تماما فقط في اطار عدم الرضى الديني الواسـع الانتشار ، وقد شغلت الكنيسة بالطبع دورا ضخما في ايجـاد المدنية والمحافظة عليها في القرون الوسطى وتخلل نفوذها افكار ومشـاعر كل انواع وحالات الرجال والنساء ــ ومع ذلك كانت تجد صـعوبة في ارضاء الطموحات الدينية التي رعتها بصورة كاملة ، لقد كان لهـا صفوة دينية من الرهبان والراهبـات ، الذين كانت حياتهـم ــ على الأقل من الناحية النظريةـواحيانا كثيرة في التطبيق ايضا ــ مكرسة كلية لخدمة الرب ، فلقد خـدم الرهبـان والراهبـات المجتمـع ككل بصـلواتهم ، وكثيرا مـاكانوا يعنون ايضـا بـالمرضى والمحتاجين ، ولكن لم تكن مهمتهم بشكل عام اسعاف الاحتياجـات الروحية للعامة ، لقد كانت هذه مسـؤولية الكهنوت المدني ، وكانت مسؤولية كثيرا ماكانوا سيئي الأعداد لتأديتها

فإذا مال الرهبان والراهبـات للابتعـاد كثيرا عن العـالم فـان

الكهنوت المدني من الأساقفة الى قسيس الابرشيات كانوا يميلون الى الاستغراق فيه ، والغنى والطموح السياسي بين أعلى مستويات الاكليروس والتسري او الانحلال الجنسي بين الاكليروس الادنى ، كل هذه كانت الأشياء التي كان يشكو منها الناس العاديون ، وكان هناك ايضا جوع كبير للتبشير بالانجيل ، لقد كان الناس يتوقون لسماع الوعظ بالانجيل بشكل بسيط ومباشر حتى يتمكنوا من ربط ماسمعوه بخبرتهم الشخصية .

والمعايير التي كان يحكم بها على الكنيسة كانت هي تلك التي وضعتها الكنيسة نفسها بين يدي شعوب اوروبا ، كمثل لانها كانت معايير الكنيسة البدائية كما صورت في الأناجيل ، وفي اعمال الرسل (ص ٣٨) الى حد ماكانت هذه المعايير مدخرة في طريقة الحياة الرهبانية التي كانت تقتدي بحياة الرسل ، وكما تقول قاعدة القديس بندكت « هل هم حقا رهبان يعيشون من كد ايديهم ، مثل ابائهم والرسل » وعندما بدأ في القرنين العاشر والحادي عشر ديرا كلوني وهيرسو حركتهما الاصلاحية الكبيرة ، كان الهدف جعل حياة الرهبنة اقرب الى خط حياة المجتمع المسيحي الأول كما وصف في اعمال الرسل « وكل من أمنوا كانوا معا ، وكان كل شيء مشتركا ... ولم يقل اي منهم ان شيئا البتة مما يملكه خاص به ....» بل كل ذلك الذي يحتويه الدير بين جدرانه كان فقط ذا اهمية محدودة لسواد الناس ، وكان هناك دائما بعض الناس العاديين ممن يلاحظون بمرارة الهوة التي تفصل بين البساطة والفقر لدى المسيحيين الأوائل وبين النظام الكهنوتي الغني المنظم في كنيسة زمانهم ، وكان هؤلاء الناس يريدون ان يروا في اوساطهم ، رجالا يمكنهم ان يثقوا في قدسيتهم يعيشون ويعظون كالرسل الأصليين .

وكان الرجال المستعدون لأداء هذا الدور موجودين ، حتى لو كان هذا يعني الوقوف ضد الكنيسة ، وفي عيون الكنيسة كان كهنتها المرسمون في حينه كما ينبغي هم فقط المخولون بالوعظ ، وعامة الناس الذين يتجراون على هذا العمل كانوا يقعون تحت طائلة

الحرمان من الكنيسة ، ومع ذلك فلا يكاد هناك على مايبدو زمن في اوروبا القرون الوسطى لم يوجد فيه وعاظ من العامة يهيمون في الأرض مقلدين للرسل ، وكان مثل هؤلاء الناس معروفين بالفعل في بلاد الغال في القرن السادس ، واستمر ظهورهم من وقت لآخر حتى الفترة من ..١١ وماتلاها وقد اصبحوا فجأة أكثر عددا واكثر اهمية ويمكن ملاحظة التغيير كناتج ثانوي لواحد من الجهود العظيمة لاصلاح الكنيسة من الداخل كالذي ينقطع بين فترة واخرى ، ويميز تاريخ مسيحية القرون الوسطى ، وفي هذه الحالة ان التحريض وراء الاصلاح كان يأتي من البابوية نفسها ، وفي العصور الوسطى كانت الكنيسة بما فيها الأديرة قد سقطت في شرك الاعتماد على الملوك الدنيويين والنبلاء الذين تحكموا في التعيينات الكنسية الاكليركية على كل المستويات .

ولكن اثناء القرن الحادي عشر أدى توالي البابوات الأقوياء الى ترسيخ استقلال ذاتية الادارة الكنسية ، وشمل هذا تأكيدا جديدا على المنزلة الخاصة ، وعلى هيئة الأكليروس كنخبة روحية تقف بوضوح بعيدا عن العامة وفوقها.وبذل غريغوري السابع الكبير جهودا شاقة لكبح السيمونية او شراء الوظائف الأكليركية وفرض التبتل الأكليركي (في وقت كان فيه كثير من الكهنة متزوجين او يعيشون مع محظيات)(ص ٣٩) .

وفي جهودهم لتنفيذ هذه السياسة البابوية لم يتردد دعاة الاصلاح في الهاب مشاعر العامة ضد الاكليركيين المعادين للاصلاح ، ومضى بعضهم حتى لأبعد من ذلك بتسمية الأساقفة السيمونيين بخدم الشيطان ، واقتراح عدم صلاحية الترسيم الذي يقوم به مثل هؤلاء الاساقفة ومنعت المجامع الأبرشية تكرارا ، الكهنة المتزوجين المتسرين من تلاوة القداس ، وهكذا فعل غريغوري السابع نفسه ، ولم يجادل المصلحون الأرثوذكس بالطبع في ان الأسرار المقدسة التي يديرها الكهنة غير المؤهلين غير صالحة ، ولكن ليس من المدهش ان مثل هذه الافكار كان عليها ان تبدأ في الانتشار بين

العامة وقد قوت حركة الاصلاح الكبيرة نفسها الحماس الديني لدى عامة الرجـــال والنســـاء وكان التلهــف على المقــدسين ذوي الحياة الرسولية اقوى من اي وقت ، وبحلول نهاية القــرن الحــادي عشر بدأت الطاقات الدينية التي اوقظت مجـددا تهـرب مـن الســيطرة الأكليركية وتتحول ضد الكنيسة .

وكان الشعور على نطاق واســع ان الاختيار للكاهــن الحقيقــي لايقع في واقع الترسيم بل في اخلاصه لطريقة الحياة الرسولية ومـن حينه فصاعدا بات على الوعاظ الهائمون غير المخولين توقع اتبــاع لم يسبق لهم ان عهدوهم من قبل .

وانه لأمر مفيد الوقوف لوهلة قصيرة للاطلال على واعظ نموذجي اشتهر في فرنسا في مطلع القرن الثاني عشر وكان راهبا سالفا يدعى هنري ، ترك ديرة وهام على الطرق ، وفي اربعــاء الرمــاد اول ايام الصيام الكبير في ١١١٦ وصل الى ليمانس وقد تصرف وفق الطرق التالية : كان قد تقدمه إثنان من التلاميذ ، كما كان المســيح في دنوه الأخير من القدس ، وحملهذان الرسولان صليبا كما لو ان رئيسهم كان اسقفا ، واخذ الأسقف الحقيقي هيلد بــرت اوف لافــردين كل ذلك على المحمل الحسن بــل انه حتــى اعطــى هنري الاذن بإلقــاء مواعظ تتعلق بالصوم الكبير في المدينة ولكنه بصفاقه انطلق بعد ذلك في طريقه متجها في رحلة طويلة الى رومــا ، وحــالما ادار الأســقف ظهره ، بدأ هنري ـ كان شابا ملتحيا يلبس فقط قميصا من الشــعر محظيا بمــوهبة صــــوتية قـــوية ـ في الوعظ ضـــــد الأكليروس المحلي ، ووجد مستمعين متقبلين ، وكان شعب ليمــانس مســتعدا جدا للتحول ضد اكليروسه لأن هؤلاء كانوا جمــاعة فــاسدة تعيش حياة رخية ، وعلاوة على ذلك كان اســاقفة ليمــانس نشـــطاء في السياسة المحلية ، وفي قضية غير شعبية ، اعاروا فيهــا تــأييدهم للكونتات الذين كان المواطنون يناضلون لتحرير انفسهم من حكمهم المطلق ، ولم يكن مدهشا تماما انه بعد فترة قصيرة من وعظ هنري

كانت الجماهير من العامة تضرب الكهنة في الشوارع وتـدحرجهم في الطين .

ولاحاجة للمرء لتصديق اتهامات الترخيص الجنسي والفساد الذي الصقته الحوليات الاكليركية بهنري ، لأنها كانت كليشيهات تلصق بانتظام ضد المنشقين الدينيين ، وعلى العكس يبدو ان هنري كان واعظا ينادي بـالتزمت الجنسي فقد حض النسـاء على التخلي عن ملابسهن الثمينة وحليهـن (ص ٤٠) للمحـارق التـي اشـتعلت خصيصا لهذه الغاية ، واصلح البغايا بتـزويجهن لاتبـاعه ، ولكن حول حماسة المعادي للاكليروس ليس هناك من شك .

وفي سنوات تالية حيث كان نشيطا في ايطاليا ومقاطعة بـروفانس الفرنسية ، رفض سلطة الكنيسة كلية ، وانكر ان الكهنة المرسمين لديهم سلطة تقديس الجماهير وخبز القـربان ومنح الغفـران ، أو رئاسة مراسم الزواج،وكان التعمد كما بشر يجب ان يجـري فقـط كعـلامة خـارجية على العقيدة وان ابنية الكنيسـة وكل الزخـارف والحلي المتعلقة بالديانة الرسمية عديمة الجدوى ، ويمكن للانسـان ان يصلي في اي مكان كما يمكنه ان يصلي في كنيسـة ، والكنيسـة الحقيقية تتكون من الذين يتبعـون اسـلوب حياة الرسـل في الفقـر والبساطة ، وإن محبة الجار هي جـوهر الدين الحقيقـي،واعتبـر هنري نفسه كانه مفوض من الرب مباشرة بإيصال هـذه الرسـالة والتبشير بها .

وكتب لهنري ان يكون له خلفاء عدة ، وخلال العصور الوسـطى كان طلب الاصلاح الديني ملحا والمثـل التـي تقـف وراء هـذا الطلب ، وان اختلفت في التفاصيل من زمن لآخر ومن مـكان لآخـر ، بقيت متماثلة في جوهرها ، وعلى مدى اربعة قرون من الوالد نسيان الى الفرنسسيكان الروحانيين الى الانابابتست (القائلين بتجـديد العماد) يجد المرء رجالا يهيمون في الأرض يعيشون في فقر وبساطة في محاولة لتقليد الرسل ويعظون بالانجيل من أجل التوجيه الروحي

والارشاد،وباعتراف الجميع ان هـذه المثـل لم تـكن محصـورة في المنشقين او (كما كانوا يسمون) المهرطقين وبالفعل كان في زمـن هنري رهبان آخرون مثل روبرت اوف اربريسل والقديس نوربرت اوف اكزانتن اللذان خرجا الى العالم كوعاظ هائمين بإذن تام مـن البابا ، وفي القرن الثـالث عشر عندمـا وجـدت المنظمـات الفرنسسكانيية والدومنيكانية ، فانهم تكيفوا بوعي تام مـع حياة الرسل .

وفي الواقع انه لولا المحـاولات المختلفـة لتحقيق مثـل الكنيسـة البدائية ضمن اطار الكنيسة ذات المؤسسات لكانت حركة الانشقاق بالتأكيد اكبر مما كانت عليه بكثير ، ومع ذلك ان هذه الحـركات لم تكن ابدا ناجحة تماما ، فمرات ومرات كان الرهبان الواعظـون او الرهبان الأخوة يرتدون الى ماوراء اسوار اديرتهـم او يتخلون عن متابعة قدسيتهم امام قدسية النفوذ السياسي .

ومرات ومرات كانت اوامـر الاصـلاح المكرس اصـلا للفقـر الرسولي تنتهي بحيازة ثروات عظيمة ، وعندمـا كان هـذا يحـدث كانت بعض أجزاء من العامة تشعر بالفراغ الروحـي ، وكان بعض المنشقين او الوعاظ المهرقطين يتقدمون لملئ هذا الفراغ .

وبشكل طبيعي كان هؤلاء الوعاظ يقدمون انفسـهم كمـرشدين روحيين ، ولكنهـم كانوا يدعون احيانا بـانهم اكثـر بـكثير انبياء ملهمين الهيا او مخلصين منتظرين بـل وحتـى الهـة متجسـدين (ص ٤١) وهذه الظاهرة مـوجودة في الصـميم مـن الدراسـة الجارية ، وقد حان الوقت للتفكير بامعان وتفصيل في بعض الظواهر المبكرة منها .

بعض المخلصين المبكرين :

اشتهر مؤرخ القرن السادس للفرنجة القديس غريغوري اسـقف

- ١٤٥٦ -
تور بالدقة التي جمع فيها المعلومات حول الأحداث المعاصرة له ، وفي مدينة تور التي تقع على الطريق الرئيس بين الشمال والجنوب في فرنسا . كان له مركز تسمع رائع ، والكتب الست الاخيرة حول التاريخ الفرنجي ، المكتوبة في صورة يوميات تسجل كل حدث كما وقع ، وهي ذات قيمة تاريخية عظيمة ، وتحت عام ٥٩١ يتحدث غريغوري عن رجل حر واعظ ادعى انه المسيح :

رجل من بورج مضى الى الغابات حيث وجد نفسه فجأة محاطا بسرب من الذباب ، وكان من نتيجة ذلك ان فقد عقله لمدة عامين ، و فيما بعد شق طريقه الى اقليم آرل حيث اصبح ناسكا واكتسى بجلود الحيوانات ، وكرس نفسه كلية للصلاة ، وعندما خرج من هذا التدريب على الزهد ادعى انه يملك مواهب خارقة للطبيعة في المعالجة والتنبؤ،وأدى به التجوال الى منطقة جيفودون في السيفين حيث ادعى انه المسيح وكانت معه امرأة دعاها مريم كرفيقة له ، واندفع الناس اليه افواجا مع مرضاهم الذين كانوا يبرأون بلمسة منه، وتكهن ايضا بأحداث مستقبلية ، متنبئا بالمرض والمحن لمعظم الذين زاروه ولكن بالخلاص للقلة .

واظهر الرجل قوى هائلة الى درجة عزاها غريغوري الى مساعدة الشيطان ، وكانت بالتاكيد قوى غير عادية بدرجة كافية لتضمن له اتباعا عديدين ، وكما هو الحال دائما في تقديرات العصور الوسطى ان على المرء ان يعتبر رقم ٣٠٠٠ مبالغة مفرطة ، كما لم يكن هؤلاء الاتباع مشكلين فقط من جمهور الأميين وغير المثقفين ، بل شمل ذلك ايضا بعض الكهنة ، وأحضروا له ذهبا وفضة وملابس ، ولكن « المسيح » وزع كل هذه الأشياء على الفقراء ، وعندما كانت الهدايا تقدم اليه كان يسجد هو ورفيقته ويقدمان الصلوات ، لكنه ينهض على قدميه بعد ذلك و يأمر الحشد بعبادته ، ثم نظم اتباعه فيما بعد في فرقة مسلحة ، قادها في انحاء الريف ليكمن ويسلب المسافرين الذين كان يلقاهم على الطريق،ولكن هنا ايضا لم يكن طموحه ان يصبح غنيا وانما ان يعبد ، وقد وزع

كل الغنائم على من لايملكون شيئا بما فيهم ، كما يمكن للمرء ان يفترض ، اتباعه.ومن جانب اخر عندما كانت الفرقة تحل بمدينة كان السكان بما فيهم من الأساقفة يهددون بالموت اذا لم يعبدوه(ص ٤٢) .

وكان في لابوي ان لقي هذا المسيح قدره المشؤوم .

فعندما وصل الى تلك المدينة الأسقفية الهامة عسكر « جيشه » كما يسميه غريغوري – في الكنائس القديمة المجاورة كما لو كان على وشك ان يشن حربا ضد الأسقف ، او ريليوس ثم أرسل الرسل مقدما ليعلنوا مقدمه ، حيث كانوا يقدمون انفسهم للأسقف عراة تماما ، وهم يقفزون ويتشقلبون

وأرسل الأسقف بدوره فريقا من رجاله لمقابلة المسيح على الطريق ، وقام قائد الفريق وهو يتظاهر بالانحناء فأمسك بالرجل حول ركبتيه ، وبعد ذلك اعتقل بسرعة وقطع اربا ، وعلق غريغوري على ذلك قائلا :« وهكذا اسقط ومات هذا المسيح الذي يمكن حقا ان يسمى مسيحا دجالا » واعتقلت ايضا رفيقته ماري وعذبت حتى كشفت عن كل الأجهزة الشيطانية التي اعطته قوته ، أما بالنسبة للاتباع فقد تشتتوا ، ولكنهم بقوا تحت حرمان زعيمهم،واستمر الذين أمنوا به على ذلك حتى يومهم الأخير ، وكانوا يتمسكون بانه المسيح حقا وان المراة ماري ايضا كانت كائنا إلهيا .

وفي تجربة غريغوري لم تكن هذه القضية على أي حال فريدة ، وقد ظهرت شخصيات كثيرة مماثلة في أجزاء أخرى من البلاد ، واجتذبت هي ايضا أتباعا مخلصين ، خاصة بين النساء و اعتبرهم الناس قديسين أحياء ، وقد التقى غريغوري نفسه بالعديد من امثالهم ، و حاول بالنصيحة و الموعظة أن يردهم عن طريق الخطأ مع انه هو نفسه راى هذه الأحداث كعلامات كثيرة على قرب النهاية ، و كان الطاعون و المجاعة في كل اتجاه،لهذا كان من المؤكد توقع الأنبياء المزيفين ايضا ،حيث كما فكر ، أن المسيح هو نفسه

قال :« ....سيكون هناك مجاعات وطاعون وهزات ارضية في أماكن عديدة....ثم إذا قال لك أي إنسان انظر ، هنا مسيح أو هناك ، لا تصدق . حيث سيظهر مسيحون مزيفون ، وانبياء مزيفون وسيظهرون علامات عظيمة وعجائب الى درجة انه إذا كان ممكنا ، إنهم سيخدعون المنتخب من السماء بالذات ، وهذه الأشياء هي التي تؤذن بمجيء الأيام الأخيرة »

وبعد ذلك بقرن ونصف القرن بينما القديس بونيفيس يعمل كممثل بابوي ويعمل على اصلاح الكنيسة الفرنجية ، صادف شخصية مشابهة جدا تدعى الدبيرت وكان هذا الرجل قد جاء كغريب الى المنطقة المحيطة بسواسون حيث منعه الأسقف المحلي من الوعظ في الكنائس ، مع أنه كان مرسما ، وكان الدبيرت من أصل متواضع ، وكان المستمعون له ايضا مكونين من الجماهير الريفية البسيطة ، ومثل مسيح القرن السادس المجهول الاسم طبق الفقر الرسولي ، وادعى هو ايضا القيام بمعالجات معجزة . وكبداية قام بمجرد نصب صلبان في الريف ، وكان يعظ الى جانبها في الهواء الطلق ، ولكن سرعان ما بنى له اتباعه ما يوفر له (ض ٤٣) راحة مناسبة ليقوم بالوعظ فيه وكان ذلك في البداية كنائس صغيرة ثم كنائس كبيرة .

ولم يكن الدبيرت قانعا بأن يكون مجرد مصلح ، وادعى أنه قديس حي ، وقال إن الناس يجب أن يصلوا له مشركين إياه مع القديسين لأنه يملك الجداره والمزايا غير العادية التي يمكن أن تكون في خدمة انصاره ، ولأنه اعتبر نفسه مكافئا للقديسين والرسل فقد رفض أن يكرس كنائسه لأي منهم،وبدلا من ذلك فقد كرسها لنفسه ، ولكن في الواقع مضى الدبيرت إلى ابعد بكثير من ذلك ، لقد خرج بالادعاء على الأقل ببعض الخصائص المميزة للمسيح ، وهكذا اعلن انه مليء بالنعمة الالهية بينما كان في رحم أمه و حظي بعطف الرب الخاص ، و كان بالفعل كائنا مقدسا عندما ولد ، و قبل ولادته حلمت امه أن عجلا قد خرج من جانبها الأيمن ، ولا مفر من أن يفكر

المرء في بشاره الملاك جبريل لمريم بحملها بالمسيح ، ويسوع كحمــل الرب ، لا سيما وأن يسوع كان على المستوى الشعبي يعتقد بأنه قد ولد من خلال الجانب الأيمن للعذراء .

وقد الف الدبيرت صلاة أرسلها بونيفيس الى رومــا مــن أجــل الدرس وهي تظهر كيف كان واثقا مــن وجــود علاقــــة خـــاصة بالرب ، لقد وعد الرب على ما يبدو بإعطائه كل مــا يرغب،وتنتهــي الصلاة بالتماس المعونة من ثمانية من الملائكة . ومن مصــدر أخــر نعرف أن الدبيرت تمتع بخدمات مــلاك كان يحضر له مــن اطــراف الأرض الأثار المعجزة ، وبفضلها كان يمكنه أن يحصل على مايريد لنفسه ولأتباعه ، وكان أيضا يملك رسالة من المسيح ، اســتعملها كأساس لتعاليمه الخاصة ـ وهذه ظاهرة سنقابلها مرات أخرى في فصول تالية .

وكان زخم تأثير الدبيرت بالتأكيد عظيمــا ، فقــد هجــر الناس كهنتهم وأساقفتهم وتدفقت جموعهم الكبيرة ليستمعوا اليه ، وكانت سيطرته مطلقة على اتباعه المباشرين الذين كانوا يشملون كثيرا من النساء ، وكانوا مقتنعين بأنه يعرف كل خطاياهم دون أن يعتــرفوا بها،وادخروا تعاويذ على أنها تفعل المعجزات ، من قلامات الأظــافر وجزارات الشعر التي كان يوزعها بينهم ، وانتشر نفوذه بعيدا جدا خارج الوطن ، ولقد اعتبره بونيفيس تهديدا خطيرا للكنيسة ، حتــى أنه طلب معونة البــابا (لاعادة الفــرنجة والفــاليين الى الطــريق الصحيح) الذي جعلهم الدبيرت يهجرونه .

وفي الواقع إن سلسلة كاملة من المجامع كانت مهتمه بنشاطاته ، وفي سنة ٧٤٤ عقد بونيفيس مجلسا في سواسون بموافقة من البابا زكريا وبالدعم الفعال من الملكين الفرنجيين بيبن وشــارلمان تقــرر تجريد الدبيرت واعتقاله وســـجنه وإحـــراق الصــــلبان التــــي اقامها ، ولكن الدبيرت هرب واستمر في وعظه (ص ٤٤) لذلك عقد مجمع أخر في السنة التالية ترأسه بــونيفيس والملك شــارلمان ، وفي

هذه المرة لم يعلن فقط عن خلع الدبيرت من الكهنوت بل حرمانه ايضا من الكنيسة ، ومع ذلك فقد تدبر أمر الاستمرار في الوعظ ، إلى مدى أدى إلى أنه بعد بضع شهور عقد مجمع اخر ، هذه المرة في روما ، ضم أربعة وعشرين اسقفا وتراسه البابا زكريا نفسه ، ولم يكن امام المجمع الروماني فقط بيان كامل من بونيفيس بل ايضا سيرة حياة الدبيرت التي اقرها هذا المسيح رسميا ، وصلاة الفها بنفسه ، وقد اقنعت هذه الوثائق المجمع أن الرجل كان مجنونا ، ونتيجة لذلك عومل برفق ولين ، ليعطى فرصة ليعترف علنا بالخطأ ، ويتفادى الحرمان ، وكان بونيفيس يريد حرمانه وسجنه فورا ، وكان محقا بكل تأكيد في اعتقاده انه طالما بقي الدبيرت حرا ، فإنه سيستمر بالوعظ بمذهبه الشاذ ، ومن ثم اكتساب الاتباع والأنصار ، وفي ٧٤٦ روت سفارة من الملك بيبن للبابا زكريا أن الواعظ الشاذ كان ما زال نشيطا ، وعلى أي حال يبدو انه توفي بعد ذلك بفترةقصيرة .

وبعد أربعة قرون ، وعندما أصبح الوعاظ الهائمون الذين يعيشون حياة الرسل تهديدا خطيرا للكنيسة المؤسساتيه ، كان هناك « مسيحا » نشيطا في بريتاني ، والرواية الأكمل التي نملكها عن هذا الرجل قدمها وليم نيوبرغ الذي كتب بعد نصف قرن،ويميل المرء بطبيعته إلى أن يقلل من شأن مثل هذه المصادر المتأخرة ، ولكن وليم واحد من أكثر الناس الذين يمكن الاعتماد عليهم في التأريخ للعصور الوسطى وترتيب الأحداث زمنيا .

وكما في هذا المثال تكرر معظم معلوماته بإخلاص مصادر معاصرة للاحداث ، ويبدو من المحتمل أن التفاصيل الباقية تأتي من بعض مصادر أخرى أقدم فقدت الآن.

ويدعو وليم نيوبرغ « مسيح » بريتون إيدو دي ستيلا ، وقد أخذ معظم المؤرخين المحدثين بهذا الاسم ، أو مكافئه الفرنسي ييدو دي لا توال،ويشير المؤرخون الذين عاصروا الأحداث على اي حال الى

الرجل (على نحو متبادل باسماء مستعارة) هي ايس ، ايون ، يون ، وايبون ،ولا يعرفون شيئا عن دي ستيلا ، وهناك عدم يقين حول منزلته وحالته ، وانفرد وليم في قوله انه لم يكن راهبا او كاهنا مرسما بل من عامة الناس التقط شذرات من اللغة اللاتينية بصورة سطحية .

و مع ذلك ادعى التفوق الكهنوتي المميز ، و في حوالي ١١٤٥ بدأ يعظ في الهواء الطلق ، و يمكن للمرء أن يفترض انه كالواعظين الهائمين الآخرين قد أثار الخيال بتمجيده لأسلوب الحياة الرسولية ، وقد قام ايضا ببعض انواع من حفلات القداس لصالح اتباعه ، وكان بالتأكيد رجلا ذا شخصية جاذبة ، و كان الذين لهم تعامل معه مأخوذين كما أخبرنا كالذباب في شباك العنكبوت » (ص ٤٥) وفي النهاية نظم اتباعه في كنيسة جديدة ذات اساقفة ورؤساء اساقفة،وبالنسبة لنفسه كان مقتنعا أن اسمه هو الذي كان يشار اليه في العبارة التي كانت تردد في أخر الصلوات :

« الخلاص من خلال يسوع المسيح ربنا».

وهي في الحقيقة لا تعني « باسم يسوع نفسه المسيح ربنا » بل عنت « من خلال ايون يسوع المسيح ربنا » وعليه لم يكن يتردد في تسمية نفسه بابن الله وقد تبع ايون جمهور عظيم من عامة أشقياء الناس ، وكان بعض هؤلاء الناس بالتأكيد مدفوعين باليأس المطلق ،و تعلق احدى الحوليات الاصلية على مغامرات ايون بأنه في ذلك الزمان كانت المجاعات مثيرة للثورة والهياج ، حتى أن المحسنين كانوا يعجزون عن إعالة الحشود الجائعة من الفقراء ، بينما كان حتى أولئك الذين يتمتعون بشكل طبيعي بفيض من السلع ينزلون الى درجة استجداء الطعام ، ومن المعروف أن شتاء ١١٤٤ كان رهيبا واعقبه عامان من الشح والمجاعة ، وتركت اعداد كبيرة من فقراء الناس أراضيها التي لم تعد قادرة على اعالتها ، وهاجرت حتى الى ما وراء البحار ، وقد الحق الشماليون

القدماء الخراب الشامل ببريتاني قبل ذلك بنحو قرنين ، وكانت في القرن الثاني عشر ما زالت تشبه الأرض المستعمرة ، التي يسكنها بشكل متناثر فلاحون مبعثرون وكثير منها مغطى بغابات كثيفة ، وفي تلك الغابات اتخذ ايون قاعدته .

وعندما كان احد الرجال يقرر أن يكون واعظا هائما سواء اكان اصوليا أم منشقا ، فإنه كثيرا ما كان يبدا بالدخول الى إحدى الغابات ويعيش كناسك لبعض الوقت ، وخلال تلك الفترة من التدريب على الزهد كان يحرز قوة روحية من أجل مهمته ، وقد يحرز أيضا سمعته كرجل قديس ويجتذب اتباعه الأول ، وهكذا بدأ بلدوين الزائف حياته في ١٢٢٤ ، ولا بد أن ايون قد اتبع النهج نفسه ، وماهو مؤكد أنه ما أن كان ينتظم تابعوه ، حتى كانوا يرهبون سكان الغابات في بريتاني ، فلقد كانوا حشودا عنيفة غير مستقرة تبتهج بالاغارة وتدمير الكنائس والأديرة وصوامع النساك ، كلما مرت بها ، وهلك العديد بالسيف ، ومات المزيد من الجوع ، وتعطي الحوليات المعاصرة هذا القدر من الصور ويضيف وليم نيوبرغ أن اتباع ايون أنفسهم كانوا يعيشون في رفاهية ، يلبسون الملابس الفاخرة ، ولا يقومون بأي عمل يدوي ، ودائما في حالة من « الحبور التام » وكان يعتقد حتى أن الشياطين كانت تمدهم بالولائم الفاخرة ، وأن كل من شاطرهم فيها فقد ادراكه وأصبح واحدا من الجماعة الى الأبد ، ومن كل ذلك يمكن للمرء أن يستنتج أنه مثل الحشود المشابهة في قرون تاليه عاش اتباع ايون الى حد كبير على السلب (ص ٤٦) وامتد نفوذ ايون بعيدا وراء حدود اتباعه المباشرين ، وفي الواقع إنه أصبح خطرا حتى أنه في النهاية أرسل رئيس اساقفة روون فرقة مسلحة ضده ، وفي ١١٤٨ اعتقل ـ ويذكر أن الاعتقال ربط بواحدة من شارات الأعاجيب المألوفة من الأحداث الكبيرة - كالظهور المفاجىء لأحد المذنبات ـ وقد أحضر أمام احد المجامع التي عقدت في كاتدرائية ريمز من قبل البابا يوجينيس وكانت له ملاحظة جديدة عملها حول اسمه وهي صيغة :

eum qui Venturces et jcedicare aset mortus et seculum perigmen

وايضا اشير اليه « هو الذي كان حقا يجب أن يأتــي ليحــاسب الأحياء والأموات والعالم بــالنار » وطبقــا لما أورده وليم نيوبــرغ أوضح ايون أيضا أن العصا المتشعبة التي كان يحملها كانت تنظــم حكم العالم : وعندما كانت العصا تشير الى الأعلى كان ثلثي العــالم يتبع الرب والثلث له وعندما كانت تشير الى اسفل تنعكس النسبة .

وقد احال المجمع ايون الى سجن رئيس اساقفة روون ، وسجن في برج في روون وكان يزود بالماء وقليل من الطعام ، ومــات الرجــل التعس بعد فترة قصيرة ، ويروي وليم نيوبرغ أيضا اخبار مصــير حوارييه الرئيسين الذين اسروا مع رئيسهم ، لقد رفضوا بصمود أن يتنكروا له ، و حملوا بفخر الالقاب التي خلعها عليهم ، وحكم عليهم بالموت حرقا على اساس انهم مهرطقين غير نادمين وقد صمدوا دون أن يهتزوا حتى النهاية ، وهـــدد احـــدهم بـــدمار المنفـــذين للعقوبات ، وبينما كان يقتاد الى الوتد كان يصــيح بــاستمرار (يا أرض انشقي) ! ويعلق وليم قــائلا « إن قــوة الخــطأ قــد تملكت القلب »

وعلى ما يبدو ما من مؤرخ محدث انكر ابدا أن المسيح المجهول في القرن السادس او الدبيرت في القرن الثامن او ايون في القرن الحادي عشر قد تصرفوا فعلا كما قــال معـــاصروهم إنهـــم قـــد تصرفوا ، والصورة في كل حالة هي نفسها الى حد كبير.

لقد بدأ هؤلاء الرجال جميعا كواعظين مستقلين مكرسين لطريقة الرسل في الحياة ، ولكنهم انتهوا بالمضي الى ابعد بكثير ، وقــام كل من الثلاثة بادعاء انه المسيح ، ووجد الثلاثة جميعــا اتبــاعا كثــر نظموهم في كنائس كرست لعبادة انفسهم ، وفي حالتين من الثــلاثة كان بعض الأتباع منظمين ايضا في فرق مسلحة ، ليس فقط بهــدف

حماية المسيح الجديد بل أيضا لفرض ديانته بـالقوة ، وكان كل ذلك مقبولا من المؤرخين على أنه دقيق وصـحيح بـدرجة كبيرة ، ولكن حول حالة شخصية أخرى مشابهة جدا هي تانشيلم أوف انتـوير ب هناك اتفاق عام أقل .

إن هناك بعض الأسس للاعتقاد أن تانشيلم كان راهبا في وقـت ما ، وعلى اي حال إنه بالتأكيد قد أحرز معرفة بـالقراءة والكتـابة كما كان طبيعيا حكرا للاكليروس ، وكان ايضـا معـروفا ببـلاغته (ص ٤٧) وفي وقت ما حوالي سنة ١١١٠ وجد ضرورة للهرب من ابرشية او ترخت الى مقاطعة فـلاندرز حيث كسـب عطـف الكونت روبرت الثاني الذي اوفده في مهمة دبلومـاسية الى المقـر المقـدس للبابا ، وكان الكونت مهتما باضعاف سلطة الامبـراطور الالماني في البلاد المنخفضة ، والمهمة التي كلف بها تانشيلم كانت حـث البـابا على تقسيم ابرشية او ترخت التي كانت موالية للامبـراطور ، وأن يلحق قسما منها بابرشية تحت سلطة الكونت ، وسـافر تـانشيلم بصحبة كاهن يدعى ايفـر وشر الى رومـا ، ولكن رئيس اسـاقفة كولونيا اقنع البابا باسكال الثاني برفض المشروع .

وهكذا اخفقت محاولة تانشيلم الدبلوماسية وعلاوة على ذلك فقد توفي راعيه الكونت روبرت في ١١١١ ، وكانت تلك نقطة تحـول حيث اندفع تانشيلم بسرعة في اتجاه جديد ، فمن ١١١٢ وما بعدها كان يعمل بنشاط كواعظ متجول ، ولكن لم يعد ذلك في فـلاندرز بـل في جزر زيلاند ، وفي برابانت ، وفي اسقفية أوتـرخت وفـوق كل ذلك في انتويرب التي اصبحت مقرا لقيادته .

وما حدث بعدئذ هو امر جدلي بسبب طبيعة المصادر الرئيسـة ، وهذه تتألف من رسالة من جماعة من رجـال كنيسـة اوتـرخت إلى رئيس اسـاقفة كولن ، يحتمـل أن تـكون كتبـت بين ١١١٢ و ١١١٤ طلبوا فيها مـن رئيس الأسـاقفة الذي قبض بالفعل على تانشيلم وايفروشر أن يبقيهما في السجن ، كما طـالبوا

بحياة الخصم الارثوذكسي لتانشيلم القديس نوربرت أوف اكسنتن، ولكن إذا كانت لكاتبي الوثائق جميعا مصلحة في تشويه سمعة تانشيلم فهذا لايعني أن كل شيء ذكروه بالضرورة غير صحيح ، وفي الواقع إن الكثير منه مألوف جدا ، وبالتالي مقنع ، وبشكل خاص إن مجمع أوترخت يستحق اخذه بجدية لأنه كان يصف احداثا يفترض أنها كانت جارية في تلك اللحظة وبموافقة اسقف مجاور كان بالتأكيد قادرا على التأكد من المعلومات .

وطبقا للمجمع بدأ تانشيلم الوعظ في الحقول والأماكن المكشوفة وهو متزي بزي راهب ، وقد قيل لنا إن بلاغته كانت غير عادية وان العديد استمعوا إليه كما لو كانوا يستمعون إلى ملاك للرب ، لقد بدا كرجل مقدس وشكا مجمع أوترخت أنه كسيده الشيطان ، كان له مظهر ملاك للنور ، ومثل كثير من الوعاظ الجوالين بدأ بإدانة الأكليروس غير الجدير – مثل كاهن انتويرب ، وكان الوحيد في المدينة في ذلك الوقت ، الذي يعيش مع محظيه علنا – ثم وسع هجومه ليشمل الكنيسة ككل ، ولم يبشر بمجرد أن الأسرار المقدسة كانت باطلة ، إذا أدارتها أيد غير جديرة ، بل أيضا إن الأمور كما كانت ، والأوامر المقدسة قد فقدت كل معنى ، والمقدسات لم تكن افضل من المدنسات ، والكنائس ليست افضل من المواخير(ص ٤٨) وثبتت فعالية هذه الدعاية حتى أن الناس توقفوا عن المشاركة في القربان المقدس والذهاب إلى الكنيسة ، وبشكل عام كما لاحظ المجمع بأسى أن الأمور بلغت حدا أنه كلما ازدرى المرء الكنيسة كلما اعتبر أكثر قدسية ، وفي الوقت نفسه استثمر تانشيلم الظلم المادي ، كما شكا المجمع ، وحض الجماهير بسهولة على حبس عشور الكنيسة عن الكهنة ، وأن هذا ماكان يريده الناس ، لقد كانت العشور ممقوتة من فلاحي العصور الوسطى ، الذين كانوا مستائين بمرارة من اضطرارهم لتسليم عشر إنتاجهم من القمح والأعشاب التي تنتجها بساتينهم ومراعيهم واوزهم ، وكان الاستياء قد بلغ مداه حيث كان الكاهن الذي يتلقى العشور لايحظى بالاحترام .

وإلى هذا الحد تذكرنا افكار تـاذشيلم بـأحد الرهبـان واسـمه هنري ، الذي كان نشيطا في الوقت نفسه بالذات ، علاوة على ذلك ، عمل كلا الرجلين في المحيط الاجتماعي نفسه ، وهو قيام كومـونات وعندما وصـل هنري إلى لامـانس كان البـورجوازيون مـايزالون غاضـبين على أسـقفهم لتـأييده للكونت ، الذي كانوا يناضـلون للتخلص من حكمه المطلق ، والمنطقة التي تابع فيهـا تـاذشيلم قـد اكتسحتها ايضا حركات العصيان المسلح في الكومـونات لسـنوات عديدة ، وبدءا من ١٠٧٤ بـدات مـدينة بعـد الأخـرى في وادي الراين : اوترخت ، برابانت ، فلاندرز وشمال فرنسا تخلص نفسها بقدر الامكان من هيمنة السادة الاقطاعيين ، الكنسيين أو المدنيين .

وكانت هذه الحركات اقدم الثورات الاجتماعية التي تميز تـاريخ المدن في العصور الوسـطى ، وكانت منظمـة على الأغلب مـن قبـل التجار تأييدا لمصـالحهم الخـاصة ، وأراد التجـار التخلص مـن القوانين التي صيغت في الأصل للسكان مـن الفـلاحين التـابعين . والتي يمكنها أن تعوق فقط ، النشاط التجاري ، لقد أرادوا التهرب من الديون والضرائب التي كانت يوما ثمنا للحماية ، ولكن بدا أنهـا مجرد ضرائب استبدادية تـؤخذ اغتصـابا بعـد ان أصـبح الآن البورجوازيون قادرين على الدفـاع عن انفسـهم . لقـد ارادوا أن يحكموا مدنهم بأنفسهم ووفق القوانين التي اعترفت بمتطلباتهم من الاقتصاد الجديد ، وفي كثير من الحالات كانت هذه الأهداف تتحقـق سلميا ، ولكن عندما كان يتبين أن السيد الاقطاعي متصـلب ، كان التجار ينظمون جميع رجال المدينة في جمعية متمردة وكان كل عضو فيها يلزم بقسم مقدس .

وحدثت حـركات العصـيان بشـكل رئيسي في المدن الخـاصة بالكنائس ، وخـلافا للأمير المدني كان الأسـقف حـاكما حقيقيا في مدينته ، وكان بالطبع معنيا بالابقاء على سـلطته على الرعايا الذين يعيش بينهم ، علاوة على ذلك كان موقف الكنيسـة تجـاه الأمـور الاقتصادية محافظا بدرجة عميقة ، وفي التجارة لم تكن ترى لزمـان

طويل شيئا سوى الربا ، وفي التجار لاشيء سوى المبتدعين الخطرين(ص ٤٩) الذين يجب أن تحبط مخططاتهم بحزم ، وكان البورجوازيون من جانبهم إذا صمموا على كسر سلطة الاسقف قادرين أيضا على قتله وإشعال النار في كاتدرائيته ، وطرد أي من اتباعه بالقوة يمكن أن يحاول الانتقام له ، ومع أن أهدافهم في كل ذلك كانت تبقى عادة محدودة بدرجة كبيرة ومادية تماما ، فإنه كان من المتوقع أن تترافق بعض هذه الثورات باحتجاج عنيف ضد الكهنة غير ذوي الجدارة ، وعندما كانت الطبقات الدنيا في المجتمعات المدنية تشترك في مثل هذه الاحتجاجات فإنها كانت في الواقع تميل بدرجة كافية إلى الصخب .

هكذا كان المحيط الاجتماعي في حركتي كل من هنري وتانشيلم ، ولكن إذا لم نستبعد نهائيا كل المصادر المعاصرة لابد أن تانشيلم مضى إلى حد أبعد من هنري ، وطبقا لمجمع أوترخت ، شكل تانشيلم اتباعه في جماعة مخلصة إخلاصا أعمى ، اعتبرت نفسها الكنيسة الصحيحة الوحيدة التي حكمها كملك مسيحي ، وفي طريقه لالقاء المواعظ كان يسير محاطا بمرافقين ، ولم يكن يسبقه صليب بل سيفه وعلمه المحمولين كإشارة ملكية ، وفي الواقع كان يعلن أنه يملك الروح القدس بالمعنى نفسه وبالدرجة نفسها كالمسيح ، وبأنه كالمسيح كان ربا ، وفي إحدى المناسبات احضر له تمثال لمريم العذراء ، وفي حضور حشد كبير خطب نفسه لها بوقار ، وكانت صناديق النفائس توضع على كلا جانبي التمثال لتلقي فيها هدايا الزواج المقدمة من الاتباع من الذكور والاناث على التوالي ، وقال وقتها تانشيلم : « والآن سأرى أي جنس يحمل حبا أكثر تجاهي وتجاه عروسي » وسجل الأكليروس الذي شهد ذلك بفزع كيف اندفع الناس لتقديم هداياهم وكيف ألقى النساء بأقراطهن وعقودهن .

وكان الاكليروس قانعين بأن باعث تانشيلم في هذه المناسبة كان الشره ، ولكن ربما كان في الواقع مثل مسيح القرن السادس ، أو معاصرة هنري الراهب مهتما بإبعاد الأغنياء عن طرق الزهو

الدنيوية ، ويمكن للمـــرء أيضـــا أن يحـــذف قصص الانغمـــــاس في الشهوات الجنسية لان هذه كانت دائما تحكى عن المهرطقين من أي نوع ، ومن جانب آخر لايبدو أن هناك سببا للشك في أن تانشيلم حقا قد نصب نفسه ككاهن إلهي . ويصف مجمع أوترخت كيف أن واحدا من اتباع تانشيلم وهو حداد يدعي مانسس شكل جمعية إخـــاء مـــن إثني عشر رجلا في محاولة لمحاكاة الحواريين مع إمرأة تمثل مـــريم العذراء ، وهذه ليست من نوع القصة التي يخترعها الناس ، لاسيما وانها ليست امتيازا لرئيس الأساقفة المجاور ، ومـــرة أخـــرى ذكر مجمع أوترخت وكاتب سيرة القديس نوربرت ان تانشيلم وزع مـــاء حمامه بين اتباعه . وشربها بعضهم كبديل عن القربان المقدس ، في حين ادخرها أخرون كأثر مقدس .(ص ٥٠)

وهذا يذكر المرء بألدبيرت الذي كان يوزع قلامة اظفاره وجزازات شعره على أتباعه وبالنسبة لأي ممن يألفـــون المكتشـــفات المتعلقـــة بأصل الانسان فيما يتعلق بالمانا أو القوة الكامنة أو الطـــرق التـــي يمكن بها نقلها عبر وسائط مادية ، فإن مثل هذه الاجراءات يمـــكن فهمها فوراء وتضيف سيرة القديس نوربرت تفاصيل أخرى ، فهـــي تذكر كيف نظم تانشيلم حـــرسا مســـلحا كان يقيم معـــه عادة ولائم فاخرة ، وتقول أيضا إنه كان من غير المأمون لأي أحد حتى الأمراء العظام للأراضي المجاورة الاقتراب من تـــانشيلم ، إلا كتـــابع ، وان الذين فعلوا ذلك كانوا عادة يقتلون على أيدي الحـــرس ، حتـــى إن الحاكم الأول لسيغبرت في غمبلوكس قال إن تانشيلم واتباعه نفـــذوا مذابح كثيرة وكل هذه أدلة مشكوك فيها ، فقد كتـــب كاتـــب ســـيرة القديس نوربوت كما هو محتمل بعد (١١٥٥) ، ومع انه ربما كان يستقي معلوماته من سيرة أقدم فقدت الآن ، وهو ربما يكون أيضـــا قد تأثر بقصة « مسيح » القرن الســـادس لغـــريغوري أوف تـــور ، وبـــالنسبة للحـــاكم الأول ليغبـــرت في غمبلوكس فإنه كتـــــب بعد ١١٥٥ ومصدر معلوماته غامض ، ولكن حتى لو اسقطت هـــذه الاضافات الأخيرة الى القصة فانه يبقى من الواضح أن تانشليم قد مارس بأي وسيلة هيمنة حقيقية على منطقة واسعة.

وقد اقر رجال مجمع اوترخت بحرية بعجزهم ، واصروا على ان تانشيلم كان لزمان طويل خطرا على كنيسة اوترخت واذا اطلق وسمح له باستئناف عمله فانهم لن يستطيعوا مقاومته ، وان الابرشية ستضيع لغير صالح الكنيسة دون امل في استردادها[١] ، وحتى بعد موته (يعتقد أن أحد الكهنة قتله حوالي ١١١٥) استمرت هيمنة تانشيلم طويلا على مدينة انتويرب وتأسس مجمع من رجال الدين خصيصا لهذه الغاية ، لكنه كان غير قادر على معادلة نفوذه ، بل إنه على العكس خضع له ، وعند هذه النقطة استدعى نوربرت أوف اكسانتن ، وهو نبيل عظيم كان قد تخلى عن وظيفة متألقة في البلاط الامبراطوري ليهيم في العالم في فقر رسولي ، وقد اشتهر نوربرت كصانع معجزات يعالج المرضى والمجانين ومؤنس للحيوانات المتوحشة ، وبسبب ذلك كان قادرا — مع ان ذلك كان بصعوبة — على أن يجتنب عامة الناس بعيدا عن ولائهم لتانشيلم وان يستعيد انتويرب للكنيسة ٠

ووجد الوعاظ المتجولون ذوو الحياة المقدسة « والرسولية » مستمعين في كل طبقات المجتمع ليس فقط عندما كانوا اصوليين مثل روبرت أوف أربريسل٠ Arbrissel أو نوربرت أوف الكسانتن ولكن حتى عندما كانوا مهرطقين بوضوح مثل كاترز في لانغر يدوك ٠

وكانوا كثيرا ما يتمتعون بدعم النبلاء الكبار والبرجوازيين الذين كانوا يعيشون في رخاء ، ولكن يبدو ان نوعية الواعظ الذي يدعي انه كائن الهي أو نصف الهي (ص ٥١) أو قديس حي او مسيح او تجسيد للروح القدس كانت تجذب بشكل خاص الطبقات الاولى من المجتمع ، وحقيقي انه حتى هنا ان ما يجده المرء هو ميل فقط ، وليس قاعدة ثابتة فقد كان بعض الاتباع « لمسيح » القرن السادس قادرين على ان يجلبوا له الذهب والفضة او بعض المؤمنات بتانشيلم كن يقدمن له الأطواق والأقراط ، ومن جانب اخر إنه من الصعب تصور أن اعضاء الفرقة المسلحة التي اعدها « المسيح » لتكمن

للمسافرين وتسلبهم حتى يستطيع أن يوزع المنهوبات على الفقراء ،لم يكونوا هم أنفسهم من الفقراء ، ولقد وجد تاذشيلم اتباعه الأوائل بين سكان والشرين والجزر الأخرى الواقعة عند مصبي المويز والشلدات ، وهؤلاء فقط يمكن أن يكونوا من الناس الفقراء الصيادين والفلاحين ، وحتى فيما بعد في انتويرب كان حلفاءه الأقربين كذلك ، حتى أنهم تركوا انفسهم لحداد كي يقوم بتنظيمهم ، وبالنسبة لايون فإنه أيضا كان له أتباع عديذون من الناس البسطاء في الغابات الوحشية والنائية في بريتاني .

وجملة القول يبدو تماما انه من الواضح بدرجة كافية ان هؤلاء الذين ادعى كل منهم انه المسيح قد استمدوا الكتلة الداعمة من ادنى الطبقات الاجتماعية ومنذ اكثر من نصف قرن لفت عالم الاجتماع الديني ماكس ويبر * Max Weber . الانظار الى الميول الراقدة تحت مثل هذه الظواهر بقوله :

إن نوعا مخلصا من الأديان يمكن ان ينشأ في الطبقات الاجتماعية ذات المزايا (الموسرة)وسحر النبي ..هو عادة مرتبط بحد ادنى معين من الثقافة العقلية ... ولكنه بشكل منتظم يغير خصائصها .. عندما ينفذ الى الطبقات الاقل ثراء .. ويمكن للمرء أن يحدد سمة واحدة على الأقل تصحب عادة هذا التحول وتكون احدى النتائج للتكيف الذي لا مفر منه مع حاجات الجماهير،وهذا هو مظهر المخلص الشخصي سواء كان الهيا مقدسا او مزيجا بشريا الهيا، والعلاقة الدينية بهذا المخلص كعنصر لازم ومسبق للخلاص،وكلما هبط المرء سلم الطبقات الاجتماعية كلما كانت الطرق التي يتم بها التعبير عن الحاجة الى مخلص اكثر نزوعا إلى التطرف....

والميول التي يشير اليها ويبر قد تمت ملاحظتها في كثير من الاراضي المستعمرة او التي كانت مستعمرة خلال القرن الحالي، وكمثال واحد من مئات يمكن للمرء ان يفكر في مسيحي الزولو الذين درسهم د . بنت ساندكلر Dr Benyt Sundlkler وتماما كشخصيات القرون الوسطى سمى هؤلاء أنفسهم

مسيحيين واستمدوا افكارهم الاساسية وتصورهم من الكتب المقدسة ولكنهم ايضا نسبوا لانفسهم اعظم ما يمكن ادعاؤه وكان ذلك مقبولا بحماس من قبل اتباعهم ، وكتب د . ساندكلر :« معظم انبياء الزولو يعتبرون في نظر اتباعهم كائنات من انصاف الآلهة، ويصبح النبي المسيح الأسود وبسبب ذلك يحرز نفوذه الهائل على اتباعه »(ص ٥٢) وحياة وأعمال أشعيا شمب (١٨٧٠ - ١٩٣٥)مدللة مبرهنة، وهو أكثر الذين ادعوا انهم المسيح من الزولو شهرة،لقد كان شمب واعظا من العامة ذا بلاغة عظيمة وشخصية جذابة بنى كنيسة خاصة به في مقابل الكنائس التبشيرية التي كان يرعاها البيض،وفي البداية ادعى فقط انه نبي ولم يقر أمام سلطات البيض ابدا بأكثر من ذلك ولكنه افشى سرا لاتباعه في النهاية « أنه الموعود » والخليفة الحقيقي الذي حل مكان يسوع ، و ما فعله يسوع في أيامه للبيض وخلاصهم يفعله هو الان من أجل الزولو وخلاصهم،وادعى ان الرب قد دعاه حينما كان مايزال في رحم امه .

وتنبأ أنه بعد برهة وجيزة سيقف عند بوابة القدس السماوية وعندها سينفي البيض واولئك السود الذين تبعوا الكنائس التبشيرية وسيسمح لاتباعه فقط .

وكل هذا يذكر بشكل مدهش تماما بمسيحي القرون الوسطى في أوروبة ويستحق التأمل في الظروف التي ازدهر فيها شمب وانبياء الزولو المشابهين،ويشير ساندكلر الى أن مثل هذا المسيح يشبه و يختلف عن حاكم الزولو في الأيام التي كانوا فيها ما يزالون أمة غير مستقلة ، و كان المسيح و الحاكم كلاهما يريان كائنات الهية،ولكن بينما كان الحاكم يجمع قوى الزولو كان المسيح دائما يدعى بانه الناطق بلسان المحتقرين .

وبشكل نموذجي كان المتنبئين من هذا النوع يميلون للازدهار ليس بين الفقراء والمضطهدين في حد ذاتهم بل بين الفقراء والمضطهدين الذين انهارت طريقتهم التقليدية في المعيشة والذين

فقدوا ايمانهم بقيمتهم التقليدية ، والان خــلال العصــور الوســطى خبرت نواح معينة من اوروبا الغربية تماما مثل هذه الازمــات مــن الارتباك الجماهيري ، وكانت هذه بشكل خــاص هــي الحــالة منذ نهاية القرن الحادي عشر ومابعده ، فمنذ ذلك الوقت وماتلاه يمــكن للمرء ان يميز بوضوح تام في التيار العــظيم للانشــقاق الديني تيارا واحدا يمكن بشكل دقيق تسميته الانشقاق الديني للفقراء ، ومنذ ذلك الوقت ومايليه يمــكن للمــرء ان يتــكلم دون اهلية عمــن ادعى انه المسسيح بين الفقراء وحــركات الفقــراء الذين بهــذه الأنواع مــن المسيح .

إنه بمثل هذه الشخصيات و مثل هذه الحــركات ســيهتم الجــزء الاعظم من هذا الكتاب ولكن في البــداية مــن الضروري ان نبحــث بايجاز في من هم هؤلاء الفقراء،وما الذي ميزهم عن فقراء القــرون الاقدم،ولأي ضغوط جديدة كانوا يستجيبون ومــاهي الاحتياجــات الجديدة التي كانوا يحاولون التعبير عنها .

الفصل الثالث

مسيحيات الفقراء المضللين

الزخم المؤثر للتغيير الاجتماعي السريع:

حدثت الحركات الثورية للفقراء التي راسها مسيحيون أو قديسون احياء(ص ٥٣) واستمدت الهامها من نبوءات السبلينيين : أو يوحنا ، فيما يتعلق بالأيام الأخيرة ، حدثت بتكرار متزايد منذ نهاية القرن الحادي عشر وما بعده ، وهي لم تحدث على اي حال في كل الفترات أو كل المناطق ، وحتى الآن فيما يتعلق بأوروبا الشمالية ، إنه فقط في وادي الراين يمكن للمرء أن يتحرى تقاليد يبدو انها غير متحللة للألفية الثورية التي استمرت حتى القرن السادس عشر ، وفي بعض المناطق فيما يعرف الآن ببلجيكا وشمال فرنسا يمكن تتبع مثل هذه التقاليد منذ نهاية القرن الحادي عشر حتى أواسط القرن الرابع عشر، وفي بعض المناطق من جنوب ووسط المانيا منذ أواسط القرن الثالث عشر وحتى مرحلة الاصلاح ، التي بعدها يمكن ملاحظة بدايات تقاليدها في هولندا ووستفاليا

وعلى حواف هيجان اكبر بكثير ، حدث هياج الفى حول لندن واخر في بوهيميا ومع استثناء واحد أو اثنين صغيرين ان كل الحركات التي تعنى بها الدراسة الراهنة قامت ضمن هذه الحدود الدقيقة نوعا ما ، مما يدفع المرء إلى السؤال لماذا توجب أن يكون الامر كذلك ، ومهما كان محفوفا بالمخاطر تتبع سبب ظاهرة اجتماعية في مجتمع هي نفسها لا يمكن ملاحظتها فيه بشكل مباشر ، إن حادثة الالفية الثورية هنا واضحة جدا ومحدودة سواء في مداها او في زمانها على انها بلا اهمية ، إن نظرة مأخوذة من عل

توحي بأن الحالات الاجتماعية التي حدثت فيها انفجارات ثورية الفية كانت في الواقع موحدة بشكل ملحوظ ، وهذا الانطباع يتأكد عندما يقوم المرء بفحص انفجارات خاصة بالتفصيل . والمناطق التي أخذت فيها النبوءات القديمة حول الأيام الأخيرة معان ثورية جديدة ، وقوة ثورية جديدة ، وكانت المناطق المكتظة بالسكان بدرجة خطيرة و المنهمكة في عملية تغيير اقتصادي و اجتماعي سريعة ، و مثل هذه الظروف كان لابد أن توجد الآن في منطقة واحدة ، والآن في اخرى لأنه في تلك النواحي كان التطور في أوروبا العصور الوسطى اي شيء إلا أن يكون موحدا(ص ٥٤) واينما حدثت كانت الحياة تختلف بدرجة كبيرة عن الحياة الزراعية المستقرة التي كانت المعيار على مدى الألف سنة امتداد العصور الوسطى ، ومفيد معرفة نوع هذه الفروق بدقة ، وبالتأكيد لم تكن الحياة التقليدية على الأرض سهلة ، فعلى الرغم من التحسن في التقنيات الزراعية إنها لم تكن بالدرجة التي تبقي الفلاحين في حالة وفرة حتى في الظروف المواتية ، وبالنسبة لمعظم الفلاحين إن الحياة لا بد أنها كانت دائما كفاحا شاقا ، ففي كل قرية كان هناك أعداد من الفلاحين تعيش قرب أو في مستوى ابقاء الرق ، وكان الفائض الزراعي صغيرا جدا ، وكانت المعلومات والاتصالات غير ثابتة حتى أن المحصول السيء كثيرا ما كان يعني مجاعة كبيرة جدا ، ولأجيال كانت أطراف المناطق الكبيرة في شمال ووسط أوروبا تخرب من قبل الغزاة الشماليين القدامى والمجريين ، ولقرون على أطراف مناطق أوسع بكثير كانت تحدث الاضطرابا ت بسبب الحروب الخاصة للبارونات الاقطاعيين ، علاوة على ذلك كانت كتلة الفلاحين تعيش بصورة طبيعية في حالة اعتماد دائم ومضجر على سادتهم الكنسيين أو المدنيين،وكان العديد من الفلاحين ارقاء حملوا عبوديتهم في دمائهم ونقلوها من جيل الى جيل ، عبيد مملوكون بالمولد لارث سيد ، وكان الشعور أن تلك حالة متدنية فريدة . ولكن وجدت ايضا حالات اخرى ، اذا كانت اقل اذلالا فانها كانت ـثل ذلك تقريبا صعبة التحمل بدرجة العبودية نفسها ، وخلال القرون الطويلة من الأعمال الحربية المتكررة الحدوث باستمرار ، عندما لاتوجد حكومة مركزية فعالة ، كان معظم

مالكي الأراضي الصغار يجدون لتسليم أراضيهم للسيد المحلي الذي كان مع زمرته من الخدم المزودين بالخيول ، الوحيد الذي في موقع تقديم الحماية ، وكان ابناء هؤلاء الناس ايضا يعتمدون على سيد ، ومع ان اعتمادهم كان ينظم بعقد إرثي دائم فإنه لم يكن بالضرورة اقل إرهاقا من العبودية ، وفي عصر كانت فيه اكثر الضمانات فعالية للاستقلال الشخصي تقوم على ملكية الأرض والقدرة على حمل السلاح ، كان الفلاحون في وضع غير موات ، حيث أن النبلاء فقط هم الذين كانوا قادرين على تامين السلاح ، وكانت معظم الأراضي في المناطق الزراعية مملوكة إما للنبلاء او للكنيسة.

وكانت الأرض - اللازمة للمعيشة - يجب أن تستأجر ، ويجب كسب الحماية لها ، وهذا كان يعني أن معظم الفلاحين كان عليهم أن يزودوا سادتهم بقدر كبير من خدمات العمل ، والواجبات المنتظمة وبغرامات خاصة وأتاوات.

وباعتراف الجميع كانت ظروف حياة الفلاح ، مختلفة ومتنوعة كثيرا ونسبة القيد والحرية بين السكان من الفلاحين كانت تختلف بدرجة كبيرة من قرن لقرن ومن منطقة لأخرى ، ومرة أخرى بين هاتين الزمرتين ، كان يوجد تنوع غير محدود في الأوضاع الشرعية والقضائية وفي الرخاء ، حتى بين سكان القرية الواحدة كان يوجد عدم مساواة كبيرة(ص ٥٥) ولكن عندما الحقت كل إضافة بهذه التعقيدات يبقى صحيحا أن الفقر والصعوبات وغالبا عدم الاستقلال القسري كانوا كافين بحد ذاتهم لتوليد الألفية الطبيعية ، وكان لدى العبيد لهفة إلى الهروب ، وكانت هناك جهود متكررة من جانب المجتمعات الفلاحية لانتزاع الحقوق وثورات متقطعة ، وكانت مثل هذه الأشياء مألوفة بدرجة كبيرة كافية في حياة كثير من الضياع والمزارع ، ولكن لم يكن كثيرا ممكنا تحريض الفلاحين المستوطنين لتوظيفهم في السعي وراء الألفية ، وإذا فعلوا فإن ذلك كان إما بسبب انهم تورطوا في حركة كبيرة نشأت في طبقة مختلفة تماما ، او

أن طريقتهم التقليدية في الحياة أصبحت مستحيلة أو – وهـو مـا كان الحالة الأكثر شيوعا – لاجتماع هذين السببين.

ومن الممـكن رؤية لماذا على الرغم مـن كل الفقـر والصـعوبات وانعدام الاسـتقلال ، كان المجتمـع الزراعي للعصـور الوسـطى الأولى – وفي العصور الوسـطى المتـأخرة أيضـا في كثير مـن المناطق – نسبيا غير مرتبط بنضال المحـرومين مـن المزايا مـن المؤمنين بالأخرويات ، وإلى مدى يصعب المبـالغة فيه ، كانت حياة الفلاحين تستمر وتتشكل بالعادة والروتين الكوموني ، وفي السهول الشمالية الواسعة كان الفلاحون عادة يتجمعـون معـا في القـرى ، وكان سكان القرى يتبعون نهجا زراعيا تـطور بشـكل جمـاعي في القرية ، وكانت رقـع الأرض متجـاورة ومتشـابكة في الحقـول المكشوفة ، وفي الفلاحة والبذر والحصاد لا بد أنهم كثيرا مـا كانوا يعملون كفـريق ، وكان لكل فـلاح الحـق في اسـتعمال « الأرض المشاعة » إلى مدى مفروض ، وكانت الماشـية تـرعى هناك معـا ، والعلاقات الاجتماعية ضمن القرية كانت تنظمها المعايير التـي مـع أنها كانت تختلف من قرية لأخرى كان لها دائمـا قـدسية التقـاليد وكانت دائما تعتبر غير قابلة للانتهـاك ،و كان هـذا صـحيحا ليس فقط في العلاقات بين القرى نفسـها بـل أيضـا بين كل قـروي وسيده .... وخلال الصراعات الطويلة بين المصالح المتضاربة طورت كل ضيعة قوانينها الخاصة التي ما أن كانت تتـرسخ بـالاستعمال حتى فرضت الحقوق والالتزامات لكل فـرد ، ولهـذه العـادات كان السيد نفسه في الضيع يخضع لهـا ، وكان الفـلاحون عادة يقـظين لضمان أنه كان بالفعل يلتـزم بهـا ، وكان مـن الممـكن أن يكون الفلاحون مصممين جـدا في الدفـاع عن حقـوقهم التقليدية وحتـى زيادتها في المناسبات ، وكان بامكانهم التصميم ، لأن السكان كانوا متناثرين والعمل مطلوب بكثرة ، وقد أعطـاهم هـذا ميزة كانت الى حد ما توازن التـركيز في ملكية الأراضي والقـرى المسـلحة في أيدي سادتهم (ص ٥٦) وكنتيجـة لم يكن نظـام الوحـدات الادارية في التنظيم الريفي بأي شكل نظاما للاستثمار غير المنضـبط العمـل .

فإذا كانت العادة تلزم الفلاحين بتقديم الواجبات و الخدمات فإنهـا ايضا كانت تثبت المقادير ، وبالنسبة لمعظم الفلاحين كانت توفر على الأقل الأمن الأساسي الذي كان ينبـع مـن الاسـتئجار المضـمون والموروث لقطعة الأرض •

وكان وضع الفلاح في المجتمع الزراعي القديم مدعما كثيرا أيضا بحقيقة أنه – كالنبيل تماما – كان يمضي حياته مرتبطا بـإحكام بمجموعة من الأقرباء – وكانت الأسرة الكبيرة التي ينتمي إليهـا الفلاح تتألف من اقارب الدم من طرف الذكر أو الأنثـى وزوجـاتهم وأزواجهم وكانوا كلهم مـرتبطون معـا بـروابطهم مـع رئيس المجمـوعة – الأب (أو اذا انعـدم الأم) – الفـرع الرئيسي في العائلة ، وكثيرا ما كانت مجموعة النسب هذه يعترف بهـا رسـميا كمستأجر للملكية الفلاحية ، التي بقيت راسخة فيها منوطة بها طالما بقيت المجموعة ، ومثل هذه العائلة كانت تشـترك في القـدر نفسـه والنار والرغيف ، والعمل في الحقول غير المجزأة نفسها ، وتتـأصل في قطعة الأرض نفسها أجيالا ، وكانت تعتبر وحدة اجتماعية شديدة التماسك ، حتى وان كانت هـي نفسـها أحيانا تتمـزق بـالشجار الداخلي المرير.

وليس هناك شك في أن الفلاح الفرد قد ربح الكثير من انتمائه لمثل هذه المجموعة . وأيا كانت حـاجته و حتـى لو لم يعـد يعيش مـع العائلة ، فإنه كان يستطيع دائما أن يطلب العون من أقـربائه ، وأن يطمئن إلى انه سيناله . فإذا كانت روابط الدم مقيدة فهـي أيضـا تدعم كل فرد.

وكانت الشبكة الاجتماعية التي كان الفلاح يولد فيها قوية جدا ، وكانت تعتبر مضمونة حتـى أنهـا كانت تحـول دون أي انحـراف جذري ، وطالما أن الشبكة بقيت سليمة كان الفلاحون يتمتعون ليس فقط بأمن مادي مؤكد بل ايضا – وهو أكثر علاقة – بشعور مؤكد بالأمان ، وهو ضمان أساسي لم يتمكن الفقر المسـتمر و لا الخـطر المحيق من حين لآخر مـن تـدميره ، وعلاوة على ذلك إن مثـل تلك

الصعوبات نفسها كانت مضمونة كجزء من حالة من الشوؤن التي بدا أنها تسود منذ الأبد ، وكانت الآفاق الاجتماعية والاقتصادية ضيقة بقدر ضيق الآفاق الجغرافية نفسها ، ولم يكن الاتصال مع العالم الواسع وراء حدود الضيعة ضعيفا فحسب بل إن مجرد التفكير في أي تحول أساسي في المجتمع نادرا ما كان متصورا ، وفي اقتصاد كان بدائيا بشكل موحد ، حيث لم يكن احد شديد الثراء ، لم يكن هناك شيء يثير احتياجات جديدة ، وبالتأكيد لا شيء مما يمكن أن يثير الانسان لتضخيم تخيلاته عن الثروة والقوة،وبدا وضع الأمور هذا يتغير عندما ـ منذ القرن الحادي عشر اصبحت منطقة اخرى في حالة من السلام تكفي لكي يتزايد السكان و تتطور التجارة ، ووقعت المناطق الأولى التي حدث فيها ذلك جزئيا في الأراضي الفرنسية وجزئيا في الأراضي الألمانية،وفي القرون الحادي عشر والثاني عشر والثالث عشر وفي منطقة تمتد تقريبا من السوم الى الراين وتتركز على الامارة العظيمة التي كان كونتات فلاندرز يحكمونها بحزم وكفاءة فريدين ، وازداد السكان بسرعة ، وفي القرن الحادي عشر كان شمال شرق فرنسا ،والبلاد المنخفضة ووادي الراين بالفعل مناطق تحمل من السكان فوق ما يمكن للنظام الزراعي التقليدي أن يتحمل ، وبدا كثير من الفلاحين في استصلاح اراض أخذوا يستخلصونها من البحر والسبخات والغابات أو الهجرة في اتجاه الشرق للاشتراك في عملية الاستعمار الألماني للأراضي التي كانت حتى ذلك الحين يسكنها السلاف ، وبهؤلاء الرواد سارت الأمور بشكل عام سيرا حسنا بدرجة كافية ، ولكن الكثيرون بقوا بلا أملاك وكانت ملكياتهم اصغر من أن تكفي لاعالتهم ، وكان على هؤلاء أن يتدبروا امرهم بقدر ما يستطيعون ، ومضى بعض هؤلاء السكان الفائضين ليشكلوا طبقة العمال الكادحين الريفيين (البروليتاريا) في حين تدفق بعضهم على المراكز التجارية والصناعية وافرزوا بروليتاريا مدنية .

وأعطى الفايكنغ الذين جلبوا الخراب الى كثير من اجزاء اوروبا، أعطوا الزخم المؤثر الأول لتطوير الصناعة في وحول

بلاد فلاندرز، التي كانت في ذلك الوقت تمتد من أراس الى غنت، واصبحت صناعة النسيج التي قد استمرت هناك منذ زمن الرومان صناعة كبيرة ، عندما بدأ استيراد الصوف الإنكليزي في القرن العاشر - وبثرواتهم الكبيرة وجذورهم الحرفية التي امتدت عميقا في روسيا ، قدم الفايكنغ سوقا رائعة للأقمشة ذات النوعية العالية ، وذلك تماما في الوقت الذي كانت فيه حكومة فعالة تحقق السلام الكافي والاستقرار للأرض لتجعل التطور الصناعي ممكنا ، وخلال القرون الحادي عشر والثاني عشر والثالث عشر نمت صناعة عظيمة للملابس وانتشرت حتى أن مايدعي الآن بلجيكا وشمال شرق فرنسا اصبحت تقريبا الجزء الأكثر تصنيعا عاليا في القارة التي كانت تهيمن عليها الزراعة ، وبهذا التركيز للصناعة ، اصبح وادي الراين محكم الترابط ، وفي القرن الثاني عشر كان التجار الفلمنك يمارسون التجارة على طول الراين ، وبحلول القرن الثالث عشر كان تجار وادي الراين انفسهم يسيطرون على التجارة الدولية لشمال أوروبا ، وكانت الأقمشة الفلمنكية تمر بأيديهم في طريقهم الى الأسواق الجديدة في وسط وجنوب المانيا وفي المشرق المتوسطي ، وفي كولون نقطة التقاء كثير من طرق التجارة نمت صناعة النسيج المزدهرة والنحاس .

وحققت المراكز الصناعية الجديدة جذبا قويا للفلاحين ، وفي المقام الأول بلا شك بالنسبة لفائض السكان وايضا بالنسبة للذين كانوا يرغبون في الهرب من القيود واغتصاب الحقوق الذي أرهقهم في الضياع ، ولأولئك الذين كانوا قلقين ومتلهفين للتغيير (ص ٥٨) وايضا للذين تصادف أن كان لديهم حب للمغامرة والخيال ، لأن الحياة في تلك المراكز قدمت بالتأكيد للناس العاديين الفرص والتعويض ، وبشكل لم يسبق لهم أن عرفوه أبدا على الأرض،وكانت الصناعة مركزة في المدن ، وكان أي عبد تستقبله المدينة يطرح حالة العبودية ويصبح حرا ، علاوة على ذلك كان أسهل بكثير هناك ، لا سيما في المراحل الأولى من التوسع الأقتصادي ، بالنسبة للرجل الفقير أن يحسن وضعه اكثر مما كان

في الضيعة ، وكان المهاجر الفقير المعدم ذو الميل الى الصناعة ربما ينتهي بأن يصبح تاجرا غنيا ، وحتى بين الحرفيين تطور الذين انتجوا من أجل السوق المحلي في الجمعيات الحرفية والاتحادات التي حققت كثيرا من الأعمال التي حققها مجتمع القرية وجمعيات النسب للفلاحين ، وفعلت ذلك بأرباح اكبر بكثير ، ومع توسع الآفاق الاجتماعية والاقتصادية توقفت الشدائد والفقر والتبعية عن الظهور كمصير لا مفر منه للناس العاديين .

ومع ذلك كان هناك العديد ممن اكتفوا بمجرد تغيير متطلباتهم بمتطلبات جديدة دون أن يكونوا قادرين على تحقيقها ، وفيهم كان من اثار لديهم مشهد الثروة التي لم يكونوا يحلمون بها في قرون سالفة شعورا بالمرارة والاحباط . وفي المناطق المكتظة بالسكان ، المتمدنة نسبيا والمصنعة ، كان هناك أناس عديدون يعيشون على هامش المجتمع ، وفي حالة من عدم الأمان مزمنة ، ولم تكن صناعتهم أبدا حتى في افضل الأزمان قادرة على امتصاص كل الفائض من السكان ، وتزاحم المتسولون في كل موقع سوق ، وكانوا يتجولون في جماعات في شوارع المدن وعلى الطرقات بين مدينة واخرى ، واصبح العديد منهم مرتزقة ، ولكن في تلك الأيام التي كانت فيها الحملات قصيرة ، كانت جيوش المرتزقة تسرح باستمرار ، واصبحت كلمة برابانسون تعني عصابات الغزو والسلب للجنود غير المستخدمين من الذين يبحثون عن الحظ والذين كانوا دائما يأتون من برابانت والأراضي المجاورة ليخربوا اقاليم كاملة في فرنسا . وحتى بين الحرفيين المستخدمين كان العديد منهم يجد نفسه اكثر عجزا عن الدفاع عن النفس من فلاحي الضياع .

وصحيح بالطبع أن صناعة العصور الوسطى لا يمكن أن تقارن سواء في درجة العقلانية والموضوعية أو التوازن المحض مع المشاريع الكبيرة التي قدر لها أن تغير البنية الاجتماعية لأوروبا في القرن التاسع عشر، انها لم تكن تتكون ببساطة من ورش صغيرة كان المعلم « نفسه فيها رجلا ذا وسائل متواضعة وبلا طموح

كبير ، ويمارس مراقبة ابوية خيرة على نحو ثلاثة اواربعة مساعدين، ويشكل مع الصبية المتدربين على الحرفة جماعة عائلية تقريبا ، فهذه الصورة المألوفة صالحة فقط للصناعات التي كانت تنتج للسوق المحلي ، اما الصناعات التي كانت تنتج السلع للتصدير ، فكانت على العكس لها قاعدتها الاقتصادية في الصورة البدائية للراسمالية غير المنضبطة وبشكل بارز في صناعات الأقمشة الكبيرة ، كان التجار الراسماليون هم الذين يقدمون المواد الخام ، والذين يملكون المنتجات المنجزة ، والتي كانت تباع في السوق الدولية ، وكان موقف العمال حتى المهرة ، والنساجين والقصارين متقلقلا مع انه كان لديهم جمعيات،ولكن هذه لم تكن قادرة على حمايتهم كما كانت بالنسبة للحرفيين الذين كانوا يعملون في السوق المحلي ، وكان هؤلاء الرجال يعرفون انه في اي لحظة يمكن لحرب او هبوط في الأسعار تعويق التجارة ، وعندها فإنهم ايضا سيلقي بهم في الحشد اليائس من العاطلين عن العمل ، وذلك في حين كان العديد من العمال غير المهرة الذين يحصلون على أجور بائسة وليس لديهم اي وسائل اوجمعيات منظمة بشكل كامل تحت رحمة السوق.

وإضافة الى الفقر الذي يماثل في حجمه فقر اي فلاح ، كان العمال المتجولين والمؤقتين يعانون من الارتباك ،وهو امر كان يندر ان يحدث مثله في نظام الضيعة ، فلم يكن هناك مجموعة من العادات يمكن ان يستذيروها في دفاعهم و لم يكن هناك نقص في العمالة يضيف وزنا الى إدعاءاتهم ، وفوق كل شيء إنهم لم يكونوا مدعومين بشبكة من العلاقات الاجتماعية ، يمكن مقارنتها بتلك التي كانت تدعم الفلاح ، ومع انه بالمعايير الحديثة تبدو اكبر مدن العصور الوسطى صغيرة ، ولا يمكن أن يكون هناك شك انه في مجموعات المدن كتلك التي كانت توجد على سبيل المثال في فلاندرز ، والتي ضمت كل مدينة منها سكانا تراوح عددهم ما بين عشرين الف الى خمسين الفا كان الأسوا حظا يمكن أن ينحدر بطريقة غير ممكنة في قرية ربما كانت تضم خمسين أو ربما مائتي نسمة وإذا كانت

جماعات النسب في الطبقات العليا من سكان المدن ماتزال هامة ، فإنها في الطبقات الأولى قد تضاءلت حتى درجة التفاهة ، و بدأت الهجرات من المناطق الريفية المكتظة بالسكان الى المراكز الصناعية بالتمزق و انتهت بتمزيق العائلات الفلاحية الكبيرة ، و بين السكان الصناعيين من جانب اخر كان لدى جماعات النسب من أي حجم ملموس بالكاد الفرصة للتشكل جزئيا بسبب معدلات الوفاة المرتفعة ، حتى أن السكان يجب الى حد كبير ان يتجددوا من جديد كل جيل ، وجزئيا لأن العائلات الفقيرة كانت عاجزة عن الحصول على اكثر من فرصة صغيرة في مجال العيش في أي مكان.

وكان العمال المتجولون والعمال غير المهرة ، والفلاحون من غير المالكين او الذين يملكون أرضا أصغر من أن تعيلهم والشحاذون ، والمشردون والعاطلون أولئك المهددون بالبطالة ، والعديد من الذين لسبب أولآخر لم يكن بإمكانهم بلوغ مكانة مضمونة ، ومعترف بها ، لقد كان مثل هؤلاء الناس يعيشون في حالة من الاحباط المزمن والقلق ، ويشكلون اكثر العناصر تهورا وعدم استقرار في مجتمع القرون الوسطى ، وكل حدث يثير الاضطراب والفزع والاثارة.

وكل نوع من الثورة أو التمرد او دعوة الى حملة أو فترة انقطاع في الحكم او خلو للعرش او الوباء ، أو المجاعة أو أي شيء يمزق روتين الحياة الاجتماعية ، كان يؤثر على هؤلاء الناس بحدة غريبة ، ويحدث ردود فعل ذات عنف غريب ، والطريقة الوحيدة التي كانوا يحاولون فيها التعامل مع مأزقهم المشترك كانت تشكيل مجموعة من المخلصين تحت زعامة واحد يدعي أنه المسيح وحيث كان يوجد فائض في السكان يعيش على هامش المجتمع ، توفر دوما الميل قويا لاتخاذ زعيم رجلا نصف ديني ، أو ربما راهب مرتد ، كان يفرض نفسه ، لا ببساطة كرجل مقدس ، بل كنبي ومخلص او حتى كإله حي ،وعلى قوة الالهامات أو الوحي الذي يدعي بسببه أصلا الهيا ، كان هذا الزعيم المبعوث يقرر لأتباعه

مهمة جماعية ذات أبعاد كبيرة وأهمية تهز العالم ، وكان الاقتناع بضرورة هذه البعثة ، وبكون المبعوث مكلفا من الرب بتنفيذ مهمة استثنائية يزود المشوشين والمحبطين بأمل جديد وقدرات جديدة على الاحتمال ، ولم يعطهم ببساطة مكانا في العالم . بل مكانا فريدا لامعا،وكانت الأخوانيات من هذا النوع تشعر أنها نفسها صفوة وضعت سرمديا بعيدا عن وفوق العناصر الفانية العادية ، وتشارك في المزايا الاعجازية لزعيمها ، وتشارك ايضا في قدراته العجائبية ، وعلاوة على ذلك كانت البعثة التي اجتذبت بصورة أشد هذه الحشود من بين أكثر طبقات السكان عوزا ــ كانت بشكل طبيعي وكاف ــ بعثة ترمي لأن تتأوج بتحول كامل للمجتمع . وفي التخيلات الأخروية التي ورثوها من الماضي السحيق والعالم المنسي للمسيحية الأولى ، وجد هؤلاء الناس أسطورة اجتماعية مكيفة بشكل أكثر اكتمالا مع متطلباتهم؛وقدر لهذه العملية التي بعد حدوثها الأول ، في المنطقة بين السوم والراين ، أن تحدث في قرون متأخرة في جنوب ووسط المانيا ، وحتى أبعد ، في هولندا ووستفاليا .

وفي كل حالة كانت تحدث في ظروف متماثلة عندما كان السكان يتزايدون ويتحولون الى الصناعة كانت الروابط الاجتماعية التقليدية تضعف أو تتحطم والفجوة بين الأغنياء والفقراء تتحول الى هوة ، ثم في كل هذه المناطق بدورها كان الشعور الجماعي بالعجز والقلق والحسد يفرغ نفسه في الحاح مسعور ليضرب غير الاتقياء ــ وبذلك تتشكل من المعاناة النازلة والمعاناة المحتملة ، تلك المملكة النهائية ، حيث يتجمع القديسون حول الملاذ العظيم ، وفي شخص مسيحهم ، حيث يتمتعون بالراحة وبالثروة والأمن والقوة الى الأبد.

الفقراء في الحملات الصليبية الأولى :

شهد نصف القرن الذي ظهر فيه تانشيلم أوف انتويرب و ايون أوف بريتاني (ص ٦١) شهد ايضا الانفجارات الأولى لما يمكن أن

يدعوه المرء دون تحفظ مسيحائية الفقراء . وقد هيأت الحملتان الصليبيتان الأولى في ١٠٩٦ والثانية في ١١٤٦ الظروف العامة لذلك .

عندما استدعى البابا أوربان الثاني فرسان العالم المسيحي للاشتراك في الحملة الصليبية أطلق بين الحشود الآمال والكراهية التي كانت تعبر عن نفسها بطرق غريبة تماما عن أهداف السياسة البابوية ، وكان الهدف الرئيسي لمناشدة أوربان الشهيرة في كليرمونت في ١٠٩٥ تزويد بيزنطة بالتعزيزات التي احتاجت اليها من اجل طرد الأتراك السلاجقة من آسيا الصغرى ، لانه كان يأمل ان تعترف الكنيسة الشرقية بالمقابل بسيادة روما ، حتى تستعاد الوحدة النصرانية ، وفي المقام الثاني كان معنيا بأن يشير الى نبل موطنه فرنسا خاصة ، وأن يوجد مخرجا بديلا الطاقات الحربية التي كانت ماتزال تجلب الخراب باستمرار للأرض ، وكانت اللحظة مناسبة لأن مجتمع كليرمونت كان معنيا بدرجة كبيرة بهدنة الرب ، ذلك الجهاز الساذج الذي حاولت الكنيسة على مدى نصف قرن ان تحد به من الأعمال الحربية الاقطاعية ، واضافة الى الاكليروس كان عددا كبيرا من النبلاء الاقل شأنا قد جاء كليرمونت وقدم أوربان للذين سيشتركون في الحروب الصليبية مكافآت مؤثرة، فالفارس الذي يأخذ الصليب بمقصد ورع سيكسب الغفران من العقاب عن خطاياه العارضة جميعها ، واذا مات في المعركة سينال المغفرة عن كل خطاياه وستكون هناك جوائز مادية اضافة الى الجوائز الروحية ، ولم يكن الاكتظاظ بالسكان قاصرا على الفلاحين ، وأحد الأسباب للحروب الدائمة بين النبلاء كان النقص الحقيقي في الأرض،وكثيرا ما كان الأبناء الأصغر بلا ارث بالمرة ، ولم يكن لديهم خيار سوى البحث عن الحظ ، وطبقا لاحدى الروايات كان أوربان نفسه قد قارن بين الفقر والعوز الفعلي لكثير من النبلاء ، والرخاء الذي سيتمتعون به عندما سيستولون على الاقطاعات الجميلة الجديدة في الأراضي الجنوبية ، وسواء فعل ذلك أم لم يفعل ، كان هذا بالتأكيد اعتبار له وزنه الراجح لدى الكثير من

الصليبيين ، ومع ذلك من الواضح انه كان يجري بالفعل بين الاساقفة والكهنة النبلاء ، الذين سمعوا مناشدة واغراء أوربان في كليرمونت شيء ما لم يكن ببساطة توقعا لكسب فردي سواء أكان ماديا أم روحيا ، وبينما كان المجلس يستمع كانت تكتسحه انفعالات القوة الغامرة ، وصاح الالوف في صوت واحد ديوس لافولت - « إنها إرادة الرب » وهم محتشدون حول البابا راكعين بين يديه يلتمسون الأذن بالاشتراك في الحرب المقدسة ، وخر أحد الكرادلة على ركبتيه وتلا « الكونفتيوز » (صلاة الاعتراف) باسم الجمع كله ، وبينما كانوا يرددونها وراءه انفجر الكثير بالبكاء وأصيب العديد برعشة تشنجية ، ولبرهة وجيزة هيمن على الاجتماع ، الذي سادت فيه الارستقراطية ، جومن الحماس الجماعي ، ومثل ذلك أصبح طبيعيا في الحالات الطارئة التي حدثت فيما بعد للناس العاديين .

ذلك أن مناشدة كليرمونت كانت البداية فقط لهياج تلقفه على الفور عدد كبير من الوعاظ ، واستمر التبشير بالحملة الصليبية بين النبلاء من قبل أوربان نفسه الذي أمضى شهورا عدة يسافر في انحاء فرنسا لهذه الغاية ، وبوساطة الأساقفة الذين عادوا من كليرمونت الى أبرشياتهم ، وقد تم الوعظ بها أيضا للناس العاديين بوساطة عدد من المتنبئين ، وهم أناس مع انهم كانوا غير مزودين بأي سلطة رسمية كانت لديهم الهيبة التي كانت تحيط دائما بالزاهدين من صانعي المعجزات ، وأشهر هؤلاء كان بطرس الناسك ، وولد بطرس قرب أمينز وأمضى حياة زاهدة صارمة ، في البداية كراهب ثم كناسك ، وكان يسير حافي القدمين ، ولم يمس اللحم أو النبيذ قط ، وكان رجلا ضئيلا نحيلا ذا لحية طويلة رمادية ، له حضور أسر ، وبلاغة عظيمة ، حتى أنه نقلا عن واحد كان يعرفه ، كانت كل كلمة أو فعل منه تبدو نصف الهية ، وقد مارس على الجماهير ابهارا وسحرا لايقاوم ، وكان الناس يحتشدون ويتدافعون حوله ويجهدون لانتزاع شعرة واحدة من الأتان التي كان يركبها ليدخروها كتذكار أثري مقدس ، وقد تكاثرت الأساطير حول قصة

حياته ، وقبل أن يتكلم البابا قيل كان بطرس في القدس ، وفي كنيسة القيامة حيث الضريح المقدس ظهر له المسيح وأعطاه رسالة مفوضا إياه باستدعاء الحملة الصليبية ، ويبدو أن بطرس قد أسهم في الأسطورة بحمل الرسالة السماوية معه اينما وعظ ، وكان نجاحه كداعية ضخما ، وبينما كان يمر في شمال فرنسا قفز جيش من الصليبيين الى الوجود ، وأسرع الناس الى بيع ممتلكاتهم لشراء الأسلحة وعدة السفر ، ثم بعدما لم يعد لديهم أي وسيلة للمعيشة بداوا يرحلون ، وفي أذار ١٠٩٦ م قبل أن تصبح الحملة الصليبية الرسمية للبارونات جاهزة بأربعة شهور عبر بطرس من الأراضي الفرنسية الى الالمانية عل راس الجماعة التي الهمها ، وفي الوقت نفسه كانت جماعات اخرى تتشكل حول قادة آخرين في شمال فرنسا ، وفلاندرز وعلى طول الراين.

وكان لابد للجيش الذي تصوره البابا أن يتألف من الفرسان وتوابعهم ، وكلهم مدربون على الأعمال الحربية ومجهزون بشكل كامل ، وأعد معظم النبلاء الذين استجابوا لدعوات البابا أنفسهم في الواقع باعتدال وبطريقة واقعية من أجل الحملة ومن جانب آخر ضمت الحشود التي استحضرت بمواعظ المتنبئين أناسا كان نقص مؤهلاتهم العسكرية يعادله فقط عنفهم واندفاعهم ، ولم يكن لديهم في الواقع سبب للتأخر بل الأسباب للتعجل ، وكان معظمهم فقراء جاءوا من المناطق المكتظة ، حيث كان قدر الفقراء انعدام الأمن الدائم علاوة على ذلك كانت الحياة في العقد« ١٠٨٥-١٠٩٥ » أقسى بكثير حتى من المعتاد ، وبشكل دقيق في شمال شرق فرنسا وألمانيا الغربية حيث كانت هناك سلسلة غير منقطعة تقريبا من الفيضانات والجفاف والمجاعات ، ومنذ ١٠٨٩ كان السكان يعيشون ايضا في رعب مستمر بصورة بغيضة ، وبشكل استثنائي بسبب الوباء الذي يمكن ان يضرب فجأة وبلا سبب ظاهر في المدينة أو القرية وبسبب الموت المكرب لغالبية السكان وكان رد فعل الجماهير على هذه الكوارث كالمعتاد . تجمع الناس جماعات تائبة متعبدة حول الناسكين والرجال المقدسين الآخرين ، والمباشرة بطلب الخلاص

الجماعي ، وقد أعطى الظهور المفاجى للمتنبـئين ، الذين يبشرون بالحملة الصليبية تلك الحشود المبتلاة الفـرصة لتـكوين جمـاعات خلاصية على مجال اوسع بكثير والهـروب في الوقـت نفسـه مـن الاراضي التي أصـبحت الحياة فيهـا لاتحتمـل ، وأسرع الرجـال والنساء على السواء بالانضمام الى الحركة الجـديدة ، وكثيرا مـا كانت عائلات بكاملها تتحرك معا مـع الأطفـال والمنقـولات المنزلية محملة على عربات ، ومع تزايد الحشد كانوا يتضخمون بـكل انواع المغامرات الغريبة ، من الرهبان المرتدين الى النسـاء المتنكرات في مظهر الرجال مع العديد من اللصوص وقطاع الطرق.

وكانت الحملة الصليبية بالنسبة لتلك الحشود تعني شيئا مختلفا عما كانت تعنيه بالنسبة للبـابا ، ولم يكن العـامة كمـا دعاهـم المؤرخون المعاصرون لهم مهتمين بدرجة كبيرة بمسـاعدة مسـيحي بيزنطـة ، ولكنهـم كانوا عاطفيا مهتمين بـالوصول الى القـدس واحتلالها وسكناها ، فالمدينة التي كانت اقدس مدينة في العالم لدى المسيحيين ، كانت في ايدي المسلمين منذ نحو اربعة قرون ونصـف القرن ، مع أن امكانية استردادها كانت على مـايبدو تشـغل دورا صغيرا في خطة أوربان الأصلية ، ان هذا التـوقع هـو الذي سـمم جماهير الفقراء ، لقد كانت الحملة الصليبية في عيونهم حجا قتـاليا مسلحا ، بل أعظم واكثر أنواع الحج تصعيدا ، ولقرون كان الحـج الى الضريح المقدس يعتبر صورة تكفيرية فعـالة فـريدة ، وخـلال القرن الحادي عشر كان مثل هذا الحـج ينفـذ جمـاعيا : فلم يعـد التائبون يميلون الى السفر فرادى أو في جماعات صغيرة بل في فرق منظمة في تسلسل هرمي ولهـا قـائد ، واحيانا وبشـكل ملحـوظ في ١٠٣٣ و ١٠٦٤ كان الحج الجماعي يشمل الوفا عدة مـن الناس وفي ١٠٣٣ على الأقـل كان أول الذاهبين هـم الفقـراء (ص ٦٤) وكان بينهم بعض من ذهبوا بقصد البقـاء في القـدس حتى وفاتهم ،وفي الحملة الصليبية ايضا لم يكن لدى الفقراء وكثير منهم فكرة العودة مطلقا الى بيوتهم،لقد ارادوا ان يسترجعوا القدس من غير المسيحيين للاسـتيطان فيهـا وليحـولوها الى مـدينة

مسيحية ، وكل من شارك في الحملة الصليبية كان يرتدي صليبا مخيطا على ردائه الخارجي ، فكان اول شارة يضعها جيش في الفترة مابعد الأزمنة الكلاسيكية ، والخطوة الأولى في اتجاه اللباس العسكري الموحد الحديث ، اما بالنسبة للفرسان فان هذا الصليب كان رمزا للانتصار المسيحي في حملة عسكرية قصيرة الأمد،وفكر الفقراء بالحري بعبارة « احمل الصليب واتبعني » وبالنسبة لهم كانت الحملة الصليبية فوق كل شيءتشبها جماعيا بالمسيح ، وتضحية جماهيرية ستكافأ بتمجيد جماعي في القدس .

وقد استحوذت القدس على خيالهم لانها لم تكن مجرد مدينة ارضية بل بالأحرى رمزا لأمل كبير : ولقد كانت كذلك منذ بدأت المثل المسيحية للعبرانيين تأخذ شكلا في القرن الثامن ق.م ، ومن خلال فم اشعيا حرض الرب اليهود العبرانيين :

« ابتهجوا انتم بالقدس وافرحوا بها ... وستنهلون .

وتشبعون من صدور المواشي فيها بما تحلبونه وستسرون
بوفرة بهائها ... انظروا ، سأنشر السلام عليها ...
كالنهر .... ثم تنهلون ..... وستحملون على جوانبها
وستتأرجحون على ركبتها ، مثل الذي تريحه امه ، هكذا سأريحكم وستستريحون في القدس »

وفي نبوءات فترة مابعد النفي وفي أشعار الرؤيا تم تصور المملكة المسيحية على انها تتمركز في قدس مستقبلية تبنى بفخامة عظيمة ، واخذت هذه التخيلات اليهودية جميعها لتعزيز الأهمية العظيمة المثيرة للعاطفة التي تملكها القدس في اي حال ، بالنسبة لمسيحي العصور الوسطى ،وعندما الف أحد الرهبان بعد الحدث بجيل المناشدة التي تخيل أن أوربان قام بها في كليرمونت جعل البابا يتكلم عن المدينة المقدسة لاعلى انها ببساطة المكان المعد للشهرة الدائمة بمجيء المسيح والامه ، وصعوده إلى السماء بل ايضا « كسرة للعالم » و « الأرض المثمرة التي تعلو فوق الأراضي الأخرى ، مثل

جنة أخرى للمباهج » و « الأرض الملكية الواقعة في مركز العـالم » وهي الآن أسيرة تطلب العون ، وتتوق إلى التحـرير ، وعلاوة على ذلك وحتى بالنسبة لعلماء اللاهوت كانت القدس ايضا « شخصية » او رمزا لمدينة سماوية « مثل حجر ثمين جدا » قدر له كمـا جـاء في سفر الرؤيا ان يحل محلها في آخر الزمان ، فـلا عجـب أن ــ كمـا لاحظ المعاصرون ــ تـكونت في عقـول الناس البسـطاء فـكرة أن القدس الأرضية قد أصبحت مشـوشة ومختلطـة بفـكرة القـدس السماوية ، حتى أصبحت المدينة الفلسطينية(ص ٦٥)نفسها تبدو عالما معجزا يزخر بـالنعم المادية والروحية كليهمـا ، ولاعجـب انه عندما سلكت جماهير الفقراء طريق الحج الطويل صرخ الأطفال عند كل مدينة وقلعة « اهذه هي القدس ؟» و ذلك بينما كان يرى عاليا في السماء مدينة خفية غامضة تهرع إليها الحشود .

وفي حين انه في شمال فـرنسا ، وفـلاندرز ووادي الراين شـكل الفقراء انفسهم في فـرق ذاتية الادارة فإنهـم في المناطـق الأخـرى المتمدنة بدرجة عالية والمكتظة بالسكان مثل بـروفانس تـدفقوا على جيش الكونت ، ريموند اوف طـولوز،وكنتيجـة فقـد تـطور في ذلك الجيش شعور بالبهجة كبير بـالدرجة نفسـها التـي سـادت في الجماعات التي اتبعت المتنبـئين ، وبشـكل متمـاثل في الشـمال والجنوب اعتبر الفقراء الذين انضـموا للحملة الصـليبية انفسـهم صفوة الصليبين ، وشعبا اختـاره الله ، في حين ان البـارونات لم يختاروا ، وعند اللحظة الحرجة في حصار انطاكية حمـل القـديس اندروز انباء سارة تفيد أن الحربة المقدسة كانت مـدفونة في إحـدى الكنائس في المدينة ، ويعود الفضل في ظهورها إلى فـلاح بـروفانسي فقير ، وعندما تردد الفلاح مدركا لوضعه الدوني في نقله الأخبار إلى القادة النبلاء ، اكد له القديس : « إن الرب قد اختـاركم (فقـراء الناس) من بين كل الناس ، كما تجمع سنابل القمـح مـن وسـط حقل من الشوفان ، لأنه بالجدارة وبنعمة الفضيلة فإنكم ستتخطون كل من كانوا قبلكم وكل من يأتي بعدكم بقدر مـايتفوق الذهـب على الفضة » ويقترب ريموند اوف أغويلرز الذي يحكي القصـة ، اكثـر

من عيره من المؤرخين في مشاطرة وجهة نظر الفقراء ، ويبدو طبيعيا بالنسبة له أنه عندما كان يقتل بعض الفقراء كان لابـد مـن ظهـور صلبان معجزة على لوح الكتف ، وعندمـا يتحـدث عن العـالة مـن الدهماء فإنه كان يفعل ذلك وهـو يشـعر دائمـا بخشـية اكيدة باعتبارهم مختارين من الرب .

ويأتي الشعور بالأهمية لدى الفقراء بشـكل واضـح أكثـر مـن القصص الغريبة التي تمتزج فيها الأسطورة بالحقيقة ، التي تحكي عن الناس الذين كانوا يدعون « طفور Tafurs » و هلك قسم كبير ـ يحتمل أن يكون القسم الأكبر ـ من الحملة الشـعبية الصليبية أثناء رحلتها عبر أوروبا ، ولكن مايكفي نجـا ليشـكل في سورية وفلسطين جيشـا مـن المشردين ـ الذي يبـدو أن الكلمـة الغامضة « طفور » تعنيه ، ولقد كان « الطفور » عصـابة ضـارية حافية الأقدام شعثاء تلبس ثيابا مهلهلة من الخيش تكسوها القذارة والقروح ، تعيش على جذور النباتات والأعشاب واحيانا ايضا على جثث الأعداء المشـوية ، وكانت تخـرب تمـاما اي بلد تمـر فيه ، ولفقرهم إلى درجة عدم القدرة على امتلاك سـيوف أو رمـاح كانوا يستخدمون الهراوات المثقلة بالرصاص ، والعصي المدببة والسكاكين والبلط ، والمجارف والمعازق والعرادات ، وعندما كانوا يهاجمون في المعـركة كانوا يصرون بـأسنانهم كمـا لو انهـم كانوا(ص ٦٦) يقصدون اكل أعدائهم احياء إلى جـانب اكلهـم امـواتا ، ومـع أن المسلمين واجهوا البارونات الصـليبيين بـلا وجـل ، فإنهـم كانوا يرهبون الطفور وكانوا يسمونهم « غير فـرنجة » « بـل شـياطين حية » .

وكان مؤرخو المسيحية انفسهم ـ مـن الأكليروس أو الفـرسان الذين كان اهتمامهم الرئيسي ينصب على أفعال الأمراء ـ في الوقت الذي كانوا يقرون فيه بفعالية الطفور في المعـركة ، كانوا بـوضوح ينظرون إليهم بريبة وارتباك ، ومع ذلك عندما يعود المرء إلى الملحمة

العامية المكتوبة من وجهة نظر الفقراء يجد أن الطفور قد صوروا كأناس مقدسين « وأنهم أجدر من الفرسان بكثير » .

وعرض الطفور ولهم ملك يقال إنه كان فارسا نورماندیا تخلى عن حصانه وسلاحه ودرعه ، ليلبس الخيش ويحمل المنجل . وعلى الأقل في البداية كان زاهدا ، وكان الفقر بالنسبة له هو كل القيمة الصوفية التي كانت لدى القديس فرانسيس وحوارييه ، ومن حين لآخر كان ملك الطفور يفتش عن رجاله ، فإذا وجد مالا مع أحد منهم كان يطرده من الجماعة ، ويرسله لشراء السلاح والالتحاق بالجيش المحترف الذي يقوده البارونات ، في حين كان الذين يتنسكون ويتخلون عن كل ممتلكاتهم عن إيمان راسخ يقبلون في عضوية « الجماعة ، أو الدوائر الداخلية للأتباع ، وكان الطفور يعتقدون أنه بسبب فقرهم فقط هم أنفسهم قد قدر لهم أن يدخلوا المدينة المقدسة « إن الأفقر سيأخذونها : وهذه علامة تظهر بوضوح إن الرب لايهتم بالوقحين الذين لاإيمان لهم » ، بيد انه وإن استحق الفقراء الجدارة بفقرهم ، لقد كانوا ملأى بالجشع وحب المال ، والغنائم التي كان يستولى عليها من غير المسيحيين ،لم يكونوا يشعرون بأنها تقلص مطالبهم من العطف الالهي ، بل الأحرى أن تثبت حقيقة هذا العطف ، وبعد مناوشات ومصادمات ناجحة خارج انطاكية . كان الفقراء البروفانسيين « يعدون فوق ظهور خيولهم بين الخيام ليظهروا لرفاقهم أن فقرهم قد انتهى ، وارتدى آخرون رداءين أو ثلاثة من الحرير ، وحمدوا الرب المانح للنصر والمعطي للهدايا ، ومع قيادة ملك الطفور للهجوم الأخير على القدس كان يصيح « أين الفقراء الذين يريدون المال ؟ ليأتوا معي ! .... فاليوم بعون الرب سأربح مايكفي لتحميل بغال كثيرة ! » وفيما بعد عندما كان المسلمون يحملون كنوزهم عند اسوار المدينة المستسلمة في محاولة لاغراء المسيحيين بالارتداد إلى العراء يظهر أن الطفور كانوا عاجزين عن كبح انفسهم حيث أخذ ملكهم يصيح « هل نحن في سجن ؟ إنهم يحضرون الكنوز ونحن لانجرؤ على اخذها ! .... ماذا يهمني إذا مت ؟ طالما كنت افعل ما أريد ، ؟ وفيما هو ـ يدعو

القديس لازاروس ــ لازاروس الحكايات والأمثال الذي اتخذ منه فقراء العصور الوسطى راعيهم المقدس ــ قاد جماعته خارج المدينة إلى الكارثة ،وفي كل مدينة كان يستولى عليها ، نهب الطفور كل شيء وضعوا ايديهم عليه ، واغتصبوا المسلمات وقاموا بمذابح بلا قيود ولاتمييز ، ولم يكن لدى القادة الرسميين سلطة عليهم إطلاقا (ص ٦٧) وعندما احتج أمير انطاكية على اكل الطفور لحوم البشر ، لم يكن أمام الأمراء سوى الاقرار معتذرين « إننا جميعا معا لانستطيع كبح جماح ملك الطفور » ، وكان البارونات يبدون في الواقع خائفين نوعا ما من الطفور ، وكانوا يحرصون على حسن التسلح كلما اقتربوا منهم ، وهذا بلا ريبة كان حقيقة الأمر ، ولكن في القصص التي تروى من وجهة نظر الفقراء لم يكن الأمراء الكبار ينظرون إلى ملك الطفور بقلق شديد ، بقدر ماكانوا بذلة ، بل حتى باحترام ، وإننا نجد ملك الطفور يحث البارونات المتمردين على مهاجمة القدس قائلا : « سادتي ماالذي نفعله ؟ إننا نؤخر هجومنا على هذه المدينة وعلى هذا العرق الشرير اكثر مما ينبغي ، إننا نتصرف كحجاج مزيفين ، لو بقي الأمر لي وللفقراء وحدهم ، فإن الوثنيين سيجدوننا أسوأ جيران لهم على الاطلاق » ! وتأثر الأمراء حتى انهم طلبوا منه قيادة الهجوم الأول ، وعندما غطته الجراح حمل من ميدان المعركة ، وتجمعوا حوله قلقين ، ولكنهم اظهروا ملك الطفور على انه اكثر من مجرد أقوى المحاربين ، فكثيرا ما ظهر مرتبطا ارتباطا وثيقا بالمتنبئين ، و في احدى الروايات كان بطرس الناسك – و في أخرى أسقف خيالي – هو الذي حمل الحربة المقدسة وهو الشعار الذي اتخذه الفقراء ، وهو نفسه امتلك بوضوح صفة خارقة للطبيعة وضعته فوق كل الأمراء ، وعندما – كما في القصة المكتوبة للفقراء – أصبح غودفري أوف بوليون ملكا على القدس اختار البارونات ملك الطفور باعتباره « الأعلى مقاما » ليقوم بالتتويج ، وقد قام بذلك باعطاء غودفري غصنا من الأشواك كذكرى لتاج الشوك ، وقام غودفري بقبول البيعة واداء القسم باعتبار القدس اقطاعية من ملك الطفور والرب وحده .

ولشعورهم أنهم تحملوا ما يكفي تعجلوا العـودة الى زوجـاتهم وحقولهم ، ولكن ملك الطفور مـا كان ليرى القـدس مهجـورة ، لذا ارتهن نفسه للبقاء مـع جيش الفقـراء ،لحمـاية الملك الجـديد و مملكته ، وفي هذه الأحداث الخيالية الصرفـة أصـبح الملك الشحـاذ رمزا للآمال الضخمة المفرطة التـي حملت الدهمـاء والفقـراء على مصاعب لا توصف نحو المدينة المقدسة.

وكان تحقيق هذا الأمـل يتـطلب التضـحية البشرية على نطـاق واسع ، ليس فقط بالنفس من قبل الصليبيين بل أيضـا بـذبح غير المسيحيين ، مع ان البابا والأمراء ربما كانوا قـد اعتـزموا القيام بحملة بأهداف محدودة ، فإن الحملة في الواقع باتت ترمي باستمرار لان تصبح كما ارادهـا العـامة : حـربا لابـادة « ابناء العاهرات » «عرق قاين » كما كان ملك الطفور يدعو المسلمين ، ولم يكن مجهولا بالنسبة للصليبيين انهم كانوا يمسكون بفلاحي منطقـة ما ويقدمون لهم خيارا بين التنصر فورا أو القتل(ص ٦٨) » وقـد حققوا ما جعل الفرنجة يعودون و قد ملأهم الحبور » و قـد أعقـب سقوط القدس مذبحة عظيمة بـاستثناء الحـاكم وحـرسه ، الذين تدبروا امر شراء حياتهم واصطحبوا إلى خارج المدينة ، وقتـل كل المسلمين رجالا ونساء وأطفالا : « وخاضت الخيول في الدماء حتى الركب لا بل حتى اللجام بداخل المسجد الأقصى وحـوله ، لقـد كان حكما عادلا وعجيبا من الرب أن يتلقى المكان نفسه دماء أولئك الذين طالما حمل تجديفم الى الرب » و بـالنسبة ليهـود القـدس عندمـا التجأوا إلى معبدهم أحرق المبنى وأحرق الجميع أحياء.

وسار الصليبيون وهم يبكون من الفرح وينشدون اناشيد الحمـد في مواكب الى كنيسة الضريح المقدس « أيهـا اليوم الجـديد ، يوم جديد وابتهاج ، فرح جديد ودائم ... اليوم الذي سيشتهر في القرون القادمة حول معاناتنا ومصاعبنا الى حبور وبهجة ، ذاك يوم تـأكيد المسيحية والقضاء على المسلمين والتجديد لايماننا »«ولكن حفنة من المسلمين ظلوا أحياء : لقد التجـأوا الى سـطح المسـجد الأقصى ،

ووعد الصليبي الشهير تا نكرد بالابقاء على حياتهم في مقابل فدية كبيرة ، واعطاهم علمه كجواز للمرور في أمان ،ولكن تانكرد امكنه فقط أن يرقب في عجز غاضب الجنود العاديين وهم يتسلقون جدار المسجد ليقطعوا رأس كل رجل وامرأة سوى الذين القوا بأنفسهم الى حتفهم من فوق السقف »٠

واذا أخذ المرء هذه الأحداث بعين الاعتبار يبدو طبيعيا بدرجة كافية أن أول مذبحة كبيرة لليهود الأوروبيين لا بد أنها حدثت ايضا خلال الحملة الأولى ،ولم يكن للجيش الصليبي الرسمي الذي تألف من البارونات واتباعهم يد في هذه المذبحة التي نفذت كلية بوساطة الجماعات التي تشكلت في ركاب المتنبئين ، وأوضح أحد المؤرخين انه« مع قيام الحروب الصليبية ترسخ السلام على كل الجوانب وهوجم اليهود على الفور في المدن التي يعيشون فيها » ويقال أنه في البداية الأولى للهياج الصليبي منحت الجماعات اليهودية في روين والمدن الفرنسية الأخرى حق الخيار بين التحول الى المسيحية أو الذبح ، غير أن المدن الأسقفية على طول الراين قد شهدت أعنف الهجمات ، وهنا كما على طول جميع الطرق التجارية في غرب أوروبا كان التجار اليهود قد استقروا منذ قرون وبسبب نفعهم الاقتصادي ، تمتعوا دائما بالعطف الخاص من رؤوساء الأساقفة ، ولكن مع نهاية القرن الحادي عشر ، ادى التوتر في كل هذه المدن بين اهلها وسادتهم من الأكليروس إلى قيام اضطرابات اجتماعية عامة ، وكان جوا ثبت انه مناسب للمتنبئين العائدين للحروب الصليبية كما ثبت انه مناسب ايضا لتانشيلم بعد ذلك بوقت قصير(ص ٦٩).

وفي بداية ايار ١٠٩٦ خطط الصليبيون المعسكرون خارج سبيير لمهاجمة اليهود في معابدهم يوم السبت ،وأخفقوا في صنع هذا وكانوا فقط قادرين على قتل حفنة من اليهود في الشوارع ، وأوى الأسقف البقية في قصره وعاقب بعض القتلة ، و في ورمز كان اليهود اقل حظا ، وهنا ايضا لجأوا الى طلب حماية الأسقف والبرجوازيين

الموسرين ، ولكن احدا لم يكن قادرا على حمايتهم عندما وصل رجال من الحملة الصليبية الشعبية وقادوا أهل المدينة في هجوم على حي اليهود ، ونهب المعبد كما نهبت البيوت وقتل كل شاغليها ممن رفضوا التعميد من البالغين ، اما بالنسبة للأطفال فقد قتل بعضهم وأخذ بعضهم الآخر لتعميدهم وترتيبهم كمسيحيين ، والتجأ بعض اليهود الى قصر الأسقف،وعندما هوجم هذا أيضا عرض الأسقف عليهم التعميد وانقاذ أرواحهم ، ولكن الجماعة كلها فضلت الانتحار ، وكمجموع يقال أن نحوا من ثمانمائة من اليهود هلكوا في ورمز .

وفي ميتز حيث عاشت اكبر جماعة من اليهود في المانيا ، اخذت الأحداث الى حد كبير المجرى نفسه فهناك أيضا تمت حماية اليهود وفي البداية من قبل رئيس الأساقفة والمقدم المدني الأكبر ، وأكبر البرجوازيين ثراء ، ولكن في النهاية أجبرهم الصليبيون بتأكيد من أهل المدينة الأشد فقرا على الاختيار بين التعميد والموت ، وهرب رئيس الأساقفة وكل هيئته خوفا على حياتهم ، وهلك اكثر من الف يهودي ويهودية سواء بالانتحار أو على أيدي الصليبيين ، و من مدن الراين تحركت فرقة من الصليبيين الى ترير والقى رئيس الأساقفة موعظة طلب فيها الابقاء على اليهود ، ولكن بالنتيجة كان عليه هو نفسه أن يهرب من الكنيسة ، وهنا أيضا مع أن بعض اليهود قبلوا التعميد ، فإن الغالبية العظمى هلكت ، و تحرك الصليبيون الى متز حيث قتلوا المزيد من اليهود ، وعادوا في منتصف حزيران الى كولون و لجأت جماعات اليهود الى الاختباء في القرى المجاورة و لكنهم اكتشفوا من الصليبيين وذبحوا بالمئات ، وفي هذه الأثناء شقت فرق أخرى من الصليبيين طرقها في اتجاه الشرق ، وفرضت التعميد بالقوة على جماعات رجنسبرغ و براغ ، و بشكل اجمالي يقدر عدد اليهود الذين هلكوا في شهري ايار وحزيران ١٠٩٦ م ما بين أربعة الاف الى ثمانية الاف .

و كانت هذه بداية تقاليد ، ففي سنة ١١٤٦ حين كان التحضير

للحملة الصليبية الثانية يجري من قبل الملك لويس السابع ونبلاء فرنسا ، كان السكان في نورماندي وبيكاردي يقتلون اليهود ، وأثناء ذلك شق راهب مرتد يدعى رودلف طريقه من هينوت الى الراين حيث دعا الحشود الى الانضمام الى حملة صليبية شعبية والشروع بقتل اليهود ، وكما في زمان الحملة الصليبية الأولى كان الناس العاديين مدفوعين الى اليأس بفعل المجاعة ، وككل متنبىء ناجح(ص ٧٠) كان يعتقد أن رودلف يقوم بمعجزات، وأنه مؤيد بالوحي السماوي ، واندفعت الجموع الجائعة اليه أفواجا ، وكانت المدن الأسقفية ما تزال تعيش في صراعاتها الداخلية المريرة - كولون ، متز ، و رمز سبيير وأيضا هذه المرة ستراسبورغ عندما مر فيها الصليبيون وورز برغ وقد ثبت أن هذه هي الأرض الأكثر خصوبة للهياج المعادي لليهود .

و منها انتشرت الحركة الى مدن كثيرة أخرى في المانيا وفرنسا ، ولجأ اليهود الى طلب الحماية كما فعلوا قبل ذلك بنصف قرن من الأساقفة والبورجوازيين الأثرياء ، و عمل هؤلاء ما بوسعهم للمساعدة ، و لكن الدهماء لم يكونوا ليرتدعوا بسهولة ، وفي كثير من المدن كان السكان على شفا عصيان علني مسلح وبدا أن كارثة شاملة أخرى أصبحت وشيكة النزول باليهود ، وعند هذه النقطة تدخل القديس برنارد وبكل ثقل هيبته أصر على أن المذبحة يجب أن تتوقف .

وحتى القديس برنارد بكل سمعته الرائعة كرجل مقدس وصانع للعجائب كان بالكاد قادرا على لجم الغضب الشعبي فعندما واجه رودلف في مينز ، وكراع لدير الرهبان طلب منه العودة الى ديره ، كان العوام قد أوشكوا على حمل السلاح لحماية المتنبىء ، وبعد ذلك كانت مذابح اليهود ستبقى سمة طبيعية للحملات الصليبية الشعبية تميزها عن حملات الفرسان الصليبيين ، و من الواضح بدرجة كافية لماذا كان الدهماء الفقراء ينهبون اليهود بكل حرية وهم يقتلونهم كما فعلوا بالنسبة للمسلمين ، مع أن النهب لم يكن هدفهم الرئيس

- ١٤٩٧ -

بالتأكيد ، إن حولية يهودية عبرية هي التي تسجل كيف انه خلال الحملة الصليبية الثانية ناشد الصليبيون اليهود : « تعالوا الينا حتى نصبح شعبا واحدا ».

ويبدو انه ليس هناك شك في ان اليهود كان بامكانهم دائما انقاذ الأرواح والممتلكات بقبول التعميد ، و من جانب آخر قيل إن كل من قتل يهوديا رفض التعميد غفرت ذنوبه •

وكان هناك اولئك الذين شعروا انه غير مثاب ابدا أن تقلع بحملة صليبية حتى تقتل واحدا من هذا القبيل ، وبعض تعليقات الصليبيين انفسهم حول هذا قد حفظت ،من ذلك :« لقد شرعنا في السير في طريق طويل لمحاربة أعداء الرب في الشرق ، ونحن نشاهد أمام أم اعيننااسوا أعدائه ، اليهود ، إنه يجب التعامل مع هؤلاء وأولا » ومرة أخرى :« إنكم ابناء سلالة اولئك الذين قتلوا ربنا وصلبوه» وعلاوة على ذلك الرب نفسه قال :«سيأتي فجر اليوم عندما يقدم ابنائي ويثأروا لدمي»

«إننا اولاده وانها مهمتنا أن ننفذ ثأره منكم ، لأنكم أظهرتم عنادكم وكنتم مجدفين عليه ..... لقد تخلى (الرب) عنكم وحول إشعاعه الينا وجعلنا خاصته»

و هنا تتكلم بشكل جلي القناعة التي حاولت أن توجه الحملة الصليبية الأولى نحو القضاء على الاسلام .

الفصل الرابع

القديسيون ضد حشود المسيح الدجال

المخلصون في الأيام الأخيرة

مع ندرة المدونات حول تلك الفترة (ص ٧١) إنهـا كافية لبيان انه في الحملة الصليبية الشعبية ، كان الجيشـان الغيبـي فعـالا ، وبالنسبة للدهماء إنهم راوا أنفسهم فعالين في الانجـاز الكبير الذي كان في اتجاهه يعمل كل شيء منذ بداية الزمان ، وعلى كل الجـوانب كانوا يشـاهدون « الآيات » التـي تميز بـداية الأيام الأخيرة ، ويسمعون كيف أن « البـوق الأخير سـيعلن مجـيء الحـكم الصالح » وفوق كل شيء يبدو انهم كانوا مأخوذين بنبوءة الامبراطور العظيم الذي سيرحل في الأيام الأخيرة الى القدس ، ويبدو أنهم قـد فعلوا كل ماأمكنهم لاقناع انفسهم بـأنهم يقـادون مـن قبـل الملك الخفي .

وفي الأصـل في النبـوءات الاغريقية التـي كانت منتشرة في الشرق ، كان الامبراطور الأخير امبـراطورا رومـانيا يحـكم مـن القسطنطينية ، ولكن عندما تـرجم في القـرن الثـامن « المنهـج الكاذب » الى اللاتينية ، في باريس ، بـدات الدعوة الى تفسـيرات جديدة . وكان المتوقع انه عندمـا يحتـل امبـراطور الأيام الأخيرة مكانه في التخيلات الغيبية في الغرب ، فـانه سـيتوقف عن أن يكون بيزنطيا ، ومن وجهة النظـر الأوروبية الغـربية ، كان امبـراطور القسطنطينية شخصية بعيدة مبهمة ، ومن جانب أخـر كان الغـرب قادرا على اقناع نفسه أنه بحصول شارلمان على اللقب الامبراطوري فإنه سيشهد بعثا للامبراطورية الرومانية .

وبدا أن الفجوة التي تركها خلع آخر الاباطرة في الغرب ، بعد ان بقيت شاغرة أكثر من ثلاثة قرون قد تم ملؤها بـأعظم مـا يمـكن ، عندما توج في كنيسة القديس بطرس في روما يوم عيد ميلاد المسـيح من عام ٨٠٠ شارل ملك الفـرنجة وملك اللومبـارد ، امبـراطورا للرومان ، ومنذ ذلك الحين كان بـالامكان تصـور امبـراطور الأيام الأخيرة كملك غربي ، وبقـي كذلك مـع ان شـارلمان لم يتـرك امبراطورية أرضية وراءه ، وفي كل من الجـزء المتعلق بـالمقاطعات التي كانت تابعة لشـارلمان ، والتـي أصـبحت فـرنسا ، وفي (ص ٧٢) تلك التـي أصـبحت المانيا ، اسـتمر الناس يحلمـون بامبراطور عظيم سيقوم في وسـطهم وسـتتحقق بـه نبـوءات السبلنيين ..

ونحو نهاية القرن الحادي عشر ، وبينمـا كانت فـكرة الحـرب الصليبية قائمة ، أحرزت هذه التخيلات جيشـانا جـديدا والحـاحا وقبل الحملة الصليبية الأولى ببضع سنوات نجد أن بنزو أسقف البا يتنبأ بأن الملك الألماني الحاكم والامبراطور الروماني هنري الرابـع سيغزو بيزنطة ، ويهزم الكفار ويزحف نحو القدس . وإنه سـيلتقي المسيح الدجال هناك وسيهزمه ، وبعـد ذلك سـيحكم امبـراطورية عالمية حتى نهاية العالم ، وصدور هذه الكلمات عن أسقف ذي عقلية سياسية كان نصيرا متحمسا للامبـراطور في صراعه مـع البـابوية ربما يجعلها لاتؤخذ بمعناها الظاهري ، ولكن عندما تجمع الدهماء بعد ذلك بوقت قصير من اجل الحملة الصليبية في جـو مـن الاثـارة المحمومة ، عادت النبوءات السبلينية القديمة للظهور وقد اكتسـبت ديناميكية مـذهلة ، وعقـب راعي دير متعلم بإزدراء قـائلا :« إنه بفضل نشاط الأنبياء المزيفين كان هؤلاء الناس مشبعين بحـكايات حول قيام شارلمان من الموت بهدف قيادة الحملة الصليبية » .

وفي الواقع ان حشدا عظيما من التراث الشعبي كان يتجمع حول الشخصية الهائلة لأول الكارولنجيين لقد أصبح شارلمان يرى فـوق كل بطل نبيل كنصير للمسيح والمدافـع الذي لايتعـب عن النصرانية

ضد القوة المسلحة للاسلام ، وفي النصف الثاني من القرن الحادي عشر اصبح الاعتقاد شاملا تقريبا انه قد قاد مرة حملة صليبية الى القدس واجبر الكفار هناك على الهرب ، واعاد المسيحيين الذين طردوا الى وضعهم السالف ، وتروي اكثر من حولية كيف ان الصليبيين في ١٠٩٦ رحلوا على الطريق الذي كان يفترض ان شارلمان قد بناه بهذه المناسبة ، وعلاوة على ذلك كان الاعتقاد ايضا على نطاق واسع ان شارلمان لم يمت بالمرة ، وانما كان نائما فقط سواء في مدفنه في آخن أو بداخل أحد الجبال ، حتى تأتي الساعة كي يعود الى عالم الرجال ، وعلى هذا كان من السهولة بدرجة كافية بالنسبة للوعاظ الشعبيين التجنيد للحملة الصليبية ، والجمع بين هذه القصص ونبوءات السبلنيين ، وأن يقودوا الشعب العادي ليرى في شارلمان ذلك الامبراطور العظيم الذي كان عليه ان ينفض عنه النعاس ، ويقضي على قوة الاسلام ، ويقيم عصر النعيم الذي كان مقدرا له أن يتقدم على النهاية : هل أصبح شارلمان المبعوث حيا ايضا ، في ايدي المتنبئين ، ملكا شحاذا وراعيا للفقراء ، يمكن مقارنته بملك الطفور الذي مع انه كان معدما ، كان أعلى الناس منزلة ، وحصل على القدس نفسها كهدية ؟ اننا لانعرف ولكن الفقراء بالتأكيد كانوا قادرين على تحويل الامبراطور النائم "للنهج الكاذب" حسب رغباتهم الخاصة الى مخلص لايقضي فقط على الكفار بل يسعف (ص ٧٣) ايضا ويرفع الطبقة الدنيا ، وقد فعلوا ذلك كثيرا بدرجة كافية في القرون التالية ولعلهم نفذوا ذلك بالفعل في زمن الحرب الصليبية الأولى .

وقد شعر الدهماء ان الامبراطور الأخير لابد منه لتحقيق آمالهم العميقة حتى أنهم لم يروا فيه مجرد شبح شارلمان القائم بل ايضا احيانا احد الرجال الأحياء ، والقادة الفعليين للصليبيين ، وكانت صورة المخلص العملاقة تنعكس مسلطة على غودفري أوف بوليون دوق اللورين الأدنى وعلى ذلك السياسي العنيد ، ريموند صنجيل كونت طولوز ، وربما ايضا على ذلك الفارس النورماندي الذي يقال انه قد أصبح ملك الطفور ، وفوق كل شي يبدو جليا أن الرجل الذي

اوحى بالمذبحة الكبيرة لليهود في المدن الواقعة على طول الراين ، أي اميكو أو امريش كونت ليتنجن قد فرض نفسه على أتباعه كامبراطور الأيام الأخيرة ولقد كان بارونا اقطاعيا سيء السمعة لضراوته ، ولكنه ادعى بأنه قد دعي لحمل الصليب في الرؤى والالهام الالهي ، وفي احد الأيام جاءه رسول من المسيح ووضع على لحمه علامة ـ لاشك انها العلامة التقليدية للاختيار الالهي أي الصليب ووضعها على أو بين لوحي الكتف ، وهي التي كان يعتقد ان شارلمان كان يحملها،وان الامبراطور الأخير أيضا سيحملها، وادعى اميكو ان هذه العلامة كانت رمزا مؤشرا على أن المسيح نفسه سيقوده الى النصر ، وفي الوقت المناسب سيضع تاجا على راسه ، وان هذا التتويج سيحدث في ذلك القسم من جنوب ايطاليا الذي كان يحكمه الامبراطور البيزنطي ولم يكن هذا كله يعني سوى ان هذا السيد الألماني الصغير كان ينتحل الدور الذي حاول أسقف بنزو عبثا ان يضفيه على الامبراطور هنري ـ ولهذا قرر أنه سيكون الامبراطور الغيبي الذي سيقوم بتوحيد الامبراطوريتين الغربية والشرقية ، ثم يشق طريقه الى القدس ؟ وفي الحقيقة كانت حملات اميكو مخزية بدرجة كافية ، وجماعته من الدهماء الألمان والفرنسيين والفلمنك واللورين لم تصل ابدا الى أسيا الصغرى وإنما هزمت وشتت من قبل الهنغار ، وعاد هو نفسه الى وطنه بمفرده ، ومع ذلك فان هالة القوة الخارقة كانت تلصق بأميكو ، وبعد مقتله في ١١١٧ بسنوات افترض أنه يتابع نوعا من الوجود في جبل قرب ورمز رؤي منه يظهر من وقت لآخر وسط فرقة مسلحة ، وهذه اسطورة توحي بقوة بأن الخيال الشعبي قد أصر على تحويله الى بطل نائم لابد ان يعود يوما ما .

اما بالنسبة للحملة الصليبية الثانية لم يكن هناك شك حول من كان المرشح المناسب لدور الامبراطور الأخير ، ففي حين لم يشترك اي ملك في الحملة الصليبية الأولى ،إنه بعد نصف قرن عندما ناشد البابا يوجينيوس لتقديم المساعدة لمملكة القدس التي كانت تتوسل بشدة ، استجاب لويس السابع ملك فرنسا بحماس وفي يوم عيد

ميلاد المسيح في سنة ١١٤٥ اخذ الملك على نفسه عهد الصليبيين في الكنيسة الملكية في سانت دنيس بين مشاهد الحماس الشعبي الكبير (ص ٧٤) ومنذ انقضاء القرن كانت هناك نسخ جديدة منتشرة من التيبورتينا التي تنبيء بملك مقبل لفرنسا سيحكم كلا من الامبراطوريتين الغربية والشرقية وبيزنطة والذي في النهاية كامبراطور للأيام الأخيرة سيضع تاجه ورداءه في الجلجلة،ومن الطبيعي بدرجة كافية انه عندما انتاب الحماس الصليبي مرة أخرى سكان أوروبا الغربية انطبقت النبوءة على لويس ، وفي الوقت نفسه بينما كان المتنبيء رودلف يدعو لذبحة اليهود ، جاءء هاتف غيبي ايضا على لسان متنبيء أخر وجرت دراسته بلهفة ، وكل ماكان واضحا حول هذا الهاتف هو أنه وعد لويس بمدن القسطنطينية ، وبابل وامبراطورية في آسيا الصغرى ، وأضاف أنه عندما بلغ هذا القدر فان الحرف « ل » سيتحول الى « ك » وهذه الايماءات تكفي لتدل على برنامج أخروي كامل ، ان لويس سيصبح امبراطور الشرق ، يحكم بيزنطة ثم يستولي على « بابل » التي كانت في نبوءات السبلنيين تصور على انها العاصمة الرمزية للكفار ومأوى الشياطين ومسقط راس المسيح الدجال ــ فهي نوع من النظير الشيطاني لمدينة القدس ، وفي النهاية يصبح الملك الذي سيكون اسمه « ك » (كما في التبورتينا) ــ وبكلمات سيكون ذلك كونستانس الجديد أو المبعوث المقدر له ان يكون امبراطور الأيام الأخيرة .

وكان تأثير هذا الهاتف كبيرا جدا ، ويبدو فقط من دراسة السبلنيين ان القديس برنارد كان قد اقنع بالتغلب على معارضته الأولى للوعظ بالحملة الصليبية ، وانه لولا تلك التعاليم ربما لم تكن هناك حرب صليبية ، علاوة على ذلك كان الهاتف قد درس لا في فرنسا فقط بل في المانيا ايضا حيث كان الملك كونراد الثالث مجرد معارض صليبي وليس منافسا بالمرة للويس ، ومع ذلك لم يكن لويس نفسه على كل حماسه الصليبي على الاطلاق ميالا لأن يكون هناك ضغط أخروي عليه ، ولكونه ملكا حقيقيا وليس هاويا كان

على أي حال مشتركا طوعا أو كرها في المؤامرات السياسية والصراعات التي لازمت هذه الحملة الصليبية من البداية ، وكانت النتيجة انه بينما كان ملكا فرنسا والمانيا يشقان طريقهما الى الحصار الهزلي لدمشق ترك الدهماء يرهقون بالمذابح والمجاعة ، ومرتبكين بلا قيادة ليتابعوا وحدهم السراب المهلك لملكة القديسين .

الحشود الشيطانية:

رأى الدهماء الذين شاركوا في الحملة الصليبية الشعبية ضحاياهم وقادتهم بتعابير الايمان بالأخرويات التي استمدوا منها اساطيرهم وخرافاتهم الاجتماعية (ص ٧٥) وطبقا لتقاليد يوحنا والسبلنيين كليهما ، قبل ان يبزغ فجر الألفية على الكفرأن ينتزع ويزال ، بمعنى ان مثل العالم المسيحي المقدس هي بالطبع بعمر المسيحية نفسها ، ومع ذلك بقيت المسيحية عادة كما كانت في أصلها ديانة تبشيرية ، كانت تصر على أن إزالة الكفار يجب ان تنجز من خلال تحويلهم للديانة المسيحية ، والجموع المسيحية التي بدأت في التشكل في القرنين الحادي عشر والثاني عشر من جانب أخر لم تر سببا بالمرة في ان لاتحقق هذه الازالة بصورة مساوية عن طريق الابادة لمن لايدخلون في المسيحية ، وعبر نشيد رولاند الملحمة الشهيرة التي كانت التجسيد الأدبي الأعظم تأثيرا لروح الحملة الصليبية الأولى وفيها تم التعبير عن الموقف الجديد بوضوح تام .

لقد استولى الامبراطور على سرقسطة ،و ارسل الفا من الفرنجة لتفيش المدينة بشكل شامل :المساجد و الكنس اليهودية ،و حطموا الأوثان و التماثيل بمطارق حدادية و بلط ،و من ثم لم يعد هناك مكان للتعاويذ و الشعوذة . فالملك يؤمن بالرب ،و يرغب في خدمته ،و أساقفته يباركون الماء و الوثني يؤتى به الى بيت العمودية ، فاذا قاوم اي واحد منهم شارلمان ، أمر الملك بشنقه أو حرقه حتى الموت أو ذبحه بالسيف » وفي عيون دهماء الصليبية كان ضرب أوايذاء

المسلمين واليهـود أو قتلهـم اول عمـل في تلك المعـركة الأخيرة ـ حسبما كانت بالفعل في تخيلات المؤمنين بـالأخرويات لدى اليهـود والمسيحيين الأوائل ـ التي تتأوج بقتل امير الشر نفسه ، وكان فوق تلك الحشود اليائسة ، وهي تتحرك للقيام بـالمذبحة ، يلوح شـبح المسيح الدجال ، ويسقط الظل العملاق المرعب حتى عبر صـفحات الحوليات : ان المسيح الدجال قد ولد بالفعل ، وفي اي لحـظة ربمـا يقيم المسيح الدجال عرشه في معبـد القـدس ، وحتـى بين رجـال الاكليروس الكبار كان هناك بعض من كان يقول مثل هـذا ، وعلى الرغم من قلة قيمة هذه التخيلات في حسابات البابا أوربـان .كانت الحوليات تنسبها حتى اليه في محاولة لوصف الجو الذي انطلقت فيه الحملة الصليبية الأولى :« انها إرادة الرب » هكذا جعـل أوربـان يتفوه في كليرمونت ، وانه من خـلال جهـود الصـليبيين سـتزدهر المسيحية مرة أخرى في القدس ، في هذا الزمان الأخير ، حتـى انه عندما يبدأ المسيح الدجال حـكمه هناك ـ كمـا يجـب ان يفعـل قريبا ـ سيجد عددا كافيا من المسيحيين للقتال .

ومع تخصيص الكفار بأدوارهم في دراما الأخـرويات ، حـولهم الخيال الشـعبي الى شـياطين ، وفي الأيام السـوداء للقـرن التاسع ، عندما كانت النصرانية مهددة حقا بالتقدم المنتصر للاسلام قـرر بعض رجـال الأكليروس (ص ٧٦) بحـزن ان محمـدا (ص) لابـد كان « نذيرا » بمجـيء المسـيح الدجـال الشرقي ، ورأوا في المسلمين عموما كهنة للمسيح الدجـال ، والآن وقد شنت النصرانية هجومها المضاد ضد الاسلام الذي كان بـالفعل في تقهقر ، صورت الملاحم الشعبية المسلمين كمخلوقات غريبـة ذات مجموعتين من القرون (أمامية وخلفية) واعتبرتهم شياطين لاحق لها في الحياة .

ولكن اذا كان العربي (وخليفتـه التـركي) قـد بقيا في الخيال الشعبي بصفة شيطانية معينة ، فان اليهودي كان صـورة مـرعبة أكثر وكان اليهود والعرب يعتبرون بشكل عام متقاربين جدا ، ان لم

يكونوا متماثلين ، ولكن حيث ان اليهود يعيشون مبعثرين في أوروبا المسيحية فانهم أصبحوا يشغلون القسم الأكبر حجمـا في الايمـان الشعبي بالشياطين ، علاوة على انهم كان يشغلونه منذ فترة اطول بكثير ، مع نتائج امتدت عبـر الأجيال ، والتـي تضـمنت مـذابح الملايين من اليهود الأوروبيين في منتصف القرن العشرين،ومع الزمن بدأوا يتخذون خصائص شيطانية مميزة واصبح اليهود ابعد مـن ان يكونوا قادمين جدد الى اوروبا الغربية،وفي اعقـاب الصراع المفجـع ضد روما وتدمير اليهود في فلسطيين حملت الهجرات وعمليات النفي الكبيرة اعدادا كبيرة من اليهود الى فـرنسا ووادي الراين ، ومـع انهم لم يحرزوا في تلك الأراضي بروزا ثقافيا او نفوذا سياسيا كمـا كان لهم في اسبانيا التي ساد فيها الاسلام فـان نصـيبهم في أوائل العصور الوسطى لم يكن بأي حال صعبا ، ومن الفترة الكارولنجية ومابعدها كان هناك تجار يهود يسافرون جيئة وذهابا بين اوروبـا والشرق الأدنى بالبضائع النفيسة ، مثل التوابل والبخـور والعـاج المحفور ، وكان هناك ايضا حـرفيون يهـود كثيرون ، وليس هناك دليل يوحي بأن اليهود كان ينظر اليهم في تلك القرون الأولى بكراهية اوخوف خاص من قبل جيرانهـم المسـيحيين بـل العــكس كانت العـلاقات الاقتصـادية والاجتمـاعية بين الهيود والمسـيحيين منسجمة ، والصداقات الشخصية والمشاركة التجارية لم تـكن غير شائعة ، ومن الناحية الثقافية قطع اليهود شـوطا بعيدا في تـكييف انفسهم مع البلاد المختلفة التي سـكنوها ، وبقـوا يهـودا ، لقـد رفضوا أن يذوبوا في السكان الذين عاشوا بينهم ، وكان ذلك حاسما من أجل مصير ابنائهم من بعدهم .

ورفض الذوبان هذا الذي تكرر في الأجيال الكثيرة جدا من الهـود منذ بدا التشتت في القرن السادس قبل الميلاد ، هو في ذاته ظـاهرة غريبة جدا ، اللهم الا باستثناء الغجر الى حد ما ، ويبـدو انه ليس هناك شعب تشـتت بعيدا وعلى اتسـاع كبير ، وليس له وطـن ولا وطنية ولا ارض خاصة به ولا حتى اي تجانس عرقي كبير بقي حتى الآن ككيان ثقافي غير محدود ، ويحتمل أن حل هذا اللغز الاجتماعي

يوجد في الديانة اليهودية التي لم تعلم فقط اتباعها ـ مثل المسيحية والاسلام ـ أن يعتبروا انفسهم كشعب مختار من (ص ٧٧) قبل رب كلي القدرة ، بل علمتهم ايضا أن يهتموا بالمحن المشتركة الساحقة ـ الهزيمة والاذلال والتشتت ـ كرموز فيها دليل على عطف الهي وكضمانات لمستقبل جماعي مبارك ، وكان الذي جعل اليهود يبقون يهودا ، كما يبدو هو اقتناعهم التام بأن التشتت كان مجرد تكفير مبدئي عن الخطيئة المشتركة ، وتحضير لمجيء المسيح ، والعودة الى أرض مقدسة مجددة ، ومع أنه بعد الانهيار النهائي للدولة اليهودية ، كانوا عادة يعتقدون أن هذا الاكتمال يعود الى مستقبل بعيد بغير حدود ، علاوة على أنهم بهدف ضمان بقاء الدين اليهودي احكمت صياغة مجموعة من الطقوس منعت بشكل فعال اليهود من الاختلاط بالناس الآخرين ، فالزواج المتبادل مع غير اليهود كان محظورا ، والأكل مع غير اليهود جعل في غاية الصعوبة حتى قراءة كتاب غير يهودي كان إثما .

وربما كانت هذه الظروف كافية لشرح لماذا بقيت اليهودية كل هذه القرون من الشتات كطائفة معترف بها بوضوح ، مرتبطة بشعور قوي من التماسك بعيدا نوعا ما ومتحفظة في موقفها من الغرباء ومتعلقة بيقظة وحذر بالمحرمات التي صممت لهدف تأكيد وتخليد عزلتها ، ومن جانب أخر إن هذه الوقاية الذاتية والميل الانعزالي لا يمكن أن يفسرا بشكل كاف بالكراهية الغريبة في شدتها والمتواصلة التي كانت في المسيحية وفي المسيحية فقط موجهة ضد اليهودية ، اكثر منها تجاه أي مجموعة اخرى خارجة عنها ، وما يفسر ذلك هذه الصورة الخيالية تماما لليهودي التي استحوذت فجاة على خيال الحشود الجديدة في زمن الحملة الصليبية الأولى .

وقد مهدت التعاليم الكاثوليكية الرسمية الطريق ، فقد مالت الكنيسة دائما الى اعتبار المعبد اليهودي نفوذا خطيرا وحتى منافسا محتملا ولم تتوقف ابدا عن متابعة الهجوم العنيف ضد اليهودية ، وعلى مدى أجيال تعود العامة من المؤمنين بالمسيحية أن

يسمعوا الادانة المريرة لليهود من منبر الوعظ كمنحرفين فاسدين عنيدين وناكرين للجميل لأنهم رفضوا القبول بالوهية المسيح ، وايضا كحملة ذنب رهيب موروث لقتل المسيح ، علاوة على أن التقاليد المتعلقة بالايمان بالاخرويات قد ربطت طويلا بين اليهود والمسيح الدجال نفسه ، وبالفعل كان علماء اللاهوت في القرنين الثاني والثالث يتنبأون بأن المسيح الدجال سيكون يهوديا من سبط دان ، وقد أصبحت هذه الفكرة مألوفة حتى أنها في العصور الوسطى كانت مقبولة حتى من قبل اختصاصي الفلاسفة اللاهوتية مثل القديس توماس الأكويني ، وكان يعتقد أن المسيح الدجال سيولد في بابل ، وسيترعرع في فلسطين وسيحب اليهود اكثر من كل الشعوب ، و سيعيد بناء المعبد لهم و سيجمعهم من شتاتهم معا (ص ٧٨)و سيكون اليهود من جانبهم اكثر اتباع المسيح الدجال اخلاصا وسيقبلونه كمسيح قدر له أن يستعيد الامة ، ولئن تطلع بعض اللاهوتيين الى تحول عام لليهود الى المسيحية تمسك أخرون بأن عماهم سيبقى حتى النهاية ، وأنهم عند الحساب الأخير سيرسلون مع المسيح الدجال نفسه ليعانوا من عذاب الجحيم الى الابد ، وفي خلاصة المعتقد التقليدي بالمسيح الدجال التي انتجها ادسو مونتييه ـ أن ـ دير في القرن العاشر ، والتي بقيت الأصل الذي يستشهد به خلال العصور الوسطى نجد أن المسيح الدجال وإن بقي يهوديا من سبط دان قد أصبح خارقا للطبيعة وشريرا ، وسيكون من نسل عاهرة وحقيرا لا قيمة له على أنه في لحظة الحمل به يدخل الشيطان رحم العاهرة كروح وبذلك يضمن أن الطفل سيكون تجسيدا حقيقيا للشر ، وفيما بعد ينفذ تعليمه في فلسطين من قبل سحرة ومشعوذين ، سيلقنونه الفن الأسود وكل الشرور .

وعندما تبنت حشود أواخر العصور الوسطى كل النبوءات المتعلقة بالأخرويات كانت كل هذه التخيلات تعامل بجدية مميتة وتفصل في أساطير غريبة عجيبة وحيث أن الشخصية البشرية للمسيح الدجال كانت تميل للاندماج في الشخصية الشيطانية

لابليس ، كان هناك ميل لاظهار اليهود كشياطين يخدمون إبليس ، وفي الدراما والصور كانوا يظهرون كثيرا كشياطين بلحى وقرون ماعز ، في حين حاولت السلطات في الحياة الحقيقية والدينية والمدنية على السواء أن تجعلهم يضعون قرونا على قبعاتهم ، ومثل الشياطين الأخرى كانوا يتخيلون ويصورون مرتبطين ارتباطا وثيقا بمخلوقات ترمز للشهوة والقذارة : وحوش ذات قرون ، خنازير ، ضفادع ، ديدان ، افاعي وعقارب ، وبشكل معكوس كان الشيطان نفسه عادة يعطي ملامح يهودية ، وكان يشار اليه على انه « ابواليهود » . وكان الاهالي مقتنعين بأن اليهود في معبدهم يعبدون الشيطان في صورة هر أو ضفدع - ويلتمسون عونه في القيام بالسحر الأسود ، ومثل معلمهم المفترض كان الاعتقاد بأنهم شياطين التخريب الذين هدفهم الوحيد هو تخريب المسيحية والمسيحيين أو كما اسموهم في التمثيلية الأعاجيبية الفرنسية : « شياطين الجحيم وأعداء الجنس البشري »

وإذا بدا أن قوة اليهود اكبر مما كانت ابدا ، فإن فعلهم للشر الذي يفوق المدى ، وشعوذتهم الأكثر أذى كانت مجرد علامة أخرى أن النهاية قد باتت حقا وشيكة ، وكان يعتقد انه في التحضير للصراع الأخير سيكون لليهود مباريات غريبة هم فيها كجنود للمسيح الدجال ، سيمارسون الطعن ، وحتى الأسباط العشرة الضائعة من بني اسرائيل الذين راهم كوموندياس بمثابة الجيش - المنتظر للمسيح أصبحوا يشبهون بمجموعات المسيح الدجال أي شعوب يأجوج وماجوج التي وصفها(ص ٧٩) النهج الكاذب على انها تعيش على اللحم البشري والجثث والأجنة التي يمزقون من اجلها أرحام امهاتهم ، وعلى العقارب ، والأفاعي وعلى كل الزواحف الأكثر إثارة للتقزز ، وكتبت المسرحيات الدرامية التي تظهر كيف أن شياطين اليهود ستعاون المسيح الدجال على غزو العالم حتى عشية المجيء الثاني وبداية الألفية السعيدة ، فوقتها سيباد المسيح الدجال واليهود معا بين ابتهاج المسيحيين ، واثناء أداء مثل هذه الأعمال الفنية كانت القوة المسلحة لازمة لحماية حي

اليهود من غضب الجماهير ،قد يصر البابوات والمجامع على أنه مع أن اليهود يجب عزلهم واهانتهم حتى يوم تحولهم الى المسيحية ، يجب بالتأكيد عدم قتلهم ، غير أن مثل هذه الرقة كان لها تأثير محدود على الجماهير الهائجة التي اكتسحتها أمال ومخاوف الأخرويات ، واقلعت بسبب ما تعلمته على الانغماس في الصراع الهائل للأيام الأخيرة .

وغالبا ما عزيت كراهية اليهود الى دورهم كمقرض للأموال ، وإنه لمفيد حقا معرفة كم كانت العلاقة بالتأكيد ضعيفة فعلا ، ذلك أن تخيلات اليهودي الشيطاني موجودة قبل حقيقة إقراض المال اليهودي ، التي ساهمت في الواقع في افرازها ، وكما حدث في عصر الحروب الصليبية أخذ عدم التسامح الديني يشتد أكثر فأكثر ، ولذا تدهورت الحالة الاقتصادية لليهود بسرعة ، وفي مجمع اللاتران في ١٢١٥ تقرر أن اليهود يجب أن يحرموا من كل الوظائف المدنية والعسكرية ، ومن تملك الاراضي ، وقد دمجت هذه القرارات في القانون الكنسي ، وكتجار ايضا كان اليهود في ظروف معوقة اكبر ، لانه لم يعد بإمكانهم السفر دون المخاطرة بتعرضهم للقتل ، الى جانب أن المسيحيين انفسهم بدأوا يتحولون الى التجارة وبدوا بسرعة اليهود الذين حرموا من العصبة الهنسياتية ، والذين لم يكن يمكنهم بالطبع منافسة المدن الايطالية والفلمنكية ، وبالنسبة لليهود الأكثر غنى كان اقراض المال المجال الوحيد للنشاط الاقتصادي ، الذي بقي مفتوحا وكمقرضين للمال امكنهم البقاء في بيوتهم ، بدون القيام برحلات خطرة ، وبإبقاء ثرواتهم في حالة سيولة كما أمكنهم في حالة الطوارىء الهرب دون فقدها كلها ،وعلاوة على ذلك مع الاقتصاد المتوسع بسرعة في غرب اوروبا كان هناك طلب مستمر وملح للتسليف وإقراض المال بالفائدة ـ الذي وسم بالربا الفاحش ـ وحرم على المسيحية بموجب القانون الكنسي وشجع اليهود الذين لم يكونوا بالطبع خاضعين للحظر ، وحتى أجبروا من قبل السلطات على الاقراض مقابل ضمانات ، وامتدحوا لتوليهم هذا العمل الضروري .

وكان إقراض المال اليهودي على أي حال ذا اهمية مؤقتة في الحياة الاقتصادية للعصور الوسطى ، ومع تطور الراسمالية تجاهل المسيحيون انفسهم بتصميم اكبر(ص ٨٠) الحظر الكنسي على اقراض الأموال .

وبالفعل مع حلول منتصف القرن الثاني عشر كان راسماليو البلاد المنخفضة يقدمون قروضا كبيرة بالفائدة ، كما أصبح الايطاليون خبراء مصرفيين ، ومع هؤلاء الرجال عجز اليهود عن المنافسة ، وفرضت المدن واللوردات المحليون والملوك ضرائب ثقيلة على اليهود عندهم ، وكثيرا ما كان الاسهام اليهودي في الخزانة الملكية ومواردها المالية عشرة أضعاف ما سوغته أعدادهم ، ومرة اخرى وجد اليهود انفسهم في ظروف غير مواتية بلا أمل ، ومع أن مقرضي الأموال بشكل فردي كانوا قادرين من حين لآخر لا سيما في البلدان المختلفة على تجميع ثروات كبيرة ، فإن الضرائب الكيفية كانت تنزل بهم الى الفقر مرة أخرى ، ولم يكن اليهود الأغنياء كثيرين ابدا : كان معظمهم ممن يسمى الآن أدنى الطبقة الوسطى ، وكان العديد منهم فقراء بكل معنى الكلمة ، وفي نهاية العصور الوسطى كان هناك قلة من الثروات اليهودية في شمال أوروبا للاسهام في التطور الهائل الذي تلا اكتشاف العالم الجديد .

وبتجريدهم من الثروات الكبيرة ، عاد بعض اليهود الى الاقراض على نطاق ضيق والاقراض لقاء رهن ، وهنا بالتأكيد كانت اسس الكراهية الشعبية وما كان مرة ثقافة يهودية مزدهرة تحول في ذلك الوقت الى مجتمع خائف محاصر في أعمال حربية دائمة مع المجتمع الأكبر المحيط به . ويمكن اعتباره مؤكدا أن مقرضي الأموال اليهود كانوا يستجيبون لعدم الأمان والاضطهاد باستخدام قسوتهم ، ولكن قبل أن يحدث ذلك بالفعل بزمان طويل أصبحت كراهية اليهود مستوطنة لدى الجماهير الأوروبية ، وحتى فيما بعد عندما شرعت الحشود في قتل اليهود فإنها لم تقصر نفسها على مقرضي الأموال القليلين نسبيا بل قتلت كل يهودي أمكنها أن تضع

يدها عليه ، ومن جانب احر كان أي يهودي يقرض الأموال يمكنه أن ينجو من المذبحة بالخضوع للتعميد ، لأنه كان يعتقد أن التعميد يزيل طبيعته الشيطانية بشكل مؤكد . ولم يكن اليهود على أي حال هم الوحيدون الذين يقتلون ، وكما سنرى في الفصول المتأخرة إن حشود الفقراء التي كانت تستلهم الايمان بالأخرويات سرعان ما تحولت الى الأكليروس أيضا ، وهنا أيضا كان القتل ينفذ اعتقادا بأن الضحايا كانوا عملاء للمسيح الدجال وابليس ، وكانت ابادتهم شرطا لازما للألفية السعيدة ، وإذا كان معظم الناس قد اعتقدوا أن المسيح الدجال لابد أن يولد يهوديا ، فإن هناك العديد ممن اعتقدوا انه سيكون ابنا لأسقف وراهبة ، علاوة على ذلك أن مارتن لوثر لم يكن (كما يفترض) أول من الح على فكرة أن المسيح الدجال الذي سيقيم عرشه في المعبد لا يمكن أن يكون غير بابا روما ، وأن كنيسة روما بناء عليه هي كنيسة الشيطان .

فبين ذوي الأفكار المشبعة بالأخرويات في العصور الوسطى كانت الفكرة بالفعل عادية مألوفة وحتى بطلا مناصرا للكنيسة كالقديس برنارد قد اصبح يعتقد في توقعاته الشديدة للدراما الأخيرة أن عددا كبيرا من رجال اللاهوت يتبعون حشود المسيح الدجال ، وفي أقوال المتنبىء الذي أحرق كمهرطق في باريس في ١٢٠٩ فكرة مماثلة تبدو كجزء متمم من عقيدة استمدت بوضوح من تقاليد يوحنا والسبلينيين ، وكان هذا الرجل صائغا وتحول الى كاهن ، تنبأ بأنه خلال خمس سنوات ستهلك المجاعة الناس ، وسيذبح الملوك الواحد الآخر بالسيف وستنشق الأرض وتبتلع سكان المدن ، وفي النهاية ستسقط النار على الذين هم اتباع للمسيح الدجال من أساقفة الكنيسة ومطارنتها ، وأصر على أن البابا كان المسيح الدجال نظرا للسلطة التي يملكها ، وان بابل سفر الرؤيا كانت في الواقع روما ، وبعد ذلك التطهير العظيم ستخضع الأرض كلها بكل ممالكها للملك المقبل لفرنسا لويس الثامن ــ كان مايزال الابن البكر للملك في ذلك الوقت ــ وهو ملك يؤمن بالأخرويات وتستحوذ عليه المعرفة وسلطة

الكتب المقدسة وسيحكم إلى الأبد تحت الشريعة والارادة الالهية لروح القدس .

واي حركة الفية كانت في الواقع مجبرة تقريبا بموجب الحالة التي وجدت نفسها فيها على أن تنظر إلى رجال اللاهوت على انهم اخوانية شيطانية ، وكانت جماعة من غير رجال اللاهوت برئاسة قائد يدعي انه مسيح منتظر ، ومقنعه انها مكلفة من الرب بمهمة كبيرة هي تمهيد الطريق للالفية ، ملتزمة بأن تجد في الكنيسة المؤسساتية في افضل الأحوال خصما عنيدا ، وفي أسوأها مضطهدا قاسيا .

ولكن او لم يكن في طبيعة المسيح الدجال أن يفعل اي شيء في إمكانه ليعوق بالخدعة والعنف التحقق الالهي المقدر ؟ واي الوسائل يمكن أن يجدها افضل من أن يتنكر تحت العباءة والتاج البابوي ، وأن ينشر السلطة الكبيرة والنفوذ الكنسي ضد القديسيين ؟ فإذا كان الأمر كذلك فما هي الطريقة الأخرى التي يمكن بها رؤية الكنيسة المعادية للمسيح سوى كونها عاهرة بابل ، « المراة السكرى بدم القديسين » أم المقت « التي ارتكب معها ملوك الأرض الزنا والفسوق ، وأسكر سكان الأرض بنبيذ فسقها » ؟ وماهي الطريقة الأخرى التي يمكن بها رؤية رجال لاهوت هذه الكنيسة غير الوحش متعدد الرؤوس الذي يخدم المسيح الدجال ويحمل العاهرة على ظهره وهي تتلفظ بالتجديف وتحارب القديسين ؟ إن رجال اللاهوت كوحش سفر الرؤيا : هل هناك صورة اكثر اقناعا للالفيين المتحمسين الذين كانت حياة رجال اللاهوت في أعينهم لاشيء سوى البهيمية ، والحياة الحيوانية وهو وجود اعطي كليا للدنيا والجسد .

هل كانت كنيسة العصور الوسطى حقا غارقة في مثل هذه المادية الشديدة(ص ٨٢) أم أن الاعتقاد بهذا المعنى العام الذي مايزال منتشرا حتى اليوم تبسيط مبالغ فيه يمكن مقارنته بذلك الذي قرن

يهودية العصور الوسطى بالربا الفاحش للعصور الوسطى ؟

إنه بالتأكيد لايمكن نفـي أن الكنيسـة التـي فعلت الكثير جـدا لتشكيل مجتمع العصور الوسطى كانت أيضا إلى حد كبير جزءا من هذا المجتمع ، وبالفعل قبـل سـقوط الأمبـراطورية الغـربية كان الأباطرة بمنحهم الكنيسة ثروات المعابد الوثنية قد جعلوا منها أعظم مالك للأرض في العالم ، وهذا الغنى الذي مكن الكنيسة أن تنجو من الهجرات الكبيرة والغزوات سالمة نسبيا ، كان يتزايد قرنا بعد قرن بوصايا الارث والتقدمات من الأمراء والأغنياء ، وبمـوجب قـانون الكنيسة كانت ممتلكات الكنيسة غير قابلة للتحـويل ، وهـكذا على الرغم من السلب من قبل أصحاب السلطان من المدنيين انتهت بـأن أصبحت هائلة ومنظمة لها مثل هـذا الموقـف الجيد ولديهـا طبعـا توظيفات مغرية يمكن تقـديمها،وكانت العـائلات النبيلة في العـادة تحصل بنفوذها أو حتى بالشراء على مراتب كنسية مريحة لابنائهـا الأصـغر ، وكثير مـن الأسـاقفة ورعاة الأديرة الذين عينوا بهـذه الطريقة كانوا ببساطة سياسيين ، أو من رجال الحـاشية الملكية أو أمراء في زي كهنوتي ، وقد حول رعاة الأديرة أديرتهم إلى مؤسسات فاخرة في حين بنى الأساقفة قصورا محاطة بخنادق وابراج وعاشوا فيها وفق النمط الفاخر نفسه الذي عاش فيه السـادة الاقـطاعيون العظام الآخـرون ، ولم يكن بـلا سـبب أن الناس العـاديين كانوا يشكون من رجال اللاهوت ومن « أنهم لايعتنون بنا مـطلقا ، إنهـم يعيشون حياة فاضحة ، إنهم يدوسون على رؤوسـنا .... إن الناس العاديين يصنعون كل شيء ويقدمون كل شيء ، ولكنهم لايسـتطيعون العيش دون أن يتعذبوا إلى الأبد وأن يدفعوا إلى الخراب مـن قبـل رجال اللاهوت .... إن رجال اللاهوت ذئاب ثائرة .... » .

علاوة على انه على الأقل من القرن الثالث عشر وما بعـده كانت البابوية نفسها بشكل واضح وبـلا جـدال دنيوية ، وكان البـابوات يميلون لأن يكونوا في المقام الأول رجال دولة ورجال إدارة ، وأعظـم متداول للمال ، ومكن إحياء التجارة البابوية من تطوير نظام مـالي

على معايير اوروبية تشغل من قبل بيرقراطية معقدة عالية التدريب ، ومع ذلك فإن البابوية قد تدان بقوة « بالربا الفاحش » حسبما دعت الرأسمالية الجديدة ، واحتياجاتها المالية الخاصة قد اضطرتها إلى الاستفادة من كل وسائل جمـــع الأمــوال وزيادتهــا وقبـــل الملوك الدنيويين استخدام البابوات خـــدمات المصرفيين ، وبتلك الوســـائل تمكنت البابوية من خوض معارك سياسية صرفة بوسائل ســياسية صرفة بل وحتى شراء الحلفاء وشن الحروب ، وكانت أيضا قـــادرة مثل الملكية الكبيرة على المحافظة على بلاط لايبـــارى في الفخـــامة ، يمكن فيه للكيد والتآمر والانغماس في الملذات أحيانا أن يزدهر كمـــا الترف في اي بلاط آخر ، وفي المراتب العليا من الهرم اللاهوتي كان هناك في الواقع ميل للتقارب مع الطريقة الطبيعية للحياة في الطبقـــة العليا من مجتمـــع المدنيين .

وعندما تكلم المؤمنون بالالفية في أواخر العصـــور الوســطى عن دنيوية الكنيســـة(ص ٨٣) كانوا بـــالتاكيد يتـــكلمون عن شيء كان موجودا ، ولكن مـــا ليس أقـــل أهمية إن الدنيوية هـــي كل مـــا كان يمكنهم رؤيته في الكنيسة ، ومـــا لم يروه هـــو أنه مهمـــا كان عمـــق التورط في المجتمع الدنيوي ، كانت الكنيسة ما تزال تمثـل طــريقة اكثر شفقة وانسانية وزهدا بالحياة ــ وليس فقـــط بتعـــاليمها بـــل ايضا حتى في أكثر فتراتها دنيوية ، بتـــطبيقاتها وممـــارستها ، وفي عصر لايعرف شيئا عن الخدمات الاجتماعية ، كان الرهبان وأعضاء الجمعيات الدينية فيما بعد يهتمون بالفقراء والمرضى كجزء من روتين لاجدال فيه ، ودون تفكير في جزاء أر ضي ، وفي قارة مرهقة بالحروب الاقطاعية عمل الأساقفة كل ما في وسعهم ، للتبشير بهـــدنة الرب ، وسلام الرب: للحد من المعاناة والتخـــريب ، وفي كل الأوقـــات كانت أعداد كبيرة من رجال اللاهوت تعيش حياة قاسية متزمتة ، والعديد حتى من الأساقفة الكبار كانوا يتجهون الى الورع ، واذا كان رجال اللاهوت ينزلون باستمرار الى الدعة والراحة والانحلال ــ كما تميل دوما أي مجموعة كبيرة من الكائنات . فانه لم ينقصهم أبـــدا بعض ممن توفرت فيه الارادة والقوة لطلب التوقف ومحاولة الاصلاح على

الأقل ،وتأسيس المراتب الرهبانية الجديدة في القرنيين الحادي عشر والثاني عشر ، وتجديدات القديس فرانس والقديس دومنيك في القرن الثالث عشر ، والحركة المجلسية للقرن الخامس عشر ، وحتى الحركة « الانجيلية » التي كانت تنتشر في عشية يوم الاصلاح نفسه هي فقط بعض الأمثلة على كثير من قدرات كنيسة العصور الوسطى على مواجهة النقص والعيوب الخاصة بها.

وبالحكم بمعايير المسيحية اللاتينية للعصور الوسطى ، التي كانت مقبولة من حيث المبدأ من الجميع على حد سواء ، كان سجل الكنيسة في الواقع بعيدا عن أن يكون كلي السواد ، ولكنه بدا أسود كليا بالنسبة للألفيين الذين كانوا في الوقت نفسه خائفين ومفتونين لقرب حدوث المجيء الثاني ، وطبقوا هذه المعايير بتصلب ورفض كامل لأي تسامح ، وبحثت الحشود التي استلهمت الأخرويات عن زعماء يمكنهم أن يعتبروهم كائنات روحية صرفة ، بعيدة عن كل الاهتمامات المادية والحسابات متحررة من المتطلبات والرغبات الجسدية ، ومثل هؤلاء الزعماء يمكن أن ينظر إليهم كقديسين صانعين للمعجزات ، بل حتى كآلهة حية ، ولكن بهذه المعايير كانت الادانة التامة الشيء الوحيد الممكن تجاه رجال اللاهوت لكونهم بشرا يزخرون بالضعف البشري ، وكان بسبب التوقعات المغالى فيها أن حركات الجماعات المؤمنة بالأخرويات لم تتمكن ــ كما تمكنت الكنيسة نفسها وفعلت ــ من أن تدين ببساطة مفاسد معينة ، وأن تنتقد بعض أفراد رجال اللاهوت بعينهم ، ولكن كان عليها أن ترى كل رجال اللاهوت في كل افعالهم كمليشيا للمسيح الدجال ، مرتبطة بطبيعتها بالكد من أجل الخراب المادي والروحي للنصرانية ، وبالكفاح بضراوة أكثر لأن النهاية قد باتت الآن قريبة ، وفي نقوش لورك (صورة ٢) يتقيأ كاردينال شيطاني أسقفا يقول « ابتعدو بأنفسكم ، أيها الرب والبشر : الشيطان وأنا سادة » وفي رسم ديورر(ص ٨٤) للفصل السادس من سفر الرؤيا (صورة ٣) ليس فقط بابا واسقف بل ايضا كهنة عاديين ورهبان يظهرون بين أولئك الذين في يوم العقاب الالهي سيصرخون بلا

جدوى فوق الجبال والصخور لتسقط عليهم وتخفيهم عن وجه المسيح المنتقم ، وعلى الرغم من تاريخها إن ما تعبر عنه هاتان الصورتان الرؤيتان مازال هو الشجب المرعب نفسه من الكنيسة ، للمسيح الدجال عندما يعبر عنه من قبل الطوائف الألفية للقرنين الثاني والثالث عشر .

التخيلات والقلق والخرافات الاجتماعية :

لوحظ من قبل المحللين النفسيين انه في نظر عالم مسيحية القرون الوسطى الحياة تميل الى أن ترى ككفاح مميت يشنه الآباء الطيبون والأطفال الطيبون ضد الآباء السيئين والأطفال السيئين. وبالتأكيد إن هذا النمط يبرز بصورة خامية صارخة في تخيلات الايمان الشعبي بالأخرويات والحركات الشعبية التي الهمتها.

وامتزجت شخصية قائد المؤمنين بالأخرويات ـ امبراطور الأيام الأخيرة أو المسيح العائد ـ بالصور الخيالية للأب الطيب والابن الطيب لأنه من جانب ملك القائد ـ مثل فرعون والعديد من الملوك المتألهين الآخر ـ كل نعوت الأب المثالي : انه حكيم تام ، وعادل بشكل كامل يحمي الضعيف ولكن من جانب هو الابن أيضا الذي مهمته تغيير العالم ، إنه المسيح الذي سيقيم سماء جديدة وارضا جديدة والذي يمكنه أن يقول عن نفسه : « خذو حذركم أنا أجعل كل شي جديدا ! » وكأب وابن ان هذه الشخصية جبارة هائلة فوق البشر ، كلية القدرة ، وهو قد حظي بوفرة من القوى الخارقة للطبيعة حتى أنه تخيل متدفقا كالضوء : هذا الاشعاع الذي يرمز تقليديا للروح الداخلية ، التي لاتحيط فقط بالمسيح القائم بل تنسب ايضا الى الامبراطور المقبل كونستانس علاوة على ذلك كونها مليئة بالروح الالهية ان الزعيم لدى المؤمنين بالأخرويات يملك قوى فريدة صانعة للمعجزات ، وستكون جيوشه بلا خلاف منتصرة مبتهجة بالنصر ، وحضوره يجعل الأرض تعطي محاصيل هائلة ، وسيكون حكمه عصر انسجام تام كالسالف ، ولن يعرف عالم الفساد . ،

وبالطبع كانت هذه الصورة خيالية صرفة ، بمعنى أنها لاتحمل اي علاقة بالطبيعة الحقيقية وقدرة اي بشر وجد أصلا او يمكن أن يوجد ، وكانت مع ذلك صورة يمكن أن تنعكس على شخص حي ، وكان هناك دائما رجال كانوا اكثر من راغبين بقول مثل هذا الانعكاس (ص ٨٥) لقد كانوا في الحقيقة يرغبون بصورة انفعالية ان يروا معصومين صانعين للمعجزات ومخلصين ، وفي الأساس كان مثل هؤلاء الرجال يأتون من المراتب الأدنى من أهل الفكر ويضمون عددا كبيرا من رجال الكهنوت الصغار ، وكهنة تركوا ابرشياتهم ، ورهبان هربوا من أديرتهم وكتاب في التنظيمات الدنيا ، وكانوا يضمون ايضا بعض العلمانيين الذين خلافا لسواد المؤمنين من الناس كاونوا يلمون بالقراءة والكتابة من الحرفيين بشكل رئيسي ولكن ايضا بعض الموظفين الاداريين وحتى احيانا احد النبلاء الذي تكون طموحاته أرفع من منزلته ، وسر السطوة والهيمنة التي كانوا يمارسونها لم تكمن أبدا في مولدهم ولا الى اي مدى بعيد في تعليمهم بل دائما في شخصياتهم ، وتلح الروايات المعاصرة عن مسحاء (ج مسيح) الفقراء هؤلاء عادة على بلاغتهم ، وعلى الهيبة والجلال ، وعلى الشخصية الآسرة ، وفوق كل شي يحصل المرء على انطباع انه حتى لو أن بعض هؤلاء الرجال كانوا دجالين شاعرين بالاثم ، فان كثيرا منهم رأوا انفسهم كآلهة متجسدة حقا او على الأقل أوعية للألوهية ، وكان يعتقدون حقا انه من خلال مجيئهم كل شي سيتجدد ، وسينقل هذا الايمان الكلي نفسه بسهولة الى العامة الذين كانت اعمق رغباتهم وتطلعاتهم بشكل دقيق نحو مخلص أخروي .

ورأى الذين ربطوا انفسهم بمثل المخلص فيها (انفسهم) أناسا مقدسين — ومقدسين فقط بسبب خضوعهم غير المشروط للمخلص وإيمانهم التام بالبعثة الأخروية كما حددها بنفسه ، لقد كانوا أطفاله الطيبين ، وكمكافأة كانوا يقاسمونه قوته الخارقة ، ولم يكن فقط أن القائد ينشر قوته لمنفعتهم ، بل أنهم انفسهم طالما انهم يرتبطون به يشاركون في تلك القوة ، وبذلك

اصبحوا اكثر من بشر ، قديسين ، لايأثمون ، لايسقطون لقد كانوا الجيوش اللامعة « الذين يلبسون الكتان الأبيض النظيف » وكان انتظارهم النهائي مقررا منذ الأزل ، وفي الوقت نفسه إن كل صنيع من أعمالهم مع انه قد يكون سرقة او اغتصاب او مذبحة لم يكن فقط بلا أثم بل ايضا عملا مقدسا ، ولكن في مقابل جيوش القديسين ، ونادرا اقل قوة منها تظهر حشود الآباء والأبناء الشيطانية والاثنان المتقاتلان كل منهما سالب الآخر ويعرفان معا بنمط رمزي غريب ، وكما في مسيح المؤمنين بالاخرويات ، كذلك في العدو الأخروي اي المسيح الدجال ، صور الابن والأب متداخلة وهنا بالطبع ان الصور هي لـلابن الشرير فقط « وكابن للهلاك » ان المسيح الدجال هو بكل شكل نظير شيطاني لابن الرب ، ومولده هو الذي يبشر بالأيام الأخيرة ، وانتظر الناس بتوتر أنباء الولادة الغامضة المشؤومة في بابل ، وبهذه العلاقة مع الرب الأب يظهر المسيح الدجال كطفل ثائر رافض ، مهتم بانفعال باحباط مقاصد ابيه (ص ٨٦) ويجرؤ حتى على اغتصاب مكان ابيه وتقليد سلطته ، وفي علاقته بالكائنات البشرية ، من جانب اخر ، والمسيح الدجال هو أب لايكاد يتميز عن إبليس نفسه : أب حام لنوعه الشيطاني ، ولكن بالنسبة للقديسين هو أب شرير سفاح مخادع ، يخفي مقاصد الشر بكلمات حلوة ، طاغية ماكر عندما يقاوم يصبح مزعجا قاسيا وقاتلا ، ومثل القائد المسيحي ، إن المسيح الدجال مليء بالقوى الخارقة للطبيعة التي تمكنه من صنع المعجزات ، ولكن هذه القوى تأتي من الشيطان وتظهر في الفنون السوداء التي يستثمرها لتدمير القديسين ، حيث أن قوته ليست في قوة الروح فانه لايصدر عنه اي اشعاع ، وعلى العكس إنه كالشيطان من مخلوقات الظلام ، انه الوحش الذي يصعدها خارجا من الهوة التي لاقاع لها ، انه مخلوق غريب مرتبط بالأرض تخرج من قمة ضفادع قذرة وعقارب ورموز أخرى مألوفة للطين والقذارة .

وكل شي عكس على الشخصية المتخيلة للمسيح الدجال عكس

ايضا على « جماعات الحواشي » التي كانت تعتبر انهـا تخـدمه ، وحتى من قبل علماء اللاهوت الأصوليين نظر الأصوليون الى اليهود على أنهـم أطفـال أشرار يذكرون بعناد الدعوات ويتحـدون و يستهينون بجلال الرب ، أي الجميع ، و في نظر الطـائفيين المتعصبين الذين رأوا في البابا المسيح الدجال ، كان لابد ايضا من ان يظهر رجال اللاهوت كسلالة خائنة ثائرة ضد ابيها الحقيقي ، و لكن اليهود و رجال اللاهوت يمكن ان يروا ايضـا بكل سـهولة كشخصيات ـ أبوية ، وهذا واضح بـدرجة كافية في حـالة رجـال اللاهوت ، الذين يدعون ، فعلا « بالأباتي » مـن قبـل المؤمنين

واذا كانت المسألة اقل وضوحا في حالة اليهـود ، انهـا مـع ذلك حقيقة ، وحتى اليوم ان اليهـودي ـ الرجـل الذي يتعلق بـالعهد القديم ويرفض الجـديد ، واحـد الناس الذين ولد فيهـم المسـيح ـ يتخيل من قبل كثير من المسيحيين على أنه « يهودي نمـوذجي قديم » شخصية بائسة في ملابس قديمة بالية .

ويندمج بالتخيلات الاخـروية ، اليهـود ورجـال اللاهـوت على السواء حيث عدوا شخصيات أبوية من نوع مـرعب جـدا ، انه ذلك المخلوق الغريب ذو الغضب المدمر والقوة الاحليلية ، الذي يصـوره ملكيورلورخ وهو يرتـدي قلنسـوة البـابا المثلثية ، ويحمـل المفاتيح ، وصليب البابا ، وقد رؤى من قبل الالفيين في كل « رجل لاهوت مزيف » وبالنسبة لليهود ان الاعتقـاد بـانهم قتلوا أطفـال مسيحيين كان واسع الانتشار جدا ومازال عالقا بثبات الى حـد ان كل احتجاجات البابوات والأساقفة ـ وكان هنالك الكثير منها ـ لم تستطع ابدا أن تنتزعها ، واذا فحص احـد صـورة اليهـود وهـم يعذبون ويخصون صبيا بريئا بلا حول (الصورة ٤) فانه يقـدر بحق مقدار الخوف والكراهية الذين يمكن بهما النظر الى شـخصية الأب السيء المتخيلة ، وبقية الذخيرة من الاتهامات التي وجهت ضـد اليهود في أوروبا العصور الوسـطى بـالجلد بـالسياط ، والطعـن وسحق الحشود، لهـا الأهمية نفسـها والدلالة ، واذا كانت مسـألة الوحشية المرتكبة ضد الحشود هي من وجهة نظر اليهود بـلا معنى

(ص ٨٧) انها من وجهة نظر مسيحي القرون الوسطى تكرار لتعذيب المسيح وقتله ، وهذا ايضا تم تصور الأب الشرير (اليهودي) وهو يهاجم الابن الطيب ، وهذا التفسير تولد من القصص الكثيرة حول كيف انه من وسط الكعكة المشوهة ، ظهر المسيح كطفل يقطر دما ويصرخ .

ونسبت لهذه الشياطين ذات الشكل البشري واليهود و « الاكليروس المزيف» ،كل صفة من صفات الوحش الآتي من جهنم ، ليس فقط وحشيته بل ضخامته ، وحيوانيته و سواده و عدم نظافته ، و كان اليهود و الأكليروس معا يشكلون الحشد الأسود البغيض للعدو الذي وقف في مقابل الجيش الأبيض للقديسين ، « ابناء الله هذا نحن - الديدان السامة هذا أنتم » ، كما وضعها رجال من العصور الوسطى ، و عرف القديسيون أن مهمتهم كانت محو الحشد الأسود البغيض من على وجه الأرض ، لأن ارضا تطهرت هكذا ستكون هي فقط صالحة لحمل القدس الجديد ، المملكة المشرقة للقديسين .

وكانت حضارة أواخر القرون الوسطى دائما ميالة لشيطنة الحشود الناشزة ، ولكن في أوقات الارتباك الحاد والانحراف كان هذا الميل ملحوظا بشكل خاص ، ولم تعط المصاعب والاكتئاب في حد ذاتها تلك النتائج ، وكان الفقر والحروب والمجاعات المحلية الى حد كبير جزءا من الحياة الطبيعية حتى انها كانت تؤخذ بشكل مؤكد ويمكن بناء عليه ان تواجه الى حد كبير بطريقة وقوة وواقعية ولكن عندما تقوم حالة لم تكن خطرة فقط بل خارجة كلية عن المجرى الطبيعي للتجارب المألوفة ، أي عندما يواجه الناس بمخاطر مخيفة لأنها غير مألوفة ، في مثل هذه الأوقات يحدث الهرب الجماعي الى عالم التخيلات الشيطانية ويتم بسهولة ، واذا كان التهديد غامرا بدرجة كافية، فان الارتباك ينتشر انتشارا واسعا وحادا بدرجة كافية ، ويمكن ان يقع وهم كبير من النوع المتفجر ، وهكذا عندما وصل الموت الأسود الى أوروبا الغربية في

١٣٤٨ ، استنتج على الفور أن بعض طبقات الناس ربما قد ادخلت الى موارد المياه سما مستخلصا من العناكب والضفادع والسحالي – وكلها رموز للأرض والقذارة والشيطان – أو ربما من زاحفة خرافية تشبه الضب ، ومع استمرار الوباء أصبح الناس في حيرة ويأس أكثر فأكثر ، وتأرجح الشك بين هناك وهناك وهو يومض على التوالي على المنبوذين ، والفقراء ، والاكليروس ، قبل أن يأتي في النهاية ليستقر على اليهود الذين كانوا قد أبيدوا تقريبا.

ولكن لم تكن كل الطبقات في المجتمع معرضة بالتساوي لتجارب أرضية مربكة ، وكما رأينا بين الجماهير في مناطق الحياة المستقرة المكتظة بالسكان كان هناك دائما العديد الذين عاشوا في حالة انعدام الأمن المزمنة التي لامفر منها (ص٨٨) وقد أزعجهم ليس فقط عجزهم الاقتصادي وضعفهم بل نقص العلاقات الاجتماعية التقليدية التي عليها كان الفلاحون حتى في أسوا الأوقات قادرين على الاعتماد بصورة طبيعية .

لقد كان هؤلاء هم الناس الذين كثيرا ما أصيبوا بالكوارث ، والأقل قدرة على التغلب عليها ، وكان هؤلاء هم الناس الذين عندما كانوا يواجهون بمشكلات غامرة ويعذبهم القلق غير المحتمل مالوا نحو البحث عن قادة مسحاء ، وتخيلوا أنفسهم قديسين محاربين ، وأمكن بسهولة مزج التخيلات الناتجة مع الامان بالأخرويات المستمدة من رؤيا يوحنا و السبلينيين وبهذه الصورة أصبحت أسطورة إجتماعية مترابطة ، ولم تمكن الخرافة بالطبع الحشود التي لاحول لها من التغلب على مأزقها ، وكثيرا ماحثتهم على مناهج من العمل ثبت انها انتحارية بمعنى الكلمة غير أنها استطاعت أن تختزن قلقهم في وضع حرج ، وجعلتهم يشعرون بأنهم مهمين بدرجة هائلة وأقوياء بدرجة عظيمة ، وأعطاها ذلك تأملات لاتقاوم .

وعلى ذلك تصرفت الجماهير بطاقة ضارية وتخيلات

- ١٥٢٦ -
مشتركة ، ومع أنها كانت مضللة إنها سببت لهـم راحـة انفعـالية شديدة الى حد أنه أمكنهم أن يعيشوا فقـط مـن خـلالها ، وكانوا بشكل كامل راغبين في القتل والموت من أجلهـا ، وهـذه الظـاهرة كانت قابلة للتكرار عدة مرات ، في اجزاء مختلفـة في غرب ووسـط أوروبا بين القرن الثاني والقرن السادس عشر .

الفصل الخامس

في أعقاب السيل الجارف للحروب الصليبية

بلدوين الزائف واستاذ هنغاريا :

استمر مشروع المغامرة الصليبية (ص ٨٩) العملاقة طويلا ليقدم خلفية وارضية للحركات المسائحية الشعبية وفي الحملات الصليبية الرسمية تكتلت السياسة العلمانية بدرجة اكبر ، وبالفعل في الحملة الثالثة التي اخذت طريقها في ١١٨٩ ، وجدت الاهتمامات السياسية للدول العلمانية ـ الامبراطورية وفرنسا وانكلترا ـ تعبيرا مفتوحا ، وانتهت الحملة الصليبية الرابعة ، في السنوات الافتتاحية. للقرن الثالث عشر ، كحرب علمانية صرفة شنت لأغراض سياسية محضة ، فهي حملة امتزج فيها الطموح التجاري للبندقية بالطموحات الأرضية لأمراء فرنسا والمانية لتؤدي إلى الاستيلاء على القسطنطينية ، وغزو وتقسيم الأمبراطورية الشرقية ، وفي مثل هذه الحملة لم يعد هناك مجال للدهماء ، فهم لم يكونوا مرغوب فيهم وهم لم يكونوا مهتمين ، ولكنهم لم يهجروا المثل القديمة للتحرر والدفاع عن المدينة المقدسة ، ولا الأمال المتعلقة بالأخرويات ، بل على العكس ، الآن وقد استسلم البارونات تماما للدنيويات ، كان الفقراء أكثر اقتناعا من قبل بأنهم ، وأنهم وحدهم كانوا الأدوات الحقيقيةللارادة الالهية ، والقيمين الحقيقيين على المهمة الأخروية .

وفي ١١٩٨ يبدو أنه قد ظهر للمرة الأولى متنبيء دعا الفقراء إلى حملة صليبية تكون لهم ، ولهم وحدهم ، وكان اسمه فولك أوف نويلي .

وكان زاهدا نموذجيا ، صانع معجزات وكانت سمعته الشعبية الكبيرة مدينة بالكثير لقدرته المفترضة على شفاء العميان والخرسان ، وماتصوره يبدو أنه كان لايقل عن جيش مستقل يكون ملفتا بشدة للأنظار بفقره كما قيل كان جيش ملك الطفور ، وهلكت الحشود التي انطلقت متحركة مع فولك في بؤس على شواطىء إسبانيا ولكن في خلال بضع سنوات أعقبتها حملات الأطفال الصليبية ، ففي ١٢١٢ خرجت جيوش الأطفال لاستعادة المدينة المقدسة ، وتكونت من جيش من فرنسا ، وآخر اكبر بكثير من وادي الراين وترأس كل منهما شاب اعتقد في نفسه أنه قد اختير من قبل الرب ، وكان ينظر إليه من قبل اتباعه على أنه قديس صانع معجزات ، ولم يكن (ص ٩٠) لهذه الألوف من الأطفال أن تكبح لا بالاستعطاف ولا بالقوة ، وكان إيمانهم عميقا لدرجة أنهم كانوا قانعين بأن البحر المتوسط سوف يجف أمامهم كما فعل البحر الأحمر أمام الاسرائيليين القدماء ، وانتهت هذه الحملات الصليبية ايضا بشكل مفجع ، مع كل الأطفال تقريبا إما غرقى في البحر أو جائعين حتى الموت أو بيعوا كعبيد في افريقيا ، ومع ذلك فإن هذه الهجرة الكبيرة دشنت تقليدا ، فلاكثر من قرن كانت حملات صليبية مستقلة من الفقراء تتابع الوقوع من وقت لآخر مع نتائج تعد مفجعة لهم وحدهم ، وفي هذه الأثناء قامت في فلاندرز وهنيوت الحملة الصليبية الرابعة ، وبشكل غير مباشر وبعد فاصل جيل ، على حركة استجابت بقوة إلى الآمال المسائحية الخلاصية للجماهير ، مع أن أصلها رسا في مؤامرة سياسية ، وعندما استولى الصليبيون على القسطنطينية في ١٢٠٤ نصبوا بلدوين التاسع كونت فلاندرز إمبراطورا للقسطنطينية وسيدا أعلى لكل الأمراء من الغرب الذين كانوا الآن يكسبون اقطاعات لأنفسهم من أراضي الامبراطورية الشرقية ، وكانت دولة بلدوين على اي حال ضعيفة جدا ، وخلال سنة أسر الأمبراطور من قبل البلغار وأعدم ، وفي الوطن اصبحت ابنة بلدوين جوانا كونتية ، ولكن بما انها لم تتمكن بفعالية من معارضة السياسي القوي المصمم فيليب اوغسطس الفرنسي فإن أراضيها في فلاندرز وهينوت وقعت تحت السيادة الفرنسية ، ولم

تكن هذه السيادة موضع ترحيب ، وعند موت فيليب في ١٢٢٣ كان نقص القيادة فقط هو الذي حال دون قيام ثورة ، وعند هذه النقطة عاد الخيال القديم للامبراطور النائم إلى الظهور في صورة متكيفة مع العصر ، وبفضل تاريخه الاستثنائي اصبح بلدوين في الخيال الشعبي شخصية ذات أبعاد خارقة للبشر ، مخلوقا خرافيا نصف شيطان ونصف ملاك وتدريجيا تطورت أسطورة كاملة ، وقد اشيع في الخارج أن الكونت كان بعد كل شيء ليس بميت ، ولكنه وقد اثم بدرجة كبيرة ، كان مايزال يكفر ويقدم التوبة التي فرضها عليه البابا ، ولسنوات عدة كان يعيش في غموض كشحاذ هائم وناسك ، ولكن تكفيره ان أن يستكمل وسيعود قريبا في تألق ليحرر أرضه وشعبه ، وفي عام ١٢٢٤ مر غريب عبر البلاد حول تورناي يوزع الهبات ويعلن أن بلدوين على وشك أن يعود ، وبعد بضعة شهور ظهر بين تورناي وفالنسين ناسك شحاذ في مظهر متنبىء نموذجي ذي قامة مهيبة ، وشعر طويل ولحية منسدلة ، وقد تم تعقبه إلى غابة قريبة حيث تبين أنه يعيش في كوخ مصنوع من الأغصان ، وبدأت الاشاعة على الفور في الانتشار على أنه لم يكن سوى الكونت المفقود ، ولم يحسم أبدا ما إذا كان الناسك هو الذي أوحى بهذا الدور لنفسه أم أنه ببساطة قد قبله عندما اقترح عليه (ص ٩١)وما هو مؤكد انه وقد اصر على ان يمضي عاما اخر في الغابة لاستكمال كفارته ، استفاد من الوقت لتأمين مستشاريه وتنظيم بلاط سري ، وكان النبلاء يزورونه ، واعتقد ابن اخ بلدوين بأنه عرف عمه حقا فيه ، وادعى قادة المقاومة الفلمنكية لفرنسا على الاقل بأنهم قد عرفوه حتى يمكنهم تبنيه كرجلهم ، وبتقويته بهذا الدعم أعلن الناسك انه كان بلدوين حقا ، وأنه عاد إلى الوطن من الشرق بعد معاناة مروعة ، وتدفقت حشود كبيرة من فالنسين لرؤيته ، وفي نيسان ١٢٢٥ أعادته إلى المدينة على ظهر حصان وقد ارتدى رداءا قرمزيا ، بين مشاهد الابتهاج العارم .

وبقبوله من قبل معظم النبلاء والمدن في فلاندرز وهينوت ، ادعى الناسك قوى مهيمنة ، ولكن عندما دعته الكونتية جوانا للحضور إلى

بلاطها للاعتراف والمناداة به رفض الذهاب ، وبدلا من ذلك بدأ يعد العدة لترسيخ مركزه بالقوة ، وفي حين أن جوانا من جانبها ، وقد استقبلت صليبيين ممن عرفوا والدها شجبت الناسك على أنه دجال ، كانت المدن في مزاج مضطرب ليس فقط لأنهم وجدوا الفرصة لتوسيع حرياتهم بالتخلص من سيادة ملك فرنسا بل لأنهم في الواقع اعتقدوا أن سيدهم الحقيقي قد عاد إليهم ، وقد هبوا الآن بالسلاح وخلعوا جوانا التي نجت بصعوبة من الوقوع بالأسر ، وتفجرت الحرب الأهلية وكان الناسك على رأس قوة كبيرة ، عاثت فسادا في هينوت من اقصاها لاقصاها وسلبت ودمرت كل مراكز المقاومة ، واشعلت النار في الكنائس وهي محتشدة بالناس ، ولم تكن هذه حربا عادية ولكن (كما وصفها مؤرخ محدث) حربا دينية لاستعراض القوة ، حربا صليبية ضد الكونتية جوانا ، التي اصبحت الآن مكروهة لالمجرد كونها حليفا لفرنسا ، بل على انها غير متمسكة بالواجب ، وابنة عاصية متمردة ، ولم يكن قائد الحملة الصليبية قائدا عاديا بل أميرا مقدسا ، كائنا مبجلا حتى أن الناس كانوا يقبلون الندب التي كانت شاهدا على عذاب عظيم طويل ، ويقاتلون من أجل شعرة من رأسه أو قصاصة من ثيابه كما كانوا يشربون ماء استحمامه ، كما شرب ماء استحمام تانشيلم في جيل سالف .

وتوج الناسك في أيار ، وربما كان ذلك في فالنسين ، ككونت للفلاندرز وهينوت وامبراطورا للقسطنطينية وسالونيك ، في احتفال اجتمعت فيه أبهة المراسيم الغربية والشرقية واوجد الملك الجديد على الفور الفرسان ، ووزع الاقطاعيات والرتب الكنسية والهبات وخرج في زيارة رسمية إلى مدنه ، وهو يرتدي الثياب الأرجوانية الخاصة بالسلطة ، محمولا على محفة ، أو ممتطيا حصانا أصيلا ، ومحاطا بأعلام مقاطعاته في الشرق والغرب ويتقدمه الصليب الذي كان يتقدم تقليديا خلفاء قسطنطين ، (ص ٩٢) وكان مايزال باللحية الطويلة نفسها لناسك مقدس ، ويحمل الصولجان الأبيض صولجان الخير بدلا من صولجان السلطة المعدني ، ولابد انه بدا

- ١٥٢٧ -
حقا كامبراطور مسيحي ، جاء أخيرا لتحقيق نبوءات السبليذيين .

وكان الحماس الشعبي غامرا ، وجاءت مواكب شعبية طويلة من ابناء المدن والفلاحين من كل حدب وصوب يتقدمها رعاة الأديرة والرهبان لاستقباله ، وقدمت له مدن مثل ليل وغنت وبرغس ليس مفاتيحها فقط ، بل المال ايضا ، وهي تحمد الرب على العودة المعجزة التي بدت كميلاد جديد ، وكان الناس يركعون على ركبهم عندما يمر بهم ، وكما قال مراقب معاصر معلقا بطريقة ذات معنى : « لو أن الله نزل إلى الأرض ، لما استقبل افضل من ذلك » ، ومع ذلك فإن الحماس لم يكن بالقدر نفسه بين كل الطبقات ، وفي حين كان الأغنياء يميلون للنظر بريبة إلى الملك الجديد ، كان الفقراء مقتنعين تماما أنه كان حقا بلدوين الذي ظهر بينهم ، ومع أن المؤرخين المحدثين مالوا إلى تجاهل الواقعة ، فإن المصادر الأصلية تظهر بوضوح كاف أن الفقراء المدنيين ولاسيما العمال في صناعة النسيج الكبيرة هم الذين تبنوا الرجل كمسيح لهم ، وطبقا للمراقب نفسه : « كان فقراء الناس من النساجين والقصاصين من خلصائه ، والأفضل حالا ، والأغنياء كانت حصتهم قليلة في كل مكان وقال الفقراء إنهم سيحصلون على الذهب والفضة .... وسموه الامبراطور » .

ويبدو التعليق هاما عندما يدرك المرء أنه في تلك السنة نفسها « ١٢٢٥ » كانت فلاندرز وهنيوت في ألم مبرح من مجاعة مروعة ، لم يشاهد مثلها منذ أجيال .

ومن الناحية السياسية أصبح الناسك قوة سياسية يحسب حسابها لأنه لم يوطد فقط سلطته في الوطن بل كان يكسب الاعتراف في الخارج ، وأرسل الأمراء من الجوار السفراء إلى بلاطه وعرض عليه هنري الثالث ملك انكلترا معاهدة تحالف ، موجهة بالطبع ضد فرنسا .

واجاب الملك الفرنسي لويس الثامن على كل ذلك بالتوصل إلى

معاهدة تحالف مع الكونتية جوانا ، والمح في الوقت نفسه بأنه هو نفسه قد يعترف بادعاءات الحاكم الجديد إذا زاره الأخير شخصيا ، وقبل الناسك الدعوة وسلك طريقه في حالة فخمة إلى البلاط الفرنسي في بيرون وتحول هذا إلى خطأ مميت ، ففي المحادثة مع لويس اثبت الناسك عجزه عن تذكر الأشياء التي كان بلدوين الحقيقي يعرفها بالتأكيد ، وسرعان ماعرف أنه برترداندداوف راي من بيرغاندي ، وهو قد اشترك في الحملة الصليبية الرابعة كشاعر ومغني في حاشية سيده ، واصبح في مرحلة تالية من حياته سيء السمعة كمشعوذ دجال وكمقلد للشخصيات او منتحلها (ص ٩٣) وبتعرية الدجال فقد اعصابه وهرب في إحدى الليالي من البلاط ، بينما تشتت حاشيته التي كانت تضم مائة فارس كانوا حتى ذلك اليوم الموالين المخلصين له وذلك بعد تحررهم كليا من الوهم ، وكان مايزال بإمكانه النجاة بحياته لأن لويس منحه مهلة ثلاثة ايام لمغادرة الأراضي الفرنسية ، ولكنه بدلا من أن يستفيد من هذه الضمانة سلك طريقة إلى مقر قيادة في فالسنيين ، وادى وصوله إلى وقوع اضطرابات في المدينة ، وحاول المواطنون الأغنياء اعتقاله ولكن الغضب الشعبيمنعهم من ذلك . وبدلا من ذلك تم احتجار عدد من الأغنياء انفسهم لقاء فدية ، في حين هرب الباقي من المدينة وتخلص الشعب من الادارة القديمة واعلنوا عن تشكيل لجنة ثورية بين مشاهد الابتهاج المحموم ، واسكنوا مسيحيهم في حصن المدينة وبداوا بتقوية أسوار المدينة ، وكانت فالنسيين في الواقع على وشك ان تحاصر من قبل الفرنسيين ، وعندها فقد بلدوين الزائف مرة اخرى اعصابه فهرب واخذ معه قدرا كبيرا من المال ، وعندما عرف قبض عليهوجرى عرضه بطريقة مخزية عبر المدن التي شهدت انتصاره ، وفي تشرين اول أعدم في مقر السوق في ليل بعد نحو سبعة شهور من إعلان نفسه كونتا وامبراطورا .

ووصف برتراند أوف راي نفسه قبل إعدامه بشيطان فقير ضلله النصح بالشر من الفرسان والبورجوازيين . ولكن شيئا لم يكن بإمكانه كسر القبضة التي احكمها على الخيال الشعبي ، وكان على

المدن أن تطلب العفـو مـن ملك فـرنسا ، ولكن قلبيا بقـي الناس العاديون مخلصين لسيدهم المفقود ، ومع أن الكونتية جوانا حكمت الأراضي التابعة لها بحكمة وشجاعة فإنها لأجيال عديدة بقيت تلعـن كقاتلة لأبيها ، في حين أن شخصية بـدوين ، الأمبـراطور اللاتيني للشرق الذي ظهر لبضع أسابيع بين حشود الفلمنك كمسيح لهم ، قد أخذ مكانه بمثابة كونت اميكو أوف ليننغن وقد اتخذ مـكانه بين الملوك النائمين الذين سيعودون يوما معـا ومـرة اخـرى بـكلمات المراقب المعاصر:« في فالنسيين كان الناس ينتـظرونه كمـا انتـظر البريطانيون الملك آرثر»،وربما يضيف المرء كما انتـظر عامـة الناس طويلا في كل مكان ، كونستانس المبعوث من جديد ، ومع أن سلسلة الأحداث كانت قصيرة فإنها قد دشـنت عهـدا مـن الاضـطراب الاجتماعي كان له أن يستمر قرنا ونصف القرن .

وفي فرنسا تركزت التوقعات المسائحية على أسرة كابيه التـي اصبحت خلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر تتمتع بهيبة شـبه دينية ذات شدة غريبة في زمن الحملة الصـليبية الثـانية كان لويس السابع بالفعل يعتبر من قبل العديد بمثابة امبـراطور للأيام الأخيرة ومع بداية القرن الثالث عشر كان الناس العاديون منسـجمين مـع الملك والمدافعين الرسميين عن قضية ادعاء السـلطة المطلقـة للملكية الفرنسية وتقدمها على كل الملكيات الأخرى (ص ٩٤) فملك فرنسا مكرس من قبل القديس امبول ومعمد وقد حضرت عمادش حمامة من السماء ، وبشكل خاص كشاف مـن المرض ، وفيليب اوغسـطس الذي صـيغ لقبـه على سـميه

اغسطس ذي اللقب الامبراطوري رأى نفسه شارلمانا ثانيا ، معينا من قبل الرب ليكون رائدا لكل النصرانية اللاتينية ، وفي يوم معـركة بومثين في ١٢١٤ ، التي بتحطيمها لتحالف انكلترا والمانيا وفلاندرز مضى بعيدا في اتجـاه كسـب تلك القيادة له ، وادعى فيليب في الواقع دور الملك الكاهن ، ومثل شـارلمان في نشـيد رولاند ، بـارك جيشـه كحشد يقاتل من أجل العقيدة الصحيحة .

- ١٥٣٠ -

و في تلك السنوات ذاتها كان هناك متعصبون في باريس رأوا في الابن البكر لملك فرنسا ، الذي أصبح فيما بعد الملك لويس الثامن مسيحا سيحكم الى الأبد تحت شريعة الروح القدس عالما موحدا متطهرا ، وفي حالة اذا ماميز لويس الثامن نفسه بدهائه وتصميمه بدلا من أي مواهب روحية ، فان خليفته كان في الواقع قديسا دنيويا ، فقد وضع لويس التاسع او القديس لويس معيارا جديدا للملوك في النصرانية ، فإضافة الى زهده الصارم واهتمامه الحقيقي الذي امتد الى أكثر رعاياه تواضعا ، وكسب له مهابة استثنائية ، ان المرء ليتساءل اي أحداث خارقة كانت متوقعة منه ، عندما خرجت هذه الشخصية المشعة في الحملة الصليبية السابعة ؟ وبالتاكيد عندما هزم في المنصورة في ١٢٥٠ ووقع في الأسر ، الذي استمر أربع سنوات كانت هذه ضربة مروعة لكل النصرانية وكان التحرر من الوهم كبيرا لدرجة أن العديد من فرنسا بداوا في توبيخ الأكليروس ، قائلين : بعد كل شي بدا أن محمد (ص) اقوى من المسيح .

واستجابة لهذه الكارثة برزت للوجود اول الحركات الفوضوية المعروفة باسم صليبية الرعاة،وفي عيد فصح ١٢٥١ بدأ ثلاث رجال بالوعظ بالحملة الصليبية في بيكاردي وخلال بضعة أيام امتدت دعوتهم الى برابانت وفلاندرز ، وهينوت أي الأراضي الواقعة وراء حدودالمملكة الفرنسية ، وكانت الحشود متعطشة للمسيح بالدرجة نفسها كما كانت في أيام برتر اند أوف راي قبل ذلك بجيل ، وكان أحد هؤلاء الرجال راهبا مرتدا يدعى يعقوب يقال انه جاء من هنغاريا ، وكان يعرف باسم « استاذ هنغاريا » وكان زاهدا نحيلا شاحبا ملتحيا في نحو الستين من العمر ، له تأثير قوي وقادرا على الكلام بطلاقة كبيرة باللغة الفرنسية ، والألمانية واللاتينية ، وادعى يعقوب ان مريم العذراء قد ظهرت له وهي محاطة بجيش من الملائكة وأعطته رسالة ، كان يحملها دائما في يده مثلما قيل عن بطرس الناسك انه كان يحمل وثيقة مماثلة ، ونقلا عن يعقوب كانت هذه الرسالة (ص ٩٥) تدعو كل الرعاة لمساعدة

الملك لويس على تحرير الضريح المقدس ، وادعى ان الرب كان غير مسرور بالزهو والتباهي لدى الفرسان الفرنسيين ، وانه اختار الهمل من العامة لتولي عملهم ، فالرعاة اعلنت الانباء السارة بولادة المسيح للمرة الأولى ، ومن خلال الرعاة عرف ان الرب على وشك اظهار قوته وبهائه .

وهجر رعاة الغنم والابقار من الشباب والصبية والفتيان على السواء قطعانهم ، ودون استئذان من اهاليهم وتجمعوا تحت الاعلام الغربية التي رسمت عليها الزيارة المعجزة للعذراء ، وقبل مضي زمن طويل انضم اليهم اللصوص ، و العاهرات والخارجون على القانون والرهبان المرتدون ، والقتلة وقدمت هذه العناصر القادة ، ولبس كثير من هؤلاء القادمين الجدد ايضا زي الرعاة واصبحوا جميعا يعرفون باسم الرعاة وسرعان ماكان هناك جيش -مع أن التقدير المعاصر بنحو ستين الفا يجب الا يؤخذ بجدية - لابد انه كان بالتأكيد يعد ببعض الألوف.

وكان مقسما الى خمسين سرية ، كانت تزحف منفصلة وهي مسلحة بالمذاري ، والبلط والخناجر والفؤوس المرفوعة عاليا ، عندما يدخلون المدن والقرى من اجل ارهاب السلطات ، وعندما كانوا يقعون في عجز من المؤن ، كانوا يأخذون مايحتاجون اليه بالقوة ، ولكن الكثير منها كان يقدم طواعية حيث - كما يظهر من كثير من الروايات المختلفة - كان الناس يبجلون الرعاة كرجال مقدسين .

وسرعان ما اصبح الرعاة يتصرفون بالضبط مثل الجماعات التي تبعت تانشيلم ، ويود دي توال ، واخذ على يعقوب بالوعظ ضد رجال اللاهوت ، وهو محاط بحرس مسلح وبدا يهاجم الرهبان الذين يعيشون على الصدقات كمنافقين ومتشردين ، والرهبان البندكيتيين للأرض والتملك والبريموذستراتينيين على انهم مغرورون

وشرهون ، والقوانين النظامية على انهـا نصـف دنيونة وتقـطع الصيام وكانت هجماته على مجلس الكرادلة لاتعرف الحدود ، وعلم اتبـاعه النظـر الى الأسرار المقـدسة بـازدراء ، وان يروا في اجتماعاتهم الخاصة التجسيد الوحيد للحقيقة ، ولنفسـه ادعى انه لايمكن فقط ان يرى الرؤى بـل ان بـامكانه ايضـا شـفاء المرضى ، وكان الناس يحضرون له مرضاهم ليمسـهم ، واعلن ان الطعام والنبيذ الذي يوضع أمام إتباعه لاينقص ابدا ، بل بـالأحرى يزداد بينما يؤكل ويشرب ووعد بأنه عندما يصـل الصـليبيون الى البحر فان الماء سيرتد أمامهم وانهـم سـيسيرون مـن غير بلل الى الأرض المقدسة ، وبشأن قوة قدراته المعجزة ادعى لنفسه الحـق في منح الغفران من كل انواع الذنوب ، واذا رغب رجـل وامـراة مـن اتباعه في الزواج فانه كان يقوم بالمراسم ، واذا رغبا في الانفصـال فانه كان يطلقهم بالسهولة نفسها ويقال انه قد زوج احد عشر رجلا لامرأة واحدة ، ممـا يدلل على انه رأى نفسـه كمسـيح حـي يتطلب « حواريين » «ومريم عذراء » (ص ٩٦)وكل مـن يغـامر بمعارضته كان يبطش به من قبل الحراس ، واعتبر قتل كاهن امرا يستحق الثناء بشكل خاص ، ونقلا عن قول يعقوب : يمكن أن يكفر عنه بشربة نبيذ ، ولم يكن مـدهشا ان نظـر رجـال اللاهـوت الى انتشار الحركة برعب وقد ذهـب جيش يعقـوب اولا الى اميذز حيث استقبل استقبالا حماسيا ، ووضع البورجوازيون طعامهم وشرابهم تحت تصرف الصليبيين ، ودعوهم بأقدس الرجال ، وأعطى يعقوب انطباعا صالحا حتى انهم رجوه ان يتفضـل بـأخذ مـايشاء مـن ممتلكاتهم ، وركع بعضهم أمامه (كما لو كان جسد المسيح) .

وبعد اميذز انشطر الجيش الى مجمـوعتين سـارت الأولى الى روان حيث تمكنت من تشتيت مجمع كان ينعقد هناك برئاسة رئيس الأساقفة ، وتقدمت الأخرى الى باريس وهناك فتن يعقـوب الملكة الأم بلانش حتى انها حملته بـالهدايا وتـركت له الحـرية ليفعـل مايشاء ، وكا ن يعقوب في ذلك الحين يرتدي زي أسـقف ويعـظ في الكنائس ويرش الماء المقدس وعقب طقوس غريبة خاصة به ، وخلال

ذلك كان الرعاة يبدأون في المدينة بمهاجمة رجال اللاهوت وقتلوا العديد منهم بالسيف واغرقوا العديد في السين واوشك طلاب الجامعة ــ الذين كانوا بالطبع من رجال اللاهوت وان كانوا من المراتب الصغيرة ــ أن يذبحوا لو لم يغلق الجسر في الوقت المناسب.

وعندما ترك الرعاة باريس تحركوا في عدد من الفرق ، كل منها تحت قيادة « استاذ » كان يبارك الحشود وهم يمرون خلال المدن والقرى ، وفي تور هاجم الصليبيون رجال اللاهوت ايضا ولاسيما رهبان الدومينكان والفرنسيسكان الذين سحبوهم وجلدوهم في الشوارع ، ونهبت كنيسة الدومنيكان ، وهوجم دير الفرنسيسكان واقتحم واظهر الازدراء القديم للأسرار المقدسة التي تناولتها الايدي غير الجديرة نفسها : لقد امسكت الحشود بخبز القربان المقدس وبين الاهانات القوا به الى الشوارع ، وكان كل مايجري يلقي القبول والتأييد من الناس ، وفي أورليانز وقعت مشاهد مماثلة ، وهنا أمر الأسقف بإغلاق البوابات في وجه الحشد القادم ولكن البورجوازيون تعمدوا عدم اطاعته وسمحوا للرعاة بدخول المدينة ووعظ يعقوب الحشود وتم شج راس احد العلماء من مدرسة الكاتدرائية كان قد تجرأ على معارضته ببلطة طرحته أرضا ، وهرع الرعاة الى المنازل التي اختبأ فيها الرهبان فعصفوا بها ، وحرقوا الكثير منها الى الأرض ، وبطشوا بكثير من البورجوازيين رجال اللاهوت بما فيهم اساتذة الجامعة او اغرقوهم في اللوار .

واكره باقي رجال اللاهوت على الخروج من المدينة ، وعندما غادر الرعاة المدينة كان الأسقف ساخطا محنقا من الاستقبال الذي اضفي عليهم ، ووضع أورليانز تحت الحرمان ، وفي الواقع كان راي المعاصرين أن الرعاة كانوا مدينين الى حد بعيد بهيبتهم لعاداتهم في قتل ونهب الكهنة ، وعندما كان أحد رجال اللاهوت يحتج او يقاوم لم يكن يلقى دعما من الناس ، ومن المفهوم ان بعض رجال اللاهوت وهم يرقبون نشاطات الرعاة كانوا يشعرون بان الكنيسة لم تكن ابدا عرضة لخطر أكبر من ذلك ، وفي بورغ بدأ قدر

- ١٥٣٤ -

الرعاة يتغير ، وهنا ايضا عصى البرجوازيون رئيس اساقفتهم وسمحوا للحشود بقدر ما اتسعت لهم المدينة ، وعسكر الباقي خارجها ووعظ يعقوب هذه المرة ضد اليهود وارسل رجاله لتدمير الكتابات المقدسة ، ونهب الصليبيون المنازل ايضا في كل أنحاء المدينة ، وأخذوا الذهب والفضة اينما وجدوهما واغتصبوا كل امرأة امكنهم ان يضعوا ايديهم عليها ، واذا كانوا لم يضايقوا رجال اللاهوت فان ذلك كان لأنهم اختبأوا ، ولكن في ذلك الوقت كانت الملكة الأم قد أدركت نوع هذه الحركة واعتبرت خارجا على القانون كل من شارك فيها ، وعندما بلغت هذه الأنباء بورغ فر العديد من الرعاة واخيرا وبينما كان يعقوب يرعد ويبرق ضد انحلال رجال اللاهوت ويدعو أهل المدينة للانقلاب ضدهم تجرأ واحد من بين الحشود على معارضته ، واندفع يعقوب نحو الرجل بسيف وقتله ، ولكن هذا كان كثيرا بالنسبة للأهالي الذين حملوا بدورهم السلاح وطاردوا الزوارالجامحين الى خارج المدينة .

وجاء الآن دور الرعاة في معاناة العنف ولوحق يعقوب من قبل الخيالة البرجوازيين ومزق اربا ، واسر العديد من اتباعه من قبل ا لرجال الرسميين الملكيين في بورغ وشنقوا ، وشقت الفرق الناجية طريقها الى مرسيليا والى ايغ مورت حيث كانوا يأملون في ركوب السفن الى الأرض المقدسة ، ولكن كلتا المدينتين تلقت تحذيرا من بورغ واعتقل الرعاة وشنقوا ووصلت فرقة أخيرة الى بوردو ولكن لتلتقي هناك مع قوات انكليزية تحت قيادة حاكم غاسكوني سيمون دي مونتفورت حيث تشتت ، واثناء محاولة قائدها الصعود الى إحدى السفن المبحرة نحو الشرق عرف من قبل بعض البحارة واغرق وفر احد معاونيه الى انكلترا ، وعندما نزل في شورهام جمع اتباعا من بضع مئات من الفلاحين والرعاة ، وعندما بلغت هذه الأحداث الملك هنري الثامن كا ن متنبها بدرجة كافية لاصدار تعليمات لقمع الحركة الى قادة الشرطة في كل انحاء المملكة ، وسرعان ماتحللت الحركة كلها ، وحتى الحواري في شورهام مزق اربا من قبل اتباعه ، وكانت الشائعات قد حملت كل شئ الى كل

جهة ، فقيل ان الحركة كانت مؤامرة من السلطان الذي قيل أنه دفع ليعقوب ليجلب له المسيحيين من الرجال والشبان كعبيد ، وقيل ان يعقوب والقادة الآخرين كانوا من المسلمين الذين كسبوا هيمنة على المسيحيين بوسائل السحر الأسود (ص ٩٨).

ولكن كان هناك ايضا أنه في الوقت الذي تم فيه قمع حركة الرعاة ، كانت قد توسعت فقط في الجزء الأول من برنامجها ، فقد قال الناس قصد قادة الرعاة أن يذبحوا أولا الكهنة والرهبان ، ثم الفرسان والنبلاء ، وعندما تسقط كل السلطات تنتشر تعاليمهم في كل أرجاء العالم.

صليبية الفقراء الأخيرة

لم تصبح الحركات المسائحية للجماهير أكثر استقلالا فقط بل اصبحت أكثر صراحة في عدائها للأغنياء وذوي المزايا ، وفي هذا عكست تغييرا حقيقيا في الاحساس الشعبي ، ولم تكن الخصومة بين الاغنياء والفقراء شيئا جديدا ، وحتى تحت نظام الوحدات الريفية الاقليمية كان بامكان الفلاحين الانقلاب ضد سادتهم اذا كان حكمهم مستبدا أو نزويا او متعارضا مع عادات الضيعة ، ولم تكن الثورات المحلية غير معروفة بأي حال ، ومع ذلك كان فقط عندما تمزق نظام الوحدات الريفية بسبب تطور الاقتصاد التجاري والصناعي ان الطبقات العليا من العامة أصبحت هدفا لتيار ثابت من النقد الدال على الاستياء .

وكان كثير من العداء موجها ضد التجار الراسماليين في المدن ، وكثيرا ماكان هؤلاء اغنياء جدا ، فأربعون رأسماليا ربما كانوا يملكون نصف الثروة في مدينة اضافة الى معظم الأراضي التي بنيت عليها ، وصحيح انه في المراحل الأولى في نمو المدينة قدم مثل هؤلاء الناس خدمات عامة عظيمة وفي بعض المدن ـ البندقية مثلا ـ استمروا على ذلك خلال العصور الوسطى ، ولكن في مدن كثيرة في

البلاد المنخفضة ووادي الراين أصبحوا بسرعة يشكلون قلة حاكمة انانية كانت تهتم فقط بحماية مصالحها الخاصة ، و كسلطة بلدية وحيدة كان هؤلاء الرأسماليون قادرين الى حد بعيد على تحديد الأجور وساعات العمل في الصناعة بما في ذلك الصناعات التي يحصلون منها على ارباحهم ، وفوق كل شي لم تكن هناك رابطة تقليدية اجتماعية تقدسها العادة المغرقة في القدم ، لتوحيد الرأسماليين الكبار حتى مع الحرفيين الرئيسيين أو معلمي الحرف الذين عملوا لديهم بصورة دائمة تقريبا ، اذا تجاوزنا عن ذكر العمال العاديين والعاطلين ، ولم يكن هناك مفر من انه في المناطق المتمدنة بدرجة عالية ، حيث عاشت الأقلية الغنية في تقارب وثيق مع السكان ، وحيث وجد عمال غير مستقرين يبالغ في الاستغناء عنهم واحيانا يرهقون بالعمل وهم دائما في فقر يائس ، من ان يشهد هؤلاء تنامي الكراهية الطبقية ذات العنف البالغ .

وكانت النبالة القديمة مكروهة مثلما تمت كراهية الارستقراطيين الرومان الذين كانوا يرتبطون معهم في الواقع بالزواج ، (ص٩٩) .

والعمل التقليدي للنبلاء كحماة للفلاحين غير المسلحين اصبح يرى اقل ضرورة مع توقف الغزوات الكبيرة ومع تقييد الأعمال الحربية الخاصة بشكل تدريجي بوساطة السلطة الملكية ، علاوة على ذلك تحلل نظام الوحدات الريفية في المناطق التالية الاستقرار بسرعة ، والمعايير المعيشية التي كانت تبدو مناسبة حتى بالنسبة لمالكي الأراضي الكبار في القرون الأولى بدت اقل وفاء بالحاجة الآن ، وكانوا يريدون عادة العيش في المدن ، ولكنهم لم يتمكنوا من ذلك بوساطة الدخل الآتي من الخدمات والقروض النوعية التي كثيرا ما كانت ثابتة منذ قرون قديمة ، وكان عليهم بدلا من ذلك الحصول على المال ويمكنهم فقط الحصول عليه بالسماح لعبيدهم اولا بشراء حرياتهم ، وثم دفع ايجار نقدي لممتلكاتهم ، وكان الفلاحون كثيرا ما يستفيدون ماديا بقدر كبير ، من التغيير ، لكن موقفهم كان

يتحدد بالاحرى بتلقف رابطة ، مع انهم كثيرا ماكانوا يجدونها عبئا وظلما الا انها مع ذلك كانت تنطوي على صفة ابوية معينة ولكن مع اختفاء القنانة كانت المصالح المادية تميل لأن تصبح المعيار الوحيد الذي ينظم معاملات مالك الأرض مع فلاحيه ، وكان هناك عدد كبير من الأفراد من جلب عليهم انهيار نظام الوحدات الريفية كوارث تامة ، وعندما — كما حدث كثيرا — اصبح مربحا لمالكي الأراضي خفض عدد مستأجريهم كانوا يطردونهم بأي ذريعة يجدونها ، واصبح العديد من الفلاحين الذين كانوا عاجزين عن احكام قبضتهم على الأرض من البروليتاريا الريفيين ، وفي الوقت نفسه افلس عدد كبير من مالكي الأرض في محاولتهم الاحتفاظ بمستويات من المعيشة تفوق امكانيتهم فغرقوا في صفوف المطرودين.

وفي هذا العالم الجديد عندما ازدهر الرخاء الذي لم يحلم به جنبا الى جنب ليس فقط مع الفقر الكبير بل ايضا مع عدم الأمن الكبير غير المعتاد ، كانت احتياجات الفقراء عالية ومتوالية ، وهي محفوظة في وثائق من انواع مختلفة من ذلك في الأمثال التي الفها الفقراء انفسهم : « الرجل الفقير يعمل دائما ، يقلق ويعمل ويبكي ولايضحك من قلبه ابدا ، في حين يضحك الرجل الغني ويغني ...»

وفي العاب الخوارق التي ربما كانت الوسيلة الرئيسية للتعبير الشعبي عن النفس : « ... يجب ان يكون لكل انسان من الممتلكات بقدر مالغيره ، ليس لدينا شي ندعوه ملكنا الخاص . ان السادة الكبار لديهم كل الممتلكات والناس الفقراء ليس لديهم شي سوى المعاناة والمحن والحظ العاثر ..»

وايضا في المقطوعات الهجائية المؤثرة التي تقرا على نطاق واسع : «الحكام ورؤساء الكنائس والشمامشة ورؤساء المدن يعيش الكل تقريبا على السرقة .... الكل يعيش على حساب الفقراء هم جميعا يريدون ان يسلبوهم وهم ينتفون شعرهم (ص ١٠٠) وهم احياء.القوي يسرق الضعيف...» او

ايضا :« اريد ان اخنق النبلاء ورجال اللاهوت ان اخنق كل واحد منهم....يصنع الرجال الصالحون خبز الحنطة لكنهم لن يمضغوه ابدا كلا ان كل مايحصلون عليه هو نخالة القمح ، ومن النبيذ الجيد لايحصلون على شيء سوى التفل ، ومن القماش الجيد لاشي سوى النفاية ، ان كل شيء طيب ، وجيد يذهب الى النبلاء والكهنة ورجال اللاهوت... »

وفي المناسبات كان هذا الاستياء والغيظ الكئيب الكامن يعطى مكانه لمساواة قتالية وفي وقت يعود في قدمة الى ١١٨٠ تحرك نجار في وسط فرنسا – وكالمعتاد برؤيا للعذراء – ليؤسس جمعية الاخاء التي ستطهر الأرض من وباء جيش المرتزقة المخل الذي تحول الى جماعة منظمة.وفي البداية كان « صليبيو السلام » كما دعوا انفسهم ، جمعية ورعة ، يمكن مقارنتها بجمعيات بناة الكنيسة تضم اناسا من كل الطبقات ، وكانوا مجازين من الاساقفة ، تعهدوا بعدم الشرب أو المغامرة أو السباب . ولكن في الوقت الذي تغلبوا فيه على الفرق المنظمة ، تحول الكابوتياتي الذين سموا كذلك بسبب لباسهم الموحد ذو القلنسوة البيضاء الى حركة ثورية من فقراء الناس أعلنت المساواة بين الناس جميعا ، واصرت على أن الكل على حد سواء مخولين بالحرية التي ورثوها عن أدم وحواء ، وفي النهاية أصبح الكابوتياتي عنيفين وبدأوا بقتل النبلاء حتى تم قمعهم بالقوة المسلحة .

ومع أن الراهب الذي وصف هذه الأحداث ربما يكون قد صرخ من الرعب ومن الجنون المسعور للكابوتياتي ، كان المنادون بالمساواة من قبل هؤلاء دوما سريعين بالاستشهاد بتعاليم الكنيسة نفسها في دفاعهم ، لأنه مهما كانت ممارساتهم دنيوية ، لم تتوقف الكنيسة عن تمجيد الفقر كواحد من القيم العالية واحدى الوسائل الرئيسية لبلوغ القداسة . وبالنسبة للرجال المقدسين المحترفين ، كان يفترض أن فقر الرهبان إلزامي مثل العفة والطاعة وقبل القديس فرانسيس بقرن أمكن لباحث ديني مثل القديس

نوربرت أن يختار أن يهيم في العالم في أسمال بالية ، وبالتأكيد إن مثل هذا التمجيد للفقر يجب أن يتضمن إدانة للغنى ؟ وقد أنكر علماء اللاهوت بالطبع قانونية هذا الاستنتاج وأعاد القديس توماس تأكيد العقيدة التي وضعها الآباء : « عين الناس من قبل الله لأحوال مختلفة في الحياة ، وإن الرجل الغني ، مع أنه يتوجب عليه في الواقع أن يعطي الصدقات بسخاء ، يتوجب عليه أيضا أن يحتفظ بما يكفي ليمكن نفسه وعائلته من العيش بطريقة تتواءم ووضعهم » ولكن هذا لم يمنع الحشود الفقيرة من النظر الى الاغنياء على أنهم يستحقون اللعن ومقيتون الى أقصى حد ، أو لم يقل المسيح نفسه للرجل الغني الشاب : « بع ما تملك ووزعه على الفقراء ، ولسوف يكون لك كنز في السماء.... لأنه أسهل على الجمل أن يدخل في سم الخياط من أن يدخل رجل غني في مملكة الرب »؟

الم يتحدث عن دايز الرجل « الذي كان يلبس القرمز والكتان الناعم ويزداد ترفا كل يوم والذي للسبب نفسه طرح في نار جهنم ، في حين يرقد الشحاذ لا زاريس في هدوء في صدر الأب ابراهيم »؟

وحالما اسقط الرجل العلماني الغني دوره الأبوي أصبح موضوعا للاسقاطات نفسها مثل رجال اللاهوت واليهودي ، أي أنه أصبح يرى كأب شرير وابن شرير واكتسب في الوقت نفسه صفة شيطانية ، وهناك مواعظ تصور الأغنياء على أنهم أبناء غير مطيعين للمسيح ، أبناء قساة القلب ستلقى لا مبالاتهم بمعاناة أبيهم بالتأكيد عقابا أليما ، وفي النحت الروماني الدقيق الذي يزين مدخل كنيسة ـ الرهبان للقديس بيير في مواساتك ، مثلا ، صور الرجل الثري كأب مهمل شرير ، وهنا صورت قصة دايفز ولازاريس كلها بانفعال شديد ، ومن « مشهد المأدبة حيث نبذ لازاريس من قبل البطرك الشرير دايفز نزولا الى النقطة التي يبتهج فيها لازاريس بعناية ابراهيم الأبوية في حين وزن دايفز بكيس ماله ، وعذب من قبل الشياطين(صورة رقم ٥) ولكن المعنى العاطفي العميق الذي

كان لهذه القصة بالنسبة للحشود انتقل بحيوية أكثر بالصور التي في الزاوية اليمنى السفلى ، فهذه الصور ترمز الى الانفعالات الرئيسة لدى دايفز ، افاريتيا (الجشع) ولوكسوريا (المتعة) ، وتلهفه للكسب للمسرات الدنيوية ، واللغة الرمزية هي لغة الايمان بالشياطين في العصور الوسطى ، ويرمز الى التمزق للكسب بشيطان ذكر ، في حين رمز لحب المتعة بالمراة والثعابين - صورة اصلية كانت تجسيدا بصريا للرغبة الجسدية والشيطان الأرضي - ممن اقام في الواقع في ذلك العالم المظلم حيث أقام إبليس ووحش سفر الرؤيا والأفاعي المرافقة لهما ، والعقارب والضفادع .

علاوة على ذلك ففي حواش وشروح لا حصر لها على سفر الرؤ يا صور افاريتيا ولوكسوريا كرموز لخدم المسيح الدجال ، وهكذا نجد بالفعل من وجهة نظر الارثوذكس ، أن دايفز كما صور في مويساك ، هو واحد فقط ابعد عن اليهودي الشيطاني ورجال اللاهوت الشيطاني ، ولكن إذا أمكن للكنيسة في محاولاتها ضمان تحالف الحشود الجديدة أن تتحدث بلغة كهذه ، فما الذي كانته لغة أولئك المهرطقين الذي نشروا تعاليمهم بين النساجين في ورشهم واكواخهم ، أولئك الكهنة المرتدون الذين وجدهم القديس برنارد وقد اثاروا رعبه جالسين وهم ملتحين ، وغير حليقين بجوار الأنوال الى جانب النساجين من الذكور والاناث ؟ فالى هؤلاء الناس كان دايفز ينتمي ، أي ببساطة الى جيش المسيح الدجال . وفي أذهان المتعصبين من المؤمنين بسفر الرؤيا في القرنين الثاني عشر والثالث عشر كان الغني من العلمانيين يمر بالفعل في حالة من التحول ستحوله مع مرور الزمان (ص ١٠٢)الى راسمالي في دعاية القرن العشرين :« إنه الكائن الشيطاني حقا في تخريبه ، وقسوته ، وشهوانيته القوية ، وقدرته على الخداع وفوق كل شيء قوته الكلية تقريبا .

إنه في هذا الاطار يمكن رؤية أخر الحملات الصليبية الشعبية كتجارب اولية لنمط من انماط الالفية التي كانت جديدة على أوربا

العصور الوسطى ، والتي كانت ترمي ولو بشكل مشوش الى القضاء على الأقوياء ، ورفع الفقراء ، ومع الربع الأول من القرن الرابع عشر كان الحماس الصليبي أقوى من اي وقت في احتكاره للفقراء ، لقد وصلت مملكة القدس الى نهايتها واخليت سورية واستبدلت البابوية الهالة الصوفية لروما بأمن افنيون وكانت السلطة السياسية في كل بلد تنتقل الى البيروقراطيين متصلبي الرؤوس ــ وكانت الجماهير غير المستقرة بين السوم والراين فقط ما تزال تضطرم بالتخيلات الأخروية التي كانوا ينقلونها الآن ممزوجة بوحشية مريرة ، ولم يكن مطلوبا سوى القليل جدا لاقلاع هؤلاء الناس في محاولة غير واقعية بالمرة لتحويل تخيلاتهم الى حقائق ، ففي ١٣٠٩ أرسل البابا كليمنت الخامس حملة من الفرسان الاسبتارية لغزو رودس لتكون حصنا ضد الترك ورأت السنة نفسها مجاعة بالغة الخطورة في بيكاردي والأراضي المنخفضة وعلى طول القسم الأدنى من الراين ، وكان الطرفان معا كافيين تماما لاثارة حملة صليبية شعبية أخرى في المنطقة نفسها ، ومرة أخرى ظهرت الأرتال المسلحة ، تتألف من الحرفيين الفقراء البائسين ، والعمال مع مزيج اضافي من النبلاء الذين بددوا ثرواتهم و(المرء يتذكر العديد من مالكي الأراضي المفلسين) لقد كان الناس يتسولون وينهبون في طريقهم عبر البلاد ، ويقتلون اليهود ولكنهم كانوا أيضا يعصفون بالحصون التي أوى فيها النبلاء هذه الموارد القيمة للدخل ، وفي النهاية هاجموا حصن دوق أوف برابانت وهومعارض صارم لكل الثورات الشعبية وكان قد هزم قبل ذلك بثلاث سنوات فقط جيشا من العصاة المتمردين من صانعي الثياب ، ويقال انه دفن قادته أحياء ، وقاد الدوق على الفور جيشا ضد الصليبيين وطردهم بخسائر كبيرة ولكن خلال بضع سنوات كانت حشود أخرى تتجمع مرة أخرى.

وكان هذا بالفعل زمن الأسى الكبير والشعور غير السوي بالأهمية ، وبينما أدى التدني الشامل في انتاج المحاصيل في ١٣١٥ بالفقراء الى أكل لحوم البشر ، كانت مواكب طويلة من التائبين

العراة تبكي لله طالبة الرحمة ، ورفرفت الآمال الالفية عاليا ، وفي وسط المجاعة انتشرت نبوءة تبشر بأن الذين طردهم الجوع ، من الفقراء سيقومون في تلك السنة ذاتها بثورة مسلحة ضد الأغنياء والاقوياء ويدمرون الكنيسة ، ويطيحون بالملكية الكبيرة ، وبعد كثير من سفك الدماء سيبزغ فجر عصر جديد يتوحد فيه كل الناس تحت صليب واحد ماجد مرتفع، وليس مدهشا أن اقترح في ١٣٢٠ فيليب الخامس ملك فرنسا بفتور حملة (ص ١٠٣)أخرى أيضا الى الأراضي المقدسة ، وقد أخذت الفكرة على الفور من قبل الحشود البائسة ، مع انها كانت غير عملية بالمرة ونبذت حالا من قبل البابا ، وهذه المرة كان راهب مرتد وكاهن مجردهما اللذان بدءا بالوعظ بالحملة الصليبية في شمال فرنسا،و بتأثير جيد حتى أن حركة كبيرة قفزت « بشكل مفاجيء و بدون توقع كدوامة» و لكن هنا أيضا يبدو أن دورا كبيرا قد نفذ من قبل متنبيء أدعى أنه عين من قبل الرب كمخلص ، واستمد مؤرخون يهود من مصدر اسباني مفقود قصة صبي راع أعلن أن حمامة قد ظهرت له ، وتحولت الى صورة العذراء ، وأمرته أن يدعو الى حملة صليبية ، ووعدت بالنصر لها ، ويذكر هؤلاء المؤرخون أيضا أن قائدا أدعى انه موسوم بعلامة الاختيار الالهي. وهي الصليب بين لوحي الكتف.

وكما في ١٢٥١ كان أول المستجيبين هم رعاة الأغنام والخنازير ، وكان بعضهم مجرد أطفال وهكذا اصبحت هذه الحركة أيضا تعرف بحملة الصليبيين الرعاة ، ولكن مرة أخرى. بينما كانت الأرتال تمر عبر المدن انضمت اليها عناصر أخرى من المتسولين ذكورا واناثا. والخارجين على القانون وقطاع الطرق ، وأصبح الجيش الناتج بسرعة مشاغبا عنيفا ، وقبل مضي زمن طويل اعتقل عدد كبير من الرعاة وسجنوا ، ولكن البقية كانوا مدعومين جماهيريا وبحماس ، وكانوا يعصفون بالسجن ويحررون رفاقهم ، وعندما وصلوا الى باريس أرهبت هذه الحشود المدينة ، واقتحموا القصور ، وانقضوا على الكنائس ، وفي النهاية وبفعل شائعة أن قوات مسلحة قد استدعيت للعمل ضدهم ، شكلوا

أنفسهم في وضع قتالي في حقول القديس جرمان دي بريه ، وعندما لم يتحقق وجود قوة لمعارضتهم تركوا العاصمة وساروا جنوبا حتى دخلوا الأراضي الانكليزية في الجنوب الغربي وكان اليهود قد طردوا من المملكة الفرنسية في ١٣٠٦ ، ولكنهم كانوا ما يزالون موجودين هنا ، وبينما كان الرعاة يزحفون كانوا يقتلون اليهود وينهبون ممتلكاتهم وأرسل الملك الفرنسي أوامره بحماية اليهود ، ولكن الشعب اقتناعا منه أن المذبحة عمل مقدس ، فعل كل شيء لمساعدة الصليبيين وعندما اعتقل الحاكم والرسميون المدنيون في طولوز عددا كبيرا من الرعاة عصف أهل المدينة بالسجن ، واعقب ذلك مذبحة كبيرة لليهود وفي البي اقفل الحكام البوابات ، ولكن الصليبيين اقتحموها وهم يصيحون بأنهم جاءوا لقتل اليهود ، وحيتهم الجماهير بحماس وحشي ، وفي مدن أخرى انضم أصحاب السلطة أنفسهم الى أهالي المدن والى الصليبيين في بوردو ، وفي كل انحاء جنوب غرب فرنسا من بوردو في الغرب الى البي في الشرق ، قتل كل يهودي تقريبا (ص ١٠٤) .

وتدريجيا بدأ الرعاة يحولون اهتمامهم الى رجال اللاهوت ، وكرعاة للرب بدوا في مهاجمة الكهنة على أنهم« رعاة زائفون سرقوا قطعانهم » وقيل أنهم كانوا يخططون لمصادرة كل الممتلكات الخاصة برجال اللاهوت غير الرهباني او العائدة للأديرة ، وحاول ضابط ملكي ، وكيل الأمير في كاركاسون ، أن يشكل قوة لمقاومتهم ، ولكنه وجد صعوبة كبيرة في ذلك ، إذ رفض الناس العاديون في كل مكان تقديم المساعدة ، وفي مقر إقامة البابا في افنيون كان هناك استنفار كبير ، حيث أن الأديرة البابوية كانت تتوقع أن يحمل الصليبيون على المدينة وخشوا من النتائج ، وفي النهاية حرم البابا جون الثاني والعشرين الرعاة ودعا وكيل أمير بوكير ليباشر القتال ضدهم ، وثبتت فعالية هذه الأجراءات ، ومنع الناس تحت طائلة الموت ، أن يقدموا الطعام لمن يريد أن يكون صليبيا ، وقتل العديد في المعركة في نقاط مختلفة بين طولوزونربونة ، او أسروا وعلقوا في الأشجار بالعشرين والثلاثين ، واستمرت

عمليات الملاحقة والاعدام نحو ثلاثة شهور ، وتمـزق الناجـون الى جماعات صغيرة وعبروا البيرينيه لقتل مزيد من اليهود الأمـر الذي فعلوه الى أن قاد ابن ملك أراغون قوة ضدهم وشتتهم ، وأكثر مـن اي حملة صليبية سالفة كان الشعور أن هذه الحملة استمرت تهـدد البنية القـائمة للمجتمـع ، فلقـد نشر الرعاة في ١٣٢٠ الرعب في قلوب الأغنياء جميعا مع المتمتعين بالمزايا.

وبعد هذه النقطة يصبح من الصـعب بـدرجة متـزايدة تعقـب العملية ، وفي تلك المنطقة الشمالية بين السوم والراين فيمـا يتعلق بالأسطورة الاجتماعية التـي كانت بصـورة أو بـأخرى تثير خيال الجماهير لأكثر من قرنين إن الحرب بين الكبير والصغير التـي ندر أن توقفت في البلاد المنخفضة منذ ايام برتراندراي ، اصـبحت الآن اكثر عنفا وقسوة ، ففي ١٣٢٥ رفض فلاحو السواحل في فلاندرز بدعم من عمال النسيج في بـروغ دفـع العشـور والمكوس ، وحملوا السلاح ضد ملاك الأراضي من رجال الأكليروس والعـامة ، وكانت النتيجة حربا اهلية ضارية دامت حتى ١٣٢٨ ، عندما تـدخل ملك فرنسا وهزم الثوار في مونت كاسل.ومن ١٣٢٠ الى ١٣٨٠ ثـار النسـاجون في المراكز الكبيرة الثـلاثة لصـناعة القمـاش : غنت ، وبروغ ، وبيرس مرات ومرات في عمليات تمرد دموية انتهت بقمع دموي ، واخيرا في ١٣٧٩ استولى النسـاجون في غنت على السلطة ومن مدينتهم نجحوا في الهيمنة على كل فلاندرز وفي الاطاحة بحكم الكونت الفرنسي ، وخـلال هـاتين السـنتين نفسـها (١٣٨١ ـ ١٣٨٢) كان الشمال الفرنسي الباريسي : مدن بيكاردي ونورماندي ، وكل مأوى قديم للرعاة ـ يشهد سلسلة من الثـورات الشعبية التي اثارتها الضرائب الباهظة ، وكان الهدف الأول لهؤلاء الناس دائما مـكاتب ضـامني*الضرائب* (ص ١٠٥) حيث دمـروا الملفات ، ونهبوا الخزائن وقتلوا ضامني الضرائب ، وكانت المرحلة التالية ، حي اليهود ، حيث قتلوا ايضا ونهبوا كل ما يملكونه ، وفي روان مضوا الى حد انتخاب ملك لهم عرضـوه في احتفـال بفـرحة النصر ، وبأوامره لم يقتلوا فقط جامعي الضرائب بل ايضـا بعض

الاهالي من ذوي اليسار ، وفي باريس وروان على حد سواء كان العصاة يستلهمون مثال غنت و« ولتعش غنت » كان شعارهم ، وفي كلتا المدينتين سحقت الثورتان من قبل الملك وجيشه من النبلاء عند عودتهم من انتصاراتهم على النساجين الفلمنكيين ولكن الفقراء من المدينة والريف توحدوا في فرق خربت الأراضي.

و على الأغلب كان لهذه الحركات أهداف محدودة و عملية و الذي كانت تريده هذه الثورات هو المزيد من المال ومن الاستقلال ، الم يكن هناك بعد بعض بقايا التيارات السفلية من الحماس الالفي يسري خلالها ؟ وهذا لا يمكن اثباته مع انه جدير بالملاحظة أن هنري بيرين الذي كان بشكل رئيس مؤهلا للحكم ، اعتقد ذلك ، وماهو مؤكد هو أنه في قمة الحرب الطبقيةوفي يبرس في ١٣٧٧ مثلا ـ لم يشنق عمال النسيج فقط كثوار بل انهم حكموا من قبل محاكم التفتيش واحرقوا كمهرطقين ، ومن جانب آخر ، كان بعض رجال اللاهوت المنشقين يعظون بألفية من نوع ثوري ومساواتي بشكل ملحوظ ، وكان واحد من هؤلاء الرجال فرنسيسكاني يدعى جون روكوتياد الذي أمضى السنوات العشرين الأخيرة من حياته في سجون اكليروسية وتحت تهديد مستمر بالحرق بسبب افكاره ، ترك كتاباته التنبؤية ذات الأهمية الكبيرة ، وفي ١٣٥٦ ، عام الهزيمة الفاجعة في بواتيه عندما كانت سرايا حرة تنهب مناطق الريف حيث كان هذا الانفجار الكبير للغضب الفلاحي ، كان الجاكويري قريبا وقد أخرج كتيب « حول هذه المحن »

وهذا الكتاب المشهور ، الذي ترجم الى الانكليزية ، والكتالانية ، والتشيكية يظهر بوضوح شديد كيف أن التقاليد القديمة للأيمان بالأخرويات قد تكيفت الآن لتصبح اداة نقل للتطرف.

وقد ميز أسر الملك في بواتيه كما اكد روكوتيلاد ـ بداية زمن مفجع لفرنسا ، عندما انهارت المملكة بهزيمتها في الحرب ، وكان في

الحقيقية زمـــن المتـــاعب للنصرانية كلهـــــا ، إذ أنه بين ١٣٦٠ ـ ١٣٦٥ ارتفعــت ارادة الطبقــات الدنيا في مـــواجهة العليا ، وفي تلك السنوات اتيح للعدالة الشعبية النهوض ومــن ثــم تمزيق الطغاة والنبلاء وتقطيعهم بسيف صقل حده مرتان.

وجرد كثير من الامراء والنبلاء وأصحاب السلطة مــن هيبتهــم وخيلاء ثــرائهم ، وكان هناك محـــن لا تصـــدق بين النبــلاء والعظماء ، ونهب كبار القوم وهــم الذين كانوا بسـلبهم يفــرضون المعاناة على الناس ، وكان الانسان الذي يمــكنه أن يجــد خــادما مخلصا أو رفيقا في تلك الأيام يعتبر نفسه محظوظا حقا ، ثم ستبيد الفيضانات والأوبئة القسم الأعظم من البشرية وستمحو الخــاطئين المعنين ، وستمهد الطريق لتجديد الأرض وسيظهر مسـيح دجــال غربي في روما ، في حين سينشر أخــر شرقــي تعــاليمه الزائفــة في القدس ، وسيجد الأخير اتباعه بين اليهــود ، الذين سـيضطهدون المسيحيين ، ويدمرون الكنائس والمذابح ، وسينهب العرب والتتار ايطاليا واسبانيا وهنغاريا وبولونيا واجزاء من المانيا ، وســيجتمع الحكام والشــعوب وقــد اغضــبهم التــرف والغنى والخيلاء لدى الاكليروس . ليجردوا الكنيسة مــن ممتلكاتهــا ، وســيكون الفقــر والذبح عقوبة الاكليروس لاسيما الفرنسيسكان ، ولكن فيمــا بعــد سترتفع الكنيسة ، ولاسيما الفرنسيسكان وقد طهرتها المعــاناة ، والعيش في الفقر المطلق كالمسيح والرســل كمــا يعتقــد ، الى حياة جديدة وتبسط نفوذها على العــالم ، وفي ١٣٦٧ ســينتهي زمــن المتاعب ، وسيصبح مصلح عظيم بابا ، وفي الوقت نفســه ســينتخب ملك فرنسا خــلافا لكل عادة امبــراطورا رومــانيا والبــابا والملك والامبراطور بعملها معا سيطردان العــرب والتتــار مــــن اوربــــا وسيحولان كل المســلمين ، واليهــود ، والتتــار الى المســيحية ، وسيعيدان الاغريق المنشقين الى كنيســة رومــا ، وســيمحوان كل هرطقة من على وجه الارض وسيصبح ملك فرنسا فــاتحـا وحــاكم العالم كله في الغرب والشرق والجنوب ، وستكون مملكته هي الاكثر جدارة بالفخر اكثر من كل ما عرفه العالم ، لانها ستضم كل الممالك

التي ظهرت في اسيا وافريقيا واوربا على الاطلاق ، ومع ذلك ان حفيد شارلمان هذا الدائم الانتصار ، سيكون ،، « الزوج الاشد فقرا ، للكنيسة المسكونية » والملك الاقدس منذ بداية الزمان ، ومع ان كلا من البابا والامبراطور يجب ان يموتا خلال عقد من الزمان إن حكم السلام الذي سيقيمانه سيبقى الف عام ، حتى النهاية .

واستمررت نبوءات « شارلمان الثاني » ، الذي سيصبح الامبراطور وفاتح العالم ،والذي سيقوم بالرحلة الاخيرة الى الضريح المقدس ، في الظهور في فرنسا خلال القرون الرابع عشر والخامس عشر والسادس عشر ، ولكن تلك النبوءات الاخيرة كان لها النوعية نفسها من الدعاية السياسية التي انتجت لخدمة غايات الاسر الحاكمة ، ولاشيء من نوعية الاساطير الثورية ، وتحول مركز الاثارة في الايمان بالاخرويات في الواقع بعيدا عن فرنسا ، والاراضي المنخفضة ، وكلما ازداد الصراع ضد الغزاة الانكليز ياسا كلما ازداد اخلاص الشعب الفرنسي وصار اكثر تركيزا على الملك الفعلي ، كرمز للارادة الوطنية للنجاة والاستقلال الى ان تمكنت القديسة جان فقط من شغل المكان الذي احتله يوما ما المتنبىء الالفي وفرنسا التي ظهرت من الجهود العظيمة (ص ١٠٧) لاعادة البناء التي تلت حرب المائة عام ، كانت ملكية مركزية الى نقطة الحكم المطلقة ، يتحكم فيها جيش ملكي ، وخدمة مدنية ، وعلاوة على ذلك ارض فقدت فيها المدن كل ذرة من الاستقلال الاداري ، وفي مثل هذه الحالة كان هناك منفذ صغير للحركات الشعبية من اي نوع ، ولكن فوق كل شيء لم يعد تركز فائض السكان الذي وجد لزمان طويل في المنطقة بين السوم والراين موجودا ، ولم تعد بيكاردي ، وفلاندرز أوهنيوت وبرابانت تشكل المناطق الاكثر كثافة سكانية وتصنيعا في شمال اوربا ، وبنهاية القرن الرابع عشر قلص عدد من العوامل ـ حرب الطبقات ، الحرب العالمية ، الهجرة ، العجز في الصوف الانكليزي ، المنافسة المتزايدة من المدن الايطالية ـ صناعة النسيج الى حد الخراب وهبط تعداد السكان بحدة .

- ١٥٤٨ -

وكانت حـالة المانيا مختلفـة ، فهناك كانت الســلطة الملكية في انحدار منذ بداية القرن الثالث عشر ، وكانت الامة تتحلل الى خليط مشوش من الامارات التافهة ، وفي الوقت نفسه مع توسع الصـناعة والتجارة وتزايد السكان ، اصبحت المانيا مسرحا لسلسلة جديدة من الحركات المسائحية

الفصل السادس

الامبراطور فردريك كمسيح منتظر

نبوءة يواكيم وفردريك الثاني

في غضون القرن الثالث عشر ظهر نوع اخر من الايمان بالأخرويات (ص ١٠٨) إلى جانب الأمور الأخروية الأخرى المستمدة من سفر الرؤيا والسبلينيين اصحاب الهواتف من السماء ، معهم في البداية ، ولكن سرعان ما اختلطت كلها ،و كان مخترع النظام التنبؤي الجديد ، الذي قدر له ان يكون في اوربا الاكثر نفوذا حتى ظهور الماركسية ، هو يواكيم فيور(١١٤٥ ــ ١٢٠٢) وبعد سنوات عديدة امضاها في احتضان واطالة للتفكير في الكتابات المقدسة ، تلقى هذا الناسك الذي كان راعي دير كالابريان ، في وقت مابين ١١٩٠ و ١١٩٥ ،الهاما بدا انه يكشف فيه معنى خفيا ذا قيمة تنبؤية فريدة .

وكانت فكرة ان تضم الكتابات المقدسة معنى خفيا بعيدة عن ان تكون جديدة ، فلقد كانت طرق التفسير دائما تعطي مجالا واسعا للتأويلات المجازية ، وما كان جديدا هو فكرة ان هذه الطرق لايمكن تطبيقها ببساطة على الاغراض الخلقية والعقائدية فحسب بل كوسيلة لفهم تطور التاريخ والتنبؤ به ، وكان يواكيم مقتنعا انه قد وجد مفتاحا ، اذا ما طبقه على احداث وشخصيات العهدين القديم والجديد ، بشكل خاص على سفر الرؤيا مكنه من ان يلاحظ في التاريخ نمطا ومعنى ، وان يتنبأ بمراحله المستقبلية بالتفصيل ، لانه في تأويله للكتابات المقدسة طور تفسيرا للتاريخ على انه ارتقاء مر خلال ثلاث مراحل متتابعة رأس كل منها احد اشخاص الثالوث

الاقـــدس ، وكان العصر الاول عصر الاب او القـــانون ، والعصر الثاني كان عصر الابـن او الانجيل والبشـارة ، وسـيكون العصر الثالث عصر الروح ، وسيكون هذا لسـلفيه مثـل ضـوء النهـار العريض مقارن مع ضوء النجوم والقمر ، وكأوج الصـيف مقـارنا بالشتاء والربيع ، فاذا كان الاول عصر خوف وعبـودية ، والثـاني عصر ايمان وخضوع نبوي فان العصر الثالث سـيكون عصر حـب وسرور وحرية ، عندما تـكشف معـرفة الرب مبـاشرة في قلوب كل الناس وسيكون عصر الروح هو السـبت او وقـت الراحـة للجنس البشري ، ثم يصبح العالم(ص ١٠٩)ديرا كبيرا واحدا سيكون كل الناس فيه رهبانا متاملين منتشين في تواجد صـوفي ، ومتحـدين في التغني بمدح الرب ، وهذه الترجمة الجديدة لملكة القديسين ستبقى حتى الحساب الاخير ، ولم يكن يواكيم غير اصـولي عن وعي ، ولم يكن لديه رغبة في هدم الكنيسة ، وكان بتشجيع ما لايقـل عن ثـلاثة بابوات قد كتب الالهـام الذي وهـب له ، ومـع ذلك كان في فـكره تلميحات محتملة الخطورة على بنية الديانة الارثوذكسية في العصور الوسطى ، وفكرته عن العصر الثالث لم يكن بالامكان توفيقها حقيقة مع الفكرة الاوغسطينية ، بان مملكة الرب قد تحققت وبقدر ما امكن تحقيقه على الاطلاق على هذه الارض في اللحظة التي ظهـرت فيهـا الكنيسة ، وانه لن يكون هناك ابدا اي الفية سوى هـذه ، وايا كان مقدار وعي يواكيم بتعاليم الكنيسة . وادعاءاتها واهتماماتها ، إنه في الواقع قد اقترح نمطا جديدا للالفية ، لابل كان اكثر مـن ذلك كان نمطا ستحكم الاجيال التالية صنعته اولا كنمط مضاد للكهـانة ثـم فيما بعد بمعنى علماني صريح .

ويمكن على المدى البعيد تعقب التاثير غير المباشر لتأملات يواكيم الى ايامنا الراهنة ، وبشـكل اكثـر وضـوحا في « فلسـفات معينة للتاريخ ، لاتوافق الكنيسة عليها بصوررة مؤكدة ، ومع ان تصورات يواكيم قد تكون مرعبة ، وقد تـكون ايضـا تصـورات خيالية مـن الصعب تصور وقوعها ، لامجال للخطا انها حول العصـور الثـلاثة عادت للظهور على سبيل المثال في نظريات التطور التـاريخي التـي

فسرها فلاسفة مذهب المثالية الألمان : لسنغ ، وشلنغ وفيخت ، والى حد ما هيغل ، وفي فكرة اوغست كومت عن التاريخ انه ارتقاء من الدين عبر ماوراء الطبيعة الى المرحلة العلمية ، ومرة اخرى في الماركسية الجدلية حول المراحل الثلاثة :الشيوعية البدائية ، ومجتمع الطبقة ، والشيوعية النهائية التي ستصبح عالم الحرية الذي ستضمحل فيه الدولة ، وليس اقل صحة ــ حتى لو كان اكثر تناقضا ــ ان عبارة « الرايخ الثالث » التي ابتكرت للمرة لاولى في ١٩٢٣ من قبل خبير القانون الدولي مولرفان دين بروك وتم تبنيها فيما بعد كاسم « للنظام الجديد » الذي كان يفترض فيه ان يستمر الف سنة لم يكن له سوى دلالة عاطفية صغيرة ، اذا كان تخيل شريعة ثالثة اكثر تالقا لم يدخل على مر القرون في الاصل المشترك للاساطير الاجتماعية الاوربية .

وما اثر في شعوب القرن الثالث عشر فوق كل شيء كان رواية يواكيم عن كيف ومتى كان على العالم ان يمر بالتحولات النهائية ، وفي فكرة يواكيم عن التاريخ ان كل عصر ينبغي ان تتقدمه فترة حضانة ، وحضانة العصر الاول ، استمرت من آدم الى ابراهيم ، وحضانة الثاني من حجي الى المسيح ، وبالنسبة للعصر الثالث فان حضانته قد بدات مع القديس بندكت وقاربت نهايتها في الوقت الذي الف فيه يواكيم اعماله ، وطبقا للقديس متى هناك اثنان واربعين جيلا بين(ص ١١٠)ابراهيم والمسيح ، وكما كان العهد القديم نموذجا للاحداث التالية كلها فان الفترة بين مولد المسيح وتحقيق العصر الثالث يجب ان تستمر ايضا اثنان واربعين جيلا ، وباعتبار ان الجيل ثلاثين عاما فان يواكيم كان قادرا على وضع اوج التاريخ البشري بين السنوات ١٢٠٠ ــ ١٢٦٠ ،وفي هذه الاثناء على اي حال ان الطريق يجب ان يقوم ، وان هذا يجب ان يتحقق من مثل نظام جديد من الرهبان الذين سيعطون بالبشارة الجديدة في كل انحاء العالم ، ومن بينهم سيخرج اثني عشر بطريركا سيقومون بتحويل اليهود الى المسيحية،وا ستاذ واحد اعلى سيقود كل الجنس البشري بعيدا عن حب الاشياء الارضية الى حب الاشياء الروحية ،

وخلال السنوات الثلاثة والنصف التي تتقدم مباشرة تحقيق حكم الشريعة الالهية (العصر الثالث) سيكون حكم المسيح الدجال ، سيكون ملكا دنيويا يعاقب الكنيسة الدنيوية الفاسدة حتى انها في صورتها الحالية ستخرب تماما ، وبعد القضاء على هذا الدجال سياتي عصر الروح في صورته الكاملة .

كيف كان هذا المذهب متفجرا عندما انتحل من قبل الجناح الصارم لرتبة الفرنسيسكان وتصور يواكيم لرتبة رهبانية غير دنيوية بالمرة قد اصبحت قريبة جدا من التحقيق في الجمعية الدينية التي في بضع سنوات من موت المتنبيء ، بدأت تتشكل حول جمعية اسيس Assisi فيما بعد عندما تطورت الجمعية الى تنظيم كهنوي كبير توجب حدوث تنازلات استجابة لمطالب حقائق كل يوم ، وتغلغل التنظيم في الجامعات وبحث عن النفوذ ومارسه واحرز صفات مميزة ، ولكن كثيرا من الفرنسيسكان رفضوا هذه التجديدات وتعلقوا بالمفهوم القديم عن الفقر المطلق ، وشكل هؤلاء الرجال ـ الفرنسيسكان الروحانيون ـ حزب اقلية ،في البداية ضمن التنظيم وفيما بعد خارجه ، وبحلول منتصف القرن اخرجوا الى النور نبوءات يواكيم (التي اجتذبت قليلا من الانتباه حتى الآن) وكانوا ايضا يلفقون نبوءات نسبوها بدون نجاح الى يواكيم ، وكان لها تاثير يفوق كتابات يواكيم ، وشهرة اوسع ، وفي تلك الكتابات كيف الروحانيون الاخرويات اليواكيمية بطريقة جعلتهم هم انفسهم يعتبرون الرهبنة الجديدة الرهبنة التي حلت محل كنيسة روما ، والتي عليها ان تقود البشرية الى امجاد عصر الروح ، ويكمن تعقب النبوءات اليواكمية الكاذبة في جنوب اوربا وراء مجال الدراسة الراهنة ، ويحتاج الامر الى مجلد اخر لوصف كيف انه على حواشي الحزب الروحي ، ما تزال الجمعيات المتطرفة تنبثق ، حتى انه حول شخصيات مثل فراد ولسينو ، و ريذزو ازدهرت الفيه بالثورة نفسها و بالروح القتالية مثل أي من تلك التي (ص ١١١)وجدت في الشمال و لكن مع انها الفت في ايطاليا اثرت نبوءات اليواكمية – الكاذبة في التطورات في المانيا ايضا ،

وبفضلها ، أصبح الى حد كبير دور عقوبة الكنيسة في الأيام الأخيرة معينا في الخيال الشعبي للامبراطور فردريك الثاني .

وبالفعل كان فردريك في بداية حياته في السلطة وقبل ان يبدأ اليواكميون بزمان طويل في شغل انفسهم به ، هدفا لتوقعات اخروية ، وكل ما توقعه الفرنسيون من الكابتيان ، توقعه الالمان منه ، وما ان توفي فردريك الأول (بربروسا) في الحملة الصليبية الثالثة في ١١٩٠ حتى بدات تظهر في المانيا نبوءات تتحدث عن فردريك مقبل سيتم كامبراطور للايام الاخيرة العمل غير المكتمل ، وهو مخلص اخروي سيمهد الطريق ، بتحرير الضريح المقدس ، للمجيء الثاني والالفية ، وعندما منح التاج الامبراطوري بعد ذلك بثلاثين عاما لفريدريك الثاني الذي كان حفيدا لبربروسا كانت هذه النبوءات تطبق بثقة عليه ، وهكذا ربطت للمرة الاولى صورة امبراطور الايام الاخيرة بالحاكم الفعلي للمجموعة الارضية ، المتمركزة في المانيا ، ولكنها تضم ايضا بير غنديا ، ومعظم ايطاليا ، التي اصبحت تعرف في الغرب باسم الامبراطورية الرومانية(وفيما بعد باسم الامبراطورية الرومانية المقدسة).

ولقد كان الكثير في حياة فردويك وشخصيته مما يرعى ويشجع نمو الاسطورة المسائحية ، لقد كان الشخصية الاكثر تالقا ، والتي كان ذكاؤها وتقلبها وفسقها وقسوتها مجتمعة تبهر معاصريها ، وعلاوة على ذلك كان في الحقيقة قد خرج في حملة صليبية في ١٢٢٩ وكان قادرا حتى على استعادة القدس وعلى ان يتوج نفسه ملكا على المدينة ، وفوق ذلك تورط مرارا في صراعات ذات مرارة استثنائية مع البابوية ، وقد عولجت النصرانية حسب وجهة نظر الامبراطور ، الذي حرم مرات عديدة كمهر طق وحانث بالقسم ومجدف ، وقد هدد بالمقابل بان يجرد الكنيسة من تلك الثروة التي اعلن انها مصادر مفادها ، وكل ذلك ساعد على جعله موائما لدور من سيعاقب رجال اللاهوت في الايام الاخيرة ، وتتنبأ الحواشي اليواكمية الزائفة على ارميا التي كتبت في ١٢٤٠ ، تتنبأ في الواقع بان فردريك سوف

يضطهد الكنيسة وينكل بها والى حد انهـا في عام ١٢٦٥ ستنهار تماما ، وبالنسبة للروحانيين الايطاليين كان هذا العقاب للكهنة مـع انه حق ومقدمة لازمة للعصر الثـالث ، مـا يزال عمـلا شـيطانيا ، وبالنسبة لهم كان الامبـراطور وحش سـفر الرؤيا والامبـراطورية الرومانية المقدسة هي بابل ، وكلاهما من وسائل الشـيطان وهمـا نفسيهما قد قدر لهما ان يبادا بدورهما،ولكن كان مـن المـكن ان يرى الخصم الامبراطوري للبابوية في ضوء اخر ، ففي المانيا استمر اعتبـار فـريدريك مخلصـا (ص ١١٢) ولكنه مخلص دوره الان يشمل معاقبة الكنيسة ، هو شخصية اندمج فيهـا امبـراطور الايام الاخيرة بالملك الجديد في النبوءة اليواكمية .

وفي محاولة لاعادة فردريك للطاعة وضـع الكرسي المقـدس المانيا كلها تحت الحـرمان الامـر الذي كان يعني ان الطقـوس والاسرار المقدسة اللازمة لم يعد بـالامكان تقـديمها او تـطبيقها ، وطبقـا للمعتقدات السارية آنذاك كان كل من يموت في ذلك الوقت لامفر مـن لعنه ، وبحلول ١٢٤٨ ، زار دوقية سوابيا الكثيفة السكان والتابعة لمقاطعات الامبراطورية ، والوفية في تأييدها بشكل خـاص لال هـو هنستوفن وعاظ متجولون ، كانوا يعلنون على الناس ان الاكليروس غارقون في الخطيئة حتى انهم قـد فقـدوا سـلطة اعطـاء الاسرار المقدسة الصالحة ، اما بالنسبة للبابا انوسنت الرابع فـان حياتـه كانت من الشر لدرجة ان اي حرمان صـدر عنه لايمـكن ان يكون له ادنى وزن،وان الحقيقة محفـوظة لدى الوعاظ المتجـولين انفسـهم وانهم وحدهم المفوضون من قبل الرب بالغفران من الخـطايا ، وان البابا و الاساقفة مهر طقين بكل معنى الكلمة ويجب تجاهلهم ، ومن جانب اخر فانه يجب على الناس ان يصلوا مـن اجـل الامبـراطور فردريك وابنه كونراد لآن هذين كانا صالحين وكاملين حقا ، وبينما كانت هذه الدعاية تنشر في مدينة الهال ، قام الحـرفيون بثـورة ولم يطردوا فقط الاكليروس بل ايضا كثيرا من النبلاء الاثرياء ، ولهـذه الواقعة بعض الاهمية ، لانه من المؤكد ان الخيال الشعبي الذي قـد حول منذ فتـرة ليسـت بعيدة ، في فـلاندرز بلدوين امبـراطور

القسطنطينية الى مخلص للفقراء ، كان الان ، وإن يكن بصورة غير موائمة يفعل الشيء نفسه للامبراطور فردريك ويعبر عن هـذا الخيال بوضوح بيان يواكيمي صدر في سوابيا في هذا الوقت بالذات عن الاخ ارنولد،وهو منشق دومينيكاني . ومثل النبوءات اليواكمية في ايطاليا تطلع هذا العمل الى سنة ١٢٦٠ ، على انها السـنة الرؤوية التـي سترى تحقيق العصر الثالث ، ولكن قبـل ذلك سـيناشد الاخ ارنولد المسيح باسم الفقراء محـاسبة البـابا وكهنوتـه ، وسـيستجيب المسيح ، وسيظهر على الارض ليعلن حكمه ، وسيقف البابا مكشوفا كمسيح دجال والكهنة كاطراف للدجال ، وسيدينهم المسيح ، تمـاما ليس فقط بسبب عدم اخلاقياتهم ودينونيتهـم واسـاءة اسـتعمالهم للحرمان - بل ايضا - وبشكل رئيسي لاسـتغلالهم واضـطهادهم للفقراء ، ومن خلال ارنولد وجمـاعته سـتجد ارادة الرب التعبير ، وأن مهمتهم هي تنفيذ هذه الارادة بحرمان كنيسة روما من سلطاتها وان يتولوا هم هذه السلطة ، كرجال مقدسين يعيشون ويستمرون في العيش في فقر مطلق . اما بالنسبة للثروة العظيمة للكنيسة ، فـانها ستصادر وتـوزع على الفقـراء ، والذين هـم في عين ارنولد عينوا انفسهم (مدافعين عن الفقراء) هم فقط المسـيحيون الحقيقيون ، وهذه الثورة الاجتماعية الكبيرة سـتنفذ تحـت رعاية الامبـراطور فردريك الذي طبقا لارنولد كان لديه بالفعل برنامج مـوضوع امـامه ووعد بالتأييد . (ص ١١٣)

ان الراديكالية الاجتمـاعية لهـذه التخيلات مختلفـة تمـاما عن الروحانية المخلخلة لنبوءات يواكيم الخـاصة التـي اغرت الفقـراء بقوة ، وربما اثارت حركة ثورية واسعة الانتشـار ولكن مـن اجـل حقيقة انه في عام ١٢٥٠ توفي فردريك فجاة ، قبل عقد مـن الوقـت الذي كان يفترض فيه ان يقوم بالدور الآخروي ، كانت وفاته ضربة مفجعة لكل مـن اليواكميين الالمان الذين حـرموا مـن مخلصـهم واليواكميين الايطاليين . الذين حرموا من مسيحهم الدجال ، ولكن سرعان ما اشيع ان الامبراطور مايزال حيا ، وانه قذف الى ما وراء البحار من قبل البابا او ربما بناء على نصـيحة المنجمين ، وذهـب

طواعية ، او ربما كان يقوم بتنفيذ كفارة طويلة كحـاج او ناسـك ، ولكن كانت هناك ايضا نظريات سارية من نوع خارق للطبيعة ،ففي جنوب ايطاليا وصقلية ، حيث امضى فردرريك معظم حياته سـمعت عبارة موجزة سـبلينية رمـزية ، (حيا ليس حيا)، ورأى راهـب الامبراطور يدخـل في احشـاء اتنا في حين نزل جيش محمـوم مـن الفرسان في البحر الصاخب ، واذا كان هذا بالنسبة للراهـب معناه ان فردريك قد مضى الى الجحيم وضع كثير مـن الصـقليين تـركيبة اخرى للامر ، فاتنا منذ زمـان طـويل كانت تعتبـر مقـر الابطال الراحلين ، بما فيهم الملك ارثر نفسه ، وعندما اخذ فـردريك مـكانه بين هؤلاء اصبح امبراطورا نائما ، ولسوف يعود يومـا كمخلص ، وعندما وصلت الفترة الحرجة عاد في الواقـع الى الظهـور ، فلمـدة عامين بعد ١٢٦٠ استطاع دجال كان يسكن على منحدرات اتنا ان يجتنب عددا كبيرا من الاتباع ، وصحيح ان خيال فردريك المبعـوث فقد بسرعة جاذبيته في صقلية ولكن بقـي سـاحرا للالمان جيلا بعـد جيل ، تماما مثلما سحر خيال شارلمان المبعوث للفرنسيين .

بعث فردريك :

وبعد وفاته باربعة وثلاثين سنة مر فردريك الثـاني بعملية بعـث شبيهة جدا بتلك التـي حـدثت مـرة بـالنسبة لبلدوين ، كونت ، فلاندرز ، ويروي احد المؤرخين تحت عنوان عام ١٢٨٤ ان احـد النساك قرب ورمز كان يدعي انه الامبراطور ، وفي نحو هذا الوقـت تحدث اخر عن شخصية مماثلة تـم اصـطحابها الى لوبـك وسـط حماس شعبي عظيم ، وفي كلتا الحالتين اختفى فردريك الزائف حالما بدا احتمال كشفه ، كان هو الرجـل نفسـه (ص ١١٤) الذي نجح في عام ١٢٨٤ في ترسيخ وضعه في حال ملكي في وادي الراين .
ربما لا لأن الاخير بدا انه ليس بدجال بقدر ما هو مريض بجنون العظمة ، اعتقد حقا انه فردريك ، وبطرده من كولون على انه مجنون استقبل استقبالا رائعا في مدينة نيوس المجاورة التـي حـدث انهـا كانت في حالة نزاع مع رئيس اساقفة كولون ، وهناك اقام بـلاطا ،

ومثلما فعل برتداند اوف راي تماما ، وصف هذا الرجل كيف امضى سنوات طويلة كحاج ، ينفذ كفارة عن ذنوب حياته السالفة ، مع انه كان احيانا يستثمر الاساطير التي تجمعت حول فـــردريك المتـــوفى ، وادعى انه كان يسكن في اعماق الارض ، وقد انتشرت اخبار مجيئه خارج الوطن ، وأحدثت في ايطاليا ضجة لدرجة ان مدنا عدة ارســلت سفراء الى نيوس للاطلاع على الامر ، في حين قفـــز اليواكميون الى النتيجة ، إنه اخيرا وبعد طول انتظار كان فردريك حقا يتـــولى دوره الكامل كمسيح دجال .

وكانت الظروف في المانيا مواتية لمثل هـــذا البعـــث ، ومنذ بـــداية القرن كانت الحكومة المركزية قد اخذت تضعف وكانت المملكة تتفكك الى خليط مشوش من الامارات نصف المستقلة ، وهـــي عملية كانت بالضبط عكس تلك التي كانت تجري في فرنسا ، ومع ان فردريك لم يفعل شيئا لوقف هذا التحلل ، وكان دائما اكثر اهتمـــاما بـــايطاليا وصقلية منه بالمانيا،كانت شخصيته القوية النابضة بالحياة مـــع ذلك توفر له نواة للولاء الالماني ، واعقب وفاته فترة انقطاع ، مـــدة جيل لم يكن فيهـــا اي ملك قـــادرا على الحصـــول على اعتـــراف عام في المانيا ، ومرت البلاد في هياج شبيه بمـــا عانتـــه فـــرنسا قبـــل ذلك بقرنين ، مع حزازات وحروب خاصة كانت محتدمة في كل الجـــوانب واستمرت هذه الحالة المثيرة للقلق حتى بعد رودلف ، اول ملك مـــن اسرة هابسبورغ ، الذي اختير ملكا المانيا في ١٢٧٣ ، وما ان تذوق الامراء مباهج الاستقلال حتى صـــمموا على ان لايفـــرطوا فيهـــا ، وهذا يعني ان الملك بجب ان يبقى ضعيفا،وحالما ظهـــر الى الوجـــود دعي تظاهر انه فردريك الثاني اسرع العديد من كبار الامراء لمنحـــه الاعتراف الرسمي ، لا لانهم صدقوا بل لانهم ارادوا ارباك رودلف ، وفي هذا الوقت كان في المانيا علاوة على ذلك حضـــارة حقـــا ومـــدنية مزدهرة ، وبالضبط اثناء فتـــرة خلو العـــرش حـــدث تقـــدم كبير في الصناعة والتجارة في المدن ذاتية الحـــكم ، ولكن مـــع ان هـــذه المدن احتفظت بحياة منظمة مزدهرة اكثر مما وجد في اي مـــكان اخـــر في المانيا ، فانها كانت ممزقة بالصراعات الاجتماعية ، وفي مدن الراين

كان هناك حرفيون عديدون يعيشون في قلق وفقر مدقع اكثر مما كان في اي وقت على الاطلاق (ص ١١٥) واكثر مـا اسـهم في نجـاح فردريك كان بالتاكيد حقيقة ان فقراء المدن كانوا ما يزالون متعلقين بالتوقعات المسائحية المتعلقة بالامبراطور فردريك الثاني ، وقد اظهر ملك نويس انه فوق كل شيء صديق للفقـراء ، واقـام دعايتـه بين المتنبئين الذين وصفهم المؤرخون كمهر طقين .

في النهاية متسمما بالنجاح اخفق فردريك المزيف في تحقيق غايته وبتحركه في اتجاه الجنوب ، اعلن مقاصده في اقامة مجلس تشريعي امبراطوري في فرانكفورت ودعا الملك رودلف للمثـول امـامه حتـى يمكنه كامبـراطور ان يمنحـه المانيا ،وكان جـواب رودلف تسـيير جيشه ضد الدعي وحصاره لمدينة ويتـزلر حيث التجـا ، لقـد كانت المدينة منقسمة ، كمـا كانت فـالنسين منقسـمة في حـالة بلدرين المزيف ، والان كمـا كان في حينه ، كان الناس العـاديون على استعداد لحمل السلاح للدفاع عن امبراطورهم ، ومع ذلك اسـتسلم الرجل الى رودلف ، اوسلم نفسـه ، وبعـد محـاكمة احـرق على الخازوق .

وكانت طريقة الاعدام ذات دلالة لان الاحراق كان لايسـتخدم في حالات العصيان او التمرد السياسي بـل فقـط في حـالات السـحر والشعوذة والهرطقة ، وهذا يؤكد مايشير اليه المؤرخون ايضا ، ان هذا الرجل كان متعصبا وشديد الاندفاع ، لم يجد في نفسـه مجـرد مثيل لفردريك الثاني بل راى نفسه كمخلص اخـروي ارسـله الرب لمعاقبة الاكليروس ولاقامة حكمه في العـالم كله ، ويبـدو ايضـا انه حتى النهاية كان فردريك المزيف مقتنعا تماما انه سيقوم مرة ثـانية خلال يومين ، حتى انه وعد اتباعه بذلك وقد صـدقوه ، وفي الواقـع الفعلي انه استبدل على الفور بشخصية مشابهة ، هذه المرة في البلاد المنخفضة حيث ادعي احدهم انه بعد ثلاثة ايام من احراقه قام من الموت وقد اعدم هذا بدوره في او ترخت .

وبدات التقاليد الشعبية تتجمع حول شخصية فردريك الزائف كما تجمعت حول شخصية فردريك نفسه ، وافاد الاعدام في وتزلر فقط في زيادة سمعة الامبراطور كرجل خارق للطبيعة ، وككائن خالد ، وروي انه بين الرماد عند الخازوق لم توجد عظام ، بل حبة فاصولياء صغيرة فقط ، واستنتج الناس على الفور ان هذا لابد انه يعني ان الامبراطور قد انقذ من اللهب بالعناية الالهية ، وانه مايزال حيا وسيعود يوما ما ، وبقي هذا الايمان جيلا بعد جيل ، وفي وسط القر ن الرابع عشر كان مايزال يقال ان فردريك يجب ان يعود بالتأكيد ، مع انه قطع الى الوف القطع ـ وبالتاكيد اشارة الى ويلتزر ـ ومع انه احرق حتى الرماد ، لان هكذا كانت ارادة الرب التي لاتتغير ، وطورت اساطير غريبة ومثيرة (ص ١١٦) وقد زود الملك الشرقي الخرافي بريسترجون الامبراطور برداء من نسيج لايحترق ، وخاتما سحريا مكنه من الاختفاء وبشراب سحري ابقاه شابا الى الابد ، وكثيرا ما كان الامبراطور يظهر للفلاحين في هيئة حاج ويفضي اليهم بان الوقت سوف ياتي حيث سياخذ مكانه الصحيح على راس الامبراطورية .

وفي مجرى احداث القرن الرابع عشر كانت كل الامال الاخروية التي حاولت جماهير العصور الوسطى دائما ان تستخلصها من تقاليد كهنة التنبؤ السبليني ، ونبواءت يوحنا ، قد اصبحت مركزة في المانيا على فردريك مبعوث المستقبل :

« وفي كل البلاد تحل اوقات عصيبة ، وخصومات تتوهج بين رئيسي النصرانية ، ويبدا الصراع ضار ، ويجب ان تنوح امهات كثيرات على اطفالهن ، ويجب ان يعاني الرجال والنساء على السواء ، والسلب وحرق المباني يمضي يدا بيد ، وكل إنسان في حلق انسان اخر ، وكل انسان يؤذي كل انسان اخر ، في شخصه وممتلكاته و ليس هناك شخص الا ولديه سبب للعويل ، ولكن عندما تبلغ المعاناة هذه الوتيرة التي لايمكن لأي إنسان أن يهدأ معها ، عندها يظهر بارادة الرب الامبراطور فردريك بنبله ولطفه

الكبيرين .....وبكل شجاعة سيتوقف الرجال والنساء معا على الفور لبدء رحلة ماوراء البحار ، لقد وعدوا بمملكة الرب ، إنهم يأتون في حشود ، وكل يسرع ليتقدم الاخر....وسيسود السلام كل الارض ، ولن يبقى تهديد الحصون ، ولاحاجة للخوف من القوة بعد ذلك ، ولا احد يقاوم الحملات الصليبية الى الشجرة الذابلة ، وعندما يعلق الامبراطور درعه عليها تخرج الشجرة أوراقها وتزهر ، ويتحرر الضريح المقدس ، ومن الان فصاعدا لاحاجة لاستلال السيف للزود عنه ، وسيستعيد الامبراطور النبيل القانون نفسه لكل الناس ....وكل العوالم الوثنية ستبايع الامبراطور ، وسيطاح بسلطة اليهود ، لكن ليس بقوة السلاح ، وستتحطم قواتهم الى الابد وسيستسلمون بلا صراع .

ولن يبقى شيء من هيمنة الاكليروس تقريبا ، وسيلغى الامير العالي المكانة والاصل كل الاديرة معا ، وسيقدم الرهبان للزواج ، إني اقول لك ، إنهم يجب أن يزرعوا لنا الكروم والقمح وبحلول القرن الرابع عشر اصبحت المانيا في الحالة التي بقيت عليها حتى القرن السادس عشر : حشد من الامارات المتحاربة ، تشوش دائم كان الامبراطور في لجته بلا حول بالمرة ، وفي الوقت نفسه حلت مدن جنوب وسط المانيا محل مدن البلاد المنخفضة كمراكز رئيسية للراسمالية التجارية في شمال الالب ، وبلغت الصراعات الاجتماعية عندهم شدة ضارية . وفي حين حاربت نقابات التجار النبلاء بعضها بعضا كانت تكمن بين الفقراء كراهية مميتة لكل الاغنياء ، ويجد المرء مؤرخا من مغدبورغ يحذر اصحاب الرواج الإقتصادي من البرجوازيين من ان المرء يجب ان لايدع عامة الناس تفعل ماتريد كثيرا كما حدث من قبل ، انهم يجب ان يوضعوا بحزم تحت السيطرة ، لان هناك كراهية قديمة بين الاغنياء والفقراء ، فالفقراء يكرهون كل من لديهم ممتلكات ، وهم اكثر استعدادا لايذاء الاغنياء (ص ١١٧) مما لدى الاغنياء تجاه الفقراء ، ووجدت وجهة نظر الفقراء الان في الادب الالماني تعبيرا له القوة نفسها التي وجدتها قبل ذلك بقرن في الادب الفرنسي ، والشاعر سوشنورت مثلا يصف

كيف ان الجائعين يتركون زوجاتهم الشاحبات والهزيلات والاطفال في اكواخهم ويحتشدون معا في الشوارع الضيقة ، وهم مسلحون بالاسلحة المرتجلة ، وهم ممتلئون بالشجاعة اليائسة : « صناديق الاغنياء مليئة وصناديق الفقراء فارغة ، ومعدة الرجل الفقير فارغة ....حطموا باب الرجل الغني ! فسنتعشى معه ، إنه من الافضل أن نصرع جميعا بدلا من ان نموت من الجوع ، والاحرى بنا ان نخاطر بحياتنا بشجاعة بدلا من ان نموت بهذه الطريقة .....»

وكان المتوقع انه في مثل هذا المجتمع ان فردريك المستقبل سيتخذ بوضوح اكثر مظهر الثائر الاجتماعي العظيم ، مسيح الفقراء ، وفي ١٣٤٨ بعد انقضاء قرن بالضبط ، عادت نبوءات ارنولد والوعاظ السوابيون في صورة اكثر تاكيدا في التوقعات الشعبية التي لاحظها الراهب جون أوف ونترثور : « حالما يقوم من الموت ويقف مرة اخرى في قمة سلطته ، سيزوج النساء الفقيرات والعذارى للرجال الاغنياء والعكس بالعكس....وسيعمل ان يعاد كل شيء سرق من القاصرين واليتامى والارامل اليهم وان يتحقق العدل التام للجميع » وعلاوة على ذلك ــ والصورة ماخوذة مباشرة من نبوءة يواكيم الزائف » وسيضطهد الكهنة بشدة حتى انه إذا لم تكن لديهم وسائل اخرى لاخفاء رؤوسهم الحليقة فانهم سيغطونها بروث البقر »..

(ويسرع جون ونترثور ليتحلل من هذه المعتقدات المنذرة ، فيعلق قائلا مايلي : « إنه لجنون صرف الاعتقاد بأن الامبراطور المنشق يمكن ان يعود ابدا ، وانه (مره اخرى ظل ويتزلر)، مضاد للعقيدة الكاثوليكية ان رجلا قد أحرق على الخازوق يمكنه مرة اخرى على الاطلاق ان يستخدم سلطة عاهل ، ولقد كان لدى الراهب سبب كي يكون حاسما ، ذلك ان ما يمكن دعوته عقيدة المجيء الثاني لفردريك كان يعتبر من اكثر الوان الهرطقة خطورة ، وكان هذا مايزال صحيحا بعد ذلك بقرن ، وبعد فردريك نفسه بقرنين ، وكتب مؤرخ في ١٤٣٤ يقول : « من الامبراطور فردريك المنشق انطلقت هرطقة

جديدة مازال بعض المسيحين يتمسكون بها في السر ، إن لديهم اعتقادا مطلقا ان الامبراطور فردريك مازال حيا وسيبقى حيا حتى نهاية العالم ، وانه ما كان هناك ، ولن يكون هناك امبراطور كامل الا هو ....، لقد اخترع الشيطان هذه الحماقة ، حتى يضلل اولئك المنشقين وشعبا بسيطا واثقا ....» وباي صورة من الجدية اخذ الاكليروس هذه الهرطقة وكيف كانوا متنبهين لتحريها مبين في القصة الغريبة لفيلسوف (ص ١١٨) يوناني غامر في ١٤٦٩ بان يبث في روما الاعتقاد الذي استمده من دراسته الطويلة للسبلين اليوناني ، الذي كان بموجبه سيتولى الامبراطور الاخير عن قريب تحويل كل الناس الى المسيحية ، وفي هذا كما في النبوءات البيزنطية الاخرى ، كان مجيء الامبراطور الاخير لايعني باي طريقة مذبحة للاكليروس او هيجانا اجتماعيا من اي نوع ، ولكن هذا لم يكن بالامكان تصوره لدى السلطات الاكليروسية في روما حتى انهم سجنوا الرجل التعس وصادروا حاجياته .

بيانات حول فردريك المستقبل :

على مدى القرن الخامس عشر والسنوات الاولى من القرن السادس عشر لم تعد خرافة فردريك المستقبل تلتقط وتجمع معامن التقارير العرضية للشهادات المعادية ، إنها عند هذه النقطة تظهر في ضوء النهار الكامل ، لانه الان بعد فاصل نحو قرنين او ثلاثة ، تبع بيان الراهب الاخ ارنولد بيانات عديدة مفصلة اكثر بكثير .

وكان اقدم هذه الاعمال ، الكراسة اللاتينية المعروضة باسم غماليون التي اخرجت إما في ١٤٠٩ او في ١٤٣٩ وهي تتحدث عن امبراطور الماني مقبل سيقضي على الملكية الفرنسية والبابوية ، وعندما يحقق مهمته لن تذكر فرنسا بعد ذلك ، وسيخضع الهنغاريون والسلاف وسيتضاء لون الى التبعية العامة ، وسيسحق اليهود الى الابد ، بينما سيعلوا الالمان على كل الشعوب ، وستجرد كنيسة روما من ممتلكاتها ويقتل كل كهنتها وسيحل محل البابا بطريرك

الماني ياتي من مينز ليتراس كنيسة جديدة ، ولكنها كنيسة خـاضعة للامبراطور ، وبما أن « النسر من جذس النسـور » فـان فـردريك جديد سوف تمتد اجنحته من بحر لبحر حتى حدود الارض ذاتهـا ، وستكون هذه هي الايام الاخيرة قبل المجيء الثاني والحساب .

وصدر في نحو ١٤٣٩ كتاب اعظـم تـاثيرا بـكثير ، وهـو الذي يدعى « اصلاح سيغسموند » ،ويبدو ان اصل هذا العمل يكمـن في منهاج ، لاتيني اعده كاهن يدعى فردريك أوف لانتناو لوضعه امـام المجلس العام في بازل الذي كان منذ ١٤٣١ ومـا بعـدها يناضـل للشروع باصلاح الكنيسة.لكن النص الالماني في اصلاح سـيغسموند اكثر من مجرد ترجمة لذلك البرنامج ، ويعالج الكاتب الذي كان امـا فيردريك لانتناو نفسه-او وهو الارجح صديق علماني له ـ الاصلاح كاملا في الامبراطورية مثل الاصلاح المقترح للكنيسة ، ومن الواضح أنه كان حسن الاطلاع على ظـروف الحياة في مـدن جنوب المانيا ، وبدا أنه الناطق باسم كل فقراء المدن ، ليس باسم الحرفيين المهـرة المنتظمين في نقابات ، بل باسم العمـال غير المنظمين مـن الطبقـة الافقر (ص ١١٩) والاقل مزايا بين سكان المدن ، ويطالب اصلاح سيغسموند بقمع النقابات الاحتكارية والشركات التجارية الكبيرة ، وهو يؤيد نظام مساواة تثبت فيه الاجور والاسعار والضرائب لخدمة مصالح الفقراء ، ويقول بالوقت نفسه بوجوب الغاء العبودية حيثمـا ظلت متبقية في البلاد وكما كان في الايام الخوالي يجب ان تفتح المدن ابوابها للعبيد المحررين .

والى هذا الحد لم يكن المنهاج قابلا للتطبيق على الفـور لكنه على الأقل إلهام مبني على الملاحـظة والاختبـار ، اكثـر منه معـالجة الفية ، وينتهي الكتاب بنبوءة مسيحية غريبة يضعها المؤلف في فـم الأمبراطور سيغسموند الذي توفي لتوه فقط ، بعد ان كان هو نفسه لبضع سنوات موضوعا لتوقعات مسائحية ، فقد جعل سـيغسموند يروي كيف ان صوت الرب قد أمره بـأن يمهـد الطـريق لكاهــن ملك ، لن يكون سـوى فـريدريك أوف لانتناو .الذي كامبـراطور

فريدريك سيظهر نفسه كملك ذي قوة لاتباري وجلال ، وفي اي لحظة الآن سوف تطبق معايير فريدريك والامبراطورية والصليب،بينمـا ، عندها سوف يعلن كل امير وسيد ، وكل مدينة تـأييدها لفـريدريك تحت طائلة مصادرة الممتلكات والحـرية ، ويمضي سـيغـسموند في وصف كيف بحث عن فريدريك لانتناو هـذا حتـى وجـده في مجلس بازل ، في كاهن كان فقره معادلا لفقر المسيح ، وقـد أعطـاه ثـوبا وعهد اليه بحكومة النصرانية كلها لهذا سيحكم فريدريك دولة تمتـد من بحر الى بحر وان أحدا لن يستطيع مقـاومته ، وسـيسحق كل المتاعب والأعمال الخاطئة بقدمه ، وسيدمر الأشرار ويجعلهم طعمة للنيران ، وقصد بالأشرار الذين افسـدهم المال ، والأسـاقفة مـن يشترون او يبيعون المناصب الكهنوتية والتجار الجشعين ، وتحـت حكمه سيبتهج عامة الشعب اذ سيجدون العدل مستتبا وكل رغباتهم الروحية والجسدية مشبعة .

والأبعد والأكثر تفصيلا ولذعا من اصلاح سيغسموند هو كتـاب « مائه فصـل » وناشره مجهـول ، عاش في الالزاس الأعلى او في بريسغو ويعرف عادة بـاسم « ثـائر الراين الأعلى » وكان هـذا الكهل المتعصب ذا اطلاع واسع على قدر ضخم من أدب سفر الرؤيا في العصور الوسطى واستمد منه بحرية بهدف تطوير منهـاج رؤوي خاص به ، وكان بحثه المكتوب بالألمانية في السنوات الافتتاحية مـن القرن السادس عشر التعبير الأخير ، والأكثر شمولا عن الايمـان الشعبي بالأخرويات في العصور الوسطى .

وفي المقدمة صنف الثائر مصادر الهامه وفق طراز حقيقي للعصور الوسـطى ، وكانت رسـالة مـن الرب ، نقلهـا رئيس الملائكة (ص ١٢٠) ميكائيل ، فلقد كان الله غاضبا غضبا شديدا من خطايا الجنس البشري حتى انه اعتزم ابتـلاءه بـأكثر الكوارث ترويعا ، وفي اللحظة الأخيرة فقط علق حكم القدر حتى تتوفر للناس فرصة اخرى لاصلاح طرقهم ، ولهذه الغاية رغب الرب في شخص ما تقي ــ طبيعي انه المؤلف نفسـه ــ لينظـم جمعية مـن العلمـانيين

الورعين ، وفقط الذين ولدوا في اطار الزواج والذين كانوا هم انفسهم متزوجين واكتفوا بزوج او زوجة واحدة هم المؤهلون للعضوية (كان انغماس المؤلف في الزنا مفرطا) ويلتزم الأعضاء بلبس صليب اصفر كشعار وعلامة مميزة لهم ، ومنذ البداية سيتمتعون بدعم فعال من القديس ميكائيل وقبل مضي وقت طويل سيجتمعون معا تحت قيادة الامبراطور فريدريك « امبراطور الغابة السوداء » وهي شخصية مذهلة لاتذكرنا فقط بامبراطور الأيام الأخيرة ، بل ايضا بالمسيح المخلص المنتظر ، في التطلعات اليهودية ـ المسيحية ، وبشكل خاص سفر الرؤية « وسيحكم الف سنة وستكون السماء مفتوحة لشعبه ...وسيأتي في زي ابيض كالثلج ، وبشعر ابيض وسيكون عرشه كالنار وسيخدمه عشرة اضعاف الألف وعشرة اضعاف المائة الف ، لأنه سيطبق العدل ، ومرة أخرى :« سيأتي الملك على حصان ابيض سيكون في يده قوس وسيزوده الرب ، بتاج حتى تكون لديه القدرة على اخضاع العالم كله ، وسيكون في يده سيف عظيم وسيبطش باعداد كبيرة ... وفي الوقت نفسه سيقيم هذا المخلص المملكة المسيحية لصالح اتباعه ، وفيها ستتوفر كل حاجة روحية او مادية ، وسيكون باستطاعته ان يقول عن نفسه :« انا بداية الحكومة الجديدة وساعطي من الماء الحي كل ظمآن وكل من يتبعني سيحصل على كفايته ، انا سأكون ربه ...» وسيوزع الكثير من الخبز والشعير والنبيذ والزيت بسعر زهيد ، ومن الواضح في هذا التخيل ان امبراطور الغابة السوداء والمسيح المنتظر لن يكون غير هو نفسه .

ومع ذلك سيمر طريق الألفية عبر المذابح والأهوال ، ذلك ان هدف الرب هو عالم خال من الخطيئة ، فاذا استمرت الخطيئة في الازدهار فان العقاب الالهي سينزل بالتأكيد على العالم في حين انه ما ان تلغى الخطيئة سيكون العالم مستعدا لمملكة القديسين ، وعلى هذا كانت المهمه الاكثر الحاحا لجمعية اخوة الصليب الأصفر القضاء على الرذيلة ، والتي تضمن في الواقع القضاء على المذنبين

وقد صورت الجمعية على انها حشد صليبي تقوده نخبة ـ بدعاها المؤلف « الفرسان الجدد » ـ التي بدورها ستكون تابعة للامبراطور (ص ١٢١) الأخروي نفسه ، وهدف الحملة الصليبية تمكين الامبراطور من « تحطيم بابل باسم الربّ... ووضع العالم كله تحت حكمه ، حتى يكون هناك راع واحد ، وحظيرة واحدة وعقيدة واحدة في العالم كله » ، ولتحقيق هذه الغاية كان الاغتيال مشروعا تماما : « وكل من يبطش برجل شرير لأعماله الشريرة ، كالتجديف مثلا ، او اذا ضربه حتى الموت سيدعى عبد الرب ، حيث ان كل مكلف ملزم بمعاقبة الشر » ودعا الثائربشكل خاص الى اغتيال الامبراطور الحاكم ، مكسيميليان الذي كان يحمل له كراهية طاغية ، ولكن وراء هذا القتل الطليعي كان يكمن اليوم الذي« يحكم امبراطور الغابة السوداء فيه مع جمعية الأخوة ، العالم كله من الغرب الى الشرق بقوة السلاح » ، وهو عصر من الرعب الشامل غير المنقطع ، تسوغ فيه بشدة النبوءة المأمولة :« وسوف نشرب حالا الدم بدلا من النبيذ! » ولم يترك الثائر شكا بشأن من سيكون هؤلاء الأخوة الصليبيون :« انهم سيكونون من عامة الناس من الفقراء واما بالنسبة لسكان بابل : المدنيون الذين يجب القضاء عليهم ـ فهم اتباع لوكسوريا وأفاريتيا والرقص والملابس الناعمة والقسوة ، انهم « عظماء الناس في كل من الكنيسة وفيما بين العلمانيين » وكما هو الحال كثيرا ، انهم الأغنياء حسنوا التغذية ، الذين يعيشون حياة رخية من الأكليروس هم الأعداء الرئيسيون وكان المتعصبون من العلمانيين لايتعبون أبدا من تصوير ـ بأكثر الألوان الممكنة توهجا واثارة ـ العقاب الذي سيوقعه الامبراطور القادم بنفسه على أبناء الشيطان من الرهبان وأخوة الرهبانيات والراهبات وهو غاضب بشكل خاص على الكهنة الذي يتحللون من نزرهم بالعفة ويتخذون زوجات ، ومثل هؤلاء الكهنة يصرخ بانهم يجب ان يختفوا ويحرقوا أحياء » او ان يدفع بهم مع عشيقاتهم الى أيدي الترك ، ويجب أن يترك أطفالهم ـ الأطفال الحقيقيون للمسيح الدجال ـ للجوع ، ولكن في الواقع يجب القضاء على كل الكهنة

وابادتهم ، وكان المسيح ينادي في جنده:« استمروا في ضربهم ، من البابا نزولا الى الطلاب الصغار ، اقتلوا كل واحد منهم » ويتنبأ بأن ٣٠ر٢ كاهنا سيقتلون كل يوم وان هذه المذبحة ستستمر لمدة اربع سنوات ونصف السنة ولن تكون هذه هي النهاية ، لأنه نادرا مايكون المرابون المزدهرون في المدن اقل سوءا من الاكليروس ، والى جانب هؤلاء الأساقفة الذين يبيعون ويشترون المناصب الكهنوتية ويحصلون على واردات ثمينة من الضرائب والعشور ، ورأى الثائر سربا من مقرضي الأموال يستخلصون بلا رحمة فوائد باهظة من الفقراء ومن التجار الذين ينكبون على استنباط الوسائل والاحتيال على حدود اطار الأسعار ، ومن اصحاب الحوانيت ، بسبب المبالغة في الثمن وسوء الكيل ، والوزن والتلاعب والقياس ، ويصحب كل هؤلاء سرب من المحامين عديمي الضمير والمبادئ الذين يتلهفون على تسويغ كل ظلم ، وكل هؤلاء على السواء سيذبحون (ص ١٢٢) وبمساعدة الذين يشار اليهم الآن باسم « المسيحيون الورعون»، واحيانا باسم « عامة الناس»سيحرق امبراطور الغابة السوداء كل المرابين ، وسيشنق كل المحامين .

لقد كانت امكانات الربح في مجتمع اواخر القرون الوسطى بدرجة الاغراء نفسها ومثلما كانت عليه في اي مجتمع آخر على الاطلاق ،وليس هناك شك في ان الاساءات والتجاوزات التي شكا منها الثائر كانت صحيحة بدرجة كافية ، ولكن هذا لايمكن أن يفسر السمة المميزة لتلك القطعة الخاصة من النقد الاجتماعي ، التي هي نبرتها الأخروية ، وكان الثائر مقتنع تماما ان الرب قد امر بالمذبحة الكبرى للا كليروس « والمرابين » ومن اجل التخلص من مثل هذه الاساءات الى الابد ، وستكون المحرقة تطهيرا لابد منه للعالم في الفترة التي تتقدم الالفية ، وهناك حقيقة حول الالفية تبدو بوضوح كبير انها معادية للراسماليين ، فستصبح ممتلكات الكنيسة مدنية وستستخدم من قبل الامبراطور لفائدة المجتمع ككل والفقراء بشكل خاص وكل الدخل الوارد سواء من الممتلكات الارضية او من

التجارة سيصادر وهذا ما يعادل الغاء الامــارات والتجــريد مــن الملكية لكل الاغنياء ، وســيكون فــرض الايجـــــارات والضرائب والرسومم من كل نوع من قبل الامبراطور وحده ، ولكن وراء هــذه الاصلاحات المباشرة وباعتبارها شاملة ، يتطلع الثــائر الى تحــول اكثر عنفا في المجتمع ، الى حالة تلغى فيها الملكية الخــاصة بــالمرة وسيكون كل شيء مشاعا : « اي قدر من الاذى يتفجر من الانانية .... من الضروري بناء عليه ان تصبح كل الثــروات ثــروة واحــدة عندها سيكون في الواقع رابح واحد وحظيرة واحدة »

هل تبرهن الكائنات البشرية انها غيرية بدرجة كافية لتحقيق هذا النظام،إنه سيكون هناك رجعيون يفسدون الانسجام العام بالتعلـق بـلكسوريا والافاريتا ولايتهرب الثائر ابدا مــن مــواجهة المســالة ، وهكذا اعلن ان الامبراطور سيصدر مرة في السنة مــرسوما بهــدف تعرية الخطيئة : الربا والفسق فــوق كل شيء ، وليحــث الناس على الابلاغ عن المذنبين ، ولكن ايضا ــ وعلى هذا يلقي ثقــلا كبيرا ــ عليهم ان يتقدموا طواعية للاعتراف بخــطاياهم الخـــاصة وســتنشأ محكمة رسمية في كل ابرشية ، والخاطئون الذين يحــركهم قبــل كل شيء دافع داخلي لايقاوم ســيمثلون امـــامها ليحـــاسبوا في مــكتب القاضي ، وسيعاقب القضاة على كل منها « بقســوة شــديدة » لان الرحمة مع الخاطئين جريمة ضد المجتمــع ككل ، وعليه اذا جــوزي الآثم الاول ربما بمجرد الجلد ، فان موقف المذنب الذي يمثــل امــام المحكمة في ثلاث سنوات مختلفة خطير حقــا (ص ١٢٣) » واذا لم يتوقف شخص عن ارتكاب الذنوب فانه من الافضــل له ان يكون خارج الدنيا من ان يكون فيها ، وعليه فانه سيعدم فــورا بــوساطة مبعوثين ما ، سريين ، ذوي ورع لاشك فيه ، ويجد الثائر متعة بالغة في وصف الطرق المختلفة التي ستنفذ بها هذه الاعدامات : بالحرق ، والرجم ، والخنق ، والدفن على قيد الحياة ويصر ان لاشيء يمكنه ان يفعل المزيد ليرسخ ويحمي النظام الجديد للمساواة والملكية المشاعة سوى النمط الجديد من العدل .

وكما سنرى تصور اخرون قبل هذا القرن نظام مساواة ، وعلاوة على ذلك اعتقدوا انه سيفرض وسيبقى بالقوة ، ولكن من ناحية واحدة ثائر الراين الاعلى اصليا حقا ، فلم يجمع احد قبله مثل هذا الاخلاص لمبدا الملكية الجماعية او العامة مع مثل هذه القومية المزوجة بجنون العظمة ، وكان هذا الرجل قانعا انه في الماضي البعيد كان الالمان في الحقيقة « يعيشون معا مثل الاخوة على الارض » ويملكون كل شيء بشكل جماعي ، وكان تدمير هذا النظام السعيد من عمل الرومان اولا ثم كنيسة روما ، ولقد كان القانون الروماني ثم القانون الكنسي هو الذي ادخل التمييز بين « لي » و « لك » ، وزعزع بذلك شعور الاخوة ، وفتح الطريق امام الحسد والكراهية ، ووراء هذه الفكرة الغريبة تكمن فلسفة كاملة للتاريخ ، لقد استعبد العهد القديم على انه عديم القيمة ، لانه منذ بدء الخليفة وما بعدها لم يكن اليهود شعب الله المختار بل الالمان ، وكان ادم وذريته جميعا حتى يافث بما في ذلك كل الانبياء من الالمان ويتكلمون الالمانية ، واللغات الاخرى - وبينها العبرية - وجدت فقط في برج بابل ولقد كان يافث وعشيرته هم الذين قدموا اولا الى اوروبا ، وجلبوا لغتهم معهم ، ولقد اختاروا الاستيطان ، في الالزاس قلب اوروبا ، وكانت عاصمة الامبراطورية التي اسسوها هي ترير ، وكانت هذه الامبراطورية الالمانية القديمة واسعة ، حيث غطت كل اوروبا - وامكن الادعاء ان الاسكندر الاكبر كان بطلا وطنيا المانيا - كما كانت اكثر الامبراطوريات كمالا ومثالية ، جنة ارضية حقيقية ، لانها كانت محكومة بموجب مجموعة القوانيين المعروفة باسم تشريعات ترير التي تضمنت مبادىء الاخوة والمساواة والملكية الجماعية ، وكان في هذه التشريعات وليس في الوصايا العشر التي اخترعها « موسى الدجال » ان عبر الرب عن وصاياه للجنس البشري ، ولهذا الحق الثائر بعد تفكير عميق نسخة منها باعماله .

وكان تاريخ الشعوب اللاتينية مختلفا جدا ، فهذه السلالات البائسة لم تنحدر من يافث ، ولم تكن بين السكان الاصليين

لاوروبا (ص ١٢٤) فقد كان موطنها يقع في اسيا الصغرى ، حيث هزمت في المعركة على ايدي مقاتلي تريير ، ومن اجل ذلك احضرت للعمل كعبيد لدى الذين انتصروا عليها ، والفرنسيون وهم مجموعة بغيضة متميزة بشكل غريب يلزم بناء عليه وبالانصاف ان يكونوا شعبا خاضعا يحكمه الالمان ، اما بالنسبة للايطاليين فلقد تحدروا من العبيد الذين طردوا ونفوا الى جبال الالب بسبب جرائمهم ضد تشريعات تريير،ومن هنا نبعت الحقيقة التي لم يجد الناشر صعوبة في ترسيخها ، ان التاريخ الروماني يتالف من حلقات غير منقطعة تقريبا من الهزائم ، وكانت هذه الشعوب اللاتينية مصدر كل شيء ، إنها مصدر سم البحر كله وتلوثه تدريجيا ، وكان القانون الروماني ، والبابوية ، والفرنسيون ، وجمهورية البندقية ، جوانب لا عد لها لتآمر قديم جدا وكبير ضد الطريقة الألمانية في الحياة ، ولحسن الحظ كان الوقت في متناول اليد عندما توجب تحطيم قوى الشر الى الأبد ، وعندما يستولي القائد الكبير القادم من الغابة السوداء على السلطة كامبراطور فردريك فإنه لن ينظف فقط الحياة الألمانية من الفساد اللاتيني ويعيد العصر الذهبي القائم على تشريعات تريير ، بل سوف يستعيد أيضا لألمانيا وضع السيادة التي أرادها الرب لها ، واخضعت « رؤيا دانيال » ، وهي التطلعات الأخروية القديمة التي قدمت الالهام لليهود خلال ثورة المكابيين،الى تفسير أكثر من قبل الثائر أيضا ، والآن تحولت الامبراطوريات الأربع المتتابعة لتشكل فرنسا ، وانكلترا ، واسبانيا وايطاليا وبسبب الغضب من الزهو المفرط لدى هذه الأمم فإن الامبراطور سيغزوها جميعا ، وادعى الثائر انه قد اكتشف بالفعل بواسطة الكيمياء : المتفجرات الجديدة التي سيتطلبها التنفيذ « وبهذه القسوة سيغرس الخوف في الشعوب » وبذلك خص الالمان بالامبراطورية الخامسة الأعظم التي لن تموت ، ثم بعد ذلك وعندها يعود الامبراطور من حملاته الغربية سيهزم وسيسحق الترك الذين تسللوا الى أوروبا ، وسيضغط في اتجاه الشرق على رأس جيش كبير مشكل من شعوب عديدة لينفذ المهمة التي أوكلت تقليديا للامبراطور الأخير ، وستفتح الأرض المقدسة للنصرانية وسيقضي

« على مجتمع المحمديين » نهائيا ، وسيعمد الكفار و« أولئك الذين لن يقبلوا العماد لن يكونوا مسيحيين ولا شعب كتاب مقـدس ، لذا يجب قتلهم وبهذا يعمدون في دمـائهم ، وبعـد كل هـذا سـيحكم الأمبراطور وسيسود على كل العالم متلقيا البيعة والجزية من اثنين وثلاثين ملكا » .

ومن الجدير بالملاحظة أن المسيحية التي قدر لها أن تفرض بمثل هذه القوة ندر معرفتها بهذه الصورة ، وطبقا للثائر كان المسيحيون الأوائل رعايا امبراطورية تريير ، والرب الذي عبدوه كان مثله مثـل جوبتير يومه المقدس الثلاثاء ، وليس الأحد وكمبعـوثين الى الألمان فإنه لم يرسل مـلائكة بـل أرواح سـكنت في جبـال الالزاس(ص ١٢٥)، أما تعاليم المسيح التاريخي فكانت مـوجهة فقط الى اليهود لا الى الألمان ، والديانة المثالية للألمان كانت ما تزال هي التي سادت في العصر الذهبي لتريير ، وكان هذا هو الدين الذي على الامبراطور فردريك أن يعيده الى وضـعه السـالف ، وعندمـا يحدث ذلك ــ وهنا يستمد الثائر كثيرا مـن الغمـاليون ــ لن يكون المركز الروحي للعالم روما بل ميتز ، حيث يترأسه بطريرك بدلا من البابا المختفي ، ولكن هذا البطريرك لن يكون بـابا ، بـل سـيكون معتمد كليا على الامبراطور الذي سيعينه ويمـكنه عند الحـاجة أن يخلعه ، وسيكون الامبراطور الثائر نفسه ، منتصرا ومبجـلا هـو الذي سيقف في مـركز الاعتـراف بـه كرب أرضي ،ولن تـكون الامبراطورية المقبلة في الواقع شيئا أقل مـن نصـف جمـاعة دينية متحدة في عبادتها وخوفها من المسيح المخلص الذي هو تجسيد للروح الالمانية ، وهذا ما كان في ذهن الثائر عندما صاح في ابتهـاج « لقـد امسك الألمان مرة بـالعالم كله في أيديهـم وسـيفعلون ذلك مـرة اخرى ، وبقوة اكبر مما كان أبدا »

وبرزت : هذه التخيلات القومية الفجة لمفكر نصف متعلم مقحمـة في تقاليد الايمان الشعبي بالأخرويات ، والنتيجـة بصـورة غريبـة شـبيهة بـالتخيلات التـي كانت قلب عقيدة

الاشـــتراكية ــ الوطنية ، وعلى المرء فقــط أن يعـــــود الى الرسائل ــ التي أصبحت بالفعل منسـية تقـريبا ــ لعلمـاء مثـل روزنبرغ ، ودارية ليصدم على الفـور بـالتماثل ، وهناك الاعتقـاد نفسه بوجود ثقافة المانية بدائية تحققـت فيهـا مـرة الارادة الالهية والتي كانت عبر التاريخ مصدرا لكل ما هو طيب ، والتي تـزعزعت فيما بعـــد بتآمــــر الراســـماليين والشـــعوب الأدنى غير الجرمانية ، وكنيسة رومـا ، والتـــي يجـــب ان تســـتعاد الآن بارستقراطية جديدة ذات مـولد متـواضع ولكنهـا المانية حقـــة في الروح ، تحت مخلص مبعوث من الرب يكون في الوقت نفسه زعيمـا سياسيا ومسيحا جديدا ، إنهـا كلهـا هناك و كذلك كان الأعداء في الغرب والشرق ــ ولقد استخدم الرعب كأداة سياسية ، وحبـا بـه ذاته ــ كانت المذابـح الكبـرى في التـاريخ ــ في الواقـــع كل شيء باستثناء الفناء النهائي للامبراطورية العالمية ، التي في كلمات هتلر كانت ستدوم الف سنة .

ولم يطبع كتاب « مائة فصل» في وقتها ، ولم يطبع أبـدا ، وليس هناك ما يوحي بأن الثائر المجهول قد شغل دورا هاما في الحـركات الاجتماعية من أيامه ، ولا تكمن اهميته في اي نفوذ مـارسه بـل في التأثيرات التي خضع لهـا وسـجلها ، ولأنه حتـى إذا كانت بعض التفاصيل قد ولدت من تأملاته الخـاصة (ص ١٢٦) ، فإن الخيال في خطوطه العريضة كما قدمه ، هو ببساطة تفصيل للنبوءة التقليدية لفريدريك المستقبل الذي سيكون المسيح المخلص للفقـراء ، وليس هناك شك انه بصورة أوبأخرى استمرت هذه النبوءة في فتنة واثارة عامة الشعب في المانيا والفلاحين والحرفيين على السواء حتى وقت متقدم في القرن الســادس عشر ، ومـــن امبــــراطور بعـــــد الآخر ــ سيغسموند ، فردريك الثـالث ، مـكسيميليان ، وشـارل الخامس ، كافح الناس لرؤية اعادة تجسيد بالمعنى الأكثـر حـرفية للكلمة لفردريك الثاني ، وعندما أخفـق هؤلاء الملوك في شـغل الدور الأخروي ، المتوقع منهم استمر الخيال الشعبي في ايجاد امبراطور

خيالي هو فردريك يقوم من وسط الفقراء – « من تحدر دوني » كما وصفه الثائر ليحل محل الملك الفعلي ويحكم بدلا منه .

وسيكون من السهل بلا شك تضخيم الجزء الذي شغلته مثل هذه التوقعات في حركات المقاومة والثورة التي تشكل نقاطا علامة في التاريخ الألماني خلال الربع الأول من القرن السادس عشر ، وموقف الفلاحين ، بشكل خاص كان عادة واقعيا بدرجة كافية ، وحتى عندما تطلع الفلاحون الى ماوراء مظالمهم المباشرة وطالبوا باصلاح عام للبنية الاجتماعية والسياسية للامبراطورية كان منهاجهم يميل الى أن يكون محدودا وعمليا مقبولا ، ومع ذلك فإنه في سلسلة الثورات المعروفة باسم البندشوهة (التي سيقال عنها الكثير في فصل لاحق) كانت تخيلات مماثلة لتلك التي في كتاب مائه فصل تشغل دورا ما ، وكتب ثائر الراين الأعلى في سنة ١٥١٠ يتنبأ بأن السنة الرؤوية هي ١٥١٥ ، وعندما انفجرت ثورة في المنطقة نفسها في عام ١٥١٣ لم يكن هدفها المعلن اقل من « مساعدة الصلاح والتخلص من المجدفين » وأخيرا استعادة الضريح المقدس ، وتدبر بعض الذين ساهموا في هذه الثورة حتى امر اقناع انفسهم بأن الأمبراطور مكسميليان كان موائما لقضيتهم مع انه آنذاك كان مضطرا لابقاء تعاطفه سرا .

الفصل السابع

نخبة من المضحين بالذات كمخلصين

اصول حركة اللطامين

يبدو أن ممارسة جلد الذات ولطمها (ص ١٢٧) لم تكن معروفة في اوروبا حتى تم تبنيها من قبل النساك في المجتمعات الرهبانية في كمالدولي وفونت افيلانا في وقت مبكر من القرن الحادي عشر، وما أن اخترعت الصورة الجديدة من العمل التكفيري حتى انتشرت بسرعة حتى انها لم تصبح فقط سمة طبيعية من حياة الرهبنة في كل النصرانية اللاتينية بل التقنية الاكثر شيوعا للتكفير ، الى حد انه في الواقع إن المعنى الحرفي لاصطلاح « انضباط » كان محصورا في « يلطم » وما كان يمكن ان يعني بالنسبة لهؤلاء الذين يمارسونه يظهر مشرقا في الوصف الذي خلفه راهب من القرن الرابع عشر حول تجربته الخاصة ، في ليلة شتاء قام هذا الرجل :

« بحبس نفسه في صومعته وتجرد من ثيابه كلها... واخذ سوطه ذا الأشواك الحادة ، واخذ يضرب نفسه على الجسم والذراعين وعلى الساقين حتى أندفع الدم منه كما لو كان من رجل محجم ، وكانت احدى الشوكات في السوط معقوفة كالخطاف وكلما تعلقت بأي جزء من اللحم امسكت به ومزقته ، وطارت الأطراف الى الحائط ثم وقف هناك وهو يدمي وحدق في نفسه ، لقد كان منظرا بائسا حتى انه ذكره بطرق كثيرة بالمسيح المحبوب ، عندما ضرب بصورة مروعة ، ومن الاشفاق على نفسه بدأ يبكي بمرارة ، ثم ركع عاريا ومغطى بالدم في الهواء الصقيعي ، وتضرع الى الرب أن يمحو خطاياه من أمام عينيه اللطيفتين ».

لقد كان جلد الذات تعذيبا مروعا أوقعه الناس في القرون الوسطى

على أنفسهم بأنفسهم بأمل استمالة الرب القاضي والمعاقب ليبعد عقابه وليغفر لهم ذنوبهم ويعفيهم من العقاب الأكبر الذي سينالهم في هذه الحياة وفي الآخرة ، وحتى خلف هذه الغفران المجرد أمل اخر أكثر نشوة ، وإذا أمكن لراهب اصولي أن يرى في جسده الدامي صورة لجسد المسيح فليس من المدهش أن العلمانيين الذين غدوا من اللطامين ثم هربوا من الرقابة الكهنوتية شعروا بأنهم مكلفون بمهمة خلاصية (ص ١٢٨) لا تضمن فقط خلاصهم وحدهم بل البشرية كلها و مثلها مثل الفقراء قبلها ، رأت طوائف اللطامين المذشقة في تكفيرها تشبها جماعيا بالمسيح له قيمة اخروية فريدة .

وكان في المدن الايطالية المزدحمة أن ظهرت مواكب منظمة من اللطامين للمرة الأولى ، وانطلقت الحركة في ١٢٦٠ بوساطة ناسك من بيروغيا وانتشرت في اتجاه الجنوب الى روما وفي اتجاه الشمال الى مدن لومبارديا بسرعة حتى بدت للمعاصرين كوباء مفاجىء للندم ، وزحفت حشود من الناس من الشباب والصبية وسارت ليلا ونهارا،بالعادة بقيادة كهنة وتنقلت بأعلام وشموع مضاءة من مدينة لأخرى ، وكانوا كلما وصلوا الى مدينة نظموا أنفسهم في مجموعات امام الكنيسة وجلدوا انفسهم لساعات بلا انقطاع ، وكان الزخم المؤثر الذي احدثه هذا التكفير العلني على عموم السكان كبيرا ، فاعترف المجرمون واعاد اللصوص ما سلبوه ، واعاد المرابون الفوائد على قروضهم ، وتم التراخي بين المتخاصمين وتم تناسي الحزازات حتى الطرفان المتحاربان اللذان كانا يقسمان ايطاليا ، الغولف او مؤيدوا البابا والجيبللين او مؤيدوا الامبراطور ، فقدا للحظة بعض عنادهما،واشتركت مدن بكاملها في الحركة ففي ريغيو شارك القاضي الرئيس والأسقف وكل النقابات ، ومع تحرك المواكب كان حجمها يتزايد باستمرار حتى أصبحت تشكل الوفا عدة ، ولكن كان إذا انضم اليها احيانا اناس من كل الطبقات كان الفقراء هم الذين يستمرون حتى انه في المراحل التالية للحركة كانوا يبقون وحدهم .

إن الظروف التي حدث فيها هذا الانفجار الأول لحشد اللطـامين هامة ، وحتى بمعايير العصـور الوسـطى فقـد كانت الظـروف في ايطاليا في تلك اللحظة قاسية بصورة استثنائية ، ففي ١٢٥٨ كانت هناك مجاعة ، وفي ١٢٥٩ حدث انفجار خطير للطاعون ، و فوق كل ذلك كانت هناك الأعمال الحـربية التـي لم تتـوقف بين الغـولف والجيبللين والتي انزلت البلاد الى حالة مـن البـؤس البـالغ وعدم الأمن ، وكانت حالة مدن الغـولف بشـكل خـاص شـديدة التعاسة ، لأن قضيتهم عانت من ضربة عنيفة عندها هزم الفلورنتين في مونتابرتو مع مذابح مروعة على ايدي التوسكان ، وبـدا أن مـا نفربن فردريك الثاني في طريقه الى فرض سيطرته على ايطاليا كلها ولم يكن للاشيء ان حركة اللطامين بدأت في مدينة غولفية ، وازدهرت اكثر ما يكون بين الغولفيين ، ومـع ذلك اعطـت كل هـذه البـلايا الاحساس بأنها ليست سوى مقدمة لكارثة شاملة ، ولاحـظ أحـد المؤرخين انه خلال مواكب اللطامين كان الناس يتصرفـون بخـوف كما لو أن الرب كان على وشك أن يدمرهم جميعا بالزلازل وبـالنار من السماء كعقاب لهم على ذنوبهم ، وكان هؤلاء التائبون يصيحون وهم في عالم بدوا فيه و كأنهم يرفـرفون على حـافة هـاوية و هـم يضربون انفسهم و يلقون بأنفسهم على وجوههم :« أيتها العـذراء المقدسة ارحمينا اسألي يسـوع المسـيح أن يعفـوعنا» و الرحمـة الرحمة،السلام السلام ، وهـم يدعون بـلا انقـطاع ، كمـا اخبرنا ، حتى بدا أن الحقول والجبـال تـرجع صـدى صـلواتهم وصمتت الآلات الموسيقية وتلاشت أغاني الحب » . ولكن الذي كان هؤلاء اللطامون يناضلون لانتزاعه من الرب كان اكثـر مـن مجـرد الراحة من المتاعب الراهنة ، فقد كانت تلك السنة سنة ١٢٦٠ ، أي السنة الرؤوية ، التي فيها طبقا للتنبـوءات اليواكمية الزائفـة كان العصر الثالث متوقع الوصول الى مـرحلة التحقيق ، وبينَ المجـاعة والوباء كانت اعداد وفيرة من الايطاليين تنظر بصـبر نافـذ بـزوغ عصر روح القدس ، العصر الذي سـيعيش فيه كل الناس في سـلام ملتزمين بالفقر الطوعي ، مستغرقين في نعيم التـأمل ، ومـع مضي شهر وراء شهر اصبحت هذه التوقعات الألفية اكثر شدة حتى أخذت

صفة هستيرية يائسة نحو نهاية السنة ، و بدا الناس يتعلقون بقشة ، و بحلول ايلول كانت كل معركة حتى معركة مونتا برتو يمكن أن تعطي اهمية أخروية ، و عندما مضت ستة أسابيع اخرى و بدا تشرين الثاني ظهر اللطامون ، و يذكر المؤرخ سالمبين اوف بارما الذي كان هو نفسه يواكميا كيف كان الناس متلهفين لأن يروا في هذه المواكب الحزينة بداية الفناء الكبير، و في ايطاليا ماتت حركة الجلد الجماهيرية بسرعة بعد التحرر من الوهم ، ولكن في ١٢٦١ ــ ١٢٦٢ عبرت الألب وعادت للظهور في مدن جنوب المانيا والراين ، وبدا أن الزعماء كانوا ما يزالون ايطاليين ، ولكن بينما كانوا يمرون عبر المدن الالمانية اندفع السكان بالمئات ليشكلوا مواكب جديدة ، وبلا شك كانت الحركة تملك تنظيما بالفعل في ايطاليا ، ولكن عند هذه النقطة بدا المؤرخون يلاحظون وجود واحدة ، وكان للطامين الالمان طقوس واغان ، وقد صمموا حتى لباسا موحدا ، وعلاوة على ذلك بدا أن الزعماء في حالة استحواذ على رسالة سماوية كتلك التي حملها مرة بطرس الناسك ، ومرة أخرى منذ عدة سنوات مضت ــ من قبل أستاذ هنغاريا ، وفي هذه المناسبة بقي النص محفوظا ، وتذكر الرسالة أن لوحا من الرخام يشع بضوء خارق للطبيعة قد هبط حديثا فوق مذبح كنيسة الضريح المقدس في القدس ، في حضور جمع من المؤمنين ، وظهر ملاك إلى جانبه وتلا الرسالة التي أملاها الرب بنفسه عليه ، وكانت رسالة مفعمة بالمعاني الأخروية ، وتعج بعبارات مأخوذة من القطعة الشهيرة من سفر الرؤيا المنسوبة للمسيح ، وتتحدث عن البؤس والكرب الذي سيتقدم على المجيء الثاني ، لأن الرب كان غاضبا من البشر بسبب غرورهم وتفاخرهم وتجديفهم وفسقهم وإهمالهم لصيام السبت والجمعة (ص ١٣٠) ولتعاملهم بالربا ، وفي الحقيقة من أجل كل هذه الآثام التي كان من الشائع اعتبارها بمعنى خاص خطايا دايفز ، وقد عاقب الجنس البشري بالفعل بإرسال الهزات الأرضية والنار ، والجفاف ، والطوفان والمجاعة والطاعون ، والحروب والغزوات التي خرب فيها المسلمون و الوثنيون الآخرون أراضي النصارى ، وفي النهاية بسبب غضبه من

العناد الذي تعلق به الناس بطرقهم الشريرة قـرر أن يقتـل كل شيء حي على الأرض ، ولكن العذراء والملائكة خروا عند قدميه وتوسلوا إليه أن يمنح الجنس البشري . فـرصة أخيرة ، وتـأثر الرب بتلك التـوسلات ووعد انه إذا أصـلح الناس الآن طـريقهم وتخلوا عن ممارسة الربا والزنا والتجديف ، فإن الأرض ستزدهر ، وسـتعطي ثمارا وفيرة ، وعند هذه الأخبار بدأ المؤمنون في القدس البحـث عن بعض الوسائل لشـفاء الجنس البشري مـن نزعاتـه المهلكة نحـو الخطيئة ، وفي النهاية ظهر الملاك مرة أخرى ليأمرهم بمتابعة موكب لطم مدة ٥ر٣٣ يوما تذكيرا بعدد السنين التي طبقا لحساب تقليدي امضاها المسيح على الأرض ، وهكذا ـ اختتمت الرسالة ـ جاءت الحركة : وقد أطلقهـا في المقـام الأول ملك صـقلية (ويتسـاءل الانسان : هـل هـذا فـردريك الثـاني ، كمخلص في الأيام الأخيرة ؟) : لقد بلغ الحج الكبير المانيا الآن ، وأي كاهن يهمل في دينونته أن ينقل الرسالة الالهية لجموع المصلـين التابعين له سيكون ملعونا إلى الأبد بشكل مؤكد .

ولا يمكن للمرء إلا أن يتذكر تلك الرسالة السماوية الأخرى التي بواسطتها بعد قرنين ونصف القرن كان على ثـائر الراين الأعلى أن يحاول أن يستحضر أخوة الصليب الأصفر المعادية للاكليروس ، وفي حين كان فيه اللطامون الايطاليون دائما محكومين بحزم مـن قبـل الاكليروس ، كان اللطامون الالمان قد انقلبوا في الواقع بسرعة ضـد الكنيسة ، وكان الالمان كالايطـاليين عارفين بـالنبوءات اليواكمية الزائفة وتوقعوا القدر نفسه بالضبط مـن السـنة الرؤوية ١٢٦٠ ، ولكنهم مالوا لأن يكونوا اكثر عنفا تجـاه الاكليروس وأكثـر عنادا وتصلبا بكثير في رفضهم لروما ، ولم تمض سوى سـنوات قليلة منذ أعلن الأخ الألفي السوابياني أرنولد أنه هو و اتباعه كانوا الجماعة المقدسة التي ستستولي على السلطة كلها من كنيسة المسيح الدجال في ١٢٦٠ .

وإذا مات فردريك الثاني في تلك الفترة الفاصلة ، وبدأت فترة خلو

العرش فإن هذا متن فقط الشوق بين جموع الألمان إلى مملكة الفية للقديسين ، وانتهت الحركة بأن أصبحت احتكارا للفقراء ، للنساجين ،و الاسكافيين والمشتغلين بالمعادن وامثالهم ، وما أن اصبحت كذلك حتى تحولت إلى مؤامرة ضد الاكليروس ، وبدأ اللطامون بالادعاء أنهم قادرون على تحقيق الخلاص بجدارتهم وبدون مساعدة الكنيسة (ص ١٣١) وأن مجرد عملية الاشتراك في أحد مواكبهم تحل المرء من كل ذنوبه ، وسرعان ماانهمك رؤساء الأساقفة والأساقفة في عمليات حرمان وطرد هؤلاء التائبين الخطرين مع مساعدة من أمراء دنيويين مثل دوق بافاريا في عمليات القمع .

وفي المانيا وجنوب أوروبا على السواء استمرت جماعات اللطامين في الوجود على مدى قرنين من الزمان وأكثر بعد ظهورها الأول ، ولكن نشاطهم ومنزلتهم في المنطقتين اختلف بقدر كبير ، وفي إيطاليا وجنوب فرنسا ازدهرت جماعات اللطامين علنا في كل مدينة هامة ، وكانوا بشكل عام اصوليين متشددين في آرائهم الدينية ، وتمتعوا بالاعتراف من كل من السلطتين المدنية والكهنوتية ، وفي المانيا من جانب آخر كانت مثل هذه الجماعات موضع شك دائما في ميولها الانشقاقية ، وكثيرا في ميولها الثورية ، وليس بلا سبب جيد ، واستمرت الحركة التي كانت مقموعة في ١٢٦٢ في الوجود سرا ، وفي ١٢٩٦ عندما كانت المدن الواقعة على الراين تعاني من أسوأ مجاعة منذ ثمانين عاما ، ظهر هناك فجأة لطامون يرتدون لباسا موحدا وينشدون التراتيل ، عندما زحفت أكبر حركات اللطامين في كل الأزمنة خلال المانيا كلها في ١٣٤٨ ـ ١٣٤٩ ، تحولت أيضا لتختص بالطقوس والأغاني ، وحتى الرسالة السماوية نفسها نادرا ماعدلت أصلا ، مما يبدو انه برهان على أن بعضا — على الأقل ـ من قادتها قد جاءوا من حركة سرية ، واستطاعوا أن يستمدوا منها بعض التقاليد .

وقد عجل الموت الأسود بانفجار ١٣٤٨ ـ ١٣٤٩ ويبدو أن وباء

الطاعون الدملي هذا قد نشـأ في الهند وأنه انتقـل بـرا إلى البحـر الأسود ، ومن هناك عن طريق السـفن إلى البحـر المتـوسط ، وفي أوائل ١٣٤٨ كان متفشيا في موانيء إيطاليا وجنوب فرنسا ، ومـن شواطيء غرب اوروبا انتقل ببطء على طول طرق التجارة حتـى بلغ كل البلاد باستثناء بولونيا التي اقامت حجرا صحيا على حدودها ، وبوهيميا التي حمتها الجبال ، وفي كل منطقة استـمر الوبـاء مـن اربعة إلى ستة أشهر وتفشى بدرجة كبيرة في المدن المزدحمة متغلبـا على كل الجهود لكبح جماحه ، وترأصت الجثث بلا دفـن في بـاحات الكنائس ، ويبدو مؤكدا انه باصطلاحات معدلات الوفيات كان هـذا الوباء بلا منازع اكبر كارثة حلت بغرب اوروبـا في السـنوات الالف الأخيرة ، وكان اكبر بكثير مما نجم عن الحربين العالميتين معـا في القرن الحالي ، وتقـدر السـلطات المسـؤولة حـديثا انه في ١٣٤٨ ـ ١٣٤٩ هلك نحو ثلث السكان .

وقد فسر الوباء وفق الطراز الطبيعي للعصور الوسـطى على أنه عقاب إلهي بسبب خطايا وانتهاكات العالم الآثـم ، وكانت مـواكب اللطامين(ص ١٣٢) من بعض الجوانب محاولة لصرف العقـاب ، واضيفت فقرة جديدة إلى الرسالة السماوية لتأكيد هـذه النقـطة ، وكانت الاشاعة وهاجس الوباء وليست معاناته هي التـي أوجـدت المواكب ، وقد اعتاد الناس على غيابها فترة طـويلة قبـل أن يحـل الوباء نفسه ، ومن هنغـاريا ، حيث يبـدو أنهـا بـدات في أواخر ١٣٤٨ انتشرت الحركة نحو الغرب لتزدهر فـوق كل شيء في مدن وسط وجنوب المانيا وأخيرا في مدن وادي الراين ، حيث شعت من جانب إلى وستفاليا ومن الآخر إلى برابانت وهنيوت وفـلاندرز وفرنسا حتى قمعها الملك ، ومن البـلاد المنخفضـة انتقلت فـرقة في سفينة إلى لندن حيث قامت بعرض أمام كاتدرائية القديس بولص ، ولكن في انكلترا لم تجد الحركة اتباعا٠

وبأخذ الطريقة التي عملت بها الحركة في الاعتبـار نجـدها قـد انتشرت بسرعة ، وفي آذار مثلا وصلت إلى بـوهيميا ، وفي نيسـان

- ١٥٨١ -
إلى ماغدبرغ ولوبك وفي أيار إلى ووزبرغ و أوغسبرغ وفي حــزيران إلى ستراسبورغ وكونستانس وفي تموز إلى فلاندرز ، ومع ذلك إنها لم تتحرك في زحف ثابت ، وكانت التيارات الرئيســية مليئة بتيارات صغيرة وتيارات متقاطعة ودوامات ، وتقدم اللطامون في فرق متفاوتة الحجم بين خمسين إلى خمسمائة أو أكثر ، وفي ستراسبورغ كانت فرقة جديدة تصل كل أسبوع على مدى نصف سنة ، ويقال إن نحوا من ألف من البورجوازيين قد انضموا إليهم ، ورحلوا بعضــهم إلى أعلى النهر ، وبعضهم الآخر إلى أدناه ، وكانت فرقة جديدة تصــل إلى تورناي كل بضعة أيام مــن منتصــف آب حتــى بــداية تشرين الأول ، وفي الأسبوعين الأولين من تلك الفترة كانت الفرق تصل إلى هناك من بروغ ، وغنت ، وسلونير ، ودوردرخت وليبج ثم انضــمت تورناي نفسها وأرسلت فرقة في اتجاه سواسون ، وكي نفهم الحركة ككل يجب أن يتصور المرء عددا من المناطق تمر واحدة بعد الأخــرى في حالة من الهياج الانفعالي الذي يبقى بكامل قوته نحو ثلاثة شهور ثم يخمد تدريجيا، وفي الشرق حيث بــدات الحــركة ، انتهــت بحلول منتصف السنة ، وفي وسط المانيا بدأت تتضاءل بسرعة بعــد ذلك ، وفي البلاد المنخفضة وشمال فرنسا استمرت حتى أواخر الخريف ، ولابد أن عدد الناس الذين شاركوا في مرحلة أو أخــرى كان كبيرا ، ويصعب الحصول على الأرقام ، ولكن يروى بشكل يمكن الاعتمــاد عليه أن ديرا واحدا في البلاد المنخفضة كان قد أصبح مــركزا للحــج للطامين كان عليه أن يقدم الطعام لنحو ٢٥٠٠ في نصف ســنة وأن اللطامين الذين كانوا قد وصلوا إلى تــورناي في شــهرين ونصــف الشهر بلغوا ٥٫٣٠٠ . ويقال أيضــا ــ ربمــا مــع شيء مــن المبالغة ــ إنه عندما رفضت ارفورت أن تفتح أبوابها للطامين عسكر نحو ٣٠٠٠ خارج الأسوار .

والذي جعل من هذه الحشود من اللطامين شيئا أكثر من الوباء ، شيئا ربما يمكن تسميته (ص ١٣٣) هنا حــركة ، كان الطــريقة التي نظمت بها ، وباستثناء ماكان عليه الحال في المرحلة الأخيرة في الأراضي المنخفضة ، كانت هذه المنظمة مــوحدة المظهــر على نحــو

فريد ، وكان للطامين اسم جمـاعي ، وكانوا يدعون انفسـهم حملة الصليب أو الأخوة اللطامين - أو مثـل صـليبي ١٣٠٩ - اخـوة الصليب ، ومثل أسـلافهم في ١٢٦٢ - و مـن هـذه الناحية مثـل الصليبيين - كانوا يرتدون لباسا موحدا ، و كان في هـذه الحـالة ثوبا ابيض مع صليب احمر من الأمـام ومـن الخلف مـع قبعـة او قلنسوة مميزة بالشكل نفسه ، وكان يقود كل فرقة من اللطامين قائد كان في الغالب ، من العلمانيين ، وكان هذا المعلم او الأب ، كما كان يسمى ، يستمع إلى اعترافات الأعضاء و - كما لاحظ الاكليروس بفزع - يفرض الكفارات ويمنح الغفران ، سواء اثناء الجلد العلني او في الخفاء ، وكان على كل عضو أن يقسـم على الطـاعة المطلقـة لمعلمه طيلة فترة الموكب ، وكانت هذه الفترة ثابتة : وباستثناء بعض المواكب المحلية القصيرة في البـلاد المنخفضـة التـي كانت تنظمهـا الكنيسة ، كانت دائما ٣٣ر٥ يوما صوفيا وخـلال تلك الفتـرة كان اللطامون يخضعون لنظام قاس ، إذ لم يسمح لهم ، بالاستحمام او الحلاقة أو تغيير الملابس أو النوم في فراش ناعم ، وإذا قدمت لهـم الضيافة يمكنهم فقط غسل ايديهم عندما يركعون على الأرض كرمز للتواضع ، ولم يسمح لهم بالتحدث مع بعضهم بدون إذن من المعلم ، وفوق كل شيء كانوا ممنوعين من اي تعامل مع النساء ، وعليهم ان يتجنبوا زوجاتهم ، وفي المنازل التي يسـكنونها لم يسـمح بخـدمة النساء لهم على المائدة . وإذا نطق اللاطم بكلمة واحدة لامـرأة كان عليه أن يركع أمام معلمه ، الذي يضربه وهو يقول له :« انهض بحق شرف الشهادة الطاهرة ، ومن الآن فصـاعدا راقـب نفسـك ضـد الخطيئة»!

و اعتاد اللطامون لدى وصولهم إلى اي مدينة ان يأخذوا طريقهم الى الكنيسة و يشكلوا حلقة امامها ، ويخلعوا ثيابهم واحـذيتهم و يلبسوا مئزرا قصيرا يمتد من الخاصرة الى القدمين ، ثـم يبـداون بأداء طقس كان على الرغم من بعض الاختـلافات المحلية قياسـيا بشكل ملحوظ حيث يسير التائبون في دائرة ويلقون بأنفسهم واحـدا بعد الآخر على وجوههم ، ويرقدون بلا حراك واذرعتهم ممدودة على

شكل صليب ، ويخطو الذين في الخلف فوق الأجساد المنبطحة ، وهم يضربونها بلطف باسواطهم وهم يمرون ، ويرقد الرجال من ذوي الذنوب الكبيرة التي تتطلب التكفير و المغفرة في اوضاع ترمز الى انتهاكاتهم ، وفوق اجساد هؤلاء يخطو المعلم نفسه ، وهو يضربهم بسوطه وهو يكرر صيغته للغفران ، « انهض بحق شرف الشهادة الطاهرة » .

وعندما ينبطح اخر الرجال يقف الجميع على اقدامهم ويبدا الجلد ، فيضرب الرجال انفسهم بايقاع بسوط جلدي مسلح باشواك حديدية وهم ينشدون التراتيل في تلك الاثناء احتفالا بآلام المسيح ومجد العذراء ، وكان ثلاثة رجال (ص ١٣٤) يقفون في مركز الدائرة يقودون الغناء وفي مقاطع معينة ثلاث مرات في كل ترتيلة ، يرتمي الجميع ارضا كما لو كانوا قد اصيبوا بصاعقة وينبطحون بانرع ممدودة وهم ينتحبون ويصلون ، وكان المعلم يسير بينهم ويأمرهم بالابتهال الى الرب ليرحم كل الخاطئين وبعد برهة يقف الرجال ويرفعون ايديهم نحو السماء وينشدون ثم يعاودون جلد انفسهم ، واذا حدث مصادفة ان دخلت امراة او كاهن الدائرة يصبح اللطم كله غير صالح ويجب ان يعاد من البداية ، وفي كل يوم تجري عمليتا لطم كاملتين أمام الناس ، وكل مساء تجري ثالثة في الخفاء في غرفة النوم ، وكان اللطامون يقومون بعملهم باجتهاد حتى انه كثيرا ما تنغرس الاشواك في اللحم وتحتاج لانتزاعها ، وكانت دماؤهم تتناثر على الجدران وتتحول أجسادهم الى كتل من اللحم الأزرق .

وكانت جماهير السكان تنظر بتقدير إيجابي الى اللطامين ، وحيثما ذهب التائبون كانت تتدفق عليهم الحشود للمشاهدة والاستماع الى الطقوس المقدسة والضرب المخيف ، والتراتيل – ربما المرات الوحيدة التي سمعت حتى الآن في لغة قابلة للفهم من قبل الجماهير – وعند الأوج كانت تلاوة الرسالة السماوية تحدث تاثيرا غامرا ، حتى أن كل المستمعين كان

يغمرهم النحيب و التأوه ، و لم تكن مصداقية الرسالة موضع تساؤل ، وكان ينظر الى اللطامين – كما كانوا يرون في انفسهم – لا كمجرد تائبين يكفرون عن خطاياهم ، بل كشهداء ياخذون على عاتقهم خطايا العالم وبذلك يتجنبون الوباء ، وإبادة الجنس البشري في الواقع ، وعندما كان موكب اللطامين يقترب من مدينة من المدن كانت تقرع النواقيس ، وعندما ينتهي اللطم كان السكان يهرعون لدعوة المشتركين الى منازلهم ، وكان الناس يسرون بالاسهام في تكاليف الشموع والأعلام وحتى السلطات المدنية كانت تنفق بحرية من الأموال العامة .

إنها قصة الرعاة ، وكما في كل الأوقات منذ بدات الحضارة في الانتعاش والثروة المادية في الازدياد ، لم تكن الجماهير المدنية راضية عن الكهنة الذين – بأي عدالة – لم ترفيهم سوى الدنيوية وعينات الانتقادات التي كان منتشرة في تلك الأيام من منتصف القرن الرابع عشر ، وحفظت في تعابير الكهنة أنفسهم ، يقول أحدهم :« لقد تغلغل بيع وشراء المناصب الكهنوتية بعمق كبير وترسخ ، حتى أن رجال الاكليروس المدنيين والنظاميين سواء من المراتب العليا أو الوسطى أو الدنيا ، كانوا يبيعون ويشترون الوظائف الكهنوتية بلا خجل ، (ص ١٣٥)وحتى علنا دون تأنيب من أحد ، ناهيك عن العقاب ، وبدا كما لو أن الرب بدلا من طرد البائعين والمشترين من المعبد ، قد وضعهم بالحري ، داخله ، كما لو أن بيع المناصب الكهنوتية يجب أن لا يعتبر هرطقة بل كنسيا وكاثوليكيا ومقدسا ، وكانت الأوقاف الكنسية أو بيوت الكهنة ومناصبهم ومناصب رعاة الأبرشيات و حتى الأبرشيات و الكنائس الأبرشية و المذابح تباع لقاء المال أو تستبدل بالنساء والعشيقات ، أو يراهن عليها وتخضع للربح والخسارة في لعبة نرد . وكانت مرتبة ومهنة كل فرد تعتمد فقط على المال والنفوذ أو اعتبارات الربح الأخرى ، وكانت اديرة الراهبات والرهبان ورعايتها ، والوصاية عليها وادارة المدارس وحتى المحاضرات تباع من قبل الأساقفة أو مجلس الكرادلة التابع للبابوية الى رجال من

عديمي الكفاءة . خام ، جهلة صغار السن وبلا خبرة ، تباع بكل ما يمكنهم تحصيله سواء من السرقة أو الوسائل الأخـرى ، أو ربمـا يغتصبونه بأي طريقة أخرى ، ومن هنا ليس مـن السـهل الآن ان نجد بين شخصيات الكهنوت المدني والنظامي من يمكن احترامه مع شيوع هذا واعتماده بشكل عام ، انظر الى رؤساء اديرة الرهبـان واديرة الراهبات وأديرة الفـرنسيسكان ورؤسـاء الكنائس والكهنه والمعلمين المحاضرين وتنهد! انظر الى حياتهـم ومثلهـم وسـلوكهم وتعاليمهم والأوضاع الخطرة لهؤلاء في مهـامهم وارتجـف! اشـفق علينا أيها الرب ، يا أبا الرحمة ، إننا اثمنا تجاهك »

وصاح كاهن آخر : « كم أصبحت حـالة الكنيسـة مـزرية ! إن رعاة الأبرشيات يطعمون انفسهم بدلا مـن قـطعانهم ، والقـطعان التي يجزونها ، أو انهم بالأحرى يسلخونها ، إنهـم لا يتصرفـون كرعاة بل كذئاب ! لقد هجرت المحاسن كلها كنيسة الرب ، فلا بقعة صحيحة فيها من التاج الى النعل »!

والمدى الدقيق الذي يمكن بلوغه في تسويغ هذه الشكاوى غير ذي موضوع وما هو مؤكد أن العامة لم يكن بـاستطاعتهم بسـهولة ان يجـدوا بين الكهنة مـا كانوا في أمس الحـاجة اليه ، لقـد كانوا محتاجين الى رجال من ذوي الطها رة الدينية ، ممن يضمن زهدهم بوضوح قدراتهم في صنع المعجزات وبدا ان اللطامين من جانب آخر هم هؤلاء الأطهار ، وقد ادعوا انفسهم انهم خلال جلدهم لم يكونوا فقط متحررين من كل خطيئة ومطمئنين من السماء بل كانوا مدعمين لطرد الشياطين ، وشفاء المعلولين وحتى إحياء الموتى ، وكان هناك لطامون يدعون انهم يأكلون ويشربون مـع المسـيح ويتحـدثون الى العذراء ، وادعى واحد على الأقل بأنه بعث مـن الموت ، وكانت كل هذه الادعاءات تتقبل بلهفة من قبـل الأهـالي ، ولم يحضر الناس مرضاهم فقط ليتلقوا الشفاء من هؤلاء الرجال المقدسين ، بل كانوا يغمسون الثياب في الدم السائل منهم ويحفظونها كآثار مقدسة وكان الرجال والنساء على السواء يتوسلون كي يسمح لهم بضـغط هـذه

الملابس على عيونهم ، وفي إحدى المناسبات حمل طفل ميت حول الدائرة اثناء عملية الجلد على أمل بعثه من الموت ، وكان اينما ظهر اللطامون في المانيا كانت العامة من الناس ولا سيما في مراكز الصناعه والتجارة تنظر اليهم على انهم رجال الرب وكانوا في الوقت نفسه يلعنون الاكليروس وقدم هذا للطامين الفرصة التي كان العديد منهم ينتظرها(ص ١٣٦).

لطامون ثوريون

وحدث فقط في اماكن محدودة من الأراضي المنخفضة أن تمكن الاكليروس من السيطرة بشكل فعال على حركة اللطامين في عام ١٣٤٩ ، وانتهت هذه الحركة في اجزاء أخرى من البلاد المنخفضة وفي كل المانيا الى حركة مقاتلة متعطشة للدماء تسعى وراء الالفية .

وكانت تلك اللحظة الأكثر مواءمة لمثل هذا التطور ، لان التوقعات الأخروية كانت منتشرة على نطاق اكثر اتساعا وشدة ، ولم يكن مصادفة في تلك السنوات ، أن اكثر المسرحيات الألمانية المتعلقة بالمسيح الدجال شهرة ، كانت قد صنعت وعرضت ، وكان الناس في ١٣٤٨ بالفعل يفسرون الهزات الأرضية في كارنثيا وايطاليا على انها المحن المسائحية التي تعلن عن اقتراب الأيام الأخيرة ، وحتى إذا لم يخبر المرء بذلك بوضوح ، فإنه كان يفترض بأن الكارثة المروعة الفريدة للموت الأسود يمكن أن تفسر في المعنى نفسه ، وفي الحقيقة إن معاناة عدم الأمن الشامل ، والارتباك والقلق كان له الأثر – كما كان كثيرا جدا – على زيادة الاثارة الأخروية بين الجماهير ، الى وتيرة الحمى ، وكانت مواكب اللطامين تظهر في الدراما المتعلقة بانهيار العالم وتحوله في الأيام الأخيرة التي كانت تتكشف الآن عن هولها وقوتها : « لقد حكم الوباء عامة الناس وقضى على العديد منهم واهتزت الارض واحرق رجال من اليهود ·

- ١٥٨٧ -

كان عدد كبير وغريب من الرجال نصف العراة يضربون أنفسهم، وبالطبع كمنت وراء هذه المحن الألفية ،وكان العديد من الناس يعيشون في توقعات مجيء المسيح المحارب ، كما حدث فيما بعد في فتنة ثوار الراين الأعلى ، وبالضبط في ١٣٤٨ يذكر جون اوف ونترثر كيف كان الناس بشكل عام وبلهفة يتوقعون بعث الأمبراطور فردريك الذي سيذبح الكهنة ويجبر الأغنياء على الزواج من الفقراء ، وفي تلك السنة أيضا كان يفترض أن أحد « المنجمين الكبار » قد تنبأ ليس فقط بوباء الطاعون بل أيضا بمجيء امبراطور سيشتت ويحاسب البابا وكرادلته ويطيح بملك فرنسا ، ويمد سلطانه ويثبته فوق جميع أنحاء البلاد.

ومن المؤكد أن عددا كبيرا من اللطامين انفسهم عاشوا في عالم من خيالات الألفية ، وروى مؤرخ معاصر أن مواكب ١٣٤٩ التي كان كل منها يدوم ٣٣.٥ يوما كانت تعتبر مجرد بداية ، وكانت الحركة ككل تعتزم الاستمرار ٣٣.٥ سنة بانقضائها(ص ١٣٧) تكون النصرانية قد أنقذت ،وكشف تحري معتقدات اللطامين في برسلاو أيضا انشغالا بالألفية ، وكان التائبون هناك يرون كيف أن مراتب الرهبنة والأخوانيات الرهبانية الموجودة ستتعرض لمحن عظيمة حتى يتم مرور سبع عشرة سنة (نصف مدة التحول الكلية!) وعندها سيتم استبدالها بمراتب رهبانية جديدة تبقى حتى النهاية ، وهذه بالطبع نبوءة موجودة في التقاليد اليواكمية ، وعند هذه النقطة مفيد التذكير بعودة ظهور الرسالة السماوية التي سلمت هي نفسها منذ ١٢٦٠ ، السنة الرؤوية للنبوءة اليواكمية .ولم يكن للاشيء أن مثل هذه الوثيقة قد اصبحت بيانا لحركة اللطامين لأنه من المؤكد انه عندما كان اللطامون يتحدثون عن حركة رهبانية جديدة ذات قدسية فريدة ، إنما كانوا يشيرون الى أنفسهم فقط. لقد رأى هؤلاء الناس حقا في انفسهم أناسا مقدسين وجيشا من القديسين ، انهم لم يسموا أنفسهم ببساطة حملة الصليب واخوه الصليب فخلال ايقاعهم العذاب بأنفسهم كانوا يتغذون بآلام المسيح ، بل كثيرا مامضوا الى ابعد من هذا بكثير مدعين أن المسيح

بنفسه قد أراهم جراحه الدامية ، وأمرهم أن يقوموا بضرب انفسهم ، وكان بعضهم حتى يقول صراحة ، إن أي سفك دماء لا يمكن أن يقارن بسفك دمائهم سوى ما جرى عند صلب المسيح ، وأن دمهم قد اختلط بدم المسيح . وأن كليهما كان له القوة المخلصة نفسها .

وكما يمكن ان يتوقع ارتبط تطور هذه التخيلات بتبدل في التركيب الاجتماعي لمواكب اللطامين ، فلقد كانت الحركة دائما مؤلفة في اساسها من الفلاحين والحرفيين ، ولكن حيث أن النبلاء والبرجوازيين الأغنياء شاركوا فيها ايضا في البداية ، وهم بخروجهم منها تغير طابعها بفعل جمهور المجندين الجدد من حواشي المجتمع من المتشردين والمفلسين والخارجين على القانون والمجرمين من كل الأنواع ، وفي الوقت نفسه انتقلت الزعامة الى ايدي عدد من المتنبئين الذين كانوا الى حد كبير يتألفون من الكهان المنشقين والمرتدين ، وعندما قرر البابا في النهاية أن يصدر بيانا ضد اللطامين جعل من الواضح إنه يعتبر الغالبية اناسا بسطاء ضللوا من قبل المهرطقين الذين ، كانوا هم انفسهم فقط يعرفون جيدا ما يفعلون ، واضاف ان المهرطقين يضمون اعدادا من الرهبان والأخوة الرهبانيين وان هؤلاء يجب القبض عليهم حتما ، وعبر مؤرخ من البلاد المنخفضة ايضا عن هذه الفكرة ، بان الحركة قد نظمت بهدف القضاء على الاكليروس والكنيسة ، من قبل رهبان مرتدين في المانيا ، وبعد اختفاء الحركة عن الأنظار بثلاث سنوات ، كان رئيس اساقفة كولون ما يزال يهدد بالحرمان الشمامسة والكهنة الأدنى ، الذين شاركوا فيها ، مالم يقدموا شهودا يقسمون على براءتهم (ص ١٣٨) وظهر الذي وقف وراء هذه الاتهامات في احداث برسلاو ، وهي مدينة جاهر اللطامون فيها علنا بمعتقداتهم اليواكمية ، ومن المعروف ان الزعيم هناك كان شماسا حرض اتباعه على مهاجمة الاكليروس وانتهى بحرقه كمهرطق .

ومع تحول اللطامين الى حركة مسائحية جماهيرية أصبح

سلوكها شبيها بسلوك اسلافها في الحركة الصليبية الشعبية ، و انتهى اللطامون الالمان بشكل خاص بأن اصبحوا اعداء متصلبين للكنيسة ولم يدينوا الاكليروس فقط بل انكروا تماما ادعاء الاكليروس سلطة سامية غير طبيعية ، وانكروا أن يكون للقربان المقدس أي معنى ، وعندما قدم القربان للحشود رفضوا إظهار أي احترام له ، لقد قاموا بتطبيق مقاطعة الصلوات والخدمات في الكنيسة ، قائلين بأن احتفالاتهم وتراتيلهم وحدها هي التي لها قيمة ،لقد وضعوا أنفسهم فوق البابا و الاكليروس على اساس انه في الوقت الذي يمكن فيه للأكليروس أن يرجعوا فقط الى الانجيل والآثار كمصدر سلطتهم ، تعلموا هم انفسهم مباشرة من روح القدس التي ارسلتهم عبر العالم ، وقد رفض اللطامون مطلقا سماع النقد من أي كاهن ، بل على العكس - تماما كاستاذ هنغاريا - أعلنوا ان اي كاهن يعارضهم يجب سحبه من على منبر وعظه وحرقه على الخازوق ، وعندما غامر اثنان من الدومينكيان بالجدال مع اللطامين رجما فقتل احدهما ونجا الآخر بالهرب ، وحدثت احداث مماثلة في أماكن أخرى ، وفي بعض الأحيان كان اللطامون يحثون الناس على رجم الاكليروس بالحجارة ، وكل من يحاول تهدئة ثائرتهم ضد الكنيسة ، بما في ذلك اعضاء جماعتهم ، كان يفعل ذلك مخاطرا بنفسه ، وشكا البابا من أن هؤلاء التائبين كانوا كلما وجدوا الفرصة انتهزوها فكانوا يستولون على الممتلكات الكهنوتية لصالح اخوتهم ، وقال مؤرخ فرنسي:كانت حركة اللطامين ترمي الى تدمير الكنيسة تماما ، والاستيلاء على ثرواتها ، وقتل كل الاكليروس ، وليس هناك من دليل على أن أيا منهما كان يبالغ.

وكالمعتاد عانى اليهود الى جانب الكهنة وبدرجة أكبر بكثير ، وفي المذبحة الكبرى ليهود أوربا التي رافقت الموت الأسود - وهي الاكبر قبل القرن الحالي - شغل اللطامون دورا هاما ونفذت عمليات القتل الأولى تلقائيا من قبل جماهير كانت قانعة بأن اليهود قد سببوا الوباء بتسميم الآبار ، وانتهت بحلول آذار ١٣٤٩ ربما

لأن الناس في ذلك الوقت قد لاحظوا أن الطاعون كان يصيب اليهود بالقدر نفسه الذي كان يصيب به المسيحيين ، وانه لم يوفر المناطق التي قتل فيها اليهود بالفعل ، وبعد ذلك بأربعة شهور انطلقت موجة جديدة من الذبح بفعل دعاية اللطامين ، وحيثما قامت السلطات حتى الآن بحماية اليهود أخذت هذه الحشود الآن تطالب بذبحهم.

وعندما دخل اللطامون في تموز ١٣٤٩ فرانكفورت اندفعوا راسا الى الحي اليهودي ، حيث انضم اليهم اهالي المدينة في ابادة الطائفة ، وقد اقلقت الحادثة السلطات حتى انهم اخرجوا التائبين من المدينة وعززوا البوابات لمنعهم من العودة ، وبعد ذلك بشهر حدثت مذبحة متزامنة في مينز وكولون ، واثناء موكب للطامين في مينز هرولت حشود النظارة فجأة بشكل مسعور لتلقي بنفسها على اليهود ، وكانت النتيجة ان الطائفة الاكبر لهم في المانيا قد ابيدت ، وفي كولون دخلت فرقة من اللطامين كانت معسكرة لبعض الوقت في الخارج الى المدينة وجمعت حشدا كبيرا ممن ليس لديهم مايفقدونه ، وضد رغبة مجلس المدينة والبرجوازيين الاغنياء هاجمت هذه الحشود اليهود وقتلت كثيرا منهم .و في بروكسل ايضا ادى اقتراب اللطامين الممتزج بشائعات تسميم الآبار إلى قيام مذبحة قتل فيها كل افراد الطائفة اليهودية وعددهم ٦٠٠ ،وذلك على الرغم من جهود دوق برابانت لحمايتهم ، وفي مناطق واسعة عبر البلاد المنخفضة كان اللطامون بمساعدة حشود الفقراء ، يحرقون ويغرقون كل من يمكنهم العثور عليه من اليهود « لانهم كانوا يعتقدون بانهم يفرحون الرب بهذه الطريقة ».

إن المصادر ضئيلة ، ويستحيل القول كم هو عدد مثل هذه المذابح التي قادها او اثارها اللطامون خلال النصف الثاني من سنة ١٣٤٩ : ولكن لابد انها كانت كثيرة ، واصبح اليهود انفسهم يعتبرون اللطامين اسوأ اعدائهم ، في حين اطلق البابا احدى شكاياته الرئيسه ضد اللطامين من « ان معظمهم ، او معظم

اتباعهم ، دون مظهر الورع ، وانهم يطلقون ايديهم في اعمال قاسية غير تقية ،و يسفكون دماء اليهود ، الذين تقبلهم التقوى المسيحية وتدعمهم »، ومن شبه المؤكد انه في الوقت الذي انهى فيه اللطامون عملهم الذي اثاره هلع ١٣٤٨ ، كان هناك بقية ضئيلة جدا من اليهود في المانيا والبلاد المنخفضة ، وقد اكملت مذابح ١٣٤٨ ـ ١٣٤٩ تدهور وضع اليهود الذي بدأ في ١٠٩٦ ، وخلال بقية العصور الوسطى بقيت الطوائف اليهودية في المانيا صغيرة وفقيرة ، ومدانة بعزل الحي اليهودي عن المجتمع .

هل كان اللطامون يعتزمون ايضا القضاء على ذلك العدو التقليدي ، ذلك المشخص في دايفز ؟ هل كانوا يعتزمون مثل الجماهير الاخرى التي كانت تستلهم الايمان بالاخرويات ، القضاء على الاغنياء واصحاب المزايا ؟ لقد اتهمهم البابا بسلب وقتل العلمانيين مثلما قتلوا الكهنة واليهود ، في حين ان احد المؤرخين يخصص بأن اصحاب الثراء فقط الذين (ص ١٤٠) هوجموا ، وبالتأكيد قدر لهذه الجموع ان تصبح في النهاية موضع خشية « العظيم » مثل ماكان الرعاة .

ففي فرنسا حظر فيليب الخامس اللطم العلني تحت طائلة الموت ، وبذلك اصبح قادرا على منع الحركة من التوغل لاعمق من بيكاردي ، وفي المانيا اغلقت بعض المدن مثل ارفورت ابوابها في وجه جموع اللطامين ، في حين ان اخرى مثل اخن ونورمبرغ توعدت بالموت اي لطام يوجد ضمن اسوارها ، وماتخوفت منه هذه السلطات المدنية يظهر بوضوح كاف من قصة اللطم الصغرى التي صاحبت تفجرا جديدا للطاعون في ١٤٠٠ ، ففي تلك السنة سجن اللطامون في فيزيه على الماس ، ولقوا مقاومة من مدينة تونغرين ، وتم قمعهم في غنت من قبل كونت فلاندرز ، وعندما اقتربت فرقة من اللطامين من ماستريخت حاول الاثرياء من البرجوازيين اقفال البوابات في وجهها ، ولكن البروليتاريا من قصاري القماشن هبوا وقضوا على الحكام ومؤيديهم ، وسمحوا للتائبين ، ثم بعد ان تقووا بوجود

هؤلاء الرجال المقدسين ، اقفلوا البوابات في وجه الحاكم المطلق للمدينة ، اسقف ليبج .

وبحلول النصف الثاني من سنة ١٣٤٩ اصبحت حركة اللطامين قوة بالفوضويه نفسها للثورتين الكبيرتين للرعاة ، وحركت ضد نفسها ائتلاف القوى المدنية والاكليروسية نفسه واتجه امراء واساقفة المناطق التي ازعجها اللطامون الى السوربون طالبا للنصيحة ، واحالت السوربون الامر الى البابا في افينيون غير انها ارسلت اليه ايضا احد دكاترتها ، الراهب الفلمنكي جين دي فايت ، الذي درس الحركة في وطنه ، وعندما بلغ الوباء جنوب فرنسا للمرة الاولى ، في ايار من السنة السالفة اقام كليمنت السادس حفلة لطم عامة اشتركت فيها اعداد كبيرة من الجنسين ، وفيما بعد ادرك خطر هذه الحفلات ، وهكذا قوبلت احدى فرق اللطامين التي كانت قد وصلت الى افينيون من بازل بالتعنيف ، واثار الان تقرير فايت استجابة فورية ، ففي تشرين اول ١٣٤٩ ،اصدر البابا مرسوما ضد اللطامين ، وبعد تلخيص اوهامهم وغلوهم المذهبي واساءاتهم تجاه الاكليروس واليهود اشار المرسوم الى ان هؤلاء الناس كانوا بالفعل يتجاهلون السلطات المدنية ، واضاف انهم اذا لم يقاموا الان فانهم قد يصبحون مستعصين على المقاومة ، لهذا يجب قمع هذه « الزمرة » من « معلمي » الخطيئة كما ينبغي اعتقال الذين احكموا بناء عقائدهم وان يحاسبوا بالحرق اذا لزم الأمر ، وقد ارسل المرسوم الى رؤساء الاساقفة في المانيا ، وبولونيا وفرنسا ، وانكلترا والسويد وتبعته رسائل الى ملوك فرنسا وانكلترا واعلنت جامعة باريس الان ايضا ادانتها الرسمية ، واسرع الكهنة بكتابة رسائل دعائية ضد اللطامين (ص ١٤١)

وكان تأثير المرسوم فوريا ، ومنع رؤساء الاساقفة والاساقفة في كل المانيا والبلاد المنخفضة قيام المزيد من حفلات اللطم ، وجرد كثير من كهنة الابرشيات والقسس وحرموا من الكنيسة واتجهوا الى

الڤيديون لالتماس الغفران ، وتعاونت السلطات المدنية بحماس لكبح الحركة .

واما المدن التي كان اللطامون مايزالون يترددون عليها ، فقد اتخذت الاجراءات للتخلص منهم ، ونسمع عن لطامين قطعت رؤوسهم بأمر من احد الكونتات ، وعن عدد كبير شنقوا في وستفاليا ، وبناء على امر من رئيس الاساقفة قامت السلطات المدنية في ابرشية تريير باعدام اللطامين وكادت ان تبيدهم ، وتحت ضغط الاضطهاد هجر معظم التائبين بسرعة حركتهم وبعبارات احد المؤرخين « اختفوا فجأة كما ظهروا فجأة كأشباح الليل او اشباه الاشباح ، ومزق بعضهم فعلا لباسهم الموحد وهربوا» ، وفي السنة التالية التي حدث ان كانت سنة مقدسة كان العديد يؤدون الكفارة بالضرب ولكن هذه المرة من قبل الكهنة ، امام المذبح العالي للقديس بطرس في روما ، ومع ذلك فقد تخلفت الحركة هنا وهناك ، ووجد في مدينة تورناي ضرورة لتجديد حظرها من حين لاخر حتى ١٣٥١ ، وكان اسقف اوترخت مايزال يلاحق اللطامين في ١٣٥٣ ، وكان على رئيس اساقفة كولون ان يتعامل معهم في ١٣٥٣ ، ومرة اخرى في ١٣٥٧ ، وبعد ذلك لم يعد يسمع شيء عن اللطامين في تلك المناطق الغربية .

وفي اطار الايمان الشعبي بالاخرويات تثير قصة حركة اللطامين في ١٣٤٩ تساؤلا واحدا واضحا : هل كان هناك في مكان ما في المانيا بين المخلصين الذين عينوا انفسهم من حاول بوساطة حركة اللطامين ، احداث حالة قلق عام ، يمكنه ان ينتحل فيها علنا دور المخلص الاخروي ؟ولسوء الحظ ان المصادر المتوفرة لاتقدم جوابا ، ويمكن للمرء فقط ان يشير الى حركة لطم اصغر ظهرت في ايطاليا قبل بضع سنوات وهربت ايضا من السيطرة الكهنوتية ،وفي هذا المثال كان المعروف ان القائد كان من العلمانيين واسمه دومينيكوسافي من اسكولي وكان بعدما امضى سنوات عديدة كناسك ادعى انه اصبح ابنا لله ؛ ومن اجل ذلك احرق كمهرطق ، وهذا

بالطبع لايؤكد وجود شخصية مماثلة في ١٣٤٩ في المانيا ، وانما يجعل هذا يبدو كمجرد احتمال فقط ، ومن جانب اخر كانت هناك معلومات وافرة فيما يتعلق بمسيح لطام يدعى كونراد شمد - وهونظير للمبتدع الايطالي ، وفي الوقت نفسه فردريك الزائف الذي راس في ١٣٦٠ الحركة التي تحولت تحت ضغط الاضطهاد الى طائفة سرية في مدن وسط وجنوب المانيا ، وقصة هذا الرجل واتباعه تستحق البحث بشيء من التفصيل .

سرلطامي ثورنجيا

كان كونراد شمد رجلا علمانيا متعلما بدرجة كافية ، (ص ١٤٢) لينغمس في بحوث النبوءات الرؤوية في مكتبة احد الاديرة ، وكان ايضا مطلعا تماما على المعارف التقليدية المتعلقة بشكل ما بعقائد اللطامين الباطنية ، ومن جميع النواحي كان مذهبه ببساطة مذهب التائبين في عام ١٣٤٨ - ١٣٤٩ ، وبالنسبة لاتباعه كان جلد الذات تشبها بالمسيح تقليدا جماعيا وتضحية خلاصية حمت وحدها العالم من كارثة نهائية مدمرة ، بفضل ذلك اصبحوا هم انفسهم نخبة مقدسة ، وبالنسبة لهم ايضا كان امرا متوقعا رفض كنيسة روما وكل اعمالها ، وتسخيف القربان المقدس ، وتسمية الكنائس عصبة لصوص ، وشجب الاكليروس ، على انهم مصاصوا دماء ودجالون كشفت طبيعتهم في وحش سفر الرؤيا ، بل وحتى انكار سلطة القوى المدنية ايضا ، باصرارهم على ان الامبراطور ليس له عليهم حق للطاعة اكبر مما للبابا ، وان كل القوانين بلا استثناء لاغية بالنسبة لهم ، ويؤكد هؤلاء الطائفيون فقط مايمكن تخمينه بالفعل من سلوك اسلافهم ، ومع ذلك نجد من نواح اخرى ان مابشر به شمد هو اشد وضوحا ، وفيه يظهر الايمان المسائحي الذي طبق دوما في حركات اللطامين في المانيا بأعظم تأكيد ممكن .

وطبقا لهذه التعاليم كانت نبوءات أشعيا Isaih التي

عدت تقليديا متنبئة بمجيء المسيح كانت في الواقع تشير الى مجـيء شمد ، الذي اصبح الان الحامل الوحيد للديانة الصحيحة ، ومن هذا يبدو انه عندما قال خصوم شمد الكاثوليك انه اعتقد في نفسه انه رب إنما كانوا يقولون الحقيقة المتسمة بـالاعتدال ، وفي الوقـت نفسـه ادعى قائد اللطامين لقـب ملك ثـورنجيا ، ولعله لم تـزدهر حـركة اللطامين لعامي ١٣٤٨ ـ ١٣٤٩ في اي مكان اخر بـالقوة نفسـها كما ازدهرت بها في المنطقة الواسعة مـن وسـط المانيا التـي كانت تعرف في ذلك الوقت باسم ثورنجيا ، ولم تبق اي مدينة او قرية دون ان تتاثر ، ولقد اصبح اللطامون شعبيين واقوياء حتى انهم حرضوا عامة الناس على رجم الاكليروس ، وقد اقفلت ارفورت بـواباتها في رعب في حين كانت حشود اللطامين تعسكر في الخارج ، ومع هذا في تفحصنا مسالة ملك ثورنجيا نجد ان شمد لم يكتشـف في ثـورنجيا منطقة موائمة بشكل خاص لرسالته ، ذلك ان ثورنجيا كانت ايضـا المنطقة التي شغلت دورا فـريدا في صـنع هيكل التقـاليد الشـعبية المتعلقة بفردريك امبراطور المستقبل .

ومـن ١٣١٤ إلى ١٣٢٣ كان يحـكم ثـورنجيا حفيد لفـردريك الثاني هو النبيل فردريك المقدام ، وكان هناك في هذا الوقـت زمـرة ترى في هـذا (ص ١٤٣) الرجـل الوريث الطبيعـي للجـلال الامبراطوري ، وتنشر دعاية تبسط ادعاءاته ، بينما اصبح في نظـر عامة الناس شخصية إخروية ، وكان الاعتقاد على نطاق واسـع انه يحمل علامة الميلاد المعجزة ـ الصليب الذهبـي المضيء بين لوحـي الكتف ـ وهي العلامة التي كانت مقدرة لامبراطور الأيام الأخيرة ، وكان يتوقع أن ينفذ العقاب النهائي بحق الاكليروس . وبعـد مـوته اندمجت شخصيتة فردريك المقـدام في شـخصية جـده لأمـه ، الامبراطور .

وبدا اهالي ثورنجيا يتحدثون عن فردريك الغامض الذي كان ينام في جبل كيفهاوزر والذي سيعود يوما في ابهة ليسود العالم من مملكته في ثورنجيا ، وهكذا بإدعائه انه ملك ثورنجيا كان كونراد شمد يدعى

-١٥٩٦-
أنه فردريك النبوءة الأخروية ، وهذا ماعناه عندما وضـع نفسـه في مركز المعارضة للنبيل الحاكم ، مدعيا انه هو نفسه لديه ماثر اكبـر بكثير في رصيده ، وكان عامة الناس يسمونه الامبراطور فـردريك ، وعندما ادعى فردريك انه القائم والرب المجسد ، كان هذا المهـرطق الكبير يشغل بالفعل الدور الذي قدر له أن يستحوذ بعد قرن ونصف القرن على خيال ثائر الراين الأعلى .

وحتى يتم قبول من سيصبح عضوا في الطائفة كان عليه ان يقـدم اعترافا كاملا لشـمد وان يجـري عملية جلد بيديه ، ويؤدي قسـما بالطاعة المطلقة له ، ومن هذه اللحظة ومابعدها كان الالتزام الوحيد الذي يعرفه هو الخضوع التـام للمسـيح ، وعلم شـمد اتبـاعه ان خلاصهم يعتمد على موقفهم تجاهه فإذا لم يكونوا « بنعومة الحرير وليونته » في يديه ، وإذا أظهروا أدنى نضال بعد الاستقلال ، فإنهم سيسلمون للشيطان ليعذبوا جسديا وعقليا فهو كان ربهم ويجب أن يصلوا له وان يخاطبوه « ابانا » .

وكان للذين اخلصوا لشـمد جـائزتهم فبإمـكانهم أن يبتهجـوا بالمعرفة الاكيدة بأن فيهم وعبرهم سـيبلغ التـاريخ البشري غايتـه الحقيقية،وكانوا يرون أن لطامي ١٣٤٩ كانوا يمتون إليهـم بمثـل درجة القرابة التي قامت بين يوحنا المعمدان والمسيح ، وفي الواقـع إن المسيح نفسه لم يكن سوى بشير بهم ، وبلا شك أنه قد أرشد إلى الطـريق الصـحيح ، إلى الخـلاص بتحمله للجلد وإنه فقـط الذين يجلدون أنفسهم هم الذين يمكنهم الادعاء انهم يتبعون الطـريق إلى النهاية ، والآن إن الشريعة المسـيحية قـد اسـتبدلت بشريعـة اعلى (يمكن للمرء التعرف على النمط اليواكيمي المألوف) واتبـاع كونراد شمد هم فقط حملة هذه الشريعة ، وتماما كما حول المسـيح الماء الى نبيذ ، إنهم حولوا العماد(ص ١٤٤) بالماء الى عماد بالدم ولقد ابقى الرب في الواقع افضل النبيذ للنهـاية ولم يكن هـذا النبيذ شيئا غير الدم الذي يسفكه اللطامون.

وكان هؤلاء الناس قانعين أنهم وهم يضربون أنفسهم فإن ملاكا يدعى ـ بشكل مدهش ـ ڤينوس كان يرقبهم ، وجلودهم الحمراء كلها كانت تبدو مكسوة لحفل زفاف ، والمازر التي يلبسونها أثناء الجلد كانوا يسمونها لباس البراءة ، ولكم كانت بهجة الأنبياء عظيمة لو أنهم عاشوا في تلك اللحظة وشاركوا في هذا اللطم المقدس ! وبالنسبة للملك داود فقد تنبأ في الواقع بهذا النعيم ، وقد دفع إلى اليأس عندما علم بأنه لن يعيش أبدا للانضمام إلى الطائفة ، حتى أنه وزوجته كانا يضربان نفسيهما كل ليلة كطريقة للمشاركة في تلك الأعمال التي كانت تسر الرب فوق كل شيء آخر ، بيد أن كل هذا لم يكن سوى تذوق للفرح الذي سيأتي ، للملكة الالفية التي ستظهر عن قريب ، وفيها يتجمع اللطامون حول امبراطورهم الرب ليشكلوا فرقة انشاد ملائكية ، وسيدعون أبناء الأمراء ، وفي هذه الأثناء ، باع كثير من أعضاء الطائفة ، وقد استنفدوا صبرهم حاجياتهم ورفضوا العمل حتى يغرقوا بسرعة في فقر مدقع .

وكما في ١٣٤٨ ـ ١٣٤٩ كانت دعاية اللطامين ماتزال مدعمة بالوباء ، وكانت انفجارات أصغر ولكنها منذرة بلا جدال تستمر في الحدوث كل بضع سنوات لتثير كل مرة موجة جديدة من الذعر ، وربما كان الوباء الخطير بشكل خاص في ١٣١٨ هو الذي ألهم شمد أن يعلن أن الحساب الأخير سيعقد وأن الألفية ستبدأ في السنة التالية ، ولكن بحلول هذا الزمان كان الاستجواب والتحقيق ومحاكم التفتيش كانت أيضا قد بدأت بالاهتمام بتكاثر مجموعات المهرطقين في ثورنجيا ، وأرسل محقق واضح الشدة للتعامل مع الحالة ، وكانت هناك إعدامات كثيرة ، وهناك أساس للاعتقاد بأن كونراد شمد كان أحد المهرطقين السبعة الذين أحرقوا في ١٣٦٨ في نوردهوزن على بعد خمسة عشر ميلا من جبل كيفوزر الذي منه كفردريك القائم كان يفترض أنه قد ظهر ، ومرة أخرى بدأت السلطات الاكليروسية في سحق حركة اللطامين في المانيا ، وفي ١٣٧٠ حظر أسقف ورزبرغ اللطم في أسقفيته ، وبعد ذلك بعامين كان البابا يشجع التحقيق في المانيا ، والتعامل الفوري بحزم مع أي

لاطم تقع عليه الأيدي ، ولكن الحركة كانت ماتزال موجودة في الخفاء وفي ١٣٩١ ـ ١٣٩٢ وجدت مجموعات لطم جديدة بين الفلاحين والحرفيين حول هيدلبرغ واعتقد المحقق الذي قام بالتحقيق هناك أن من الأفضل أن يتجه مباشرة إلى مقر قيادة شمد القديم في ثورنجيا ، ووجد الطاعون ثائرا هناك واليهود يذبحون ، واكتشف بلا صعوبة مجموعة من اللطامين المهرطقين في ايرفورت ، وأحرق قادة المجموعة ، وفرضت الكفارة على الآخرين ، بينما ببساطة هرب الباقون(ص١٤٥) .

وكانت السنوات حوالي ١٤٠٠ غير سعيدة ، وكان زمنا مضطربا لكل النصرانية ، فلقد كان الأتراك العثمانيون يتقدمون في البلقان ، وفي ١٣٩٦ اوقعوا هزيمة ماحقة بالجيش الصليبي الذي ارسله الغرب ضدهم ، واكثر مدعاة للاضطراب حتى من هذا التهديد الخارجي ، كان التفكك الذي نجم عن الصراع العظيم الذي جزأ الكنيسة بين البابوين المتنافسين ، اللذان ادعى كل منهما طاعة كل النصرانية ، وشجب الآخر كمهرطق ، وكانت فترة من الارتباك الواسع العميق التي ـ كما حدث كثيرا ـ اثبتت انها باعث عظيم للاثارة الأخروية ، وفي ١٣٩٦ رأى القديس الدومينكاني فنسنت فيرر رؤيا حول اقتراب الأيام الأخيرة ، ولاقتناعه بأن المسيح الدجال كان على وشك بدء حكمه بدأ يقود مواكب اللطامين ، وفي اسبانيا ، وجنوب فرنسا وإيطاليا ، وفي ١٣٩٩ كان فلاح إيطالي قد حظي برؤيا أخروية ادت إلى تشكيل حركة للطامين اكتسحت كل إيطاليا ، وحتى في تلك الأراضي الجنوبية حيث بقيت مثل هذه الحركات بشكل عام تحت السيطرة الكهنوتية ، فإنها كانت تتمكن احيانا من الهروب منها . وعندما هبط موكب كبير من اللطامين من مدن لومبارديا على روما أمر البابا باعتقال قائده وحرقه ، ودخل موكب من بضع مئات من حرفيي لومبارديا بقيادة أحد حواريي فيرر من المدينة نفسها بقصد شن الحرب ضد المسيح الدجال ، ولابد أن هذا ايضا كان اكثر اقلاقا للادارة البابوية ، وكانت تجربة خزينة تلك التي ادت بعالم اللاهوت البارز والحصيف ، كارليير دي

جيرسون لأن يوجه من مجمع كونستانس في ١٤١٧ نداء بالغ الأهمية إلى فيرر للتوقف عن تشجيع الميول الشديدة الخطر على الكنيسة .

ولكن كانت جموع اللطامين المهرطقين ماتزال غفيرة في وحول تورنجيا اكثر من أي مكان .وكان هؤلاء الناس أيضا مقتنعين بأنهم يعيشون في الأيام الأخيرة ، وكانوا بتعابير الأخرويات الشعبية يفسرون حياة وموت كونراد شمد ، لقد تحدث سفر الرؤيا عن « شاهدين » كان عليهما ان يعظا ضد المسيح الدجال ويقتلان على يديه ثم يبعثان بمعجزة ، وقد عرفت الآخرويات الشعبية هذين الشاهدين بأنهما اليجا واينوخ ، وهما شخصيتان في العهد القديم رفعا إلى السماء دون أن يمرا بمرحلة موت الجسد ، ولقد رأى اللطامون أن شمد ومساعده قريبه الذي مات معه سيتجسدان في اليجا واينوخ في الأيام الأخيرة كشاهدين ، في حين سيكون المسيح الدجال بالطبع كنيسة روما ، غير أن المتعصبين كانوا مقتنعين ايضا بأن شمد سيعود مع ذلك مرة أخرى ليهزم المسيح الدجال ويتراس الحساب الأخير ، وبالضبط لأن (ص ١٤٦) عودة اليجا واينوخ قد حدثت في الماضي فإنهم توقعوا المجيء الثاني في كل لحظة ، ولم يكن هناك إلا قليل من الشك في أن شمد سيكون الامبراطور الأخير إضافة إلى ابن الانسان الذي يتوقع ظهوره ، وفي وقت مبكر من القرن الخامس عشر لاحظ مؤرخ من تورنجيا كيف كانت قوة « الهرطقة السرية » حول فردريك النائم مزدهرة هناك ، وكيف كان الناس البسطاء مقتنعين بشكل مؤكد بأن الامبراطور كان يظهر من وقت لآخر بين الناس ، وكيف كانوا ينتظرون بثقة عودته كإمبراطور للأيام الأخيرة ، وأنه كان من المؤكد أنه ليست مصادفة أنه في المدن المحيطة بجبل كيفوزر استمرت جماعات اللطامين السرية في الوجود

وبالنسبة للبقية كانت تلك الجماعات ماتزال مدركة لارتباطها مع اسلافها ، فلقد حافظ افرادها على طقوس حركة ١٣٤٩ وكانوا مايزالون يدافعون عن ممارساتهم بالاحتكام إلى الرسالة السماوية ، وقد حافظوا ايضا على مذهب شمد بكل نقائه ونقلوه من

الأهل إلى الأطفال بإخلاص حتى أنه بعد قـرن لم يتغير إلا قليلاً، وقد شكلوا في الواقع طائفة محكمة التنظيم حيث كان الأطفال حديثي الولادة يعمدون بموجب ضربهم حتى يدمون .

وبشكل تقليدي استهلت الدعاوى ضد المهرطقين ونفذت من قبل الكنسية ، وكان تدخل السلطات المدنية محدود في تنفيذ الاحكام المفروضة ، وانه لأمر له اهميته الى المدى الذي يمكن ادراكه ان الامراء المحليين للمناطق كانوا دائما هم الذين يأخذون المبادرة في ملاحقة اللطامين الثورنجيين ، وفي اضطهاد هؤلاء الناس الذين كانوا في الواقع ثوار اجتماعيين بقدر ماكانوا مهرطقين ، ودور التحقيق كان في احسن الاحوال ثانويا ، وكانت هذه بالفعل هي الحالة عندما اكتشفت في ١٤١٤ ـ ١٤١٦ طائفة كبيرة من اللطامين في مدينة سانغرهورن وبعد محاكمات حاشدة نظمها المحققون والقضاة المدنيون معا احرق القائد واثنين من حوارييه كمهرطقين غير تائبين سادرين في غيهم ، وارتد الباقون واطلق سراحهم ، ولكن عندما ترك المحقق المنطقة كان الامراء في الامارات المجاورة يمسكون بكل لطام يمكنهم العثور عليه واحرق نحو من ثمانين او تسعين لطاما في ١٤١٤ ويبدو ان ثلاثمائة قد اعدموا في يوم واحد في ١٤١٦ ، وبالتأكيد كان هذا تعبيراً عن الخوف المذهل الذي اوحت به هذه الحركة في « العظيم » ، وحتى هذا اخفق في وضع نهاية للحركة .

بعد جيل في ١٤٤٦ ، اكتشف نحو عشرة من اللطامين في نورد هوزن ، وهي المدينة التي يحتمل ان شمد نفسه قد احرق فيها ، وفي هذه الحالة ايضا ، حتى اولئك الذين ارتدوا قد احرقوا ، وهذه هي طريقة من العمل يبدو انها كانت متبناة من قبل السلطات المدنية دون تصديق من الكنيسة ، ويحتمل ان لايكون ذا علاقة ان احد الضحايا كانت مهنته المعروفة هي صناعة النسيج ، وفي ١٤٥٤ جرى ثانية احراق حفنتين من اللطامين من الرجال والنساء (ص ١٤٧) في سندرهوزن : ، و كان في وقت متأخر الى عام

- ١٦٠١ -

١٤٨٠ ان اخر (الى حد ماهو معروف) اللطـامين السريين قـد حوكم واحرق ، وهنا مرة اخرى بتحريض من الامير المحلي .

واذا لم يسمع بعد ذلك عن هذه الطائفة فـانها مـابرحت تتمتـع ببعض الاهمية من حيث ان المناطق التي كانت اكثر ازدهارا فيهـا ، كانت المناطق التي ستشهد نشاطات توماس مونتزر ، والقرية التي ولد فيها في ١٤٨٨ او ١٤٤٩ « متنبىء الفلاحين هذا » شـهدت ولادة حرب وقعت على بضـعة اميال مـن نورهـوزن ، وكذلك كان مسرح المذبحة حيث سحق جيشه الفلاحي .

الفصل الثامن

نخبة الفاسدين الخارقين للطبيعة(١)

هرطقة الروح الحرة (ص ١٤٨)

بالمقارنة مع القدر الكبير الذي كتب عن الهرطقة التي تعرف بأسماء مختلفة : الكاثارست و البيجنسيان والنيومانشيان نجد أن ادبيات هرطقة الروح الحرة أو الحرية الروحية ضئيلة في الواقع ، وهذا ليس مدهشا بمجمله ، إذ بينما تحكمت هرطقة الكاثارست تماما بالحياة الدينية لقسم كبير من جنوب فرنسا لمدة نصف قرن أو اكثر حتى تحطمت قوتها بفعل حملة صليبية غيرت تاريخ فرنسا ، نجد أن قصة اتباع الروح الحرة أقل وضوحا في دراماتيكيتها ، ومع ذلك ففي التاريخ الاجتماعي ـ تمييزا له عن السياسي الصرف ـ لغرب أوروبا شغلت هرطقة الروح الحرة دورا اكثر اهمية من الكاثارية ، والمنطقة التي امتدت فوقها كانت بمعايير القرون الوسطى واسعة ، ففي القرن الرابع عشر عندما أراد رجل في موراڤيا الانضمام الى واحدة من طوائفها اقتيد عبر أوروبا حتى قدم الى واحدة في كولون ، في حين أن الاعضاء من النساء كن يتخذن طريقهن من كولون إلى طائفة في أعماق سيليزيا على بعد ٤٠٠ ميلا ، وبعد قرن مارست فرقة من الاتباع من بيكاردي نفوذا ملموسا على ثورة التابوريت في بوهيميا ، وكان لهذه الحركة قدرة استثنائية على البقاء ، لأنه مع تعرضها للمضايقة باستمرار و للاضطهاد بقيت كتقليد معروف يمكن تمييزه لنحو خمسة قرون .

إن هرطقة الروح الحرة بناء عليه تتطلب مكانا في اي عملية مسح للاخرويات الثورية ، وهذا مايزال صحيحا مع أن رجالاتها لم يكونوا ثوارا اجتماعيين ولم تجد اتباعها بين الجماهير المتمردة من

فقراء المدن ، فلقد كانوا في الحقيقة عرفانيين (غنطو سيين) ركزوا جهودهم على خلاصهم الفردي ، ولكن درجة العرفان التي بلغــوها كانت فوضوية صوفية ظاهريا ، مجرد تاكيد لحرية طـائشة مفـرطة حتى أنها تعــادل الانكار الكلي لكل نوع مــن الكبــح أو التحــديد ، ويمـــكن اعتبـــار هؤلاء الناس أســـــلافا بعيدين لبـــــاكونين Bakunin ونيتشـــــــة Nietzsehe ، و بــالاحرى لأهــل الفــكر البوهيميين الذين كانوا خلال نصف القرن الاخير يعيشون في افكار سلف أن عبر عنهــا بــاكونيـن (ص ١٤٩) ونيتشــه في لحــظات ضلالهما ، ولكن الفرديين المتطرفين من هــذا النوع كان يمــكن ان يتحولوا بسهولة الى ثائرين اجتماعيين ــ وفعــالين في ذلك ــ فــاذا قامت حالة ثورية محتملة ، فان انسان نيتشة الخارق للطبيعة مهمــا كانت صورته بدائية فوضوية قد استحوذت بــالتاكيد على خيال كثير من « البوهيميين المسلحين » الذين صنعوا الثورة الاشتراكية ــ الوطنية ، وكان كثير من انصــار الامس القــريب للثــورة العــالمية مدينون لباكونين اكثر من ماركس ، وفي العصور الوسطى المتــاخرة كان اتباع الروح الحرة هم الذين حفظوا كجزء من عقيدتهــم حــول الانعتاق الكلي ، المذهــب الاجتمــاعي الثــوري الشــامل الوحيد في الوجود ، ومن اوساطهم خرج النظريون ليلهمــوا اعظــم التجــارب طموحا في الثورة الاجتماعية الشاملة ، التي شهدتها أوروبا العصور الوسطى على الاطلاق .

وقد اعتبرت هرطقة الروح الحرة زمنا طويلا واحدة من الظواهر الاكثر غموضا وتعقيدا في تاريخ العصور الوســطى وقــد نوقشــت طبيعتها كثيرا من قبل المؤرخين ، وكثيرا ما اقتــرح أن مثــل هــذه الحركات لم توجد على الاطلاق خــارج اللاهــوت الجــدلي للكهنة ، الذين كان همهم الوحيد تشويه سمعة وتكذيب كل مغامرة للمعارضة او الانشقاق ، ولكن هذه الشكوك يمكن أن توجد فقط لانه لم تتم آية محاولة للاستفادة من المصادر المتاحة ، وليست المصادر المعادية ــ تقاريرالاستجواب ، والانذارات والادانات التي نطق بها البــابوات

والاساقفة ، والرسائل الجدلية لعلماء اللاهوت ، ومـا كشـف عنه الاتباع المتحررون من الوهم ــ في الحقية هي المصادر(كمـا كان يعتقد كثيرا) الوحيدة الموجودة ، وكما لاحظ الكهنة تكرارا برعب ، إن اتباع الروح الحرة قد أفرزوا أدبا مذهبيا وافرا خاصابهم ، ومع ان هذه الاعمال قد تم الاستيلاء عليها وتدميرها من قبل المحققين ، هنالك مواد ثلاثة متوفرة للدراسة ، وكانت اثنتان منهـم متـوفرتين لسنوات عديدة : رسالة تـدعى سـبـكويستر كاتـــري (الاخـــت كاترين) ، كتبت في القرن الرابع عشر بـاللهجة الالمانية للطبقـة الالمانية العالية والمتوسطة ، وحفظت بنسبتها ــ بشـكل خـاطيء تماما ــ الى الصـوفي الدومينيكاني مـايستر ايكهـارت وقـائمة عن « موضوعات العقيدة » باللاتينية اكتشـفت في صـومعة ناسـك قرب الراين في القرن الخامس عشر ، وهي بالتاكيد اقـدم مـن ذلك بكثير والموضوع الثالث هو نص صوفي طويل يدعى (مـرآة الارواح البسيطة) نسب من قبل الى صوفي اصولي غامض ، وتم الان تحديد هوية هذا النص الان من قبل الاستاذة رومانا غوارمنديري على أنه من اعمال خبيرة مشهورة بالروح الحرة ، هي مرغريت بوريت ، وقد احرقت مرغريت كمهرطقة في ١٣٠٠ وقد تحول كتابها ليصبح وثيقة رئيسة في تاريخ الروح الحرة واضطهادها .

وربما هناك نصوص اخرى مثلها ماتزال في انتظار الكشف . وفي الوقت نفسه إن ما هو متوفر بالفعل يمضي بعيدا ليظهر ان الروايات التي اعطاها الكاثوليك عن هرطقة الروح الحرة كانت (ص ١٥٠) صحيحة فعلا ، ويمكن أن تردف بادلة اخرى ، من فقرة تالية ، ففي خلال الحرب الاهلية الانكليزية وبعدها وجهت اتهامات ضد اعضـاء طائفة معينة معروفين عند خصومهم باسم الصخابين ، كانت تكرارا للاتهامات التي وجهت في قرون سالفة الى خبـراء الروح الحـرة ، ومثل كتابات مهرطقي القرون الوسطى ، فان كتـابات الصـخابين حكم عليها بالاحراق ، ولكن نسخا قليلة نجـت ، ويمكن مقارنة هذه الاعمال بالاتهامات وحتى تاريخ اعادة طبع عينات منهـا في الطبعـة الاولى عن الدراسة الراهنة كانت هذه المادة قد اهملت عمليا من قبل

مــؤرخي الروح الحــرة ، وذلك على الرغم مــن علاقتهــا الكبيرة ، والعينات المعطاة في ملحق هذا الكتاب تغطي كامل مجال ديانة الروح الحرة من اكثر جوانبها روحانية الى اكثرها جفافا ، وهــي تثبـت بشكل حاسم انه في القرن السابع عشر كانت توجد بــالفعل حــركة قريبة الشبه بتلك التي ظهرت في مصادر القرون الوسطى بصورة أقل اكتمالا ، وفي اطارها العام .

ويمكن تاريخيا اعتبار هرطقة الروح الحرة صورة محــرفة مــن الصوفية التي ازدهرت بقوة في النصرانية الغربية من القرن الحادي عشر وما بعده ، وقد انبثقت الهرطقة الصوفية والارثــوذكسية على السواء من الحاجة الماسة الى الفهم المباشر والصلة الحميمــة مــع الرب ، وكلاهما على السواء اكد القيمة الحــدسية وبشــكل خــاص لانجارب الوجدانية ، وكلاهما على الســواء قــد اثير الى حــد كبير باعادة اكتشاف الفلسفة الافلاطونية المحدثة التي اخذوا منها القسم الاكبر من جهازهم المفاهيمي ، وهنا مع ذلك ينتهي التشابه ، ولقــد عاش الصوفيون الكاثوليك تجاربهم ضــمن تقــاليد وثقــت وخلدت بكنيسة مؤسساتية كبيرة،وعندما ــ كما حدث كثيرا ــ انتقدوا هــذه الكنيسة كان هدفهم تجديدها ، وكان اتباع الروح الحرة من جــانب آخرغير موضوعيين بشدة ، ولايعترفون بسلطة على الاطلاق ســوى خبرتهم الخاصة ، وفي نظرهم كانت الكنيسة في احسن الاحوال عقبة للخلاص ، وفي اسوأ الاحوال عدوا طاغيا ــ وعلى اي حال مؤسسة بالية يجب استبدالها الان بطائفتهم ، التي نظر اليهــا كوعاء للروح الحرة .

وكمن قلب هرطقة الروح الحرة في موقف كل واحد مــن الاتبــاع تجاه نفسه ، وقد اعتقد كل منهم انه بلغ درجــة مــن الكمــال المطلق لدرجة انه لم يعد قادرا على اقتراف الاثم ، ومع ان النتــائج العملية لهذا الاعتقاد يمكن ان تختلف ، فان احــدى النتــائج الممــكنة كانت « الانتينوميانيزم »

أو انكار المعايير الاخلاقية ، وكان الرجل الكامل يمكنه دائمــا ان

يصل الى محصله انه كان مسموحا له ، حتى وإن لم يكن الزاميا بالنسبة له ، ان يفعل كل ما كان عادة يعتبر ممنوعا ، وفي المدنية المسيحية التي كانت تعطي قيمة معينة للعفة ، وتعتبر الاتصال الجنسي خارج اطار الزواج عملا (ص ١٥١) اثما بشكل خاص ، ومثل هذا الانكار للمعايير كان عادة ياخذ على الاكثر صورة الاتصال غير الشرعي من حيث المبدا ، وكانت الاتهامات بهذا الاتصال غير الشرعي بالطبع كثيرا ما تصدر من طائفة دينية ضد اخرى ، ولقد كانت تقنية دينية اصيلة للهجوم في الكنيسة القديمة ، كما كانت في كنيسة العصور الوسطى ، ولكن عندما وجهت ضد اتباع الروح الحرة اتخذت هذه الاتهامات مظهر مختلفا ، وما ظهر عندئذ هو صورة مقنعة تماما من الشبق كانت بعيدة عن الانطلاق من العشق والانغماس في الشهوات بلا هموم تملك فوق كل شيء ، قيمة رمزية كعلاقة على الانعتاق الروحي ، وهي بالمصادفة القيمة التي كثيرا ماتملكها « الحب الحر » في ازماننا .

وفي منطقة امتداد النصرانية الغربية ، من غير الممكن تمييز هرطقة الروح الحرة بأي تأكيد قبل بداية القرن الثالث عشر ، ومن جانب اخر فان الديانات المشابهة قد ازدهرت قبل ذلك الوقت في كل من منطقة امتداد النصرانية الشرقية واسبانيا المسلمة ، وتقريبا منذ بداياتها ، كان على الكنيسة الارمنية ان تتغلب على الطائفة الصوفية المعروفة باسم اليوخيت او الميساليين التي ازدهرت في المنطقة حول الرها في وقت مبكر يعود الى القرن الرابع ، وكان اليوخيت « رجالا مقدسين » عائمين يعيشون من التسول ، وقد طوروا شعورا ذاتيا بالقدرة والاهمية يعادل تأليه الذات ، وذكرانا للقيم كثيرا ما عبر عن نفسه في الشبق الفوضوي .

ونحو نهاية القرن الثاني عشر شهدت مدن اسبانية مختلفة وبشكل خاص اشبيلية نشاطات اخوة صوفية اسلامية ، وكان هؤلاء الناس يعرفون بالصوفية وكانوا « متسولين مقدسين » يهيمون في مجموعات من الشوارع والساحات في اسمال مرقعة متعددة الالوان

وكان المبتدئون بينهم يدربون على اذلال النفس وانكارها : وعليهم ان يلبسوا الاسمال ، وان يبقوا عيونهم مثبتة علي الارض ، وان ياكلوا المواد الغذائية المقززة للنفس ، وان يدينوا بالطاعة العمياء لرئيس الجماعة ، ولكن ما ان ينتقلوا من حداثتهم كان هؤلاء الصوفيون يدخلون عالما من الحرية التامة ، ينكرون حفظ ـ الكتب والدقة الدينية ، لقد كانوا يتمتعون بالمعرفة المباشرة للرب ـ وفي الواقع انهم شعروا بانهم متحدين مع الجوهر الالهي في اتحاد حميم للغاية ، وهذا بدوره حررهم من كل القيود ، وكل نبضة كانت امرا الهيا ، والان يمكنهم ان يحيطوا انفسهم بممتلكات دنيوية ، ويمكنهم ان يعيشوا في ترف ـ والان ايضا يمكنهم ان يكذبوا وان يسرقوا او يزنوا دون وخز ضمير ، فطالما اندمجت الروح من الداخل بالرب ، فان الاعمال الظاهرية لم يكن لها اعتبار .

ومن المحتمل أن الصوفية و قد تطورت من القرن التاسع ومابعده ، كانت هي نفسها مدينة بالكثير لبعض الطوائف الصوفية المسيحية في الشرق ، وبدورها يبدو (ص ١٥٢) أنها قد ساعدت على نمو صوفية الروح الحرة في أوروبا المسيحية ، وبالتأكيد إن كل سمة من السمات التي تميزت بها صوفية القرن الثاني عشر في إسبانيا ـ حتى في كثير من التفاصيل مثل الملابس المرقعة متعددة الألوان ـ ستتم ملاحظتها كأنماط لما تبناه أتباع الروح الحرة بعد قرن أو إثنين من الزمان .

وعلى أي حال في نحو ١٢٠٠ بدات ديانة الروح الحرة في الظهور بمثابة هرطقة متميزة تماما في المسيحية الغربية .

العموريون

في وقت مبكر في القرن الثالث عشر كان مذهب الروح الحرة قد توسع إلى نظام ديني وفلسفي شامل ، وكان هذا عمل مجموعة بالغة الاهمية ، تضم رجالا دربوا في أعظم مدرسة للديانة الأرثوذكسية في

النصرانية الغربية ، أي جامعة باريس ، وقد أعطيت الرواية الكاملة من قبل المؤرخ الالماني ، راعي دير هيسترباخ الذي كتب يقول : « في مدينة باريس ينبوع كل المعرفة وبئر الكتابات الالهية ، طبع الشيطان بالتحريض في الذهن فهما خاطئا لدى كثير من العلماء والمثقفين » ولقد كانت عدتهم أربعة عشر شخصا كلهم من الكهنة ، وقسس الأبرشيات والقصور والشمامسة والقندلفتية من باريس وضواحيها ومن مدن مثل بواتيه ، ولوريس قرب أورليانس وترويس» رجال ذوي معرفة كبيرة وإدراك » ، هكذا بكاهم المؤرخ نفسه ، وبالجملة يبدو الوصف مسوغا : إن تسعة من الأربعة عشر درسوا اللاهوت في باريس ، ويقال إن إثنين كانا في العقد السابع من العمر ، وكان قائدهم رجل اسمه وليم ، وهو أيضا كاهن مختص باللاهوت وكان يعرف بالاور يفكس مما ادى إلى اعتباره صائغا ولكن ربما كان هذا يعني أنه كان كيميائيا فلسفيا ، ذلك انه غالبا مارمز بالذهب إلى القوى السحرية الكامنة في النفس التي طمح مثل هذا الكيماوي إلى إيقاظها .

وجزئيا بسبب حماقة وليم ، أو التجسس المنظم بواسطة اسقف باريس ، اكتشف المهرطقون وطردوا . وباستجوابهم في مجمع عقد برئاسة رئيس أساقفة سنز، ارتد ثلاثة وحكم عليهم بالسجن مدى الحياة ، ولكن البقية صرحوا علنا بمعتقداتهم الهرطقية واحرقوا طبقا لذلك ، وحتى في لحظة الموت لم يظهروا أي علامة على الندم .

ويمكن لتعليق المؤرخ أن يستحضر في الذهن جو تلك اللحظة : « وهم يقادون للعقاب قامت عاصفة غاضبة حتى لم يشك احد في أن الهواء قد أثير من قبل الكائنات التي اغوت أولئك الرجال ، الذين أصبحوا الآن على وشك الموت ، بسبب ذنبهم العظيم ، وفي تلك الليلة طرق الرجل الذي كان رئيسا لهم باب إمرأة معتزلة . واعترف بذنبه في (ص ١٥٣) وقت متأخر جدا وأعلن أنه كان الآن ضيفا هاما في الجحيم ومحكوم عليه بالنار الأبدية » وكان المعلم الفلسفي لهؤلاء المتعصبين عموري أوف بين محاضرا لامعا في المنطق واللاهوت في

جامعة باريس ، وقد تمتع هذا الرجل في وقت واحد بهيبة عظيمة وبرعاية البلاط الملكي ، وكان بين أصدقائه عدد من الشخصيات البارزة بينهم زوجة الابن البكر للملك وكانوا متأثرين بأفكاره ، ولكن في النهاية وقد شجب أخيرا لتعليمه مذهبا خاطئا ، أدين من قبل البابا وأجبر على الارتداد العلني ، وقد حطمت هذه التجربة روح عموري ، فلزم فراشه وبعد فترة قصيرة ـ في ١٢٠٦ أو ١٢٠٧ ـ توفي ، وعندما اكتشفت هذه الطائفة المهرطقة بعد ذلك بعامين أو ثلاثة أعلن الاكليروس على الفور مسؤولية عموري وأطلقوا على المهرطقين اسم « المريكان أو العموريين » . وقبل إعدامهم بالفعل عممت رسالة مضادة للعموريين ، وبعد بضع سنوات ، في ١٢١٥ كان الكاردينال روبرت أوف لورسون القاصد الرسولي ، الذي كان مخولا بصياغة القوانين للجامعة دقيقا في منع كل دراسة « لملخص مذهب عموري المهرطق » . وفي مجمع اللاتيران للسنة نفسها أصدر انوسنت الثالث حكمه في مرسوم قال فيه : «إننا نشجب وندين العقيدة المنحرفة لعموري العاق ، الذي كان قد أعمى عقله أبو الكذب حتى أن مذهبه لايعتبر هرطقة بقدر ماهو جنون » وفي الوقت نفسه الذي أحرق فيه أفراد الطائفة نبشت عظام عموري ونقلت إلى أرض غير مقدسة .

وكل ماهو معروف بشكل مؤكد عن مذهب عموري انه كان من الصوفية المؤمنين بوحدة الوجود ، التي تدين بالكثير لتقاليد الأفلاطونية المحدثة وبشكل خاص للشرح الأفضل للافلاطونية المحدثة الذي تم في أوروبا الغربية بعنوان « أقسام الطبيعة » لجوهان سكوتس إريجينا . وهذا الكتاب الذي كان عمره ثلاثة قرون ونصف القرن لم تسلف إدانته بالهرطقة من قبل ، ولكن الفائدة التي استمدها عموري منه أدت إلى إدانته من قبل مجمع سنز في ١٢٢٥ ، وحامت الشكوك أيضا حول الملخصات العربية والحواشي على أرسطو التي كانت قد بدأت لتوها تظهر مترجمة إلى اللاتينية في باريس،وأدان المجمع الذي أدان العموريين أيضا هذه الأعمال وأبدى كورسون تحفظات ضد دراستها في قوانين الجامعة

في ١٢١٥ ، وإنها حقيقة غريبة أنه لدى أول ظهور للعملاق الفكري في أوروبا الذي كان عليه أن يضع إطار الفلسفة الأصولية للعصور الوسطى قد حظر للشك في إلهامه لعموري أوف بين ، ولكن هناك القليل في أي من هذه التأملات الميتافيزيقية الغيبية مما يفسر المذهب المتفجر الذي اكتشف في ١٢٠٩ .

وسيكون دائما موضع شك مدى مسؤولية عموري الحقيقية عن مذهب العموريين . (ص ١٥٤) لقد كان عموري فيلسوفا محترفا ، وكانت للعموريين اهتمامات مختلفة تماما في كل تعليمهم الجامعي ، فلقد كانوا متنبئين غير مهتمين بالأفكار المجردة بل بالاشتغال بالانفعالات المضطربة في دنيا العامة ، وكان حقيقيا بالنسبة لهم كما بالنسبة للمتنبئين الآخرين أنهم فرضوا أنفسهم كرجال مقدسين موهوبين بالقوى المعجزة ، وعلق واحد من خصومهم عليهم بقوله : « خارجيا في الوجه والقول ، تبدو عليهم سيماء» ، وكان لهذا السبب بالتأكيد أن تعاليمهم كانت مقبولة بلهفة ، وعلاوة على ذلك كانوا مثل معظم الوعاظ « الرسوليين» قد عملوا في المراكز التجارية الكبيرة ، وكان معقلهم الرئيس على مايبدو ترويس في شامبين وكانت في حينه المدينة الأكثر أهمية على الطريق من فلاندرز إلى ليون ، وفي ترويس اعتقل فارس بدا أنه كان من أتباع العموريين وأحرق في ١٢٢٠ ، وترددت في ليون أصداء الهرطقة في وقت متأخر يعود إلى ١٢٢٥ . ووجد الجاسوس الذي تغلغل في الطائفة نفسه هائما مع عدد من المبشرين في أنحاء مقاطعة شامبين ، وكانت شامبين مثلها مثل فلاندرز أرضا فرض فيها سلسلة من الحكام الأقوياء السلام وبذلك تمكن السكان من النمو ومن تطوير التجارة والصناعة ، ووجدت هناك صناعة أقمشة مزدهرة ، كما وإن هناك ملتقى للطرق التجارية من البحر المتوسط إلى ألمانيا ومن فلاندرز إلى وسط وشرق أوروبا ، ومع القرن الثالث عشر كانت المعارض الكبيرة في شامبين قد أصبحت مراكز كبرى للتجارة ، وفي تلك المنطقة المتمدينة الكثيفة السكان كان المبشرون ينتقلون من اجتماع سري إلى آخر ، حيث كانوا يغيبون في حاله من

الوجد ويرون الرؤى ، وكانوا يعظون بنصوص من الكتب المقدسة ويفسرونها تفسيرا هرطقيا ، وهكذا كما اخبرنا كانوا يغوون أعدادا غفيرة من الناس الابرياء . بل حتى لقد انتجت الطائفة أدبا خاصا بها يصلح لاستعمال العامة ، وقد ادان مجمع باريس ، إلى جانب التأويلات الباطنية الأرسطوطالية كثيرا من الأعمال الدينية الشعبية الصرفة التي كانت كلها باللغة العامية .

وقد حافظ العموريون على مبدأ معلمهم في وحدة الوجود ولكنهم أعطوه محتوى عاطفيا قويا ووجد المجمع انهم كانوا يتحدثون بلغة ان الله والطبيعة شيء واحد وأن الكون المادي والانسان ليسا إلا مظاهر للذات الالهية ، وصرحوا في إحدى المناسبات بعيقدة أنهم يرون « الأشياء واحد لأن كل ماهو كائن هو الله » ولكن ما هو اكثر إثارة للدهشة هو النتيجة التي استخرجها احد الثلاثة من زعماء الفتنة من هذا الافتراض : « لقد تجرأ على التأكيد على انه إلى الحد الذي كان فيه لايمكن أن تلتهمه النار ولا أن يعذب ، لأنه عند الحد الذي كان فيه ، كان هو الرب » . ويمكن للمرء ان يلمس الأفلاطونية المحدثة

ولكن مثل هذه القوة بالتأكيد ، في رجل يحاكم طلبا لحياته ، لاتستمد من مجرد تأمل في وحدة الوجود • ومصدرها في الواقع كامن في مكان آخر ، لقد كمن في صوفية الروح الحرة ، وعندما ادعى العموريون أن كل واحد منهم كان مسيحا وروحا مقدسة ، عنوا كل ما عناه تانشيلم وكانوا قانعين أن ما تعتبره الديانة المسيحية معجزة فريدة للتجسد قد تكررت الآن في كل واحد منهم •

و كانوا في الواقع يعتقدون أن التجسيد كما حدث في المسيح قد تم تجاوزه ، لأن هؤلاء المتنبئين ـ الفرنسيين ـ قد توصلوا إلى تفسير للتاريخ ذي شبه مدهش بتفسير يواكيم أوف فيور ، و مع ذلك فقد استمدوا نتائج مختلفة جدا منه حيث أنهم في ذلك التاريخ ، المبكر كانوا بالكاد قد عرفوا الكثير حول المذهب الدفين في مخطوطات دير الكالابري،و مثلهم مثل يواكيم راى العموريون التاريخ مقسما

الى ثلاثة عصور ، تتوافق مع الشخصيات الثلاثة للثالوث المقدس ، و لكن خلافا له ، اعتقـدوا أن كل عصر له تجسـيده الموائم ، و منذ بداية العالم حتى مولد المسيح تصرف الاب وحده ، و قـد تجسـد في ابراهيم ، و ربما في الأنبياء الآخرين للعهد القديم أيضـا ، والعصر منذ ميلاد المسيح كان عصر الابن ،ولكن الآن كان بـدء عصر الروح القدس ، الذي سوف يستمر حتى نهاية العالم ، وقدر لهـذا العصر ان يتميز بآخر وأكبر التجسيدات ، لقد كان دور الروح كي يستخدم الجسد وكان العموريون أول الرجال الذين فعل بهـم ذلك ، او أول «الروحانيين» ، كما دعوا أنفسهم.

و لم يتوقع العموريون أن يبقوا الأربـاب الأحياء الوحيدين على وجه الأرض ، بل بالأحرى أنهم سـيقودون الجنس البشري كله الى الكمال ، و من خلالهم ستكلم الروح القدس العالم ، ولكن كنتيجـة لنطقها سيصبح التجسد أكثر عمومية ، حتى يصبح شاملا في وقـت قريب ، وتحت ارشاد «الروحـانيين » كانت الدنيا تـدخل عصرهـا السامي ، وفيه يصبح كل رجل ويعرف في نفسه انه اله وقد تنبـأ انه «خلال خمس سنوات» ، سيكون كل الرجال روحانيين حتـى ان كلا منهم سيكون قادرا على أن يقول :« انا الروح القدس» ، وقبـل ان «يكون ابراهيم انا» ، تماما كما استطاع المسيح أن يقـول«انا ابـن الله» و «قبل ابراهيم انا» و مع ذلك ان هذا لم يعـن انه في الايمـان العموري بالأخرويات لم تعد المملكة محفوظة لصفوة القـديسين ، و كانت افكار أولئك المفكرين الغامضين منصـبة في تعـاليم التخيلات المسائحية التي كانت شائعة بين الجماهير ، و قد تنبأ وليم الصايغ أنه خلال هذه السنوات الانتقالية الخمسـة نفسـها سـيمر العـالم بسلسلة من الكوارث – «المحن المسائحية» – التي سـيهلك فيهـا غالبية الجنس البشري ، حيث يقتل بعضهم في الحروب والمجاعات ، ويبتلع آخرون في هاوية الأرض ، وتلتهم بعضـهم النار النازلة مـن الأعلى ، مما يوضح بدرجة كافية«ان بقية صالحة » كان يتـوقع أن تنجـو لتتـذوق مبـاهج الالوهية ، علاوة على ذلك لم يعـد عصر (ص ١٥٦) الروح لدى العموريين كما كان بين اليواكيميين الالمان

يطرد التخيلات الأقدم المتركزة في الأمبراطور الأخير ليحل محلهـا ،
إن سنوات الاضطراب الخمسة قدر لها أن تبلغ أوجها في هزيمة المسيح الدجال وجنوده ، الذين لم يكونوا سـوى البـابا و كنيسـة روما ، وبعد ذلك ستكون كل الممالك تحت هيمنة ملك فرنسا ، و كان في البداية الملك الحاكم فيليب أوغسطس ، و لكن فيما بعـد صـديق عموري وراعيه ابن الملك البكر ، الذي لن يموت أبدا ، بـل سـيحكم العالم إلى الأبد في عصر الروح . و» سيعطى ملك الفـرنسيين اثني عشر رغيفا ، بمعنى (يمكن للمـرء أن يفتـرض) أن لويس الثـامن سيكون مسيحـا ثانيا ، و سيكون مثله مثل تانشيلم تماما ، واستاذ هنغاريا ، سيتراس مجلسا سريا أو مجمعا مقدسا مـن اثني عشر صيغ على نمط الحواريين الأثني عشر.

و كان يعتقـد أن العمـوريين - و ربمـا كان ذلك صـحيحا - صوفية متناقضين. ورأى راعي دير القـديس فيكتـور
قرب باريس - الدير الذي كان في ذلك الوقت يتـزعم كل النصرانية الغربية في النظرية و التطبيق الصوفي - ضرورة لتحذير رهبانه مـن تلك النتـائج الخـطيرة لتلك الصـوفية المنحـرفة « لئلا تتلوث تلك المدينة ، منبع المعرفة بهذا الوباء » . وصاح «هناك بـدع تجـديفية دنسة » يأتي بها اناس هم من حواريي أبيقور بدلا مـن المسـيح ، وبالخداع الخطر يكدون سرا ليقنعوا الناس ان المذنبين لن يعـاقبوا قائلين ان الخطيئة لاشيء، حتى أن اي إنسان لن يعاقب عليها مـن قبل الرب ، واذا كانوا ظاهريا في الوجه والكلام يبدون ورعين فـان جـدارة هـذا الورع تنكر داخليا ، في عقـولهم وفي خـطـطهم السرية ، ولكن الجنون الفائق والزيف البالغ الوقاحة هـو ان هؤلاء الرجال لايخشون ولايخجلون من القول بأنهم الرب ، اي حمق بـلا حدود ، أي جراة بغيضة أن زانيا ، عشيقا ذكرا ، يوقع الكآبـة في النفس بالعار وسوء السمعة ، وعاء للخطيئة ، يدعى ربـا » وهنا كما حدث كثيرا افراط في تقدير الذات يعبر عن نفسـه فـوق كل شي بالفسق الشامل : « لقد ارتكبوا الاغتصاب والزنا والاعمال الأخرى التـي تمنح السرور للجسـد ، ووعدوا النسـاء اللواتي أثمن

معهن ، والبسطاء الذين خدعوهم بأن الخطيئة لن تعاقب » ، لقد كان هذا اعتراضا سيلفظ مرات ومرات وبسبب جيد ، خلال القرون التالية .

علم اجتماع الروح الحرة

إنه صحيح بالنسبة لكل حركات الهرطقة الكبيرة من أواخر العصور الوسطى انه يمكن فهمها فقط في اطار ديانة الفقر الطوعي ، عندما ظهرت من القرن الثاني عشر ومابعده (ص ١٥٧) ثروة لم يسمع عنها من قبل في غرب أوروبا ، واستمتع معظم الذين استطاعوا ، بالفرص الجديدة للترف والتباهي ، ولكن كان هناك دائما بعضا من راوا في المباهج الجديدة إغراءات كثيرة للشيطان وشعروا بأنهم مدفوعون لشجب كل الصفات الملكية ، والسلطة والمزايا والنزول الى الجماهير التي خربها الفقر ، وطالما أن التضاد بين الغنى والفقر كان مذهلا الى حد بعيد في المدن أكثر منه في الضياع ، فقد كان في المدن ان احرز العوز اهميته الخاصة

وكان التلهف على التخلي الطوعي غير محصور في اي طبقة واحدة ، فقد كان يمكن الشعور به أحيانا في طبقة التجار ، التي كانت بين كل الطبقات تستأثر بأكبر المنافع المادية في الظروف الجديدة و جاء اكثر المتحولين شهرة الى الفقر الطوعي · بطرس فالدو مؤسس طائفة الهرطقة المعروفة باسم الفالدونيين والقديس فرانسيس كلاهما من تلك الطبقة ، وكانت ادنى طبقات الكهنوت المدني التي كانت تلقى المدد والتعزيز من الطبقة الأدنى من المجتمع كانت ايضا قلقة مشوشة ، وكان كثير من الكهنة يحتجون على الأبهة والدينونة التي يغرق فيها الأساقفة والمطارنة الكبار ويهجرون ابرشياتهم لاتباع حياة فقر كلي ، وشعر العديد من رجال الدين والكتاب في الرهبانيات الدنيا – والمفكرين وهم كثيرا ماكانوا من ذوي التعليم الكبير – بدافع مماثل ، وليس هناك من

شك انه طالما ان الفلاحين والحرفيين يمكنهم الانضمام الى حملة صليبية او موكب لطامين ، وبذلك يستطيعون احيانا استبدال فقرهم الطبيعي ، الذي كان لامفر منه بعوز ارادي اكثر تطرفا ، وعليه كانوا يشعرون بانهم اهل للمكافاة ، وفي الأوصاف المعاصرة للفقراء الطوعيين هناك اشارات كثيرة للنساجين ، واذا كان كثير من هؤلاء في القرن الثاني عشر من الزاهدين الذين في طلبهم للفقر أصبحوا عمالا في الصناعة الوحيدة التي كانت متطورة بدرجة كافية لاستخدام العمالة المؤقتة فانه من القرن الثالث عشر ومابعده انضم اليهم بالتأكيد حرفيون حقيقيون .

وقد شكل الفقراء الطوعيون طليعة اجتماعية وسياسية قلقة غير ثابتة ، وكان اعضاؤها يتنقلون باستمرار على طرق التجارة من مدينة لأخرى ويعملون على الأغلب في الخفاء ويجدون من يستمع اليهم ، واتباعا بين كل العناصر القلقة المشوشة في مجتمعات المدن ، وقد راوا في انفسهم فقط الأشباه الحقيقين للرسل ، وفي الحقيقة للمسيح ، وسموا طريقتهم في الحياة « بالرسولية » وصعودا الى منتصف القرن الثاني عشر كان لهذا السبب اكثر منه بسبب اي مذاهب دينية غريبة انهم كانوا احيانا يدانون بالهرطقة ، ولكن منذ النصف الثاني للقرن الثاني عشر ومابعده اظهرت تلك الحشود من الطوافين « المتسولين المقدسين » من كلا الجنسين استعدادها لتمثل اي ، لابل ، كل مذهب للهرطقة كان موجودا ، واذا كان الكثيرون قد اصبحوا كاثاريين او فالدونيين (ص١٥٨) او يواكميين كان هناك ايضا من اصبح من اتباع وناشري هرطقة الروح الحرة ، وحدث بالفعل حوالي ١٢٣٠ في مقاطعة تانشيلم القديمة - انتويرب - ان كان هناك شخص اسمه وليم كورنيس يبين مدى سهولة الجمع بين السمات الخارقة للطبيعة التي كانت سمة مميزة جدا لتلك الهرطقة وديانة الفقر ، اراديا او ليس اراديا تماما ، وبالنسبة لهذا الرجل الذي تخلى هو نفسه عن مرتبة كنسية ذات دخل من اجل اتباع الحياة « الرسولية » اعلن انه في الوقت الذي كان فيه الرهبان

ملعونين تماما لعدم التزامهم بالفقر التام ، كان الفقـر الذي يتبـع بشكل كامل يمحو كل الخطايا ، وتبع ذلك انه الفقير كان يمكنه مثلا ان يزني دون ان يكون أثما ، وبالفعل يقال ان كورنيلس نفســه كان « مستسلما تماما للشـبق » وبعـد عشرين ســنة واكثـــر كانت السلطات الاكليروسية مازالت تحاول استئصال مثل هذه الأفكار من بين ســكان انتـويرب ، وفي حينه كان الناس يتمســكون بــأن كل الأغنياء فاسدون بسبب البخــل ، وكانوا ملعــونين بشــكل مــؤكد حتى أن امتلاك غيار مــن الملبس كان يشــكل عقبــة في طــــريق الخلاف ، وان يدعو رجــلا غنيا للعشــاء كان ذنبــا عظيمــا ، لأن الصواب ان تأخذ من الغني من أجل ان تعطي الفقير ، ولكن الفقراء من جانب اخر كانوا بالضرورة في حالة من النعمة لايمكن للانغماس الجسدي بأي طريقة ان يفسدها .

وفي وقت مبكر من القرن الثالث عشر ظهــرت مــراتب الرهبــان المتســولين الكبيرة ، ، الفــرنســسكان ، والدومنيكان وبــــدات بمساعدة من الكنيسة تفعل الكثير مما كان المهراطقين الرســوليون يفعلونه لمعارضة الكنيسة ، وقــد انضــمت نخبــة الى تلك المراتــب كوعاظ متجوليين وكانوا يطبقون الفقر وكل نوع من انواع انكار الذات ، وكسبوا إخلاص جماهير المدنيين وفي الوقت نفسه انضمت اعداد كبيرة من أهــل المدن الى الفــرنســسكان ومــرتبة الدومنيكان الثالثة ، وبينما كانوا يعيشون في المجتمع كعامة الناس فانهم كانوا ينافسون الأخوة الرهبان النظاميين في زهدهم ، وبــاقرار مــراتب الرهبان المتسولين كانت الكنيسة لفترة من الزمن قادرة على التحكم والاستفادة من الطاقات الانفعالية الي كانت تهــدد امنهــا ، ولكن بالفعل بحلول منتصف القرن اصبحت هذه الطــريقة مــن التصريف اقل فعالية حيث فقدت المراتب كثيرا من حماسها الأولى ، واصــبح زهدها اقل صلابة ، وضاعت هيبتها بالتالي ،ووجــدت الكنيســة نفسها مرة أخرى في مواجهة مجمــوعات مســتقلة مــن الفقـــراء الاختياريين ، وانفصــلت المجمــوعات ذات الزهــد المفـــرط على اختــلافها في أوروبـــا عن الجســـم الرئيسي للفـــرنســكان

والفراتيسللي ، ومن جانب أخر شهد شمال أوروبا احياءا كبيرا للروح الحرة (ص١٥٩)

وبدات هرطقة الروح الحرة بعدكبح دام نحو نصف قرن ، تنتشر بسرعة مرة اخرى نحو نهاية القرن الثالث عشر ، ومن حينه ومابعد حتى انتهاء العصور الوسطى انتشرت بوساطة الرجال الذين كانوا عادة يعرفون بالبيغرد الذين كونوا نظائر غير رسمية من العامة لمراتب الرهبان المتسولين ، ولقد كانوا هم ايضا من الرهبان المتسولين ـ يحتمل في الواقع انه من اسمهم تم اشتقاق الكلمتان الانكليزيتان : beg يشحذ و begger شحاذ ـ وكانوا يترددون على المدن ويطوفون في الشوارع في مجموعات صاخبة يصرخون طلبا للصدقات ويصيحون صيحتهم المتوسلة المميزة : الخبز من اجل الله » ! وكانوا يلبسون حللا تشبه بالأحرى حلل الأخوة الرهبان مع انها مصممة خصيصا لتختلف عن تلك في بعض التفاصيل ، وكان الثوب احمر احيانا واحيانا مشقوقا من الخاصرة الى الأسفل ، ولتأكيد مهنة الفقر كانت قلنسوة الراس صغيرة ومغطاة بالرقع ، وكان البيغرد مجموعات رهبانية أخوية صعبة التحديد وغير مستقرة تجول في العالم ، كما قيل لنا ، مثل الرهبان المشردين وعند أقل اضطراب او ازعاج يفرون ، منقسمين الى جماعات صغيرة ، تهاجر من جبل لجبل مثل بعض العصافير الغريبة ، وكان هؤلاء « الشحاذون القديسون » الذين عينوا انفسهم مليئين بالازدراء للرهبان والأخوة الذين يعيشون حياة سهلة رخية ، ومغرمين بمقاطعة الخدمات الكنسية ، ولاصبر لهم على التنظيمات الاكليروسية ، وكانوا يعظون كثيرا دون تخويل ، لكن بنجاح شعبي كبير ، ولم يلتزموا بأي مذهب هرطقي معين في العادة ، ولكن مع بداية القرن الرابع عشر ادركت السلطات الأكليروسية ان بينهم عدد من المبشرين بالروح الحرة .

وبشكل سطحي بدا المهرقطون من البيغرد او (كما اصبحوا

يسمون في القرن الرابع عشر) أخوة الروح الحرة انهم ليسوا أقل زهدا من المهرطقين « الرسوليين » للأجيال القديمة ، واستوطن بعضهم قرب المدن وعاشوا كنساك ، على العطايا التي كان يجلبها لهم المعجبون ، وفي حالة واحدة على الأقل في كولون شغلت طائفة من البيغرد المهرطقون « بيتا للفقر الطوعي » وعاشت على الصدقات التي امكنهم جمعها من الشوارع ، وكثيرا ماكان مثل هؤلاء الناس يتبعون الحياة الهائمة نفسها بلا ممتلكات ولابيوت مثل البيغرد الآخرين ، ولم يكن لبعضهم اي مقر ثابت بالمرة ، ولايحملون شيئا ويرفضون الدخول الى اي بيت ويصرون على البقاء في الطريق يأكلون اي طعام يقدم لهم ، و — مرة أخرى مثل بقية « الفقراء الطوعيين » ـ كانوا يشملون اناسا ينحدرون من اسلاف اجتماعية متنوعة جدا ، واذا سمعنا عن اخوة للروح الحرة ممن كانوا حرفيين ، فاننا نسمع عن أخرين ممن جاءوا من عائلات مزدهرة راسخة الأصول ـ ومن اخرى ايضا ـ كما في كل الحركات المسائحية ـ جاءت من الطبقات الأقل ثراء من أهل الفكر الذين كانوا يشكلون الطليعة السياسية والاجتماعية : رهبان سالفون وكهنة وكتاب من مراتب صغيرة ، ولكن الكل على السواء يبدو انهم كانوا مثقفين وواضحين : ومرات ومرات نجد ان الكهنة الذين كان عليهم محاربة هؤلاء الناس فزعين من الدماثة والبلاغة في تعليمهم ، ومن (ص١٦٠) المهارة التي كانوا يعالجون بها المفاهيم الدينية العويصة والمبهمة .

ومثل أي متنبيء أخر كان الواحد من أتباع الروح الحرة يدين بصعوده لسمعته في الزهد ، التي تعتبر كضمانة تقوي صنع الأعمال الخارقة ، وجزئيا لمؤهلاته الشخصية من البلاغة والوقفة والقدرة على الاحتمال ، ولكن الاتباع الذين كان يبحث عنهم كانوا مختلفين عن اتباع المتنبئين الآخرين ، انه لم يكن يروق لمن لااصل لهم والمشوشين الفقراء بل للناس الذين لديهم اسبابا أخرى أقل دفعا للشعور بالضياع والاحباط : للنساء ولاسيما غير المتزوجات والأرامل في الطبقات العليا من المجتمع المدني ، وبسبب الحروب

المستمرة الى حد ما ، والنزعات ، وجزئيا بسبب البتولة في هذا القطاع الكبير جدا من السكان الذكور الذين شكلوا الاكليروس النظامي والمدني ، كان عدد النساء دائما يفوق كثيرا اعداد الأزواج المحتملين ، وفي طبقات الفلاحين والحرفيين كانت العوانس والأرامل يمتهن الصناعة والزراعة ، وفي الأرستقراطية منها كان يمكنهن دائما ان يصبحن راهبات ، وبالنسبة للنساء المولودات في عائلات أغنياء التجار ، من جانب أخر ، لم يقدم مجتمع العصور الوسطى دورا معروفا سوى الزواج ، وليس مدهشا ان العوانس والأرامل اللواتي لاحاجة لهن للعمل وحتى بدون واجبات منزلية يؤدينها ، ولايشغلن رتبة محددة ولايتمتعن بأي تقدير اجتماعي — كثيرا ماكن يتشوقن بالقوة نفسها كسائر الجماهير من الفقراء الى مخلص ما ، الى رجل مقدس بمساعدته يمكنهن بلوغ تفوق بالكمال نفسه الذي عليه ضعفتهم ، وفي كل الأزمات شغلت نساء كهؤلاء دورا كبيرا في حركة هرطقة الروح الحرة وعن العموريين علمنا بالفعل انهن عملن كمرشدات روحيات غير مخولات « في بيوت الأرامل » ، وعندما قبض عليهن جرى ايضا احضار عدد كبير من التابعات من الأناث الذين « افسدوهن وخدعوهن » الى باريس لاستجوابهن ، وفي اجيال تالية وحتى نهاية العصور الوسطى

كانت الحركة مدينة بالكثير للنساء المعروفات باسم البيغوين — نساء المدن — وكثيرا ماكن من اسر ثرية ، كرسن انفسهن لحياة دينية بينما كن يتابعن الحياة في الدنيا ، وخلال القرن الثالث عشر ، اصبح البيغويين عديدات جدا في المنطقة التي تعرف الآن ببلجيكا ، وفي شمال فرنسا ، وفي وادي الراين — وكان في كولون الفين من البيغويين — وفي بافاريا وسط المانيا في مدن مثل مغدبرغ ، وكعلامة على حالتهن تبنى هؤلاء النساء لباسا دينيا عبارة عن رداء ذا قلنسوة من الصوف الرمادي او الأسود وحجابا

ولكن لم تكن هناك طريقة واحدة شائعة بالنسبة لهن جميعا ، وعاش بعضهن حياة — باستثناء بعض التوجيهات الدينية العامة اختلفت قليلا عن حياة النساء الأخريات ، لقد كن يعشن مع عائلاتهن (ص ١٦١)او يستمتعن بدخل خاص ، او يدعمن

انفسهن بالعمل ، وكانت أخريات يعشن حياة غير مرتبطة كراهبات متسولات جوالات : نظيرات حقيقيات من الاناث للبيغرد ، ومعظم البيغوبين على أي حال كن يشكلن انفسهن في جماعات دينية غير رسمية ، ويعشن معا في بيت او مجموعة من البيوت ، وبالنسبة للكنيسة كانت هذه الحركة النسائية واسعة الانتشار تمثل المشكلة نفسها ، مثل اختها الحركة « الرسولية » بين الرجال وبالفعل في النصف الثاني من القرن الثالث عشر جذبت البغويات المتسولات اللائي يستجدين اما لأنفسهن او نيابة عن جماعة ما ، شك السلطات الكهنوتية ، والى جانب نظرائهن البيغرد تمت ادانتهن من قبل مجلس ابرشية ميتز في ١٢٥٩ ، وقد تكررت الادانة في ١٣١٠ ، وقد حرمت هذه المجالس « الشحاذين المقدسين »، الذين كانوا يميزون انفسهم بالسلوك واللباس عن المسيحيين الآخرين ، وأمرت بطردهم اذا رفضوا اصلاح طريقتهم من كل الأبرشيات ، وفي الوقت نفسه بدات أصولية البيغوبين تصبح مسألة موضع بحث من جديد ، وفي وادي الراين كان الرهبان ممنوعين من الكلام مع أي بيغوبين الا في كنيسة او في حضور شهود وبالنسبة للراهب كان دخول بيت البيغوبين يستلزم العقاب بالحرمان ، وتضمنت التقارير حول الاساءات في الكنيسة التي تقدمت للاعداد من أجل المجمع المسكوني في ليون في ١٢٧٤ ، شكاوى عديدة ضد البيغوبين ، وروى أحد الفرنسسكان من تورناي أن البيغوبات مع أنهن كن غير مدربات في اللاهوت كن مبتهجات بالأفكار الجديدة المفرطة الصقل فلقد ترجمن الكتب المقدسة إلى الفرنسية ونشرن خفاياها ، وحاضرن فيها بلا وقار في اجتماعاتهن وفي الطرقات ، وكانت الأناجيل العامية المليئة بالأخطاء والهرطقات متوفرة للعموم في باريس ، وشكا أسقف الماني شرقي من أن أولئك النسوة كن كسولات منهمكات في نشر الشائعات وشريرات يرفضن إطاعة الرجال بذريعة أن الرب يخدم بشكل أفضل مع الحرية .

ولم يكن لدى البيغوبين مقاصد هرطقية عملية ثابتة ، ولكن كانت لديهن رغبة عميقة لأكثر صور الخبرات الصوفية تزمتا ، وكان

يشارك في هذه الرغبة بالطبع كثير من الراهبات ، فقط لأن صوفية البيغويين كان فيها إغراءات كانت الراهبات عادة ممنوعات منها ، وكان ينقص البيغويين تنظيم المراتب النظامية ، وفي الوقت نفسه لم يحظين بإشراف مناسب من الاكليروس المدني ، الذي كان تعاطفه قليلا مع هذا التدين العصري الجريء ، وإنه حق أن أخوة الرهبنة كانت افضل قدرة على توجيه الطاقات الانفعالية لدى تلك النسوة ، ولهذا خدمت الكنيسة ولم تهددها ، وفي النصف الأول من القرن الرابع عشر كانت كل جماعات البيغويين تقريبا منتسبة إلى الفرنسسكان والمراتب الثالثة من الدومينيكان . (ص ١٦٢) ولكن أخوة الرهبنة لم تنجح أبدا في السيطرة على الحركة كلها ، وبدقة نجد بين اكثر البيغويين زهدا بعضا ممن قبلن كموجهين روحيين لانفسهم ليس واحدا من أخوة الرهبانية بل من أخوة الروح الحرة .

وبحلول ١٣٢٠ دفع الاضطهاد بحركة الروح الحرة إلى السرية ، وبعد ذلك بدا أن البيغرد المهرطقين قد اصبحوا اقل تسولا وانهم قد اعتمدوا بالأحرى على فهم تآمري كانوا قادرين على تطويره باتفاق مع بعض طوائف البيغويين .

وعندما كان مبشر من الروح الحرة يدنو من مثل هذه الجماعات كان يؤخذ على الفور ويقدم له المأوى والطعام ، وتحت قسم المحافظة على السرية أرسلت الأخبار إلى جماعات ميالة للتعاطف إن « ملاك الكلمة الالهية » قد وصل وإنه ينتظر في مخبئه ، وتدفقت جماعات البيغويين من كل صوب للاستماع إلى الرجل المقدس

وكان البيغرد يعظ بمذهبه الصوفي ، المغلف بعبارات معقدة ، وكما قال احد المؤرخين : « بكلمات لطيفة بشكل لايصدق وبروحانية سامية وغيبية بقدر ما يمكن للسان الألماني أن يتدبرها » ، ولهذا نجد البغويين يعلن وهن منتشيات أنه « رجل له شبه كبير بالرب والفة عظيمة معه » . وكان بهذه الوسيلة وفي هذا الوسط أن حفظ المذهب وتطور واصبحت الفية الروح الحرة امبراطورية خفية ، تمسك بها معا روابط عاطفية ــ التي بالطبع كثيرا ماكانت روابط جنسية ــ بين الرجال والنساء .

الفصل التاسع

نخبة الفاسدين الخارقين للطبيعة (٢)

انتشار الحركة :

منذ زمن العموريين ووليم كورنيلس (ص ١٦٣) مـن الممـكن تتبع انتشار هرطقة الروح الحرة عبر مناطق واسعة من اوروبا . ويبدو أن اتباع الروح الحـرة كانوا نشـيطين على طـول الراين الأعلى حوالي ١٢١٥ وأن بعضهم قد أحرق في ستراسبورغ ، وفي ١٢٤٠ التقى الأستاذ البحاثة الشهير البرتس ماغنوس مع بعض الاتباع في كولون ، وهناك دلائل على أنهم كانوا ناشطين في أسقفية تريير ، وفي ١٣٠٧ عقد مجمع إقليمي في كولون ، من قبـل رئيس الأساقفة لهذا السبب ، وحاول تطهير المدينة من الرهبان المتسولين من البيغرد والبيغوبين الذين كانوا ينشرون مذهب الروح الحرة .

و لم تكن هذه الجهود ناجحة ، و كان ما يزال لدى فـرنسيسكان كولون سبب لاعتبار هؤلاء المهرطقين منافسـين خـطرين ، وفي تلك الأثناء كانت الروح الحرة تنتشر بشكل أعمـق في الأراضي الالمانية ، ونحو ١٢٧٠ كان اثنان مـن ذوي الرداء الأحمـر يتـابعان الدعوة السرية في المنطقة المحيطة بنورد نجن في فافريا ، التي لم تكن في ذلك الوقت ناحية نائية ولكنها وقعت على طريق برنر وعلى الطـريق مـن فرنسا إلى الشرق ، وأمكن كشف بعض من الداخلين في هذه الطائفة من الذكور والاناث واستجوابهم ، والمواد الهرطقية التـي صرحـوا بها قدمت الى البرتس ماغنوس لفحصـها فحص خبير وتنفيذهـا . ولكن الهرطقة وجدت موطنا جديدا ، وكان لها أن تزدهر زمنا طويلا في المدن الباڤارية .

وفي مطلع القرن الرابع عشر وجدت أيضا موطنا في شمال فرنسا ، وكانت عالمة بيغوينية من هينوت Hainaut تدعى مرغريت بوريت تنشرها في أسقفيات كامبراي ، وشالون وباريس .

وكتبت بحثا في الصوفية الدينية باسم « مرآة الأرواح البسيطة » وقد أعيد اكتشافه الآن من قبل الأستاذ غاريينيري وكان الكتاب قد أدين في ذلك الوقت من قبل أسقف كامبراي ، وأحرق علنا في فلانسيين ، ولكن مرغريت أنتجت نسخة أخرى ، على الرغم من تحذيرات عديدة ، وأصرت على إظهارها « للبيغرد والشعب البسيط الآخر » ، وقد عاشت حياة هائمة مفلسة ، يصحبها واحد من البيغرد الذي اعتقد أنه مرسم من السماء « كملاك حارس » للفقراء الطوعيين ، وفي النهاية سقط الاثنان في أيدي (ص ١٦٤) المحققين في باريس ، وخلال ثمانية عشر شهرا من السجن رفضت مرغريت بإصرار أن تشتري المغفرة بالارتداد ، وفي ١٣٠٠ أدين كتابها من قبل لجنة من اللاهوتيين ، وتم حرمانها وحكم عليها بالموت بالحرق ، ويبدو أنه كان لهذه المرأة اتباع كثيرون ، اذ أنه بعد بضع شهور من موتها كان كليمنت الخامس يأمر بمتابعة التحقيق في لانغرس بقوة ضد المهرطقين الذين كانوا يتكاثرون هناك بسرعة ، حتى أنهم قد أصبحوا خطرا كبيرا على العقيدة ، وقد أدخل كتابها حتى إلى إنكلترا من قبل أحدهم مع أثاث فيليبا من هينوت عندما وصلت كعروس لادوارد الثالث ، وذلك في سنة ١٣٢٧ ، وفي هذا برهان جديد على التأثير الذي مارسته الروح الحرة في الطبقات العليا من المجتمع .

وفي الوقت الذي أعدمت فيه مرغريت كانت الروح الحرة تسبب قلقا خطيرا للكنيسة ، ففي المجمع المسكوني برئاسة كليمنت الخامس في ڤينا على الرون في ١٢١١ ـ ١٢ جرى فحص طويل ودقيق « لأخطاء البيغرد » ، وكان أحد المصادر الرئيسة كما ندرك الآن ، كتاب مرغريت « مرآة الأرواح البسيطة » وتم في عرض الحيثيات تحليل مذهب الروح الحرة وأدين ، وقد أعطيت تعليمات

للأساقفة والمحققين بمراقبة حياة ومناقشات البيغـرد والبيغـويين وأن تتخذ الاجراءات ضد كل واحد ممن يتبين أنه يعتنق افـكار غير أصولية ، وقد أردفت هذه التعليمات بمرسوم بابوي آخر اسـتهدف ضمان أن كل البيغويين سيعيشون في المستقبل في مجتمعـات تحـت رقابة اكليروسية مناسبة ، وكان هذا على أي حال مـرسوما بـالغ التشويش ، وكان من احد آثاره بدء اضطهاد جمـاعات البيغـويين الأصوليين المسالمين ، ولم يمض وقت طويل حتى كان البابا نفسـه يحاول جاهدا دون طائل ، حماية النساء الفاضلات الكثيرات في مدن الراين اللواتي اجبرن على المعاناة للتخلي عن أخوة الروح الحرة ، وقدر للتشويش والاضطهاد أن يستمر لأكثر من قرن .

وبالطبع اضطهد أيضا البيغرد والبيغويين الذين كانوا حقا أخوة للروح الحرة . وفي ١٣١٧ شكل أسقف ستراسبورغ ، وقـد تسـلم شكاوى عديدة حـول الهـرطقة ، في أسـقفيته لجنة تحقيق ، وكان بسرعة قادرا على إرسال رسـالة رعوية لاكليروسـه مبنية على مـا تكشف عنه التحقيق كان مما جاء فيها إن : « أخوة وأخوات الروح الحرة الصغار ـ وكان الشائع تسميتهم بيغرد وسويسترون ،
أو خبز في سبيل الله ـ ممنوعون تحت طائلة:
الحرمان من ارتداء ، حللهم الغريبة ، والناس ممنوعون ايضا تحت طائلة الحرمان ، من التصدق على احد يرتدي مثـل هـذه الملابس • واعلن عن مصادرة البيوت التي تجري فيها اجتمـاعات الهـرطقة ، لصالح الفقـراء ، ويجـب تسـليم ادبيات الهـرطقة (ص ١٦٥) والتخلي عن صيحة الاسـتجداء « الخبـز في سـبيل الله » وعمـل الاسقف كل ما يمكن لضمان تنفيذ هذه التعليمات ، وقام بـزيارات تفقدية لاسقفيته ، وبـاكتشا فه علامـات دالة على الهـرطقة في كل مكان ، نظم اول تحقيق اسقفي منظـم على التـراب الالماني ، وقـد اضطهد هذا التحقيق المهرطقين دون رحمة ، وهرب بعض البيغـرد الى الاسقفيات المجاورة ، ولكن حتى هناك كان اسقف ستراسبرغ

يلاحقهم ، وكتب الى زملائه الاساقفة في مقر اسقفية مينز يحـذرهم

من الخطر الذي يهدد اسقفياتهم وحثهم على الاقتداء به وحذو حذوه ، ومع ذلك لم يكن الرجل متعصبا اعمى ، اذ انه كتب ايضا الى البابا لصالح هؤلاء البيغوويين الذين كانوا يضطهدون بشكل ظالم وغير شرعي .

وجرى الهجوم التالي على اخوة الروح الحرة في مقاطعتهم التقليدية ، كولون ، ودعا الاسقف عدوهم القديم - وهو الاسقف نفسه الذي دعا الى المجمع الاقليمي في ١٣٠٧ - مجمعا اخر في ١٣٢٢ للتعامل مع الدعوة المستمرة ، وكانت الحركة في ذلك الوقت قد اصبحت سرية ، ووجد المهرطقون في كولون قائدا مرموقا في شخص وولتر ، الذي جاء من هولندا ، والذي كان بالفعل ناشطا كمبشر في مينز ، وكان هذا الرجل واعظا عظيم البلاغة والقدرة على الاقناع ، ووضع رسائل مختلفة بالالمانية تم تداولها سرا بين اتباعه ، وضبط اخيرا ، وبرفضه تحت أسوأ انواع التعذيب خيانة جماعته او الارتداد تم احراقه ، وطبقا لاحد المصادر كان وولتر كاهنا مرتدا ، ورئيسا لمجموعة سرية كبيرة اعتقلت بحيلة في ١٣٢٥ او ١٣٢٧ . ويقال إنه نحوا من خمسين من اخوة الروح الحرة قد اعدموا في تلك المناسبة ، بعضهم بالحرق وبعضهم الاخر بالاغراق في الراين .

وعلى الرغم من كل الاضطهاد استمرت الروح الحرة في كولون وعلى طول الراين ؛ وفي ١٣٣٥ اكتشف ان طائفة من البيغرد المهرطقين كانت تعيش في بيت من بيوت الفقر الاختيارى في كولون منذ نحو ثلاثين سنة او اكثر ، وفي ١٣٣٠ قبض على ثلاثة من البيغرد المهرطقين في كونستانس بعد حياة امضوها في تلقين النساء المعارف التقليدية للروح الحرة ، وفي سنة ١٣٥٣ كان البابا أنوسنت السادس متيقظا جدا ، ضد خطر تجدد نشاط البيغرد المهرطقين ، حتى انه عين أول محقق بابوي في المانيا وأمر السلطات المدنية بمساعدة ذلك الرجل وأن يضعوا سجونهم تحت تصرفه ، وفي ١٣٥٦ اعتقل احد الاتباع وكان قد جاء من بافاريا

الى وادي الراين لتلقين مبـادىء الروح الحــرة ، وأحــرق في سبيير ، وبعد عام كان رئيس اساقفة كولون يشكو مرة أخرى مــن أن المهرطقين كانوا كثيرين جدا حتى انهم افسدوا كل قـطيعه ، وفي العقد الأخير من القرن ، نجح منشق طائفي هام هو نيكولاس مــن بازل في كسب اتباع تقريبا على كامل طول الراين مــن كونسـتانس الى كولون (ص ١٦٦) ، واحــرق اتبــاع له في هيدلبــرغ وكولون ، وهو نفسه بعد أن أحبط مــرار جهــود المحققين لادانتــه قبض عليه في فيينا واحــرق ، ولكن الروح الحــرة بقيت في الراين ، واحرق احـد الاتبـاع في ميتز في ١٤٥٨ ، وفي السـنوات الأخيرة من القرن كان الكاتب والشاعر الهجاءسباستيان برانت من ستراسبورغ ما يزال يكتب عن الهرطقة كظاهرة مألوفة .

وفي بافاريا ايضا كان للهرطقة التي ظهرت أولا في ١٢٧٠ تاريخ طويل ، ففي حوالي ١٣٣٠ ، يبدو انها قـد رحلت عبـر بـا فـاريا ووصلت الى حدود مملكة بوهيميا ودوقية النمسا ، ومــع منتصـف القرن كان مبشرو الروح الحرة نشطين جدا بين جماعات البيغويين البافاريين ، وفي ١٣٤٢ اكتشفت جمعية سرية للبيغرد المهرطقين في أسقفية وورزبرغ وفي ١٣٧٧ كان ما يزال هناك سبب للشكوى مــن تفشي المعتقدات المتصلة بالروح الحرة ، وبعد ذلك بـأربعة سـنوات قبض على أحد اخوة الروح الحرة وحــوكم في اسـقفية ايخسـتات Eichstatt المجاورة ، وفي نحو ١٤٠٠ قدم محقق تقـريرا عن وجــود بعض اخوة الروح الحرة ، كانوا يعيشون في مجتمع فقر طوعي في شام قرب ريجنسبرغ ، وعلى مدى القرن الخـامس عشر يبدو أن الروح الحرة كانت باقية في بافاريا ، وفي منتصف القرن كان مجمع في وورزبــرغ يكرر الحـظر القـديم على البيغـرد الواعظين المتجولين ، وكان اسقف ايخستات يعلن حرمان البيغرد المـهرطقين الذين كانوا يتسولون في الطرقات عبر البلاد ، وما برح مثـل هــذا الحظر يتكرر حتى نهاية القرن.

والمراحل التي تسـللت بهـا الروح الحــرة الى الشرق عبــر

الأمبراطورية مجهولة ، ولكن في ١٣٢٢ اكتشفت جماعة من البيغوبين على مسافة من الشرق تصل الى شويدنتز في سيليزيا Silesia وكان النسوة يعشن في بيت فقر طوعي كان قريب الشبه ببيت الرجال الذي وجد في كولون بعد ذلك بثلاث سنوات ، ثانيه مثل بيت الرجال ايضا والذي كان قائما منذ نحو ثلاثين عاما بالفعل ، و كان بيت شويدنتز واحدا فقط من بيوت عديدة كانت تشكل تنظيما سريا ، وعن طريق البيغرد المهرطقين الذين مروا بهذه النواحي حافظت الحركة على اتصالها مع مجموعات مماثلة تصل خارج الوطن حتى برسلاو ، وبراغ ولايبزغ ، وايرفورت وميدز ، وفي وسط المانيا أصبحت المنطقة بين ايرفورت وماغدبرغ مركزا هاما للروح الحرة ، وكانت البغوديات معروفات هناك تقريبا في الوقت المبكر نفسه ، كما كن في اي مكان ، وحدث في سنة ١٣٢٥ أن دخل في الطائفة ماتيلدا من ماغدبرغ ، التي غدت أعظم البغوديين شهرة ، وكان البغرد الهائمون قد شدوا بالفعل انتباه مجلس ماغدبرغ من ١٢٦١ وفي الكتاب حول تجربتها الصوفية الخاصة ، الذي كتبته ماتيلدا بين ١٢٦٥ و ١٢٧٧ تفوهت بتحذيرات ضد أخوة الروح الحرة ، ولكن التقارير قليلة ، وأقدم اثر واضح للروح الحرة في وسط المانيا يعود فقط الى ١٣٣٥ ، وعندما اعتقل كاتب كان متأثرا بمذهب الروح الحرة ، وبرفضه حجة الجنون احرق في أيرفورت ، وفي السنة التالية جرى اعتقال ثلاث من البغوديين بسبب« الروح المتعالية » في ماغدبرغ ، لكنهن ارتددن وأطلق سراحهن وفي النصف الثاني من القرن الرابع عشر ، كانت اخوة الروح الحرة وسط المانيا وثيقة الارتباط بطائفة اللطامين التي أسسها كونراد شمد ، وعززت الطائفتان كل منهما الأخرى بفعالية حتى أن المنطقة أصبحت تعتبر من قبل السلطات أخطر معقل للهرطقة في الاراضي الالمانية . ونحو ١٣٧٠ ، عندما حصلت هدنة في النزاع الدائم بين البابا والامبراطور عين وولتر كيرلنجر ، قسيس القصر وصديق الامبراطور شارل الرابع من قبل أوربان الخامس محققا لالمانيا ، ومنح سلطات من قبل

الامبراطور ، وكانت جهود هـذا الرجـل مـركزة على وسـط المانيا ، وسارع بعد ذلك فاعتقل مجموعة تألفت من اكثر من اربعين مهرطقا ، ذكورا وإناثا في نوردهوزن ويبدو أن كونراد شمد كان بين السبعة الذين احرقهم ، وسرعان ما اصبحت ايرفورت ومـاغدبرغ نظيفتين من المهـرطقين البيغـرد والبيغـوبين ، ولكن عندمـا اعلن الامبراطور أن كيرلنجر قد قضى على كل الهرطقة في وسط المانيا كان مفرطا في التفاؤل ، وكما راينا ، بقيت طائفة سرية مـن اللطـامين هناك مدة قرن أخر ، و يصعب اعتبارها مصادفة انه في وقت متأخر الى عام ١٥٥١ كانت طـائفة تـدعى « اصـدقاء الدم » أبـدت كل المميزات الأساسية للروح الحرة ، قد اكتشفت في اطار ثـلاثين ميلا من ايرفورت .

وفي عام ١٣٧٢ لاحظ خليفة اوربان غريغوري الحادي عشر أن المهرطقين الذين هربوا من وسط المانيا كانوا يتخذون ملاذا لهـم في وادي الراين والبلاد المنخفضة وفي الشمال الأقصى من المانيا ، وقـد حث الامبراطور على ضمان تعاون السلطات المدنية في تلك المناطـق مع المحققين في تعقب آثار الآبقين ، ويبدو أن الروح الحـرة كانت في الواقع قد بلغت شـمال المانيا بنهـاية القـرن الرابـع عشر ، وفي ١٤٠٢ أحرق اثنان مـن الحـواريين في مـدينتي الهنسـا Hansa ليبـك Lubeck وويسـمار Wismar وإذا كان لا يعرف شيء أخر عن أخـوة الروح الحرة في مدن البلطيق سواء بسبب أنهـا كانت حقيقـة قليلة او لأن التحقيق ندر أن لاحقهم الى هذا الحد فإنه من المؤكد أنها في البـلاد المنخفضة بقيت عديدة ، وفي أواخر القرن الرابع عشر كانت هـولندا تعتبر الى جـانب (ص ١٦٨)بـرابنت Brabant ووادي الراين كمنطقة غرزت فيها الهرطقة جذورا عميقة ، وعندمـا اسس الواعظ جيرهارد غروت الطائفة الدينية غير الرهبانية لأخوة الحياة العادية ــ التي سـيعطيها تـوماس ــ كيمبس البـريق العـظيم والشهرة الكبيرة ــ كان أحد أهدافه ان يؤمن مخرجا ضمن حـدود

الاصولية للاحتياطات التي كانت تلتمس الاشباع في مجتمعات هرطقة الروح الحرة .

وفي برابنت راى الصوفي الشهير روزبروك « المعجب » الكثير من أخوة الروح الحرة ، وكسبت امراة تدعى هليويش بلومارت (شهرت باسم بلوماردين) كانت ابنة تاجر غني ، احتراما ونفوذا في بروكسل كقديسة حية ، ويبدو ان اتباعها امتدوا مابين الدوائر العليا للارستقراطية وعامة الناس ، ويقال انها عندما ماتت في ١٣٣٥ ، قبل كرسي فضي كانت قد اعتادت الجلوس عليه كأثر مقدس من قبل دوقة ، في حين كانت حشود من المقعدين تأتي لتلمس جسدها املا في معجزة الشفاء ، ولقد كانت بلوماردين تعلم نوعا من المذهب الصوفي،وحتى لو لم يعادل هذا في الأصل اظهارا للروح الحرة اصبح كذلك في ايدي حوارييها بعد موتها ، وقد الهم النضال ضد هؤلاء الناس روزبرو كتاباته الأولى ، بين ١٣٣٥ ، ١٣٤٠ وبينها رائعة « الزواج الروحي » وقد استمر في مهاجمة أخوة الروح الحرة في كتاب بعد الآخر حتى وفاته في ١٣٨١ عن عمر بلغ ٨٨ سنة ، و الروايات حول المهرطقين الصوفيين التي قدمها هذا الصوفي هي بين الأكثر تفصيلا و تغلغلا مما هو لدينا .

وقد استمرت بروكسل في ايواء اخوة الروح الحرة ، وفي ١٤١٠ عين اسقف كامبراي محققين اثنين لمحو ماكان لايزال يدعى « بهرطقة بلوماردين » ولكنهما وجدا نفسيهما بلا حول في وجه الحماس الشعبي ، ولقد كانت الاغاني تنشد خلفهم في الشوارع وحتى انه جرت محاولات ضد حياتيهما ، ومع ذلك كانا قادرين على كشف مجموعة مهرطقة خاصة ، وفي ١٤١١ فحص الاسقف راهبا يدعى وليم اوف هيلدرنيس كان يشك في كونه احد قادتها . وكان رجلا من مولد نبيل كانت له مهنة ناجحة كمحاضر في اللاهوت في وادي الراين والبلاد المنخفضة ، وكان مرتين رئيس دير رهبنة ، ولم تكن درجة اشتراكه في الجريمة واضحة وقد حكم عليه فقط ببضع سنوات من التكفير والسجن الانفرادي ، وكشف

التحقيق عن وجــــود طــــائفة سرية تــــدعو نفســـها Homines intelligentiae ومعنى Intelligentia في اصطلاحات العصور الوسطى « الملكات العليا للروح » التي تجعل النشوة الصوفية ممكنة ، وقد اسست الطائفة نتيجة لوحــي تلقــاه شخص مــوثوق هــو ايجيد يوس لويف او ســانغرز (بــاللاتينية كانتور) (ص١٦٨) اي قائد جوقة الترتيل ، وكان رجلا من العامة تحدر من عائلة فلمنكية بارزة ، وكان متوفيا بــالفعل في وقــت قيام التحقيق ، وكانت طــائفة « الملكات العليا للروح البشرية » تضــم عددا من النساء ، والشيء الهام ان وليم اضطر الى القيام بــارتداد علني في حي من بروكسل يسكنه البغويين .

ولايمكن فصل انشطة أخوة الروح الحرة في البلاد المنخفضـــة عن نشاطاتها في وادي الراين ، فكما راينا جاب البيغرد ذهابا وايابــا عبر المنطقة كلها،وحدث الشي نفسه بين البــلاد المنخفضـــة وشــمال فرنسا ، وفي ١٣٦٥ راى البابا اوربان الخامس انه من الضروري التحدث على انشطة البيغرد الفــرنسيين ، وقــد حــذر الأســاقفة والمحققين من ان هؤلاء الرجــال كانوا مــايزالون تحــت قناع مــن القدسية ينشرون اخطاءهم بين الناس البسطاء ، وقد زود اســقف باريس بتفاصيل كاملة حــول طــريقتهم في الحياة والأمــاكن التــي وجدوا فيها ، وفي ١٣٧٢ قبض على مهرطقين كانوا ذكورا وإناثــا ممن دعوا انفسهم « مجتمع الفقراء » ولكن ممن يحتمل انهم نبذوا بلقب التورلوبين في باريس . وكانت زعيمتهم ايضا امراة اســمها جين دابينتون ، وقد احــرقت وكذلك احــرقت جثـــة مســـاعدها الذكر ، الذي مات في الســجن وكذلك الكتــابات والملابس الغــريبة لأتباعها ، ولاشي يعرف عن تعــاليم هــذه المجمــوعة ولكن اســـم تورلوبين كان عادة يعطى فقط لأخــوة الروح الحــرة ، وبــالتأكيد كانت الروح الحرة تجتذب الانتباه في شمال فرنسا في نهــاية القــرن الرابع عشر وبــداية القــرن الخــامس عشر ، وكان شــارلييه دي غرسون رئيس جامعة باريس مؤهلا بشــكل جيد لأن يكون قــاضيا لأنه جمع بين الذكاء العظيم والخبرة الواسعة مع تعاطف شــديد

مع الصوفية ، وفي سلسلة كاملة من الأعمال التي كتبت بين ١٣٩٥ و ١٤٢٥ تفحص جيرسون ثم ادان الصوفية الزائفة للتورلوبيين والبيغرد والبيغويين الذين اعتنقوا هرطقة « روح الحرية » والمعتقدات والعادات التي نسبها الى المهرطقين الفرنسيين غير قابلة للتمييز عما وجد لدى نظرائهم الألمان ، وفي الواقع كان من ليل وتورناي ان حملت فرقة من أربعين متحمسا في ١٤١٨ عقائد مذهب الروح الحرةمباشرة عبر اوروبا ، لادخالها الى بوهيميا التي كانت على شفا الثورة والحرب الأهلية الأمر الذي ستدرس نتائجه في فصل لاحق .

وبعد قرن ، وهي وسط الهياج الاصلاحي شهدت البلاد المنخفضة وشمال فرنسا انتشار مذهب كان يدعى « الحرية الروحية » ولكن في كل اساسياتها كانت ماتزال المبدأ القديم نفسه للروح الحرة ، ومرعبا بالدرجة نفسها بالنسبة للمصلحين كما كانت للخصوم الكاثوليك ، وفي ١٥٢٥ أرسلت لوي بروويستذك وكانت شابة متسكعة لاتحسن القراءة والكتابة ولكن (ص١٧٠) وجد لها اتباع بين الحرفيين ، والحرفيين المبتدئين مثل مساعدي النساجين وبائعي الجوارب ، ارسلت اثنين الى ويتنبرغ للالتقاء بمارتن روش لوثر ، وكانت هذه هي السنة نفسها التي كانت فيها حرب الفلاحين تهز كل بنيان المجتمع الالماني،وكان لوثر نفسه ثائرا ضد المتنبىء الألفي للفلاحين ، توماس مونتز وكان لوثر متأثرا بدرجة كافية ومصدوما من زائريه الى حد انه ارسل رسالة الى الحزب اللوثري في انتويرب ، يحذرهم ضد النبي الزائف في أوساطهم ، ولكن اذا كان تحذير لوثر ويقظة التحقيق الكاثوليكي معا قداعاقا نمو الحركة ، فانهما لم يتمكنا بشكل دائم من منعها، وأدى تفجر خطير للطاعون في انتويرب في ١٥٣٠ الى ظهور كثير من الحواريين الجدد ، وكان مقام بروستذك بين الفقراء كبير لدرجة انه يقال انهم كانوا (يخرون راكعين عند اقترابه) وكانت الطائفة تضم العديد من حواشي المجتمع الفرنسي لصوص عاهرات متسولين ، بيد ان تجارا اغنياء وحتى جواهري الملك الفرنسي

فرانسس الأول كان يمكن العثور عليهم بين الاتباع الذين يسـهمون في التمويل ، وكل هؤلاء الناس ايا كان نوع منزلتهم الاجتماعية كان يتوقع منهم المواخاة واحتضان بعضهم بعضا في العلن ، وفي حين قام بروستنك نفسه وكأنه يحاول ان يرمز في آن واحد الى موهبته في الفقر والى ادعائه هيبة عليا ، قام بارتداء أثواب مقطعة الى خرق ولكنها ايضا مخيطة بالجواهر وانتشرت الطائفية بشكل واسع ليس فقط في انتويرب بل في كل انحاء برابنت وفلاندرز في الوقت الذي كانت فيه السلطات المدنية في ١٥٤٤ تستعد لسحقها ، وفي النهاية احرق بروستنك حتى الموت على نار هادئة وقطعت رؤوس خمسة من اتباعه بينما هرب آخرون الى انكلترا .

واذا كان القليل المعروف عن مذهب بروستنك يكاد يؤكد بصعوبة اتهامات التحلل وعدم الالتزام بالشريعة التي وجهت ضده وضد اتباعه ، فان طائفة الكوينتينيين كما يبدو قد ورثت كل الفوضوية في أخوة العصور الوسطى لدى الروح الحرة ، وامتدت رسالة الخياط كوينتين Quintin التي أوجدها تقريبا بالضبط في خلال الفترة نفسها لرسالة بروستنك ، وكان مواطنا من هينوت وسمع عنه ايضا للمرة الأولى في ١٥٢٥ في ليل بعد ذلك بعقد ، ومع خياط آخر وكاهن مرتد انتقل الى باريس ، وهناك وجد كالفن Calvin هؤلاء الكوينتينيين او « العتقاء الروحانيين » كما دعاهم ، يعملون بين اتباع الديانة المستصلحة واشتبك في نزاع علني ، وفي ١٥٣٩ شجبهم في النسخة المعدلة من كتابه « مؤسسات الديانة المسيحية » وفي الوقت نفسه قام المصلح الألماني بوسر Bucer وقد التقى بالعتقاء الروحانيين .

وفي ستراسبوغ واطلع على دعوتهم السرية فكتب الى الملكة مرغريت أوف نافار التي كانت مهتمة جدا بالصوفية ـ يحذرها ان لاتنخدع بهؤلاء الناس وكان التحذير في محله ، اذ انه في ١٥٤٣ تدبر كوينتين وثلاثة من رفاقه في الواقع لانفسهم اماكن بين الخدم المنزليين في حاشية الملكة حيث قبلوهم (ص ١٧١) كصوفية

مسيحيين وبعد ذلك بعامين كان كالفن نفسه يكتب الى مرغريت لينورها حول الطبيعة الحقيقية للملتجئين اليها وكان كوينتين على الاقل على مايبدو قد صرف من البلاط لأنه في ١٥٤٧ كان قد عاد الى موطنه وكنتيجة لمحاولة اغواء من السيدات المحترمات في تورناي اكتشف واحرق .

وفي الوقت نفسه كانت الدعوة التي كان كوينتين وحواريوه يقومون بها بوسائل الوعظ السري والنشرات قد حولت العديد في تورناي وفالنسيين الى مذهبه وقد قدر كالفن عددهم بنحو عشرة الاف ، ولمجابهة هذه النشاطات ارسلت الطائفة البروتستنتينية الفرنسية في ستراسبورغ احد كهنتها الى تورناي حيث قبض عليه على اي حال من قبل السلطات الكاثوليكية واحرق ، وماكان اكثر فعالية هو الهجوم الذي استمر كالفن في ممارسته ضد الطائفة وفي ١٥٤٥ اصدر رسالته « ضد الطائفة الخيالية والساخطة للعتقاء التي تسمى نفسها روحانية » .

وفي ١٥٥٠ عندما كتب احد الفرنسيسكان السالفين بعد ان اصبح لاجئا لدى السيدات من ذوات السلطة في روان Rouen دفاعا عن الطائفة ومعتقداتها ، كتب كل من كالفن ومعاونه فارل Farel رسائل جوابية ، واختفت هذه الهرطقة في حينه — او انها على الأقل اصبحت سرية — في تلك المناطق التي كانت لزمان طويل معقلا لها ، وحدث ذلك في الوقت ذاته والتاريخ الذي انهارت فيه نهائيا في المعاقل الكبيرة الأخرى في وسط المانيا .

ولعل ماتم عرضه حتى الآن يكفي لتبيان ان ديانة الروح الحرة قد امتدت فوق منطقة واسعة جدا ، ولكن هذه ليست القصة كلها ، فللأسباب المبينة في المقدمة ، لم يتم تناول جنوب اوروبة الا بالكاد في هذا الكتاب ، ولكن الروح الحرة في الواقع قد ازدهرت في ازمان مختلفة في كل من ايطاليا واسبانيا ، وفي ١٣٠٧ ، في الوقت نفسه الذي كانت فيه مرغريت بوريت نشطة في شمال فرنسا ، كان

- ١٦٣٤ -

رجلا يدعى بيتيفينغا دا غبيو ، يدعو الى معتقد جديد بين الراهبات في امبريا بل انه حتى حاول ان يدخل القديس كلارو مونتفالو في مذهب الروح الحرة ـ او كما كان يسمى في ايطاليا ـ روح الحرية

وفيما بعد في القرن الرابع عشر كانت هنالك اشارات الى ان الهرطقة كانت مزدهرة في امبريا وتوسكانيا وغالبا كما في الشمال ، الى جانب ديانة الفقر الطوعي ، ومع حلول ١٣٤٠ كانت ترجمات ايطالية ولاتينية لكتاب مزغريت بوريت يجرى تداولها في ايطاليا ، وقد حذر القديس برنارد ينو أوف سينيا . Siena

منها في حين انه في بادوا كانت السلطات الاكليروسية تجهد لمنع وقوعها في ايدي الرهبان وفي القرن التالي بينما كان كالفن يقاتل ضد العتقاء الروحانيين في فرنسا ، كانت مذاهب شبيهة جدا تزدهر في اسبانيا ، بين الصوفية المعروفين باسم الأمبرادوز .

(ص ١٧٢) وتتبع هذه التطورات الى مدى ابعد خارج مجال هذا الكتاب ، ومن جانب آخر ان عودة الظهور القصير للروح الحرة في انكلترا كرومل Cromwell يمكن دراسته بالتفصيل في الوثائق الواردة في الملحق .

طريقة تأليه الذات

لم يشكل اتباع الروح الحرة كنيسة واحدة بل عددا من المجموعات ذات الأفكار المتماثلة لكل منها ممارساتها الخاصة

وطقوسها وجوانب معتقداتها ، و غالبا ماكانت الروابط بين المجموعات المختلفة ضعيفة جدا ، لكن هؤلاء الناس استمروا على صلة مامع بعضهم بعضا وكانت الروح الحرة في كل الأزمان مميزة كديانة ـ ظاهرية ذات جسم مذهبي اساسي واحد يسلم من جيل الى جيل ، وكان في القرن الرابع عشر ان ظهر هذا المذهب بمظهره الكامل ، والملامح التي ابداها في حينه كان لها ان تبقى دون تعديل على مدى تاريخ الحركة .

وكان مصدر الأطار الغيبي هو الأفلاطونية المحدثة ، ولكن كل الجهود التي بذلت بدءا من ديونيسيوس الزائف واريجينا ومابعدهما ، لتكييف الأفلاطونية المحدثة مع المعتقدات المسيحية قد استبعدت ، بيد ان وحدة الوجود لدى افلوطين كانت بعيدة جدا عن ان تغفل وقد تأكدت ، ولم يتردد اخوة الروح الجديدة في القول :« الرب هو كل ماهو موجود » « الرب في كل حجر وكل طرف»من الجسم البشري بالتأكيد نفسه الذي هو بالنسبة لخبز القربان المقدس «ان كل شي مخلوق هو الهي » وفي الوقت نفسه تبنوا تفسير افلوطين لوحدة الوجود هذه ، لقد كان الرب حقا هو الجوهر الأبدي للأشياء وليس وجودها في وقتها ، كل ماهو ذو وجود منفصل وعابر قد انبثق عن الله ، ولكنه لم يعد هو الله ومن جانب أخر ان كل ماهو موجود ملتزم بالرجوع الى اصله الرباني ويكد ليجد طريق العودة الى هذا الأصل ، وفي نهاية الزمان سيكون الرب حقا هو الكل .

وحتى في هذه الساعة إن إعادة الامتصاص هو مصير الروح البشرية حالما يموت الجسد ، وبموت الجسد تختفي الروح في أصلها الرباني مثل قطرة من الماء اخذت من إبريق ثم سقطت فيه مرة أخرى أو كقطرة من النبيذ في البحر ، ويعادل هذا المذهب بالطبع تأكيد الانعتاق الشامل مع أنه غير شخصي ، وما هو أكثر تماسكا وانسجاما في اخوة الروح الحرة هو المبدأ الذي يعتبر أن الفردوس والجحيم هما مجرد حالات للروح (ص ١٧٣) في هذا العالم وأنه ليس هناك آخرة ولاثواب ولاعقاب ، ولكي تتجسد الروح القدس في نفس المرء وتتلقى الوحي الذي يأتي به ، ذلك هو البعث من الموت وامتلاك الفردوس ، والانسان الذي يعرف الله في نفسه يحمل فردوسه الخاص معه ، وعلى المرء فقط أن يعرف الوهيته الخاصة وانه بعث ككائن روحي سماوي مقيم على الأرض ، وجهل المرء بألوهيته الخاصة من جانب أخر ، خطيئة مميتة ، وهو في الواقع الخطيئة الوحيدة ، وهذا هو معنى الجحيم ، وهذا أيضا شيء يحمله المرء معه في هذه الحياة .

واعتقد افلوطين أن الكائنات البشرية يمكنها أن تمر بمثل هذه العودة إلى الاقتصاص قبل موت الجسد ، وكان بالإمكان أن تهرب الروح من قيودها الحسية ومن وعيها بذاتها وأن تغرق لحظة ، بلا حراك ولاوعي في الواحد ، لقد كان هذا وجه الافلاطونية المحدثة الذي راق لأخوة الروح الحرة ، ومع أن الروح الحرة كانت تقليديا تعرف « بالهرطقة الوحدوية » ، ابدى العديد من المهرطقين قلة اهتمام أو عدم فهم للغيبيات الوحدوية . وكان الشيء المشترك بينهم موقفا ما من الروح البشرية . « والروح » كما قالت امرأة : « واسعة حتى أن كل القديسين والملائكة لايمكنهم ملؤها ، وجميلة حتى أن القديسين والملائكة لايمكنهم مقاربتها ، إنها تملأ كل شيء » ، ولم تكن الروح بالنسبة لأخوة الروح الحرة مجرد محكومة بإعادة امتصاصها في الرب عند موت الجسد ، بل هي في جوهرها الهية منذ الأزل وهي مابرحت الهية كامنة حتى وهي تسكن جسدا بشريا ، وفي كلمات الرسالة الهرطقية التي وجدت في صومعة الناسك قرب الراين : « إن الجوهر الالهي هو جوهري ، وجوهري هو الجوهر الالهي .... منذ الأزل كان الانسان هو الرب وفي الرب .... ومنذ الأزل كانت روح الانسان في الله وهي الله .... الانسان لم يولد وكان منذ الأزل غير قابل للولادة بالمرة ، وبما أنه لايولد ، فهو أبدي تماما ، لذا أنه في ضوء هذا يجب أن يفسر المرء التأكيد المتكرر للمهرطقين « إن كل مخلوق عاقل هو في طبيعته مبارك » .

وفي الممارسة على أي حال كان اخوة الروح الحرة بدرجة الاقتناع نفسها التي كان عليها أي واحد من أعضاء الطوائف الأخرى في أن أعلى المزايا الروحية كانت مخصصة لأخوتهم خاصة ، ولقد قسم البشرية إلى مجموعتين : الأغلبية أصحاب « الروح الخام » ، الذين أخفقوا في تطوير إمكاناتهم الالهية وانفسهم ، ثم « الذين كانوا بارعين بالروح » ، وادعوا أن هذه الكلية ، والاقتصاص الدائم في الله الذي كان ممكنا بالنسبة للفانين الآخرين فقط بعد الموت ، والذي سيصبح ممكنا للعموم فقط

عند نهاية الزمان يمكن بلوغه « بالروح البارعة » بــالفعل ، خــلال فترة حياتهم على الأرض ، (ص ١٧٤) وكان هذا ابعد بكثير ممــا اقترحه أفلوطين مــطلقا ، ولم يكن قلب الهــرطقة في الواقــع فــكرة فلسفية بالمرة بل طموحا ، لقد كان رغبــة عاطفية لدى كائنات بشرية معينة لتجاوز حالة البشرية حتى تصــبح إلهية ، والاكليروس الذين راقبوا المهرطقين لم يكن لديهم شــك في الأمــر في أن هؤلاء الرجــال والنساء ــ كما اشتكوا ــ يضــعون أنفســهم فــوق القــديسين ، والملائكة ، والعذراء ، وحتى فوق المسيح نفسه ، « وانهــم يقــولون إنهم هم الرب بالطبيعة ، دون أي تمييز » ، وتحدث عنهــم أســقف ستراسبورغ بقوله : « هم يعتقدون أن كل الكمال الالهــي فيهــم ، حتى انهم أزليون وفي الأبدية » وادعى روزبروك الذي جعل صــوت عدوه الهرطقي يقول بأعلى نبرة ممكنة : بالنسبة لي كمــا بــالنسبة للمسيح وبكل طريقة وبلا استثناء انا مثله أنا حياة دائمة وحــكمة ، ولدت من الآب بطبيعتي الالهية ، مثله تماما ، وايضا ولدت في الوقت المناسب ، وبطريقة ولادة الكائنات البشرية ، وعليه فانا وهو واحد ، الرب والانسان وكل ما أعطاه له الرب أعطاه لي ايضا ، وإلى المدى نفسه .... وقد أرسل المسيح إلى الحياة الفعلية ليخــدمني ، وحتــى ليعيش ويموت من اجلي ، في حين اني ارسلت إلى الحياة التــأملية وهي أعلى .... ولو أن المسيح عاش فترة أطول لتولى ممارسة حياة التأمل التي بلغتها . إن كل الفخر الذي أعطي للمسيح قد أعطي حقا لي ولكل أولئك الذين بلغوا هذه الحياة الأسمى .... وعندمــا يرفــع جسمه عند المذبح أثناء تناول القــربان المقــدس ، انا الذي يرفــع ، وعندما يحمل جسده ، انا الذي يحمل ، لأني وإياه جسد واحــد ودم واحد ، شخص واحد لايمكن لأحد تجزئته » .

وقد اعتبرت هذه الروايات مبالغات لاهوتية جدلية ، وهي مع ذلك بالتأكيد هادفة تماما ، وقد سجلت أمثلة من أقــوال المهــرطقين أن العذراء والمسيح قــد تــوقفا دون الكمــــال المطلوب مــــن « الروح البارعة » واتباع الروح الحــرة هــم انفســهم تــركوا روايات عن خبراتهم ، وجاءت أولا فترة كان خلالها على المبتدئين أن يمــارسوا

تقنيات مختلفة ، تتراوح بين نكران الذات وتعذيب الذات إلى تعهد الاستسلام المطلق واللامبالاة الموجهة لتشمل الحالة النفسية المرغوبة ، ثم بعد تمرين قد يدوم سنوات يأتي الجزاء ، « وروح الحرية أو الروح الحرة » ، كما قال أحد الأتباع : « يتم بلوغها عندما يتحول المرء تماما إلى رب وهذا الاتحاد كامل حتى أنه لا العذراء مريم ولا الملائكة قادرين على التمييز بين الانسان والرب ، وفيه يعود المرء إلى حالته الأصلية ، قبل أن ينشق عن الألوهية ، ويستنير المرء بالضوء الأساسي الذي يكون إلى جواره كل ضوء مخلوق ظلاما وتشويشا ، ويمكن أن يكون المرء حسب رغبته ، أبا أو ابنا أو روحا (ص ١٧٥) قدسية » ، ولم تكن هذه الادعاءات بأي حال استثنائية بين أخوة الروح الحرة .

واكد واحد من ملازمي بيت الفقر الطوعي في كولون انه كان « يتمتع كليا في الخلود » ، ومتحد مع الله حتى أن الملائكة لايمكنهم التمييز بينه وبين الله ، واصرت إحدى ملازمات بيت شويدنتز أنها كانت الرب إلى درجة مثلما كان الرب نفسه ربا وتماما مثل المسيح ، لم تكن قابلة للانفصال عن الرب، وتقول رسالة الناسك مثل هذا الشيء إلى حد كبير : « إن الرجل الكامل هو الرب .... ولأن مثل هذا الرجل هو الرب ، تأخذ الروح القدس كيانها الأساسي منه كما لو كان ذلك من الرب .... إن الرجل الكامل أكثر من رجل مخلوق .... لقد بلغ غاية الاتحاد الوثيق الذي بلغه المسيح مع الآب .... إنه الرب والانسان » ولكن رسالة الهرطقة المعروفة باسم شويستر كاتري هي التي تعطي البيان الأكمل إطلاقا فبعد سلسلة كاملة من النشوة التي « خلقت فيها روحها » ولكنها سقطت مرة أخرى ، مرت الأخت كاترين بإحدى تجارب النشوة التي حررتها تماما من حدود الوجود البشري ، وهاهي تصيح بكاثن الاعتراف – وهو نفسه من الواضح انه أحد أخوة الروح الحرة – : « ابتهج معي ، لقد أصبحت الرب ! » فيجيبها « الحمد للرب ، والآن دعي كل الناس ، وانسحبي مرة أخرى إلى وحدانيتك ، لأنك هكذا ستبقين الرب » وتدخل المرأة في حالة وجد عميق ، تخرج منه بتأكيد : « لقد

خلدت في قدسيتي الأبدية ، لقد جعلني المسيح كفؤا له ولايمكنني أبدا ان افقد تلك الحالة » .

ومثل هذه التجارب تختلف اختلافا كبيرا عن « وحــدة الوجــود الخفية » كما كان معروفا ومقرا من قبــل الكنيســة ، لأن « وحــدة الوجود الخفية » استضاءة آنية ، تمنح فقط من حين لآخر ، وربما مرة واحدة في العمر ، وأي طاقات يطلقها وأي ضــمانات يمنحهــا ، فإن الكائن البشري الذي يمر بهذه التجربة لاينخلع بذلك من حــالته البشرية ، فقد كان عليه كإنسان فان عادي أن يمضي حياته ويعيشها على الأرض ، وكان تابع الروح الحرة ، من جانب أخــر قــد شــعر بنفسه بأنه قد تحول كلية ، هو لم يكن في مجرد اتحاد مع الرب ، لقد كان مماثلا للرب وسيبقى كذلك إلى الأبد ، وحتى هــذا هــو تقــدير صور الفكرة بأقل مــن الحقيقــة ، لأن التــابع كثيرا مــاادعى أنه يبز الرب ، وادعت النساء في شــويدنتز أن ارواحهــا قــد بلغــت بجهودهن الخاصة كمالا أعظم ممــا كانوا يملكونه عندمــا انبثقــوا للمرة الأولى عن الرب ، وأعظم مما أراد الرب لهم أن يملكوا ، لقــد ادعوا أن لهم إمرة على الثــالوث المقــدس حتــى أنه بإمــكانهم أن « يمتطوه كما يمتطون السرج » ، وقال المهرطقون السوابيون لعــام ١٢٧٠ انهم قد علوا فوق الرب ببلوغهــم قيمــة عالية جــدا مــــن الألوهية وتحرروامن قيود الرب ، وكثيرا ما كان التــابع يؤكد أنه أو أنها « لم يعد في حاجة للرب » (ص ١٧٦)

وطبيعي بــدرجة كافية ، أن بلوغ الألوهية يوحــي بحيازة قــوى هائلة لصنع المعجزات ، واعتقــد بعض أخــوة الروح الحــرة أنهــم تسلموا أنعام النبوة ، وأنهــم عرفــوا كل شيء في الســماء والأرض وأنهم يمكن أن يقوموا بالخوارق بحيث يســيرون على الماء دون أن تبتل أقدامهم ، ويسيرون على ارتفاع ياردة فوق الأرض .

ولكن بالنسبة لمعظمهم كانت مثل هذه الادعاءات تــافهة ، لأنهــم شعروا بأنفسهم بأنهم كاملي القدرة بشكل واقعــي تمــاما ، وقــال

اسقف ستراسبورغ وقد تملكه العجب . « إنهم يقولون انهم خلقوا كل شيء وانهم خلقوا اكثر من الرب » وجعل الصوفي روزبروك خصمه المهرطق يتحدث كما يلي :

«عندما حللت في كياني الاصلي وفي جوهرها السرمدي لم يكن بي رب ، ما كنته اردت أن اكونه ، وماأردت ان اكونه كنته ، لقد كان بارادتي الحرة أني خرجت واصبحت على ما أنا عليه ، فاذا شئت لما كان بي حاجة أن اصبح اي شئ ولما كنت مخلوقا الان ، لان الرب يمكن ان يعرف ، ويريد ولايفعل شيئا بدوني ، ومع الرب خلقت نفسي وخلقت كل شيء ، إنها يدي هي التي تدعم السماء والارض وكل المخلوقات...وبدوني لاوجود لشيء » .

ومرة اخرى إن اي شكوك ربما يشعر بها المرء حول هذه الروايات يبددها المهرطقون انفسهم ، « عندما خلق الله كل شيء خلقت كل شيء معه....انا اكثر من الرب » هكذا قالت امراة في شويدنتز وتلخص رسالة الناسك في عبارة واحدة اندماج الحتمية الفعالة بحتمية القوى الخلاقة :
« الرجل الكامل هو سبب الثبات ».

مذهب الفوضوية الصوفية

من وجهة نظر علم نفس الاعماق ، يمكن القول ان كل الصوفية يبدأون مغامرتهم النفسية بانطواء عميق على الذات ، ومن خلال ذلك يعيشون كبالغين اعادة تنشيط لتخيلات الطفولة المشوهة ، وبعد ذلك على اي حال هناك مسلكان ممكنان : يمكن أن يحدث أن يخرج الصوفي من تجربته او تجربتها للانطواء على الذات ـ كمريض يخرج من تحليل نفسي ناجح ـ كشخصية اكثر تعاملا ، مع مجال متسع من التعاطف يكون اكثر تحررا من الوهم حول نفسه وحول ابناء جلدته من بني البشر ، ولكن يمكن ايضا ان يحدث ان يشرب الصوفي الصور الابوية العملاقة بقوتها ، وبمظاهر شديدة مغامرة

وبهيجة ، او يخرج كعدمي متحلل مصاب بجنون العظمة ، وكانت هذه الحالة الاخيرة ، هي حالة كثير من اتباع الروح الحرة .

وفي هذا الربط انه مما ينور القاء لمحة على الشخصية الغريبة لجان انطوان بولان (١٨٢٤ ـ ١٨٩٣) الذي اسس طائفة يقال إنه كان لها في وقت ما نحو ٠٠٠ر ٦٠٠ من الاعضاء ، ولاسيما في أوروبا الشرقية ، وقد اعتبرهذا الرجل نفسه « سيف الله » وانه مكلف بمهمة تطهير الارض من (ص ١٧٧) الدنس ومن كنيسة روما ، وانقاذ البشرية في الايام الاخيرة ، وقد اصدر احكاما غاضبة على الاكليروس ، الذين اعتبرهم مضطهدون له ، وحدث انه هو نفسه كان مندفعا في سلوكه الجنسي ، وكان يعلم اتباعه ممارسة « الزواج الصوفي » ، الذي كان يمكنهم من الانغماس في الفسق الجنسي دون « خطيئة اصلية » . وكان له نوق عظيم في الحياة المترفة ، ومن اجل الحصول على المال كان يخدع السذج بوسائل الوحي المفترض انه خارق للطبيعة ، وفي الوقت نفسه كان يوزع كثيرا من المال الذي كان يحصل عليه مرة ثانية على الفقراء ، وفي كل افعاله كان يتصرف كتابع متأخر نموذجي للروح الحرة ، وتظهر الدراسات النفسية وتحليل خطوط (بوصفها معبرة عن شخصية الكاتب) بولان ، المنشورة في ١٩٤٨ ، انه كان مريضا نموذجيا بجنون الاضطهاد والارتياب والعظمة واستحوذت عليه اوهام العظمة والاضطهاد ، وكان ايضا ذكيا ، مغامرا مليئا بالحيوية والمبادرة ، شخصيته مدفوعة برغبات غير مستقرة فزعة ، لاشباعها يستخدم ادق التقنيات للخداع احيانا ، واحيانا اخرى القسوة ، التي تطأ تحت الاقدام كل من هو اضعف منه . انه تفسير يوافق تماما كل ما نعرفه عن اخوة الروح الحرة في القرون الوسطى وخلفائهم الاحرار الروحيين .

وفي صورة وصفية أدبية معبرة كتبت نحو ١٣٣٠ في المعقل الرئيسي للهرطقة في كولون ، أورد الصوفي الكاثوليكي سوزو بشكل محكم ومصقول تلك الصفات التي في الروح

الحرة والتي جعلتها فوضوية بشكل اساسي ، ووصــف كيف انه في يوم احد مشرق ، بينما كان يجلس تائها في التأمل ظهرت في روحـــه صورة معنوية .

وخاطب سوزو الصــورة : مــن أين أتيت ؟ واجــابته الصــورة « أتيت من لا مــكان » اخبــرني مــن انت ؟ ــ « انا لا » ــ مــاذا تريدين ؟ ــ « لاأريد » ــ هذه معجـــزة! اخبــرني مــا هـــو اسمك ؟ ــ انا ادعى القفار التــي لا اســم لهــا ! الى اين يقــودك تبصرك ؟ ــ الى حرية غير مقيدة .

اخبريني ، ماذا تســمين الحــرية غير المقيدة ؟ « عندمــا يعيش رجل وفق هواه دون تمييز بين الرب وبين نفسه ، وبدون النظر قبل أو بعد...»

وما ميز اتباع الروح الحرة عن كل اتباع الطــوائف الأخــرى في العصور الوسطى هو بالضبط عدم اخلاقياتهم ، و بالنسبة لهم كان برهان الخلاص عدم معرفة شيء ، عن الضــمير أو الندم ، وتشــهد اقوالهم التي لا حصر لها على موقفهم :« كل من ينسب الى نفســه اي شيء يفعله ولا ينســبه كله الى الرب جـــاهل ، وهـــذا هـــو الجحيم ، ....ولا شيء في عمل انسان هو مــن عمله نفســه » ومــرة اخـــرى ، «إن الذي يعـــرف أن الرب يفعـــــل كل شيء فيه لن يخطيء ، لانه يجب أن لا ينســـب لنفســـه بـــل للرب كل مـــا يفعله » ــ «إن الرجل ذا الضمير هو نفسه شــيطان وجحيم وحـــاله عذاب تعذب نفسه . إن الحر في روحـــه يهـــرب مـــــن هـــــذه الأشـــياء » ــ « ولا خـــطيئة (ص ١٧٨)الا مـــا يعتقــد أنه خطيئة » ــ « وهكذا يكون المرء متحدا مع الرب حتى انه أيما فعــل انه لا يخطيء » ــ « انا انتمي الى حرية الطبيعة ، وكل ما تــرغب فيه طبيعتي اشبعه ....انا رجل طبيعي » ــ «الانسان الحر مصيب تماما في فعل كل ما يعــطيه السرور »إن هــذه اقـــوال نمـــوذجية ومضامينها لا يمكن ان تخطئها ، و شعر أن كل عمل كان يقوم بـــه

عضو من هذه النخبة بانه « لا يقع في وقته بل في الابــدية » وله دلالة صوفية كبيرة وقيمته بلا حدود ، وكانت هذه هــي الحــكمة السرية التي كشف عنها احد الاتباع لأحــد المحققين الذي كان متحيزا نوعا ما ، مع التأكيد بانها « كانت مستمدة من الأعماق الداخلية للمتاهة الالهية » وقيمتها أكبر بــكثير مــن كل الذهـــب الذي في خـــزانة ايرفورت ، واضاف «إنه من الأفضل ، أن يدمر العــالم كله أو يهلك تماما من أن يمنع رجل حر مر القيام بعمل تدفعه طبيعته الى القيام به »

وبعد أثنين وعشرين عاما من التكفير تسلم هنريش سوزو أمــرا من الرب بأن يتخلى عن سوطه و عن كل أدوات التعذيب و أن يتخلى عن الزهد الى الأبد ، و كان التابع الجديد للروح الحــرة يمضي إلى ابعد من ذلك بكثير ، حيث يولد من جديد في حالة يتوقف فيها الضمير عن العمل وتبطل الخطيئة ،و يشعر كارستقراطي يتمتع بمــزايا لا حدود لها ، و القوة التي استهلكت في تمارين الزهــد التــي يؤديهــا المتدرب على الرهبنة يجب أن تســتعاد الآن ، إن أيام المراقبــة قــد انتهت ، واصبح له الحق ان ينام في فــراش وثير ، ولم يعــد هناك مزيد من الصيام ، ومن الآن فصاعدا يجب تغذية البدن على افضــل اللحوم والأنبذة ، وأن يحتفــل كان ذا قيمــة روحية أعظـــم مـــن الاشتراك في تناول القربان المقدس ، وإن كأســا ذهبية الآن هــدية مناسبة اكثر من كسرة خبز ، وتغير المظهر الخارجي والوقفــة لدى المهرطقين ايضا ، واحيانا كانت تبقى قلنسوة البيغرد او البيغويين مهترئة ، ولكن لم يعد يسمع عن الملابس القليلة أو المرقعــة ، وكان الأتباع في شويتنز يمتعون أنفسهم بأي ملابس تــكون المبتــدئة قــد جاءت بها معها ويلبســون الملابس الناعمــة تحــت أرديتهـــم ذات القلانس ، وما أن أصبحت الأخت كاترين « ربة » أعلمها الكاهــن الذي تلقى اعترافاتها أن تضع قميصا ناعمــا « مــلابس كريمــة » وكان أخوة الروح الحرة احيانا يلبسون في الواقع ما يلبسه النبلاء. وفي العصور الوســطى عندمــا كان اللبــاس عادة دليلا يعتمــد عليه كمؤشر على المنزلة الاجتماعية ، كان طبيعيا أن مثل هــذا المســلك

بسبب الحيرة والاستياء ، واشتكى احد رجال الاكليروس قـائلا : « ليس لهم لباس موحد ، فأحيانا يلبسون وفق أحدث الأزياء المكلفة والفاخرة ، واحيانا اكثر الملابس بؤسا ، وكل ذلك حسـب الزمـان والمكان . ويعتقدون أنهم معصومون ، وهم يظنون أيضا أنه بالنسبة لهم كل نوع من اللباس مسموح ، وبتبني الملابس الكريمة بدلا مـن اسمال المتسولين ، رمز المهرطق(ص١٧٩)الى تحـوله مـن أدنى المراتب الفانية » الى عضو في الصفوة التـي تعتقـد أنهـا مخـولة بالسيطرة على العالم».

إذ انه يجب ان لا يظن ان اتباع الروح الحـرة كانوا يعيشـون في حالة من العزلة الكاملة او التأمل ، لقـد كانوا يتجـولون في العـالم ويتعاملون مع الناس الآخـرين ، وكان هـذا التعـامل مـن نوع غريب ، لأن القدرة على أن يصبح المرء ربا كانت تـؤدي الى رفض كل العلاقات الاجتماعية ولم يكن المذهب الاجتمـاعي للروح الحـرة مفهوما تماما ، مع أن النصوص التي تصـورها مـوجودة ومتفـق عليها ، فهناك وصف كتب في منتصف القرن الرابع عشر ، ويحتمل انه كان مبنيا على الملاحظة المباشرة لواحدة من البيغـويين ، كانت تقرأ كتاب عقيدتها امام البغرد المهرطق الذي كان يقوم بدور الموجـه الروحي لها :

«عندما يبلغ الرجل حقا المعرفة العظمى والعـالية ، فإنه لا يعـود مقيدا بالالتزام بأي قانون أو بأي أمر ، لأنه قد توحد مع الله ، ولقد خلق الله كل الأشياء لخدمة مثل هـذا الشـخص ، وكل مـا خلقـه الله ، على الاطلاق هو ملك لمثل هذا الرجل ....أنه سوف يأخذ مـن كل المخلوقات بقدر مـا تتـطلب طبيعتـه و تـرغب ، و لن يكون له وسواس أو ريبة تحرك ضميره بشأنها . لأن الأشياء المخلوقـة ملك له ... والانسان الذي تخدمه كل السماء على الناس والمخلوقات حقا أن تلتزم بخدمته وطاعته ، وإذا احد لم يطعه يكون بذلك مذنبا» وتؤكد ادبيات الهرطقة الباقية كل هذا ، وتقـول رسـالة الناسـك حـول « الرجل الكامل الذي هو اله وانسان ، إن كل شي مـوجود ملك له »

ويضع سويستر كاتري المذهب الاجتماعي للروح الحرة في مقابل خلفيته الافلاطونية المحدثة ، ويسير الجدل ، إن كل شيء يستعمل غيره ، الغزال يستعمل العشب ، والسماء الماء ، والطير الهواء ، و عليه إن الشخص الذي اصبح ربا يجب أن يستخدم كل الأشياء لأنه بذلك يدفع بكل الأشياء الى اصلها الأول ، والنصيحة التي تلقتها الأخت كاترين على الفور بعد تأليهها تفهم بالتعابير نفسها :

« انك ستأمرين كل الأشياء المخلوقة بخدمتك ، وفق مشيئتك ، لأن المجد للرب ....انك ستحملين كل شيءالى الرب . واذا اردت استخدام كل الكائنات المخلوقة فإن لك الحق في ذلك ، لأن كل مخلوق تستخدمينه تدفعينه الى اصله »

وكما في الأيام الأولى من الحركة ما برح التعبير عن هذا الموقف شبقا فاسقا ملونا بالصوفية ، ونقلا عن احد الأتباع : تماما كما أن الماشية مخلوقة لاستعمال الكائنات البشرية ، كذلك النساء مخلوقات لاستعمال أخوة الروح الحرة ، وفي الواقع إنه بمثل هذه الالفة الحميمة والعلاقة غير الشرعية اصبحت المرأة أكثر عفه من قبل! ، وهكذا إنها إذا كانت قد فقدت عذريتها من قبل إنها تستعيدها الآن ، ومن المهرطقين السوابيين في القرن الثالث عشر الى الرانترز في القرن السابع عشر جرى التعبير عن الفكرة نفسها مرات ومرات : فمن أجل « البراعة في الروح » إن الاتصال الجنسي (ص ١٨٠) لا يمكن تحت أي ظرف أن يكون مدعاة للخطيئة وكان يعتقد أن احدى العلاقات المؤكدة « للروح البارعة » هي بالضبط القدرة على الانغماس في الفسق ، دون الخوف من الرب أو وخز الضمير ، وكان بعض الاتباع ينسون شيئا من القيمة الصوفية الظاهرية الفائقة السمو للعمل الجنسي نفسه ، عندما يؤدي من قبل امثالهم . وقد اطلقت طليعة اهل الفكر على هذا العمل « متعة الفردوس_ وله » وهو اصطلاح يستعمل لتوكيد النشوة الصوفية ، وكانت أخوة الدم التورنجية في ١٥٥٠ تعتبره مقدسا

وتدعوه «تمسيح» ولدى الجميع على السواء كان للزنا قيمة رمزية كتأكيد للانعتاق ، وكما عبر عنه رانترس كلاركسون» حتى تقوم بما يدعى إثما ، إنك لم تتحرر من سلطة الخطيئة»

وفي هذا الاطار تصبح ديانة آدم التي كثيرا ما وجدت بين أتباع الروح الحرة مفهومه تماما ، ويحتمل امكانية استبعاد المرء لاداء المؤرخين أن هذه الديانة كانت لاتشمل الطقوس الجنسية المشتركة فمنذ أيام الكنيسة الأولى وما بعدها كانت مثل هذه القصص تروى بهدف تشويه سمعة مجموعات الأقلية ، وليس في الوثائق الموجودة ما يوحي أنها حتى عندما تحكي عن اتباع الروح الحرة هي روايات مسوغة ، ومن جانب اخر كان الاتباع احيانا يمارسون عريا طقوسيا ، تماما كما كانوا احيانا ينغمسون في الفسق الجنسي ، ولا شك انهم في كلتا الحالتين كانوا يؤكدون ـ كما عبر عن الأمر أحد المحققين ـ العودة الى حالة البراءة التي كانت موجودة قبل السقوط وقد رأى المعلق الذكي والدقيق الملاحظة كارلبيردي جيرسون العلاقة واضحة تماما ، وقد لاحظ أن «التورلوبان» كثيرا ما كانوا يرون عراة معا ، قائلين إن المرء يجب أن لا يخجل من كل شيء طبيعي واعتبروا عري المرء بلا خجل مثل آدم وحواء جزءا اساسيا من حالة الكمال على الأرض ، وكانوا يطلقون على ذلك حالة البراءة ، ومثل هذا ادعى زعماء طليعة أهل الفكر أنه كان لديهم طريقة خاصة للقيام بالعمل الجنسي كانت هي المتبعة من قبل آدم وحواء في جنة عدن ، وقد جعل الرجل نفسه من ذاته منفذا مهمة تدشين العصر الثالث والأخير ، ولم يكن التابع الوحيد الذي يدمج هذه التخيلات الأصلية اليائسة ، وفي ١٣٨١ أعلن تابع في ايخستات نفسه آدم الثاني ، الذي بحلوله محل المسيح كان يقيم العصر الثالث والأخير في صورة جنة أرضية تدوم حتى ترفع بكيانها الى السماء ، أما الأحرار الروحيون الذين شجبهم كالفن فقد أعلنوا انهم وجدوا طريق العودة الى الحالة التي استمتع بها آدم قبل أن يذوق معرفة الخير والشر ، وا نهم أيضا يعيشون في الأيام الأخيرة التي فيها تستبدل الشريعة المسيحية بشريعة جديدة أسمى ، وفي

الواقع يمكن للمرء (ص ١٨١) بالفعل أن يتعرف من هذه الهرطقة المتعلقة بالعصور الوسطى على هذا المزيج من الألفية والبدائية التي اصبحت واحدة من الصور الشائعة للرومانتيكية الحديثة ، وفي ديانة آدم أعيد خلق الفردوس المفقود وفي الوقت نفسه تأكد حلول الألفية ، والبراءة الابتدائية والمباركة قد أعيدت للعالم بوساطة الأرباب الاحياء الذين بلغت فيهم الخليقة كمالها وتسامت في الشعور.

فإذا كان لنعيم الجنة الجديدة أن يصبح متعة كاملة للاتباع فقط ، فإن فئات ما أخرى كان يمكنها أن تتوقه على الأقل ، ووجد دون الاتباع من «الأرباب الأحياء» طبقة غفيرة من الرجال والنساء الذين لقنوا تماما تعاليم الروح الحرة ، وكان هؤلاء الناس انفسهم صوفية ولكنهم لم يكونوا قد مروا خلال التجربة الحاسمة التي تحول الكائن البشري الى رب ، انهم بدلا من ذلك كانوا يتمتعون بتفوق بديل على البشر من خلال علاقتهم الخاصة مع التابع ، وكانت ماهية هذه العلاقة واضحة بدرجة كافية ، وبعد أن يصبح ربا يبدأ التابع الجديد في التماس الصلة مع الارواح التقية التي تنشد الكمال » ، و من هؤلاء كان ينتزع قسما بالطاعة العمياء كان يؤدى اثناء الركوع ، و كان هذا القسم يعبر ناسخا لكل نذر سالف بما في ذلك عهود الزواج ، و عن مثل هؤلاء الرجال قال كالالبيردي جيرسون إنهم قدموا وعدا بالطاعة المطلقة الى كائن بشري ، وتلقوا في مقابل ذلك تأكيد بأنهم لن يرتكبوا إثما ، انهم كانوا الناس الذين شكلوا وكونوا جمهور حركة الروح الحرة.

والعلاقة التي وجدت بين التابع والحواري مصورة بشكل مثير في اعتراف الراهب المرتد مارتن أوف ميذز الذي حوكم في كولون في ١٣٩٣ ، واحرق كمهرطق غير تائب وكان هذا الرجل ، الذي نشر هرطقة الروح الحرة في وادي الراين ، كان حواريا للمهرطق المشهور نيكولاس أوف بازل الذي ادعى انه مسيح جديد ، وفي رأي مارتن كان هناك طريق واحد للخلاص يمر عبر أداء الخضوع المطلق

لمعلم ، وكان هذا الاداء تجربة مريعة ، ولكت ماان تتم فــانها تجلب مزايا هــائلة لان نيكولاس كان المنبــع الحقيقــي الوحيد للمعــرفة والسلطة ، وكان بامكانه تفسير الاناجيل حيث انه حتى الحواريين لم يكونوا قادرين على تفسيرها ، وإذا رغب احد معلمي اللاهوت في التقدم الروحي عليه أن يضع الأناجيل في جانب ويقوم بأداء فروض الخضوع ، ونيكولاس وحده هو الذي يملك حــق تــرسيم الكاهــن وباقرار منه كان يفتقر الى هذا التصــديق ، فــانه كان عاجــزا عن القيام بعمل صــالح ، ولكن فــوق كل شيء ، إذا اتبــع المرء أوامــر نيكولاس فانه لا يأثم (ص ١٨٢) و يمكن للمرء ان يرتكب الزنا أو القتل دون تانيب إذا امر به ، و الأثم الوحيد هو عصــيانه او التنكر له ، وفي لحظة اداء الخضــوع له يدخــل المرء في حــــالة البــــراءة الابتدائية» .

وبين الجماعة المغلقة للروح الحرة وجمهور البشرية غير المتمتعة بالخلاص هناك خليج لا يمكن قياسه ولا عبوره ، وبالنسبة للعناصر العادية الفانية إن التــابع لا « يقيم لهــم اعتبــار يزيد على قيمــــة حصان» ، وفي عيونهم وجد الجنس البشري بشكل عام فقط ليستغل من قبلهم «الانتخاب الجارح للمشاعر» ومن هنا كانت عدم الامــانة السعيدة التي ذكرت قرنا بعد قرن على أنها من الخصائص الغــريبة لأولئك الذين هم فوق الطوائف الأخرى ، وما برح كالفن يلاحظ أن إحدى المواد الرئيسة في عقيدتهم : يجب أن يقوم التــابع بــأي دور يكسبه أكبر نفوذ ، وليس هناك شــك أن هؤلاء الناس قــد طــوروا مهارة اســتثنائية في الكذب والادعاء نشروهــا ليس فقــط لحمــاية أنفسهم من أعدائهم الاكليروس بل ليبعثوا الدفء في طريقهم في رضا الأرواح البسيطة.

وانه لغريب بدرجة كافية أن الاعتقاد نفسه بتفوقهم غير المحــدود هو في المقام الاول الذي حول اتباع الروح الحــرة الى حملة لمذهــب اجتماعي ثوري ، وبحلول القرن الرابع عشر قرر بعضهم على الأقل ان حالة البراءة لم تتمكن من أخذ سمه مميزة مــن مــؤسسة الملكية

الخاصة وفي ١٣١٧ أوضح اسقف ستراسبورغ : « انهم يعتقدون ان كل شيء مشترك ، لذلك فانهم يستخلصون ان السرقة مشروعة بالنسبة لهم ». وكان طبيعيا تماما في الواقع بالنسبة للتابع أن يعتبر كل شيء ، ملكا له . وقد توضحت هذه النقطة بدرجة كافية من قبل جوهان هارتمان ، وهو تابع قبض عليه في ايرفورت في الوقت نفسه الذي قبض فيه على اللطام المسائحي كونراد شمد بقوله :«إن الرجل الحر حقا هو ملك كل المخلوقات وسيدها جميعا ، وكل شيء ملك له ، وله الحق في استعمال كل ما يسره ، واذا حاول احد منعه . فان الرجل الحر قد يقتله وياخذ موجود اته » وكان اجون برون وهو تابع كان يعيش في بيت الفقر الطوعي في كولون حتى اكثر وضوحا . لقد قال : كان الرب« حرا » وعليه فقد خلق كل الاشياء « بشكل مشاع » ، وفي الممارسة كان هذا يعني ان كل الاشياء وجدت لتقتسم بين اصحاب «الروح الحرة » واوضح انه اذا امتلك اي شخص وفرة من الغذاء ، فذلك يوفر حتى يمكن أن يسعف احتياجات اخوة الروح الحرة ، وكان تابع الروح الحرة حرا في أن ياكل في حانة او فندق ثم يمتنع عن الدفع ، فاذا طالبه صاحب الحانة او الفندق بالمال يجب ان يضرب لان الطعام الذي يقدم مجانا لاحد التابعين كان « يتحول الى الخلود » ، وكانت هذه الفكرة شائعة بين اخوة الروح الحرة ، وماقيل عن الطعام قيل ايضا عن المال . وكل ما ينفقه تابع الروح الحرة « يتحول الى الخلود » ، او الى « الدرجةالاسمى للفقر » ونقلا عن جون برون ، اذا وجد تابع مالا على الطريق ، فان هذا يكون علامة على(ص ١٨٣) ان الرب يريده أن ينفعه مع اخوته ، وكان عليه بناء على ذلك ان يحفظه لهذا الغرض ، حتى لو طالب به صاحبه وحاول استرداده بالعنف . واذا قتل صاحب المال او حتى التابع نفسه في الصراع فان هذا لا يهم ، لأن روحا قد عادت إلى اهلها .

ولكن اذا سلمت النقود يكون التابع قد تراجع من « الابدية الى الدنيوية المؤقته الزائلة » ، واذا ساعد تابع مريضا كعمل خيري ، يجب ان يطلب الصدقة ، فاذا رفضت يكون حرا في أخذ المال بالقوة ،

ولاحاجة للحيرة حتى اذا مات الرجل من الجوع نتيجة لذلك وكان الغش والسرقة والسطو بالعنف كلها اعمال مسوغة ، وقد اقر جون انه ارتكبها جميعا وقال إنها كانت طبيعية بين نحو مائتين من البيغرد من معارفه ، وهناك ادلة على ان هذه كانت في الواقع ممارسات عادية بين اخوة الروح الحرة ، وكان من اقوالهم : « كل ما تراه العين وتشتهيه فلتاخذه اليد »

ودام هذا الموقف حتى القرنين السادس عشر والسابع عشر ووصف كالفن الاحرار الروحانيين بأنهم يعتقدون ان احدا يجب ان لايملك شيئا لنفسه ولكن لكل امرىء ان ياخذ كل ما يمكنه ان يضع يديه عليه ، واذا كان هذا كله مجرد تسويغ للسرقة إنه قليل الاهمية ، لان اللصوص المحترفين لاحاجة عندهم لمذهب ، والناس الاخرين لن يتاثروا او ينفعلوا ، ولكن ماراد اتباع الروح الحرة قوله في الواقع حول الملكية الخاصة كان ذا مضامين اكثر اتساعا : «اعطوا اعطوا اعطوا ، تخلوا عن بيوتكم وجيادكم واراضيكم وبضائعكم، تخلوا ، ولاتعتبروا أن شيئا يخصكم ، ليكن كل شيء مشاعا . كانت هذه صيحة رانتر ابييزر كوب تردد اصداء صيحة جون برون قبل ذلك بثلاثة قرون : « إن كل الاشياء التي خلقها الله مشاع » واصبحت القوة الكاملة لهذه العبارات ظاهرة عندما ادرك على انها استمرار لتقاليد خاصة من النقد الاجتماعي لم تكن متطرفة جدا فقط ولكن كما سنرى ، كانت بالفعل قديمة جدا

وكتب العرض المقدم اعلاه حول تاليه الذات والفوضوية الصوفية لاتباع الروح الحرة قبل عدة سنوات من نشر نص مرغريت بوريت « مراة الارواح البسيطة » من قبل الاستاذ غاريذير ، حيث ان هذا هو النص الوحيد الكامل الذي كتبه تابع من العصور الوسطى وعرف انه نجا ، ويقتضي بعض الاهتمام به ، حتى مع المخاطرة ببعض التكرار .

ومن الواضح ان الكتاب عمل خاص ، كما تقول المؤلفة نفسها ،

ولهجته لاترمي الى ان تكون مفهومة من قبل العناصر الفانية البسيطة التي تعيش وفق ما يمليه العقل ، ولقد كتب ليكون برنامج تعليمات ، يجب ان تتلى بصوت مرتفع على مجموعات ممن سيصبحون اتباعا للروح الحرة ، وموضوعة (ص ١٨٤) هو صعود الروح نحو الحرية الكاملة .

وتتقدم الروح عبر سبع مراحل : الثلاثة الاولى منها مكرسة لنكران الذات والطاعة من قبل الزاهد ، والذي بعده في المرحلة الرابعة ، تبلغ الروح حالة من النشوة التي اعميت بوساطة ضوء الحب المشع ، ولكن مع ان الروح قد تعتقد انها قد بلغت بالفعل مرحلة الاتحاد مع الرب ، فانها تكون ماتزال في البداية فقط من مرحلة الصعود ، وفي المرحلة الخامسة تعرف اثمها ، والخليج الهائل الذي مايزال يفصلها عن الخير الكامل وهو الرب ، وعند هذه النقطة يغمرها الرب في فيض شامل من الحب والنور يتغلغل الى داخل نفسه ، حتى أن ارادة النفس تتوحد مع الارادة الالهية .

وحتى الآن ، لا شي يميز هذا الصعود عن ذلك المعروف لدى الصوفية الأصوليين . ولكن في المرحلة السادسة يبدأ الافتراق : إن الروح تتقدم في الألوهية وعند هذه النقطة لا شيء يبقى بعد سوى الرب فالروح لا ترى إلا نفسها التي هي الرب ، في حين أن الرب يرى عظمته الالهية في هذه النفس وهذا التماثل الكامل بين الروح والرب يقع تماما خارج تجربة الصوفية لدى الكاثوليك ، وهكذا تفعل المرحلة السابعة والأخيرة من الصعود ، حيث تبتهج الروح بشكل دائم ، وهي ماتزال على هذه الأرض في البهاء والبركة التي تحفظها الديانة الأصولية للفردوس.

وهذا التأليه للنفس ممكن لأن الروح موجودة في الرب منذ الأزل. إن الروح والرب واحد ، مثل اللهب والنار شيء واحد ، إنها تأتي من الرب وتعود الى الرب كقطرة ماء تأتي من البحر ثم تعود اليه ، وفي الواقع إن الرب هو كل شيء كائن ، لذلك بالعدمية في الله

تعود الروح الى التوحيد مع الكائن الاصلي .إنها أيضا توحدت في الحالة الابتدائية للبراءة التي تمتع بها آدم قبل سقطته ، وبذلك تحررت من نتائج الخطيئة الأصلية واصبحت بلا خطيئة ، وعلاوة على ذلك اصبحت غير قادرة على الاثم . وليس لهذه الروح مشيئة سوى مشيئة الرب التي تجعلها تريد ما يجب أن تريده ، وهذا بدوره يعني أنها حرة تفعل ما يسرها وبناء عليه لا يفعل الاتباع الا ما يسرهم ، إذ انهم إذا لم يفعلوا يحرمون انفسهم من السلام والحرية والنبل ، لأن الروح لاتصح حتى تفعل ما يسرها ، وهي لا تلام على تمتعها ، وحيث ان الحب ، اعني الرب قد أقام في النفس فانه يتولى كل شيء وكل الافعال ، لهذا لا تعاني الروح قلقا أو ندما . وأيا كانت الأفعال الخارجية هي أعمال الرب ، تعمل في الروح.

وبارتفاعها الى ما وراء حدود البشرية تمر الروح في حالة من اللامبالاة الشاملة ، لا تبالي فيها بشيء ، لا بالكائنات البشرية الأخرى ، ولا حتى بالرب ، وهي حتى لا تعني بخلاص نفسها : ومثل هذه الأرواح لا يمكن أن ترى نفسها خيرة أو شريرة (ص ١٨٥) ، فهي لا تعي نفسها وهي لا تستطيع أن تحكم إذا ما كانت مؤمنة أو ضالة،واهتمام المرء بمثل هذه الأمور هو عودة الى الارادة الذاتية وضياع للحرية .

وحيث أن الخلاص قد أصبح أمرا لا يستحق المبالاة ، والمساعدات على الخلاص التي قدمها أو اوصى بها المسيح اصبحت أيضا أمرا لا يستحق المبالاة ، ولم يعد للقربان المقدس ولا للوعظ ولا للزهد ولا للتأمل اي قيمة ، وشفاعة العذراء والقديسين اصبحت بلا معنى ، وفي الواقع إن الروح المؤلهة لا حاجة لها حتى الى الرب نفسه ، وما أن يتم الوصول الى السكون المطلق للوحدة الالهية ، لا المعرفة ولا الحمد ولا حتى محبة الله تبقى موجودة .وعند اعلى نقطة في الكيان يهجر الرب نفسه بنفسه في نفسه ، بمعنى ان رب المسيحية قد تم التخلي عنه لصالح رب النشوة في وحدة الوجود.

ونحو الأمور الأرضية أيضا ، تشعر الروح المؤلهة فقط باللامبالاة العميقة ، ولا تشعر هذه الروح بـأي ألم بسـبب أي خـطيئة قـد ارتكبتها قط ، ولا من أجل ما عاناه الرب من أجل هذه الروح ، ولا من أجل الخطيئة والآلم اللذان يرزح تحتهما جيرانها وأفـكار مثـل هذه الأرواح إلهية الى درجة أنها لا تقلق نفسـها بـالأشياء التـي خلقت ، وفي الوقت نفسـه إن هـذه الأرواح حـرة في اسـتعمال كل الأشياء المخلوقة لأغراضها الخاصة : لماذ ينبغي أن تشعر مثل هذه الأرواح بتأنيب حول أخذها لما تريد ، عندما تدعو الحـاجة اليه؟إن هذا يكون نقصا في البـراءة واعاقـة لذلك السـلام الذي تسـتريح فيه الروح من كل الأشياء.... ومثل هذه الأرواح تستعمل كل الأشياء التي صنعت وخلقت ، والتي تتطلبها براحة فكرية كمـا يسـتعملون الأرض التي يسيرون عليها» .

وعلى هذا يؤكد كتاب مرغريت بـوريت تمـاما فـكرتنا عن الروح الحرة وهو تفسير بني خطوة بخطوة على أنواع من المصادر المعيبـة ويعرض على انه صـحيح الجـوهر ، وكمـا اكدت مـرغريت تكرارا ، أنها كانت تخاطب الصـفوة فقـط ، أولئك الذين تـدعوهم «الكنيسة العظمى» ، تمييزا لهم عن «الكنيسـة الصـغرى» وهـى الكنيسة المؤسساتية في روما ، وهي بهذه الصفوة تبشر في الواقـع بمذهب تأليه الذات والفوضوية الصوفية.

وفي نقطتين فقط تختلف تعاليم مرغريت عن تلك التي تنسـب - لنقل - الى جوهان هـارتمان ، أو جـون بـرون ، أو الأحـرار الروحـانيين لكالفن. ومـرغريت لم تقتـرح في أي مـكان ، أن الروح المؤلهة _ أو كما يمكن أن نقول أن تابع الروح الحـرة _ ينغمس أو يجب أن ينغمس فيما كان يعتبر عادة خطيئة مثل السرقـة والفسـق الجنسي ، وباستثناء التلميح هي لم تقل شيئا (ص ١٨٦) أيضا حول الموجودات ، وليس هناك ما يدهش في ذلك فـاذا تفحص المرء مادة رانتر في ملحق الكتاب الراهن يجد انه بينما يشـترك كل هؤلاء الكتاب في المذهب الصوفي نفسه إنهم يختلفون في النتائج العملية التي

- ١٦٥٤ -
يستخرجونها منه ، وستظهر الفصول التالية على أي حال أي ثورية وفوضوية كانت منضوية تحت بعض نواحي الروح الحرة.

الفصل العاشر

حالة المساواة في الطبيعة

في الفكر القديم

مثل التخيلات (ص١٨٧) الأخرى التي مضت في بناء الايمان الثوري بالأخرويات في أوربا يمكن تعقب تخيلات المساواتية والشيوعية رجوعا الى الوراء الى العالم القديم ، لقد ورثت أوروبا العصور الوسطى عن الأغريق والرومان فكرة « دولة الطبيعة » كدولة الشؤون التي يتساوى فيها كل الناس في المنزلة والغنى والتي لا يضطهدفيها أحد أو يستغل من قبل أي شخص آخر ، دولة شؤون تتميز بالعقيدة الخيرة والحب الأخوي وأحيانا أيضا بالمشاركة التامة بالملكية وربما حتى في الزواج.

وفي كل من الأدبين الاغريقي واللاتيني عرضت دولة الطبيعة على انها وجدت على الأرض في عصر ذهبي فقد من زمان طويل أو « حكم ساتورن » (اله الزراعة عند الرومان) وكان صدى نص الاسطورة في مسخ أو فيد قد تكرر في الأدب التالي ليحدث تأثيرا هائلا في الفكر الشيوعي خلال العصور الوسطى ، ونقلا عن أو فيد ، في بداية التاريخ البشري ، في ذلك العصر الذهبي الأول قبل خلع ساترون على يدي جوبتير اعتاد الناس أن يغرسوا عقيدة الخير والفضيلة بشكل عفوي دون قوانين ، ولم يكن العقاب والخوف موجودين ،ولم تكن عبارات التهديد تقرأ من لوائح برونزية ثابتة..... ولم تكن الأرض نفسها مضطربة ولم تمسها المسحاة ، ولم تفكها سكة اي محراث ، تعطي الأرض نفسها بمشيئتها الخاصة ...» ولكن كان لا بد ان يأتي اليوم الذي هرب فيه الخجل والحق والعقيدة

الخيرة ، وحل محلهم الخداع والاثم والتآمر والعنف والشهوة الخبيثة للتملك... والمسح والحذر الذي يعلم بخطوط الحدود الطويلة الأرض التي كانت حتى اليوم ملكية مشتركة مثل اشعة الشمس والنسيم... والآن ينتج الحديد الضار والذهب الذي هو اكثر ضررا من الحديد ، وهذه أوجدت الحرب...وان يعيش الناس من الذهب...»

وكان ساتورن احيانا قد صور من قبل فرجيل على أنه التجأ الى ايطاليا بعد خلعه عن العرش الأوليمبي ومن ثم اقام عصرا ذهبيا على التراب الايطالي ، ويعطي احد معاصري او فيد الذي كان عمله ايضا مالوفا جدا لدى علماء العصور الوسطى وهو المؤرخ غنويوس بومبيوس تروغس رواية مشرقة عن ذلك الحكم المبارك وعن العيد السنوي الذي كان يخلد به (ص ١٨٨) :

« لقد كان اول سكان ايطاليا من أهل الفطرة وكان ملكهم ساتورن كما يقال عادلا جدا ، حتى أنه تحت حكمه لم يستعبد أحد و ايضا لم يختص احد بأي ملكية خاصة ، بل إن كل شيء كان ملكا مشتركا للجميع ودون تقسيم ، كما لو كان هناك ميراث واحد لكل الناس ، وتخليدا لهذا المثال رسم أنه خلال عيد الاله ساتورن يجب أن يعطي الجميع حقوقا متساوية حتى أن السادة والعبيد يجلسون معا في الولائم ، دون اي تمييز »

وكا بين الكاتب الساخر الهجاء لوسيان في القرن الثاني الميلادي ، أن مضمون الأسطورة يبقى اكثر توكيدا للمساواة ، وفي مخاطبته لرب العصر الذهبي ابدى لوسيان دهشته :

«اسمع الآن الشعراء يرددون انه في الأيام القديمة ، عندما كنت ملكا كانت الأشياء مختلفة في هذا العالم ، فالأرض تحمل ثمارها للناس دون بذر أو حرث ، ولكل رجل مائدة معدة تماما ، وعليها اكثر مما يكفي ، انهار تجري بالنبيذ واخرى بالحليب وغيرها بالعسل ، واهم من كل ذلك ، يقولون انه في ذلك الوقت كان الناس

أنفسهم من الذهب ، لم يقربهم الفقر أبدا ، في حين أننا بالكاد من الرصاص ، بل الحري إن بعضنا حتى من معدن أحط ، ومعظمنا يأكل كسرة الخبز مغمسة بعرق مرفقة ، وهو مرهق الى الأبد بالفقر والعوز والعجز ، يصرخ وا أسفاه ، وياله من قدر! هكذا نعيش نحن الفقراء ، وصدقني إن هذا كله أقل إزعاجا لنا لو أننا لا نرى الأغنياء يتمتعون بمثل هذا الوقت الطيب ، مع الكثير من الذهب والفضة في خزائنهم ، كل هذه الأثواب والعبيد والعربات والضياع و المزارع ، يملكون فيضا من كل هذه الأشياء و لا يتنازلون حتى بالقاء نظرة الينا ، نحن السواد الأعظم ، دع عنك مقاسمتنا أي شيء »

وقدمت دولة المساواة الطبيعية موضوعا للتأمل الفلسفي للأدب والشعر ، وكان تحت الستار الفلسفي أكثر منه تحت المظهر الأدبي أن أثرت الفكرة في النظرية السياسية للعصور الوسطى ، وسلفا من قبل في القرن الثالث ق.م كان الرواقيون اليونانيون يؤكدون بقوة أن جميع الناس أخوة ، وعلاوة على ذلك أن الجميع كانوا بالطبيعة احرارا ومتساوين ، ويبدو أن مؤسس الرواق القديم ، زينو نفسه قد استهل تعاليمه بوصف مجتمع عالمي مثالي يعيش الناس فيه كقطيع كبير من الغنم في مرعى واحد مشترك ، وتختفي فيه فروق العرق والولاء السياسي ، وربما المنزلة والمزاج الفردي ويتوحد فيه كل الناس في مشاركة تامة في الشعور والارادة ، وعلاوة على ذلك إن الديانة الرواقية التي استمدت بقدر كبير من علم التنجيم الكلداني وتركزت على عبادة الأجسام السماوية سرعان ما خصصت موضعا فريدا في اهميته لاله الشمس الذي كان مشهورا كمحسن كريم مبرز وفوق كل شيء عادل ، وفي الاندماج التام للضوء بالشمس (ص ١٨٩) راى بعض الرواقيين المثل الأعلى للعدالة الاجتماعية وحتى للاشتراك في الموجودات ، وهي فكرة أصبحت بسرعة وبقيت طويلا شائعة في علم الخطابة ولغة المساواة .

ويبدو ان العملين الذين كتبا تحت تأثير رواقي قوي — ويحتمل

ان احدهما كان في القرن الثاني ق.م والثاني في القرن الثاني بعد الميلاد ـ يصوران بحيوية كبيرة نوع التخيلات المساواتية التي كان العالم القديم قد ورثها للعصور الوسطى ، واقدم الاثنين هو وصف لجزر المباركين الذي بقي فقط في الملخص الذي وضعه المؤرخ اليوناني ديودورس سيكيولاس Diodorus Siculus في مكتبته التاريخية ـ في الصورة التي حقق بها وترجم كعمل مستقل عشرات المرات خلال عصر النهضة ـ لقد كرست الجزر السبعة للشمس وسكنها رجال الشمس Heliopobtans ، وكل يوم على مدار الشهر تمر الشمس مباشرة فوق الجزر ، بنتيجة أن الأيام بقيت دائما بطول الليالي نفسها بالضبط ، والطقس جيد بصورة دائمة والفصل صيف لايتبدل تكثر فيه الثمار والأزهار .

وكان سكان كل جزيرة مقسمين الى اربع قبائل ، كل منها ٤٠٠.. من الأقوياء ، وكل الرعايا لهم البنية التامة الصحية نفسها والملامح الجمالية التامة نفسها ، وكل يأخذ دوره ليؤدي كل مهمة ضرورية كصياد او سماك ، أو في خدمة الدولة ، وتستخدم كل الأراضي والماشية والعدد بالدور من قبل كل مواطن وعليه فانها ليست ملكا لأحد بشكل خاص ، والزواج غير معروف والفسق الجنسي تام ، والقبيلة مسؤولة عن تربية الأطفال ويتم هذا بطريقة تجعل الأمهات لايتعرفن على اطفالهن وغياب الوارثين بالتالي يزيل كل سبب للتنافس او التباري ، ويعطي قانون الطبيعة الذي يعمل بين الأرواح غير المشوهة سلاما وانسجاما كاملين لاينضبان ، وفي الحقيقة انه في نظام بهذا القدر من المساواة لايمكن تخيل للشقاق ، وحتى في توقعاتهم الحياتية ان رجال الشمس كلهم متساوون ، حيث يموت الكل طواعية وسلميا ، وهم في ذروة قوتهم في عمر ١٥٠ سنة .

والعمل الآخر ايضا معروف فقط من خلال مقتطفات حفظها كاتب متأخر ، واولى كليمنت الاسكندري في مجال الهجوم على

المهرطقين الغنطوسيين الذين رأهم يتكاثرون حوله اهتماما لبعض المتعصبين الذين سماهم كاربو كراتيانز والذين نسب الى مؤسسهم رسالة كتبت بالاغريقية بعنوان « في العدالة » ويبدو ان البحث الحديث يستبعد احتمال ان الغنطوسيين كانوا مسؤولين عن هذه الرسالة،وليس هناك على اي حال من سبب في الشك في ان تلك الرسالة نفسها كانت موجودة او في ان اقتباسات كليمنت منها كانت دقيقة ، ومرة اخرى يجد المرء مذهبا للمساواة المطلقة مؤيدا بمثال الشمس الخيرة المتجردة غير المتحيزة ، حيث انه طبقا لهذه الرسالة:
« ان عدالة الرب مشتركة في تساويها » فالسماوات تغلف الأرض بالتساوي في كل الجوانب ، ويعرض الليل كل النجوم (ص ١٩٠) بالتساوي ، وبالقانون الالهي تشرق الشمس بالبهاء نفسه على الغني والفقير ، على الحاكم وشعبه ، على الجاهل والحكيم وعلى الرجال والنساء وعلى الحر والعبد وعلى الحيوانات من كل الأنواع الطيبة والشريرة ، ولايستطيع احد أن يأخذ منها اكثر من نصيبه من الضوء أو يسلب جاره نصيبه منه ، وقد وهب الرب ايضا نعمة البصر للجميع على السواء دون تفرقة أو تمييز ، ليستمتع بها بالتساوي وبشكل مشترك ، وحرص على أن تقدم الشمس الغذاء لكل الحيوانات على السواء ، الغذاء الذي يتمتع به الجميع بالتساوي وبصورة مشتركة .

وبهذه الطرق أقام الله ماعناه بعد الة تسمو فوق كل تساؤل وكانت في الأصل ارادته انه يجب ان يطبق المبدأ نفسه على كل الاشياء ، على الأرض وثمارها وعلى كل الموجودات من كل نوع ، لقد خلق الله الكرم والحب وكل الثمار لمنفعة الجميع ، وفي البداية قدمت نفسها بلا ثمن لكل عصفور ، ولكل عابر سبيل
ولكن القوانين التي هي من صنع الانسان زعزعت القانون الالهي ودمرت النظام الاشتراكي الذي تبدى فيه هذا القانون ، لقد كانت هذه القوانين البشرية هي التي اوجدت التمييز بين لي ولك ، حتى ان الأشياء التي كانت بحق ملكا للجميع لم يعد التمتع بها مشتركا ، وكان هذا الانتهاك للاشتراكية والمساواة هو الذي دفع

الى السرقة والى كل الجرائم وعلاوة على ذلك قصد الله ان يتزاوج الرجال والنساء بحرية حسبما ما برحت الحيوانات تفعل ، وفي هذا المجال ايضا نجد أن المشاركة والمساواة شرعت بالعدل الالهي ودمرت من قبل بني البشر انفسهم .

وفي تضاد مع بعض اليونانيين لم يعد لدى الرواقيين الرومان ـ كما يمكن التوقع ـ اهتمام في الدعوة للمساواة ولكنهم اقروا بانه حدث ذات مرة في عصر ذهبي منذ امد طويل ان عاش الناس معا في حالة من المساواة ، وافضل نص شامل لتعاليمهم في هذا الموضوع قدمه سينكا Seneca في عدد من الفقرات والتالي مثال جيد منها : « لقد كانت أوقاتا سعيدة عندما كان سخاء الطبيعة رهن الاستخدام دون تفرقة من قبل الجميع ، قبل ان يحدث البخل والتلهف على الترف والانقسام بين الناس حيث تحولوا من الصداقة الى سرقة بعضهم بعضا .. وفي الحقيقة ليس هناك حالة للبشرية تسمح لأي انسان بان تكون له قيمة اكبر من ذلك واذا كان للرب ان يسمح لأحد أن يصنع كائنات ارضية ، وان يضع العادات للناس ، لن يحاول المرء شيئا آخر سوى ماقيل عن ذلك العصر عندما لم يكن هناك عمال تفلح الأرض ولم يكن يسمح لأحد ان يحدد او يقسم الأرض ، وعندما كان الناس يضعون كل شيء في مخزن مشترك ، وكانت الأرض تحمل كل شيء بحرية اكثر لأن أحدا لم يطالبها ، من الذي يمكن أن يكون اسعد من ذلك العرق من البشر ؟ وكل ماانتجته الطبيعة كانوا يتمتعون به بصورة مشتركة لهذا كانت الطبيعة تفي بالغرض مثلها مثل الأم والحارس لكل الناس ، وكان الكل في أمان بامتلاكهم للثروة العامة ، لماذا لاأدعو هذا اغنى (ص ١٩١) عروق الانسان ، عندما لم يكن هناك انسان فقير ؟ ولكن البخل غزا هذا الترتيب الذي هو افضل مايمكن ، وفي حين كان يرمي الى الاستيلاء على كل شيء وادعائه لنفسه انتهى بان جعل كل شيء ملكا للآخرين واختزل نفسه من غني غير محدود الى فقر مدقع ، لقد سبب الجشع الفقر وبالرغبة في كثير من الأشياء خسر كل شيء ، والآن سيكد الجشع ليسترجع مافقده ، وقد يضم

-١٦٦١-

الحقول الى الحقول ، ويطرد جيرانه بالمال او بالقوة ، ويوسع ضياعه حتى تصبح في حجم اقليم ، ويدعى ان السفر الطويل في اراضيه تماما كامتلاكها لكن مامن مد للحدود بلا مدى يمكن ان يعيدنا الى ما تخلينا عنه ، وعندما نفعل كل شيء سنملك الكثير ولكننا ملكنا العالم كله مرة لقد كانت الأرض نفسها اكثر خصوبة عندما لم تفلح وكانت وفيرة بحيث تلبي احتياجات كل الناس ، الذين لم يخطفوها من بعضهم بعضا ، ولم يكن السرور بالعثور على ماجادت به الطبيعة اكثر من السعادة باطلاع الآخرين على ماوجدوه ولم يكن لأحد ان يحصل على اكثر او اقل من اي انسان آخر ، لقد كان الناس يتقاسمون كل شيء بصورة مشتركة واتفاق مشترك ، ولم يكن القوي بعد قد وضع يديه على من هو اضعف ، ولم يكن البخيل بعد قد أخفى الثروة لينكر حقوق الآخرين في ضروريات الحياة ، لقد اعتنى كل واحد بجاره مثلما اعتنى بنفسه .....» لكن ـ وهذا كان محورا لكل هذا الجدل ـ كان سينكا قانعا بان نظام المساواة القديمة لم يفقد فقط ، بل فقد بالضرورة فمع مرور الزمن اصبح الناس اشرارا ، وما ان حدث ذلك حتى باتت مؤسسات مثل الملكية الخاصة ، والحكومات الاستبدادية والتفريق في المنزلة ، وحتى العبودية ليس فقط الزامية بل ضرورية ايضا ولم تكن فقط نتائج بل ايضا علاجات لفساد طبيعة الانسان وكان في هذه الصورة وبفعل ثقل هذه الصفات ان تم تبني فكرة دولة المساواة البدائية الطبيعية من قبل الآباء وادمجت في النظرية السياسية للكنيسة .

في فكر آباء الكنيسة الأول وفي القرون الوسطى

على الأقل مع القرن الثالث للميلاد تمثلت العقيدة المسيحية فكرة دولة المساواة الطبيعية في الفلسفة الرواقية ذات التأثير الاستثنائي ، والتي كانت قد فقدت بلاعودة ، ومع انه كان ممكنا بالكاد الكلام عن التنظيم الاجتماعي والاقتصادي لجنة عدن ، تدبر

علماء اللاهوت الاصوليون مع ذلك أمر استخدام الاسطورة اليونانية – الرومانية ليصوروا عقيدة السقوط .

وفي مركز نظرية المجتمع هذه يقف التمييز بين دولة الطبيعة التي (ص ١٩٢) كانت مبنية على القانون الطبيعي والتي تعبر مباشرة عن المقاصد الربانية ، والدولة التقليدية التي خرجت من و أقرت بوساطة العادة،ولقد كان متفقا عليه من قبل معظم الآباء المتأخرين أن عدم المساواة والعبودية والحكومات الاستبدادية وحتى الملكية الخاصة لم يكن لها دور في المقاصد الأصلية للرب ، و ظهرت فقط كنتيجة للسقوط ومان حدث السقوط من جانب آخر حتى بدأ تطور جعل من هذه المؤسسات أمرا لامفر منه ، والطبيعة البشرية التي فسدت بالخطيئة الأولى قد أصبحت تتطلب القيود التي لاتوجد في نظام مساواتي و لم تكن عدم المساواة في الثروة والمنزلة والقوة فقط نتائج بل علاجات ايضا للخطيئة ، والتوصيات الوحيدة التي تسمح بها مثل هذه الفكرة كانت توصيات موجهة نحو الأفراد وتتعامل فقط مع مشكلات السلوك الشخصي ان السيد يجب ان يتصرف بلطف وتعقل تجاه عبده ، فهو عزيز على الرب بقدر ماهو نفسه عزيز عليه ، وان على الغني التزام اخلاقي هو أن يعطي الصدقات طواعية ، وأن الغني الذي يستخدم ثروته للأغراض الشريرة يخسر حقه فيها ، وهكذا كانت النتائج العملية المستمدة ، في حدود الأصولية ، ومن مذهب دولة المساواة الابتدائية الطبيعية ، لقد كانت نتائج هامة وقد أثرت على الحياة النصرانية بطرق عدة ولكنها لم تفرز ولم تكن ترمي ايضا الى افراز مجتمع بدون اغنياء وفقراء ، دع عنك بلا ملكية خاصة .

ومع ذلك فلقد كانت تعاليم الكنيسة فوق كل شيء هي التي خلدت فكرة ان المجتمع الطبيعي كان مجتمع مساواة ، وقد درس كثير من الآباء مفصلا وطويلا موضوع المساواة البدائية للطبيعة البشرية ، وفعلوا ذلك بشكل خاص في مناقشتهم لمؤسسة العبودية (الرق) ، فلقد أقرت الكنيسة الرق والحث على واجب طاعة

العبد وخضوعه حتى للسادة القساة ، ولكن هذا لم يمنع مثلا عالم اللاهوت صاحب النفوذ في القرن الرابع والمعروف باسم « أمبروز ياستر Ambrosiaster » من أن يذكر السادة بدورهم بان الله لم يخلق عبيدا واحرار بل خلق الناس كلهم احرارا وفي مدينة الله للقديس أوغسطين Augustine عرضت هذه الفكرة نفسها بكل وضوح ممكن بقوله :

« ان نظام الطبيعة قد سقط بمرور الزمان ، وهكذا خلق الرب الانسان لأنه قال : (لتكن لهم السيادة على السمك في البحار وعلى الطيور في الهواء ، وعلى كل شيء يزحف على الأرض) وبخلقه الانسان على صورته ، كائنا عاقلا اراد ان يجعله سيدا فقط على الكائنات غير العاقلة وليس انسانا سيدا على انسان بل انسانا سيدا على البهائم .... والسبب الأول للعبودية هو الخطيئة ، ولها خضع الانسان للانسان بقيود منزلته .... ولكن بالطبيعة التي خلق عليها الرب الانسان من قبل فلا احد عبد لاللانسان ولا للخطيئة » (ص ١٩٣)

وعلى الرغم من حقيقة ان الكنيسة نفسها قد اصبحت تملك عددا كبيرا من العبيد ، فان الفكرة التي عبر عنها القديس اوغسطين بقيت الفكرة الأصولية خلال العصور الوسطى ، ولقد كان ذلك ايضا حكم محامي الاقطاعيين المدنيين ، ويمكن ان يعتبر رأي المشرع الفرنسي الشهير بومانوار من القرن الثالث عشر ممثلا للرأي المعتاد لدى مفكري العصور الوسطى بقوله : « مع انه يوجد الآن طبقات عديدة من الناس ، فانه صحيح ان الجميع كانوا في البداية أحرارا وعلى القدر نفسه من الحرية ، حيث ان كل واحد يعرف اننا جميعا قد تحدرنا من أب واحد وأم واحدة ......»

وغريبة هي الطريقة التي اندمج بها المذهب الكاثوليكي وحافظ على فكرة ان كل الأشياء على الأرض يجب ان تكون ملكا مشتركا لكل الكائنات البشرية ، وفي القرن الثالث نجد ان العبارات الأصلية

للرواقيين تتكرر من قبل القديس سيبريان حين أوضح ان نعم الرب قد اعطيت لكل الجنس البشري ، فالنهار يلقي الضوء على الجميع والشمس تشرق فوق الجميع ، والمطر يسقط والرياح تهب من أجل الجميع ، وبهاء النجوم والقمر ملكيته مشتركة ، هكذا احسان الرب غير المتميز ، والانسان الذي يقلد عدالة الرب يجب ان يقتسم ممتلكاته مع رفاقه المسيحيين ، وبحلول النصف الثاني من القرن الرابع كسبت هذه الفكرة قبولا واسعا بين الكتاب المسيحيين لقد وجدنا القديس زينو أوف فيرونا يكرر المقارنة التي اصبحت شائعة:
«وبشكل مثالي ان كل البضائع يجب ان تكون مشتركة مثل النهار والليل ، والمطر ، والولادة والموت كذلك الأشياء التي تمنحها العدالة الالهية بالتساوي لكل الجنس البشري دون تمييز بين الاشخاص » ويبقى الأمر الأكثر اثارة هو بعض اقوال اسقف ميلانو الكبير القديس امبروز التي تجد فيها التقاليد التي صاغها من قبل سينكا اقوى تعبير :

« لقد صبت الطبيعة كل شيء لكل الناس ليكون ملكا مشتركا ، ولأن الله امر كل الأشياء ان تنتج حتى يصبح الغذاء شركة للجميع وان تكون الأرض ملكا مشاعا للجميع ، فلقد أوجدت الطبيعة بناء عليه حقا مشتركا ، ولكن الاستخدام والعادة أوجدا الحق الخاص ...» ولدعم هذه الفكرة استشهد امبروز بأفكارالرواقيين وببعض ماجاء في سفر التكوين كما لو كانا مصدرين متوائمين ومعتمدين معا ، وقال في مكان آخر « لقد كان الاله الرب يريد بشكل خاص ان تكون هذه الأرض ملكا مشتركا للجميع وان تعطي الثمار للجميع ولكن الجشع اوجد حقوق الملكية»

وهناك فقرة تمجد دولة الطبيعة الشيوعية بما في ذلك الحب الحر يمكن ان توجد في تشريعات غراتيا وهي الرسالة التي غدت النص الأساسي لدراسة الشريعة في كل الجامعات والذي يشكل القسم الأول من «مجموعة القوانين التشريعية » وقصة كيف انها وجدت فيها هي بالتأكيد الاغرب في تاريخ الأفكار ، وكان البابا كليمنت

الأول ، وهو واحد من اقدم أساقفة روما نشط في نحو نهاية القرن الأول،قد غدا بعد موته يعـد بمثـابة تلميذ للقـديس بـطرس نفسه (ص ١٩٤)والمقام الذي اضفناه هذا على اسمه نجـم بقـدر كبير عن الأدب الأبـوغرافاوي (غير الشرعي)الذي نسـب اليه ، واحد هذه الأعمال زعم انها رسـائل كتبـت مـن قبـل كليمنت الى القديس جيمس وصفت اسفاره مع القديس بطرس وتبلغ الذروة في "تعرفه" على والديه واخوته الذين انفصل عنهم منذ طفولته ويحتمل انها كتبت في سورية حوالي ٢٦٥ ميلادية ، واعطـي هـذا العمـل صورته الحالية بعد نحو قـرن ، وفي تعـارف كليمنت كمـا هـو بين ايدينا يظهر أبـو كليمنت وثنيا يتناقش مـع بـطرس وكليمنث ثـم يدخلانه في النهاية في المسيحية ، وفي مجـرى الجـدل اقتبس الوالد الآراء التالية ، التي عزاها الى « فـلاسفة يونانيين» وهـي بـدرجة كافية من الصـحة ، او انه فقـط لم يحـاول في حينه أن ينسـبها لافـلاطون

«ان استعمال كل الأشياء الموجودة في هذا العـالم كان يجـب ان يكون مشتركا بين كل الناس ولكن بفعل عدم العدل يقول احد الرجال ان هذا له ، ويقول آخر ان ذلك له ، وهـكذا وجـد الانقسـام بين الناس الفانيين وباختصار ، ان رجلا يونانيا بالغ الحكمة يعـرف ماهية هذه الأمور يقـول أن كل شيء يجـب أن يبقـى مشـتركا بين الاصدقاء ، وبلا ريب بين كل الاشياء الأزواج مشمولون ، وهو يقول ايضا كما أن الهواء لايمكن تقسيمه ولا بهاء الشمس ، هـكذا الأشياء الأخرى التي يعطيها هذا العالم يجـب ان تـكون ملكيتهـا مشتركة بين الجميع ويجب عدم تقسيمها بـل يجـب أن تبقـى ملكا مشتركا ».

وبعد حوالي خمسة قرون أحرزت هذه الفقرة أهمية جديدة كاملة ففي نحو ٨٥٠ م كان الراهب الفـرنسي المعـروف بـاسم إيزيدور الزائف (لأنه عزا أعماله الى ايزيدور ، رئيس أساقفة اشـبيلية) كان يصدر فتاوى بابوية زائفة وشرائع للمجموعة الشهيرة المعروفة الآن باسم الفتاوى الزائفة ، وتفتتح المجمـوعة بخمسـة « رسـائل

انجيلية للبابا كليمنت » وكلها أبوغرافاوية وثلاثة منها زورها ايزيدور الزائف نفسه،وفي الرسالة الانجيلية الخامسة الموجهة الى القديس جيمس ومسيحيي القدس ضمنها ايزيدور الزائف الفقرة المقتبسة أعلاه حيث لم تعد على أي حال قولا لو ثني بل تعبيرا عن افكار البابا كليمنت نفسه وجعل البابا يعزز الجدل باقتباس المادة الرابعة حول المجتمع المسيحي في القدس :

« وكانت جموعهم التي آمنت على قلب واحد وروح واحدة : ولم يقل اي منهم ان شيئا البتة مما بحوزته كان ملكا له بل إنهم كانوا يملكون كل شيء بصورة مشتركة. . . .ولم يكن هناك أيضا شيء ناقص بينهم : اذ بقدر ما كان هناك مالكون كثيرون للأراضي والبيوت فانها كانت تباع وتجلب اثمان الأشياء المباعة وتوضع عند اقدام الحواريين ، وكان التوزيع لكل انسان يجري وفق حاجته »

وكان الجدل في هذه الصورة هجينا نصف مسيحي ونصف رواقي عندما جوبه من قبل مؤسس (ص ١٩٥) علم القانون وعندما شرع غرايتان في نحو ١١٥٠ في وضع مجموعته العظيمة لم يتساءل مطلقا ــ اكثر مما فعل معاصروه ــ حول أصالة فتاوى ايزيدور الزائف ، وكانت الرسالة الخامسة لكليمنت بتأكيدها الغريب للشيوعية الفوضوية ، قد وضعت ضمن مجموعة الفتاوى البابوية والتشريعات Decretum وبذلك أحرزت نفوذا كان عليها ان تحتفظ به حتى القرن السادس عشر عندما ضعفت الثقة بها مع بقية الفتاوى الزائفة ٠

وصحيح ان غرايتان ربط بالوثيقة بعض الحواشي التي مالت الى حصر مجالها إلا انه في مكان آخر من مجموعة الفتاوى جعل مناقشتها (سوى في شأن الحب الحر) بشكل عام وبلا تحفظ منسوبة إليه، وفي أواخر العصور الوسطى أصبح شائعا بين المشرعين والدارسين انه في الحالة الأولى من المجتمع، والتي كانت ايضا افضل حالة ، لم يكن هناك شيء يقال له ملكية خاصة ، لأن كل الأشياء هي ملك لكل الناس ٠

وفي حوالي ١٢٧٠ قدمت دولة المساواة الطبيعية لأول مـــرة منذ القدم في عمل ادبي •فقد عالج ا لأمر جين دي موين وهو رجـــل مـــن العامة ذا عقل سؤول فاحص ، وكان يعيش في وسط الحي اللاتيني في باريس، وكان متاثرا بعمق بالمناقشات الجارية في الجامعة، وكان متضلعا جدا أيضا في الأدب اللاتيني فقد عالج الموضـــوع مـــطولا في شعره الطويل« مغامرة الوردة » ولم يحظ عمل عامـــي آخـــر في كل ادب العصور الوسطى بمثل شعبيته ، حيث مـــازالت نحـــو« ٢٠٠ » نسخة مخطوطة بـــالفرنسية بـــاقية • وكانت هناك تـــرجمات عديدة وكان من خلال مغامرة الوردة أن نظرية إجتماعية كانت حتـــى حينه مألوفة الى حد كبير عند علمـــاء الاكليروس فقـــط قـــد أصـــبحت في متناول أعداد كبيرة من العامة ، ولقـــد كان وصـــف جين دي مـــوين للعصر الذهبي والتدهور التالي منذ حينه مقالة اجتمـــاعية جـــادة و شعبية، وكانت تجربة متقدمة نحو خمسة قرون على القسم الثـــاني من مقالات روسو في اللامساواة ، ومثل ذلك العمل ، كان في حد ذاته وثيقة عظيمة الأهمية لطلاب الأساطير الاجتماعية، وكتـــب الشـــاعر على النحو التالي :

« حدث ذات مرة في ايام أبـــائنا الأوائل وأمهـــاتنا، كمـــا تشـــهد كتابات القدماء أن كان الناس يحبون بعضهم بعضـــا حبـــا رقيقـــا صادقا ، لايصدر عن غاية وشهوة للكسب، وسادت الطيبة العالم وفي تلك الأيام كانت الأذواق بسيطة وكان الناس يتغذون بالثمار والبندق والأعشاب ، وكانوا يشربون الماء فقط، ويلبســـون جلود الحيوانات، ولايعرفون شيئا عن الزراعة، ويعيشون في الكهوف، ومع ذلك لم تكن هناك صـــعوبات ، لأن الأرض كانت تعـــطيهم طـــواعية كل طعـــــام يحتاجونه وكان العشاق يتعانقون على فرش مـــن الأزهـــار تحـــت ستائر من ورق الشجر(بالنسبة لهذا الكاتب كان الحب الحر جـــزءا هاما من النعيم البدائي)، وهناك رقصـــوا ولهـــوا في كســـل حلو

أناس بســـطاء هـــــادئون لايبـــــالون بشيء إلا العيش في حبــــور (ص ١٩٦)•

وبكل صداقة مع بعضهم بعضا ، ولم يكن هناك بعد ملك أو أمير يخطف كالمجرمين مايخص الاخرين ، لقد كان الكل متساوين ، ولم تكن عندهم ملكيات خاصة بهم وكانوا يعرفون تماما حكمة أن الحب والسلطة لايقيمان بعد معا في صحبة ... وهكذا ياصديقي حافظ القدماء على صحبة بعضهم بعضا متحررين من أي ارتباط او قيد في سلام ، وبلطف ، ولم يسلموا حريتهم بكل الذهب الذي في بلاد العرب أو فريجيا،ولسوء الحظ بلغت هذه الحالة من الشؤون السعيدة نهايتها بظهور جيش الشرور والخداع والتفاخر والاشتهاء الجشع والحسد والبقية ، وكان عملها الأول إيجاد الفقر وإطلاق ابنه السلب حرا على الأرض ، التي لم تكن تعرف حتى الان شيئا عنها . بعد ذلك :

غزت هذه الشياطين بالغضب المجنون ، والحسد لرؤية الكائنات البشرية سعيدة ، الأرض كلها وبذرت فيها الخلاف ، والخداع ، والنزاع والتقاضي ، والشجار ، والسباب ، والحروب ، والافتراء والكراهية والحقد ، ولأنهم فتنوا بالذهب ، فإنهم نهبوا الأرض وانتزعوا من احشائها الكنوز الخبيئة ، والمعادن ، والأحجار الكريمة ، لأن البخل والجشع واشتهاء مالدى غيرنا قد أودع في القلوب البشرية الرغبة في إحراز الثروة ، إن الاشتهاء يجلب المال والجشع يخفيه ، إنها مخلوقة شقية ، وهي لن تنفقه أبدا ، وإنما ستتركه لورثتها وللوصي ليديره ويقيم الحراسة عليه إذا لم يحل به بلية قبل ذلك .

وما أن أصبح الجنس البشري فريسة لتلك العصابة ، تخلى عن طريقته الأولى في الحياة ، ولم يتوقف الناس مطلقا عن اعمال الشر ، لقد أصبحوا زائفين وبدأوا يغشون ، لقد التصقوا بممتلكاتهم واغلقوا عليها بإحكام وقسموا الأرض ذاتها وبذلك رسموا الحدود ، وكثيرا ما تقاتلوا وهم يضعون هذه الحدود واختطفوا كل ما أمكنهم من بعضهم بعضا ، وحصل الأقوى على اكبر الحصص ....

وفي النهاية أصبحت الفوضى غير محتملة حتى أن الناس اضطروا إلى انتخاب شخص ما ليستعيد ويحفظ النظام ، لقد اختاروا الفلاح الكبير ، الأضخم عظاما ، والأكثر طولا وقوة الذي أمكنهم العثور عليه وجعلوه أميرا وسيدا ولكنه كان في حاجة إلى المساعدة وهكذا وجدت القروض والضرائب للدفع لجهاز القسر ، وكان هذا بداية السلطة الملكية ، وصكت العملة ، وصنعت الأسلحة ، وفي الوقت نفسه حصن الناس المدن والقلاع وبنوا القصور العظيمة المغطاة بالنحت ، لأن من اقتنوا هذه الثروات كانوا خائفين جدا من أن تؤخذ منهم سواء بالسرقة أو بالقوة ، ثم أصبحوا موضع الشفقة أكثر ، أولئك الناس غير السعداء لأنهم ماعادوا يعرفون الأمن مرة أخرى أبدا منذ ذلك اليوم ، الذي فيه بدافع الجشع أخذوا لأنفسهم ماكان من قبل مشاعا للجميع مثل ما عليه الهواء والشمس»

هكذا كانت مثل الشيوعية والمساواة التي كانت معروفة لدى عدد كبير جدا من الأرواح المفكرة في أوروبا العصور الوسطى . ولايمكن القول إن (ص ١٩٧) أي محاولة على الاطلاق لم تبذل لترجمتها إلى واقع ، لقد حافظت الكنيسة بثبات على أن الحياة المشتركة في الفقر الطوعي كانت « الطريقة الأكثر كمالا » ، مصرين فقط على انه في العالم الفاسد الذي عمل في ظل عقابيل السقوط كان هذا مثالا يمكن ويجب أن يحتذى فقط من قبل الصفوة ، وبين الاكليروس وجد هذا الموقف تعبيرا منظما في مراتب الرهبان وأخوة الرهبنة ، لقد كان موقفا اجتذب ايضا العديد من العامة ، خاصة عندما انتعشت التجارة ، وظهرت الثروات الجديدة وتنامت حضارة الحياة المستقرة ومن القرن الحادي عشر وما بعده كانت توجد في الأجزاء الأكثر تطورا وازدحاما في أوربة تكتلات من العامة كانت تعيش في جماعات شبه رهبانية ، وتحتفظ بكل ممتلكاتها بصورة مشتركة ، احيانا بموافقة واحيانا بدون موافقة الكنيسة ، وبالنسبة لمثل هذه المجتمعات كان النموذج يتوفر في الوصف الوارد في المادة الرابعة للمجتمع المسيحي الأول في القدس ، وهذا المثال الذي كما رأينا قد ذكر من قبل ايزيدور الزائف في رسائل كليمنت الزائفة قد بلغ مقاما

عظيما ، لأنه لم يقدر في اي مكان ، إلى اي مدى سمح القديس لوقــا لخياله أن يهيمن على إدراكه للحقائق التاريخية .

ولكن تقليد هذا النص الخيالي للكنيسة الابتدائية ، لم يكن له أن يسترد بعد ، أو حتى يحاول استرداد ، العصر الذهبي المفقــود لكل البشرية الذي صور للعالم القديم من قبل سينكا، ولأوروبا العصــور الوسطى من قبل جين دي مين ، وحتى طـوائف المهـرطقين التـي ازدهرت منذ القرن الثاني عشر ومـا بعــده كانت بشــكل عام اقــل اهتماما « بالمساواة » الاجتمــاعية والاقتصــادية ممـا كان أحيانا يؤكد ، فلا الكاثاريه ولا الوالدنسيان ، مثلا أظهروا اهتماما كبيرا ، بالأمر ، وحتى نهاية القرن الرابع عشر تقــريبا يبــدو أن عددا قليلا من الطوائف الغامضة فقط مثل بعض أتباع الروح الحرة ، قد حاول استعادة دولة المساواة الطبيعية مــن أعمــاق الماضي وعكســها على المستقبل ولكن مهما كانت قلة من كانوا يقولون ذلك فإن هذه المحاولة لاعادة إيجاد العصر الذهبي لم تكن بلا أهمية وقــد افــرزت مــذهبا اصبح أسطورة ثورية ، حالما قدم إلى الفقراء المحتاجين واندمج مع التخيلات الشعبية المتعلقة بالاخرويات .

الفصل الحادي عشر

الفية المساواة(١)

ملاحظات هامشية على ثورة الفلاحين الانكليز

متى توقف الناس(ص ١٩٨) عن التفكير حول مجتمع بلا تميز في المنزلة او الغنى ببساطة كعصر ذهبي ضاع بلا عودة في الماضي البعيد ، وبدأوا في التفكير فيه بدلا من ذلك على انه امر مقدر الوقوع ، في المستقبل القريب ؟ الى الحد الذي يمكن الحكم عليه من المصادر المتاحة ، جاءت هذه الاسطورة الاجتماعية الجديدة الى الوجود في سنوات الفوضى حوالى ١٣٨٠ ، وربما اخذت شكلها في البداية في مدن فلاندرز وشمال فرنسا ، التي اكتسحتها في ذلك الوقت موجة من العنف العصياني ، ولكن مع أن هذا كان قد اوحي به احيانا فإنه مايزال يتطلب الاثبات ، ومن جانب اخر عندما يتفحص المرء في الحوليات التي تعالج ثورة الفلاحين الانكليز في ١٣٨١ ، الاقوال المنسوبة الى جون بول الشهير يجد المرء الاسطورة – على غير توقع ولكن بشكل جلي – تحت السطح تماما .

ولم يكن معظم العصاة متأثرين بشكل يمكن تقديره بالاسطورة ، بل يبدو ان معظم الفلاحين وحرفيي المدن الذين كانوا يؤيدونهم كانوا حصرا تقريبا معنيين باهداف واقعية محدودة ، وفي ذلك الوقت كانت الرابطة بين السيد وفلاحيه قد فقدت كل خاصية أبوية يمكن أن تكون قد اكتسبتها مرة ، ولم ير الفلاحون سببا لكي يقدموا الفروض الثقيلة والخدمات الى سيد لم يعد حاميا لهم ، علاوة على ذلك أفاد الناس منذ قيام الموت الاسود من نقص العمالة كثيرا وإن يكن بدرجة كانت اقل مما كانوا يحبون . وقد استشاط غضب الفلاحين

والحرفيين على السواء طويلا تحت القيود القانونية ، وابـرزها تلك التي تجسدت في التشريعات العمالية ، التي منعتهم من الاسـتثمار الكامل لوضعهم الاقتصادي ، وتفاقم عدم الرضى الناجم عن المظالم القائمة بسبب سوء ادارة الحرب الفرنسية وفرض جزية اسـتثنائية مرهقة ، ومع ذلك انه مهما كانت مشـاعر عامـة الناس بـالغضب والاستياء ، فان الثورة عندما تفجرت كانت اهدافها مـاتزال عملية صرفة ، ويعكس صك الحرية الذي منحه الملك في مايل إند (والغـي فيما بعد) هـذه الاهـداف (ص ١٩٩) بـدقة كافية ، لضـمان استبدال الفروض المزرعية بايجارات نقدية ، واحلال العمل المأجور مكان السخرة الجزئية ، ورفع القيود عن البيع والشراء الحـر ، وفي هذا البرنامج ليس هنالك أي شيء بالمرة يشير الى حـدوث معجـزة وشيكة تعيد حالة المساواة في الطبيعية ، ولكن هذا لايعني القـول أن لاشيء من هذه الخيالات لم يكن من الفكر في اي مكان بين العصاة .

وفي فقرة شهيرة أعطى فروا سارت مـايفترض انه كان مـوعظة نموذجية لجون بول :

« واذا كنا قد تحدرنا كلنا من اب واحد وام واحدة ، أدم وحواء ، كيف يمكن للسادة أن يقولوا أو يثبتوا انهم اكثر سيادة منا ، سوى أنهم يجعلوننا نحفر ونفلح الارض حتـى يمـكنهم أن يبـددوا مـا ننتجه ؟ إنهم يلبسون المخمل والساتان ويتجملون بفراء السنجاب ، في حين اننا نرتدي أرخص القماش ، إن لديهـم الخمـور والتـوابل والخبز النقي ولنا الخشار فقـط ، والدقيق التـالف والقش ، والماء فقط للشرب ، ولديهم المساكن الجميلة والضـياع ، ولدينا الشـقاء والعمل دائما في الحقول تحـت المطـر والثلج ، ولكنه منا ومـن كدنا يأتي كل شيء يحـفظون به أبهتهم» .

ومن أجل هذه الاوضاع وصف الواعظ علاجـا قـاسيا بقـوله :
أيها الناس الطيبون ، إن الأمور لايمكن ان تسير سيرا حسـنا في انكلترا ولن تفعل ابدا حتى يصـبح كل شيء مشـتركا ، وأن لايكون هناك مسخر ولا سيد ، بل كلنا في حالة واحدة »

- ١٦٧٣ -
ويروي المؤرخ الانكليزي توماس ولسنغام راهب القديس البانز نص الموعظة التي يقال إن بول قد وعظ بها الثوار الذين احتشدوا في بلاك هيث في نص كان بالفعل في حينه مثلا تقليديا وبقي شهيرا حتى هذا اليوم :

عندما حفر آدم وغزلت حواء من كان عندئذ سيدا ؟

ونقلا عن ولسنغام ، كانت حجج بول هي انه في البداية كانت كل الكائنات البشرية مخلوقات حرة متساوية ، ولكن الناس الاشرار بالقمع الظالم ، قد ادخلوا العبودية ، ضد ارادة الرب ، والان هذا هو الوقت الذي حدده الرب ، حيث يمكن للناس العوام فقط اذا شاءوا ، أن يطرحوا النير الذي حملوه كل هذا الزمان الطويل ، وأن يكسبوا الحرية التي تاقوا اليها دائما ، وعليه يجب ان يكونوا ذوي القلوب الطيبة ، وأن يرشدوا انفسهم كالمزارع الحكيم في الكتب المقدسة ، الذي جمع القمح في مخازنه ، ولكنه استاصل واحرق البقية التي كادت تخنق الحبوب الجيدة ، لان موسم الحصاد قد جاء ، لقد كانت البقية هي السادة الكبار ، والقضاة والمحامون ، إن كل هؤلاء يجب ابادتهم ، وهكذا يجب ابادة كل شخص آخر قد يكون خطرا على المجتمع في المستقبل ، وما أن يستاصل الكبار حتى سيتمتع الناس جميعا (ص ٢٠٠) بحرية متساوية ، ومنزلة وقوة .

ومع انه لاتوجد طريقة لمعرفة إذا كانت مواعظ مثل هذه قد القيت فعلا من قبل جون بول ، فان هناك كل الاسباب للاعتقاد بأن التي تزخر بها كانت في الواقع منتشرة في وقت الثورة ، و كان مذهب دولة المساواة الطبيعية الأبتدائية مألوفا بالتأكيد بدرجة كافية في انكلترا ، و في الحواريين دايفنز و بوبر الذي كتب في العقد الأول من القرن الرابع عشر الرابع عشر نقرأ انه بموجب قانون كند (أي الطبيعة) والربة لاو كل شيء اشتراك ؟» ويصيب السهم مرماه عند الاشارة

إلى المراجع الأصلية إلى الرسالة الخامسة المزيفة لكليمنت والمادة الرابعة ، وقد استشهد الوعاظ الاصوليين تماما بالقديس امبروز للمعتقد نفسه :« لقد خلقت الارض لتكون مشاعا للجميع ، الغني والفقير ، فلماذا ايها الاغنياء تدعون حقا كاملا فيها ؟ كند لايعرف ثروات تسبب الفقر لكل الناس.....» وفي مظهر اكاديمي نوقشت الفكرة نفسها ، من قبل وايكلف في رسالة « المملكة المدنية » التي الفها في اكسفورد في ١٣٧٤ ، وفيها جرى الجدل بأن الاحتفاظ بالسيادة من قبل الاشرار هو اغتصاب محض ، وتعارض مع المبادىء الاولى للقانون وتناقض مع الهدف الالهي ، حيث سيحصل الرجل الصالح الذي تخلى عن السيادة وهجرها اكراما للمسيح في المقابل على السيادة الكاملة على العالم ، الامر لم يحدث ان تمتع به من قبل حتى أباؤنا الاوائل قبل السقوط ومضى وايكلف ليقدم انطباعه المخالف حول الموضوع الذي صور من قبل عدد كبير جدا من العلماء منذ ايام غراتيان :

« أولا لان كل الاشياء الطيبة التي خلقها الله يجب ان تكون مشاعا ، وبرهان ذلك كما يلي : ان كل انسان يجب ان يكون في حالة النعمة ، فاذا كان في حالة النعمة سيكون سيد العالم وكل مافيه ، وعليه فان كل انسان يجب ان يكون سيدا للعالم كله ، ولكن بسبب الحشود الكبيرة من الناس ، لن يحدث هذا اذا لم يشترك الجميع في ملكية كل شيء : وعليه يجب ان يكون كل شيء مشاعا »

ولم يقصد وايكلف بالطبع ابدا ان تطبق هذه النظرية في الممارسة على المجتمع المدني ، لقد نطق بذلك مرة ، ومرة فقط ، وهذه المرة باللاتينية ، وحتى في حينه فانه قد قيدها باضافة انه في الحياة العملية يجب ان يقبل الصالح بعدم المساواة وعدم العدل ويترك الاشرار يملكون المال والسلطة ، وفي هجومه على الغنى والدينونة لدى الاكليروس كان وايكلف في تلهث قاتل ، وتعليقاته هذه على الملكية المشتركة لكل الاشياء كانت اكثر قليلا من تمرين في المنطق المنهجي ومع ذلك عندما تجرد من اطارها العلمي وتنزع عنها

العبارات المقيدة نجد ان هذه التعليقات نفسها بالكاد يمكن تمييزهـا عن الفوضوية الصوفية للروح الحرة ، وسيكون مدهشا إن لم يوجد بين اسراب (ص ٢٠١) الدارسين من كل الانواع والطبقات الذين احتشدوا في أكسفورد من لم ينتش من مثل هذه الافكار وينشرهـا في الخارج ، مبسـطة في صـورة شـعارات دعائية ، وفي الواقـع إن الانفلاند نكر وهو يكتب عن غد الثورة الكبرى في «ركائز الحراث» ، كيف أن التاملات المتعلقة بحالة الطبيعة قد تسربت مـن الجـامعات إلى عامة الناس وبأي أثر :

«لقد سمع انفي هذا وناشد الاخوة الذهاب الى المدرسة ، ودراسة المنطق والقانون ، والتـأمل ايضـا ، وان يعـظوا الناس بـأفكار افلاطون وان يثبتوها بأقوال سينكا في ان كل الاشياء التـي تحـت السماء ، يجب ان تكون مشاعا ، ويكذب – مادمت حيا – كل مـن يعظ غير المتعلمين هـكذا ، لان الله أوجـد للناس شريعـة علمهـا موسى : عليك الا تشتهي شيئا مما يخص جارك »

ومع ذلك إن تخيلات حالة المساواة الطبيعية في تاريخها الطويل لم تعمل مطلقا كاسطورة اجتماعية محركة ، ولم تكن لتفعل ذلك الان لو انها لم تتعزز بالنقد الاجتمـاعي مـن النوع الاكثـر شـخصية وانفعالية ، وفي مسـحة السـاحر لمواعظ العصـور الوسـطى بيّن المرحوم الاستاذ غ . ر .أوست كيف ان حتى اكثر الوعاظ أصولية مع انهم انتقدوا بشدة خطايا كل طبقات المجتمـع ، إنهـم مـع ذلك احتفظوا بأكثر نقدهم قسوة للاغنياء والاقوياء ، ومن الاهمية بشكل خاص تفسير الحساب الاخير على أنه يوم الانتقام للفقراء ، وهـو تفسير تطور واصبح اكثر تعقيدا منذ القرن الثـالث عشر ومـابعده واعطى اسلوبا تعبيريا بارعا من قبل رئيس جامعة كمبردج ، جـون بروميارد في دليله للوعاظ ، ولسوف يعطي النص التالي مـن ملخص وترجمه اوست فكرة ما عن القوة العاطفية لحجج بروميارد :

« على اليسار ، امـام عرش القـاضي الاعلى ، يقـف السـادة القساة ، الذين نهبوا شـعب الرب بغـرامات ظـالمة ، وبـالعقوبات

والاغتصاب والابتزاز....ورجال الاكليروس الأشرار : الذين اخفقوا في تغذية الفقراء ببضائع المسيح كما يجب ان يفعلوا ، والمرابون والتجار الزائفون.... الذين غشوا رعايا المسيح.... وبين الصالحين على اليمين العديد ممن ابتلوا وشوهوا وهيمن عليهم من نكروا من قبل من فاعلي الشر ، وعندها سيوجه المضطهدون اتهاما رهيبا الى مضطهديهم في الحفرة الالهية .

وبجرأة سيكونوا قادرين على وضع شكواهم امام الرب ويلتمسون العدل ، ويتكلمون مع القاضي المسيح ويقص كل بدوره حكاية الاذى الذي عانوا منه بشكل خاص.... جهدنا وسلعنا.... التي اخذوها ليشبعوا جشعهم لقد ابتلونا بالجوع والشقاء ، حتى يمكنهم ان يعيشوا بنعومة على شقائنا (ص ١٠٢) وسلعنا ، لقد كدحنا وعشنا حياة قاسية حتى اننا كنا نحصل بصعوبة على الكفاف نصف العام ، كفاف لاشيء معه الا الخبز والنخالة والماء ، ليس هذا فحسب بل الواقع ان هناك ما هو اسوأ لقد كنا نموت من الجوع ، لقد كان يقدم لهم ثلاث وجبات أو أربع من البضائع التي اخذوها منا .... لقد جعنا وعطشنا وابتلينا بالبرد والعري ، ولم يعد هؤلاء اللصوص الينا بضائعنا عندما كنا بحاجة ،كما انهم لم يطعموننا أو يكسوننا منهم ، بل كانوا يطعمون كلابهم وخيولهم وقردتهم والاغنياء والاقوياء وأصحاب الوفرة والنهمين والسكيرين وعاهراتهم ويلبسونهم ويلبسون معهم ، ويتركوننا نفنى ونهزل من العوز والحاجة....

أيها الرب العادل ، القاضي القادر ، لم يكن موزعا بالعدل بيننا وبينهم ، لقد كان شبعهم من جوعنا ، ومرحهم من بؤسنا وتنافسهم وتباريهم كان في تعذيبنا .... واعيادهم ، وبهجتهم ، وابهتهم وخيلائهم وانغماسهم في الشراب وفيضهم من صيامنا وعقوباتنا وحاجتنا وكوارثنا وسلبهم لنا ، وأغاني الحب والضحك في رقصهم كانت سخرية منا واستهزاء بنا وبتأوهاتنا واحتجاجاتنا ، لقد

اعتادوا الغناء : حسنا كفاية ، حسنا كفاية ـ ونتأوه نحن : الويل لنا ! الويل لنا ! .....»

وأضاف بروميارد :« بلا شك سيحقق القاضي العادل العدل لأولئك المطالبين الصاخبين هكذا ، ورهيب سيكون اتهام الخاطئين ، وسيكون كذلك مصير الطغاة والعديد ممن يدعون هنا على الارض بالنبلاء ، ستحمر وجوههم خجلا من العار أمام مقعد الحساب .... »

ولا حاجة للقول إن هدف هذه الموعظة لم يكن الحض على الثورة ، وعندما كانت توجه للاغنياء كان يقصد بها النصح والتحذير للتعامل بالعدل والرحمة مع الفقراء وأن يقدموا الصدقات طوعا ، وعندما كانت توجه للفقراء لم يكن يقصد بها الاثارة بل على العكس التعزية والتهدئة ، ومع ذلك يمثل هذا التصوير ليوم الحساب الشكوى الكاملة من « الاذى » من« العظيم » ـ ويقدمها أيضا كجزء من الدراما الأخروية العظيمة وكل ما كان مطلوبا من أجل تحويل مثل هذه النبوءة إلى دعوة ثورية من نوع متفجر هو تقريب يوم الحساب ، وعدم اظهاره كحدث في مستقبل بعيد بلا حدود بل إنه بالفعل في متناول اليد ، وهذا بالضبط ما حدث في الموعظة التي نسبها ولسنغام إلى جون بول ولتقدير الاهمية الكاملة لتلك الموعظة على المرء فقط أن يتذكر القرينة التوراتية لحكاية القمح والبيقية ، وهي قرينة يمكن للمرء أن يكون واثقا أنها قد قفزت ، إلى فكر اي مستمع من القرون الوسطى ، لانها كما فسرت من قبل المسيح للحواريين ، كانت القصة عبارة عن نبوءة أخروية تعالج الاختلاجات الهائلة للايام الاخيرة :(ص ٢٠٣)

« إن ذلك الذي يبذر البذرة الطيبة هو ابن الانسان ، والحقل هو العالم ، والبذرة الطيبة هي أطفال المملكة ، ولكن البيقية هي أطفال الشرير ، والعدو الذي بذرها هو الشيطان ، والحصاد هو نهاية العالم ، والحصادون هم الملائكة .

وبناء عليه كما تجمع البيقية وتحرق في النار ، فان هكذا سيكون في نهاية العالم ، سيرسل ابن الانسان ملائكته وسيجمعون من مملكته كل الاشياء التي تؤذي ، ومعهم الذين لايحققون المساواة وسيلقون بهم في أتون من النار ، وسيكون عويل وصرير اسنان ، ثم يشع نور الصالحين كما تشرق الشمس ، في مملكة ابيهم . فليسمع من له أذان تسمع »

وباعلان أن النبوءة الان في لحظة التحقيق ، وأن زمن الحصاد الذي حدده الرب قد حل أخيرا ، فان الموعظة في الواقع تدعو عامة الناس ، باعتبارهم أطفال المملكة ، لينفذوا القضاء على القوى الشريرة التي ستواكبهم في الالفية ، وفي تلك الالغاز المسجوعة المنسوبة إلى بول — لكن التي لاتقل عن المواعظ ويجب أن تعتبر في الواقع بدون مؤلف معين — والرمزية المستعملة في ركائز الحراث » مكيفة لنقل الرسالة الثورية ، وهنا ايضا يمكن للمرء أن يتعرف على التوقع المتلهف لمعركة اخيرة بين الفقراء الذين يرون كحشود الرب ، وبين خصومهم الذين يرون كحشود الشيطان ، وبهذه المعركة سيتطهر العالم من الخطيئة وخاصة من ذنوب مثل البخل والترف ، التي تنسب تقليديا للاغنياء ولسوف « يتحرر الصدق من تحت القفل » وسيعود الحب الصادق الذي كان طيبا جيدا سيعود الى العالم ، إنه فجر الالفية ، ولكنها الفية لن تكون فقط مملكة القديسين التي تنبأت بها الأخرويات التقليدية بل ايضا انعاشا لحالة المساواة الطبيعية البدائية ، وعصرا ذهبيا ثانيا ، واصرت الحكايات الرمزية ايضا على أن هذا قد قدر له أن يحدث الان وفي هذه اللحظة بالذات ذلك أن : « الرب يعوض ويثأر ، لأن الوقت قد حان ».

وكان الاعتقاد أن الثورات الفلاحية الثلاثة الكبيرة التي قامت في القرن الرابع عشر : الثورة في المناطق الساحلية من فلاندرزبين ١٣٢٣ و ١٣٢٨ ، وجاكويرية في ١٣٥٨ كانت كلها موجهة فقط نحو اهداف محدودة ذات طبيعة اجتماعية وسياسية

وفي الواقع إن هذا يبدو اقل صحة بالنسبة للثورة الانكليزية منه بالنسبة لاسلافها في القارة الاوروبية ، ومع انه هنا ايضا اثير اكثرية المتمردين ببساطة بسبب مظالم نوعية و المطالبة باصلاحات معينة ، يبدو مؤكدا أن الامال الالفية والطموحات لم تكن كلها مفقودة ، ومن وجهة نظر اجتماعية إن هذا غير مدهش باي حال ، ففي الثورة الانكليزية شغل دور كبير بصورة استثنائية متميزة من قبل اعضاء المراتب الاكليروسية الدنيا ، (ص ٢٠٤) وخاصة من قبل المرتدين وغير النظاميين من طراز جون بول ، وكما راينا كان مثل هؤلاء الرجال متلهفين دائما لادعاء دور الانبياء الملهمين ، المكلفين بمهمة توجيه البشرية خلال مرحلة الاختلاجات المقدرة للايام الاخيرة ، وفي الوقت نفسه من غرابة تلك الثورة إنها كانت تقريبا مدنية بقدر ما كانت ريفية ، ويبدو أن فلاحي كنت واسكس امنوا بطيبة الملك وبقدرته التامة فزحفوا نحو لندن ، وعندما وصلوا الى هناك ثار سكان المدينة ايضا ، وحالوا دون اقفال البوابات في وجه الحشود القادمة ثم ضموا قواتهم الى الثورة ، وغير هذا بالتاكيد خصائص الثورة ، وليس من شك في وجود سبب وجيه لما لاحظه فرويسات أن اشد اتباع بول حماسا كانوا موجودين بين اللنديين «الذين كانوا ينقمون على الاغنياء والنبلاء ويحسدونهم ، وبحلول ذلك التاريخ كان في لندن عالم سري مثل ذلك الذي وجد منذ زمن طويل في مدن فرنسا والمانيا والبلاد المنخفضة ، وكان قوام هذا العالم العمال المتجولون الذين منعوا من دخول النقابات وكانوا في الوقت نفسه ممنوعين من تكوين تنظيمات خاصة بهم ، والعمال غير المهرة والجنود المرهقين والفاريين ، وفائض السكان من المتسولين والعاطلين ، في الحقيقة وجد عالم سفلي كامل عاش في بؤس عظيم ، وكان بشكل دائم على حافة المجاعة ، وقد تضخم باستمرار بهرب رجال السخرة من الريف ، في وسط من هذا القبيل حيث اختلط المتذبذبون المتعصبون بالفقراء المشوشين اليائسين الذين كانوا يقفون عند اقصى حافة المجتمع ، بالذات كان هنالك على اي حال هيجان يهز كل البنية الاجتماعية ، وكان مقدرا لهذا الهيجان أن يجعل ذاته مدركة بوساطة جائحة قوية ، وأن يفرز مضاعفات العنف البالغ ،

- ١٦٨٠ -
وهنا لابد أنه في الحقيقة قد لاح ان كل الاشياء كانت تتجدد ، وان كل الامور المعتادة كانت تتحلل وكل الحواجز تنهار ، وهنا ايضا في الحقيقة يمكن من حيث المبدأ الاقتراح بأن التوقعات الالفية ، ربما كانت كامنة خلف كثير من الاثار الجانبية الاكثر اثارة للدهشة للثورة ، مثل : حرق قصر سافوى وتدمير كنوزه كلها من قبل اللندنيين الذين لم ياخذوا لأنفسهم شيئا منها ، وما هو اكثر بداهة من المطالب غير العملية التي قدمت الى الملك في سمث فيلد ربما كان اقرار جاك سترو (المفروض دائما انه فعل ذلك حقا) انه في النهاية لابد من قتل الاعيان وكل الاكليروس سوى بعض الرهبان المتسولين وابادتهم والخلاص منهم .

وبالتاكيد كانت حالة لابد من انه كان سهلا فيها بدرجة كافية اعلان وتصديق أن الطريق يمتد بكامل اتساعه لالفية مساواتية وحتى شيوعية ، وكانت هذه بالضبط حالة ستقوم مرة اخرى وعلى مدى اوسع بكثير عندما بعد اربعين سنة تفجرت ثورة الهوسيت في بوهيميا (ص ٢٠٥)

الرؤيا النبوئية الطابورية :

مع الغلبة السلافية في البنية العرقية واللغة ، كانت دولة بوهيميا لعدة قرون داخلة ضمن اطار الحضارة الاوروبية الغربية اكثر من الشرقية ، وكانت مسيحيتها لاتينية ولم تكن اغريقية ، وسياسيا شكلت جزءا من الامبراطورية الرومانية المقدسة ، ووجدت مملكة بوهيمية دون انقطاع منذ نحو ١٢٠٠ وما بعدها ، وفي النصف الثاني من القرن الرابع عشر وضع ملك بوهيميا ايضا التاج الالماني ثم الامبراطوري ، وفي ذلك الوقت كانت بوهيميا الحاضرة الرئيسة في الامبراطورية ومقر رئاسة الجامعة الاولى في براغ ، التي تاسست في ١٣٤٨ ـ ١٣٤٩ ، والتي هيمنت بفعالية على الحياة السياسية والثقافية في وسط أوربا ، وقد فقد هذا المركز في السنوات

الاولى من القـــرن الخـــامس عشر ، عندمـــا خلع الملك البـــوهيمي ونسسلاس الرابع عن العرش الامبراطوري ، وتوقفت الجامعة عن كونها دولية ، واصبحت تشيكيـــة صرفـــة ، ولكن في تلك الســـنوات نفسها اصبحت بوهيميا مركزا لحركة دينية ذات قوة متفجرة حتـــى انها اثارت الاضطراب في كل اوروبا عقود عدة من الزمن .

لم يكن هنالك جزء من اوروبا أمكن ان تقوم فيه الانتقادات ضـــد الكنيسة باقتناع اكثر مما كان في بوهيميا ، ولقد كانت ثروة الكنيسة هناك هائلة ، حيث كان نصف مجمـــوع الاراضي ملكا اكليروســـيا ، وكثيرا من الكهنة وخاصة كبار الاســـاقفة كانوا يعيشـــون بشـــكل واضح حياة دنيوية ، بينما كانت الادارة البابوية تتدخل باستمرار في الشؤون الداخلية للبلاد ، وتستخرج منها ايضا ربحا ماليا عظيما ، وعلاوة على ذلك تعززت مرارة العامة المعتادة تجاه الاكليروس بقوة بالاحساس الوطني ، ومنذ القرن الثاني عشر كان في بـــوهيميا اقلية هامة من اصـــل الماني ، تتحـــدث الالمانية وتحتفـــظ بتصـــميم بخصائصها الالمانية ، وكان هؤلاء الناس كثيرين بشكل خـــاص بين أعلى مراتب الاكليروس ، وانضـــمت شـــكاوى التشـــيك ضـــد الاكليروس إلى شكاواهم ضد الاقلية الغريبة .

وفي ١٣٦٠ اكتســـب زاهـــد اصـــلاحي يدعى جـــون ميليك أوف كروميريز نفوذا كبيرا في براغ ، وكان مهتما جدا بالمسيح الدجـــال ، الذي تخيله في البدأية كفرد ، ولكن فيما بعد كفساد ضمن الكنيســـة نفسها ، وحقيقة ان الكنيسة كانت واضحة الفســـاد وكانت تعني ان حكم المسيح الدجال قـــد بـــدا ، وهـــذا كان يعني ان النهـــاية كانت وشيكة ، ولكن في الاستعداد للنهاية كان يجب قهر الدجـــال ، بمعنى ان الكهنة يجب ان يتعلموا العيش في فقر ، بينما العامة من جانبهم ، يجب ان يبتعدوا عن « الربـــا » (ص ٢٠٦) وكان هناك مـــن هـــو حتى الاكثر نفوذا من ميليك وهو حواريه متى أوف جانوف الذي كان ناشطا حوالي ١٣٩٠ ، وهو ايضـــا كان مشـــغولا بفـــكرة المســـيح الدجال ، وفسر مجازيا أن المقصود هو الذين كانوا يقـــدمون حـــب

الذات والدنيا على حب المسيح ، وكان حتى اكثر من ميليك متأثرا بقوة هيمنة المسيح الدجال ، وفي نظره كان الوقت الراهن انذاك كليا تحت هيمنة المسيح الدجال ، ورأى في دنيوية الرهبان والكهنة ، وفوق كل شيء فضيحة الانشقاق الكبير ، برهانا عليه ، وبالطبع كان الانتصار الاخير للمسيح مضمونا ، ولكن كانت مهمة كل المسيحيين الحقيقين أن يعدوا له ، ويمكنهم أن يفعلوا ذلك جزئيا بالعودة الى المفاهيم المعلنة في الانجيل وجزئيا بالقداس اليومي ، واصر على ان القربان المقدس كان الغذاء الروحي اللازم الذي لامفر منه ويجب ان يتوفر كاملا وكثيرا للعامة كما هو للكهنة ، وكان جسم المسيح الدجال يتالف من الكهنة الزائفين فوق كل شيء ، وتساءل لماذا يجب أن يتمتع اتباع المسيح الدجال هؤلاء بالصلة الحميمة جدا بالمسيح اكثر من معظم المسيحيين ؟ وفي فكر متى أوف جانوف كان للقربان المقدس المتسلم للمرة الاولى المكانة المركزية التي قدر له ان يشغلها فيما بعد في المعركة ككل .

واستمرت مطالب الاصلاح التي استهلت من قبل ميليك ومتى أوف جانوف بوساطة وعاظ اخرين واثيرت اكثر بتعاليم ومثال ويكليف ، الذي كانت اعماله معروفة في بوهيميا منذ ١٣٨٠ ومابعدها ، ومع انقضاء القرن تولاها جون هوس و كان نفسه معجبا ومتحمسا لويكليف ــ الذي عبر عنها بشكل فعال الى حد ان اهمية الحركة توقفت عن ان تكون مجرد محلية واصبحت باتساع النصرانية اللاتينية ، ومثل أسلافه ، كان هوس واعظا شعبيا كان موضوعه المفضل فساد ودنيوية الاكليروس ، ولكن جمعا غير عادي من المواهب جعلت منه فجأة رئيسا للجامعة وزعيما روحيا لعامة الناس والشخصية ذات النفوذ في البلاط ، وهذا اعطى احتجاجاته وزنا كبيرا ،

و قد حمل احتجاجاته ايضا الى مدى ابعد من كل من تقدمه ، حيث انه عندما ارسل البابا جون الثالث والعشرين مبعوثيه الى براغ للوعظ بحملة صليبية ضد عدوه السياسي ، ملك نابولي ، وبمنح

الغفران لكل من اسهم بالمال في هذه القضية ، ثار هوس ضد الأوامر البابوية ، ومثل ويكليف قبله اعلن انه عندما تقف القرارات البابوية في مواجهة شريعة المسيح التي عبرت عنها الكتب المقدسة يجب على المؤمن ان لا يطيعها ، وشن ضد بيع الغفران حملة اثارت قلقا على اتساع الامة (ص ٢٠٧).

و يكن هوس ابدا متطرفا او ثائرا ، وكان الذي ازعج هوس واثاره ببساطة رفض الطاعة العمياء للمراتب الكهنوتية الأعلى منه ، ولكن هذا كان كافيا كي يكلفه حياته . وبحرمانه في ١٤١٢ ، استدعى في ١٤١٤ للمثول امام المجمع المسكوني الذي اجتمع في حينه في كونستانس . وباعتماده بحمق على صك امان من الامبراطور سيغسموند استجاب للاستدعاء ، وكان هدفه أن يقنع المجمع بالجدل أن الكنيسة كانت حقا بحاجة الى اصلاح جذري ، وعندئذ اعتقل ، وبرفضه الارتداد أحرق كمهرطق ، وكان لب « هرطقته » ادعاؤه أن البابوية لم تكن مؤسسة الهية بل بشرية ، وليس البابا بل المسيح هو الراس الحقيقي للكنيسة ، وان البابا غير الجدير يجب خلعه ، ومن التناقض بدرجة كافية ، أن المجمع الذي أدانه كان هو نفسه قد خلع لتوه البابا جون الثالث والعشرين بسبب بيع المراتب الكهنوتية ، والقتل واللواط والزنا .

وحولت اخبار اعدام هوس القلق في بوهيميا الى اصلاح وطني ، وللمرة الأولى – وقبل لوثر بقرن كامل – تحدت أمة سلطة الكنيسة كما هي ممثلة في البابا والمجمع ، وخلال سنوات ١٤١٥ – ١٤١٨ قام الاصلاح في كل بوهيميا بموافقة ودعم بارونات التشيك الكبار والملك ونسسلاس ، واستبدلت بالفعل المراتب الكنسية الموجودة على نطاق واسع بكنيسة وطنية لم تعد تحت سلطة روما بل كانت تحت رعاية السلطات المدنية في بوهيميا ، وفي الوقت نفسه ، وبناء على الحاح تابع سالف لهوس هوجاكوبيك اوف ستريبرو ، تقرر انه من حينه فصاعدا على العامة

أن يتناولوا القربان المقدس على نوعين بدلا من ـ كما اصبح شائعا خلال القسم الأخير من العصور الوسطى ـ تلقي الخبز فقط وكانت هذه تغيرات بعيدة الاثر ، ولكنها في ذاتها لم تكن تبلغ حد القطيعة الرسمية مع كنيسة روما ، وعلى العكس ، لقد فهمت على انها اصلاحات من أجلها كان يؤمل في كسب الكنيسة ككل ، ولو أن روما أو مجمع كونستانس تعاونا في هذا البرنامج ، لرضيت النبالة التشيكية واساتذة الجامعة والعديد من الناس العاديين ، ولكن هذا لم يكن ، وفي ١٤١٩ عكس الملك ونسسلاس تحت ضغط من الامبراطور سيغسموند (اخوه) ومن البابا مارتن الخامس سياسته وتخلى عن القضية الهوسية ، وحظرت الدعوة الهوسية ، وحتى المناولة المزدوجة من كلا النوعين نظر اليها بنفور ، وفي الجزء من براغ الذي عرف بالمدينة الجديدة أصبح عامة الناس بوحي من الراهب السالف والهوسيذي المتحمس الذي يدعى جون زلنسكي متململا ضجرا بشكل متزايد وعندما أبعد ونسلاس في تموز ١٤١٩ كل اعضاء المجلس البلدي من الهوسيت من حكومة المدينة الجديدة هب الشعب وعصف بدار البلدية والقوا بالأعضاء الجدد من النوافذ.

وقوت المحاولة المخفقة لكبح الحركة الهوسية بدرجة كبيرة الميول المتطرفة بداخل الحركة ، إذ أنه منذ البداية كانت الحركة تضم أناسا كانت أهدافهم تمضي الى مدى بعيد وراء أهداف النبالة أو اساتذة الجامعة ، وكانت الأغلبية الكبيرة من هؤلاء المتطرفين تنتمي الى الطبقات الاجتماعية الأدنى ، وكانت تضم النساجين وعمال النسيج الآخرين ، والخياطين وعمال مخامر البيرة والحدادين ، وفي الحقيقة كل الشغيلة في كثير من الحرف ، والدور الذي شغله هؤلاء الناس كان مذهلا حتى أن الجدليين الكاثوليك أمكنهم الأدعاء بأن الحركة الهوسية كانت منذ البداية الأولى تمول من قبل نقابات الحرفيين ، وربما كان الأصدق القول بأن الهيجان العام في بوهيميا قد شجع على القلق الاجتماعي بين الحرفيين وكانت هذه بشكل خاص الحالة في براغ.

وفي الناحية الاقتصادية الحسنة تماما ، كان الحرفيون في العاصمة بعيدين عن كل تأثير على الادارة المحلية ، التي كانت كليا في أيدي العائلات النبيلة الكبيرة ، الأكثر عنفا في معاداتها للهوسية ، وكان العديد منها من الألمان ، وقد تحولت هذه الحالة فجأة مع بزوغ تموز ١٤١٩ ، وزاد نجاح التمرد بدرجة كبيرة من قوة النقابات ، وأعطاها سلطة فعالة على الادارة ، وطرد الحرفيون أعدادا كبيرة من الكاثوليك ، واستولوا على بيوتهم وممتلكاتهم وكثير من وظائفهم ومزاياهم ، وعلاوة على ذلك صودرت الاديرة ونقلت ثرواتها الى مدينة براغ ، وهذه أيضا افادت الحرفيين وإن يكن بصورة غير مباشرة ، ومع أن المدينة الجديدة لم تعد تنعم بالمساواة تحت حكم النقابات كما كانت تحت حكم النبلاء فإن حقيقة أنها كانت تحت سيطرة الحرفيين جعل منها مركزا لنفوذ المتطرفين.

ولكن كانت النقابات هي التي نظمت ووجهت الحركة المتطرفة في براغ ، وكان معظم افراد الجمهور قادمين لا من بين الحرفيين المهرة بل من بين أدنى طبقات السكان من الحشود المتنافرة من عمال المياومة وغير المهرة ، والخدم المتعاقدين ، والمتسولين والعاهرات والمجرمين وحتى في أعلى درجات ازدهارها في القرن الرابع عشر كانت العاصمة ذات كثافة سكانية كبيرة من أشد الناس فقرا وسكان الأحياء الفقيرة ، ورات السنوات الثلاثون أو الأربعون التي سلفت على الثورة الهوسية زيادة كبيرة في أعداد مثل هؤلاء الناس وتدهورا في أحوالهم ، وفي ذلك الوقت كانت بوهيميا تعاني من زيادة السكان و كما كان دائما استمر تدفق فائض السكان من المناطق الريفية على المدن وعلى العاصمة بشكل خاص ، ولكن بوهيميا لم يكن لديها صناعة تصدير قادرة على امتصاص هؤلاء الناس ، حتى ان كثيرا منهم كانوا مجرد اضافة لتضخيم أعداد العاطلين ، وحتى أولئك الذين كانوا يجدون نوعا من العمل الذي لا يتطلب مهارة كانوا ما يزالون في حالة يائسة ، حيث انه في حين بقيت الأجور في مستوى فترة ١٣٨٠ ، كانت قيمة العمله (ص ٢٠٩) مزعزعة بالتضخم وارتفعت الأسعار

بقسوة ، وبحلول ١٤٢٠ بدا أن الغالبية العظمى من سكان براغ الذي يتراوحون بين ثلاثين الف واربعين يعيشون – أو يموتون – على أجور لا تحقق الا الجوع ، وكان المد الكبير للجناح المتطرف من الحركة الهوسية يأتي من هذه البروليتاريا المرهقة.

ووجد التطرف ايضا دعما كبيرا بين الفلاحين. وكان معظم سكان الريف قد اعتمدوا زمانا طويلا على السادة والا كليروس أو المدنيين الذين كانوا يملكون الأرض ولكن الى حد كبير بفضل نظام ملكية الأرض الذي أدخله المتمردون الألمان والذي انتشر بين الفلاحين التشيك لم يكن اعتماد الفلاح على سيده بأي حال مطلقا ، لقد كانت الأجور والفروض مثبتة بدقة ، وكانت الايجارات وراثية وعليه فقد وفرت كثيرا من الضمانات ، ومع ذلك فقد كانت الايجارات أحيانا تباع من قبل المستأجرين ، حتى أن العديد من الفلاحين كانوا يتمتعون بحرية معينة في الحركة ، وأعاقت زيادة السلطة الملكية في القرن الرابع عشر بدرجة اكبر استغلال النبالة لعامة الناس ، واعطى قانون في ١٣٥٦ للفلاحين غير المستقلين الحق في مقاضاة سادتهم أمام المحاكم المحلية ، وغضب النبلاء من هذه القيود ، ومع بداية القرن الخامس عشر بذل جهد مصمم لحرمان الفلاحين من حقوقهم التقليدية وإجبارهم على وضع من الاعتماد الكلي ، وبالتحايل على القانون جرد كثير من الفلاحين تدريجيا من حقهم في توريث ما تحت ايديهم لورثتهم في حين انهم هم انفسهم كانوا مقيدين بدرجة اشد بالأرض وتزايدت فروضهم وخدماتهم. ويبدو انه في وقت هيجان الهوسية كان الفلاحون البوهيميون يدركون بصعوبة أن وضعهم كان مهددا ، وعلاوة على ذلك ففي الريف أيضا كانت توجد طبقة ليس لديها ما تفقده ومن: عمال بلا أرض ، وأيدي عاملة زراعية ، والعديد من أعضاء فائض السكان التي لا يمكنها أن تؤوى لا في المدن ولا في الأرض وكان كل هؤلاء الناس اكثر من مستعدين لتأييد اي حركة بدا انها يحتمل ان تجلب لهم العون والفرج.

ومن ١٤١٩ وما بعدها بدأ الجناح المتطرف للحركة الهوسية في الانفصال عن الجناح الأكثر محافظة ، واخذ يتطور على مسارات خاصة به . وفي مواجهة سياسة الاضطهاد الجديدة للملك ونسسلاس بدأ عدد من الكهنة الأصوليين بتنظيم اجتماعات للصلاة خارج نظام الأبرشية ، على مختلف قمم التلال في جنوب بوهيميا ، وهناك كانوا يقدمون القربان بنوعيه ويعظون ضد اساءات كنيسة روما ، وسرعان ما تحولت اجتماعات الصلاة الى مستوطنات دائمة حيث كانت الحياة تقليدا واعيا للمجتمع المسيحي الأصلي كما صوره العهد الجديد ، وشكلت هذه الجماعات معا مجتمعا جنينيا كان بكامله خارج النظام الاقطاعي (ص ٢١٠) وكان يحاول تنظيم شؤونه على قاعدة المحبة الأخوية بدلا من القوة ، وكان اهم هذه المستوطنات على تل قرب قلعة بيكينيه على نهر لوزنيكا ، والأمر الذي له دلالة أن البقعة قد أعيدت تسميتها « بجبل طابور » ، حيث انه حسب تقليد يعود الى القرن الرابع ، كان طابور اسم الجبل حيث تنبأ المسيح بمجيئه الثاني (مرقص ١٣) ومن حيث صعد الى السماء والى حيث كان يتوقع عودته للظهور بجلال ، وسرعان ما ارتبط هذا الاسم بكل ما انطوى عليه من انغام أخروية بالهوسية المتطرفين أنفسهم ، وكانوا معروفين من قبل لدى معاصريهم بالطابوريين ، كما هم بالنسبة للمؤرخين اليوم.

وبالكاد وجد برنامج موحد للطابوريين ، لأن طموحاتهم كانت متنوعة ومشوشة وقد أثار هؤلاء الناس عداوة وطنية واجتماعية إضافة الى الدينية ، وحقيقة أن معظم التجار الناجحين في المدن لم يكونوا فقط كاثوليك مخلصين بل ايضا المان ، والاعتقاد واسع الانتشار – مع انه خاطىء – أن الاقطاع والرق كانا مؤسستان المانيتان مميزتان – لقد كانت هذه الأشياء تعني أن الطابوريين كانوا اكثر حماسا في معاداتهم للألمان من الاوتراكيست (كما كان الهوسية يدعون الاكثر اعتدالا) ولكن فوق كل شيء لقد رفضوا مطلقا كنيسة روما ، في حين أن الاوتراكسيت تمسكوا في كثير من النواحي

بالمذهب الكاثوليكي التقليدي ، لقد اكد الطابوريون حق كل فـردمن العامة اضافة الى الكهنة في تفسير الكتب المقدسة وفق معرفته وامكانياته ، ورفض العديد من الطابوريين عقيدة المطهر وانصرفوا عن الصلوات وقداس الجناز للموتى على انها خرافات لا طائل منها ، ولم يروا شيئا يستحق التكريم في الآثار المقدسة او صور القديسين ، وعاملوا كثيرا من شعائر الكنيسة بالازدراء ، ورفضوا أيضا أداء القسم واحتجوا على قانون العقوبة القصوى (الاعدام) وما هو أهم من كل شيء اصروا على انه لا شيء يجب عده مادة للعقيدة مالم يؤكد بجلاء في الكتابات المقدسة.

كل هذا يذكر بمهرطقي القرون السالفة وبشكل خاص تلك الطوائف التي درست الانجيل مثل: الوالد نسيان والفودي الذين كانوا في الحقيقة ناشطين جدا بين الطبقات الأكثر فقرا من بوهيميا ، ولكن هناك أيضا في بوهيميا منذ أمد طويل كما كان في أجزاء أخرى من اوروبا ، ميول الفية كانت بعيدة عن الانشقاق الواقعي للوالد نسيان بقدر ما كانت بعيدة عن الكاثوليكية الأصولية ، وفي ايام الموت الأسود ومواكب اللطامين الحاشدة تنبأ ـ المحكم الروماني ـ المتنبيءريزنو في براغ بأن عصرا من السلام والوئام والعدل ـ نظام فردوسي حقيقي ـ كان على وشك أن يفتتح ، ولقد عاش جون ميليك والمصلحون الذين تلوه في توقع مستمر للمجيء الثاني، في حين أنه قرب نهاية القرن الرابع عشر ظهرت في بوهيميا طوائف الفية كانت متأثرة بمذهب الروح الحرة ، وقد تعززت التوقعات الالفية بقوة حوت حوالي اربعين رجلا من البيكارتي وصلوا الى براغ من الخارج في ١٤١٨ . ومن المحتمل أن البيكارتي ربما كان المقصود بهم مجرد البيغرد ، ولكن الاكثر احتمالا أن المقصود كان البيكارد ، وأن أولئك الناس كانوا هاربين من الاضطهاد الذي كان في ذلك الوقت في ليل وتوناي ، وعلى اي حال يبدو انه كانت له علاقات وثيقة مع اتباع الروح الحرة من طليعة أهل الفكر الحر في بروكسل ،لقد شجبوا بشدة الأساقفة الذين أغفلوا عن عمد وصية المسيح بالفقر المطلق ويستغلون الفقراء حتى

يتمكنوا من العيش في ترف وفي فسق وملذات ، واعتقدوا أنهم هم انفسهم من جانب آخر كانوا أوعية للروح القدس ويملكون معرفة كاملة بقدر ما كان للحواريين ، إن لم يكن للمسيح ، وحيث أنهم كانوا يعتقدون أن كنيسة روما هي بغي بابل وأن البابا هو المسيح الدجال فمن الواضح أنهم شعروا أنهم يعيشون الفترة التي تتقدم الالفية أو ربما - مثل طليعة أهل الفكر الحر - للعصر الثالث والأخير.

وفي البداية كانت الميول الوالد نسيانية سائدة متحكمة بين الطابوريين خلال القسم الأعظم من ١٤١٩ ، و كان الطابوريون يهدفون الى إصلاح وطني و هو خلافا لاصلاح الهوسية الأصليين ، شمل قطيعة كلية مع روما ، وكان يتوجب أن تتوافق الحياة الدينية بناء على ذلك ، وإلى حد ما الحياة الاجتماعية في بوهيميا ، مع المثل الوالد نسيانية للفقر الرسولي والطهارة الخلقية ، وفي تشرين أول ومرة أخرى في تشرين الثاني اجتمع الطابوريون من كل انحاء بوهيميا في براغ ، حيث حاول القادة المتطرفون كسب الحكام من الهوسية واساتذة الجامعة لبرنامجهم وطبيعي أنهم أخفقوا وسرعان ما وجدوا انفسهم في مواجهة معارضة أشد قسوة بكثير مما ساوموا عليه ، وتوفي الملك ونسسلاس في آب ، بسبب صدمته بقتل المستشارين وانضم كبار النبلاء من الهوسية الى زملائهم من الكاثوليك لتأمين الخلافة لأخي ونسسلاس الامبراطور سيغسموند وايضا لاحباط خطط المتطرفين ، وسرعان ما القى قضاة براغ ثقلهم في الجانب المحافظ ، واتفق الجميع على أن يبقى قربان النوعين ، ولكنهم اتفقوا أيضا ، بشكل مؤكد ، على أن الطابوريين يجب كبحهم ، ولفترة عدة شهور بدأ في تشرن الثاني ١٤١٩ ، عزل الطابوريين في كل انحاء بوهيميا عن الحركة الوطنية ، وتعرضوا لاضطهاد وحشي رمى الى القضاء عليهم. وفي الوقت نفسه ، كما كان متوقعا اخذت التخيلات الرؤوية والالفية منحا حركيا نشيطا جديدا.
و بدأ عدد من الكهنة ، السالفين بقيادة واحد يدعى مارتن هسكا ، و يعرف ايضا باسم لوكويس (ص ٢١١) بسبب بلاغته فوق

العادية ، بالوعظ علنا بمجيء التحقق العظيم ، معلنيين أن الوقت حان لابطال كل الشر و التحضير للألفية ، و بين ١٠ و ١٤ شباط ١٤٢٠ تنبأوا بأن كل مدينة وقرية ستدمر بالنار مثل سدوم وفي كل النصرانية سيحل غضب الرب بكل من لم يهرب فورا الى « الجبال » التي حددت بالمدن الخمسة في بوهيميا ، والتي اصبحت معاقل للطابوريين وسمعت الرسالة واثارت في ادنى الطبقات الاجتماعية حماسا عظيما ، وباع العديدمن الناس الفقراء امتعتهم ، ومع رحيلهم الى تلك المدن مع زوجاتهم واطفالهم ، القوا بأموالهم عند أقدام الواعظين .

ورأى هؤلاء الناس في انفسهم انهم يدخلون في الصراع الأخير مع المسيح الدجال وحشوده ، ويظهر هذا بوضوح من رسالة مفتوحة وزعت في ذلك الوقت كان مما جاء فيها « يوجد خمس من هذه المدن ، وهي لن تدخل في اتفاق مع المسيح الدجال او تستسلم له ، ورددت أغنية طابورية عاصرت الاحداث الفكرة ايضا: « المؤمنون يبتهجون بالرب! ويقدمون له التمجيد والحمد لأنه شاء أن يحفظنا وبكرمه ولطفه حررنا من المسيح الدجال الشرير وجيشه الخبيث ... »

وفي البلايا التي كانت تحل بهم عرف الألفيون « الويلات المسيحية » التي طال توقعها واعطاهم الايمان رغبة جديدة في النضال ولعدم الرضى بانتظار دمار من لارب لهم بمعجزة ، دعا الوعاظ المؤمنين لتنفيذ التطهير اللازم للأرض بأنفسهم وكتب واحد منهم وهو خريج جامعة براغ ويدعى جون كابك رسالة قيل انها«أكثر امتلاء بالدم مما تمتليء بركة بالماء » وفيها صور بمساعدة اقتباسات من العهد القديم انه كان الواجب الذي لامفر منه للنخبة أن يقتلوا باسم الرب ، وقد افادت هذه الرسالة كهجوم مسلح للوعاظ الآخرين الذين استخدموا حججها لاقناع سامعيهم بالقيام بالمذبحة ، واعلنوا : « ينبغي عدم اظهار الرافة مطلقا تجاه المذنبين لأنه كل المذنبين كانوا أعداء المسيح وملعون ذلك الانسان

الذي يمسك سيفه عن سفك دم أعداء المسيح ، وينبغي على كل مؤمن ان يغسل يديه في هذا الدم » وانضم الوعاظ انفسهم بلهفة الى القتل لأنه « كل كاهن يجب ان يسعى بحق لجرح المذنبين وقتلهم »

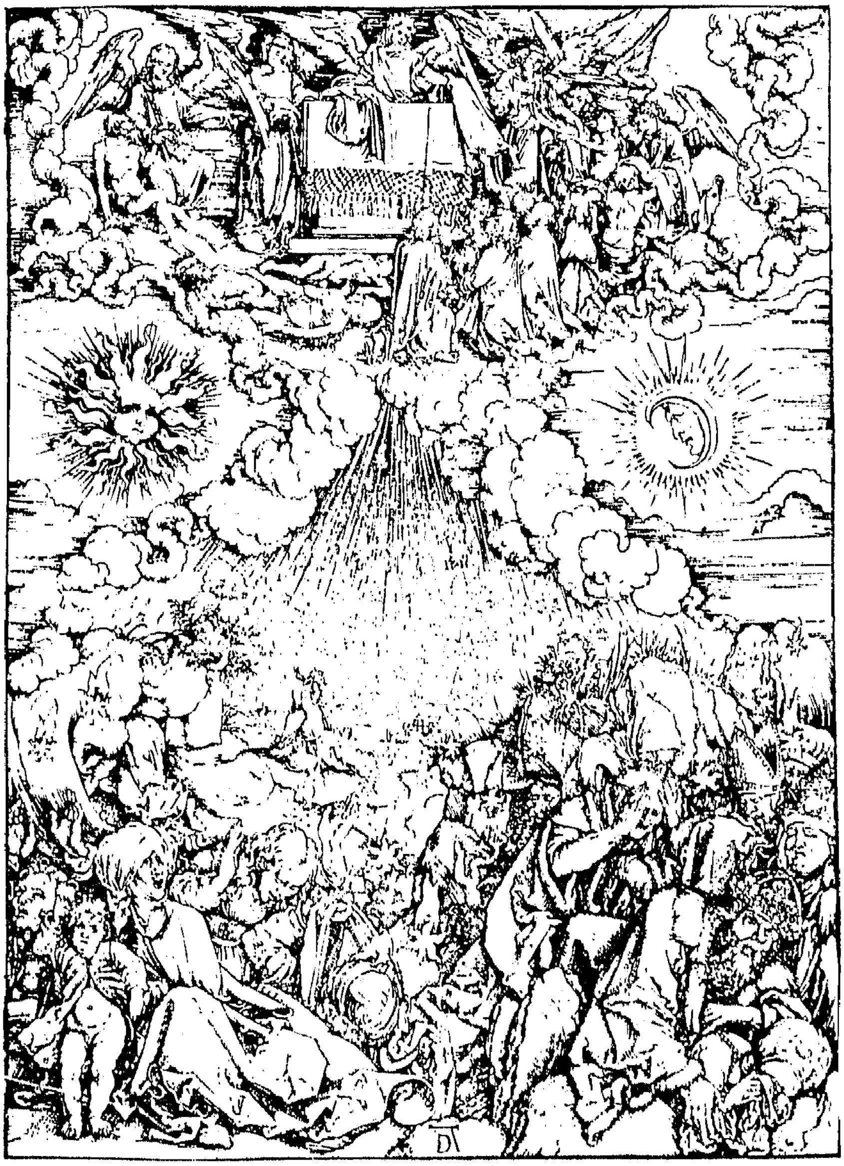
وشملت الذنوب التي يجب معاقبتها بالقتل مسببات القلق القديمة للفقراء « البخل والترف » وايضا وفوق كل شيء شملت كل معارضة لارادة « رجال القانون الالهي » وفي عيون الطابوريين المتطرفين كان كل خصومهم مذنبين ويجب ابادتهم ، والأدلة على هذا التعطش للدماء لم تأت كلها بأي وسيلة من مصادر معادية ، و لاحظ بيتر شيلكسكي Peter chelcicky و هو من الطابوريين ،كان قد مال الى هجر مظهره الوالد نسياني المسالم وهو التغيير الذي اصاب العديد من زملائه وتفجع من اجله وبين ان الشياطين قد اغواهم ليظنوا انفسهم من الملائكة الذين يتوجب (ص ٢١٣) عليهم تطهير دنيا المسيح من كل الفضائح والذين قدر لهم محاسبة العالم ، الأمر الذي اقترفوا بقوته كثيرا من القتل وافقروا العديد من الناس».



١ـ قصة المسيح الدجال : الى اليسار المسيح الدجال يعظ بالهام من الشيطان ، في حين على اليمين « الشاهدان » اينوخ واليجـا يعظان جنده ، وفي الأعلى المسيح الدجال مدعوما بالشياطين يحاول الطيران وبذلك يظهر أنه الرب في حين يستعد احد الملائكة الرئيسين لضربه واسقاطه .



٢ ـ البابا كمسيح دجال:(ملشيور لورك) في هذه الصورة المرعبة المهداة الى لوثر ظهر البابا بـذيل مع الخصائص الاخرى للشيطان في حين ان الضفادع الصادرة من فمه(مـع الزواحـف الاخـرى) تذكر بوصف المسيح الدجال في سفر الرؤيا:١٦ / ١٣ ، ويسوي احد العناوين الإشارحة ايضـا بين الصورة ، والرجل الوحشي كما اظهره الدكتور برهمير في دراسته:« كان مخلوقا غريبًا ذا قوة مدمرة شبقة ، وهو روح أرضية في الاصل من عائلة البان الهة الحقول عند الرومان (الفون) والهة الغابات عند الاغريق(ساتير) والمخلوقات التي تحولت الى شياطين مرعبة ، وقد اعطى لورك رجله الوحشي صليبا بابويا وهو ايضا جذع شجرة مثل ذلك الذي حمله القنطور وهو مخلوق خرافي نصفه رجـل ونصفه فرس ، كان بدوره رمز للاحليل.

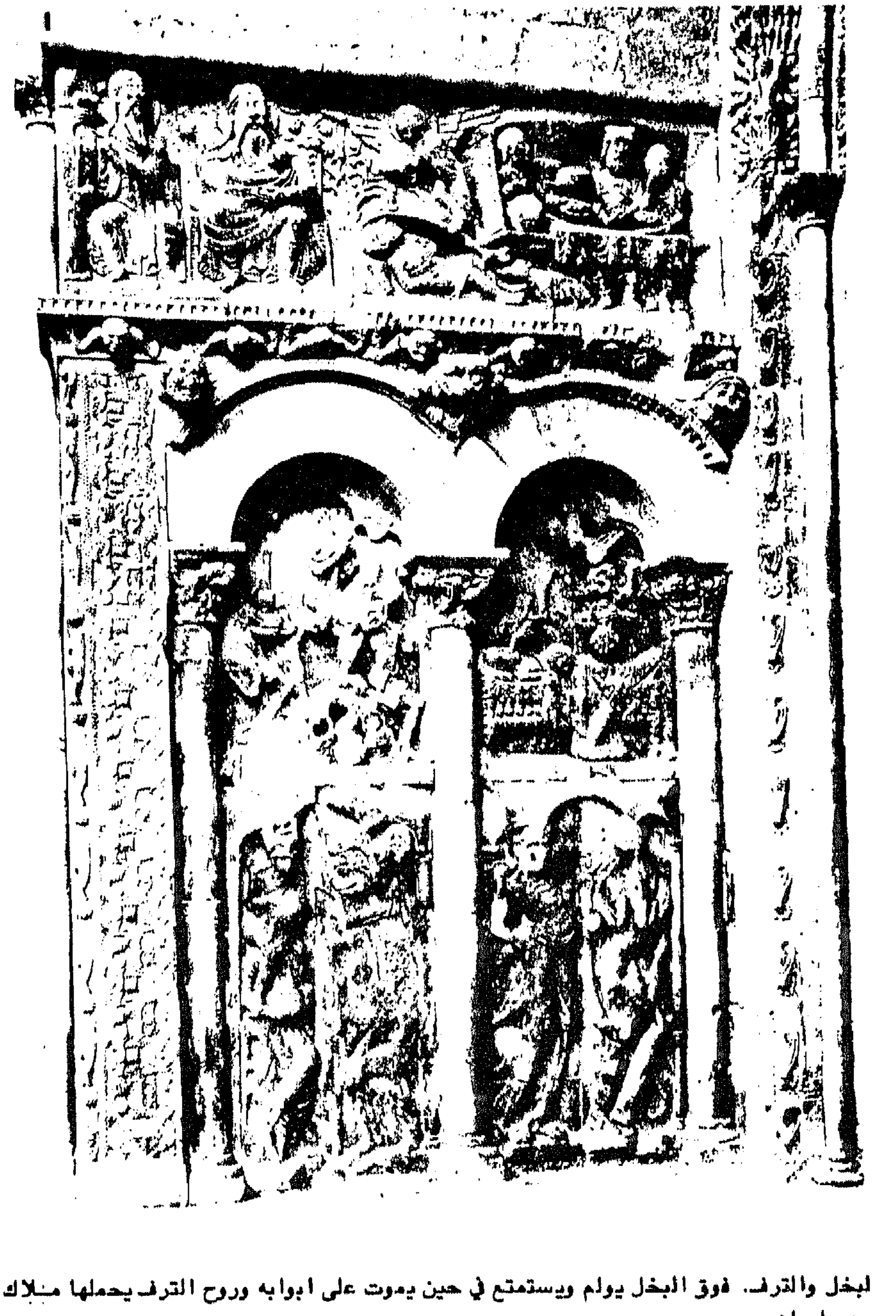


٣ ـ يوم الغضب (البرخت ديورر) رسم توضيحي الرؤيا: ٦ / ٩ ـ ١٦ :«... رايت تحت المذبح نفوس الذين ذبحوا من اجل كلمة الرب ، ومن أجل الشهادة التي كانت عندهم ... ونظرت... واذا زلزلة عظيمة حدثت والشمس صارت سوداء كمسح من شعر والقمر صار كالدم ، ونجوم السماء صارت الى الارض... وملوك الارض والعظماء والاغنياء والامراء والاقوياء اخفوا انفسهم في المغاير وفي صخور الجبال وهم يقولون للجبال والصخور: اسقطي علينا واخفينا عن وجه ذلك الجالس على العرش ، وعن غضب الخروف».

- ١٦٩٥ -



٤ـ مشهد من القرون الوسطى للقتل الطقوسي لصـبي مسـيحي على يد اليهود ، وهو مثل مدهش للاسقاط على اليهـود للصـورة الخيالية للتعذيب والأب المخصي .



البخل والترف. فوق البخل يولم ويستمتع في حين يموت على ابوابه وروح الترف يحملها ملاك الى صدر ابراهيم.
في الوسط: البخل يموت ويوزن بكيس نقوده ، ويدفع الى الاسفل في الجحيم بواسطة الشياطيين.
وفي الاسفل: البخل ويرمز اليه بشيطان والترف ويرمز اليه بامراة وافاعي.

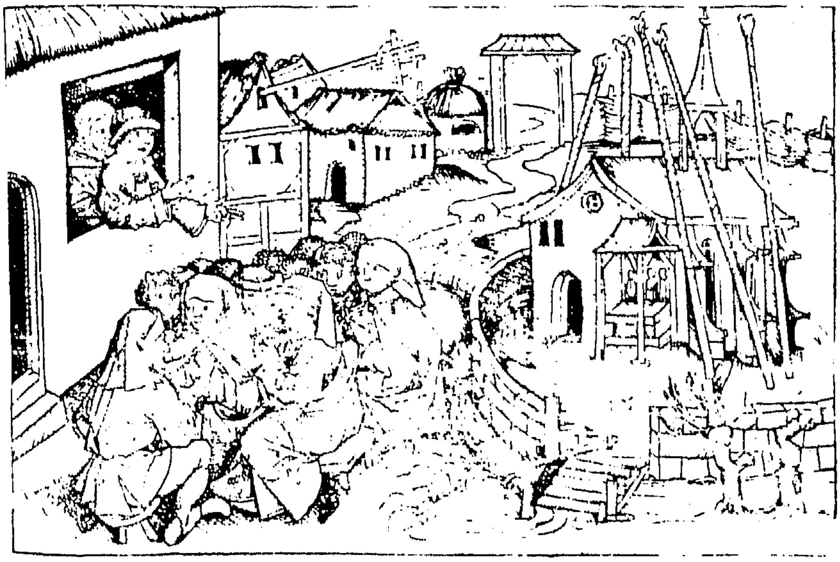
-١٦٩٧-



٦ ـ (١) موكب لطامين في ١٣٤٩



٦ ـ (ب) حرق اليهود في ١٣٤٩



٧ ـ طبال نيكلاسهوزن . الطبال بحثّه الناسك او البيغرد ، يقـدم تعاليمه ، التي كانت في حينه تعطى للحجاج ، وترتكز على الكنيسة شموع عملاقة يحملها الفلاحون في مسيرتهم الى ورزبرغ .

- ١٦٩٩ -



٨ ـ الرانتر كما تخيلهم معـاصروهم.أن هـذا الحفـر البـدائي والغريب على الخشب يبدو انه يظهر ان التدخين قد وضع بمسـاواة « الروح الحرة » كتعبير عن تناقض المبادىء .

- ١٧٠٠ -



٩ ـ جون ليدين كملك :(هنريش الديغريغر)
يعتقد ان هذا النقش الدقيق مأخوذ من الحياة في وقت ما بعد سقوط مونستر ، بناء على طلب الأسقف ، ورمزت الكرة السلطانية مع السيفين الى ادعاء بوكلسون السيادة على العالم روحيا ومدنيا فقد كان احد شعارات بوكلسون :« قوة الرب هي قوتي » .

ومازالت رسالة كتبهـا بـاللاتينية احـد الألفيين انفسـهم موجودة ، تؤكد ذلك كله بقولها :« ان المسـتقيمين ... سـيبتهجون الآن برؤية الثأر وغسـل أيديهـم في دمـاء المذنبين » ولكن اكثـر المتطرفين بين الطابوريين مضوا ابعد مـن ذلك وتمسـكوا بـأن اي واحد ، من أي مستوى ، لايسـاعدهم بشـكل فعـال في تحـرير الحقيقة ، والقضاء على المذنبين يكون هو نفسه عضـوا في حشـود الشيطان ويكون صالحا فقـط للابـادة بناء على ذلك ، لان سـاعة الثأر قد حانت حيث لا يعني التشـبه بـالمسيح بعـد الآن الاقتـداء برحمته بل بقضيته وقسوته ورغبته في الثأر ، وكملائكة الرب للثـأر ومحاربين عن المسيح على الصفوة المنتخبـة ان تقتـل الجميع بـلا استثناء ، ممن لاينتمون الى جماعتهم» .

وقد زاد من إثارة الألفيين تطور الحـالة السـياسية ففـي آذار ١٤٢٠. انتهت الهـدنة بين الهـوسية المعتـدلين والامبـراطور سيغسموند ، وغزا جيش كاثـوليكي ، دولي في تـركيبه ولكنه ذو غالبية المانية ومجرية ، بوهيميا ولم يقبل التشيك مطلقا من جانبهم سيغسموندملكا لهم ، وفي الواقع وان لم يكن بالقانون باشرت البلاد فترة من خلو العرش كان لها ان تستمر حتـى ١٤٣٦ ، وبـاشرت ايضا حربا لطرد الغزاة تحت لواء قائد عسكري عبقري هـو جـون ززكا John Zizka في معـركة تلو معـركة ، وكان ززكا من الطابوريين ، وكان الطابوريون هـم الذين حملوا وطـأة الصراع ، وعلى الأقل في المراحل الأولى لم يشـك أكثـرهم تـطرفا مطلقا انهـم كانوا يعيشـون خـلال فتـرة « التحقيق الزماني » والقضاء على كل الشرور .

ووراء القضـاء على كل الشرور تـكمن الألفية ، وكان الناس مقتنعين تماما انه بينما الأرض تنظف من المذنبين سيهبط المسيح في « بهاء وسلطان عظيم » ثم تأتي « المائدة المسيحية » التي ستقام

في الجبال المقدسة للطابوريين ، وبعدما سيتولى المسيح المنصب الملكي مكان الامبراطور غير الجدير سيغسموند وسيحكم العالم الألفي الذي « سيتألق فيه القديسون مثل الشمس في مملكة ابيهم » و « يعيشون مشرقين كالشمس تماما بلا بقع » وسيبتهجون الى الأبد في حالة من البراءة كحالة الملائكة ، او أدم وحواء قبل السقوط ، وستكون هذه الألفية في الوقت نفسه العصر الثالث والأخير للنبوءات اليواكمية ، وفي ذلك العالم لن تكون هناك حاجة للأسرار المقدسة لضمان الخلاص ، وحفظ الكهنة للكتب سيتكشف بطلانه ، وستختفي (ص ٢١٤) الكنيسة نفسها ، وهناك لن يشعر أحد برغبة جسد أو معاناة ، وستحبل النساء دون اتصال جنسي ويحملن اطفالهن بدون الم ولن يكون المرض والموت معروفين . وهناك سيعيش القديسون معا في مجتمع الحب والسلام ، ولايخضعون لقانون،متحررين من كل قسر : وسيكون السكان الجدد للفردوس ـ كما سنرى ـ تجديدا لوجود حالة المساواة في الطبيعة .

الشيوعية الفوضوية في بوهيميا

إذا كان إيمان الطابوريين بالأخرويات مستمدا بشكل رئيس من اليوحنيه والنبوءات اليواكمية ، فإن بعض ملامحها بالتأكيد تذكر باسطورة العصر الذهبي ، وهذا مدهش بشكل خاص عندما يقوم المرء بفحص التنظيم الاجتماعي للالفية الطابورية ، ويستحيل الحديث عن التأثير الذي ربما تكون قد أحدثته هنا شهرة جون بول بوساطة تعاليم المهاجرين البيكارد او بوساطة الأتباع المحليين للروح الحرة ، وكانت الأفكار المتفجرة كامنة على اي حال وجاهزة للمساهمة في الأدب التقليدي للتشيك ، ولم يكن ببساطة ان بوهيميا شأنها شأن البلدان الأخرى كانت مطلعة على خيالات حالة الشيوعية الفوضوية الطبيعية إذ كانت هذه التخيلات في بوهيميا قد أخذت أهمية وطنية غريبة ، ومن قبل وابكر من ذلك بثلاثة قرون

تخيل كوسماس اوف براغ ، المؤرخ البوهيمي الأول ، وصــور أول الناس وهم يستوطنون في بوهيميا ، على أنهم يعيشون حالة مجتمع كامل المشاعية : « كأشعة الشمس ، ورطوبة الماء ، هكذا الحقــول المحروثة ، والمراعي ليس هذا فحسب بل حتى الزيجات كانت كلهــا مشتركة .... لأنهم اتباعا لأسلوب الحيوانات باشروا التــزاوج لليلة واحدة .... ولم يكن أحد يعرف كيف يقول : « لي » ، ولكن كما في حياة الرهبنة كانوا يقولون عن كل شيء لديهــم : « لنا » ، بــالقلب واللسان وفي أفعالهم ولم تكن هناك اقفال على أكواخهم ، ولم يقفلوا ابوابهم في وجه المحتاجين ، لأنه لم يكن هناك لانشالين ولالصــوص ولافقراء .... ولكن واأسفاه لقد استبدلوا الرخــاء بعــكسه والملكية المشاعة بالملكية الخاصة .... لأن رغبة التملك كانت تحترق بداخلهم بضراوة تفوق نيران اتنا» وقد خلد المؤرخون المتأخرون هذه الأفكار بين المتعلمين ، وكان ماهو أكثر أهمية ظهــور التخيلات نفســها في وقت مبكر في القرن الرابع عشر في تاريخ تشيك رايمد، وهــو عمــل بالعامية قدر له أن يبقى شهيرا جدا حتى نهاية العصور الوســطى ، وكان أنذر بطرق عدة بحدوث العاصفة الطابورية ، لأن هناك جــرى تصوير مجتمع النعيم التشيكي (ص ٢١٥) القديم ، الذي فقد من زمان طويل وذلك بقصــد دعائي ، في محيط هجمــات ضــارية على التجارة والحضارة الألمانية في المدن ، تماما كمــا ســيفعل بعــد ذلك بقرنين ثوار الراين الأعلى في مقــارنة الحياة المشــاعية المفتــرضة للألمان القدماء مع طرائق المرابين الشريرة التــي ادخلهــا الألمان ، وإلى اي مدى لونت هذه التخيلات المظهــر الاجتمــاعي والتــاريخي التشيك هذا ما أظهر بوساطة حقيقة أنه عندمــا اخــرجت في القــرن الرابع عشر المجموعة القانونية المعروفة بــاسم الماجســتا كارولينى باللغة الدارجة ، جعلت هذه الوثيقة الجليلة تنطق بأنه ليس فقــط في الأجيال الأصيلة او لزمان طويل كانت ملكية كل شيء ، مشتركة ، بل إن تلك العادة كانت هي العادة الصحيحة .

وكما فهم الطابوريون المتطرفون الألفية قدر لها أن تتميز بعــودة للنظام الشيوعي الفوضوي المفقود ، وكان لابد منْ إبــطال الضرائب

والقروض والايجـارات وكذلك الملكية الخـاصة مـن كل نوع ، وأن لاتـكون هناك سـلطة بشرية مـن أي نوع : « وسـيعيش الجميع كأخوة ، ولايخضع أحـد لآخـر » « والرب هـو الذي سـيحكم ، وستسلم المملكة لأهل الأرض » . وحيث أن الألفية ستكون مجتمعـا بلا طبقات ، كان التوقع أن المذابح التحضيرية ستأخذ صورة حـرب طبقية ضد « العظيم » ، وصـورة هجـوم أخير ، في الواقـع ، على الجشع الحليف القديم للمسيح الدجال .

وكان الطابوريون واضحين تماما في هذه النقطة : « كل اللوردات والنبلاء ، والفـرسان سـيصرعون ويقضى عليهـم في الغـابات كالخارجين على القانون » وايضا كما كانت الحالة في أراض أخرى في قرون سالفة ، كان فوق كل شيء ، سكان المدن الأغنياء أو مـلاك الأراضي الغائبون ، بدلا من النمط القديم من السادة الاقـطاعيين ، هم الذين رؤي فيهم صورة الجشع وكان هذا الجشـع المديني هـو الذي تلهف الطابوريون المتطرفون بشدة لتدميره ، تماما كمـا كانت المدن التي اقترحوا حرقها إلى الأرض ، حتى لايدخلها مـؤمن مـرة أخرى ، وكانت براغ معقل مؤيدي سيغسموند هدف المقـت الخـاص وبتسمية المدينة بابل أظهر الطـابوريون بـوضوح كاف المعنى الذي ربطوه بمصيرها الوشيك ، لأن بابل مسقط رأس المسـيح الدجـال والنظير الشيطاني للقـدس ، كانت تعتبـر تقليدا تجسـيدا للتـرف والبخل ، وعلى الشكل التالي تنبأ سفر الرؤيا بسقوطها:

« بقدر ما مجدت وتنعمت بقدر ذلك أعطوها عذابا وحزنا .... من أجل ذلك في يوم واحد ستأتي ضرباتها موت وحزن وجوع وتحتـرق بالنار لأن الرب الاله الذي يدينها قوي .

وسيبكي وينوح عليهـا ملوك الأرض الذين زنوا وتنعمـوا معهـا حينما ينظرون (ص ٢١٦) دخان حريقها واقفين مـن بعيد لأجـل خوف عذابها قائلين ويل ، ويل ، المدينة العظيمة بابل المدينة القوية ،

لأنه في ساعة واحدة جاءت دينونتك ، ويبكي تجار الأرض وينوحون عليها لأن بضائعهم لايشتريها أحد فيما بعد .... »

وبعد هذا يظهر المسيح المحارب في السماوات على رأس جيش من الملائكة ليشن الحرب على المسيح الدجال وليقيم الألفية على الأرض .

وبعدما ينفذ التطهير العظيم ويتم تجديد المجتمع الكامل فوق التراب البوهيمي ، على القديسين أن يمضوا لغزو بقية العالم والسيادة عليه ، « لأنهم الجيش الذي أرسل إلى كل العالم لحمل وباء الانتقام وإيقاع الثأر في كل الأمم ومدنها الكبيرة والصغيرة ومحاسبة كل شعب يقاومهم .

وبعد ذلك تخدمهم الملوك ، وكل أمة لاتخدمهم ستدمر ، « وسيدوس أبناء الله على أعناق الملوك وسيعطون كل الممالك الموجودة تحت السماوات » .

ولقد كانت اسطورة اجتماعية بالغة القوة ، وواحدة مما تعلق به بعض المتطرفين لسنوات عديدة ، خلال أشد المحن تثبيطا وإن المجيء الثاني قد يتأخر إلى أجل غير مسمى ، وقد يبقى النظام الاجتماعي التقليدي دون تغيير ، وكل فرصة حقيقية لثورة مساواتية قد تختفي ، لكن هذه التخيلات ما برحت تتردد ، وفي وقت متأخر يعود إلى ١٤٣٤ نجد متكلما في اجتماع للطابوريين يعلن ، أنه كيفما كانت الأحوال غير مواتية في الوقت الراهن ، فإنه ستأتي اللحظة حالا حيث يجب أن تهب النخبة وتبيد أعداءهم ، وهم السادة في المقام الأول ، ثم أيا من شعبهم ممن يشك في ولائه أو نفعه ، وما أن يجري ذلك ، وبوهيميا تحت سيطرتهم التامة ، فإنهم سيتقدمون بأي تكاليف من الدماء المسفوكة ، ليغزوا أولا الأراضي المجاورة ثم كل الأراضي الأخرى ، « لأن هذا ما فعله الرومان ، وبهذه الطريقة سادوا العالم كله » .

وفي التطبيق كانت خطة نظام الشيوعية الفوضوية على اتساع

العالم قد قوبلت بنجاح محدود جدا ، وفي وقت مبكر في ١٤٢٠ وضعت خزائن مشتركة في بعض المراكز تحت سلطة كهنة الطابوريين ، وباع الوف من الفلاحين والحرفيين في كل انحاء بوهيميا ومورافيا كل حاجياتهم ودفعوا العائدات للخزائن فلقد انفصل هؤلاء الناس تماما عن حياتهم القديمة إلى حد انهم كثيرا ما احرقوا بيوتهم وما حولها إلى الأرض ، والتحق العديد منهم بجيوش الطابوريين ليعيشوا مثل البدو الذين لاملكية لديهم من المحاربين عن المسيح ، حياة تشبه في غرابتها حياة فقراء الحملات الصليبية الخشنة،ولكن كان هناك ايضا العديد ممن توطنوا في المدن التي كانت معاقل للطابوريين وشكلت ما اريد منه أن يكون مجتمعات مساواة ، تجمعها معا المحبة الأخوية وحدها ، (ص ٢١٧) ولاتعرف شيئا عن « لي ولك » .

وقد تشكل اول هذه المجتمعات في أوائل ١٤٢٠ في بيسيك في جنوب بوهيميا وظهر الثاني إلى الوجود في شباط ١٤٢٠ بعد وقت قصير من إخفاق المسيح في العودة إلى الأرض حسبما تم التنبؤ وكان متوقعا ،و استولت قوة من الطابوريين والفلاحين بقيادة كهنة من الطابوريين على مدينة أوستي على نهر لوزنيكا ، وبعد بضعة ايام تحركوا إلى مرتفع داخل في النهر على شكل نتوء ، كان يشكل حصنا طبيعيا ، وكان كل ذلك في جوار التل الذي اطلق عليه في السنة السالفة اسم جبل طابور ، واعيد الآن تسمية الحصن باسم طابور ايضا ، وفي آذار تخلى القائد العسكري جون ززكا عن مركز قيادته في بلزن وانتقل إلى طابورمع كل طابوريي بلزن ، وهزم السادة الاقطاعيون المحليون بسرعة في سلسلة من الهجمات المفاجئة واصبح الجوار كله تحت سيطرة الطابوريين

وخلال ١٤٢٠ و ١٤٢١ كانت طابور وبيسك المعقلين الرئيسيين لحركة الطابوريين ، ولكن طابور هي التي أصبحت موطن الجناح الأكثر الفية وتطرفا في الحركة ، وقد هيمن عليه في البداية اكثر الناس فقرا ، وقد استهلوا العصر الذهبي الجديد بقولهم : « بما أن

« لي ولك » لاوجود لهما في طابور ، بل إن كل الممتلكات مشتركة ، يجب أن يتملك كل الناس دائما كل شيء بصورة مشتركة ، ويجب أن لايملك أحد أي شيء لنفسه ، وكل من يملك ملكية خاصة يرتكب خطيئة مميتة » .

ومن سوء حظ تجربتهم الاجتماعية ، كان الثوريون الطابوريين مشغولين جدا بالملكية المشتركة إلى حد أنهم اغفلوا تماما أمر الحاجة للانتاج ، حتى لقد بدا أنهم اعتقدوا أنه مثل آدم وحواء في الجنة ، سيعفى المقيمون في المجتمعات المثالية الجديدة من كل حاجة للعمل ، بيد أنه إذا لم يكن مدهشا أن تلك التجربة المبكرة في الشيوعية التطبيقية كانت قصيرة العمر ، فإن الطريقة التي انتهت بها ماتزال تستحق بعض الانتباه ، وكان أتباع الروح الحرة عادة يعتبرون أنفسهم مخولين بالسرقة والسلب والآن فإن نفعيين مشابهين جدا لهم ، ولكن على نطاق أكبر بكثير قد تبنتهم تلك المجتمعات الطابورية ، وعندما نفدت أموال الخزائن المشتركة أعلن المتطرفون أنهم « كرجال شريعة الرب » ، مخولون بأخذ كل ما يخص أعداء الرب ، وعنوا في البداية الاكليروس والنبالة والأغنياء بشكل عام ، ولكن سرعان ما شمل هذا كل من ليس من الطابوريين ، ومن حينه فصاعدا ، إلى جانب أو مع الحملات الرئيسة التي شنت بقيادة ززكا ، جرت حملات كثيرة ، كانت ببساطة غارات نهب .

وهكذا شكا الطابوريون الاكثر اعتدالا في مجالسهم بقولهم : إن كثيرا من المجتمعات لم تفكر ابدا في كسب معايشها بعمل أيديها ، ولكنها تريد فقط ان تعيش على ممتلكات الناس الاخرين ، و أن تقوم بحملات ظالمة من أجل الهدف الوحيد وهو السرقة » (ص ٢١٨) وقام عدد كبير من الطابوريين المتطرفين وهم يمقتون طرق الاغنياء المترفين ، فصنعوا — تماما مثل بعض اتباع الروح الحرة — لانفسهم حللا ذات ابهة ملكية حقيقية ، كانوا يرتدونها تحت ارديتهم الكهنوتية .

لقد عانى الفلاحون المحليون كثيرا ، وكانت اقلية فقط من بين الفلاحين الذين كانوا يدينون بالولاء للنظام الطابوري في التي باعت ممتلكاتها والتحقت بجماعة النخبة ، لكن في ربيع ١٤٢٠ ، مع دفقة الحماس الثوري الاولى ، اعلن الطابوريون ابطال العلاقات الاقطاعية والقروض والخدمات ، فأسرع العديد من الفلاحين طبقا لذلك ليضعوا انفسهم تحت حماية النظام الجديد ، إنما خلال نصف سنة كان لديهم سبب جيد للأسف على قرارهم ، ومع تشرين اول ١٤٢٠ كان الطابوريون مدفوعين بفعل مأزقهم الاقتصادي الى البدء بجمع القروض من الفلاحين في النواحي التي اداروها ، ولم يمض بعد ذلك زمان طويل حتى تزايدت القروض بدرجة كبيرة ، حتى أن العديد من الفلاحين وجدوا انفسهم أسوأ مما كانوا عليه في ظل سادتهم السالفين .

ومرة اخرى كان مجلس الطابوريين المعتدلين هو الذي ترك اكثر الاوصاف إثارة للدهشة ، بالشكوى من أن تقريبا جميع الطوائف كانت تنهك عامة الناس في الجوار بطريقة غير انسانية تماما ، وتضطهدهم كالطغاة والوثنيين ، وينتزعون الايجار بلا شفقة حتى من اكثر المؤمنين اخلاصا ، وإنه مع أن بعض هؤلاء الناس من عقيدتهم نفسها فانهم يتعرضون لاخطار الحرب نفسها وهم في جانبهم تساء معاملتهم بقسوة كما انهم يسلبون ايضا من قبل الأعداء » وكانت محنة هؤلاء الفلاحين الذين حصروا بين الجيوش المتحاربة شديدة ، ومع تأرجح أحوال الحرب من الجانب الاخر ، كان عليهم أن يؤدوا الفروض مرة للطابوريين ، ومرة لسادتهم الاقطاعيين القدامى ، وعلاوة على ذلك كانوا يعاقبون من كلا الجانبين باستمرار لتعاونهم (حتى لو كان ذلك بالاكراه) مع الاعداء ، من قبل الطابوريين لانهم تحالفوا مع الطغاة ، ومن قبل الكاثوليك لانهم « اصدقاء المهرطقين » ، وبينما هم تحت سيادة الطابوريين كانوا يعاملون من قبل من يدعون بالاخوة كأدنى انواع العبيد ، والفروض تنتزع منهم بواسطة « رجال قانون الرب » بتهديدات مثل :« اذا لم تطع فاننا سنجبرك بعون الله بكل وسيلة

وخاصة بالثأر ، على تنفيذ اوامرنا» ، ومع ان الطابوريين قد تحدوا النظام الاقطاعي بفعالية لم يكونوا يحلمون بها انذاك ، فان المشكوك فيه مدى استفادة الفلاحين البوهيميين ، وبالتأكيد في وقت انتهاء الحرب كانه الفلاحون اضعف والنبلاء ، اقوى من قبل ، وباتت العبودية من اشد الانواع ارهاقا ، يمكن ان تطبق عليهم عندئذ بسهولة كافية (ص ٢١٩) .

وحتى ضمن طابور نفسها تم التخلي عن تجربة الشيوعية الفوضوية بسرعة ، وايا كانت كراهية المجربين في القيام باي عمل ، فانهم كانوا لايستطيعون العيش بدونه ، وبسرعة كان الحرفيون ينظمون انفسهم في نظام من النقابات شبيهة بتلك الموجودة في المدن البوهيمية الاخرى ، وفوق كل شيء من اذار ١٤٢٠ ومابعده كان الطابوريون منهمكون في الحرب الوطنية ضد الجيوش الغازية ، ولأشهر عديدة كانوا في الواقع يساعدون الهوسية من غير الطابوريين في براغ في الدفاع عن العاصمة ، ولم يكن ممكنا حتى بالنسبة للجيش الطابوري ان يعمل بدون قيادة هرمية ، وفي مجرى الاحداث عمل ززكا ، الذي لم يكن من دعاة المساواة ولادعاة الالفية ، عمل على ان تكون المواقع القيادية محفوظة لرجال ، جاءوا مثله من النبالة الادنى ، وكان كل ذلك يميل الى ترطيب نار الكهنة الطابوريين ، وفي الوقت الذي عادوا فيه الى طابور في ايلول ، كانوا اقل اهتماما بالالفية منهم بانتخاب « اسقف » يشرف عليهم ويدير اموالهم ، ومع ذلك لم ينبذ السعي وراء العصر الذهبي بدون صراع ، وبينما كان المزيد والمزيد من الطابوريين يستعدوون لتكييف انفسهم مع المقتضيات الاقتصادية للحرب ، والترتيب الطبقي ، الذي لم ينم عن اي علامة على الانهيار ، استجابت اقلية بتطوير صور جديدة من العقيدة الالفية .

وطور الواغط مارتن هسكا وقد الهم جزئيا من قبل الببكارتي المهاجرين ، مذهبا الى الاسرار المقدسة كان يمثل انفصالا كليا عن الافكار الطابورية المعتادة،وتقاسم ززكا والعديد من الطابوريين

الاخرين مع المؤمنين بنوعي القربان في براغ تمجيدا عميقـا للاسرار المقدسة على انها الجسد والدم للمسيح ، وعندمـا كانوا يخـرجون للقتال كان كأس نبيذ القربان المثبت على عمـود يحمـل في المقـدمة كعلم ، ورفض هوسكا من جانب اخـر اسـتحالة خبـز القـربان وخمره الى جسد ودم المسيح وفسر بدلا من ذلك عملية مناولة كان لها في المقام الاول دلالة وليمة حـب تجـرب تحضـيرا «د للمأدبـة المسيحية » التي قدر للمسيح العائد ان يولها مع نخبته ، ومن اجـل نشر مثل هذه الافكار خارج البلاد احرق حتى الموت في اب/١٤٢١ ،

لقد انتشرت هذه الافكار الى طابور نفسها ، وفي وقـت مبـكر في ١٤٢١ كان بضع مئات مـن المتـطرفين ، الذين اعطـوا اسـم بيكارتي ، نشطين هناك تحـت زعامـة كاهـن يدعى بيتـر كانيس وسببوا كثيرا من النزاع ، حتر غادروا المدينة في شـباط او طـردوا منها ، وكان معظمهم ببساطة يتقاسم مـع هسـكا افـكاره حـو ل القربان المقدس ولكن كان بينهم بعض المتطرفين ـ ربمـا حـوالي ٢٠٠ ـ من الذين حملوا مذهب الروح الحـرة في صـورته الاكثـر نضالية ، وكان هؤلاء هـم الناس الذين قـدر لهـم ان يصـبحوا مشهورين في التاريخ تحت اسـم الادامـايت البـوهيميين . وكانوا يعتقدون ان الرب يتوطن في قديسي الايام الاخيرة ، اي في انفسهم ، وان هذا هو ماجعلهم اسمى من المسيح ، الذي بموته اظهـر نفسـه بأنه مجـرد بشر ، واحلوا بـذلك انفسـهم مـن الانجيل ، والعقيدة وحفظ الكتب ، مكتفين بالصلاة التي تمضي هكذا :« ابـانا الذي فينا (ص ٢٢٠) ، نورنا بما يجب ان نفعل ...» وكانوا يتمسكون بـان الجنة والنار لاوجود لهما سوى في نفوس الصالحين والضالين على التوالي : واستخلصوا بانهم لكونهم من الصالحين فانهم سيعيشون الى الابد كسكان في الالفية الارضية .

وقطع ززكا حملة كان يتولاها بغية التعـامل مـع الادامـايت وفي نيسان ١٤٢١ اسر نحو خمسة وسبعين منهم بمـا فيهـم كانيس واحرقتهم كمهرطقين ، وسار بعضهم وهم يضـحكون في اللهـب .

ووجد الناجون قائدا جديدا في احد الفــلاحين او ربمــا الحــدادين ، واسموه معا : ادم وموسى وكان المفترض انه مخول بحكم العــالم ، ويبدو انه كان هناك ايضا امراة ادعت انها العذراء مريم ، ومن اجل البقية يقال : ان الادامايت قد عاشوا تماما مثل اتباع الروح الحــرة في حالة من الاشتراك غير الشرطي ، الى درجة ليس فقط ان مــامن احد امتلك شئيا خاصا به بل ان الزواج المحصور عد خطيئة ، وبينما كان الطابوريين بشكل عام احاديين في الزواج بشكل صارم ، يبدو ان الحب الحر كان هو القاعدة بين صفوف هذه الزمرة ، وعلى اساس متانة تعليقات المسيح حــول البغــايا واصــحاب الخــانات ، اعلن الادامايت ان الانسان العفيف غير اهل لدخــول مملكتهم المسيحية ، ومن جانب اخر لم يكن بامكان اي زوج ممــارسة الاتصــال الجنسي بدون موافقة « ادم ــ موسى » ، الذي كان يبــاركهم قــائلا « اذهبــا وكونا مثمرين وتكاثرا واعيدا اعمار الارض » ، وكانت هذه الزمــرة معتادة جدا على الرقصات الطقوسية العارية التي كانت تعقد حــول نار ومصحوبة بانشاد التراتيل ، وفي الواقع يبــدو هؤلاء الناس قــد امضوا كثيرا من اوقاتهم عراة متجاهلين الحر والبرد ، مدعين انهم في حالة من البراءة التي تمتع بها ادم وحواء قبل السقوط .

وعندما كان ززكا يلاحق البيكارتي ، التجأ هؤلاء الفوق فــوضويون الى جــزيرة في نهــر انزاركا بين فيزلي وجندريشــوف هـــرادك (نيوهاوس) ومثل الطابوريين الاخرين اعتبــر الادامــايت انفســهم ملائكة منتقمين ، وكانت مهمتهم ان يستخدموا السيف في العالم كله حتى يقضى على غير الطاهرين .

واعلنوا ان الدم يجب ان يغمر العالم حتى ارتفاع رأس الحصان وعلى الرغم من عددهم الصغير عملوا مــافي وســعهم لتحقيق هــذا الهدف ، ومن معقلهم في الجزيرة كانوا يقومون بغارات ليلة مــدمرة ــ سموها حربا مقدسة ــ ضد القرى المجاورة : وفي تلك الحمــلات وجدت مبــادئهم الشــيوعية وشــهوتهم للتـــدمير تعبيرا ، وكان الادامايت الذين لم تكن لديهم ممتلكات خاصة بهــم يمتلكون كل شيء

يمكنهم ان يضعوا ايديهم عليه وفي الوقت نفسه كانوا يشعلون النار (ص ٢٢١) في القرى ويبيدون او يحـرقون احياء كل رجـل ، او امراة او طفل يمكنهم ان يجدوه ؛ وسوغوا ذلك بشواهد من الكتابات المقدسة مثل : « وفي منتصـف الليل كانت هناك صرخـة ، انظـروا العريس قادم .... » ومن ثم كانوا يذبحون الكهنة الذين اعتبـروهم شياطين مجسدة بحماس خاص وفي النهاية ارسـل ززكا قـوة مـن ٤٠٠ جندي مدرب ، تحت قيادة احد كبار ضباطه ، لوضـع نهـاية للاضطراب ، ودون قلق اعلن « ادم ــ موسى » ان العـدو سـيضرب بالعمى في ارض المعركة ، حتى ان حشدا كاملا سيكون تمـاما بـلا حول ، في حين ان القـديسين اذا صـمدوا الى جـواره سـيكونون معصومين مـن الضرر ، وصـدق اتبـاعه واعدوا المتـاريس على جزيرتهم ودافعوا عن انفسهم بطاقة هائلة وشجاعة ، وقتلوا العديد مـن المهـاجمين ، وفي ٢١ تشرين اول ١٤٢١ سـحقوا اخيرا وابيدوا عن بكرة ابيهم ، واستبقي رجل واحد باوامر ززكا ، حتـى يعطي بيانا كاملا عن عقائد وممارسات الطائفة ، وسجلت شـهادته بصورة وافية في حينه و قدمت للدراسة من قبل هيئة كلية لاهوت اتراكويست في براغ ، وقد احرق هو نفسه بعد ذلك ، واغرق رمـاده في النهر ، وهـو احتياط يوحـي بقـوة بـانه لم يكن غير الزعيم المسائحي « ادم ــ موسى » نفسه .

وفي ذلك الوقت كان حجم الثورة الاجتماعية في بوهيما قد تناقص بالفعل وتقلص بين اهداف الحركة الطابورية ، وفي السـنة التـالية وضعت ثورة مضادة نهاية لهيمنة الحرفيين في بـراغ ، وبعـد ذلك ، ــ مع ان الكلام عن الثورة قد يستمر ــ اخذت القوة الفعالة تتجمـع بصورة متزايدة مع النبالة ، ولكن وراء الجبهات كانت تعاليم ومثـل الثوار البوهيميين مسـتمرة التـاثير والفعـالية بين الفقـراء غير الراضين وقال احد المؤرخين من الخصوم : « اصـبح البـوهوميون الان اقوياء جدا وجبارين ، ومتغطرسين ، حتى انهم كانوا مـوضع خشية على كل الجوانب ، وكان كل الناس ، الشرفاء متخوفين لئلا ينتشر الخبث و تنتقل الفوضى الى الشعوب الاخرى فينقلبوا ضد كل

من كانوا محترمين وملتزمين بالقانون ،وضـد الاغنياء ، لان هـذا كان بـالضبط الشيء المطلوب للفقـراء الذين لم يكونوا يرغبـون في العمـل وكانوا ايضـا متغـطرسين ومحبين للمسرات ، وكان هناك العديد مثلهم في كل البلاد ، اناس خشنون ولاقيمة لهم ممن شـجعوا البوهيميين على هرطقتهم وعدم ايمانهم بقـدر مـاكان بـوسعهم ، وعندمـا لم يجـرؤوا على فعـل ذلك علنا ، كانوا يفعلونه سرا ... وهكذا كان للبوهيميين عدد كبير من المؤيدين السريين الخشنين من الناس ....

وقد اعتادوا الجدل مع الكهنة ، قـائلين ان كل واحـد يجـب ان يقتسم ملكيته مع كل شخص اخر ، وكان هذا يمـكن ان يسر عددا كبيرا من الاتباع عديمي القيمة وان يمضي بشكل جيد جدا » .

وفي كل مـكان كان يستحوذ على الاغنياء واصـحاب المزايا ، والاكليروس والعامة على السواء الخوف من ان يؤدي انتشار نفوذ الطابوريين الى ثورة يمكن ان تقضي على كل النظـام الاجتمـاعي ، وكانت دعوة الطابوريين (ص ٢٢٢) التي لم تهـدف الى القضـاء على الاكليروس فقط بل على النبالة ، قد تسربت الى فرنسا وحتـى اسبانيا ، ووجدت كثيرا من القـراء المتعـاطفين ، وعندمـا هـب الفلاحون في برغنديا وحـول ليون ضـد سـادتهم مـن الاكليروس والمتحكمين بهم من المدنيين عزا الاكليروس الفـرنسي تلك الثـورات على الفور الى تأثير نشرات الطابوريين ؛ وربما كانوا على صواب ، ولكن حدث في المانيا ان توفرت الفرصة للطابوريين لممارسة التأثير ، لان جيوشهم تمكنت في سنة ١٤٣٠ مـن التـوغل حتـى لايبـزغ وبامبرغ ونورمبـرغ وفي المانيا بلغ القلق اشـده ، وعندمـا قـامت النقابات في مينز وبريمين وكونسـتانس وفـايمر وسـتاتن ضـد الاشراف ، القي اللوم على الطـابوريين ، وفي عام ١٤٣١ ناشـد اشراف المدن المتحالفة معهم ان يتجمعوا معا في حملة صليبية جديدة ضد الهوسية في بوهيما ، ولفتوا الانظار الى انه كان هناك في المانيا عناصر ثورية لديها امور كثيرة مشتركة مع الطابوريين ، وسـيكون

- ١٧١٤ -
من السهل جدا على الثوار من الفقراء ان ينتشروا من بوهيميا الى المانيا ؛ واذا فعلوا فإن الاشراف في المدن سيكونون بين المعانين الرئيسين .

وعبر المجلس العام في بازل ، الذي اجتمع في السنة نفسها ايضا عن قلقه من ان يدخل عامة الناس في المانيا في حلف مع الطابوريين ويشرعون في الاستيلاء على املاك الكنيسة .

وربما كانت هذه المخاوف متسمة بالمبالغة وسابقة لاوانها ، ولكن بثت مرات عديدة ، وعلى مدى المائة سنة التالية ، انها لم تكن جميعها بلا اساس .

الفصل الثاني عشر

الالفية والمساواة(٢)

طبال نيكلاسهوزن

في ١٤٣٤ هزم الجيش الطـابوري(ص ٢٢٣) وابيد تقـريبا في معركة ليبان على يد جيش ليس من الكاثـوليك الاجـانب بـل مـن الاوتراكيست البوهيميين ، ومن حينه وما بعد حدث تدهور في قـوة الجناح الطابوري في حركة الهوسية ، بعـد أن تـم الاسـتيلاء على طابور نفسها مـن قبـل الاوتـراكيست ، في ١٤٥٢ وبقيت تقـاليد الطابوريين متماسكة فقط في الزمـرة المعـروفة بـاسم الاخـوة المورافية ، ولكن فقط في صورة دينية صرفة ، مسـالمة وغير ثـورية وغير سياسية ، ومع ذلك لابد ان تيارا سريا من الالفية القتالية قـد استمر في بوهيميا ، وفي ١٤٥٠ او أوائل ١٤٦٠ بـدا اخـوان مـن عائلة غنية نبيلة هما جانكو وليفين ، من ورز بـرغ في نشر نبـوءات أخروية أسهمت فيها اليوحنية واليواكمية

وفي صلب هذا المذهب وقف مسيح كان يشار إليه بـاسم المسـيح المخلص وكان يتوقع أن يدشـن العصر الثـالث والاخير ، وقـد أكد الاخوان أن هذا الرجل ، وليس عيسى ، هو المسـيح الذي تنبـأ بـه العهد القديم ، ابن الانسان الحقيقي الذي قدر له أن يظهر في بهاء في نهاية التاريخ ، وكان موهوبا ببصيرة لم يوهب مثلها لرجل أخـر ، لقد شاهد الثالوث والجوهر الالهي ، وجعـل فهمـه للمعنى الخفـي للكتاب المقدس المفسرين السالفين يبـدون بـالمقارنة معـه عميا أو مخمورين ، وكانت مهمته أن ينقذ لا الجنس البشري ببسـاطة بـل الرب نفسه ، لان الرب كان يعـاني بسـبب خـطايا البشر منذ بـدأ

العالم ، وهو الان يناشد المسيح المخلص أن يحرره من كربه ، ولكن هذه المهمة لايمكن بالطبع أن تنفذ دون كثير من سفك الدماء ، وهكذا ان المسيح الجديد سوف يبدأ بذبح المسيح الدجال ـ البابا ـ ومن ثم سيتابع بتدمير الاكليروس ككهنة للمسيح الدجال ، باستثناء مراتب الرهبان المتسولين فقط .

وفي النهاية سيتحول ضد كل الذين قاوموه بأي طريقة ، لكن في سبيل المصلحة ـ كما جاء في نبوءة سفر الرؤيا ـ إن مجرد ١٤٠٠٠ سينجون ، وهؤلاء البقية الناجية سيتوحدون في عقيدة واحدة : كنيسة روحية (ص ٢٢٤) ديانة ظاهرة ، وعليهم جميعا يحكم المسيح المخلص الذي سيكون في الوقت نفسه امبراطورا رومانيا وربا .

والمذبحة نفسها كان مقدرا لها أن تنفذ بمساعدة عصابات من المرتزقة ـ فكرة غريبة ولكنها ليست بلادلالة ـ ففي هذا الوقت كانت الاراضي المتاخمة لبوهيميا قد خربت بوساطة المرتزقة البوهيميين المسرحين ، الذين احتفظوا بما يكفي من طرق الطابوريين حيث كانوا يدعون أنفسهم « اخوة » ومعسكرهم المحصن « طابور » ، ومع أن هؤلاء الناس لم يكونوا متعصبين متحمسين بل مجرد لصوص وقطاع طرق اكثر منهم أرواح متحمسة في بوهيميا ـ مثل اخوه ورزبرغ ، ويمكن بسهولة أن يبدوا كخلفاء حقيقيين للالفيين الثوريين لعام ١٤٢٠ ، وبالتاكيد كان مقدرا للمذهب الجديد الذي سيظهر من المذبحة لان يميل ليكون له سمات مساواتية باعلانه إن : الكهنوت الذين نجوا ـ الرهبان المتسولون ـ لن يملكوا أي ممتلكات بالمرة ، وعلى النبلاء ان يتخلوا عن قصورهم وأن يعيشوا في المدن مثل المواطنين العاديين ، وقد صدم المعاصرون في الواقع بشكل خاص بحقيقة أنه بانتشاره بالعامية ، شجع المذهب السكان « على أن يهبوا في ثورة مثيرة للفتنة ضد الكبار الروحيين منهم والمدنيين » ولم يترددوا في مقارنته

بمذهب البيكارتي ، « الذي اعتاد أن يوجد في بوهيميا .... وكان يريد إقامة جنة أرضية هناك ».

ويبدو أن وجود هذا المذهب لم يكن واحدا من اخوي ورزبرغ نفسيهما بل من الفرنسسكان ، انشق عن جماعته واعتقد أنه هو نفسه كان المسيح المخلص ، وقد هيمنت هذه الشخصية على الاخوين تماما ، لذلك كانا راضيين باعتبار نفسيهما مبشرين ورسولين له ، بل حتى أن جنكو رأى نفسه يوحنا معمدانيا جديدا ، وتبنى اسم يوحنا الشرقي ، ومن قيادتهم في ايغر (اشب) في اقصى الطرف الغربي من بوهيميا ، نشرا نبواءات معلمهما طولا وعرضا ، سواء بين العامة أو بين الفرنسسكان ذوي الميول « الروحية » والبيواكمية .

وادعيا بان لهما مؤيدين عديدين في المانيا ، وانهم لو كانوا جميعا متحدين فان بامكانهما أن يتعاملا مع اي أمير ، وكان هذا بالتاكيد مبالغة كبيرة ، ومع ذلك من المهم ملاحظة انه عندما دخل المذهب الى ايرفورت وكانت في ذلك الوقت مدينة كبيرة ذات متناقضات شديدة من الغنى والفقر – شعر الاستاذ الذي كان الزعيم الفكري للجامعة انه مدعو للكتابة وتلاوة بيان ضده .

وكانت السنة التي كرست من قبل لمجيء المسيح المخلص هي ١٤٦٧ ، ولكن ما كان يمكن ان يحدث في حينه لم يكن معروفا ، لانه في السنة السالفة قررت السلطات الاكليروسية بقيادة المعتمد البابوي بأن الوقت قد حان لكبح الحركة ، ويبدو أن جانكو اوف ورزبرغ قد هرب – مصيره غير معروف – (ص ٢٢٥) ولكن ليقين وقد تفادى الخازوق بارتداده عن اخطائه ، احتجز في سجن الاسقف في رجنسبرغ ، حيث توفي بعد عامين ، وفي هذه الاثناء كانت مدينة ايغر منهمكة في الدفاع عن نفسها بوساطة رسائل الى المدن الشقيقة في الامبراطورية وحتى الى البابا ، ضد الاتهام بكونها مرتعا للهرطقة

واذا كان في بوهيميا نفسها مجال كان يضيق باستمرار لمثل هذه الحركات ، فان الظروف في المانيا وحدها كانت مواتية لاستقبال المؤتمرات الطابورية ، حيث المعائب في بنية الدولة التي كانت لاجيال تسبب الفوضى والتشويش بين عامة الناس كانت ماتزال بادية واقوى مما كانت ابدا ، واستمرت هيبة وسلطة المنصب الامبراطوري بالترنح ، واستمر تحلل المانيا الى خليط من الامارات ، وخلال النصف الثاني من القرن الخامس عشر غاصت هيبة الامبراطور بشكل خاص الى غور عميق ، وكان فردريك الثالث في البداية ، بسبب اسمه محط انظار للتوقعات الالفية الاكثر جموحا ، ولكن في فترة الحكم التي استمرت من ١٤٥٢ إلى ١٤٩٣ ، اثبت انه ملك فريد في عدم فعاليته ولم يحل دون خلعه سوى عدم وجود اي منافس مناسب ، وفيما بعد اصبح وجوده منسيا تقريبا من قبل رعاياه ، واوجد فراغ مركز الدولة قلقا مزمنا واسعا ، قلقا وجد تعبيرا في التراث الشعبي حول « فردريك المستقبل » والذي امكنه ايضا ان يجد منفذا له في موجات مفاجئة من الاثارة الاخروية ، التي كان بين اكثر ظواهرها شيوعا ، حشود الحج ، وبقايا الحملات الصليبية الشعبية ومواكب اللطم من الازمنة القديمة ، والتي لم تكن اقل احتمالا منها للهرب من السيطرة الكهنوتية . وقدمت الاراضي الالمانية المتاخمة لبوهيميا حقلا مواتيا بشكل خاص للدعوة الطابورية ، وبقيت تقاليد الهرطقة التي عمرت قرونا في المدن البافارية خلال القرن الخامس عشر ، وفي منتصف القرن وجد اسقف إيخستات أنه مازالت هناك ضرورة للتهديد بالحرمان للطامين ، كانوا يضربون انفسهم أمام الكنائس ولبيغرد من جماعات« الفقر الطوعي » ، كانوا يهيمون في الارض للتسول ، والذين اعتقدوا في انفسهم انهم بلغوا الكمال ، وظل هذا الحظر يتكرر من وقت لآخر حتى نهاية القرن ، وفي ورزبرغ ايضا كرر مجمع في منتصف القرن الحظر القديم للوعاظ الهائمين من البيغرد .

وفي مثل هذا المحيط امكن لتقاليد الطابوريين أن تجعل نفسها ملموسة بعد أن ذوت في موطنها ، وازدهرت بشكل افضل لان الكهنة لم يكونوا في أي مكان اكثر اعتيادا على الترف والبخل منهم في

بافاريا ، وتشهد شكاوى اسقفية لاحصر لها بفسق المراتب الدنيا من الاكليروس ، الذين كرسوا انفسهم للشراب واللهو ، ولم يكونوا يترددون في اخذ عشيقاتهم معهم حتى الى المجالس الكهنوتية . (ص ٢٢٦) والاساقفة أنفسهم كثيرا ماكانوا يفعلون القليل مما يكفي لكسب ولاء اتباعهم .

وكانت الحالة متفجرة بشكل خاص في اراضي الامارة ـ الاسقفية لورزبرغ ، ولأجيال كان الاساقفة في حالة خلاف مع اهالي ورزبرغ وحقيقة أنه في مستهل القرن الخامس عشر هزم الاهالي بشكل حاسم ، لم تضع حدا للتوتر ، علاوة على أن الاساقفة خلال النصف الاول من القرن كانوا مبذرين بشكل مسعور ، وكانوا يستطيعون دفع ديونهم بفرض ضرائب اكثر ثقلا . ومع ١٤٧٤ اصبحت الضرائب ثقيلة لدرجة ان واحدا من موظفي الاسقف قال وهو يقارن الفلاحين المحليين بفريق من الخيول يجرون عربة ثقيلة : إنه اذا اضيفت بيضة واحدة الى العربة ، فان الخيول لن تعود قادرة على جرها ، وبالنسبة للعامة الذين تعلموا من اجيال من وعاظ الهرطقة ان الاكليروس يجب ان تعيش في فقر تام ، كان هذا العبء الثقيل من الضرائب فقراً محتما ان يبدو مروعا بشكل خاص ، ولم يغير من ذلك حقيقة ان الاسقف في ذلك الوقت وهو رودولف اوف شرنبرغ كان قادرا ومسؤولا ، لكن في المدينة وفي اسقفية ورزبرغ لم يعد ممكنا في ١٤٧٠ للأسقف ايا كانت مؤهلاته الشخصية ان يعتبر من قبل العامة ، ولاسيما الفقراء ، أي شيء سوى مستغل .

وفي ١٤٧٦ ، بدات في نيكلا سهوزن ، وهي مدينة صغيرة في وادى توبر غير بعيدة عن ورزبرغ حركة يمكن تقريبا تسميتها حملة صليبية شعبية ، فكثير مما حدث خلال الحملات السالفة في فرنسا والبلاد المنخفضة ووادي الراين ، كان يتكرر الان في جنوب المانيا ، ولكن في هذه المرة لم تكن المملكة المسيحية قدسا سماوية بل دولة الطبيعة كما صورها جون بول والطابوريين المتطرفين ، وكان مسيح

الحركة شابا يدعى هانز بوم وهو اسم يوحي إما بـأنه مـن اصـل بوهيمي او انه كان في الفكر الشعبي مـرتبطا بتعـاليم الهـوسية ، وكان راعيا ، وفي وقت فراغه ، كان مغنيا شعبيا ، يطبل ويزمـر في الفنادق ، وفي ساحة السوق ، ومن هنا جاء اللقب الذي مازال يعرف به ، لقب طبال (او زمار) نيكلا سهوزن ، وحدث ذات يوم أن سمع هذا الصبي يتحـدث عن الفـرنسسكاني الايطـالي جيوفـاني دي كابسترانو الذي كان منذ جيل سالف يجول في المانيا ويعظ بالتوبة ، ويحث سمعته على أن يخلعوا عنهم ملابسهم الناعمـة وان يحـرقوا النرد واوراق اللعب ، وبعد ذلك بوقت قصير ، وفي منتصف الصـوم الكبير ، أحرق الراعي طبله امام كنيسة اسقفية نيكلا سهوزن وبـدأ يعظ الناس .

وتماما مثل ذلك الصبي الراعي ، الذي قيل إنه شـن حملة الرعاة الصليبية في ١٣٢٠ ، اعلن بوم أن العـذراء مـريم قـد ظهـرت له (ص ٢٢٧) وهي محاطة باشعاع سماوي ، واعطته رسـالة ذات أهمية استثنائية ، وبدلا من دعوة الناس للرقص ، كان بوم ينورهم بكلمة الرب الطاهرة .

وكان عليه أن يشرح كيف فضـلت العناية الالهية نيكلا سـهوزن على كل الاماكن ، وكان في كنيسة اسقفية نيكلا سهوزن يقف تمثال للعذراء كانت تنسب اليه قوى معجزة ، وكان لزمان طـويل يجتـذب الحجاج ، والان ـ اعلنت العذراء ـ ان هذه البقعة قـد اصـبحت خلاص العالم ، ونصت الرسالة في تعابير كانت مذكرة بقوة بالرسالة السماوية التي كان اللطامون يستعملونها في ١٢٦٠ ، ومرة اخـرى في ١٣٤٨ ، وقد قصد الرب معاقبة الجنس البشري بصورة موجعة ، وتوسطت العذراء ووافق الرب على امساك العقاب ، ولكن يجـب أن تذهب جموع الناس الان للحج الى عذراء نيكلا سهوزن ، والا فـان العقاب سيحل اخيرا بالعالم ، ومـن نيكلا سـهوزن ، ومـن هناك فقط ، ستمنح العذراء بركاتها لكل الاراضي ، وفي وادي توبر وحده ، وليس في روما او اي مكان اخر ، توجد النعمـة الالهية ، وكل مـن

يحج يتحرر من كل خطاياه ، وكل من يموت هناك يذهب مباشرة الى الجنة .

لقد كان الراعي السالف رجلا بسيطا ، ولكنه اصبح الان فجاة قادرا على التمكن من البلاغة المدهشة ، وفي ايام الاحاد والاعياد كانت الحشود تتدفق لسماعه ، وسرعان ما اصبح يتبع منهاجا اتبع من قبل عدد كبير من المتنبئين ، من تانشيلم وما بعده ، وكان في البداية يعظ بمجرد التوبة : وكان على النساء ان يخلعن عنهن عقودهن الذهبية والاوشحة الزاهية ، وعلى الرجال ان يرتدوا حللا اقل تلوينا ، واحذية يكون تدببها اقل ، ولكن قبل مضي وقت طويل كان المتنبي يدعي لنفسه قوى معجزة مثيرة للدهشة بالقدر نفسه الذي كان قد نسبه فيها الى العذراء في البداية،من ذلك اذا كان الله لم يرسل الصقيع ليقتل كل القمح والكروم فان ذلك كما ادعى عائد الى صلواته وحده ، وعلاوة على ذلك اقسم بانه كان بامكانه أن يقود اي روح الى خارج الجحيم بيده هو .

و مع أن بوم قد بدأ يعظ بموافقة كاهن الأبرشية ، فانه كان من المتوقع أنه سينتهي بأن ينقلب على الأكليروس ، و بكل العنف الذي الاتهامات التقليدية بالترف و البخل ، و قال: إنه لأيسر جعل يهودي مسيحيا من فعل ذلك ، مع كاهن ، و لقد كان الرب لزمان طويل غاضبا من سلوك الأكليروس ، و لكنه لم يعد يتحمل ذلك ، و ان يوم الحساب قريب حيث يكون الأكليروس سعداء إن هم غطوا رؤوسهم الحليقة ليهربوا من ملاحقيهم ، (يمكن للمرء أن يتعرف على النبوءة اليواكمية الزائفة التي وجدها جون و ينترثر
شعبية جدا في ١٣٤٨) لأن قتل كاهن سوف يرى عندئذ على أنه عمل بالغ التقدير ، لقد سحب الرب قوته من الأكليروس ، و لن يبقى عن قريب كهنة أو رهبان على الأرض(ص ٢٢٨) و حتى الآن هكذا أضاف مهددا ، ستكون فضيحة سيئة لهم أن يحرقوه كمهرطق فان عقابا رهيبا ينتظرهم إن فعلوا ، لأنهم هم أنفسهم المهرطقون الحقيقيون .

و لم يتوقف بوم عن النقد العام والتهديدات الغامضة ، لقد ناشد سامعيه رفض دفــع الضرائب والعشــور كليا ، و صرح: مــن الآن فصاعدا ، سيضطر الكهنة الى التخلي عن منافعهــم الكثيرة ،و أن يعيشوا من وجبة لوجبة على ما يختار الناس اعطاءه لهــم ، و كانت جانبية هذه التعاليم المألوفة تماما بالقوة نفسها التــي كانت عليهــا دائما ، و علق ترثيميس راعي الدير الشهير في سبونهيم: ماذا يحب الرجل من العامة أكثر من أن يرى الأكليروس والكهنة وهم يسلبون كل مزاياهم و حقوقهم وعشورهم و دخولهم ؟ لأن الناس العــاديين جائعون بالطبيعة للأشياء غير المألوفة و متلهفون دائما لاسقاط نير سيدهم» ، و رأى لاهوتي المانيا الأول رئيس أســاقفة مينز في تنبــؤ نيكلا سهوزن قوة ربما تلحق ضررا لا يمكن إصلاحه بالكنيسة —

و في النهاية ظهر بــوم كشــوري اجتمــاعي ، يعلن قــــرب الألفية المساواتية القائمة على القانون الطبيعي ، و في المملكة القادمة سيتم استعمال الخشب والماء و المراعي وحقوق الصيد البري والبحــري و التمتع بها بحرية من قبل الجميع ، كما كان في الأزمنة القــديمة ، و الجزية مــن كل نوع ســتبطل الى الأبــد ، و لن يكون الايجــــار أو الخــدمات دينا لأي ســيد ، و لا ضرائب ولا قــروض لأي أمير ، و فروق المراتب والمنزلة ستزول من الوجود ، ولن يكون لأحــد ســلطة على أي فرد أخر ، وسيعيش الجميع معــا كاخــوة ، وســيتمتع كل واحد بالحريات نفسها ويقوم بالقدر نفسه مــن العمــل كأي واحــد آخر ،«والأمراء والأكليروس والمدنيون على الســواء ، والكونتــات والفرسان يمكنهم فقط أن يملكوا بقدر ما يملك الناس العــاديون و عندها يكون لكل امرىء ما يكفي ، و سوف يأتي الوقت الذي يعمــل فيه الأمراء واللوردات من أجل خبزهم . اليومي» و مد بوم هجــومه الى ما وراء السادة المحليين والأمراء الى قمة المجتمع ، فقــال:«إن الامبراطور وغد ، والبابا عديم النفع ، والامبراطور هو الذي يعطي الأمراء والكونتات و الفرسان الحق في فــرض الضرائب على عامــة الناس والاسفاه اي شياطين مساكين انتم!»

ولا شك ان تعاليم بوم راقت بطرق مختلفة لقطاعات من السكان وربما راقت المطالبة بخلع كل الحكام الكبار والصغار بشكل خاص لفقراء المدن ، ونعرف ان اهل المعرفة جاء وافي الحقيقة الى نيكلاسهوزن ليس فقط من ورز برغ بل من انحاء جنوب ووسط المانيا ، ومن جانب اخر من المطالبة بان يكون الخشب والماء والمرعى والصيد البري والبحري حرا لكل الناس كان بوم ينطق بطموح عام جدا للفلاحين ، واعتقد الفلاحون الالمان ان (٢٢٩) تلك الحقوق كانت في الواقع لهم في الأزمنة القديمة حتى اغتصبها النبلاء وكان هذا احد الاخطاء التي كانوا دائما يريدون من امبراطور المستقبل فردريك ان يبطلها ولكن فوق كل شيء لقد كان مقام الواعظ نفسه كشخص معجزة ارسله الله هو الذي اجتذب عشرات الالوف من الناس الى وادي توبر ، وقد رأى فيه عامة الناس من فلاحين وحرفيين على السواء حاميا وخارقا للطبيعة وزعيما مثل ما كان يجب ان يكون عليه الامبراطور فردريك مخلصا يمكن ان يمنحهم بشكل فردي كل النعمة الالهية ويقودهم جميعا الى فردوس ارضي .

وانتقلت اخبار الاحداث العجيبة في نيكلا سهوزن بسرعة من قرية الى قرية في الجوار وحملت بعيدا الى خارج الوطن ايضا بوساطة رسل خرجوا من كل اتجاه،وسرعان ماتدفقت الحشود من العامة من كافة الناس ومن كل الاعمار ومن كلا الجنسين وبينهم عائلات كاملة نحو نيكلاسهوزن ، ولم تكن البلاد المحيطة فقط بل كل اجزاء جنوب ووسط المانيا في هياج من الالب الى ارض الراين والى ثورنجيا،وهجر الحرفيون ورشهم والفلاحون حقولهم وهجر الرعيان والراعيات قطعانهم واسرعوا،وهم كثيرا ماكانوا لايزالون في الثياب نفسها ويحملون معاولهم ومطارقهم ومناجلهم ـ ليسمعوا وليعبدوا ذلك الذي أصبح الآن يعرف بالشاب المقدس وكان هؤلاء الناس يحيون بعضهم البعض بكلمة اخ او اخت فقط ، وكان لهذه التحيات دلالة « صيحة جمع واستدعاء » وبين الجموع الفقيرة من الناس البسطاء المهتاجون بشكل وحشي كانت تنتشر شائعات خيالية،ومـا

اعتقده العوام الفقراء عن القدس اعتقده هؤلاء الناس عن نيكلاسهورن،لقد اعتقدوا ان جنتهم قد هبطت بشكل واقعي على الارض وكانت ثروات بلا نهاية ملقاة على الارض جاهزة لجمعها من قبل الذين سيقتسمونها بين انفسهم في حب اخوي ، وفي خلال ذلك كانت الحشود مثل الرعاة واللطامين قبلهم تتقدم في صفوف طويلة يحملون الاعلام وينشدون الاغاني من تأليفهم ومن هذه الاغاني اخذت واحدة شهرة خاصة :

الى الرب في السما
اصرخي اليسون
ان الكهنة لايمكن ذبحهم
اصرخي اليسون

وعند وصول الحجاج الى نيكلاسهوزن كانوا يضعون القرابين امام تمثال العذراء،ولكن ولاء اشد كان يعطي للمتنبىء نفسه فامامه كان الحجاج يخرون على ركبهم وهم يصيحون : « يارجل الرب المرسل من السماء ارحمنا وكانوا يحتشدون حوله وعلى مقربة شديدة منه نهارا وليلا ».

حتى انه كان نادرا ما يتمكن من الاكل او النوم وكثيرا ماكان في خطر السحق(ص ٢٣٠) حتى الموت،وكانت قطع من ثيابه يتشبث بها وتتمزق قطعا صغيرة،وكل من يمكنه احراز قطعة كان يعتز بها كأثر لايمكن تقديره كما لو كانت قشة من مزود بيت لحم ، وقبل مضى وقت طويل روي انه كان بوضع اليد يشفى الناس ممن كانوا عميا او بكما منذ الولادة ، وانه اقام الموتى ، وانه جعل نبعا يتدفق من صخرة .

وكانت جموع الحجاج العائدين تستبدل باستمرار بجموع جديدة ويتحدث المؤرخون عن ثلاثين او اربعين او حتى سبعين الفا تجمعوا في يوم واحد معا في نيكلاسهوزن ، ومع ان هذه الارقام منافية للعقل لابد ان الحشود بالتأكيد كانت كبيرة جدا.وكان مخيم واسع يمتد حول القرية الصغيرة.وكانت الخيام تقام حيث الحرفيون والتجار

والطهاة يقدمون الطعام والاحتياطات وضروب التسلية للمسافرين ، ومن وقت لاخر كان بوم يرتقي ظهر قارب قديم او يظهر من نافذة عليا او حتى يتسلق شجرة ليعظ بمذهبه الثوري الحشود .

وبدا الحج نحو نهاية اذار ١٤٧٤ ومع حزيران قررت السلطات الكهنوتية والمدنية على السواء ان دعوة بوم كانت ضررا خطيرا على النظام الاجتماعي ،و يجب التعامل معها ،و في البداية حظر مجلس مدينة نورمبرغ على سكان تلك المدينة الحج الى نيكلاسهوزن وبعد ذلك اتخذت تدابير شديدة في ورزبرغ المدينة التي تضررت بشكل مباشر اكثر فقد كانت تتشوش بالاعداد الكبيرة من الغرباء الذين كانوا يتدفقون خلال المدينة،واغلق المجلس اكبر عد د ممكن من البوابات وناشد الاهالي حمل اسلحتهم ودروعهم وبذل ما امكنهم لايقاف الصخب والجدل العنيف ، وفي النهاية شرع الامير الاسقف في كسر قوة المتنبىء ، وفي المجلس الذي دعاه تقرر اعتقال بوم

ونقلا عن خصومه من الكاثوليك حاول بوم الان تنظيم ثورة ويقال انه في نهاية موعظة القاها في ٧ تموز اخبر الرجال الموجودين بين المستمعين ان عليهم ان يحضروا يوم الاحد التالي وهم مسلحون وبدون نساء او اطفال لانه بناء على اوامر العذراء لديه بعض الاشياء الخطيرة التي سيقولها لهم وماهو مؤكد انه في ليلة السبت ١٢ نزلت كوكبة من الفرسان ارسلها الاسقف في نيكلاسهورن واعتقلت بوم وحملته الى ورزبرغ وفي الظلام كان الحجاج عاجزين عن حماية المتنبىء ولكن في اليوم التالي اخذ فلاح الدورالتنبؤيمعلنا ان الثالوث المقدسي ظهر له و اعطاه رسالة للحجاج المجتمعين ، و هي أن يسيروا باقدام الى قلعة ورزبرغ حيث سجن بوم ومع اقترابهم منها ستتفتت الأسوار مثلما تفتت أسوار اريحا ، وستنفتح البوابات من لقاء نفسها وسيخرج الشاب المقدس منتصرا من اسره وقد اقنعت هذه الرسالة الحجاج على الفور وسار بضعة الوف من الرجال والنساء والاطفال (ص ٢٣١) وهم يحملون شموعا ضخمة اخذت من كنيسة نيكلاسهوزن ولكن بلا

اسلحة تقريبا خلال الليل حتى بلغــوا عند الفجــر اســفل اســوار الحصن،وفعل الاسقف ومجلس المدينة ما في وسعهم لتجنب العنف ، وارسلوا مبعوثا للتفاهم مع الحجاج ، ولكنه طرد بالاحجار ، وكان مبعوث اخر اكثر نجاحا : وكثير من الحجاج ممن كانوا مــن رعايا الأسقف تركوا وعادوا في سلام الى بيوتهم ، ووقف الباقون في ثبات مصرين على وجوب اطلاق سراح الشــاب المقــدس والا ، بمعــونة العذراء المعجزة سيحررونه بالقوة ، واطلقت بضع طلقــات مــدفعية فوق رؤوسهم ، ولكن حقيقة ان احدا منهم لم يصب بأذى لم تفعــل سوى أنها قوت اعتقادهم بأن العذراء كانت تحميهم ، وحــاولوا أن يعصفوا بالمدينة وهم يهتفون بــاسم مخلصــهم ، وهــذه المرة كان الاطلاق جديا وتبعه هجوم من الفرسان ، وقتل نحو أربعين حــاجا وهرب الباقون على الفور في فزع بلا حول .

وكان التأييد لبوم قويا لدرجة انه حتى بعد الانتصار الســاحق لم يشعر الأسقف والمجلس بالأمن ، وحذر اهــالي ورزبــرغ بتــوقع هجوم ثان أكبر حجما ، ثم كان هناك ايضا تخوف انه ضمن المدينة نفسها كان هناك كثيرون ينتظرون فقط فــرصة لضــم قــواتهم الى جيش الحجــاج ، وبناء على ذلك طلب الأســقف مــــن اللوردات المجـــاورين ان يكونوا على اهبــــة الاســـــتعداد لنجــــدته عند الحاجة ، ولكن قبل حدوث أي اضطرابات جديدة حوكم بــوم امــام محكمة اكليروسية ووجد مذنبا بالهرطقة والشعوذة ، وقــطع راســا اثنين من حوارييه الفلاحين ـ احدهما صاحب الرؤيا الذي حــاول تنظيم انقاذه ـ وأحرق هو نفسه على الخازوق وهو ينشــد تــراتيل للعــذراء وهــو يهلك ، وأثناء الاعدام ابقــى النظــارة بعيدين عن الخازوق ، وكان عامة الناس يتوقعون معجزة مــن الســماء تنقــذ الشاب المقــدس ، وتبعثــر اللهب بين مضــطهديه ، وكان الأســقف والكهنوت يتوقعون بعض التدخل الشيطاني ، وبعد ذلك كما حــدث بالنسبة لفردريك الزائف في نويس Neuss قبل ذلك بقــرنين بعثر الرماد في النهر ، لئلا يكتنزه اتبــاع المتنبــيء كأثــر مقــدس

ولكن حتى في حينه كان بعض هؤلاء الناس قد قبضوا التـراب مـن حول قاعدة الخازوق واكتنزوه .

وعمل كل شيء لتدمير آثار بوم واعماله : القـرابين المتـروكة في كنيسة نيكلاسهوزن ، والتي لابـد انهـا كانت هـائلة ، صـودرت واقتسمت بين رئاسة اسـقفية مينز ، واسـقف ورزبـرغ والكونت الذي كانت الكنيسة تقوم على أراضيه .

وفي كل المناطق المبتلاة مـن الأسـقفيات الألمانية انضـم افـراد ومجالس (ص٢٣٢) المدن إلى منع أي حج آخر إلى المزار ، ومـع ذلك استمر الحجاج في الوصول وبشـكل خـاص مـن اسـقفية ورزبرغ ، وكانوا مايزالون يصلون بعد تهديدهم بالحرمان واغلقـت الكنيسة ووضعت تحـت التحـريم ، وفي النهـاية في بـداية ١٤٧٧ هدمت الكنيسـة بناء على امـر مـن رئيس اسـاقفة مينز ، ولكن لسـنوات عديدة كان للبقعـة زوار سريون خـاصة في الليل .

ولاشك ان شاب نيكلاسهوزن المقدس قد استغل من قبـل رجـال كانوا اكثر منه حذقا ، ومـن المعـروف ان بعض اللوردات المحلين حاولوا استثمار الاثارة الشـعبية لاضـعاف حـكم سـيدهم الأعلى ، اسـقف ورزبـرغ ، الذي كانوا في نزاع معـه منذ بضـع سنوات ، وهؤلاء كانوا هم الرجال الذين ترأسوا المسيرة الليلية الى ورزبرغ ، وقام واحد منهم مؤخرا بـطريق التـكفير بتسـليم أكثـر اراضيه الى رجال الكاتدرائية ، ولكن ماهو اهم من هذه المؤامرات السياسة كانت هناك شخصيتان كمنتا في الخلفية الظليلية للقصـة ، واللذان ربما لولاهما ماكان الحج الحاشد كله ابدا قد حدث.

ومرة اخرى يتذكر المرء ثورة الرعاة في ١٣٢٠ ، وفي تلك المناسبة ايضا راى الصـبي الراعي رؤيا للعـذراء ، وتلقـى رسـالة منها ، ولكن فقط عندما اولاه راهـب مـرتد وكاهـن غير مـرسم

تأييدهما ونظما له الدعاية اللازمـــة قـــذفت حـــركة جمـــاهيرية الى الوجود ، وكان تحـــت قيادة هـــذين الرجلين ان أصـــبحت الحـــركة ثورية ، وكان بوم أيضا صبيا راعيا بســـيطا ، وقـــد علمنا انه مـــن شبابه الأول كان يعتبر نصف ذكي ، حتى أنه عندما بدأ يعظ لم يكن قادر على تكوين جملة متماسكة وأنه حتى يوم ممـــاته كان مـــايزال يجهل « صلاة الرب » ، وكونه مع ذلك قادرا على إيقـــاع مناطـــق واسعة في المانيا في هياج كان مرجعه الى الدعم الذي تلقـــاه ، وكان كاهن اسقفية نيكلاسهوزن سريعا في ادراك ان معجزات قليلة يمكن أن تجتنب قرابين كثيرة إلى مزاره حتى اليوم ، وطبقا لذلك ـ كما أقر نفسه بعد ـ اختـــرع معجـــزات وعزاهـــا الى الشـــاب المقدس ، ولكن الدور الكبير شغله ناسك كان لبعض الوقت يعيش في كهف قريب ، وكان قد أحرز سمعة كبيرة بقدسيته .

ويبدو أن هذا الناسك قد مارس هيمنتـــه كلية على بـــوم والهمـــه وخوفه ، وحتى رؤيا العذراء كما قيل من قبـــل بعضـــهم كانت حيلة اخترعها هذا لخداع الراعي الشاب ، وقيل أيضا انه عندما خـــاطب بوم الحشود من نافذة كان الناسك واقفا خلفه يحثه ، كما صور هو يفعل في المشهد الخشـــبي المأخـــوذ مـــن حـــولية سكيدل (ص٢٣٣) ، (لوحة رقم ٧) وحتى لو كانت القصة خيالية من المحتمل انها تدل بدرجة كافية على حقيقة العلاقة التي كانت بين الرجلين ، وهي بالتأكيد تـــزيد في أهمية الأســـماء التـــي اطلقتهـــا السلطات الأكليروسية على الناسك الذي هرب عنـدما اعتقل الشاب المقدس ، ولكن قبض عليه بعد ذلك بوقت قصـــير وقـــد أطلقـــوا عليه اسم بيغرد من أهل بوهيميا وهـــوسيتي ، ومـــع أن الدليل لايمـــكن القول بأنه حاسم ومقنع ، يبدو مؤكدا بشكل معقول ان الناسك هو الذى حول الحج الديني الى حركة ثورية ، ولابد انه قد رأى في وادي توبر الهادىء المركز المقبل لملكة الفية فيها يمكن أن يستعاد نظـــام المساواة البدائية ، وربما كان المؤرخون المعاصرون متعجلين جـــدا في رفض انه عندما قبض على بوم وجد عاريا تماما في حانة ، يعـــظ بأشياء عجيبة ، على اعتبار انها افتـــراء واضـــح بقصـــد تشـــويه

السمعة ، وبعد أولم تكن هذه هي الطريقة التي قدم بها الأداماـــايت البوهيميون رمزيا عودة حالة الطبيعة الى عالم فاسد ؟

لقد توغلت الالفية المساواتية الآن بشكل فعال في المانيا ، واصبح يسمع عنها اكثر خلال نصف القـــرن التـــالي ،وظهـــر « اصـــــلاح سيغسموند » بعد وجوده كمخطوط منسي تقريبا لنحو أربعين ســـنة للمرة الأولى على شكل كتـــاب مخـــطوط خـــلال عامين بعـــد اعدام بـــــــــــــــوم ، واعيد طبعـــــــــــــــــــه في ١٤٨٠ ، و ١٤٨٤، و ١٤٩٠ و ١٤٩٤ ، وكتب في الأصل بالضبط بعـــد انهيار فرق الطابوريين في بوهيميا ، وكان العمل في نفسه مثلا على جاذبية المثل الطابورية وعلى الرغم من منهاجه المعتدل نسبيا ، فـــانه هـــو ايضا دعا الفقراء الى حمل السيف وتعـــزيز حقـــوقهم تحـــت قيادة الكاهن الملك فرديريك ، و عاد الموضوع نفسه في صورة اكثـــر عنفـــا بكثير الى الظهور في كتاب « المائة فصل » الواسع الشهرة ، والذي اخرجه ثائر الراين الأعلى في السنوات الافتتاحية للقـــرن الســـادس عشر ، وماتنبأت به تلك النبوءة الغريبة بذلك التفصيل الكبير هو بعد كل شيء بالضبط ماكان مبينا بشكل جامع من قبل جون بـــول ومـــن قبل الطابوريين المتطرفين مثل : انه بعد صراع دمـــوي واحـــد أخير ضد حشود المسيح الدجال ، سيعاد ترسيخ العدل العام على الأرض وكل الناس سيكونون سواسية وأخوة ، وربما ســـيملكون كل شيء بصورة مشتركة ، وهذه التخيلات لم تكن محصورة في الكتب ، فقد ظهرت ايضا في جـــوار الراين الأعلى هناك حـــركات تآمـــرية كانت مكرسة لتحويلها الى حقائق ، وهـــذه كانت الحـــركات التـــي كانت معروفة بشكل جماعي باسم الباندشو وهو اصطلاح يعني القبقـــاب الفلاحي،وله الدلالة نفسها مثل اصطلاح (بـــدون سروال) خـــلال الثورة الفرنسية .

وكان زعيم الباندشو فلاحا يدعى جوس فـــريتز Joss Fritz وكان العديد ايضا من مختلف المراتب العســـكرية مـــن الفلاحين ، ولكن الفقـــراء مـــن أهـــل المدن والمرتـــزقة

(ص ٢٣٤) المسرحون ، والمتسولون وماشاكل ذلك من المعروف انهم شغلوا دورا كبيرا في الحركة : وان ذلك بلا شك كان مما اعطاها خاصتها الغريبة ، لانه كانت هناك ثورات فلاحية أخرى كثيرة قائمة في جنوب المانيا في تلك السنوات ، وكانت كلها ترمي لمجرد اصلاحات محدودة ، والباندشو فقط هم الذين كانوا يهدفون الى الألفية ، ومثل انتفاضة نيكلاسهوزن كانت ثورة الباندشو التي حدثت في اسقفية اسبيير Speyer في ١٥٠٢ قد اثيرت بالمعنى العام بسبب اخفاق آخر محاولة لاستعادة البنية المتحللة للامبراطورية ، وبشكل مباشر اكثر بسبب الضرائب الزائدة التي فرضها امير اسقف مفلس ، ولكن هدفها لم يكن شيئا أقل من ثورة اجتماعية من النوع المتطرف الشامل فأن كل سلطة يجب اسقاطها وابطال كل الضرائب والفروض ، وتوزيع كل ممتلكات الاكليروس بين الناس ، وكل الغابات والمياه والمراعي يجب ان تصبح ملكية مشتركة واظهر علم الحركة المسيح مصلوبا مع فلاح يصلي في أحد الجانبين وقبقاب فلاح في الجانب الآخر وفوقه شعار « لاشيء سوى عدالة الرب! » وكان المخطط هو الاستيلاء على مدينة بروخسال Bruchs al ، التي كانت تضم قصر الأمير الأسقف ، ومن هناك تهيأ للحركة ان تمتد مثل النار المستعرة عبر عرض المانيا وطولها لتجلب الحرية للفلاحين وسكان المدن الذين يؤيدونها ، ولكن الموت لغيرهم ومع ان هذه المؤامرة تعرضت للخيانة وسحقت الحركة فقد نجا جوس فريتز لينظم ثورات مماثلة في ١٥١٣ و ١٥١٧ ، حيث مرة اخرى ايضا يجد المرء المزيج المألوف من التخيلات من جانب واحد ابادة كل الاغنياء والأقوياء واقامة نظام مساواة.ومن جانب آخر « التخلص من الكفرة والمجرمين » ومن قيادة الامبراطور ، وحتى استعادة الضريح المقدس ، وفي الواقع اصبحت صورة الباندشو تملك دلالة كبيرة حتى أنه كان يعتقد على المستوى الشعبي ان الاستيلاء الأصلي على القدس قد تم بوساطة الفلاحين الذين حاربوا تحت هذا الشعار .

وفي هذه الأثناء وفي جزء مختلف من المانيا ــ ثورنجيا الدائمة

الخصوبة بالأساطير الالفية والحركات ـ كان تـوماس مـونتزر Thomas Muntzer يركب متن المهنة العاصفة التي كان لها ان تنتهي بتحويله ايضا الى متنبـىء لألفية المسـاواة والرجل الذي دامت شهرته الى اليوم الحالي .

توماس مونتزر

ولد تـوماس مـونتزر في اسـتولبرغ في ثـورنجيا في ١٤٨٨ او ١٤٨٩ ، ولم يولد ـ كما روى كثيرا ـ للفقر بل لليسر المعتدل ، ولم يشنق والده من (ص ٢٣٥) قبل طاغية اقطاعي بـل توفي في فراشه بفعل الشيخوخة ، وعندما بدا للعيان للمرة الأولى في اوائل الثلاثينيات من عمره ظهر مـونتز لاكضـحية ولاكعـدو للظلم الاجتماعي بل بـالأحرى « كبـاحث ابـدي » وكعـالم استثنائي ، ومفكر متعمق ، وبعد تخريجه من الجـامعة وتـرسيمه كاهنا عاش حياة قلقة هائمة ، يتخير دائما الأماكن التي يأمل انها توسع دراساته ، ومـع تضـلعه العميق في الكتـب المقـدسة ، تعلم اليونانية والعبرية ، وقـرأ اللاهـوت الكنسي والفلسـفة النصرانية اللاهوتية والفلسـفة ، وانغمس ايضـا في الكتـابات الصـوفية الالمانية ، ومع ذلك لم يكن ابدا عالما صرفا ، وكانت قراءته النهمـة تجري في محاولة يائسة لحل مشكلة شخصية ، لأن مـونتزر في ذلك الوقت كان روحا مضطربة مليئة بالشكوك حـول حقيقـة المسـيحية وحتى حول وجود الرب ، ولكنه كان يناضل بعناد بحثـا عن اليقين وفي الحقيقة غالبا ما كانت تنتهي مثل تلك الحالة القلقـة بتحـول الى الهداية.

وكان مارتن لوثر الذي كان اسن من مونتزر بخمس سـنوات او سته قد بدأ لتوه في الظهور كأكبر خصم عرفتـه كنيسـة رومـا على الاطلاق ، وايضا ـ ولو عرضـا وبشـكل عابـر فقـط ـ كزعيم حقيقي فعال للأمة الألمانية ، وفي ١٥١٧ أعلن رسـالته الشـهيرة ضد بيع صـكوك الغفـران على بـاب كنيسـة

ورزبرغ ، وفي ١٥١٩ تشكك في مناظرة علنية بسيادة البـابا ، وفي ١٥٢٠ نشر – وحرم من أجل النشر – البحـوث الثـلاث التـي استهلت الاصلاح الألماني ، ومع انه كان لابد من مضي سنوات كثيرة قبل ان تظهر الكنائس الانجيلية المنظمة على أسس أرضـيته،وجـد الآن حزب لوثـري معــروف ، وانضــم اليه كثير مــن الأكليروس ، حتى بينمـا كانت الأغلبية تتعلق بثبـات « بـالديانة القديمة » وعندما انفصل مونتزر في البداية عن الأصولية الكاثوليكية كان تابعا للوثر ، وكل الأعمال التي جعلتـه شـهيرا تمـت وسـط الزلزال الديني الكبير الذي شقق اولا ، وبعد طول عناء دمـر البناء الكنسي العملاق للعصور الوسطى ، ومع ذلك تخلى هـو نفسـه عن لوثر بعدما وجده بوقت قصير ، ومنذ ذلك الحين كان دوما المعارض الأشد للوثر ، وقد فعل ذلك وهو يعد مذهبه الخاص ليقوم بـالاعلان عنه بعد ذلك .

وماكان مـونتزر بحـاجة اليه اذا كان له ان يصـبح رجـلا جديدا ، واثقا من نفسه ، ومـن هـدفه في الحياة،لم يكن في الواقـع ليـجده في مذهب لوثر حول التسويغ بالايمان وحده ، بـل ان يجـده بالأحرى في الألفية المناضلة المتعطشة للدماء التي تكشفت له عندمـا تـولى منصـب كاهـن في ١٥٢٠ في مـدينة زويكو Zwickao ، واصبح على صلة بنسـاج يدعى نيكلاس ستورش Niklas Storch ، وتقـع زويكو على مقربة من الحـدود البـوهيمية ، وكان سـتورش نفسـه في بوهيميا ، وكانت المذاهب الطابورية القديمة بشكل اساسي هي التي تم احياؤها في تعاليم ستورش ، وأعلن انه الآن (ص ٢٣٦) كما في أيام الرسل كان الرب على اتصال مباشر مع النخبـة ، وسـبب ذلك ان الأيام الأخيرة أصبحت في متناول اليد ، واولا يجب ان يغزو الترك العالم ، ثم لابـد ان يحـكمه المسـيح الدجـال ، ولكن بعدئذ – وسيكون ذلك قريبا – ستهب النخبة وتبيد الكفار ، حتـى يحل المجيء الثاني وتبدا الألفية ، وماكان يروق لمونتزر كثيرا هـو حرب الابادة التي كان على الصالحين ان يشنوها ضـد الفـاسدين

وبتخليه عن لوثر اصبح الآن يفكر ويتكلم فقط عن سفر الرؤيا ، وعن أحداث في العهد القديم مثل ذبح ايجا لكهنة بعل وذبح ياهو لأبناء اخاب وياعيل واغتيال سيسرا النائمة ، ولاحظ المعاصرون وتفجعوا على التغيير الذي حدث له ، والشهوة الى الدماء التي كانت تعبر عن نفسها أحيانا في هياج عنيف .

وبقوة السلاح يجب ان تمهد النخبة الطريق للألفية ، ولكن من الذين كانوا النخبة ؟ كانوا في نظر مونتزر اولئك الذين تلقوا الروح القدس اوكما اعتاد ان يدعوه (المسيح الحي) وفي كتاباته كما في كتابات الأحرار الروحيين يوجد تمييز واضح بين المسيح التاريخي ، والمسيح « الحي » أو « الداخلي » أو « الروحي » والذي يتخيل انه ولد في روح الأفراد،و هذا الأخير هو الذي يملك قدرة الغفران ، ومع ذلك فمن ناحية واحدة يحتفظ المسيح التاريخي بأهمية عظيمة ، :

باستسلامه للصلب اشارة الى طريق الخلاص ، لأن كل من نجاه ، عليه في الواقع ان يعاني بشكل مؤلم جدا ، ويجب ان يتطهر حقا من كل ارادة ذاتية ويتحرر من كل مايربطه بالعالم ومن الكائنات المخلوقة ، وبداية يجب ان يخضع نفسه طوعا ليكون زاهدا ، وعندما يصبح صالحا وجديرا باستقبالهم يفرض الرب عليه معاناة اشد لايمكن وصفها .

وهذا الابتلاء الأخير هو الذي سماه مونتزر « الصليب » ، وقد يتضمن المرض والفقر والاضطهاد ، وكلها يجب لن تحتمل في صبر ، ولكنه فوق كل شيء قد يشمل كروبا عقلية شديدة والسأم من الدنيا ومن النفس ، وفقدان الأمل ، واليأس ، والرعب . وفقط عند بلوغ هذه النقطة ، وعندما تجرد الروح وتصبح عارية تماما ، يمكن أن يتم الاتصال المباشر بالرب ، وكان هذا بالطبع مذهبا تقليديا مثل ذلك الذي اعتنقه العديد من متصوفة الكاثوليك في العصور الوسطى ، ولكن عندما يأتي مونتزر للكلام عن الحصيلة يتبع تقليدا آخر أقل أصولية ، إذ أنه نقلا عنه : « ما أن يدخل المسيح الحي » إلى الروح

حتى يكون هذا الى الابد ، والانسان الذي كسب مثل هذه المنة يصبح وعاء للروح القدس ، وتحدث مونتزر حتى عن« تحوله الى رب » ، ولكونه كان وهو ببصيرة تامة من المشيئة الالهية ولعيشته في توافق تام معها كان مثل هذا الرجل بشكل محقق مؤهل لان يلغي المهمة الاخروية المقررة من السماء ، وهذا بالضبط ماادعاه (ص ٢٣٧) مونتزر لنفسه ، ولم يكن للاشيء ان هذا المتنبيء قد ولد ضمن بضعة اميال من نوردهورن ، مركز تلك الحركة السرية ، حيث اختلط مذهب الروح الحرة بمذهب اللطامين ، ولربما امكن القاء السوط بعيدا ، ولكن الخيال المستبطن كان مايزال هو نفسه .

وما ان مكنه ستورش من ان يجد نفسه غير مونتزر طريقته في الحياة ، وتخلى عن القراءة والسعي في طلب العلم ، لانما بادانة الانسانيين الذين كثروا بين اتباع لوثر ، وناشدا بلا توقف عقيدته الاخروية بين الفقراء ، ومنذ وسط القرن السالف افتتحت مناجم للفضة في زيوكو وحولت المدينة الى مركز صناعي هام ، ثلاثة اضعاف حجم درسدن ، وتدفق العمال من كل انحاء جنوب ووسط المانيا الى المناجم ، وكانت النتيجة ان اصبح هناك فائض فرص في القوى العاملة ، علاوة على الاستثمار غير المنضبط للفضة الذي نجم عنه تضخم سبب اجراء تخفيض في العمال الصناعيين ، وشمل ذلك حتى الذين استقروا منذ زمن طويل في صناعة النسيج ، وادى الى مايقرب من الفقر المدقع .

وبعد وصوله الى زيوكو ببضعة اشهر اصبح مونتزر واعظا في الكنيسة نفسها التي اقيم فيها منبح خاص للنساجين ، واستعمل المنبر ليلقي بشجب ضار ليس فقط للفرنسسكان المحليين ، الذين كانوا بشكل عام مفتقرين الى الشعبية بل للواعظ ايضا ـ وكان صديقا للوثر ـ الذي كان يتمتع بتاييد الاهالي الموسرين ، ولم يمض وقت طويل حتى اصبحت المدينة كلها منقسمة الى معسكرين متخاصمين واصبحت العداوة بينهما حادة لدرجة أن الاضطربات العنيفة بدت وشيكة.

وفي نيسان ١٥٢١ ، تدخل مجلس المدينة وصرف القادم الجديد المثير للاضطراب ، وإذ ذاك قام عدد كبير من الناس بقيادة ستورش بثورة ، وأخمدت الثورة وجرت اعتقالات كثيرة ، وشملت بدلالة كافية اكثر من خمسين نساجا .

وبالنسبة لمونتزر فقد لجأ إلى بوهيميا ، على ما يظهر بأمل أنه حتى في هذا التاريخ المتأخر قد يجد بعض مجموعات الطابوريين هناك ، وفي براغ أخذ يعظ بمساعدة مترجم ، ونشر ايضا بالألمانية والتشيكية واللاتينية بيانا يعلن تأسيس كنيسة جديدة في بوهيميا ، ستضم النخبة فقط ، وستكون بناء عليه ملهمة من الرب بشكل مباشر ، وحدد دوره الآن بتعابير من الحكايات والأمثال الآخروية نفسها حول القمح والبيقية ، التي كانت قد اثيرت خلال ثورة الفلاحين الانكليز : « لقد حان وقت الحصاد ، فقد استأجرني الرب نفسه من أجل حصاده ، ولقد شحذت منجلي ، لأن افكاري قد ثبتت بقوة على الحقيقة ، وشفتاي ويداي ، وجلدي وشعري ، وروحي وجسمي وحياتي تلعن الكفرة » .

وبالطبع كانت دعوة مونتزر للبوهيميين مخفقة ، وطرد من براغ وفي السنتين (ص ٢٣٨) التاليتين هام من مكان إلى مكان في وسط المانيا في فقر شديد ، ولكن كانت تدعمه الآن ثقة لاتهتز في مهمته التنبوئية ، ولم يعد يستعمل درجاته الأكاديمية وإنما وسم نفسه « برسول المسيح » واتخذت مصاعبه في عينيه قيمة مسائحية : « لتكن معاناتي نموذجا لكم ، ولتنفخ كل البيقية نفسها بقدر ما تحب فما زال أمامها أن تذهب تحت الدرس مع الحنطة الصافية ،.إن الرب الحي يشحذ منجله في ، حتى يمكنني فيما بعد أن أقطع الخشخاس الأحمر والقنبيط الأزرق » .

وبلغ تشرده نهايته عندما دعي في ١٥٢٣ ليقوم برعاية روحية في مدينة الستدت الصغيرة الثورنجية ، وتزوج هناك ، وأوجد الطقوس الأولى باللغة الألمانية ، وترجم التراتيل اللاتينية إلى العامية ووطد

سمعته كواعظ ، التـي امتـدت في كل انحـاء وسـط المانيا ، وكان الفلاحون يأتون بانتظام من الريف المجاور ، وفـوق الجميع بضـع مئات من العاملين في المناجم ، مـن مناجـم مـانسفيلد للنحـاس ليستمعوا إليه ، وقد زوده هؤلاء إلى جانب حرفيي الستدت بـاتباع أعدهم في تنظيم ثوري ، هو « عصبة النخبة » ، وكانت العصبة تضم بشكل رئيس اناسا من غير المتعلمين ، وكان هـذا جـواب مـونتزر للجامعة ، التي كانت دائما مركزا لنفوذ لوثر .

وكان التنور الروحي الآن هو الذي سـيحل محـل علم الكتبـة ، وكان على الستدت أن تحل محل ويتنبرغ وتصبح مـركزا لاصـلاح جديد كان مفروضا أن يكون شاملا ونهائيا ، ويؤدي إلى الألفية .

وقد مضى وقت طويل كان مـونتزر فيه متـورطا في صراعات مـع السلطات المدنية ، حتـى أن اميرى سـاكسوني ـ الأمير المنتخب لرئاسة الامبراطورية الرومانية المقدسة ، فـردريك الحـكيم واخيه الدوق جون ـ كانا قد شرعا بمراقبة أعماله بمزيج مـن الفضـول والحذر ، وفي تموز ١٥٢٤ جاء الدوق جون ، الذي هجر هو نفسـه العقيدة الكاثوليكية التقليدية ، واصبح تابعا للوثر ، إلى السـتدت ، وكي يكشف نوع الرجل الذي كان عليه مونتزر ، طلب منه أن يعظه .

وفعل مونتزر وقد أخذ نصه من رأس النبع في التقـاليد الرؤوية ، في سفر دانيال ، وتعطي الموعظة التي سرعان ما طبعها ، اوضـح المفاهيم الممكنة لمعتقـداته الأخـروية حيث قـال إن آخـر الامبراطوريات ـ الدنيوية تقترب من نهايتها ، والدنيا الآن لاشيء ، سوى امبراطورية الشيطان ، حيث هؤلاء الأفـاعي والكهنة وهؤلاء الثعابين والحكام المدنيون واللوردات ، يلوثـون بعضـهم بعضـا في كومة شوشة ، لقد حان الوقت بالفعل ليختار امراء ساكسون ، إمـا أن يكونوا عبيدا للرب أو للشـيطان ، فإذا كان الخيار الأول فإن واجبهم واضح :

« اطردوا أعداء المسيح مـن بين النخبـة ، لأنكم وسـائل هـذه الغاية(ص ٢٣٩) ، أيها الأخوة الأحبة الأعزاء لاتتخـذوا ذريعـة

ضحلة ، إن الرب قد يفعل ذلك دون أن تضربوا بالسيف وعندهــا إن سيفكم قد يصدأ في غمده .... إن المسيح هو سيدكم ، فــلا تــدعوهم يعيشــون بعــد الآن ، أولئك الذين يفعلون الشرور ويحــولوننا عن الرب ، لأن من لارب له من الناس لاحق له في الحياة إذا كان يعــوق التقي الورع »، واصر الواعظ على أن الكهنة ، والرهبــان والحــكام الملحدين الكفرة يجــب أن يهلكوا : « إن الســيف لازم لابــادتهم ، وهكذا يجب أن يفعل بأمانة وكما ينبغي ، ويجــب أن يفعله ابــاؤنا الأعزاء ، الأمــراء ، الذين يعتــرفون معنا بــالمسيح ، ولكن إذا لم يفعلوه ، سيؤخذ السيف منهــم .... وإذا قــاوموا ، فليذبحــوا دون رحمة .... في زمن الحصاد يجب أن ينتزع المرء الأعشــاب مــن كرم الرب .... ولكن الملائكة الذين يشحذون مناجلهم لهذا العمل ليســوا سوى عبيد الرب الجادين .... لأن الكفرة لاحق لهــم في الحياة ، إلا من تختارهم النخبة لتسمح لهم بذلك .... »

ومع ذلك فإن مونتزر اقر أن الأمراء لايمــكنهم أن يتــولوا هــذه المهام بفعالية مالم يبلغوا بأهداف الرب ، وهذا ما لايمكنهم إحرازه بأنفسهم ، لأنهم مــا يزالون بعيدين جــدا عن الرب ، وعليه هــكذا استخلص ، يجب أن يكون في بلاطهم كاهن يعد نفسه بنكران الذات وكبح الشهوات لتفسير احلامهم ورؤاهم ، تماما كما فعل دانيال في بلاط نبوخذ نصر والتلميحات الانجيلية الضمنية التي صاحبت هــذه التوصية تظهر بوضوح كاف انه قد رأى في نفسه النبي الملهم ، الذي كان له أن يحل محل لوثر لصالح الأمراء ، كمــا حــل دانيال محــل الكتاب غير المتنورين .

وبهذه الطريقة ظن انه يحرز نفوذا على حكام الأرض حتى يكون قادرا على توجيههم في إجراء التحضيرات الضرورية للالفية .

وقد نوقشت كثيرا كيفية تصوير مونتزر للالفية ، ويمكن في الواقع تقريرها من الحكم على كتاباته ، لقد اظهر بالتأكيد اهتمــاما اقــل بكثير بطبيعة مجتمع المستقبل من اهتمامه بالابادة الجماعية التــي

يفترض أن تتقدمه ، كما لايبدو أيضا أنه أبدى اهتماما كبيرا بتحسين الحصة المادية للفقراء الذين كان يعيش بينهم ، وبعد يومين من القاء موعظته للأمراء نجده يكتب لأتباعه في سانغرهوزن بأنهم يجب أن يطيعوا سيدهم في كل الأمور الدنيوية ، وإذا لم يكن السيد راضيا عن الخدمة والايجارات التي يحصل عليها في الوقت الراهن ، يجب أن يكونوا مستعدين لجعله يحصل على سلعهم الدنيوية ، وفقط إذا تدخل في الأمور المتعلقة بالراحة الروحية ـ وبشكل خاص بمنعهم من الذهاب إلى الستدت للاستماع إلى مونتزر ـ يجب أن يصرخوا بصوت عال ليسمعهم كل العالم . وحتى عندما تكلم مونتزر عن (ص ٢٤٠) العصبة من المنتخبين ظل موقفه هو نفسه ، فقد حاول بالعبارات التالية حث وكيل الأمير المنتخب في الستدت على الانضمام للعصبة :

« إذا كان للمخادعين والمحتالين أيضا أن ينضموا بغرض إساءة استعمال العصبة فإن على المرء أن يحيلهم إلى طغاتهم وإلا ، طبقا لطبيعة الحالة أن يحاسبهم بنفسه ، وبشكل خاص فيما يتعلق بتقديم الخدمات الموصوفة ، يجب أن يؤكد بوضوح في العصبة على أن الأعضاء يجب أن لايعتقدوا أنهم بذلك معفون من تقديم أي شيء لطغاتهم .... لئلا يعتقد بعض الناس الأشرار أننا تجمعنا من أجل تعزيز الغايات المادية »

ومع ذلك فإن هذا لايعني ـ كما كان يوحي أحيانا ـ بالضرورة أن مونتزر لايمكن أن يكون قد تصور الفيته بلا مساواة ، بل حتى كشيوعية ويمكن بالدرجة نفسها أن يعني أنه اعتبر النظام القائم غير قابل للاصلاح حتى تأخذ كارثة الأيام الأخيرة مجراها ، واعتبر في الوقت نفسه أمرا مسلما به أنه ما أن يحصل ذلك ، فإن دولة الطبيعة البدائية ستستعاد بصورة آلية ، ومثل هذه التخيلات ، التي لم تفقد فتنتها منذ أيام الطابوريين ، معروف بأنها كانت مألوفة في الدوائر التي كان مونتزر يتحرك فيها ،و طبقا لمصدر يمكن الاعتماد عليه نوعا ما ، كان معلم مونتزر الأول ، وهو النساج

نيكلاس ستورش يعتنق افكار حول هــذه الامــور ، بــالكاد يمــكن تمييزها عن افكار أخوة الروح الحرة ، تمسكت بــأن الرب يخلق كل الناس متشابهين عراة وهــكذا يرســلهم إلى الدنيا ، حتــى يكونوا جميعا من المرتبة نفسها ، ويقتسمون كل الاشياء بــالتساوي فيمــا بينهم . وايضا عرف مونتزر الفيلسوف الانساني أو ليريتش هغولد وكتب هغولد بحثا تنبــأ فيه بــأن الجنس البشري ســيعود « إلى المسيح إلى الطبيعة ، إلى الفردوس » ، الذي عرفه بأنه وضــع بــلا حرب ولا عوز أو توقف ، فيه كل انسان يقتسم كل الأشياء كما يفعل مع اخوته . و علاوة على ذلك و على اسس أن حياة الفلاح كانت هي الأقرب من تلك التي حددها الرب لآدم و حواء ، انتهى هغــولد بــأن حول نفسه االى فلاح ، و هكذا فعل الفيلسوف الأنساني كارلستدت Karlstadt ، الذي كان صديقا حــميما و حتــى حواريا لمونتزر ، و على مستوى اقل تعقيدا ، لاحظ عضو بسيط في عصبة النخبة بانه فهم ما عناه برنامجها هو «انهم يجــب أن يكونوا اخوة ، ويحب واحدهم الآخر كالأخوة» .

اما اما بالنسبة لمونتزر نفسه ، فانه عندما كان يكتب عن شريعة الرب ، فانه بالتأكيد بدا و هو يســوي بينه وبين القــانون الأصــلي الطبيعي المطلق ، الذي يفتــرض أنه لم يعــرف التمييز بــالثروة أو المنزلة . و قد قوى هذا الانطباع تاريخ توما مونتزر و هو بــاعتراف الجميع عمل هائل ، عمل كتب بينما كانت قصة مونتزر منتعشة جدا في ذاكرة الناس و هو يظهر بشكل عام مســتوى مــرتفعامن الدقــة الحقيقية ، و حسب هذه الرواية كان مونتزر ، على الأقل في الشهور (ص ٢٤١) الأخيرة من حياتــه ، قــد بشر أنه يجــب أن لا يكون هناك ملوك أو سادة و أيضا ، بسبب قوة سوء الفهم للمادة الرابعــة من أن كل الاشياء يجب ان تكون ملكيتها مشتركة ، و بــأخذ هــذه الحقائق ، معا إنها توحي بالتأكيد بــأن الاعتــراف الذي قــام بــه المتنبيء قبل موته مباشرة يحتمل انه كان دقيقا بدرجة كافية ، حتى ولو كان قد انتزع تحت التعذيب ، لأن ما اعترف بــه كان ان المبــدأ الأساسي لعصبته هو ان كل الأشياء مشتركة بين كل الناس ، و أن

هدفها كان جملة من الأوضاع التي يكون الجميع فيها سـواسية ، و يحصل كل فرد على حاجته ، و انها كانت مسـتعدة لاعدام اي أمير أو لورد يقف في طريق مخططاتها ، و بعد كل شيء ما من شيء في هذا البرنامج لم يقر او يؤكد أيضا بلا ضغط أو اكراه بـالمرة في المنهـاج الذي تخيله ثائر الراين الأعلى لأخوة الصليب الأصفر.

و عندما القى مونتزر موعظته امام الدوق جون كان واضـحا انه يأمل في امكانية كسب امراء سـاكسوني الى جـانب القضـية ، و عندما طرد بعد يومين من ذلك اتباع له من قبـل سـادتهم ، بشـكل خاص من قبل كونت مانسفيلد و جاؤوا كلاجئين الى السندت ناشـد الأمراء الانتقام لهم ، و لكن الأمراء لم يبـدوا حـركة ، و غير هـذا موقفه ، و في الأسبوع الأخير من تموز القى موعظة أعلن فيهـا انه قد بات قريبا الوقت الذي يسقط فيه كل الطغاة ، وتبـدأ فيه المملكة المسيحية وهذا في ذاته كان يكفي بلا شك ليحذر الأمراء ، ولكن على اي حال كان لوثر كتب الآن رسالته الى امراء ساكسوني ليبين مدى الخطورة التي أصبح عليها هياج مونتزر ، ونتيجـة لذلك اسـتدعى مونتزر الى ويمر Weimar ليقدم إيضاحا أمام الدوق جون . ومع أنه حتى حينه كان الأمر مجرد لفت نظر الى ضرورة التوقف عن اصدار أي تصريحات مثيرة أخرى ، حتى يتم دراسة الأمر من قبل الأمير المنتخب ، كان الأمر كافيا لوضعه على طريق الثورة .

وفي النشرة التي أخرجها الآن بعنوان « التعرية الواضحة للعقيدة الزائفة للعالم الملحد » جعل مونتزر الأمر واضحا ، إن الأمراء غير صالحين لأداء دور على الاطـلاق في تحقيق الألفية لأنهـم امضـوا حياتهم في اكل بهيمي وشراب ، ومن شبابهم وما بعده نشـأوا على العفوية ، وفي حياتهم كلها لم يصـادفهم ابـدا يوم سيء ، وهـم لم يرغبوا ولم ينووا تقبل مثـل هـذا اليوم ، وفي الواقـع أن الامـراء واللوردات وكل الاغنياء بـاصرارهم على الاحتفـاظ بـالنظام الاجتماعي القائم لا يمنعون انفسهم فقط بل الآخـرين أيضـا مـن الوصول الى العقيدة الصحيحية :« وينبغـي خلع الكفـار الأقـوياء

ذوي الارادة الذاتية وطرحهم أرضا وانتزاعهم من كراسيهم لأنهم يعوقون الايمان المسيحي الأصيل المقدس في أنفسهم وفي العالم كله (ص ٢٤٢) عندما يحاول الظهور بكل صدقه وقوته الأصلية » وبتحريضه بوساطة الكتاب الفاسدين ــ من أمثال لوثر ــ «يفعل العظيم كل ما يمكنه ليحول بين الناس وبين ادراك الحقيقة ».

وبارتباطهم معا « كبيض الضفدع » وباهتمامهم المشترك بالربح المادي يرهقون الفقراء بالربا والضرائب حتى أنهم لا يجدون الوقت لدراسة واتباع شريعة الرب ، ومع ذلك ، جادل مونتزر أن هذا كله ليس سببا لليأس ، بل على العكس ، إن الافراط الكبير في الطغيان الذي يضطهد العالم هو علاقة اكيدة على أن التحقق العظيم بات في متناول اليد ، وبالضبط لأن الله يبعث بنوره الى العالم إن بعض (السادة) قد شرعوا الآن فقط بصورة حقيقية في اعاقة ومضايقة ، وجز وحلق شعوبهم ، لتهديد كل النصرانية وبلا خجل وبقسوة متناهية لتعذيب وقتل قومهم والغرباء أيضا.

وقد بلغ مونتزر النقطة التي وصل اليها المتنبؤن السالفون خلال ثورة « الفلاحين الانكليز » ، وثورة الهوسية ، وبالنسبة له ايضا كان الفقراء الآن هم الذين يحتمل أن يكونوا النخبة ، المكلفة بمهمة تدشين الفية المساواة. وبتحررهم من اغراءات البخل والترف ، كان لدى الفقراء على الأقل فرصة عدم المبالاة بموجودات هذا العالم مما يؤهلهم لتسلم الرسالة الرؤوية ، وعليه إن الفقراء هم ــ بينما يستأصل الأغنياء والأقوياء مثل الأعشاب في الحصاد العظيم الأخير ــ الذين سيخرجون بمثابة الكنيسة الوحيدة الصحيحية ، «ثم يجب على كل من هو عظيم أن يستسلم لكل من هو صغيره أه إذا عرف الفلاحون الفقراء المسحوقون أن ذلك عونا كبيراً لهم» ، ومع ذلك ــ اصر مونتزر ــ حتى الآن ليس حتى الفقراء كانوا صالحين للدخول في البهاء المعين لهم ،« فهم ايضا يجب أن يبتعدوا أولا عن الرغبات الدنيوية ، وتمضية الوقت في التوافه كما كانوا يفعلون ، حتى يمكنهم بالصلوات والتهجد ، أن يتعرفوا الى حالتهم

اليائسة وحاجتهم في الوقت نفسه الى قائد جديد مرسل من الرب ، واذا كان للكنيسة المقدسة أن تتجرد من خلال الحقيقة المرة ، فإن أحد عبيد الرب يجب أن يتمثل في روح اليجا .... ويحرك الأمور ، وفي الحقيقة أن العديد منهم يجب أن يثار ، حتى أنهم بأكبر حماس ممكن وبجدية حماسية يجب أن يمشطوا النصرانية لتطهيرها من كل الحكام الكفرة » وبالضبط كما قدم مونتزر سالفا خدماته للأمراء كدانيال جديد ، كهذا اقترح نفسه الآن لمنصب القائد الالهي لشعبه.

وتبع « التعرية الواضحة » بفاصل زمني غير كبير كتيب اخر اكثر قسوة ، وجهه خصيصا ضد لوثر وبالتالي عنونه « دعوة الدفاع الأكثر اسهابا ، والجواب على الجسد غير الروحاني الذي يعيش عيشة رحبة في وتنبرغ »

وكان لسبب جيد أن لوثر ومونتزر كان عليهما في ذلك الوقت أن يعتبر كل منهما الآخر عدوا مميتا وتماما مثله مثل مونتزر صاغ لوثر جميع أعماله في اطار ايمانه بأن الأيام الأخيرة (ص ٢٤٣) في متناول اليد ، ولكن في نظره كان العدو الوحيد هو البابوية ، التي رأى فيها المسيح الدجال ، النبي المزيف ، وبنشر الانجيل الحقيقي ليتم التغلب على البابوية .

وعند انجاز هذه المهمة سيعود المسيح ليصدر حكم اللعنة الأبدية على البابا واتباعه وتأسيس مملكة ، ولكنها لن تكون مملكة من هذا العالم ، وفي اطار مثل هذا الايمان بالأخرويات كان من المحتم أن الثورة المسلحة تبدو غير ذات موضوع ، لأن موت الجسد الذي يسببه الناس ، كأن كلا شيء بالمقارنة مع حكم اللعنة الذي فرضه الرب ، وكان محتما أيضا أن تبدو الثورة المسلحة ضارة ، جزئيا لأنها ستحطم النظام الاجتماعي الذي سمح للكلمة أن تنتشر ، وما هو اكثر لأنها ستضعف الثقة بالاصلاح الذي كان بالنسبة للوثر بصورة لا تقبل المقارنة أهم شيء في العالم ، وكان بناء عليه من

المتوقع أن لوثر سيبذل ما في وسعه لابطال تـأثير مـونتزر ، ومـن جانب آخر ليس مدهشا أن مونتزر من جانبه رأى في لوثر شـخصية أخروية هي وحش سفر الرؤيا ، وعاهـرة بـابل ، وفي الواقـع أن عنوان كتيبه كان تلميحا الى فقرة من سفر الرؤيا هي رسالة يهـوذا التي تحكي كيف أن الرب مع عشرة آلاف مـن قـديسيه سـينفذون الحكم بالكفار « المسـتهزئين في الزمـان الأخير » ـ كمـا تمـت تسميتهم هناك ـ الذين يبحثـون عن مصـالحهم بـالتودد للرجـال العظام من البشر والذين ليس لديهم الروح » .

وبهجومه على لوثر في « دعوة الدفاع الأكثر اسـهابا » ، صـاغ مونتزر بصورة بالغة الاحكام مذهبه للثورة الاجتمـاعية ، وفي حين أن لوثر أوقف رسـالته على الأمير المنتخـب والدوق جـون أوقـف مونتزر جوابه على المسيح ملك الملوك ودوق كل المؤمنين ، وجعل من الواضح أنه يعني بالمسيح روح المسيح التـي خبـرها هـو نفسـه واتباعه ، وأعطى أسبابه :«إن الأمراء ـــأولئك الكفرة الأوغاد كمـا يدعوهم الآن ـ دعموا كل ادعاء لتمجيد الطاعة والهيمنة ، التي من الآن فصاعدا ستكون للنخبة وحدها ، وما يزال صـحيحا أن ارادة الرب وعمله يجب أن ينفذوا بكليتهما بالتزام الشريعة » ، ولكن هذه ليست مهمة الكفار وعندما يأخذ الكفـار على عاتقهـم مهمـة قمـع الذنوب فانهم يستخدمون الشريعة كوسيلة لابادة النخبة ، وبشـكل أكثر تخصيصا أكد مونتزر أنه في « العظيم » أصبحت شريعـة الرب ببساطة جهازا لحماية الثـروة ، بمعنى الثـروة التـي اسـتولوا عليها ، وفي هجوم مرير على لوثر صـاح : « إن البـائس المغـرور صامت بالنسبة لأصل كل السرقة(ص ٢٤٤)انظر أصول بذرة الربا والسرقة والسلب ، هم ، لورداتنا ، وأمراؤنا ، إنهم يأخـذون كل المخلوقات على أنها ملك لهم : السمك في الماء ، والطيور في الهـواء والنباتات على الأرض ، عليها جميعا أن تكون لهم ، واشـار الى الفقرة في أشعيا التي تقـول : « ويل لهـم الذين يضـمـون بيتـا لبيت ، وحقلا لحقل ، حتى لا يكون مـكان ....» وهؤلاء اللصـوص يستخدمون الشريعة ليمنعوا الآخرين من السرقة : « إنهم يذشرون

وصـــايا الرب بين الفقــراء ، ويقـــولون ، إن الله يوصي بـــأن لا تسرقوا » ، إنهم يضـــطهدون كل الناس وهــم يجــزون ويحلقـــون الحراثين الفقراء ، وكل شيء حي ، ومع ذلك » أن (الحــراث) إذا ارتكب أدنى اساءة يجب أن يشنق » وجريمة لوثر الكبرى هـــي أنه يسوغ هذ المظالم ، وأعلن مونتزر من جــانب أخــر حــق وواجــب النخبة ، الذين يوجدون بين عامــة الناس ، في اســتعمال الســيف لابادة الأشرار ، الذين يضمون كل « العظماء » ووجه خطابه للوثــر مناديا انت ايها الثعلب الماكر لقد احزنت قلوب الصــالحين ، الذين لم يحــزنهم الرب ، وبــذلك قــويت ســـلطة الأشرار الأوغاد ، كي يستمروا في طرقهم القديمة ، وعليه إن الأشياء ستسير معــك كمــا تسير مع الثعلب عندمــا يمســـك بـــه ، وســـيصبح الناس احرارا ، والرب وحده يعتزم أن يكون السيد عليهم » .

ومــن التناقض بــدرجة كافية ، أن الأميرين اللذين كانا بشــكل رئيسي في فــكر مـــونتزر ــ الأمير المنتخـــب فـــريدريك والدوق جون ــ كانا وحــدهما بين الأمــراء الألمان في كونهــم متســامحين للغاية ، ولكونهما مشوشين بدرجة كبيرة في وسط الهيجــان الكبير الذي استهله لوثــر والذي بقيت أراضــيهما مــركزا له ، فقــد ملئا بالريبة حول حقــوقهما ومنزلتهمــا ، واســتمع الدوق جـــون دون احتجاج الى موعظة مونتزر الاستفزازية ، وعرف أن الأمير المنتخب قد لاحظ أنه إذا كان الرب يريدها هكذا فإن الحكومة يجب أن تنتقل الى يدي الرجل العادي ، وفي التعامل مع متنبــيء الســتدت الثــائر ابدى كلا الأخوين شـــكا متســـاويا ، وكانت كايمـــاءة تحـــد واستخفاف ، اكثر منها لقلق جدي على سلامته ، أن مـــونتزر بعــد اسبوع مــن الاســتماع الى افــادته في ويمـــر نقض عهده ، وتسلق ليلا أسوار مدينة الستدت وشــق طــريقه الى المدينة الامبراطورية الحرة مولهوزن .

وكانت المدينة الثورنجية الكبيرة نسبيا مــن قبــل في حــالة مــن الاضطراب المنقطع لها يزيد عن سنة ، وكان راهــب ســالف يدعى

هينريش بفيفر ينتزع افقر الاهالي في نضالهم لانتزاع الهيمنة السياسية من حومة القلة التي كانت حتى الآن تحتكرها ، وكان نصف سكان المدينة ـ وهي نسبة كبيرة على حد ما هو معروف بالنسبة لأي مدينة المانية اخرى في ذلك الوقت – يتألف من الفقراء جدا ، الذين كانوا دائما في اوقات الازمة يظهرون استعدادهم للتجارب الاجتماعية المتطرفة (ص ٢٤٥) .

وهنا وجد مونتزر اتباعا قليلين ولكنهم متحمسين ، وبفعل الاستحواذ المستمر لفكرة الدمار الوشيك للاشرار عليه ، كان له صليب احمر ، وسيف مجرد يحمل امامه عندما كان يقوم بالدورية في شوارع المدينة على راس فرقة مسلحة.

ومع ذلك فعندما تفجرت الثورة العلنية قمعت بسرعة ، وطرد مونتزر مرة اخرى ، فاستأنف هيمانه ، و في نورمبرغ قد بدأ امر نشر رسالتيه الثوريتين ، ولكنهما صودرتا على الفور من قبل مجلس المدينة ، وكان على مونتزر ان يغادر هذه المدينة ايضا وبعد بضعة اسابيع من الهيمان اخذته بعيدا إلى حدود سويسرا دعي للعودة الى موهلهوزن حيث نجح بفيفر في اعادة توطيد نفسه ، والذي كان مرة اخرى في حالة من الاختمار الثوري وفي اذار ١٥٢٥ تم اسقاط المجلس القائم للمدينة وانتخب مجلس جديد من قبل الأهالي ليحل مكانه ، ولكن لا يبدو أن مونتزر قد شغل أي دور كبير في تلك الأحداث ، وما مكنه من أن يظهر نفسه بمظهر الثوري النشط كان تفجر حرب الفلاحين اكثر منه ثورة موهلهوزن ، وكانت اسباب حرب الفلاحين الألمان وستبقى بلاشك موضوعا للجدل ، ولكن هناك بعض التعليقات الهامة التي يمكن ايرادها ببعض الثقة ، انه على الأقل من المؤكد ان خلفية هذه الثورة تشبه خلفية ثورة الفلاحين الانكليز اكثر من تلك المتعلقة بثورة الجاكويري Jacquerie فقد كان يسر أحوال الفلاحين الألمان اكبر مما كان مطلقا ولاسيما الفلاحين الذين اخذوا المبادرة في كل

مكان في التمرد المسلح ، وبدلا من أن يدفعوا بالبؤس الصارخ واليأس كانوا ينتسبون الى طبقة ناهضة واثقة من نفسها .

لقد كانوا اناسا أوضاعهم في تحسن اجتماعي واقتصادي ، وكانوا لهذا السبب بالذات لايصبرون على العقبات التي تقف في طريق مزيد من التقدم،وعليه فليس من المدهش انه في جهودهم لازالة تلك العقبات اظهر الفلاحون انهم ليسوا بالمرة آخرويين في افكارهم ، بل على العكس ذوي افكار سياسية ، بمعنى انهم يفكرون بتعابير الأوضاع الحقيقية والامكانات القابلة للتحقق

واقصى ماكان يسعى اليه المجتمع الفلاحي على الاطلاق تحت قيادة ارستقراطيتة الفلاحية كان الحكم المحلي الذاتي ، واول مراحل الحركة من اذار ١٥٢٥ حتى مستهل ايار ، كانت تتألف ببساطة من سلسلة من الصراعات المحلية امكن فيها انتزاع عدد كبير من المجتمعات حقا من سادتها المباشرين ، من الأكليروس او المدنيين مع المزايا التي تعطيها حكما ذاتيا أكبر ، ولم يتحقق ذلك بسفك الدماء بل بتشديد المساومة العنيفة القاسية التي كان الفلاحون يجرونها منذ اجيال .

وتحت هذه الثورة كانت تكمن على أي حال صراعات اعمق (ص٢٤٦) ومع الانهيار المتزايد للسلطة الملكية تحللت الدولة الألمانية الى سلطات اقطاعية متناوبة مشوشة بل ومتحاربة ، ولكن بحلول ١٥٢٥ كانت هذه الحالة القريبة من الفوضوية تقترب من نهايتها لأن امراء الولايات الكبار كانوا منهمكين في ايجاد اماراتهم ذات الحكم المطلق ، ورأى الفلاحون طريقتهم التقليدية للحياة تتمزق ، وحقوقهم الموروثة مهددة بتطور دول من هذا النمط الجديد .

واستاءوا من الضرائب الاضافية ، واستبدال القانون الروماني بالعرف » ، وتدخل الادارات المركزية في الشؤون المحلية ، وقاتلوا ذلك كله وقاوموه ، وأدرك الأمراء من جانبهم

بوضوح كاف أن الفلاحين كانوا يقفون في طـريق مخـططاتهم لبناء الدولة ، وادركوا أيضا أن العصيان المسلح الفلاحي يقدم لهم فرصة فاخرة لتأكيد سلطتهم وتـوطيدها ، وكان الامـراء ــ أو بـالأحرى جماعات خاصة من الأمراء ــ قد عملوا على أن تنتهي الثورة بشكل مفجع ، في سلسلة مـن المعـارك أو المذابـح ، هلك فيهـا ربما ١٠٠٠ من الفلاحين و كانت الأسر الأميرية هي التي ربحت على السواء من اختزال الفلاحين ، والنبالات الأدنى والمؤسسات الاكليروسية الى حالة من الاتكال والضعف كان لهـا أن تـدوم بـلا جدل قرونا.

والدور الذى شغله توماس مونتزر في حرب الفلاحين ككل يمـكن بسهولة التعرف عليه وتقريره مـع انه كثيرا مـا بـولغ فيه ، وكانت الجهات الرئيسة المهددة بالصراع هي النواحي التي بلغ فيها تـطور الدول الجديدة مدى أبعد ، ووقعت هـذه النواحـي كلهـا في جنوب وغرب المانيا وهي التي رأت من قبل كثيرا من الثورات الفـلاحية في السنوات لما قبل ١٥٢٥ ، وهناك يبدو أن مونتزر لم يكن له أي نفوذ على الاطلاق ، وفي ثـورنجيا على أي حـال كانت الحـالة غريبـة ومميزة ، حيث لم يكن هناك ثورات فـلاحية سـالفة ، وكانت هناك علامات قليلة عن ثورة وشيكة حتـى في ١٥٢٥ ، وجـاء العصـيان المسلح في الحقيقة متأخرا جدا علاوة على انه أخذ صورة فـوضوية بشـكل غريب ، في حين انه في الجنوب والغـرب كان الفـلاحون يوجهون انفسهم بنمط نظامي منهجي ، وفي ثورنجيا شـكلوا فـرقا صغيرة غير منظمة كانت تـطوف بـالريف تنهـب وتحـرق الأديرة وتجمعات الرهبان ، وربمـا كانت هـذه التفجـرات قـد لقيت تشجيعا ، إن لم تكن قد نجمت عن الهيجان الذي كان مونتزر يثيره.
وكانت النواة الصلبة لاتباع مونتزر ما تـزال في عصـبة النخبـة وانضـمت بعض حلقـاته الدينية السـالفة في الاسـتدت اليه في موهلهوزن ، وعاونته بلا شك في بناء تنظيم جديد.

وفوق كل شيء استمر في الاعتماد على الشغيلة في مناجم النحاس

في مانسفيلد ، الذين انضموا الى العصبة بالمئات ، ومثل هؤلاء الناس – كانوا يجندون من خارج البلاد ، وكثير ماكانوا من المهاجرين ، الذين كثيرا ماكانوا معرضين للبطالة ، وكل انواع عدم الأمن – كانوا بالقدر نفسه من سوء السمعة والميل للاثارة الثورية التي كان عليها النساجون ، وبالتالي كانوا موضع خشية السلطات ، ولأنه كان قادرا على قيادة مثل هؤلاء (ص ٢٤٧) الاتباع كان طبيعيا ان يحظى مونتزر بسمعة كبيرة كقائد ثوري ، حتى لو لم ينافس نفوذ بفيفر مطلقا في موهلهوزن نفسها ، وفي محيط العصيان الفلاحي المسلح كان هذا يبدو اكبر بكثير ، ومع انه – كما تظهر بوضوح مطالبهم المكتوبة – حتى فلاحي ثورنجيا لم يشاركوا مونتزر في تخيلاته الألفية ، فانهم كانوا يتطلعون اليه بالتأكيد على انه العالم الشهير ، والرجل الورع الذي القى بلا تحفظ بثقله معهم ، وكان هناك كثير من عدم الاتفاق حول المدى الذي يمكن بلوغه في تسمية مونتزر بحق قائدا للفلاحين الثورنجيين في « حربهم » ، ولكن شيئا واحدا يبدو مؤكداً ، هو انه لم يكن لديهم قائد أخر .

وفي نيسان ١٥٢٥ رفع مونتزر في كنيسة في موهلهوزن علما ابيض يحمل قوس قزح رمزا الى ميثاق الرب ، واعلن أنه سيسير قريبا تحت هذا الشعار على راس الفين من « الغرباء » – بدون شك يبدو انهم من الأعضاء الحقيقيين او المتوهمين في عصبته – وفي نهاية الشهر اشترك هو وبفيفر في الواقع في حملة غزو وسلب ونهب دمر خلالها عددا من الأديرة وتجمعات الرهبان ، لكن حتى ذلك الحين لم يكن هذا بأي وسيلة النضال الرؤوي الذي كان يحلم به ، ومن رسالة بعث بها الى اتباعه في السستدت يدرك المرء الفكرة التي نسبت مرة الى جون بول ، وباستثناء واحد : ان المرء يسمعها الآن مباشرة بدلا من أن تكون مجرد رواية وقد جاء فيها :

«اني اخبركم بانه اذا لم تعانوا من اجل الرب ، فانكم يجب ان تكونوا شهداء الشيطان ، لهذا انتبهوا ولاتكونوا متراخين أصحاب

الرؤى الضالين ، الكفرة الملحدين الأنذال،ابدأوا وحاربوا معركة السادة فهذا أوانها تماما ، واجعلوا كل اخوتكم فيها حتى لايسخرون من الشهادة الالهية ، والا فانهم سيدمرون جميعا انه كل المانيا وفرنسا وايطاليا في حالة يقظة وحذرة فالسيد يريد ان يلهو ولهذا ان الأوغاد يجب ان يشاركوا،لقد قام الفلاحون في كلتغو Klettgau وهيغو Hegau وفي الغابة السوداء ، وعددهم ٣٠٠٠ نسمة والحشد يتزايد كل الوقت ، وكل ماأخشاه ان يترك الحمقى الأتباع انفسهم يؤخذون ببعض الاتفاقات الخيانية ، ببساطة لأنهم لم يروا بعد ضرر ذلك .

اذا كان هناك فقط ثلاثة منكم يثقون في الرب ويلتمسون فقط اسمه وجلاله ، فلن تخشوا مائة الف .

والآن اذهبوا اليهم واليهم واليهم ! لقد حان الوقت .... ان الانذال تأبطوا الهمة كالكلاب ...... انه من الضروري جدا ضروري الى مدى أبعد من أن يقاس .... ان لاتبدوا اهتماما لنواح الكفرة ! إنهم سيرجونكم بطريقة متوددة وسينتحبون ويبكون كالأطفال .

لاتتأثروا بالشفقة ..... واثيروا الناس في القرى والمدن وعلى الأخص عمال المناجم ، والاتباع الطيبين الآخرين ، الذين سيكونون جيدين في هذه المهمة يجب ان لاننام بعد الآن (ص ٢٤٨) .... خذوا هذه الرسالة الى عمال المناجم ....

اليهم اليهم والنار ماتزال حامية ! لاتدعوا سيفكم يبرد لاتجعلوه يضعف ! اطرقوا بالمطرقة اطرقوا على سندان نمرود القوا ببرجهم الى الأرض ! فمادامو احياء لن تنفضوا الخوف عن الرجال ان احدا لايستطيع ان يكلمك عن الرب طالما انهم يحكمونك. اليهم ، اليهم بينما أنت في ضوء النهار ! .... الرب يسير أمامك ، فاتبعه اتبعه ! .....»

وتظهر هذه الرسالة بوضوح كاف في اي خيالات كان مونتزر يعيش ، لأن نمرود كان يفترض انه بنى برج بابل ، إلذي كان بدوره يماثل بابل ، وكان على المستوى الشعبي يعتبر ليس فقط كأول منشيء للمدن بل كمؤهل للملكية الخاصة والتنمية الطبقية ، وفي الواقع كمدمر لحالة المساواة الطبيعية الابتدائية ، وفي دعوته لنبذ نمرود وبرجه اضاف مونتزر سلسلة كاملة من الاشارات الى نبوءات رؤوية هي الانجيل : نبوءة المملكة المسيحية في سفر حز قيال ٣٥ ، ونبوءة المسيح حول مجيئه الثاني كما جاء في انجيل متى : ٢٤ ، و نبوءة يوم الغضب في سفر الرؤيا : ٦ ، وبالطبع الى حلم دانيال Daniel وكل هذا يبين مدى اكتمال رسالة مونتزر في هذه المرحلة الأخيرة ، وان الافتراضات التي عمل على اساسها ، والتعابير التي فكر بها كانت ماتزال ملتزمة بالتقاليد الأخروية ، وفي الواقع ان من الأهمية بمكان انه كان في ذلك الوقت بالذات الرجل الذي اتخذه مثلا اعلى له ، كان هو نفسه يمارس دور المخلص الأخروي ، ولأنه طرد من زويكو Zwickau فان نيكلاس ستورش كون اتباعا جددا اختلط فيهم الرهبان المرتدون بالنساجين والحرفيين الآخرين ، ونظمها حول نواة من اثني عشر رسولا واثنين وسبعين حواريا ، وعندما تفجرت حرب الفلاحين كان يدعى انه قد تلقى وعدا من السماء ، حدد أنه خلال اربع سنوات سيكون قادرا على طرد الحكام الكفرة الحاليين وحكم العالم كله ومنح اتباعه ممالك الأرض .

وفي الوقت نفسه بينما كان مونتزر وستورش يمهدان الطريق للألفية كان لوثر من جانبه يؤلف منشوره الضاري بعنوان « ضد عصابات اللصوص والقتلة من الفلاحين » وكان فعل هذا العمل كبيرا في اثارة الأمراء في وسط المانيا ، الذين كانوا حتى اليوم قد ابدوا تصميما اقل بكثير من أولئك الذين في الجنوب والغرب في معارضة الثورة ، وتوفي الأمير المنتخب العجوز فريدريك الذي اظهر اشد العزوف عن العمل ضد الفلاحين ، في ٤ أيار ، وخلفه اخوه جون ، وانضم الأمير المنتخب الجديد الى الامراء الآخرين في

التماس مساعدة الكونت الألماني فيليب أوف هيس وهو شاب بالكاد في العشرين من عمره ، ولكنه رجل كان قد كسب بالفعل سمعه هائلة كقائد عسكري وفوق ذلك كان قد اخمد لتوه ثورة في مقاطعاته ، وسار الكونت على الفور (ص ٢٤٩)الى ثورنجيا وتوجه الى موهلهوزن التي كان الامراء فيها متفقين في رؤيتهم لمصدر العصيان المسلح الثورنجي ، اما بالنسبة للفلاحين فقد شكل نحو ٨,٠٠٠ منهم اخيرا انفسهم في جيش في فرانكنهوزن Frankenhausen ، ووقعت هذه المدينة على مقربة من قيادة مونتزر في موهلهوزن ، وكذلك ايضا من قلعة عدوه القديم ارنست مانسفيلد Eornest of Mansfeld ، حتى انه يبدو ان الاختيار كان بالهام من المتنبيء نفسه ، وبالتأكيد قد تحول الفلاحون الآن الى مونتزر كمخلص ، يرجونه ان يأخذ مكانه بينهم ولم تكن دعوتهم عبثا ، في حين ان بفيفر ، الذي كان يعارض في التدخل بقي في موهلهوزن وخرج مونتزر على رأس نحو ٣٠٠ من مؤيديه الأكثر اخلاصا وتعصبا،وللعدد دلالة لأن ٣٠٠ كان حجم القوة التي اسقط بها جدعون المدينيين وفي كتاب « التعرية الواضحة » استحضر مونتزر مثال جدعون،وفي اشد رسائله عنفا اضاف « بسيف جدعون » الى توقيعه ، وقام ايضا باعلان مهمته على انها ابادة الكفرة بسيف جدعون ، ووصل مونتزر الى معسكر الفلاحين في ١١ ايار،

وعلى الفور جعل تأثيره ملموسا ، وامر الفلاحين في القرى المجاورة بالانضمام الى الجيش ، وهدد بأنهم اذا توانوا في ذلك سيجعلهم ينضمون اليه بالقوة ، وارسل طلبا ملحا الى مدينة ارفورت Erfur للتعزيزات وارسل ايضا رسائل تهديد الى العدو ، وكتب لعدوه الخاص الكونت ارنست مانسفيلد ، « قل ايها البائس ، الكيس الرث للديدان ، من جعل منك اميرا على الناس الذين اشتراهم الرب بدمه الثمين ؟ .... وبقوة الرب القادرة انك متوجه للتدمير ، واذا لم تتواضعوا بأنفسكم امام الأدنين ، فانكم ستصمونها بالعار الابدي في عيون كل النصرانية

- ١٧٥٢ -
وستصبحون ضحايا الشيطان » ولكن كل شيء كان بلا طائل : فلم تتمكن ايرفورت ان تستجيب ، ولم يكن العدو ليخاف بسهولة

وفي ادارتـــــه للعمليات اظهـــــر فيليب هيس Philip Hesse اشد الازدراء التام للمهارة العسكرية للفـــلاحين وسوغت النتيجة تماما المخاطر التي قبل بها ، ومع ١٥ أيار قامت قواته التي تقوت بقوى الأمراء الآخرين فاحتلت الآن مـــوقعا قـــويا فوق تل يطل على جيش الفلاحين ، ومع ان جيش الأمراء كان نوعا مـــاأقل عددا كانت لديه مـــدفعية كثيرة ، حيث كان لدى الفـــلاحين القليل جدا منها ، وكان لدى الأمراء نحـــو ٢٠٠٠ مـــن الفـــرسان بينما لم يكن لدى الفلاحين احد من الفرسان ، وكان لمعـــركة تـــدور تحت مثل هذه الظروف نتيجة ممكنة واحدة ، ولكن الأمراء مـــع ذلك عرضوا شروطا ، ووعدوا الفلاحين بمنحمهم حيـــاتهم شريطـــة أن يسلموا مونتزر واتباعه المقربين ومـــن المحتمـــل أن العـــرض قـــدم (ص ٢٥٠) بحسن نية لأنه في التعامل مـــع العصـــيان المســـلح في أراضـــيه ، كان الكونت في الوقـــت الذي يطلب فيه التســـليم ، كان يسعى أيضا لتفادي سفك الدماء بلا ضرورة ، وكان من المحتمل أن يقبل العرض لولا تدخل مونتزر نفسه.

وطبقا للرواية في تاريخ مونتزر ــ التي تبدو معقولة بدرجة كافية- القى المتنبـــيء خـــطابا عاطفيا ، أعلن فيه أن الرب قـــد تحـــدث اليه ، ووعده بالنصر حتى أنه سيمسك بقذائف مدافع العدو في اكمام عباءته ، وأنه في النهاية سيحول الرب السماء والأرض بدلا مـــن أن يسمح للناس بالهلاك ، وقد ارتفع اثر هذا الخطاب بـــظهور قـــوس قزح ، الذي فسر ، باعتباره رمزا على علم مونتزر ، بالطبع كعلامة على التأثير الالهي ، ويبـــدو أن اتبـــاع مـــونتزر ، المقـــربين على الأقل ، كانوا واثقين بأن نوعا ما من المعجزة الكبيرة كان على وشك الحدوث ولكونهم كانوا منظمين اضافة الى أنهم متعصـــبين فـــانهم كانوا بلا شك قادرين على الهيمنة على حشود الفلاحين المرتبكة غير المنظمة.

وفي هذه الاثناء كان الأمراء لعدم استلامهم جـوابا مـرضيا على عرضهم قد تزايد نفاد صـبرهم ، واصـدروا الأمـر بـاطلاق المدافع ، ولم يكن الفلاحون قد قاموا باي استعدادات لاستعمال أي نوع من المدفعية لديهم ولا حتى للهرب ، وفي الواقع كانوا ما يزالون ينشدون « تعالي ايها الروح القدس » ـ كما كانوا يتوقعون المجيء الثاني في تلك اللحظة بـالذات ـ عندمـا أطلقـت القـذائف الأولى والوحيدة ، وكان التاثيرفوريا وفاجعا لقد مزق الفلاحون الصـفوف وهربوا في فزع ، بينما كان فرسان العدو يلحقون بهـم ويذبحـونهم بالمئات .ومقابل فقدانه حفنة صغيرة من رجاله شتت جيش الأمـراء الفلاحين واستولى على فرانكهوزن ، وقتـل نحـو ٥٠٠٠ في هـذه العملية ، وبعد بضعة أيام استسلمت موهلهوزن دون قتال ، وعقابا لها على الدور الذي كان يعتقد انها شغلته اكرهت المدينة على دفـع غرامات كبيرة وتعويضات وحرمت مـن مـكانتها كمـدينة حـرة في الامبراطورية ، وبالنسبة لمونتزر فانه هرب من ميدان المعـركة ولكن سرعان ما وجد مختبئا في قبو في فرانكهوزن ، وبعد تسليمه لأرنست اوف مانسفيلد عذب وقدم اعتـرافا فيمـا يتعلق بعصـبته مـن النخبة ، وبعد الاعتراف قطعت راسه في معسكر الأمراء مع بفيفـر في ٢٧ ايار ١٥٢٥ ، واما بالنسبة لستورش الذي يبدو أنه ايضا قد شغل دورا ما في الثورة فقد مات كلاجيء في السنة نفسها .

ومع ذلك فان دور مونتزر التاريخي لم يكن قد انتهـى بعـد بـأي حال ، وطبيعي بـدرجة كافية انه في الحـركة القـائلة بتجـديد العماد ، والتي انتشرت طولاوعرضا في السنوات التي أعقبت حـرب الفلاحين ، كانت ذكراه ما تزال تسـتوجب (ص٢٥١)التمجيد مـع انه لم يطلق على نفسه أبدا أنه من دعاة تجديد العماد ، وما هو اكثر غرابة هو الانبعاث والتاليه الذي حدث له خلال المائة سنة الماضـية ومـن انجلز الى المؤرخين الشـيوعيين المعـاصرين ـ الروس والألمان ـ ضخم الماركسيون مونتزر الى رمز عملاق ، و بـطل غير عادي ،و في تاريخ الحرب الطبقية وهذه فكرة ساذجة ، وواحدة مـن الأفكار التي قـاومها المؤرخـون غير الماركسيين بسـهولة

كافية ، بالاشارة الى الطبيعـة الصـوفية الاسـاسية لاهتمـامات مونتزر وعدم مبالاته العامة بالرخاء المادي للفقراء ، ومع ذلك فـانه ربما يوحي بأن هذه النقطة ايضا يمكن المبالغة في تأكيدها ، لقد كان مونتزر متذبذبا استحوذت عليه التخيلات الأخـروية التـي حـاول ترجمتها الى حقائق باستغلاله لعدم الرضى الاجتماعي ، وربما بعـد كل شيء انها كانت غريزة راسخة تلك التي قـادت الماركسـيين الى ادعاء نسبته اليهم .

الفصل الثالث عشر

الفية المساواة (٣)

القول بتجديد العماد

لقد ترافق الاصلاح اللوثري (ص ٢٥٢) ببعض الظواهر التي مع أنها روعت لوثر وجماعته كانت طبيعية لدرجة انها تبدو عند تأمل الأحداث الماضية كان لا مفر منها ، وكمعارضين لسلطة كنيسة روما احتكم الاصلاحيون الى نص الكتاب المقدس ، ولكن ما أن اعتاد الناس قراءة الكتاب المقدس بأنفسهم حتى بدأوا يفسرونه لأنفسهم ، ولم يتوافق تفسيرهم دائما مع تفسير الاصلاحيين ، وحيثما امتد تأثير لوثر كان الكاهن يفقد كثيرا من مقامه كوسيط بين عامة الناس والرب وكمرشد روحي الزامي ، ولكن ما أن بدأ الرجل العامي بالشعور بأنه هو نفسه يقف وجها لوجه مع الله وأنه يعتمد من الارشاد على ضمير الفردي ، كان لامفر من أن بعض العامة سيدعون تلقينا الهيا يعاكس بالقدر نفسه كلا من الأصولية الجديدة والقديمة.

وفوق كل شيء قوى الاصلاح اللوثري شدة واتساع انتشار الاثارة ، التي ساعدت على قيامه وكانت هذه نتيجة لا مفر منها ما أن تحدى الاصلاح صلاحية وسلطة الكنيسة التي كانت حتى حينه الوحيدة في الغرب ، وحتى ذلك الحين كان الناس يقبلون ـ اجمالا بلا أدنى شك أو تردد ـ التفسير المترابط منطقيا للكون ولطبيعة الانسان الذي قدمته كنيسة روما ، وقد قدم المذهب الكاثوليكي صورة غير متبدلة ، تعود ضمنها كل المسيحيون على تكييف انفسهم ، كما أن المنظمة الاكليروسية الكاثوليكية قد وفرت نظاما للسلطة اعتادوا الاعتماد عليه و يمضي النقد الذي كان أبدا موجها

ضد الكهنوت المنحل و الدنيوي ، و الاحتجاج العنيف الذي أثاره الانشقاق الكبير ليظهر حجم مطالب الناس من الكنيسة ، ولقرون عديدة كانت كنيسة روما أيا كانت عيوبها تنجز عملا هاما جدا ومعياريا في المجتمع الأوروبي ، وقد أوقع هجوم لوثر الضاري – بالضبط لأنه كان فعالا – الاضطراب بهذا العمل، وكنتيجة فقد أوجد الى جانب الشعور بالتحرر شعورا بالتشويش كان منتشرا بالاتساع نفسه تماما(ص ٢٥٣) ، وعلاوة على ذلك لم يتمكن الاصلاح اللوثري في ذاته من السيطرة على كل القلق الذي أطلقه بين السكان ، جزئيا بسبب محتوى مذهبه للخلاص ، وجزئيا بسبب تحالفه مع السلطات المدنية القائمة ، واخفق لوثر في الاحتفاظ بولاء الجماهير الغفيرة من عامة الناس ، وتنامى هناك بين الجماهير القلقة المشوشة ، في معارضة لكل من اللوثرية والكاثوليكية الرومانية بالحركة التي أعطاها خصومها اسم القبول بتجديد العماد ، وهي بطرق مختلفة خليفة لطوائف العصور الوسطى ، ولكنها أكبر منها بكثير.

والقول بتجديد العماد لم يكن حركة متجانسة ولم يكن أبدا منظما مركزيا فقد وجد حوالي أربعين طائفة مستقلة من القائلين بتجديد العماد ، تجمعت كل منها حول قائدادعى بأنه نبي ملهم من السماء أو رسول ، وتبعثرت هذه الزمر التي كانت سرية ومهددة دائما بالابادة في طول الأراضي الناطقة بالألمانية وعرضها وقد تطورت على خطوط منفصلة وضعها مختلف القادة ، ومع ذلك كانت بعض الميول عامة وشائعة ضمن الحركة ككل ، وبشكل عام علق القائلون بتجديد العماد أهمية صغيرة نسبيا سواء على التأملات اللاهوتية أو الالتزامات الدينية الرسمية والطقوس ، وبدلا من أنواع من الممارسات مثل الذهاب الى الكنيسة وضعوا نظاما شديد التفصيل ، ومع تقيد حرفي بقواعد السلوك والتعاليم والأوامر التي اعتقدوا أنهم وجدوها في العهد الجديد ، وبدلا من اللاهوت قاموا باغناء الكتاب المقدس ، الذي كيفما كانوا قادرين على تفسيره في ضوء الالهام المباشر ، اعتقدوا أنهم تلقوه من الرب ، وكانت قيمهم

في المقام الأول اخـلاقية ، وبـالنسبة لهـم كان الدين فـوق كل شيء مسألة محبة أخوية فعالة ، وتكيفت مجتمعاتهم طبقا لما افترضوا أنه كان ممارسة الكنيســة القـديمة ، وكانوا ميالين الى تحقيق المثـل الاخلاقية التي اقترحها المسيح.

وكانت مواقفهم الاجتمـاعية هـي الأكثـر خصـوصية وتمييزا للقائلين بتجديد العماد،ومال اعضاء هـذ الطـوائف إلى القلق بشـأن الملكية الخاصة وقبول شيوع ملكية الاشياء على أنها مثـالية ، وإذا بذلت في اغلب المجمــوعات محـاولة صـغيرة لادخــال الملكية المشتركة ، فإن القائلين بتجديد قد اخذوا بجدية التزامات الأعمـال الخيرية ، و المعونات السخية المشتركة ، و من جانب اخر غالبا مـا ابدت طوائف القائلين بتجديد العماد انغلاقا ملحوظا ، وكان ضـمن كل مجموعة هناك تماسك عظيم ، ولكن الموقف تجاه المجتمع الكبير كان يميل الى الرفض ، وبشكل خـاص ، نظـر القـائلون بتجـديد العماد للدولة بشك ، على أنها مؤسسة مع انها بـلا شـك ضرورية للاشرارا انها غير ضرورية للمسيحيين الحقيقيين ، وكانوا يعنون بذلك انفسهم ، ومع أنهـم كانوا مسـتجيبين في الاذعان للمـطالب الكثيرة للدولة ، فإنهم رفضـوا السـماح لهـا بغـزو عالم العقيدة والضمير ، وبشكل عام كانوا يفضـلون الحـد مـن تعـاملهم معها ، ورفض اغلب القائلين بتجديد العماد (ص ٢٥٤) الاحتفاظ بمناصب رسمية في الدولة ، أو التماس سلطة الدولة ضد تـابع مـن القائلين بتجديد العمـاد او حمـل السـلاح نيابـة عن الدولة. وكان الموقف تجاه الاشـخاص الطبيعيين ممـن لم يكونوا مـن القـائلين بتجديد العماد متحفظا بالدرجة نفسها ،و قد تجنب القائلون بتجديد العماد عامة كل اتصال أو تعـامل خـارج جمـاعتهم ، وكان هؤلاء الناس يعتبـرون انفســهم النخبــة الوحيدة و أن جمـاعتهم وحدها ، تحت التوجيه المباشر للرب : جزرا صغيرة من الصالحين في محيط من الشر والخطيئة ، وحتى لوثر سـلم بـأن الكاثـوليكي الروماني يمكن أن ينجو ،و لكن بالنسبة للقائل بتجديد العمـاد كان اللوثريون والكاثوليك على السـواء اسـوا مـن التـرك ، ممثلين

حقيقيين للمسيح الدجال ، وكانت ممارسة تجديد العماد التي اشتق منها اسم الطائفة فوق كل شيء وسيلة للتعبير الرمزي عن هذا الانفصال الطوعي عن العالم غير المحرر.ولكن حتى بين القائلين بتجديد العماد انفسهم كان يسود استحواذ الانتخاب المحصور نفسه ، وتاريخ الحركة متقطع بفعل الانشقاقات.

وامتدت الحركة من سويسرا الى المانيا في السنوات التي تلت حرب الفلاحين ، و كان معظم القائلين بتجديد العماد اناسا مسالمين على استعداد عملي دائم ـ الا في الامور المتعالقة بالضمير والعقيدة ـ لاحترام سلطة الدولة.

وبالتأكيد لم يكن لدى الاغلبية فكرة عن الثورة الاجتماعية ولكن مختلف المراتب من افراد الطائفة كانوا يجندون كليا تقريبا من الفلاحين و الحرفيين و بعد حرب الفلاحين كانت السلطات في خوف يائس من تلك الطبقات ، و حتى اكثر القائلين بتجديد العماد مسالمة كانوا يضطهدون بقسوة وقتل الآلاف المؤلفة منهم ، وقد أوجد هذا الاضطهاد في النهاية الخطر نفسه الذي كان يراد ابداله ، ولم يكتف القائلون بتجديد العماد بالثبات في عدائهم للدولة والنظام القائم ، بل قاموا بتأويل معاناتهم بتعابير رؤوية ، على انها اخر هجوم للشيطان والمسيح الدجال ضد القديسين . وكمحنة مسائحية « تدل على الألفية » ، وقد استحوذ على العديد من القائلين بتجديد العماد تصورات ليوم الحساب حيث يقومون هم انفسهم لإسقاط الجبار ، وبقيادة المسيح،الذي عاد اخيرا،يقيمون الفية على الأرض ، وشابهت الآن الحالة ضمن حركات الهرطقة في قرون سالفة وثابرت كتلة حركة القائلين بتجديد العاماد على اتباع تقاليد المسالمة والعزلة المتزمتة التي كانت ممثلة في قرون سالفة في الوالد نيسين ، ولكن الى جانب ذلك كان هناك تنام لفكرة من نوع اخر لتجديد العماد ، وجدت فيها تقاليد الالفية المناضلة ، المساوية لها في القدم ، تعبيرا جديدا.

وكان أول الدعاة لهذه الفكرة الجديدة لتجديد العمـــاد مجلد كتبـــ متجول يدعى هانز هت ، وهو تابع وحواري سالف لمونتزر ومن أهل ثورنجيا مثله ، وادعى هذا الرجل بأنه نبي مـــرسل مـــن الرب وانه (ص ٢٥٥) في اسبوع العنصرة لعام ١٥٢٨ ، سيعود المسيح الى الأرض ، وسيضع ســيف العــدالة ذا الحــدين في أيدي القــديسين مجددي العمـــاد ، وســيقوم القــديسون بمحــاسبة الكهنة ورعاة الابرشيات من القسس على تعاليمهم الزائفة وســيقومون فــوق كل شيء ايضا بمحــاسبة كل عظمـــاء الأرض بســـبب عمـــل الاضطهاد ، وسيصفد الملوك والنبلاء بالسلاسل ، واخيرا ســيقيم المسيح الألفية التي ســتتميز على مـــايبدو بـــالحب الحـــر والملكية المشتركة للأشــياء ، وقــد قبض على هــت في ١٥٢٧ وســجن في اوغسبرغ حيث توفي أو قتل في السجن ، ولكن ليس قبل ان يكســب بعض المتحولين الى العقيدة في مــدن جنوب المانيا ويتعــرف المرء في فحوى ايمان اتباع هت الى عقائد جون بول والطابوريين المتــطرفين فالتطابق و التكرار كلمة كلمة تقريبا حيث نجد « ان المسيح سيعطي السيف ، وسينتقم لهم ، وسيتولى القائلين بتجــديد العمــاد انزال العقوبات على كل الخطايا ، وسحق كل الحكومات ، واشاعة كل الممتلكات وذبح كل الذين لايسمحون لأنفسهم بتجديد العماد » ومرة اخرى : « ان الحكومة لاتعامل فقراء الناس كما يجب لهم بالانتقام فانهم يرغبون في المعاقبة ومحو الشر ....» واذا كان هت نفســه قــد توقع ان يحدث ذلك كله فقـــط عندمـــا « يأتـــي المســـيح على السحاب » فليس كل حوارييه كانوا بهذا الصبر : ففــي ايســلنغن على النيكار بدأ ان القائلين بتجديد العمار خططوا في ١٥٢٨ لإقامة مملكة الرب بقوة الســلاح ، وبين هؤلاء المناضــلين الألفيين كانت مثل الملكية المشتركة تملك بوضوح دلالة ثورية وكان لذلك بلا شــك بعض التسويغ عندما حذرت سلطات المدينة في نورمبرغ ســلطات الم من ان القائلين بتجديد العماد كانوا يرمون الى اسقاط النظام القائم والغاء الملكية الخاصة .

وصحيح انه في جنوب المانيا بقي القائلون بتجــديد العمــاد قــوة

صغيرة ، غير فعالة وانها قد سحقت وازيلت من الوجود بحلول ١٥٣٠ ، ولكن بعد ذلك بسنوات قليلة ظهرت في اماكن اخرى في هولندا واقصى الشمال الغربي من المانيا وفي هذه المرة بنتائج شدت انتباه اوروبا .

وكان شمال غرب المانيا في بداية القرن السادس عشر يتألف في الأساس من عدد من الولايات الأكليروسية الصغيرة ، لكل منها امير اسقف كحاكم ، وكانت كل امارة - كما جرت العادة ـ منها ممزقة بصراعات اجتماعية ضارية ، وكان حكم الولاية في ايدي الأمير الأسقف وجماعة الأبرشية من الكهنة ، الذين ينتخبون ويتحكمون في سياسته الى مدى بعيد .

وكان أعضاء الادارة الكنسية ـ يجندون فقط من الارستقراطية المحلية ، وكانت المؤهلات اللازمة هي عادة شعار النبالة مع سابقة مؤلفة على الأقل من اربعة اقسام ، وكثيرا ماكانوا يختارون واحدا من اعضائهم كأسقف ، وهذه المجموعة من الأكليروس الأرستقراطي لم تكن تخضع لأي سيطرة من أي سلطة أعلى ، وفي المجلس التشريعي الاقليمي كانوا يمثلون بقوة (ص ٢٥٦) وكان بإمكانهم دائما الاعتماد على تأييد ودعم الفرسان ، ولذلك كانوا يميلون للحكم فقط لمصلحة طبقتهم وكهنة الأسقفية ، وفي ولاية اكليروسية لم يكن عدد الكهنة كبير جدا فحسب ـ في مقر أسقفية مونستر كان هناك نحوا من ثلاثين مركزا اكليروسيا ، بينما أربعة أديرة ، وسبعة مجمعات للراهبات ، وعشر كنائس وكاتدرائية ثم المجمع الكهنوتي نفسه بالطبع ـ بل كانوا أيضا يتمتعون بمزايا عالية ، وكان أعضاء المجمع الكهنوتي يتمتعون بأوقاف غنية ، وكان يسمح للرهبان بمزاولة المهن اليدوية والتجارة المدنية ، وفوق كل شيء كان الأكليروس ككل معفى بالكلية تقريبا من الضرائب .

ولكن نادرا ما كانت سلطة الطبقة الكهنوتية الارستقراطية في ولاية اكليروسية تمتد بفعالية كبيرة إلى المدينة العاصمة ، وفي هذه

الولايات كما في كل مكان آخر كان تطور التجارة والاقتصاد المالي يعطي المدن أهمية أكبر وكانت حكومات الولايات في حاجة دائمة للمال ، وبالطريقة المعتادة للمساومة على الضرائب كانت المدن تكسب مزايا وامتيازات لنفسها ، وفي أكبر وأهم الولايات الاكليروسية ، مقر أسقفية مونستر ، كان هذا صحيحا بشكل خاص ، ومنذ بداية القرن الرابع عشر كانت مدينة مونستر تتمتع بدرجة كبيرة من الحكم الذاتي ، وباتت سلطة الأسقف ــ الذي نادرا ماكان يقيم هناك ــ محصورة جدا .

ولم يكن هذا بالطبع يعني أن سكان المدن كانوا راضين عن المزايا التي حصلوا عليها ، وكان الأسقف وجماعة الكهنة عادة لايتمتعون بأي احترام ديني من أي نوع ، وهذا ليس مدهشا ، طالما أنهم كانوا يحيون حياة مترفة ودنيوية صرفة وكثيرا ــ كما في مونستر في ١٥٣٠ ــ ما كان الأسقف ببساطة سيدا مدنيا غالبا ما كان حتى غير مرسما ، وفوق ذلك كانت الضرائب المفروضة من قبل الأمير الأسقف عادة ثقيلة وكان العبء كله يقع على العامة ، الذين كان انتفاعهم بالادارة أقل ، وإضافة إلى ذلك كان على الولاية الاكليروسية أن تدفع مبالغ كبيرة إلى الادارة البابوية في روما في كل مرة ينتخب فيها أسقف جديد ، وقد فعلت مونستر ذلك ثلاث مرات بين ١٤٩٨ و ١٥٢٢ ، وليس مدهشا أن مناعة الكهنوت على الضرائب كانت موضع استياء مرير ، وكان التجار والحرفيون أيضا يعترضون على منافسة الرهبان الذين اشتغلوا بالتجارة والصناعة ، ولم تكن لديهم عائلات للاعالة ولايؤدون الخدمة العسكرية ، أو يمدونها بما تحتاج ، وليس أمامهم أنظمة نقابية يتقيدون بها ، وكل المزايا والمنافع من جانبهم .

وبحلول القرن السادس عشر لم يكن مركز مقاومة سلطة الأسقف والمجلس الكهنوتي يقع عادة في مجلس المدينة ، الذي أصبح هيئة رصينة ومحافظة نسبيا ، بل في النقابات وكانت هذه هي الحالة في مونستر بالتأكيد . حيث أصبحت المدينة على مدى القرن الخامس

عشر مركزا تجاريا هـــاما أو عضـــوا في العصـــبة الهـــانسية (ص ٢٥٧) واحرزت النقابات سلطة سياسية عظيمة . وبتنظيمها في نقابة كبيرة كان لها في القرن السادس عشر مـــا لايقـــل عن ســـتة عشر فرعا نقابيا مستقلا ، وكان باستطاعتها في الفرصة المناسبة أن تهب لقيادة كل السكان ضد الأكليروس . وقد تـــوفرت إحـــدى هـــذه الفرص بوساطة حرب الفلاحين . وانها لحقيقة مـــذهلة أنه عندمـــا انتشرت الاثارة الثورية من جنوب المانيا وبلغت الشمال الغربي ، لم يكن لاالفلاحون ولا المدن في الولايات المدنية هم من هب للثورة ، بـــل فقط عواصـــم الولايات الاكليروســـية : أوزنا بـــروك وأوتـــرخت وبادربورن ومونستر ، وفي مونستر قادت النقابات هجـــوما على دير كان قد دخل في المنافسة التجارية معها وطالبت ايضا بتقييد شـــامل لمزايا الاكليروس ، واجبرت المجالس الكنسية على إجـــراء تنازلات كبيرة .

وبتلك المناسبة كان انتصار النقابات قصير العمر ، في مـــونستر كما كان في كل أخواتها من المدن الأخرى ، ففي الوقت الذي هزم فيه الأمراء الفـــلاحين في الجنوب كانت الهيئة الكهنوتية في الأســـقفيات الشمالية قادرة على استعادة كل مافقدته من السلطة ، وعلى الفـــور سحبت كل التنازلات ، وسحقت كل محاولة للاصلاح وفعلت كل ما في وسعها لاذلال المدن الثائرة ، وبحلول ١٥٣٠ أعيد تـــرسيخ النظـــام القديم للحكومة في كل الولايات الأكليروسية ، ومع ذلك فقد كان اقل أمنا بكثير مما كان أبدا ، لأن رجال المدن الآن كانوا مستائين مـــن هيمنة الأكليروس والنبلاء بمرارة أكثر مما كانوا على الاطلاق ، لقد شعروا بقوتهم الخاصة ، وانتظروا على مضض الفـــرصة المناســـبة لبسطها مرة أخرى ، علاوة على أن حـــالتهم في تلك الســـنوات كانت يائسة ، وفي ١٥٢٩ خرب تفجر الموت الأسود وستفاليا ، وفي الوقت نفسه تدهورت المحاصيل ، وتضـــاعف ســـعر الدقيق بين ١٥٢٩ و ١٥٣٠ ثلاث مرات تقـــريبا ، وأخيرا في ١٥٣٠ فـــرضت ضريبـــة استثنائية لتمويل مقاومة الغـــزو التـــركي للامـــارات الشرقية مـــن الامبراطورية ، وهناك دلائل على انه في أوائل ١٥٣٠ كان الحجـــز

على الأموال والبؤس في شمال المانيا استثنائيا تماما ، وكان من المتوقع أنه في واحدة من الولايات أو الأخرى ستكون هناك اضطرابات جديدة ، وعندما حاول أسقف مونستر في ١٥٣٠ أن يبيع أسقفيته إلى أسقف بادربورن واوزنا بروك اثار حلفاءه في المجلس الكهنوتي ونفرهم منه ، وبدات الاضطرابات .

وفي ١٥٣١ بدأ قسيس شاب بليغ يدعى برنت روثمان ـ وهو ابن حداد اكسبته مواهبه البارزة تعليما جامعيا ـ في اجتذاب جمهور كبير من المصلين في مدينة مونستر ، وسرعان ما اصبح لوثريا ووضع نفسه على رأس حركة عادت باصولها إلى ١٥٢٥ ، لتدخل المدينة في حظيرة اللوثرية ، ووجد تأييدا في النقابات وحليفا (ص ٢٥٨) ذا نفوذ في تاجر قماش ثري ونبيلا يدعى برنت كنبر دولنك وتوسعت الحركة التي كانت في الوقت نفسه بروتستنتية وديمقراطية باستقالة أحد الأساقفة وموت خلفه . وفي ١٥٣٢ اصبحت النقابات التي تؤيدها الجماهير سادة المدينة ، وكانت قادرة على إجبار المجلس على تعيين وعاظ لوثريين في كل الكنائس ، ولم يكن الأسقف الجديد قادرا على جعل المدينة تتخلى عن عقيدتها وفي اوائل ١٥٣٣ اعترف بمونستر رسميا كمدينة لوثرية .

ولم يكن هذا ليبقى طويلا . ففي الدوقية المجاورة جوليس ـ كليفيس كان الوعاظ من القائلين بتجديد العماد يتمتعون منذ بضع سنوات بحرية الدعوة بشكل نادرا ما وجد مثله في أي مكان أخر ، ولكن في ١٥٣٢ طردوا والتمس عدد منهم ملجأ في مونستر ، وفي مجرى ١٥٣٣ وصل المزيد من القائلين بتجديد العماد وهذه المرة من الأراضي المنخفضة ، وكان هؤلاء من اتباع ملكيور هوفمان ، وهو من الرؤويين المشهررين الذي ـ خليفة حقيقيا للمتنبىء المتجول في العصور الوسطى ـ هام في طول أوروبا وعرضها يعظ بقرب المجيء الثاني والالفية . وكان في ١٥٢٩ أن انضم هوفمان إلى حركة القائلين بتجديد العماد ، وخلال السنة التالية تطور جناح جديد من الحركة ـ كان متأثرا بعمق

بأفكاره ــ فــوق كل شيء في الأقـــاليم الشـــمالية مـــن الأراضي المنخفضة . وطبقا لهوفمان كان للألفية أن تبـدأ ، بعـد فتـرة مـن « المحن المسائحية » وكثيرا مـن العـلامات والعجـائب في سـنة ١٥٣٣ ، التي كان يفترض انها تكمل القرن الخامس عشر بعد موت المسيح ، وفي ١٥٣٣ تحولت التخيلات الألفية التـي جلبهـا اتبـاع هوفمان معهم إلى مونستر بسرعة إلى استحواذ كبير هيمن على كل حياة الطبقات الفقيرة في المدينة .

وفي غضون ذلك تخلى روثمان عن عقيدته اللوثرية ونقل كل بلاغته وهيبته لخدمة القائلين بتجديد العماد ، وبوعظه بتقاليد قديمة اتخـذ حياة جديدة ، وفي ١٥٢٤ طبع المصدر القـديم لمذهـب الفـوضوية الشيوعية ، اعني رسـالة كليمنت الخـامسة الزائفـة ، في بـازل ، وفي ١٥٣١ لخصها الفيلسوف الانساني سبستيان فـرانك في لغـة المانية دارجة واضحة مفعمة بالحيوية ، وجدت كثيرا مـن القـراء ، واضاف إليها تعليقاته الخاصة من ذلك : « وبعد ذلك بوقت قصير ، بدا نمرود يحكم ، ثم كان كل مـن يتـدبر ذلك يحصـل المزيد مـن الآخرين ، وبداوا في تقسيم العالم ومن ثم النزاع حـول الممتلكات . وبدا لي ــ ولك ، وفي النهـاية اصـبح الناس مسـعورين جـدا كالحيوانات المتـوحشة بـالضبط ، كل يريد اروع ، وافضـل مـن الاخر ، وفي الحقيقـة اراد ان يكون سـيده ، بيد أن الرب جعـل كل الأشياء مشتركة ، وحتى اليوم مازلنا نتمتع بالهواء ، والنار والمطر والشمس بصورة مشتركة ، وبكل مـا لايمـكن لانسـان سـارق أو طاغية أن يحبسه ويحتفظ به لنفسه » وكان هذا هو الموضوع الذي تولاه روثمان الآن ، (ص ٢٥٩) ومـع تشرين اول ١٥٣٣ ، كان يدعم الشيوعية المفترضة للكنيسة البدائية على انها المثالية للمجتمع المسيحي الحقيقـي ، واعلن في المواعظ والنشرات انه يتـوجب على المؤمنين الصادقين أن يصوغوا حياتهم بدقة وفق حياة المسـيحيين الأوائل وأن هذا يشمل الملكية المشتركة للاشياء .

وكما في القرون المتقـدمة كان هـذا التبشـير يروق بـطرق عدة

لمستويات اجتماعية مختلفة . فكان هناك رأسماليون ممن أنكروا فجأة الربا والغوا كل الديون التي كانت مستحقة لهم ، وكان هناك العديد من الناس الأثرياء ممن قرروا أن يعيشوا كأخوة متحابين يحتفظون بكل ممتلكاتهم على الشيوع ويتبرأون بقسم مؤكد من كل الترف ، ويتخلون عن كل مافاض عنهم للفقراء ، ولكن في الوقت نفسه انتشرت أخبار هذا الوعظ طولا وعرضا بين من لاملكية لهم ، ومن لاأصل لهم ، والمخفقين ، وعلق على هذا أحد المراقبين بقولة : « وهكذا جاء الهولنديون والفريزيون والأنذال من كل الأنحاء وهم الذين لم يستوطنوا في أي مكان مطلقا ، لقد تدفقوا على مونستر وتجمعوا هناك » . واشارت مصادر اخرى إلى « هاربين ومنفيين ومجرمين » وإلى « اناس بددوا ثروات أهاليهم ، ولم يكسبوا شيئا من عملهم الخاص .... ممن تعلموا منذ سنواتهم الأولى أن يحيوا في كسل ، وارهقوا أنفسهم بالديون ، والذين كرهوا الاكليروس لابسبب ماقيل لهم عن دينهم بل لما ذكر لهم عن ثرواتهم ، والذين ادعوا هم انفسهم أنهم مارسوا الاشتراكية في ملكية الأشياء مثلما فعل الرسل حتى إذا انهكهم الفقر ، فكروا في سرقة وسلب الكهنة والسكان الأكثر غنى » .

وإنه ليس مصادفة أن هذه العبارات تذكر بتلك التي طبقت مرة على جموع الرعاة ، ومع حلول القرن السادس عشر أصبحت الظروف الاجتماعية في الأراضي المنخفضة الشمالية . شبيهة جدا بتلك التي وجدت في فلاندرز ، وهينوت ، وبيكاردي منذ قرنين سالفين ، وفي حين كان السكان في تلك المراكز القديمة في انحدار كانوا في هولندا (كما في جنوب المانى) في ازدياد ، ومع انهيار صناعة الأقمشة في فلاندرز ، كانت تلك الصناعة في هولندا قد قفزت الى الامام ، وأهم مركز لتلك الصناعة على الأطلاق كان الآن في ليدن Leyden وأصبحت هولندا تحوي الآن أعظم تركيز من الشغيلة المرهقين الذين لا يشعرون بالأمن ، علاوة على أن حالة هؤلاء الشغيلة كانت كما يبدو أسوا مما كانت عليه منذ قرون سالفة ، وكانت صناعة الرأسماليين الجدد الى حد كبير صناعة

ريفية ، عمل فيها الحرفيون في بلادهم في مواد أمدهم بها الراسماليون ، وتحت هذه النظم لم تعد النقابات تتمكن من العمل ، وهناك ادلة توحي بأن العاطلين وغير المنظمين كانوا اكثر عددا واكثر يأسا مما كانوا في قرون سلفت ، وانه بين مثل هؤلاء الناس كان ازدهار مذهب القائلين بتجديد العماد في اكثر صوره النضالية والألفية صراحة ، وكان مثل هؤلاء الناس الذين تدفقوا الآن على مونستر (ص ٢٦٠).

وكلما ازداد رخاء اهالي مونستر ، كان من الطبيعي بدرجة كافية أن يكونوا اكثر قلقا . واذا كان معظمهم قد ابتهج بهزيمة الأسقف والمجمع الكهنوتي وانتصار القضية اللوثرية ، فان حركة قوية للقائلين بتجديد العماد مؤيدة بحشود من العاطلين والأجانب اليائسين حملت مخاطر واضحة وشديدة لكل منهم على السواء ، وفي وجه هذا التهديدضم اللوثريون والكاثوليك الروحيون صفوفهم ، ونحو نهاية السنة حاول المجلس عدة مرات اسكات او طرد روثمان ، ولكنه باطمئنانه الى اخلاص اتباعه كان دائما قادرا على التحدي ، و في الواقع كان الوعاظ الآخرين القائلين بتجديد العماد قد طردوا واستبدلوا بلوثريين ، ولكنهم عادوا قبل مضي وقت طويل وطرد اللوثريون من الكنائس ، وتزايدت الاثارة في المدينة اسبوعا بعد اسبوع حتى جاء في الأيام الأولى من ١٥٣٤ ووصل الرجال الذين كان عليهم أن يوجهوها الى غاية معينة.

وقبض على ملكيور هوفمان Melchior Hoffman الذي أعتقد أن الألفية سيبزغ فجرها في ستراسبورغ ، في تلك المدينة ، وسجن بداخل قفص في برج ، وأمضى هناك بقية أيامه ، وهبطت العباءة التنبوئية على هولندي من القائلين بتجديد العماد ، هو الخباز جان ماتيس (ماتيسزون) من هارلم ، وبدل هذا التغيير في القيادة كل نبرة الحركة ، فلقد كان هوفمان رجل سلام علم اتباعه ان ينتظروا مجيء الالفية بثقة هادئة ، متفاديا كل العنف. وكان ماتيس من جانب آخر قائدا ثوريا بشر أن الصالحين

يجب أن يحملوا بأنفسهم السيف وأن يمهدوا بفعالية الطريق للالفية باستخدامه ضد الأشرار ، ولقد أعلن انه قد تكشف له انه هو واتباعه قد دعيوا لتطهير الأرض من الكفرة ، ونجد في هذه التعاليم أن روح البيكارتي ، وتوماس مونتزر ، وهانزهت قد بعثت لحياة جديدة .

وأرسل ماتيس من الأراض المنخفضة رسلا الى مختلف جماعات القائلين بتجديد العماد كانوا يعتقدون أن الروح القدس قد هبطت عليهم كما هبطت على الرسل الأصليين في عيد الحصاد ، وفي كل مدينة زاروها عمدوا أعدادا كبيرة من البالغين وعينوا « اساقفة » لهم سلطة العماد ومن ثم انتقلوا ، بينما خرج من المدن التي أهتدت مؤخرا رسل جدد في مهام مماثلة ، وفي الأيام الأولى من ١٥٣٤ وصل أثنان من الرسل الى مونستر ، حيث أحدث وصولهم على الفور حماسا حقيقيا معديا ، واعيد تعميد روثمان والوعاظ الآخرين القائلين بتجديد العماد ، وتبعهم تعميد عدد من الراهبات والنساء المؤثرات من عامة الناس وفي النهاية قسم كبير من السكان ، وقيل انه خلال اسبوع بلغ عدد المعمدين ١٤٠٠ (ص ٢٦١)

وانتقل الرسل الأول ، ولكن حل محلهم اثنان أخران ، وهؤلاء ـ بصورة بالغة الأهمية ـ اعتبرا في البداية اينوخ ، واليجا ، ذلكما النبيين اللذان طبقا للتقاليد الأخروية كان لهما أن يعودا الى الأرض كشاهدين ضد المسيح الدجال ، وأن ظهورهما كان لاعلان المجيء الثاني ، وكان احد القادمين الجديدين هو جان بوكسون (بوكسزون ، بيوكلست) وكان معروفا اكثر باسم جون أوف لايدن ، وهو شاب عمره خمس وعشرون سنة اهتدى وعمد من قبل ماتيس قبل شهرين فقط ، وقدر له أن يحقق شهرة في مونستر دامت حتى أيامنا الراهنة ، حيث انه هنا كما كان كثيرا ـ كما في حالة « استاذ هنغاريا » وأخرون غيره في العصور الوسطى وفي كل الأزمنة في الواقع ـ كان الزعيم المسائحي

اجنبيا ، رجل من الحسافة ، وكان بوكلسون ، مع معلمه في البداية ، وفيما بعد بمفرده هو الذي كان عليه أن يعطي لمذهب القائلين بتجديد العماد في مونستر ولعا ضاريا بالروح القتالية لم يستحوذ مثلها على أي مكان اخر ، وكان لها ان تثير تفجرا ثوريا ألفيا أكثر ترويعا من ذلك الذي كان في طابور قبل ذلك بقرن.

مونستر كقدس جديدة

وخلال شباط ١٥٣٤ ، تزايدت قوة القائلين بتجديد العماد بسرعة في مونستر واقام بوكسلون على الفور علاقات مع قائد النقابات وراعي القائلين بتجديد العماد ، تاجر الاقمشة كنبردولنيك ، وتزوج ابنته بعد وقت قصير ، وفي ٨ شباط هرول هذان الرجلان في هياج في الطرقات وهما يدعوان الناس الى التوبة من ذنوبهم ، ولم يكن هناك حاجة للمزيد لاطلاق فيض من الهستريا ، ولا سيما بين النساءووضع القائلون بتجديد العماد ممن كانوا في البداية من اكثر اتباع روثمان حماسا ، والذين تضخمت اعدادهم مؤخرا بانضمام العديد من الراهبات اللواتي اندفعن من اديرتهن ، بملابس مدنية وخضعن لاعادة التعميد ، وبدأ هؤلاء النسوة الآن في رؤية إحلام رؤوية واخذن يندفعن الى الشوارع بشدة ، لدرجة أنهن كن يلقين بأنفسهن على الأرض وهن يصرخن ويتلوين والزبد يخرج من أفواههن ، وفي هذا الجو المشحون بالتوقعات الخارقة للطبيعة ، قام القائلون بتجديد العماد بثورتهم المسلحة الأولى واحتلوا مبنى البلدية وساحة السوق ، وكانوا ما يزالون قلة فقط ، وكان بالتأكيد يمكن هزيمتهم لو أن الغالبية اللوثرية رغبت في استعمال القوة المسلحة التي كانت تحت تصرفها ، لكن مجددي العماد امتلكوا مؤيديهم في المجلس ، وكانت حصيلة الثورة الاعتراف الرسمي بمبدأ حرية الضمير (ص ٢٦٢).

وهكذا كسب القائلون بتجديد العماد اعترافا قانونيا لجماعتهم

التي كانت بالفعل قوية ، وكان العديد من اللوثريين الموثرين الذين نظروا بيقظة وحذر الى امكانية الضغط المتزايد باستمرار من قبل خصومهم ، قد انسحبوا من المدينة مع كل منقولاتهم. وكانت غالبية السكان الباقين من القائلين بتجديد العماد ، وأرسل الرسل والمبشرون لحث القائلين بتجديد العماد في المدن القريبة على المجيء ، مع عائلاتهم الى مونستر ، فلقد قدر لبقية الأرض ـ كما اعلنوا ـ أن تدمر قبل عيد الفصح ، ولكن مونستر ستنجو وستصبح قدسا جديدة ، وسيكون الطعام واللباس والمال والاقامة جاهزة للمهاجرين عند وصولهم ، ولكن عليهم جلب الأسلحة ،وقد قوبلت الدعوة باستجابة قوية من خارج الوطن حتى بُعْدٍ وصل الى فريزيا وبرابنت ، وتدفق القائلون بتجديد العماد على مونستر ، حتى تجاوز عدد القادمين الجدد عدد المهاجرين اللوثريين ، ونتيجة لذلك تم انتخاب هيئة هيمن فيها القائلون بتجديد العماد في الانتخاب السنوي لمجلس المدينة في ٢٣ شباط ، وكان كينبردولينك احد عمدتي المدينة ، وفي الأيام التالية نهبت الأديرة والكنائس ، وفي طقوس ليلية حطمت التماثيل الدينية ودمرت منحوتات ورسومات وكتب الكاتدرائية.

وفي الوقت نفسه وصل جان ماتيس نفسه وكان شخصيه نحيلة طويلة ، له لحية طويلة سوداء وبسرعة هيمن مع بوكلسن على المدينة ولم يستطع روثمان والوعاظ الآخرون من القائلين بتجديد العماد المحليين الآخرين المنافسة ، على التأييد الشعبي « للانبياء الهولنديين » وسرعان ما جرفتهم حركة مسعورة لم يعودوا قادرين على السيطرة عليها ، دع عنك مقاومتها وعملوا كمجرد دعاة مطيعين لنظام تركزت فيه كل القوة المؤثرة في أيدي ماتيس وبوكلسن.

وكان النظام ثيوقراطيا ابتلع فيه المجتمع الملهم من السماء الدولة ، والرب الذي كان يفترض ، أن تلك الثيوقراطية تخدمه كان الرب الاب ، الأب الغيور القادر المهيمن الذي سيطر على خيال كثير

من الالفيين السالفين ، لقد كان الأب وليس الابن هـو الذي شـجع ماتيس وبوكلسن اتباعهما على مناشدته ، وكان من اجل أن يقـوم اطفال الرب بخدمة الأب متحدين أن قررا ايجـاد « قـدس جـديدة مطهرة من كل الدنس ». ولتحقيق هذا المجتمـع الطـاهر غير الملوث ايد مـــاتيس اعدام كل اللوثـــريين والكاثـــوليك الرومـــانيين الباقين ، ولكن كنبردوليذك بين أن هذا سيقلب كل العالم الخـارجي ضد المدينة وتقرر مجرد طردهم.

وفي صباح ٢٧ شباط اندفعت فرق مسلحة بتشجيع من ماتيس في هياج « نبوي » الى الشوراع تنادي:« اخرجوا ايهـا الكفـرة ، ولا تعـــودوا ، انتـــم يا أعداء الأب »(ص ٢٦٣)وفي البـــــرد القارس ، وسط عاصفة ثلجية جامحة ، طردت جموع مـن الكفـرة من المدينة من قبل القائلين بتجـديد العمـاد الذين كانوا يمـطرونهم بالضربات وكانوا يضحكون مـن محنتهـم. وكان بين هؤلاء الناس شيوخ ومرضى ، واطفال صغار ونساء حوامل ونساء وضعن لتوهم احمالهن وجاء اغلبهم من اكثر الأجزاء رخاء من السكان ، ولكنهـم اجبروا على ترك كل ما يملكونه وراءهم من ممتلكات ومال ومـلابس اضافية ، وحتى الطعام أخذ منهم فهبـطوا الى حـد الشـحاذة في الريف من أجـل الطعـام والمأوى ، وبـالنسبة للوثـــريين والروم الكاثوليك الذين بقـوا في المدينة ، فقـد اعيد تعميدهـم في سـاحة السوق ، واستمر الاحتفال ثلاثة أيام ، ومـاان انتهـى ، أصـبح البقاء بلا عماد اثمـا كبيرا ، وبحلول صـباح ٣ اذار لم يعـد هناك كفرة في مونتسر ، وكان سكان المدينة فقط من أطفال الرب ، وكان هؤلاء الناس الذين اخذوا يخـاطبون بعضـهم بعضـا « بـأخي ـ واختي » يعتقدون بأنهم يمكنهم العيش دون خطيئة في مجتمع مترابط بالحب وحده ،

وبانتزاع العناصر اللوثرية والكاثوليكية-الرومية من بين السكان لم يتأثر الأنبياء فقط بالعصبية بل أيضا بمعرفة أن مـونتسر كانت على وشك ان تحاصر ، ومع أن الأسقف قد تردد في منح الاعتـراف

الرسمي للمجتمع اللوثري فانه لم يكن مستعدا لفعل الشيء نفسه للقائلين بتجديد العماد . وعند كل مرحلة كان يحاول ايقاف تقدم القائلين بتجديد العماد ، وحالما أصبحت فكرة تجديد العماد حركة قتالية تحت قيادة الأنبياء استعد لسحقها بالقوة ، وعندما حمل القائلون بتجديد العماد للمرة الأولى السلاح واحتلوا ساحة السوق اسرع مع القوات الى المدينة ، وكان المجلس رفض مساعدته في هذه المناسبة ، وخلال الأسابيع التالية شرع في تكوين جيش من المرتزقة، وأسهمت المدن والامارات المجاورة بالسلاح والذخيرة والمؤن وأسهم بعضهم - مع أن ذلك كان على مضض وبشكل غير كامل - ايضا بالمرتزقة ولذلك عندما ادعى القائلون بتجديد العماد في دعايتهم بأنهم كانوا ببساطة يدافعون عن انفسهم ضد عدوان الروم الكاثوليك كانوا بلا شك صادقين تماما ، وماهو مؤكد هو ان طرد اللوثريين والروم الكاثوليك قد عجل بايجاد الخصومات ، وفي اليوم التالي ٢٨ شباط اهتزت الأرض حول المدينة وبدأ الحصار .

وكان جنود القائلين بتجديد العماد مدهوشين جدا اذ وجدوا انفسهم فجأة في حرب ، ولكن تحت قيادة كنبردولينك سرعان ما استعادوا ثقتهم بأنفسهم ، واستجابوا بشجاعة للتهديد ، وعين الضباط ونظمت المراقبة المنظمة نهارا وليلا ، وأوجدت خدمة نارية وحفرت الحفر (ص ٢٦٤) والخنادق للمدافع ، وقامت المتاريس الترابية خلف بوابات المدينة ، وخصص لكل رجل و امرأة وشاب واجب محدد ، وسرعان ماشنت غارات ضد القوات المحاصرة وجرت مناوشات ومصادمات خارج الأسوار ، وفي الوقت نفسه بدأت ثورة اجتماعية تحت قيادة جان ماتيس وكانت خطوته الأولى مصادرة ممتلكات المهاجرين ، ودمرت سندات الديون ودفاتر المحاسبة والعقود التي وجدت في بيوتهم ، ونقلت الملابس والفرش والأثاثات والمصنوعات الصلبة ، والأسلحة ومخزونات الطعام ووضعت في مستودعات مركزية ، وبعد ثلاثة ايام من الصلاة أعلن ماتيس اسماء سبعة « شمامسة » اختارهم الرب لادارة تلك المستودعات ، وشجع الفقراء على التقدم اليهم بالطلبات ، وحصلوا

على السلع التي يحتاجونها ، ومهما بلغت شعبية هذه التدابير لدى المتفقين فإن حقيقة أنها كانت تنفذ بناء على أوامر اجنبـي ، قـادم جديد الى المدينة ، اثارت الاستياء ، وتكلم حداد جهرا ضد ماتيس وامر المتنبىء على الفـور بـاعتقاله وأخـذه الى سـاحة السوق ، واستدعى كل السكان ايضا الى هناك والقى ماتيس وهـو محاط بالحراس خطابا أعلن فيه ان الرب كان غاضبا للافتراء على نبيه ، وأنه سينتقم من المجتمع كله اذا لم يستأصل هـذا الحـداد الكافر من جسم الشعب المختار ، والرعايا القـلائل الذين احتجـوا على عدم شرعية المحاكمة ، ألقى بهم في السجن ، وبـادر مـاتيس فطعن الحداد ثم أطلق عليه النار ، وهـكذا تـم تحـذير الشـعب للاستفادة من هذا المثل ، فأنشد الجميع بطاعة كاملة ترتيلة قبل ان يتفرقوا .

وبدأ الرعب ، وكان في جو مـن الرعب ان تقـدم مـاتيس لتنفيذ الشيوعية التي تأرجحت من قبل شـهورا عديدة ، كرؤيا فـاخرة في خيال القائلين بتجديد العماد ، وشنت حملة دعائية من قبل مـاتيس وروثمان والوعاظ الآخرين ، وأعلن ان المسيحيين الحقيقيين يجب ان لايملكوا مالا خاصا بهم بل يجب أن تكون ملكية المال مشـتركة ، وتبـــــــع ذلك أن كل المال وايضـــــــا كل الحلي الذهبية والفضية يجب أن تسلم ، وقـوبل هـذا الأمـر في البداية بمعارضة ، وطمر بعض القائلين بتجـديد العمـاد مـالهم ، واستجاب ماتيس بتشديد الارهاب ، وجمع الرجال والنسـاء الذين عمدوا فقط في وقت الطـرد معـا ، وابلغـوا أنه إذا لم يشـأ الأب مسامحتهم فإنهم يجب أن يهلكوا بسيوف الصالحين ، ثم حبسـوا بداخل كنيسة حيث بقوا في قلق عدة ساعات حتى انهارت معنوياتهم تماما ، وفي النهاية دخل ماتيس مع فرقة من الرجـال المسـلحين ، وكان ضـحاياه (ص ٢٦٥) يزحفـون في اتجـاهه على ركبهـم يتوسلون إليه كاثير عند الآب أن يشـفع لهـم . وكان يفعـل ذلك أو يدعي فعله ، وفي النهاية كان يخبر الخائفين البائسين انه قد كسـب

المغفرة لهم ، وان الرب كان مسرورا بقبولهم في جماعة الصالحين ، وبعد تجربة التخويف هذه امكن لماتيس أن يشعر براحة اكبر حول الحالة المعنوية في القدس الجديدة .

واستمرت الدعاية ضد ملكية الأموال الخاصة أسابيع بلا توقف ، مصحوبة بكل تملق مغر وبأكثر التهديدات ترويعا ، وكان تسليم المال اختبارا لصدق المسيحية ، واولئك الذين اخفقوا في الاذعان أعلن انهم قابلون للابادة ويبدو أن بعض الاعدامات قد حدثت ، وبعد شهرين من الضغط المتواصل تم إبطال الملكية الخاصة للمال بصورة فعالة ، ومن حينه ومابعد كانت الأموال تستخدم فقط للأغراض العامة وتشمل المعاملات مع العالم الخارجي مثل : استئجار المرتزقة ، وشراء المؤن ونشر الدعاية . وتلقى الحرفيون في المدينة من جانب اخر أجورهم عينا وليس مالا ، ويبدو انهم لم يعودوا يتلقون أجورهم من مستخدمين خاصين بل من قبل الحكومة الثيوقراطية ، واتخذت أيضا خطوات لترسيخ الملكية المشتركة للسلع ، وعند كل بوابة مدينة اقيمت قاعة طعام مشتركة حيث قام الرجال الذين كانوا يؤدون الخدمة على الأسوار بتناول الطعام معا ، بصحبة تلاوة من العهد القديم ، وكانت كل قاعة في عهدة أحد الشمامسة المعينين من قبل ماتيس ، وكان الشماس مسؤولا عن تقديم الوجبات ، وكانت الطريقة التي قام بها بذلك بوساطة زيارة المنازل الخاصة وتسجيل قائمة بالمواد الغذائية التي يجدها هناك ومصادرتها كما هو مطلوب ، وايضا كانت الاقامة يجب أن توجد لجموع المهاجرين ، وفي البداية كان يعتبر كافيا أن تخصص لهم الأديرة والبيوت العائدة للوثريين والروم الكاثوليك ، ولكن فيما بعد غدا الامتلاك المحصور للاقامة يعتبر إثما ، وبات على أبواب جميع البيوت أن تترك مفتوحة نهارا وليلا .

وكانت كل هذه التدابير تلقى التحبيذ بالطبع في ظروف الحصار ومع ذلك من الخطأ بالتأكيد الايحاء ــ كما كان يحدث أحيانا ــ أن الشيوعية في مونستر بلغت ذروتها بالمصادرة ولم تتجاوزها لمواجهة

متطلبات الحرب ، لقد كان إبطال الملكية الخاصة للمال ، وتقييد الملكية الخاصة للطعام والمأوى يرى كخطوات أولية نحو دولة ـ كما وصفها روثمان ـ كل شيء فيها ملك لكل فرد ، والتفرقة بين « لي » و « لك » ستختفي ، أو ـ كما عبر عنها بوكلسن فيما بعد ـ « كل شيء سيكون مشتركا ، ولن تكون هناك ملكية خاصة وان احدا لن يقوم بالعمل بعد ذلك ، بل ببساطة يضع ثقته في الرب »

وكان روثمان بعد كل شيء يتمسك (ص ٢٦٦) بأن الملكية المشتركة للأشياء مثالية لدى النخبة قبل التفكير في الحصار بزمان طويل ، والآن وفي خدمة « الأنبياء الهولنديين » طلب أن تترجم المثل نفسها إلى مؤسسة اجتماعية مقبولة من قبل الجميع على السواء ، ويظهر المزيج المألوف للألفية والبدائية بوضوح تام من الفقرة التالية من نشرة الدعاية التي اصدرها في تشرين أول ١٥٣٤ ، لتوزع بين جماعات القائلين بتجديد العماد في المدن الأخرى :

«الرب بيننا ـ له الحمد الدائم والشكر ، قد أعاد المجتمع ، كما كان في البداية وكما يليق بالقديسين التابعين للرب ، ونأمل ايضا أن يكون بيننا مجتمع بالقوة نفسها والبهاء وأن يكون بنعمة الرب ملحوظا بقلب نقي كما كان في أي وقت سالف . لأننا لم نضع فقط كل ممتلكاتنا في صندوق مشترك تحت رعاية الشمامسة ، بل نعيش منه وفق متطلباتنا : إننا نحمد الرب من خلال المسيح بقلب واحد وعقل ، ونتلهف على مساعدة بعضنا بعضا بكل انواع الخدمة ، وبناء على ذلك إن كل شيء خدم أغراض الأنانية والملكية الخاصة ، مثل البيع و الشراء ، والعمل مقابل المال ، وأخذ الفائدة وممارسة الربا ـ حتى على حساب الكفار ـ أو أكل وشرب عرق الفقراء (بمعنى : جعل شعب المرء والمخلوقات التابعة تعمل حتى يسمن المرء) ، وفي الواقع كل شيء يسيء إلى الحب ويعارضه ، إن مثل هذه الأشياء جميعا قد ألغيت من بيننا بقوة الحب والمجتمع ، وبمعرفة أن الرب الآن يرغب في الغاء مثل هذه الأمور البغيضة

وإننا لأن نموت خير من العودة إليها ، إننا نعلم أن مثل هذه التضحيات تسر الرب ، والواقع إن أي مسيحي أو قديس لايمكنه أن

يرضي الرب إذا لم يعش في مثل هذا المجتمـع ، أو على الأقـل يرغب من كل قلبه في العيش فيه » .

ولم تكن جاذبية النظام الاجتماعي الجديد بـأي حـال مثـالية ، وسلفا قبل ذلك بعام ، اجتذبت جموع ممن لابيوت ولاأملاك لها مـن الناس إلى مونستر بأمل الثورة الاجتماعية . ولكن الثـورة حـدثت الآن ، والدعاية التي بعث بها القادة إلى مدن أخرى كانت تـكمن في تعابير اجتماعية صرفة وتوجه بشكل خاص إلى أفقر الطبقات وجاء في إحـدى الرسـائل : « إلى الأفقـر بيننا إلى الذين كانوا يزدرون كمتسولين ، تجولوا الآن وأنتم مكسوون بـالنعومة نفسـها الأعلى والأكثر تميزا .... وبنعمة الله لقـد اصـبحوا اغنياء مثلهـم مثـل السادة ، وأغنى الناس في المدينة » . ومامن شك أن أفقر الطبقـات على مساحة واسعة كانوا حقيقة ينظرون نحو القدس الجديدة بمزيج من التعاطف ، والأمل ، والخشية .

وقد أمكن لأحد العلماء أن يكتب إلى اراسمس أوف روتـردام : « إننا في هذه الأجزاء نعيش في قلق بائس بسـبب الطـريقة التـي اندلعت بها ثورة القائلين بتجديد العماد . حيث أنها حقاقد هبت مثل النار ، واعتقد أنه يندر أن توجد مـدينة أو قـرية لم تتـوهج فيهـا الشعلة سرا ، إنهم يبشرون بمشاعية السلع إنهم يعظون بالاشتراك في السلع ، وكانت النتيجـة أن (ص ٢٦٧) الذين لايملكون شـيئا جاؤوا يتدفقون » ويبدو مدى الجدية التي أخذت بها السلطات هـذا التهديد في التدابير القمعية التي تبنتهـا ، ولم تجعـل فـكرة القـول بتجديد العماد إثما كبيرا فقط في أسقفية مونستر بل وفي الامـارات المجاورة أيضا : دوقية كليفز ورئاسـة اسـقفية كولون ، وتجـولت دوريات من الخيالة في الطرق واعتقلت كل المشبوهين ، وخلال شهور الحصار قطعت رؤوس رجـال لاحصر لهـم ونسـاء في المدينة ، أو اغرقوا أو احرقوا أو حطموا على الدولاب .

ولكونها مؤيدة من انصاف المتعلمين وتـروق دومـا لهـم ، كانت الثورة الاجتماعية في مونستر بعناد مضادة للثقافة ، وكان القـائلون

بتجديد العماد يتباهون ببراءتهم من التعلم بالكتب ، واعلنوا أن غير المتعلمين هم الذين اختارهم الله لخلاص العالم .

وعندها نهبوا الكاتدرائية وجدوا بهجة خاصة في تدنيس ، وتمزيق وحرق الكتب والمخطوطات في مكتبتها القديمة ، واخيرا في منتصف أذار حظر ماتيس كل الكتب سوى الانجيل ، وكل الأعمال الأخرى ، حتى تلك التي في الملكية الخاصة توجب أن تجلب إلى باحة الكاتدرائية لتحرق في محرقه عظيمة ، ورمز هذا العمل إلى القطيعة التامة مع الماضي ، وفوق كل شيء ، الرفض الشامل للعطاء الثقافي للاجيال السالفة ، وقد حرم بشكل خاص سكان مونستر من الوصول إلى القضايا اللاهوتية من الآباء وما بعدهم ، وبذلك ضمنوا لقادة القائلين بتجديد العماد احتكار تفسير الكتاب المقدس،ومع نهاية أذار أقام ماتيس دكتاتورية مطلقة ، ولكنه مات بعد بضعة أيام ، ففي عيد الفصح تلقى ما اعتقد انه أمر إلهي للقيام بغارة على رأس مجرد حفنة من الرجال ، وخرج وهو مقتنع بأنه بمعونة الأب ستطرد هذه الحفنة الجيش المحاصر وتحرر المدينة ، وبدلا عن ذلك مزق هو رفاقه ـ بكل ماتعنيه الكلمة ـ إربا إربا ، وقد أعطى هذا الحدث مجالا لحواري ماتيس الشاب جان بوكلسون ، الذي حتى الآن لم يشغل دورا كبيرا ، ولكنه كان بكل طريقة مؤهلا للامساك بمثل هذه الفرصة واستثمارها كليا ، وكان لديه هو نفسه كل الأسباب للتلهف على تعويض ضخم عن الاذلال والاخفاق الذي تعرض له في حياته ، وكان قد ولد خارج إطار الزواج ، كابن لعمدة قرية هولندية وامرأة من الأقنان من وستفاليا ، وتلقى تعليما كافيا ليحرز معرفة سطحية بعلوم الكتب،ومع ذلك فقد بدأ حياته المهنية كخياط متدرب ، وعندما حاول أن يبدأ عملا تجاريا لحسابه اصابه الخراب في وقت قصير ، ومن جانب أخر كانت لديه مواهب ملحوظة كانت فقط تنتظر كي تظهر ، ولكونه موهوبا بمظهر رائع ، وبلاغة لاتقاوم فقد وجد منذ شبابه وما بعده متعة في الكتابة وكان ينتج المسرحيات ويمثل وفي مونستر كان قادرا على تشكيل الحياة الحقيقية في مسرحية ، كان هو بطلها ، وكانت أوروبا كلها هي

المشاهدين ، وكان سكان القدس الجديدة مبهورين به ، ومنحوه في البداية إخلاصا أكبر مما منحوه لماتيس .

وفي استثماره لهذا الاخلاص اظهر بوكلسن نفسه كسياسي اكثر من ماتيس وكان لديه ذكاء أكثر ، وعرف كيف يثير الحماس في الجماهير وكيف يستخدمه لأغراضه عندما يثور ، ومن جانب آخر يبدو مؤكدا انه هو نفسه كان سهل التأثر (ص ٢٦٨) بالحماس الصوفي الظاهري . وعندما أعلن فاركان قد عاد إلى المدينة كجاسوس انه قد تم إحضاره بوساطة الملائكة ، صدقة بوكلسن ووثق به على الفور ، وعلاوة على ذلك ادعى هو نفسه انه أوحي إليه مرارا ويكون من التهور افتراض ان هذا كله كان من نسج خياله ، فعندما كان وجها لوجه مع الموت ، أعلن انه كان يلتمس دائما بهاء الرب ومجده ، وربما كان غير كاذب ، ففي الواقع – مثل كثير من المتنبئين الآخرين من تانشيلم وما بعده – يبدو أن بوكلسن كان مصابا بجنون العظمة ، وسلوكه لايمكن تفسيره تماما ببساطة كتعصب مخلص ولاببساطة كنفاق محسوب ، وما يلي هو على الأقل مؤكد : إنها لم تكن شخصية عادية أو شائعة تلك التي امكنها ان تغري مدينة صغيرة تضم نحو ١٠٠٠٠ من السكان منهم ١٥٠٠ فقط كانوا قادرين على حمل السلاح ، على الصمود ضد ائتلاف الامارات وخلال صعوبات مروعة لنحو مايزيد عن سنة . وكان اول عمل هام لبوكلسن – بشكل مميز – عملا دينيا وسياسيا في الوقت نفسه ، ففي وقت مبكر من ايار ركض عاريا عبر المدينة في هياج ثم سقط في غيبوبة وجد صامت استمر ثلاثة ايام ، وعندما عاد إلى الكلام دعا السكان جميعا ، وأعلن أن الرب قد كشف له أن الدستور القديم للمدينة ، بما انه من عمل الانسان يجب أن يستبدل بواحد جديد ، يكون من عمل الرب ، واعفى الرؤساء والمجلس من اعمالهم ، واقام بوكلسن نفسه مكانهم مع – حسبما حكى الكتاب المقدس عن بني اسرائيل – اثني عشر من الشيوخ ، ومن الأدلة على ذكائه السياسي ان الشيوخ ضموا بعض المخلوعين من المجلس السالف ، وممثلين عن النقابات ، وعضو عن الارستقراطية

المحلية ، وبعض المهـاجرين مـن الأراضي المنخفضـة ، واعطيت الحكومة الجديدة سلطة على كل الأمور العـامة والخـاصة الروحية والمادية وسلطة الحياة والموت على كل السـكان في المدينة ، واشـتق تشريع قانوني جديد كان يهدف جزئيا إلى التوسع في عملية التحويل الاشتراكي ، وجزئيا لفرض أخلاقية تـطهيرية صـارمة ، وادخلت الادارة الصارمة للعمـل ، والحـرفيون الذين لم يجندوا في الخـدمة العسكرية اصبحوا موظفين عامين ، يعملون من أجل المجتمـع ككل دون مقابل مالي ، وهو ترتيب حرم بالطبع (ص ٢٦٩) النقـابات من عملها التقليدي وأدى بسرعة إلى اختفائها ، وفي الوقت نفسه لم تجعل القوانين الجديدة فقط من السرقة والقتل جـريمة كبـرى بـل أيضا من الكذب وتشويه السمعة ، والبخل والشجار ، ولكن فوق كل شيء لقد كان قانونا مطلق الصلاحيات ، وكان الموت عقـوبة لكل نوع من العصيان : من الصغار ضد واليهم ، من الزوجـة لزوجهـا ، أو لأي انسان ضد الرب وممثلي الرب ، حكومة مـونستر ، وتلك المواد الأخيرة يحتمل أنه لم يمكن تنفيذها حـرفيا ، ولكنهـا كانت تـوفر للمتنبيء وسيلة للتخويف ، ولضمان أن تـكون وسـيلة فعـالة عين كينبردولينك جلادا واعطي سيف العدالة وحراسة مسلحة .

وكان السلوك الجنسي في البداية منظمـا بـالصرامة نفسـها لكل نواحي الحياة الأخرى ، والصورة الوحيدة المسـموح بهـا للعـلاقة الجنسية كانت الزواج بين اثنين من القائلين بتجديد العماد ، والزنا والفسق ـ الذي اعتبر يشمل الزواج بواحد من الكفرة ـ كان مـن الجرائم الكبرى ، وكان هذا يتماشى مـع تقـاليد القـائلين بتجـديد العماد.ومثل الوالدنسيان في القرون المبكرة التزم القـائلون بتجـديد العماد بقانون أشد صرامة ، للاخلاقيات الجنسية اكثـر مـن اغلب معاصريهم . ووصل هذا النظام إلى نهاية مقتضبة وذلك عندما قـرر بوكلسن إباحة التعدد في الزواج ، ومرد امـكانية القيام بمثـل هـذا العمل يمكن إرجاعها إلى حقيقة ان كثيرا من المهـاجرين كانوا قـد تركوا نساءهم وراءهـم في المدينة ، حتـى أنه كان هناك الآن مـن الرجال على الأقل ثلاثة اضعاف النساء اللواتـي في سـن الزواج ،

ومن جانب آخر ليس هناك دليل يدعم فكرة أن قصد بوكلسن كان توفير الحماية لنساء كن بالفعل بلا حماية ، ولم يقترح شيء من هذا النوع مطلقا بتجديد العماد الآن في مونستر ، كان في الواقع هو نفسه الذي كان في قرون سالفة قد تم السير عليه من قبل أخوة الروح الحرة والادامايتيين،وقد شرح للوعاظ والشيوخ المجتمعين كيف أن الرب قد أوحى له بأن الوصايا التوراتية (بالتزايد والتكاثر) يجب أن تؤخذ كأمر إلهي . وقد أعطى أنبياء بني إسرائيل مثالا جيدا ، فتعدد الزوجات الذي مارسوه يجب أن يستعاد في القدس الجديدة

وجادل بوكلسون أياما بغير انقطاع ، وفي النهاية هدد المنشقين بغضب الرب ، وبعد ذلك خرج الوعاظ طائعين ليفسروا المذهب الجديد في باحة الكاتدرائية ، ومثل الاشتراك في السلع قوبل تعدد الزوجات بمقاومة عندما قدم للمرة الأولى ، وكان هناك ثورة مسلحة ألقى خلالها بوكلسن ، وكنيبر دولينك في السجن ،إنما لكون الثوار كانوا أقلية صغيرة فقط ، فإنهم هزموا سريعا وأعدم نحو الخمسين منهم ، وأعدم خلال الأيام التالية أيضا عدد آخر ممن غامر بنقد المذهب (ص ٢٧٠) الجديد ، وبحلول أب توطد تعدد الزوجات ، وبدأ بوكلسن الذي ترك زوجة في لايدن بالزواج من ارملة ماتيس الجميلة الشابة ، وكان اسمها دييفر أو ديفارا ، وقبل أن يمضي وقت طويل كان لديه حريم يضم خمس عشرة زوجة،وحذا الوعاظ وكل السكان الذكور في حينه حذوه وبدأوا يتصيدون زوجات جديدات ، وبالنسبة للنساء مع انه كان هناك عديدات ممن رحبن بعادة تعدد الزوجات كان هناك أخريات شكل بالنسبة لهن طغيانا كبيرا ، وسن قانون بموجبه كان على كل النساء تحت سن معينة أن يتزوجن شئن أم ابين ، وحيث انه كان هناك قليل من الرجال غير المتزوجين ، كان هذا يعني أن عددا كبيرا جدا من النساء كن ملزمات قانونيا بقبول دور الزوجة الثانية أو الثالثة أو الرابعة ، علاوة على ذلك بما أن كل الزيجات « بالكفرة » قد أعلن بطلانها فإن زوجاتا لمهاجرين أكرهن على خيانة أزواجهن ، وكان رفض الاذعان للقانون الجديد إثما كبيرا ، وجرى بالفعل إعدام بعض النساء ومن

جانب أخر بدا العديد من الزوجات المستقرات على الفور بـالشجار مع النساء الغريبات اللائي دخلن بيوتهن فجأة ، وكان هـذا ايضـا إثما كبيرا ، وأدى إلى مزيد من الاعدامات ولكن لايمكن لأي قدر من الصرامة أن تكره على الانسجام المنزلي ، وفي النهاية كان لابد مـن السماح بالطلاق ، وهذا بدوره حول تعدد الزوجات إلى شيء لايختلف كثيرا عن الحب الحر ، وقـد تـم الاسـتغناء عن الاحتفـال الديني بالزواج واصبح الزواج يتم بعقد ويحل بسـهولة كبيرة ، وحتـى لو اسقطنا كثيرا من الروايات المعادية التي نملكها على انها مبـالغة ، فإنه يبدو مؤكدا أن معايير السلوك الجنسي في مملكة القـديسين قـد عبرت كامل القوس من التطهر الصارم ، إلى مايقرب من العـلاقات غير الشرعية .

ولم تبعد إعادة تنظيم المجتمع في مونستر بوكلسن عن الدفاع عن المدينة ضد العدو الخارجي ، وصحيح أنه لعدة شهور لم يكن العـدد هائلا جدا ، ذلك أن الأسقف قد وجد صعوبة كبيرة في القيام بأعمال حربية فعالة ، وكانت المساعدة التي تلقاها مـن حلفـائه في كليفـز وكولون قد جاءت على مضض ولم تكن ابدا كافية ، وكان عليه دائما أن يناشد من أجل مزيد من المال والقوات ، ولكون غالبية مرتزقته قد جاءوا مثلهم مثل غالبية القائلين بتجـديد العمـاد ومـن الطبقـة الاجتماعية نفسها ، كانوا دائما مستعدين للتعـاطف مـع السـكان المحاصرين ، وحقيقة أن أجورهم كانت تصل بصـورة غير منتـظمة جعلتهم غير قابلين للاعتماد عليهم اكثـر ، لاسـيما عندمـا عرض بوكلسون بفكره الثـاقب ـ وفي تعـارض صريح مـع نظـريته الشيوعية ـ عليهم دفعات منتظمة ، وقد أحدثت المنشـورات التـي اطلقها القائلون بتجديد العماد في معسكر العدو الأثر المطلوب . ففي خلال حزيران انتقل نحو ٢٠٠ من المرتزقة إلى صـفوف القـائلين بتجديد العمـاد في حين أن اخـرين فـروا ببسـاطة وعادوا إلى بيوتهم . (ص ٢٧١)

وبالمقارنة مع المحاصرين كانت الحملة قـوة عسـكرية منظمـة ،

وكان هذا في الأساس إنجازا شخصيا لبوكلسن ، وخلافا لماتيس فإنه ـ مع كل تهوره ـ لم تغب عن نظره الحقائق المادية للأعمال الحربية ، ولابد أنه كان منظما مقتدرا جدا ، وعندما قصفت المدينة للتحضير للهجوم ، عملت النساء كل الليل لاصلاح الأسوار المعطوبة ، وعندما حاول المرتزقة الاستيلاء على المدينة بهجوم عاصف استقبلوا ليس بطلقات المدافع بل بالأحجار ، والماء المغلي والقار الملتهب ، ومن جانب آخر عندما قام المحاصرون بغارة شتتوا المرتزقة بغير نظام بل حتى أنهم تمكنوا من تعطيل كثير من المدافع ، وضمن المدينة كان النظام مفروضا بصرامة ، وكان لكل فرد مهمة اساسية مخصصة ، كحرفي أو في الصيانة والاصلاح للتحصينات ، وكان هناك تفتيش منتظم على الحراسة فوق الأسوار من قبل الشيوخ نهارا وليلا ، وعندما ثمل بعض المرتزقة ـ ممن التحقوا بالمدينة ـ في إحدى الحانات أطلق عليهم النار ، وفي إحدى المناسبات حاول الأسقف تقليد تقنيات بوكلسن واطلق منشورات من فوق الأسوار يعد فيها بأنه إذا استسلمت المدينة سيكون هناك عفو عام ، رد بوكلسن على الفور فجعل قراءة مثل هذه المنشورات خطيئة كبرى .

وكانت هيبة بوكلسن في الذروة ، في نهاية آب ١٥٣٤ ، وصد هجوما كبيرا بفعالية ، حتى أن الأسقف وجد نفسه فجأة مهجورا من قبل كل من أتباعه والمرتزقة ، وكان حسنا لو أن بوكلسن نظم غا رة اذ ربما تمكنت قواته من الاستيلاء على معسكر الأسقف ، ولكنه عوضا عن ذلك استغل الفرصة لاعلان نفسه ملكا.

الحكم المسائحي لجون أوف لايدن

إنه ليس كملك عادي بل كمسيح للأيام الأخيرة كان بوكلسن قد فرض نفسه ، وكي يحقق ذلك توسل لوحي إلهي آخر ـ اعتقد أو لم يعتقد فيه ـ وبطريقة أكثر درامية من المعتاد ، ففي بداية أيلول أعلن صائغ من مدينة مجاورة يدعى دوزنتسكر نفسه كنبي جديد ، وفي

احد الأيام أعلن هذا الرجل في الميدان الرئيس أن الأب السماوي قد اوحى له أن بوكلسن سيكون ملكا على العالم كله ، وسيسود على كل الملوك ، والأمراء وعظماء الأرض ، وأنه سيرث الصولجان والعرش الذي كان لجده داود وسيحتفظ بهما حتى يسترد الرب المملكة منه ، وبناء عليه أخذ دوزنتسكر سيف العدالة من الشيوخ وقدمه إلى بوكلسن ، ودهنه بالزيت المقدس ، وأعلنه ملكا على القدس الجديدة ، وسجد بوكلسن وهو يشكو من عدم جدارته ، ودعا الرب أن يهديه في مهمته الجديدة ، ثم توجه إلى الجمهور المحتشد قائلا : « بطريقة مماثلة كان داود ، راعيا متواضعا ، مسحه النبي بأمر من الرب ليكون ملكا لبني اسرائيل ، إن الرب كثيرا ما يفعل بهذه الطريقة ، وكل من يقاوم إرادة الرب يستنزل غضب الرب على نفسه ، لقد أعطيت الآن سلطة على كل امم الأرض ، وحق استعمال السيف لارباك الأشرار ، ودفاعا عن الصالحين ، فلا تدعوا أحدا في هذه المدينة يلوث نفسه بالجريمة أو يقاوم مشيئة الرب ، وإلا فإنه بلا تأخير سيلقى الموت بالسيف » وتصاعدت همهمة احتجاج من الحشد وتابع بوكلسن : « عار عليكم أن تهمهموا ضد القضاء الالهي للرب ! ومع أنكم ستنضمون معا لمعارضتي ، فإنني سأحكم مع ذلك ، رغما عنكم ، ليس فقط في هذه المدينة بل على العالم كله ، لأن الرب هكذا شاء ، ومملكتي التي تبدأ الآن ستدوم ولن تعرف السقوط » ! وبعد ذلك تفرق الناس في صمت إلى بيوتهم ، وللأيام الثلاثة التالية القى الوعاظ موعظة تلو الأخرى أوضحوا فيها أن المسيح الذي تنبأ به الأنبياء في العهد القديم لم يكن سوى بوكلسن .

وفعل الملك الجديد كل مايمكن لتأكيد الأهمية الفريدة لاعتلائه العرش وأعطيت الشوارع والبوابات في المدينة أسماء جديدة ، وابطلت أيام الآحاد والأعياد وأعيدت تسمية أيام الاسبوع على نظام ابجدي ، حتى اسماء حديثي الولادة تم اختيارها من قبل الملك وفق نظام خاص ، ومع أن النقود لم يكن لها عمل في مونستر فقد أوجدت عملة جديدة تزيينية بحتة ، «سكت العملات الذهبية والفضية وعليها نقوش تلخص كل التخيلات الالفية » التي أعطت للمملكة معناها من

ذلك :« لقد أصبحت الكلمة لحما يسكن فينا » ، « ملك واحـد فـوق الجميع ، رب واحد عقيدة واحدة ، عماد واحـد » ، وصـمم شـعار خاص ليرمز إلى ادعاء بوكلسن بالسيادة الروحية والدنيوية المطلقـة على العالم كله كان عبارة عن كرة تمثل العالم يخترقها سيفان (كان يمسك بهما أنذاك البابا والأمبراطور) ويعلوها صليب حفـرت عليه الكلمات : « ملك واحد للصـلاح فـوق الجميع » ، وكان الملك نفسه يرتدي هذا الشعار ، وقد صيغ من الذهب وكان يتعلق بسلسة من الذهب في عنقـه ، وكان مـرافقوه يرتـدونه كشـارة مميزة على أكمامهم ، وكان مقبولا في مونستر كشعار للدولة الجديدة .

وكان الملك الجديد يرتدي حللا فخمة وخواتم وسلاسل ، ومهاميز من أنفس المعادن صاغها أمهر الحرفيين في المدينة وجند علية القـوم وتم تعيين نبلاء حملة للسلاح و عينت أرتال من الضباط في البلاط ، وفي كل مرة ظهر فيها الملك على الملأ كان محاطا بحاشيته بملابسهم الفخمة أيضا ، وأعلنت ديفارا باعتبارها زوجة بـوكلسن الرئيسـة ملكة ، وكان أيضا لها حاشيتها (ص ٢٧٣) واحتفظت مثل زوجها ببلاط ، أما الزوجات الأقل شأنا ، ولم تـكن أي منهـن أكبـر مـن عشرين سنة فقد أصبحن أتباعا لديفارا ، وكان عليهـن أن يطعـن أوامرها ، ولكن مع ذلك كن يزودن بملابس جميلة ، ولقد كان بلاطا مترفا ضـم نحوا من ٢٠٠ ذاك الذي ازدهر في القصور المصادرة من قبل الكاتدارئية .

نصب عرش في ساحة السوق ، زين بـأقمشة منسـوجة بخيوط ذهبية وارتفع فوق المقاعد المحيطة به ، والتـي خصصـت لأعضـاء المجلس الملكي والوعاظ ، وأحيانا كان الملك يأتي إلى هناك ليجلس للقضاء او ليشهد اعلان القوانين الجـديدة ، وكان يعلن عن مقـدمه بنفخ الأبواق ساعة وصوله على ظهر حصـان ، وهـو يلبس تـاجه ويحمل صولجانه ، ويسير ضباط البلاط بين يديه ، وخلفـه يأتـي كنيبر دوليذك ، الذي أصبح الآن رئيسا للوزراء وروثمان الذي أصبح الناطق الملكي ، وخط طويل من الوزراء ورجال البـلاط والخـدم ،

وكان الحرس الملكي يصحب الموكب ويحميه ويشكل نطاقا حول الساحة اثناء جلوس الملك على العرش ، وعلى كلا جانبي العرش يقف وصيفان ، يحمل أحدهما نسخة من العهد القديم – ليبين ان الملك كان خليفة داود ومخولا بسلطة التفسير الجديد لكلمة الرب – والآخر يحمل سيفا مجردا .

وبينما كان الملك يتوسع في هذا الطراز الفخم للحياة لنفسه ولزوجاته واصدقائه ، كان يفرض على الجماهير من الناس تزمتا صارما ، وكان الناس بالفعل قد سلموا مايملكونه من ذهب وفضة وخضعوا لمصادرة الاقامة والطعام ، والآن أعلن النبي دوزنتسكور فجأة انه قد أوحي له ان الأب يبغض كل زيادة في اللباس ، وقننت الملابس والفرش بشدة بناء على ذلك ، وبناء على أوامر الملك توجب تسليم كل فائض تحت طائلة الموت ، وفتش كل بيت وجمعت حمولة ثلاث وثلاثين عربة من فائض اللباس والفراش . ووزع بعضها على الأقل على مايبدو على المهاجرين من هولندا وفريزيا ، وعلى المرتزقة الذين جاءوا من الجيش المحاصر ، ولكن هذا لم يشكل تعزية للمواطنين العاديين في مونستر ، الذين كانوا متاثرين اكثر بالتضاد بين حرمانهم وعوزهم ، والترف غير المحدود للبلاط الملكي .

وادرك بوكلسن انّ حتى هيبته الكبيرة لن تضمن بذاتها قبول إذعان المحرومين من المزايا في النظام الجديد ، فاستخدم تقنيات مختلفة ليحتفظ بخضوع الجماهير ، وبلغة جديرة بأي تابع للروح الحرة شرح ان الأبهة والترف كانت مباحة له ، لأنه كان ميتا تماما بالنسبة للدنيا والجسم . وفي الوقت نفسه أكد للعوام من الناس أنه قبل مضي وقت طويل (ص ٢٧٤) سيكونون هم ايضا في الحالة نفسها ، يجلسون على مقاعد من فضة ويأكلون على موائد من فضة ، وسيكو ن تملك هذه الأشياء سهلا لأنها ستكون برخص الطين والحجارة ، وبشكل عام أصبحت النبوءات والوعود الألفية مثل تلك التي ابقيت من قبل المدينة في حالة من الاثارة لمدة تزيد عن عام ، اصبحت الآن تقلق اكثر واكثر وبشدة أعظم ، وفي تشرين أول

أصدر روثمان نشرتــه« الرّجــوع »وفي كانون أول « اعلان الانتقــام»
وتظهر هذه الوثــائق بــوضوح كاف كيف كان اهــالي مـــونستر
يشجعون على أن يتنبهوا الى دورهم ومصيرهم.

وفي تلك الأعمال ظهرت التخيلات المتعلقــة بــالعصور الثــلاثة في صورة جــديدة ، العصر الأول عصر الخـــطيئة وقـــد دام حتـــى الطوفان ، والعصر الثاني كان عصر الاضطهاد والصليب ودام حتى الوقت الراهن ، وقــدر أن العصر الثــالث ســيكون عصر الانتقــام وانتصار القديسين ، وشرح ان المسيح قد حاول مرة أن يرد العــالم الخاطىء الى الحقيقة ، ولكن بدون نجاح مستديم ، وعلى مدى قرن اضعفت تلك المحاولة من قبل الكنيسة الكاثوليكية ، وتبع ذلك اربعة عشر قرنا من التراجع والخراب ، كانت النصرانية خلالها واقعة بلا حول في الأسر البابلي ، ولكن زمن المحنة الآن قد بلغ نهايته ، وكان المسيح على على وشك العودة ، وفي الاعداد لهذه العــودة أقــام اولا مملكته في مدينة مونتسر واقام عليها داود الجديد ، جان بوكلسن وفي تلك المملكة تكون كل نبوءات العهد القديم قد تحققت بشــكل مســبق وتم تجاوزها ، وتحققت استعادة كل الأشياء ، ومــن هــذه المملكة يجب ان يتقدم شعب الرب ، ويستخدم سيف العدالة ليوســع المملكة حتى تضم العــالم كله :« حـــظيرة ـ غنم واحـــدة ، وقـــطيع واحد ، وملك واحد » ، وكانت مهمتهم المقدسة هي تطهير العالم من الشر للتمهيد للمجيء الثــاني :« ان مجــد كل القــديسين في شــفاء الغليل بالانتقام .... الانتقام بلا رحمــة مــن كل مـــن لايحمـــل علامة (القائمين بتجديد العماد) » وفقط عندمـــا يتحقــق القِتــل العظيم تكون عودة المســيح ، ليتــولى الحســاب وليعلن مجــد كل القديسين ، وعندها حقا تظهر سماء جــديدة وأرض جــديدة فيهـــا يتحرر القــديسون ـ او ابناء الرب ـ مــن عبــوديتهم الطـــويلة للأشرار ، ويعيشون دون بكاء وتنهد ، وفي ذلك العالم لن يكون بعــد الآن اي امـــراء او لوردات وكل الأشـــياء ســـــــتكون ملكية مشتركة ، والذهب والفضة والجــواهر الثمينة لن تــرضي بعــد ذلك

غرور الأغنياء ، بل فقط مجد أطفال الرب ، لأن هؤلاء هم الذين كان لهم ميراث الأرض .

وقد دعمت هذه الوعود وصورت بأعمال دراماتيكية مثيرة ، وفي تشرين (ص ٢٧٥)أول أعلن النبي دوزنتسكر فجأة أن بوق الرب سيدوي ثلاثا ، وفي النفخة الثالثة يجب أن يجتمع كل سكان المدينة عند جبل صهيون ،(الاسم المستعار لباحة الكاتدرائية)،وكان على الرجال ان يحضروا وهم مسلحون ولكن عليهم ان يحضروا نساءهم واطفالهم ايضا ، وسيسير اطفال الرب معا الى خارج المدينة وسيكونون موهوبين بقوى فوقالطبيعة حتى ان خمسة منهم يمكنهم قتل مائة من الأعداء وعشرة يمكنهم قتل الف ، وسيهرب العدو امامهم

وهكذا يمكنهم السير وهم منتصرون الى الأرض الموعودة ، وسيعمل الرب على ان لايعانوا من الجوع او العطش او التعب في رحلتهم ، وقد صدحت الابواق فعلا ، ولكن الذي نفخ فيها هو دوزنتسكر نفسه ، على فترات كل اسبوعين وكان الاخفاق في اطاعة النبي انتحارا ، لهذا عندما دوى البوق للمرة الثالثة جاء كل الناس حتى النساء الذين لديهن اطفال حديثوا الولادة جاءوا الى مكان اللقاء . وجاء الملك ايضا وهو شاكي السلاح على ظهر الحصان ، فكان يرتدي تاجه ومحاطا بحاشيته ، وعين ضباط لقيادة جيش الرب ، ولكن في اللحظة الأخيرة الغيت الحملة فجأة واعلن الملك انه أراد مجرد اختبارولاء شعبه ، وانه وقد رضي الآن تماما لذلك فإنه يدعو الجميع الى وليمته ، وجلس كل رجل ومعه زوجاته واقيمت وليمة تحت رعاية الملك والملكة الكريمة ، وانتهت باحتفال مناولة ، وزعت فيه ارغفة صغيرة وجرعات من النبيذ من قبل الملك والملكة واعضاء المجلس الملكي ، بينما كان الوعاظ يفسرون معنى هذا القربان ، ثم جاء وقت عشاء الملك والبلاط ، وبعد العشاء تصرف الملك بوحي مفاجيء ، وارسل في طلب اسير من المرتزقة من السجن وقطع رأسه .

ارهاب كان لوقت طويل سمة مألوفة للحياة في القدس الجديدة ، وازداد شدة خلال حكم بوكلسن ، وخلال بضعة ايام من اعلانه الملكية ، اعلن دوزنتسكر انه قد اوحي اليه انه في المستقبل ان كل من امعنوا في الخطيئة ضد الحقيقة المعروفة يجب أن يحضروا امام الملك ويحكم عليهم بالموت ، ويجب استئصالهم من الشعب المختار ، ويجب أن تقتلع ذكراهم ، ولن تلق أرواحهم رحمة بعد القبر ، وخلال يومين بدأت الاعدامات ، وكانت الضحايا الأولى نساء ، قطع رأس واحدة بسبب انكارها حقوق الزوجية على زوجها ، وثانية بسبب زواجها من اثنين – لأن ممارسة تعدد الزوجات كان بالطبع امتيازا محصورا بالذكور – وثالثة لاهانتها واعظا والسخرية من مذهبه ، وربما حققت هذه الأحكام للملك الجديد أرضاء لساديته كما عملت بالتأكيد على تعزيز هيمنة الذكور على القديسات من الاناث ، ولكن كان للارهاب أهداف أوسع من ذلك ، لقد كان فوق كل شيء سلاحا سياسيا يستعمل من قبل طاغية اجنبي ضد السكان الوطنيين ، وكان بوكلسن يقظا وحذرا في بناء حرسه من المهاجرين ، هؤلاء الناس الذين اما انه ليس لديهم ممتلكات ، او انهم(ص ٢٧٦) تركوها وحضروا الى مونستر فكانوا مخلوقات بوكلسن ، وكانوا يقفون او يقعون معه وطالما انهم كانوا يخدمونه فإنهم كانوا يضمنون التمتع بمزايا هائلة ، فيرتدون حللا فاخرة يمكنهم أن يتباهوا بها على أصحاب الملابس الفقيرة ، وكانوا أيضا يعرفون انه اذا جاء الجوع فإنهم سيكونون هم آخر من يعاني منه ، وكانت اول أعمال الملك مصادرة كل خيل الركوب وتحويل حرسه الى سرايا راكبة ، وكانت هذه السرايا تتدرب علنا ، وكان السكان سريعين في معرفة انها قوة مسلحة يمكن استخدامها ضد العدو الداخلي ، كما يمكن استخدامها ضد عدو من خارج الأسوار .

وبالنسبة للمجتمع المحاصر ككل كان تأسيس الملكية مفجعا بكل طريقة ، وفي حين أن بوكلسن والقادة الآخرين كانوا مستغرقين في

اعداد البلاط الملكي وفي زيادة مزاياهم الخاصة وضمانها فأتتهم اكثر اللحظات مناسبة لشن حرب حاسمة ، فقد صحا الأسقف من هزيمته ، وخلال اسابيع قليلة كانت المدينة محاصرة مرة اخرى ، وفي الوقت الذي دعا فيه دوزنتسكر السكان للسير الى خارج المدينة ، كانت هذه المهمة قد اصبحت عملا انتحاريا ، وقد ادرك بوكلسن هذا جيدا بلا شك : اذ بينما كان يتحدث عن التقدم لغزو العالم ارسل دعاية للقائلين بتجديد العماد في المدن الأخرى بهدف إثارتهم لاغاثة مونتسر ، وفي نهاية المأدبة الكبرى على جبل صهيون ، تلقى دوزنتسكر ايضا وحيا اخر ، خرج نتيجة له هو وستة وعشرين واعظا « كرسل » الى المدن المجاورة ، واثقا من أن اي مدينة سترفض الترحيب بهم سيبتلعها الجحيم فورا ، وتصرفوا بثقة عظيمة ووعظوا بمذهبهم علنا ، وفي البداية أحرزوا بعض النجاح ، ولكن السلطات تدخلت بقوة وقبل مضي وقت طويل أعدم « الرسل » مع العديد من القائلين بتجديد العماد من العناصر المحلية التي رحبت بهم .

وعندما علم بوكلسن بحصر « رسله » تخلى عن العمل العلني لصالح التحريض التآمري ، ويبدو أن كثيرا من الذهب والفضة المصادرة قد جرى تهريبه الى خارج مونتسر وسويسرا ، ولم تعط هذه الخطة نتيجة تذكر ، ولكن في الوقت نفسه هربت ألوف من منشورات روثمان الى الخارج ووزعت في هولندا وفريزيا واحدثت هذه الدعاية تأثيرا هائلا وخطط لثورات جماهيرية بين القائمين بتجديد العماد ، وفي كانون الثاني ١٥٣٥ اجتمع الف من القائلين بتجديد العماد مسلحين في اقليم غرونينغن تحت قيادة نبي دعا نفسه « المسيح » ابن الرب (ص ٢٧٧) واعتزم هؤلاء الرجال السير نحو مونستر باعتقاد ان بوكلسن سوف يأتي للقائهم وأن العدو سيهرب عند اقترابه ، وكانت النتيجة هزيمتهم وتشتتهم أمام قوات دوق جلدرلاند ، وفي اذار استولى نحو ٨٠٠ من القائلين بتجديد العماد على دير غرب فريزيا واحتفظوا به في وجه قوة من المرتزقة بقيادة نائب رئيس السلطة الامبراطورية ، ولم يتم القضاء

عليهم الا بعد قصف شديد وهجمات متكررة ، وفي الوقت نفسه اوقفت ثلاث سفن ملية بالقائلين بتجديد العماد وهي في طريقها صعودا في نهر ايجيسل Ijsel واغرقت مع شاغليها جميعا ، وفي اذار أيضا تراس احد القائلين بتجديد العماد من مندن افقر قطاع من السكان وحاول تأسيس قدسا شيوعية جديدة على نموذج مونستر ، وتم التعامل مع هذه الثورة من قبل مجلس المدينة ، الذي هدد باستخدام المدافع ، ولكن في وقت متأخر بلغ ايار ، كان مبعوث من مونستر قادرا على قيادة ثورة في امستردام استولت على دار البلدية ، ولم يتم اخمادها الا بعد قتال مرير ، وكان هدف كل أعمال العصيان هذه هو الذي حدده بوكلسن ، وكان مايزال هو الهدف نفسه الذي الهم هذه الأعداد الكبيرة من الحركات الألفية من حين أيام الرعاة : « قتل كل الرهبان والكهنة والحكام الموجودين في العالم ، لأن ملكنا وحده هو الحاكم العادل » وليس هناك من شك أن ثورات القائلين بتجديد العماد في الشهور الأولى من ١٥٣٥ ربما كانت أكثر خطورة مما كانت لو أن الخطط مع الكثير من اسماء المتآمرين ومواقع اكداس الذخيرة ، لم تتعرض للخيانة لدى السلطات في وقت سالف في بداية كانون الثاني ، وهي على اي حال برهان آخر على الاخلاص الذي يمكن للقدس الجديدة ان تحدثه وتحشره بين القائلين بتجديد العماد ، وعامة الناس في شمال غرب المانيا والأراضي المنخفضة .

وفي الوقت نفسه ضاعف الأسقف من جانبه من جهوده لاخضاع المدينة ، وفي نهاية ١٥٣٤ اتفق ممثلون عن ولايات الراين الأعلى والأدنى ، واجتمعوا في كوبلنز Koblenz على الامداد بالقوات والمعدات والتمويل اللازم لجعل الحصار فعالا حقا ، وطوقت مونتسر بالخنادق والتحصينات وبخط مزدوج من المدفعية والفرسان ، وهكذا أصبحت للمرة الأولى مقطوعة تماما عن العالم الخارجي ، وعندما ــ بناء على قرار المجلس التشريعي الامبراطوري المنعقد في ورمر Worms في نيسان ــ تعهدت كل الولايات في الامبراطورية بالاسهام في التمويل لمتابعة

الحصار ، هلكت المدينة بشكل نهائي ولم يعد المحاصرون في حاجة لهجوم عاصف للاستيلاء عليها ، وبدلا من ذلك ركزوا على تجويع السكان حتى الموت ، وقد نجحوا في ذلك بقدر كبير ، وبدأ الحصار في كانون الثاني ١٥٣٥ ، وعلى الفور تقريبا ، تبين العجز في المواد الغذائية ، وبناء على أوامر الملك جرت زيارة اخرى للمنازل من قبل الشمامسة وصودرت أخر البقايا الغذائية (ص ٢٧٨)وقتلت جيمع الخيول ، ويبدو أن كثيرا من هذا الغذاء حفظ للبلاط الملكي الذي قيل انه اكل جيدا في كل الأوقات ، وامتلك مخزونا كافيا من اللحم والقمح والنبيذ والبيرة تكفي مدة نصف سنة ، ومع أن هذا تم نفيه فيما بعد من قبل كل من بوكلسن وكنيبردوليذك ، فانه بالتمحيص بدا أن الأدلة كانت ضدهم ، وبالتأكيد ان المقننات التي وزعت على الناس قد استنفدت بسرعة ، وبحلول نيسان تفشت المجاعة في المدينة ، وقتل واكل كل حيوان ـ كلب ، قط ، قنفذ ، وبدأ الناس يأكلون الأعشاب والطحالب والأحذية العتيقة وطلاء الجدران وجثث الموتى .

ولكونه متوجا على هذه المملكة المروعة استخدم بوكلسن باسراف أعظم تقنياته القديمة للهيمنة ، وأعلن انه قد أوحي له أن الناس سينجون بحلول عيد الفصح ، واذا لم يحدث ذلك يجب أن يحرق في ساحة السوق ، وعندما لم يحدث التحرر فسر ذلك بأنه قد تكلم فقط عن الخلاص الروحي ، ووعد بأنه بدلا من أن يترك اطفاله يموتون جوعا ، فان الأب سيحول الأحجار الى خبز ، وصدقه عدد كبير ، وبكوا بمرارة عندما وجدوا ان الأحجار بقيت احجارا، واخلاصا لحبه الأول ـ المسرح ـ فقد ابتكر المزيد والمزيد دائما من وسائل الامتاع الخيالية لرعاياه،ففي احدى المناسبات استدعى السكان الجائعين للاشتراك في ثلاثة ايام من الرقص والسباق ، والرياضة لأن تلك كانت مشيئة الرب ، وقدمت عروض مسرحية دراماتيكية في الكاتدرائية : كانت محاكاة بذيئة وساخرة للقداس ، واخلاقية إجتماعية على اسس الجشع والترف .

ولكن في هذا الوقت كانت المجاعة تفعل فعلها ، واصبح الموت من الجوع شائعا ؛ حتى ان الجثث اصبحت تلقى في مقبرة جماعية عظيمة ، واخيرا في ايار ، عندما اصبح معظم السكان لم يتذوقوا الخبز لثمانية اسابيع ، وافق الملك على ان يترك المدينة الذين يرغبون في ذلك وحتى عندئذ كان يلعن الهاربين ويعدهم بان جزاء عدم اخلاصهم سيكون لعنة ابدية ، لقد كان مصيرهم الارضي في الواقع مروعا بقدر كاف ، اذا ان اصحاب الأجسام القادرة من الرجال قد وضعوا فورا تحت السيف ، اما بالنسبة للنساء ، المسنين من الرجال ، والأطفال فقد خشي الأسقف – وليس بدون تعقل – من أنهم اذا مروا عبر خطوطه سيثيرون الاضطراب في المؤخرة وطبقا لذلك رفض السماح لهم بالمرور عبر التحصينات ، وعليه فقد هام هؤلاء الناس خمسة اسابيع طويلة في المنطقة المنزوعة السلاح خلف اسوار المدينة ، وهم يتوسلون للمرتزقة ان يقتلوهم ، يزحفون هنا وهناك لأكل العشب كالحيوانات ، ويموتون بأعداد كبيرة حتى فرشت الأرض بالجثث ، وفي النهاية أزال الأسقف الناجين بعد أن استشار حلفاءه ، وأعدم الذين من القائلين بتجديد العماد عن قناعة ونفى البقية الى قرى نائية في الأسقفية ومرات ومرات قذف المحاصرون منشورات الى داخل المدينة(ص ٢٧٩)تعرض العفو العام وجواز المرور للسكان ، اذا هم فقط سلموا الملك وحاشيته ، وتم فعل كل مايمكن للتشجيع على الثورة ضد الملك ، وفي ذلك الوقت كان عامة الناس مستعدين للعمل بهذا الاقتراح لو كان ذلك بامكانهم ، ولكنهم كانوا تماما بلا حول ، وخلال تلك الأسابيع القليلة الأخيرة الأكثر يأسا اظهر بوكلسن كل براعته في فنون الارهاب ، وفي مستهل ايار قسمت المدينة لأغراض ادارية الى اثني عشر قسما على كل قسم عين ضابط ملكي بلقب دوق مع قوة مسلحة من أربع وعشرين رجلا ، وتم اختيار هؤلاء « الدوقات » من بين المهاجرين الأجانب ، وكانوا على الأغلب من الحرفيين البسطاء ، ووعدهم بوكلسن انه عند تحرير المدينة وبزوغ فجر الالفية ، سيكونون جميعا دوقات حقيقيين يحكمون مناطق واسعة من الامبراطورية ، كان قد

حددها من قبل . وربما صدق « الدوقات » ملكهم ، ولكن في حــالة اذا ماكان قد داخله شك فقد منعوا اطلاقا من مغادرة قـطاعاتهم او مقابلة بعضهم بعضا وقد ثبتوا ولاء كافيا ومارسوا ضد عامة الناس ارهابا قاسيا ، ولمنع اي احتمــال لقيام معــارضة منظمــة فــان الاجتماعات حتى بين افراد قلائل باتت ممنوعة بشدة ، وأي انسان يعثر عليه وهو يتآمــر على مغــادرة المدينة ، أو مســاعدة غيره على المغادرة أو يوجه انتقادا للملك أو سياسته كانت رأســه تقــطع على الفور .

و كانت هذه الاعترافات غالبا ما تنفذ من قبــل الملك نفســه ، الذي أعلن أنه سيفعل ذلك بــكل سرور لكل ملك أو أمير ، و أحيانا كانت الجثة تقطع أرباعا و تسمر الأجزاء في أماكن بــارزة للتخــدير ، و بحلول منتصف حزيران كانت مثل هــذه الاجــراءات تحــدث يوميا تقريبا

وبدلا من تسليم المدينة ، كان بوكلسن بــلا شــك ، ســيدع كل السكان يجوعون حتى الموت ، ولكن بالنتيجة وصل الحصار فجــأة الى نهايته ، فقد هرب رجلان ليلا من المدينة وأرشــدا المحــاصرين إلى نقــــاط ضــــــعف معينة في الدفــــــــــاعات وفي ليلة ٢٤ حزيران ١٥٣٥ اندفــع المحــاصرون في هجــوم مبــاغت واخترقوا خطوط الدفاع الى داخل المدينة ، وبعد ساعات من القتال اليائس قبل البــاقون المائتين أو الثــلاثمائة الأخيرون مــن القــائلين بتجديد العماد عرضا بمنحهم جواز مــرور ، ووضــعوا اســلحتهم وتفرقوا الى بيوتهم ، فقط ليقتلوا واحدا بعد واحد وحتى آخر رجل تقريبا ، في مذبحة استمرت عدة ايام .

وهلك كل قادة تجديد العماد في مونتسر ، ويعتقد ان روثمان قــد مات وهو يقاتل ، وبرفض الملكة ديفــارا التنكر لعقيدتهــا ، قــطع رأسها اما بوكلسن فبناء على امر من الأسقف اقتيد بسلسلة بعض الوقت ، وعرض كدب العرض ، وفي كانون الثاني ١٥٣٦ اخــذ الى

مـــــــــــــــــــونتسر ، وهناك عذب هـــــــــــــــــــو
وكنيبردولينك ، وزعماء (ص ٢٨٠) القائلين بتجديد العماد الآخرين
على مرأى من الناس حتى الموت ، بمكاو ساخنة حتــى الاحمــرار
وخلال فتــرة الامهــم لم ينبس الملك الســالف بصـــوت ، ولم يأت
بحركة ، وبعد الاعدام علقت الجثث الثلاثة من برج كنيسة في وســط
المدينة في اقفاص مازالت تشاهد هناك الى اليوم وفي الوقــت نفســه
عاد الذين هربوا من او طردوا من مونتسر القائلة بتجــديد العمــاد
عادوا اليها ، وأعيد الاكليروس الى مناصبهم واصبحت المدينة مرة
اخرى كاثوليكية رسميا ولكي تحبط اي محــاولات اخــرى للحــكم
الذاتي سويت كل التحصــينات بــالأرض . وفي الصــورة الســلمية
الأصلية ، عاشت فكرة تجــديد العمــاد وحتــى يومنا الحــالي ، في
مجتمعات مثل المنونيت والأخــوة الهتــريانية وأثــرت ايضـــا على
المعمدانيين والكويكرز وبالنسبة لتجديد العماد النضالي ، الحــركة
التي مثلها مثل كثير غيرها أخذت بالنضال لاقامة الالفية بالقوة ، قد
تدهورت بسرعة ، وبدأ في البداية كما لو ان قائدا جــديدا في تقــاليد
ماتيس وبوكلسن قــد وجــد في جـــوهان بـــاتنبرغ ، ولكنه أعدم
في ١٥٣٧ ، وبعد ذلك بجيل في ١٥٦٧ ، جمــع اســكافي يدعى جــان
ويلمسن نحو ٣٠٠ من المقاتلين ، وكان بعضهم ممن نجوا من أيام
مونتسر ، وأقام قدسا جديدة في وســتفاليا ، هــذه المرة في المنطقــة
المحيطة بفيسيل وكليفز ، ومارس هؤلاء القــديسون ايضــا الزواج
المتعدد – ويلمسن نفسه باعتباره مسيحيا مخلصا كانت له احــدى
وعشرين زوجة – وبطريق تسويغ ممارساتهم أعادوا طباعة رسالة
روثمــان « الارتـــــداد Restilution » سرا
وعلاوة على ذلك زودت الفــوضوية الصــوفية للروح الحــــرة هؤلاء
الناس كما سلف لها ان زودت مرة الأدامايت البوهميين بمجمــوعة
قوانين مشـــتركة ، وبــادعاء ان كل شيء كان بحــق كان ملكا لهــم
وشكلوا انفسهم في عصابات سطو كانت تهاجم اماكن سكن النبــلاء
والكهنة وانتهت بممارسة الارهاب الصريح ، وفي المجموع دامت هذه
الحقبة اثني عشرة سنة حتى تم اعتقال المسيح واتباعه واعدامهم .

وبحرق ويلمسن في كليفز في ١٥٨٠ آن للقصة التي بـدأت مـع ايميكو أوف لننغن والملك طافور وتانشيلم وايون ان تصـل بشـكل مرضي الى نهايتها .

خاتمة

كيف كان وضع الحركات التي كنا بصدد دراسـتها في علاقتهـا بالحركات الاجتماعية (ص ٢٨١) الأخرى ؟

لقد حدثت في عالم حيث الثورات الفلاحية واعمال العصيان المدنية كانت شائعة جدا ، وعلاوة على ذلك كثيرا ماكانت ناجحة ، وكثيرا ماحدث ان الثورة والعصيان بين عامة الناس جعلتهم مفيدين جـدا وقت الحاجة : يفرضون التنازلات ، ويجلبون مكاسب راسخة مـن الرخاء والمزايا ، وفي النضال الشاق القديم جـدا ضـد الاضـطهاد والاستغلال لم يشغل الفلاحون والحرفيون مـن القـرون الوسـطى دورا خسيسا . ولكن الحركات الموصوفة في هذا الكتاب ليست بـأي طريقة نموذجية بالنسبة للجهود التـي بـذلها الفقـراء لتحسـين نصيبهم ، وكان المتنبـئون ينشـئون تقـاليديهم الرؤوية مـن المواد الاكثـر تنوعا ـ سـفر دانيال ، وسـفر الرؤيا ، ووسـطاء السبليندين ، وتأملات يواكيم فيور ، ومـذهب حـالة المسـاواة في الطبيعة ـ وجميعها مدروسة وقـد أعيد تفسـيرها وتبسـيطها الى مستوى الجمهـور ، فتلك المعـرفة وجـب أن يزود بهـا الفقراء ـ والنتيجة ستكون شيئا يكون في الوقت نفسه حركة ثورية وتفجرا لخلاصية ذات مظهر ديني .

ومايميز هذا النوع من الحركات ان أهدافها واولوياتها كانت بلا حدود ، ولم ير النضـال الاجتمـاعي كنضـال لأهـداف نوعية محدودة ، بـل كحـدث له اهـميـة فـريدة ، يختلف في نوعه عن كل الصراعات الأخرى المعروفة في التاريخ ، هو طوفان او جائحة يخرج منها العالم وقد تغير تماما واعتـق ، وهـذا هـو جـوهر الظـواهر

المتكررة ـ او اذا شاء الانسان ، التقاليد الباقية ـ التي اسميناها « الألفية الثورية » .

وكما رأينا مرات ومرات في مجرى هذا الكتاب ازدهرت الألفية الثورية فقط في بعض الحالات الاجتماعية المحددة ، وفي العصور الوسطى لم يكن الناس الذين راقت لهم اكثر لامن الفلاحين المتماسكين بثبات في حياة القرية والضيعة ولامن الحرفيين المتماسكين في نقاباتهم ، وكان نصيب مثل هؤلاء الناس من الدنيا لايتجاوز احيانا الفقر أو الاضطهاد ، وفي احيان أخرى الازدهار النسبي والاستقلال وكان هؤلاء ربما يثورون او ربما يقبلون بحالتهم ، ولكنهم اجمالا لم يكونوا ميالين لاتباع احد المتنبئين الملهمين في سعي محموم وراء الألفية ، وقد وجد هؤلاء المتنبئون اتباعهم او بالاحرى حيث وجد السكان (ص ٢٨٢) غير المنظمين المفككين ، والريفيين او المدنيين او كليهما ، وكان هذا بالصحة نفسها بالنسبة لفلاندرز و شمال فرنسا في القرنين الثاني عشر والثالث عشر كما كان بالنسبة لهولندا ووستفاليا في القرن السادس عشر ، وقد أظهرت البحوث الحديثة ان هذا صحيح ايضا عن بوهيميا في اوائل القرن الخامس عشر ، وقد استمدت الألفية الثورية قوتها من السكان الذين كانوا يعيشون على هامش المجتمع ـ الفلاحين بدون ارض ، او الذين لديهم القليل جدا منها لايكفي لمجرد الاعاشة ، وعمال المياومة والعمال غير المهرة الذين كانوا يعيشون تحت التهديد المستمر للبطالة ، والشحاذون والمشردون ـ وفي الحقيقة من جماهير الناس غير المنظمة الذين لم يكونوا ببساطة فقراء ، ولكن الذين لم يستطيعوا ايجاد مكان مأمون ومعترف به في المجتمع بالمرة ، وكان هؤلاء الناس يفتقرون الى المادة والدعم العاطفي الذي تعطيه المجموعات الاجتماعية التقليدية ، وقد تحللت مجموعات النسب الخاصة بهم ، ولم يكونوا منظمين بشكل منهجي للتعبير عن مظالمهم والتأكيد على مطالبهم ، وبدلا من ذلك كانوا ينتظرون متنبىء يجمع بينهم في مجموعة خاصة بهم .

ولأن هؤلاء الناس وجدوا انفسهم في مثل هذا الوضع المكشـوف والذي لايمكن الدفاع عنه فانهم كانوا ميالين للاستجابة بحـدة لأي تمزيق للنمط الطبيعي المألوف للحياة ومرات ومـرات يجـد المرء ان تفجرا ثوريا الفيا معينا قـد حـدث ضـد خلفية تنطـوي على كارثة : كالأوبئة التي كانت مقدمة للحملة الصليبية الأولى وحركات اللطـامين في ١٢٦٠ و ١٣٤٨ ـ ١٣٤٩ و ١٣٩١ و ١٤٠٠ والمجاعات التـي تقـدمت على الحملتين الصـليبيتين الأولى والثـانية ، والحـركات الصـليبية الشـعبية في ١٣٠٩ ـ ١٣٢٠ وحـركة اللطـامين في ١٢٩٦ والحركات حول ايون وبلدوين الزائف والارتفاع المذهل في الأسعار الذي تقدم على الثورة في مـونتسر ، وكانت اكبـر مـوجة للاثارة الألفية ، تلك التي حرضت المجتمـع كله ، قـد اتـى قبلهـا الكارثة الطبيعية الأكثر شمولا في العصور الوسطى ، واعني بـذلك الموت الأسود ، وهنا مرة اخـرى اسـتمرت الاثـارة في الطبيعـة الاجتماعية الأدنى فترة اطـول وعبـرت عن نفسـها بـالعنف وبالمذبحة .

ولكن الفقراء وعديمي الجذور لم يهتـزوا فقـط بهـذه الكوارث النوعية او الهيجان الذي اثر مباشرة على نصيبهم المادي ، بل كانوا ايضا حساسين بشكل غريب تجاه العمليات الأقل درامية وان كانت قاسية بالدرجة نفسها ، التي مزقت جيلا بعد جيل ، بالتدريج اطار السلطة الوحيدة التي كانت تحتـوي الحياة في العصـور الوسـطى وبطلباتها حياة كل الأفراد ، كانت هي سلطة الكنيسة ، ولكن سلطة الكنيسة لم تكن حتمية بلا مراجعة ، وقـدر بـكل تـأكيد لحضـارة اعتبرت الزهد اكثر العلاقات تـأكيدا للنعمـة ، ان تشـك في قيمـة الكنيسة(ص ٢٨٣)وصلاحيتها ، وهي المؤسسة التـي كان مـن الواضح انها مصابة بالبخل والترف ، وقد سببت دينونة الأكليروس مرات ومرات ، خلال النصف الثاني من العصور الوسطى ، نفـورا واستياءا بين العلمانيين وقد امتـد هـذا الاسـتياء طبعـا الى الفقراء ، ولم يكن هناك مفر من ان العديد من الذين كانت حياتهـم

محكوما عليها بالمصاعب وعدم الأمن ، سيشكون فيما اذا كان المطارنة والأساقفة الولوعون بالمباهاة ، والكهنة المستهدفون يمكن ان يساعدوهم حقا في الخلاص ، ولكن اذا كان هؤلاء الناس قد انسلخوا عن الكنيسة فانهم قد عانوا ايضا من انسلاخهم ، وظهر الى اي حد احتاجوا للكنيسة ، ظهر في الحماس الذي رحبوا به بكل علامة للاصلاح ولعدم اللهفة التي تقبلوا بها ، لابل حتى هاموا بكل تقشف حقيقي وازداد يأسهم ، وبسبب هذه الاحتياجات العاطفية للفقراء كانت الحركات النضالية الاجتماعية التي درسناها بالوقت نفسه بديلا عن الكنيسة ، وهذه كانت جماعات خلاصية قادها زهاد قاموا بأعمال اعجاز خارقة .

ومثلما امتلكت الكنيسة من سلطات هائلة تعلقت سلطات خارقة للطبيعة مثلها بالملكية الوطنية ، فقد كانت ملكية العصور الوسطى ماتزال الى حد بعيد ملكية مقدسة ، وكان الملك ممثلا للسلطات التي تحكم العالم ، وتجسيدا للقانون الأخلاقي والمشيئة الربانية وضامنا لنظام وصلاح العالم ، وهنا ايضا كان الفقراء هم الذين احتاجوا اكثر لمثل هذه الشخصيات . وعندما نقابل المتنبئين للمرة الأولى ، في الحملة الصليبية الأولى نرى انهم كانوا بالفعل قد اوجدوا ملكيات ضخمة من خيالهم الخاص ، شارلمان المبعوث واميكو اوف ليغنين الذي جعل امبراطورا ، والملك طافور ، وبالنسبة للفقراء كان اي انقطاع طويل ، او اخفاق ظاهر للسلطة الملكية يجلب كربا شديدا ، كانوا يناضلون للهروب منه ، وكان « الفقراء النساجون والقصارون » في فلاندرز هم الذين رفضوا قبول الموت في الأسر للكونت بلدوين التاسع ، والذين اصبحوا اكثرا اتباع بلدوين الزائف امبراطور القسطنطينية ، واستلهمت اول حشود الرعاة ، في ١٢٥١ امكانية انقاذ لويس التاسع من أسر العرب ، وفيما بعد بينما نوت الألفية الثورية في فرنسا مع زيادة هيبة الملكية ، عزز التراجع الطويل في المنصب الامبراطوري ، في المانيا عقيدة فريدريك مخلص الفقراء في الأيام الأخيرة ، فريدريك المبعوث أو المستقبل وكان آخر امبراطور ملك كل

هالة الملكية المقدسة هو فريدريك الثاني ، ومع موته والتمزيق المميت المعروف باسم فترة خلو العرش العظيمة ، ظهر هناك بين عامة الشعب في المانيا قلق كان له ان يدوم قرونا .

ونجد في سيرة فردريك الزائف في نويس في القرن الثالث عشر (ص ٢٨٤) وفي القصص الشعبية الامبراطورية التي تنامت حول كونراد شمد ، قائد اللطامين في القرنين الرابع عشر والخامس عشر ، وفي نبوءات ادعاءات ثائر الراين الأعلى في القرن السادس عشر ، نجد فيها جميعا شهادة لاتدحض على توفر الفوضى الدائمة والألفية الجامحة التي ازدهرت عليها .

وعندما يصل المرء في النهاية لوراثة مجموعات الألفية الشيوعية الفوضوية التي ازدهرت نحو نهاية العصور الوسطى ، يرى حقيقة واحدة تتضح امامه على الفور : لقد كان دوما ، يظهر وسط بعض الانتفاضات او الثورات الأكثر اتساعا ، في وضح النهار مجموعات الفية من هذا القبيل ، وهذه هي الحال بالذات مع جون بول واتباعه في ثورة الفلاحين الانكليز في ١٣٨١ ، وفي حركة المتطرفين خلال المراحل الأولى من ثورة الهوسية في بوهيميا في ١٤١٩ ـ ١٤٢١ وفي حالة توماس مونتزر و « عصبته من النخبة » في ثورة الفلاحين الألمان في ١٥٢٥ وهو صحيح ايضا بالنسبة للمتطرفين من القائلين بتجديد العماد في مونتسر ، فقد جاء تأسيس قدسهم الجديدة في نهاية سلسلة كاملة من الثورات ، لافي مونتسر فقط بل في كل الولايات الاكليروسية في شمال غرب المانيا ، وفي كل هذه الأمثلة كان العصيان الجماهيري نفسه موجها نحو اهداف محدودة وواقعية ، ومع ذلك في كل مثال كان مناخ العصيان الجماهيري يرعى نوعا خاصا من المجموعات الألفية ، ومع تصاعد التوترات الاجتماعية وشمول الثورة لكامل الأمة كان يظهر في مكان ما على حافة التطرف ، متنبىء مع اتباعه من العالة ، مع قصد تحويل هذا الهيجان الى معركة رؤوية ، وتطهير نهائي للعالم.

تانشليم وإيون قد ادعيا بأنهما ربــان حيان ، واميلكو ليننغــن وبلدرين الزائف ، والفرد ريكيون الزائفون المختلفون يدعون بــانهم اباطرة الأيام الأخيرة ، فإن رجالا مثــل جــون بــول ، ومــــارتن هسكا ، وتوماس كونتزر ، وحتى جان ماتيس ، وجــان بــوكلسن كانوا قانعين بأن يكونوا مبشرين وأنبياء للمسيح العائد. ومــع ذلك يمكن اجراء تعميم مؤكد حول المتنبيء كنمط اجتماعي ،فخلافا لقادة الثورات الشــعبية العــظمى ، الذين كانوا عادة مــن الفــلاحين أو الحرفيين ، نادرا ما كان المتنبؤن من العمال اليدويين أو حتى مــن العمال اليدويين الســالفين ، وفي بعض الأحيان كانوا مــن النبــلاء الصغار ، واحيانا كانوا ببساطة من الدجاجلة ، ولكن ما هو أكثــر شيوعا انهم كانوا من المثقفين أو أنصاف المثقفين ، وكان الكاهــن السالف الذي أصبح واعظا طليقــا أكثــر الأنمــــاط شــــيوعا بين الجميع ، وما اشترك فيه كل هؤلاء الرجال هو اطــلاعهم على عالم الرؤويات والنبوءات الألفية ، علاوة على ذلك إنه كلما أمــكن تتبــع سيرة واحد منهم نجــدها تتحــول الى اســتحواذ للتخيلات الألفية عليه ، قبل وقت طويل ، قبل أن يخطر في باله في ابان بعض الهيجان الاجتماعي ، أن يتحــــول الى الفقــــراء بــــاعتبارهم اتبــــاع ممكنين(ص ٢٨٥)٠

ويمتلك المتنبي عادة مؤهلات أخرى: جاذبية شخصية تمكنه مــن الادعاء ، مع بعض الجدارة الظاهرية ، بدورها في جلب التاريخ الى مرحلة الاكتمال المحددة . وكان هذا الادعاء من جانب المتنبيء يؤثر بعمق في المجموعة التي تتشكل حوله . لأن ما كان المتنبيء يقدمه الى اتباعه لم يكن ببساطة فرصة لتحسين نصيبهم ، والهرب مــن القلق الضاغط ، بل كان ايضا وفوق كل شيء الأمل في تنفيذ مهمة مقــدرة من السماء ذات اهمية فريدة في ضخامتها ، وقد أدت هذه التخيلات دورا حقيقيا لهم ، كمهرب من حالتهم المعزولة المشــتتة وكتعــويض عاطفي عن حالتهم المقنطة ، لهذا كانت بسرعة تســحرهم بــدورهم وتدمجهم فيه ، وما ظهر في حينه كان مجموعة جديدة: ديناميكية غير مستقرة ، ومجموعة قاسية تمــاما ، اســتحونت عليهــا التخيلات

الرؤوية وشحنتها بالاعتقاد في عصمتها الخاصة ، فوضعت نفسها بمهمتها المفترضة ، واخيرا قد تنجح هذه المجموعة مع أن هذا ليس دائما في فرض قيادتها على الجماهير العريضة المشوشة ، المرتبكة والخائفة.

والقصة المروية في هذا الكتاب انتهت منذ نحو أربعة قرون ماضية ، ولكنها ليست غير ذات موضوع بالنسبة لزماننا ، فلقد اظهر الكاتب الراهن في عمل اخر كيف كانت التخيلات النازيةحول المؤامرة اليهودية للتخريب التي تشمل العالم كله مرتبطة باحكام بالتخيلات التي الهمت افيكواوف ليننفن و استاذ هنغاريا ، و كيف ان التشوش الجماهيري ، و عدم الأمن قد عزز الدور الشيطاني لليهود في هذا كما في قرون كثيرة سلفت ،فالتماثل و الاستمرار في الحقيقة محقق قائم .

ولكن المرء قد يفكر ايضا في ثورات الجناح اليساري والحركات الثورية لهذا القرن ، لأنه تماما مثل حرفيي القرون الوسطى الموحدين في نقاباتهم ، أظهر العمال الصناعيون في المجتمعات المتقدمة تقنيا انهم متلهفون جدا لتحسين احوالهم الخاصة ، فلقد كان هدفهم العملي البارز هو ضمان حصة اكبر من الرخاء الاقتصادي أو المزايا الاجتماعية ، أو السلطة السياسية ، أو أي جمع بينها ، ولكن التخيلات المشحونة بالانفعالات عن الصراع الرؤوي الأخير ، او الفية المساواة ، كان لها جانبية أقل بكثير بالنسبة لهم ، واولئك الذين انبهروا بمثل هذه الأفكار ، هم من جانب اول افراد مجتمعات معينة متخلفة تقنيا ، وهي ليست فقط مكتظة بالسكان وفقيرة الى درجة تدعو لليأس ، بل انها ايضا منهمكة في تحول اشكالي نحو العالم الحديث ، وهم بالتالي مشوشون ومضطربون ، ومن جانب أخر هم عناصر معينة هامشية سياسيا في المجتمعات المتقدمة تقنيا ، وبشكل رئيسي من العمال الشباب العاطلين واقلية صغيرة من المفكرين والطلاب.(ص ٢٨٦).

ويمكن للمرء أن يتبين نوعين من الميول المميزة تماما والمتضادة ، فمن جانب كان الناس العاملين في أجزاء معينة من العالم قادرين على تحسين نصيبهم بعيدا عن كل تمييز ، عن طريق وساطة اتحادات العمال والتعاونيات والأحزاب البرلمانية ، ومن جانب آخر خلال ثلاثة أرباع القرن منذ ١٩١٧ كان هناك تكرار مستمر ، وبنسبة متزايدة دوما ، للعمليات الاقتصادية ـ الاجتماعية التي ربطت مرة بين كهنة الطابوريين أو توماس مونتزر والفقراء الأكثر ضياعا ويأسا ، في التخيلات حول الصراع المدمر ضد « العظماء » ، وحول عالم كامل تنتفي منه الرغبات الذاتية والأنانية الى الأبد.

وإذا ما نظر المرء في اتجاه مختلف نوعا ما ، يمكنه أن يجد حتى نسخة حديثة من هذا الطريق البديل الى الألفية في ديانة الروح الحرة ، لأن مثل الانعتاق الكلي للفرد من المجتمع ، وحتى من الحقيقة الظاهرية نفسها ، مثل إذا أراد الانسان القول :نهدف لتأليه الذات التي يحاول بعضهم في هذه الأيام تحقيقها بمساعدة المخدرات النفسية والفعلية ، يمكن التعرف اليها في تلك الصورة المنحرفة لصوفية العصور الوسطى.

لقد استبدلت اللهجة الدينية القديمة بأخرى دنيوية ، وهذا يميل الى أن يعمي ما هو واضح من نواح أخرى ، لأنه بتعرية حقيقة الصدق البسيطة من قداستها الهائلة ، نجد أن الألفية الثورية والفوضوية الصوفية ما زالت معنا.

ملحق

الروح الحرة في انكلترا كرمويل.الصخابسون وادبهم.

لقد كان(ص ٢٨٧) من المؤكد كثيرا اننا لا يمكن أن نعرف شيئا عن المعتقدات الحقيقية لأخوة الروح الحرة ، أو الأحـرار الروحيين طالما أن معلوماتنا تأتي من خصومهم ، فهل كان الاتباع يعتبـرون انفسهم حقا كائنات الهية ؟ هل كانوا يعتقـدون حقـا أنه يمـكنهم ارتكاب القتـل ، والسـطو ، والزنا دون خـطيئة ؟ أو انهـم لم يكونوا ، وبالأحرى كانوا ببساطة يمـارسون النوع السـلبي مـن الصوفية الذي أصبح يعرف فيما بعد بالطمأنينة الصـوفية ؟ وهـل القصص الفاضحة التي تروى عنهم مجـرد قـذف مقصـود أو غير مقصود ؟

إن الأدلة الواردة في الفصلين الثـامن والتـاسع مـن الدراسـة الراهنة يجب أن تمضي بعيدا لتبدد مثل هـذه الشـكوك ، ومـا يزال صحيحا أن الاتهامات المثارة ضد هذه الطـوائف لا يمـكن التحقـق منها بالتفصيل الا في مواجهة كتاباتهم الخاصة ، وللوصول الى مثل هذا التأكيد ، من الضروري النظر الى الاحياء القصـير الأمـد لكن المحموم « للروح الحرة » الذي حدث في انكلترا أثناء وبعـد الحـرب الاهلية ، ومثل أسلافها كانت كتابات الطائفيين الانكليز الذين كانوا يعرفون بالصخابين ، قد أمر بحرقها ، لكن انه لأصعب بـكثير أن تدمر طبعه كاملة من عمل مـطبوع مـن أن تـدمر بضـع مخطوطات ، وهكذا نجد نسـخ متناثـرة مـن رسـائل الصخابين ، وهذه الأعمال التي لم يتكرر طبـاعتها مـن قبـل قـد أصبحت ذات أهمية كبيرة ، وبالنظر اليها كوثائق تـاريخية تـرسخ بدون أدنى شك أن « الروح الحرة » كانت حقا وبـالضبط كمـا قيل عنها : نظام من الشعور الذاتي بالأهمية والقوة كثيرا مـا بلغ حـد

تأليه الذات والسعي وراء الانعتاق التام الذي في التطبيق يمكن أن يؤدي الى تناقض المبادىء وتحلل كامل منها ، ولا سيما في الشق الفوضوي ، وكثيرا أيضا ما بدا كمذهب ثوري اجتماعي شجب أعراف وقوانين الملكية الخاصة وهدف الى ابطالها ، ولكن أهمية ادب الصخابين ليست تاريخية فقط ، فإذا كانت الخصوصية الأسلوبية عند ابيزركوب(ص ٢٨٨) ونبضه الحيوية كافية لتكسبه مكانا مشرفا في رواق الادبيات الشاذة ، فإن جوزيف سالمون يستحق بالتأكيد الاعتراف به ككاتب ذو قدرات شعرية حقيقية.

وبفضل كل الأعمال التي جرت حول الحياة الدينية والاجتماعية في انكلترا كرومويل ليس هناك نقص في المعلومات المتعلقة بالوسط الذي ازدهر فيه الصخابون ، ومن المعروف جيدا أنه خلال وبعد الحرب الأهلية كانت الاثارة الدينية عالية سواء بين الجيش أو بين المدنيين ، وأنه لا أعضاء الكنائس البروتسنتية الأسقفية ولا أعضاء الكنائس البروتستنتية المشيخانية كانوا قادرين على تأطير فيض تدين العامة . وشعر عدد كبير أن الوقت قد حان كي يصب الأب روحه في كل اللحم البشري ، وكان التواجد والغيبوبة حادثة يومية ، وكانت النبوءات تلقى فوق كل الأراضي ، والآمال الألفية وافرة بين السكان ، وتأثر كرمويل نفسه ، بشكل خاص قبل أن يتولى السلطة بمثل هذه الآمال عظيما وكان آلاف الجنود في النمط الجديد من الجيش وآلاف الحرفيين في لندن والمدن الأخرى يعيشون في توقعات يومية أنه من خلال عنف الحرب الأهلية ستقوم مملكة القديسين فوق التربة الانكليزية ، وأن المسيح سينزل ليحكمها.

وكانت الاثارة أشد ما تكون خلال فترة عدم الاستقرار السياسي والقلق التي تلت اعدام الملك و استمرت حتى اقامة حكومة الوصاية. و في ١٦٤٩ ـ ١٦٥٠ تأثرجيرارد ويذستانلي بالالهام فوق الطبيعي ليؤسس المجتمع الشهير « للحفارين » قرب كوبهام في سورى ، مقتنعا بأن العالم القديم يتلف كما يتلف الورق الاحتراق في النار ويتلاشى ، وحاول ويذستانلي أن يعيد الجنس البشري الى

حالته البكر وهـــي الفية بـــدائية ليس فيهـــا مـــكان للملكية الخاصة ، والتمييز الطبقي والسلطة البشرية وفي الوقت نفسه كانت مجموعات من المتحمسين الدينيين تتضاعف بكثرة ، وكمـــا لاحـــظ واحد من ناشري المنشورات في ١٦٥١ معبـــرا عن دهشـــة إنه ليس عملا جديدا للشيطان أن يبذر الهرطقة و أن يربي المهرطقين ، لكنهم لم يتناموا قط بمثل هـــذه الكثـــافة كمـــا حـــدث في الأزمنة الأخيرة هذه :لقد كانوا ميالين لأن يظهـــروا واحـــدا واحـــدا و لكنهـــم الآن يتدفقون على شكل حشود و خلايا (كالجراد من حفرة لا قرار لها) ، و هـــم يأتـــون الآن في زحـــام علينا في أسراب ، مثـــل يسروع ابجيبت Agypt و الهرطقة التي كانت بشـــكل خـــاص في ذهن هذا الكاتب كانت هرطقة الصـــخابين،هؤلاء الناس الذين كانوا يعرفون أيضا «بنوي التحصـــيل العـــالي» و البـــرفسورات رفيعـــي المستوى » ، و قد أصبح عددهم كبيرا جدا في حوالي ســـنة ١٦٥٠ ، و كان بعضهم يمكن أن يوجد في الجيش ، فيسمع المرء عن ضـــباط يطردون او يجلدون علنا ، أو عن جندي جلد في مـــدينة لندن بســـبب « الصخب ».و كان هناك أيضا مجموعات من الصخابين مبعثرة في كل انحاء البـــلاد ، و فـــوق كل شيء لقـــد كثـــروا في لندن حيث كانوا يعدون بالألوف و غالبا مـــا كان « المزلزلون » الأوائل مثـــل جـــورج فوكس(ص ٢٨٩) و جيمس نايلر James nyler و اتباعهما على صلة بالصخابين.

وكان المراقبون من الخصوم مثل الاسقفيين والمشيخيين يقتربون احيانا من تشبيه المزلزلين بالصخابين ، لأن كليهمـــا على الســـواء كانا ينبذان المظاهر الخارجية للدين ، و كانا يريان الدين الحقيقـــي فقـــط في « الروح القـــاطنة في الداخـــل » في نفس الفـــرد ، و كان المزلزلون انفسهم مع ذلك يعتبرون الصخابين أرواحا خاطئة يجـــب هدايتها ، و لجورج فوكس فقرة غريبـــة حـــول لقـــائه الأول مـــع الصخابين في السجن في كوفنتري في ١٦٤٩ ، إذ كتب :

« عندما دخلت السجن ، حيث كان السجناء . صدمتني قوة الظلام ، و جلست في سكون ، مستجمعا روحي في محبة الرب .

وأخيرا بدأ هؤلاء المساجين يصخبون ويتبجحون و يجدفون الأمر الذي جعل نفسي تتمزق بشـــدة ، لقــد قـــالوا إنهــم الرب ، و لكن لم نستطع تحمل مثل هذه الأشياء ..... ثم بروية أنهــم يقــولون إنهــم الرب ، سألتهم إذا كانوا يعرفون إذا ما كانت ستمطر غدا ؟
فقالوا إنهم يستطيعون القول بذلك ، فقلت لهم إن الرب يمكنه أن يقرر ذلك ..... و بعد أن أنبتهم على تجديفهم و كفرهم ابتعدت عنهم لأني أدركت أنهم كانوا من الصخابين ».

لقد رأى فوكس العديد من الصخابين في ١٦٥٤ ــ ١٦٥٥ مع أن نفوذهم في ذلك الوقت كان يتناقص بسرعة ، وفي اجتماع مشـــترك للمعمدانيين والمزلزلين والصخابين في سونـفتون في ليسترشير وجد أن الصـــخابين « كانوا أجـــلافا جـــدا ، وكانوا يثيرون البســطاء ضدنا ، وأرسلنا نستدعي الصخابين ، لنعرف ربهم ، وجـــاء جمــع غفير منهم وكانوا عنيفين جدا ، وغنوا وصـــفروا ورقصـــوا ، ولكن قدرة الرب أخزتهم ، حتى أن عددا كبيرا منهــم أصـــبحوا مـــؤمنين مقتنعين » وفي اجتماع مماثل في ريدنغ دحض فـــوكس مـــرة أخـــري مزاعم الصخابين ، وعندما كان في الســـجن في شـــيرنغ كروس زاره الصخابون ، الذين صدموه بطلب الشراب والتبغ ، وفي وصفه لهـــذه الحادثة يقول : كانت تقاليد عقيدة الروح الحـــرة تـــظهر في صـــورة شعارات . « وصاح أحدهم :الكل لنا » وقال آخر « الكل حسن » .
وفي هذه المرة أيضا كان فوكس قادرا على إدخال القـــرف على هؤلاء الناس . وفي وقت متأخر يعود إلى ١٦٦٣ كانت مناسبة تفجع فيهـــا لأن الصخابين كسبوا لطائفتهم إثنين من المزلزلين ، « هرب أحدهم تماما ، وتبرأ منه رفاقه » مع أن الثاني « عوفي وعاد إلى مـــذهبه ، وأصبح فيما بعد نافعا » . ومن المؤكد أن كثيرا من الصـــخابين قـــد أصـــبحوا مـــن المزلزلين ، وكان بعض المعـــاصرين مقتنعين بـــأن الأصدقاء فقط ، هم الذين يحتمل أنهم اســـتطاعوا الســـيطرة على مادعاه ويتستانلي نفسه « قوة الصـــخب ... الوحش المفتـــرس » .
وفي ١٦٥٢ قال رجل يدعى جستيس هوثان لفوكس : « لو أن الرب لم يرفع هذا المبدأ القائل بـــالضوء والحياة ، الذي كان (فـــوكس)

يبشر به ، لتم اجتياح الامة من قبل الصخب والصخابين ، ولعجزت كل عدالة في الأمة عن وقفها بكل قوانينها ، لأنهم (كما قال) كانوا (ص ٢٩٠) سيقولون كما قلنا ، ويفعلون كما امرنا ويحتفظون مع ذلك بمبادئهم ، ولكن مبدأ الحقيقة هذا ـ كما قال ـ سيسقط مذهبهم ، سيجتث الجذر والأساس لذلك المصدر ... » وإنه لحق أنه مع تنامي حركة المزلزلين كانت حركة الصخابين تنكمش ، حتى أنه في نهاية الوصاية لم يعد لها اي اهمية وفي هذا الملحق جمعت المواد المتعلقة بالصخابين كما يلي :

١ ـ الصخابون كما وصفهم معاصروهم .

٢ ـ اقتباسات من كتابات الصخابين .

١ ـ الصخابون كما وصفهم معاصروهم

(١) اصبحت المذاهب المرتبطة بالروح الحرة معروفة في انكلترا بحلول ١٦٤٦ وهذا مبين في الطبعة الثانية (الموسعة) لتوماس ادواردز « غنغرينا ،أوبيان ممارسات خاطئة لطوائف هذا العصر من الهراطقة والمجدفين والمتحللين التي وقعت في انكلترا في السنوات الأربعة الأخيرة ١٦٤٦ » (ص ٢١) وما بعدها ، ومع أن ادواردز من المشيخيين وخصما مرا لكل المستقلين ، فليس هناك أساس للشك في دقة هذه الرواية :

« .... كان كل مخلوق في أول حالات الخليقة هو الرب ، وكل مخلوق رب ، وكل مخلوق من ذي حياة ، ونفس هو دفقة من الرب ، وسيعود إلى الرب مرة أخرى ، وسيبتلع فيه كالقطرة في المحيط .... إن كل إنسان يعمد بالروح القدس يعرف كل الأشياء ، كما يعرف الرب كل الأشياء ، وهذه نقطة هي سر عميق ومحيط عظيم ، حيث لايصل إلى غورها لامرساة ولامسبر ... وإنه إذا عرف المرء نفسه بالروح هو في حالة نعمة وإن اقترف القتل أو السكر ، فالرب لايرى فيه خطيئة .... إن كل الأرض هي للقديسين ، ويجب أن يكون هناك

مشاركة في السلع ويجب أن يكون للقـديسين حصـة في الأراضي وفي ضيع السادة والأغنياء .... إن الرب الاب قد حكم في ظل الشريعة ، والرب الابـن في ظـل الانجيل والآن يقيم الرب الأب والرب الابـن المملكة للرب الروح القـدس وسـتحكم وسـتنصب في اللحـم .... وسـيكون هناك خـلاص عام ، حيث يذعن الناس جميعـا للرب وينجون ، وفقـط الذين يؤمنون الآن ، وكانوا قـديسين قبـل هـذا الخلاص سيكونون في أعلى منزلة ثم أولئك الذين لايؤمنون .....

ويمكن ان أربط أيضا أخطاء أخرى رويت لي ولغيري مـن قبـل اناس متفهمين أمناء ، وانشـقوا (ومـن المحتمـل انهـم كانوا صادقين) مثل أنه .... إذا تأثر إنسان بقوة بفعل الروح ليقتل ، أو ليرتكب الزنا الخ ، وعلى الرغم من الصلاة ضد ذلك مـرات ومـرات استمر على هذا وظل متمسـكا متشـبثا بقـوة فليفعـل ذلك .... » (ص ٢٩١)

(٢) دون ريتشارد باكستر وكان كاتبا جـادا ومسـؤولا مـن المتطهرين المقـدسين ، ذكرياتـه عن الصـخابين في سـيرته الذاتية « أثار باكسترية ، ١٦٩٦ » وقـال في (ص ٧٦ ـ ٧٧) : ... الصخابون ... جعلوا من مهمتهم .... أن يثيروا الطبيعة ، تحت اسم المسيح في الانسان ، وأن يهينوا وينتقصوا من قدر الكنيسـة ، والكتاب المقدس ، والكهنوت القائم وكذلك عبادتنا وطقوسنا الدينية ولاسيما سر العشاء الربـاني وقـد دعوا الناس إلى الاصـغاء إلى المسيح في داخلهم : ولكنهم برغم ذلك تبنوا مذهبا ملعونا في التحررية سمح لهم بكل فحش ومنقصـة بغيضـة في الحياة : وقـد بشروا أن الرب لاينظر إلى الأعمال الظاهرة للانسان ، بل إلى القلب وهذا إذا كان طاهرا ، فكل الأشياء طاهرة (حتـى الأشـياء المحـظورة) : وهكذا بناء على ما سمح به الرب تفوهوا بأبشع كلمـات التجـديف وارتكب كثير منهم الدعارة بصورة مشتركة ، إلى درجة أن المرأة من ذوات المقام الرفيع والأهمية لتقاها ورصانتها قد أفسدوها ، وأخذت تتحول بلا حياء إلى عاهرة تتجول في عربة في شوارع لندن .

ولم تضم في العالم على الاطلاق طـائفة اعلى تحـذيرا لاسـاتذة الدين ليكونوا اذلة خائفين ويقظين : ولايمكن أن يكون العـالم قـد اخبر بصوت اعلى في أن الاعتـداد الروحـي للرهبـان الذين بـلا اساس ، ضعيف وأن أساتذة التزمت في الدين يمكن أن ينجـرفوا في تيار الطوائف والأنماط السائدة : فلقد رأيت بنفسي رسائل مـكتوبة من ابنغنون حيث تفشت العدوى بين الناس والجنود على السواء في حينه ، وكانت هذه الرسائل مليئة بأيمان مـروعة ولعنات وتجـديف لاتصلح أن يعيدها لسان أو قلم الانسان ، وهذه كلها تتداول كنتيجة للمعرفة ، وكجزء من ديانتهم في انفعال متعصب ، وتنسـب إلى روح الرب ،

(٣) والرواية الفريدة في قوتها عن عقيدة الصـخابين مـوجودة ضـمن مـوعظة حـول سـفر الرؤيا : ١٢ / ٢ ـ ٣ . كورنثوس : ١١ / ١٤ والذي قام بالوعظ به عضو في الكنيسة الأسقفية البروتستنتية وهو ادوار هايد دكتـور باللاهوت « عجب ولاعجب أيضا : تنين عظيم في السـماء ١٦٥١ » (ص ٢٤ ـ ٣٥) وما بعدها :« واخيرا إن التنين في السماء ، هو التنين بادعاء مسرة وشـيكة ، وعالية بـالرب في الروح وهـو تعبير مجازي عن الكتابات المقـدسة ، وعليه ينفـي الرسـالة مـن ذلك المصدر ... يقول بعضهم لاشيء غير نظيف بالنسبة لنا ، وليس هناك خطيئة ، ويمكننا أن نرتكب أي خطيئة ، لأننا نقدر انه لايوجـد شيء غير نظيف ولكن بالنسبة للفاعلين هي خطيئة ... فنحن طاهرون كما يقولون ، وعليه فكل شيء طاهر بـالنسبة لنا ، الزنا والفسـق الخ ، إننا غير مدنسين .... بل مؤمنين وكذلك كل شيء طاهر بالنسبة لنا ، ولكن أولئك الذين لايؤمنون أن افكارهم وضمائرهم ملوثـة .... إن الرب يفعـل كل شيء .... فإذا كان الرب يفعـل شيء فهـو على هـذا يعتـرف بـالذنب ويفعـل الشر ، ولاشيء هناك إلا ويفعله ، والشر يفعله .... وإذا كان الرب هو كل شيء ، فهو الخـطيئة والشر ، وإذا كان كل شيء فهو ذلك الكلب ، وذلك الغليون ، وهو أنا وأنا هو كمـا سمعت بعضهم يقول ....

إنهم أرباب مؤكدون لامحدودون وأقوياء كالرب ذاته ، وانهــم في مجد وجلال وشرف وقوة بــدرجة مســاوية مثــل الرب الحقيقـــي (ص ٢٩٢) أو المجد الأبدي يســكن فيهــم ، وليس في أي مــكان أخر ، ولاشيء مثل صلاح وقدسية الرب ، وان الشر فيهــم وأعمــال عدم النظافة والأيمان الوثنية والسكر والقذارة والبهيمية المشــابهة ليست غير مقدسة أو محظورة في الكلمة ، وان هذه الأعمــال فيهــم وغيرها يقرها الرب ، وإن مثل هــذه الأعمــال والأشــخاص الذين يرتكبونها كالرب : وأن أعمال إنكار الرب والتجديف والكفر بــالرب أو قدسية وصلاح الرب وأعمال لعن الرب والقســم الوثني والكاذب باسمه وأعمال الكذب والسرقة وخــداع الناس والاحتيال عليهــم ،
وأفعال القتــل والزنا بــالمحارم ، واللواط الدنس والســكر (كذا) والكلام البذيء الداعر ليست في ذاتها أشياء شريرة مخزية آثمة عاقة رديئة بغيضة في أي شــخص : وأن أفعــال الزنا والســكر والحنث باليمين وأشباهها من الشرور الظاهرة ، هي في طبيعتهــا الخــاصة بالقدسية نفسها والصلاح مثل واجبات الصلاة وصلاة الشكر ، وأن كل مايفعلونه سواء كان بغاء أو زنا أو سكر أو ماشابه يرتــكب دون إثم ، وأن مثل هذه الأفعال يقوم بها الرب الحق ، أو جــلال الرب ، أو الخلود الذي فيهم : وأن الجنة وكل السعادة تشمل في فعــل هــذه الأشياء التي هي شر وإثم وأن هذا هو إثم كمال ، وأشــبه بــالرب والخلود ، الذي يفعل أكبــر الكبــائر دون أقــل ندم أوخجــل ، وأنه لاوجود حقا وصدقا لشيء مثل صلاح واثم ولكنه حسبما يحكم الرجل والمرأة في ذلك ، وأنه لاجنة ولاجحيم ولاخلاص ولالعنة وهذه كلهــا واحدة والشيء نفسه وأنه لاتمييز بينها أو بين النور والظلمة ، وأن العقل هو الرب ، وأننا لن نحصل على السلام والهــدوء في أرواحنا حتى نملك حرية الدعارة والسباب وما شابه : وإن الانســـان يؤله ، وأن الروح بعد موت الانســـان تــذهب إلى كلب أو قــط ، وأن الرب يؤمن بــالرب ، وأن كل النســاء في الدنيا مــاهي إلا امــــرأة وزوج متحدين (كذا) حتى أن رجلا واحدا قــد يكون مــع كل النســـاء في الدنيا لأنه زوجهن في وحدة الخ (كذا) .

(٤)إن كثيرا من رسـائل الجـدل كانت مـوقفة فقـط على الصخابين وواحدة منها وهي من نتاج رجل يدعو نفسـه « شـاهد عيان » يعطي بنبرته وتنظيمه الدقيق انطباعا جديرا بـالثقة التـامة بعنوان : « دخان جون هولاند ، من الحفرة التـي لاقـرار لهـا أو كشف اكثر صـحة واكتمـالا لمذهـب أولئك الناس الذين يسـمون انفسهم الصخابين ، أو الطاقم المجنون ١٦٥١ » (ص ٦) :

كلمة إلى القارىء المسيحي

« .... لتنشر في العالم ، ماهو اكثر واسوأ من التجديف الالحادي لهؤلاء الناس ، وليس هـذا بهـدف (الله يعلم) جعـل هؤلاء الأشـخاص بغيضـين لكل الناس او على الأقـل إثـارة الناس لاضطهادهم بصراحة لأجل أحكامهم ، لأني عندما أفكر فيما يقـوله الكتاب المقدس ، أجد أنهـا (ص ٢٩٣) ليسـت طـريقة الرب في التعامل مع الخصوم الروحيين بأسلحة جسدية ... »

.... فيما يتعلق بالرب

« إنهم يتمسكون بأن الرب بشكل أساسي هـو كل مخلوق ، وأن هناك من الرب العديد في كل مخلوق ، بقدر مـا في الآخـر ، مـع أنه لايظهر نفسه في واحد كما في الآخر : لقد رأيت هـذا التعبير في أحـد كتبهم ، أن جوهر الرب كان في ورقة اللبلاب بالقدر نفسه الذي يكون فيه أكثر الملائكة عظمة ، وسمعت أخر يقول ، إن جوهر الرب كان في هذا اللوح بالقدر نفسه الذي هو به في السماء ، ثم يضع يده على لوح من خشب الصـنوبر ، وإن الجميع يقـولون أن لاإله أخـر إلا الذي فيهم ، وأيضا في كل الخليقة ، وإن الناس يجـب أن لايصـلوا وأن لايلتمسوا ربا أخر سوى الذي فيهم . والالقاب التـي ينعتـون بهـا الرب هي : أنهم يدعونه الكائن ، الكمال ، الحرَكة الكبرى ، العقل ، الضخامة ، وسمعت رجلا يقسم بـأنه إذا كان هناك أي رب على الاطلاق فإنه هـو وحـده ، فقلت له : إن الرب كان يعـرف كل شيء

ويفعل كل مايريد وانت لاتستطيع ، وعليه فانت لست ربا . ولكن ملحدا : آخر اجاب إنه ليس الرب ، لكنه رب ، لأن الرب فيه وفي كل مخلوق في الدنيا .... »

.... فيما يتعلق بالروح

« إنهم جميعا يؤكدون انه ليس هناك سوى روح واحدة في العالم ، وأن تلك الأسماء ، من روح طيبة ، وروح شريرة ، مجرد خيال وأداة رعب لتخويف الناس وكذلك علموا ، وأنهم فقط تحت تعليم هذه الروح ، وأن كل تعاليم أخرى سواء بالكتاب المقدس أو خلافه لافائدة فيها لهم .

وقال احدهم على مسمع مني إنه لاحاجة له في قراءة الكتاب المقدس أو سماع المواعظ ، لأن الآب والابن والروح كلها كانت فيه ، وهذا كما قال يمكنه اثباته ، ولكن افضل حججه لم يكن لها سلطان في رأيي .. »

.... فيما يتعلق بالزواج

« إنهم يقولون أن تقيد الرجل بامرأة واحدة ، أو امرأة واحدة برجل واحد ، هو ثمرة اللعنة ، ولكنهم يقولون إننا قد تحررنا من اللعنة ، وعليه فإنها حريتنا أن نستفيد من كل مانريد ... وهذا الراي يستدلون عليه من هذه الكلمات من الرب إلى حواء إن رغبتك ستكون لزوجك »

...فيما يتعلق بوصايا الرب

« انهم يقولون ان كل وصايا الرب في كلا العهدين القديم والجديد هي من ثمار اللعنة ، وان كل الناس وقد تحرروا من اللعنة ، قد اصبحوا ايضا احرارا من الوصايا ، ويقول اخرون ان كل الوصايا

- ١٨١٢ -

هي ان تجعل الناس يعيشون في الرب والرب فيهم ، ويقولون اننا نعيش في الرب والرب يعيش فينا . وعليه فنحن فوق كل الوصايا ايا كانت، واكثر من ذلك يقولون ان ارادة الرب هي ارادتنا وارادتنا هي ارادة الرب وهم يقولون ان ارادة الرب هي شريعته ، لانه احيانا يأمر الناس بالقتل والسرقة والكذب ، وفي اوقات اخرى يوصي بالعكس ويستنتجون من ذلك اننا نحن الذين نعيش في الرب والرب يعيش فينا فلماذا لانفعل الشيء نفسه ؟ واذا كان اثما ان نقتل ، او نسرق ، او نكذب ، فان الرب هو الفاعل ، لانهم يقولون ، انها ارادته ان نفعل تلك الاشياء ، وبقدرته يتم فعلها ...».

...فيما يتعلق بالسماء والارض

« انهم يعلمون انه لاجنة ولاجحيم سوى مافي الانسان ، وان اولئك الناس الذين يرون ان الرب في كل شيء ، وان ارادته تنفذ من قبل كل الناس ، مع انهم لايفعلون ذلك بأذى ، ولايخشون اي غضب من الرب ، فانه يمكنهم تماما دون قمع من ضمير ارتكاب كل اثم كما ندعوه ويرون في انفسهم انهم فوق اي قانون وكل الوصايا (كذا) . وان اولئك الناس في الجنة ، والجنة فيهم ، ولكن اولئك الناس الذين لايمكنهم ان يروا ، وان يؤمنوا بهذه الاشياء هم في الجحيم ، والجحيم فيهم ، ولقد رأيت رسالة كتبها احدهم الى صديق له ، ولكنها لم تصل الى يده ابدا ، وفي اسفل الرسالة كتب هكذا، من الجنة والجحيم او من ديتفرت ، في اول سنة لترويض نفسي بنفسي . »

حاشية

« ايها القارىء اني لم اتبع تلك الطريقة النظامية التي كان يجب ان اتبعها ، غير اني كتبت حكم هؤلاء الناس بطريقة مشوشه ، ولكني اعترف ، في حضرة الرب المطلع على كل القلوب ، اني لم افعل خطأ

في امر حكمهم ، الا في الامساك عن إعادة سبابهم الدموى ولعناتهم ومن اجل هذه الاساءة آمل من اولئك الذين يخافون الرب حقا ان يسامحوني ووداعا ».

(٥)يبدو ان موضوعية الصخابين احيانا قد بلغت حد التهور غير العادي . ولصموئيل فيشر ، وهو معمداني وتحول فيما بعد الى المزلزلين بعض التعليقات الرائعة حول سرعة تفجرهم وتقلبهم ، « في تعميد الاطفال طفولة مجردة ، او عدم الاجابة على احد في خمس كلمات ، لكل من يجد نفسه مهتما بها ، ١٦٥٣ »(ص ٥١٦) « لقد تخليت عن قراءة (الكتاب المقدس) ومنعت الاخرين ايضا عن قراءته على انه غير مفيد كغيره في حينه من الكتابات التي من اختراع الانسان والتي تبقي العالم في خوف حتى يمكنهم ان يستمتعوا بتلك الحرية (اسم مستعار للترخيص بالفسق والرغبات الجسدية ، التي سمحت بها ونشدتها) وهذا جعلك مثل ديك الطقس ، ومثل بذر بلا ماء ، ومثل نجم هائم ، وكسحابة تتأرجح جيئة وذهابا مع العاصفة ، لانه لم يكن لديك قاعدة ثابتة لتتوجه بها ، والى من تتكلم او تنتبه وتبالي ، ولتذكرك وتثبتك في اي نقطة واحدة ، سوى الخيالات المتنوعة التي تصفر ، والتلفيقات الحمقاء للعقل الهوائي الذاتي والروح القلقة غير المستقرة ».

(٦)وقد اظهر البرلمان قلقه الكبير من انتشار مذهب الروح الحرة ، وهناك دلالات على هذا القلق في وقت مبكر يرجع الى ١٦٤٨، واخيرا في ١٤ حزيران ١٦٥٠ عين المجلس لجنة للتفكير في طريقة لقمع الممارسات الفاسقة الداعرة (ص ٢٩٥)العامة التي يقوم بها اشخاص تحت دعوة الحرية او الدين او خلافهما ، و بعد ذلك باسبوع وضعت اللجنة تقريرا عن الممارسات البغيضة العديدة لطائفة تدعى الصخابين ، واعطيت تعليمات لاعداد مشروع قانون لقمع ومعاقبة هذه الاراء البغيضة والممارسات » وفي ٢٤ حزيران و ٥ تموز و ١٢ تموز و ١٩ تموز ناقش المجلس مشروع القانون المعد وأقره في ٩ اب ، وفي تشرين

الثاني التالي تم احياء لجنة لدراسة معلومات جديدة حول الصخابين في ايلي ودور ستشير .

وتنص المواد المتعلقة من قانون ٩ اب ١٦٥٠ ، حول « عقوبة الاراء التجديفية والالحادية والمروعة » مجموعة ها.سكوبل للقوانين والاوامر ..... ١٦٥٨ ، الجزء الثاني ص ١٢٤ ـ ١٢٦، على مايلي :

« .... وقد وجدوا لدهشتهم واسفهم ، ان هناك رجالا ونساء مختلفين اكتشفوا في انفسهم مؤخراً انهم ذوي افكار فظيعة ، وهم متحللون في كل الممارسات الشريرة والبغيضة ، والآتي ذكرها ، ليس فقط بالنسبة للفساد السيء السمعة والفوضى ، حتى التي ترمي الى تحلل كل المجتمع البشري ، الذين يذكرون حاجته للصلاح المدني والاخلاقي بين الناس ، والبرلمان ، يرسم قانون ويسن ... ان كل الاشخاص ، وكل شخص (غير معتل بمرض ، او مختل عقليا) يتجرأ علنا على التصريح بالقول او بالكتابة المباشرة تأكيداً ، او البرهنة ، على انه او انها او اي مجرد مخلوق اخر انه رب ، او انه غير محدود القدرة ، او صاحب رفعة وفخامة وجلال وسلطة ، تجعله مساويا ومشابها للرب الحقيقي ، او ان الرب الحقيقي والجلال الخالد يسكن في المخلوق ، او في اي مكان اخر ، او كل من يذكر قدسية وصلاح الرب او يستغل ماسلف ذكره للتصريح بان الشر في الاشخاص او الافعال غير النظيفة والايمان الوثنية والسكر وماشابه من قذارة وبهيمية ليست غير مقدسة ومحرمة في كلمة الرب ، او ان هذه الافعال من قبل اي شخص او الاشخاص الذين يرتكبونها مقبولة من الرب ، او ان هذه الافعال او مثل هؤلاء الاشخاص بهذه الاشياء يشبهون الرب ، : او كما سلف ذكره يصرح ، بان هذه الافعال التي تنطوي على الكفر بالله والالحاد او التشكيك او بصلاحه وقدسيته ، او اعمال لعن ومسبة الرب او القسم الالحادي او الكاذب باسم الرب، أوافعال الكذب ، والسرقة او الخداع او الاحتيال على الاخرين او القتل او الزنا ، او زنا المحارم

- ١٨١٥ -

والفسق وعدم الطهر واللواط ، والسكر ، والكلام البذيء الداعر ، هي امور ليست مخجلة في ذاتها ، او شريرة وآثمة وعاقة وبغيضة ومنفرة في اي شخص ، او تمارس من قبل اي شخص او اشخاص او يصرح كما ذكر انفا ان افعال الزنا والسكر والسباب وامثال تلك الشرور الصريحة ، هي في طبيعتها الخاصة بنفس قدسية وصلاح واجبات الصلاة والوعظ وصلاة الشكر لله : او كل من يصرح علنا بما ذكر ، وبأن كل مايفعلونه (ص ٢٩٦)منه (سواء كان عهرا او زنا او سكرا او ماشابه من تلك الشرور الصريحة) يمكن ان يرتكب بلا خطيئة ، او ان مثل هذه الافعال تتم من قبل الرب الحقيقي او من قبل جلاله الخالد المستقر في نفوسهم ، وبان الجنة والسعادة كلها تتضمن فعل هذه الاشياء التي هي خطأ وشر ، او ان مثل هؤلاء الرجال والنساء ، هم الاكثر كمالا وصلاحا او هم اشباه للرب والخلود لهذا يقترفون الاثام الكبائر بادنى مايمكن من الندم والاحساس ، او بأنه لاوجود حقا وصدقا للشر ، والدنس او الخطيئة ، بل هي كما يقدرها الانسان او بأنه لاوجود للجنة او الجحيم وللخلاص وللعنة ، او ان تلك شيء واحد والشيء نفسه ، او انه لاتمييز حقا بينهما : وكل شخص او اشخاص يصرح علنا بالاحتفاظ او بنشر ماسلف ذكره من الاراء الالحادية والتجديفية المقيتة او ايا منها ، في حالة الادعاء والثبوت لمثل تلك الحالات السالف ذكرها ... او الاعتراف بها من قبل الاشخاص المذكورين ... فان الطرف الذي سيدان او لا يعترف بها سيحكم بالسجن او بالايداع في الاصلاحية ، لمدة ستة شهور ....»

وحدد القانون ايضا العقوبة على الاساءة للمرة الثانية بالنفي ، وعقوبة رفض النفي ، او العودة من المنفى دون ترخيص خاص من البرلمان بالموت .

(٧)وفي مواجهة الاضطهاد يبدو عددا كبيرا من الصخابين قد تبنوا لغة سرية وانهم تابعوا الدعوة في سرية وحذر مثل البيغرد المهرطقين والبيغونيين الذين تقدموهم بالضبط ، وبعد الاستماع الى

موعظة الارتداد التي وعظ بها الصخاب ابيزركوب في بيرفورد في ايلول ١٦٥١ علق جون تيكل قسيس ابنغدون على تلك التكتيكات ، في كتاب الحفرة التي لاقرار لها والتي تفوح بالقذارات ... مع بعض الملاحظات المختصرة على موعظة الردة التي القاها ابيزركوب ..... ١٥٦١ ص ٣٧ ـ ٤٠.

« لقد اعتادوا على ان يقولوا شيئا ويقصدوا شيئا اخر فهم يقولون ولايقولون في نفس واحد .... قبل القانون الحديث ضد الصخابين ، كانوا يتكلمون بجراة وهم لايجراون الآن ٠٠٠٠ ومنذ ادعاء تحول العديد منهم الى طريق الحق اصبحت لديهم بشكل عام طرقا ملتوية لتغطية افكارهم الفاسدة بكلمات حصيفة ، وبشكل خاص تلك التعابير الواردة في الكتاب المقدس والتي تحمل معنى عاما وعلى سبيل المثال انهم سيقولون لك ان المسيح قد صلب في القدس ٠٠٠٠ ولكن بأي معنى ؟ فاسد بغيض ، كنمط وصورة موت المسيح الحقيقي فيهم (كما يدعون) ... ويبدو لي ، مما علمته عنهم ، انهم يقحمون انفسهم على كل تصريح وبطرق والتواءات ، حتى يبقوا معروفين الا لخاصتهم ، ولن تعرف اين تجدهم ، حتى تمسك بهم ، ولكن خاصتهم سيعرفون معانيهم وكذلك انت اذا حصلت على مفتاحهم ..... وستجده باي ملاحظة لاتخطىء انهم في البداية سوف (ص ٢٩٧)يلمعون الى اهتمام باحوالك وعواطفك وميولك ،ثم يفسدون احكامك انهم يبتسمون لك ، ثم يذبحونك : باستعمال كلمات رقيقة ناعمة كالزيت ، حلوة كالعسل ولكنها مفعمة بالسم ... »

(٨) تعطي عدة روايات عن الصخابين انطباعا بهجمات صحفية من النوع الاكثر خيالا وسفها ، من ذلك مثلا : « صخابي الدين » او « الحكاية المعصومة المخلصة ، حول ارائهم الملعونة الشيطانية ، مع حياتهم وافعالهم البغيضة مع المكتشفات الحقيقية لبعض زخرفتهم الاستثنائية الاخيرة او تصرفاتهم التي لاتبارى منشورة من قبل مختص معتمد (ايلول) ١٦٥٠ (٨ صفحات)»

وفي رسالة ج . رولستون « انجيل الصخابين » او « سبع ديانات متنوعة اعتنقـــوها وحـــافظوا عليهـــــــا»(كانون اول) ١٦٥٠ (٦ صفحات)

« واللغة المنمقة للصخابين (تشرين اول) ١٦٥٠ » و(في وقت متأخر في ١٧٠٦) في كتيب س جيلدون « ساعي البريد الذي سلب بـــــــريده » (طبعـــــــــة ثــــــــــانية) رسالة ٦٦ (ص ٤٢٦ ـ ٤٢٩) » والروايات المتــواترة حــول الطقوس العربيدة » ولم تتأكد الاصول الاداماتية المشــتركة ، على سبيل المثال بأي طريقة ولاحتى بالاعترافات الصريحــة جــداً مــن الصخابين ، ومن كل هــذه المواد ان الموضــوع الوحيد الذي ربمــا يستحق الحفظ هو وصف امراة من الصــخابين في كتــاب « اللغــة المنمقة للصخابين » وذلك لحيويته وإثارته للصور الذهنية اكثــر منه لقابليته للاعتماد عليه :

... انها تتكلم باطراء او تمجيد عن اولئك الازواج الذين يعــطون الحرية لزوجاتهم ، ويوافقون طوعا على ان تعاشر الزوجة اي فــرد اخر من المخلوقات من اقــرانها ، الذين تختــارهم ، انهــا تــطري الاورغ ، والكمان ،والسمبال و التونغ في تشــارتر هــاوس ـ لين على انها موسيقى سماوية ، إنها تعب كؤوسها بحرية ، وتنتهي الى انه لاجنة سوى المتع التي نستمتع بها على الارض ، إنهــا مــألوفة جدا منذ النظرة الاولى وترقص الكناريز على صوت المزمار القرني »

وقد تم وصف الاعياد الدينية للصخابين على اي حال من قبل احد النقاد من الخصوم بالتفصيل وبكثير من الموثوقية :

« الترتيبات والاســتدعاء مــع المحــاكمة بناء على تصريحــات الصخابين ...»

نشر وفق امر صدر في ١٦٥٠ (٦ صفحات) ،اخبــار غريبــة عن اولدبايلي او البراهين ، والاستجوابات ، والوثائق والاتهــامات والادانات للصخابين في جلســات اصــدار الحــكم المعقــودة في اولد

بـــايلي ، في ١٨ و ١٩ و ٢٠ مــــن شـــهر كانون الثـــاني الجاري ..... ١٦٥١ (٦ صفحات).

« تبجح الصـــخابين مـــع الاعتقـــال والاســـتجواب والاعتراف .... ١٦٥٠ (٦ صفحات) وكلها تعالج أمـر مجمـوعة مـــن ثمـــانية مـــن الصـــخابين اعتقلوا في لندن في ١ تشرين الثاني ١٦٥٠ ، وكان من الاســـماء التـــي عرفـــت : جـــون كولنز ؟و ت . شكسبير(متخصص بتربية ارانب الصيد) وتوماس ريف ، وتــوماس ويبـرتون و م . وادلورث (صـانع قفـازات) ، والتقى الصـخابون في حـانة داوود وهـارب في مـــورلين في دائرة (ابرشية) جيلز كريبلفيت وكان مضيف الحانة من مبدلتون وكانت زوجته (ص ٢٩٨) التي كان ، مشتبه بها منذ وقت طويل بانها من طاقم الصخابين تكرم وفادة جماعة الضيوف (يفترض أنهـا كانت السيدة ماري مدلتون التي اشـار إليهـا كلاركسـون في اعتـــرافه كعشيقة له) ، وكانت هناك نساء اخريات . وغنى الصخابون اغان تجديفية على لحن المزامير ، وأبلغ الجيران الشرطة ، التي ارسـلت عميلا محرضا ليندس بينهم ، وقد راقب هذا الرجـل بـدقة سـلوك الصخابين ، ووجد أنهـم يخـــاطبون بعضـــهم بعضـــا ، بالمخلوق ـ الرفيق وهي صورة من توجيه الخطاب كانت بـلا شـك طبيعية بين الصخابين ، لاسيما بين الرجـال والنسـاء ، وكانوا يسـبون كثيرا ، ورغم أنه لم يكن هناك بـالتاكيد عربــــدة داعرة مختلطة ، فان احد الرجال استعرض نفسه بطريقة غير محتشـمة ، وجلس الصخابون بعد ذلك لياكلوا معا ، ومن الواضـح أن الوجبـة بالنسبة لهم كانت تملك دلالة قربان وحدة الوجود ، واخذ واحد منهم (قطعة من لحم العجل) من يده ومزقها نتفا وهو يقول للاخر ، هذا هو لحم المسيح خذ وكل ، وعندما القي القبض عليهم اخـذ احـدهم شمعة واخذ يطارد حول الغرفة قائلا إنه كان يبحث عن آثامه لكنه لم يجد ايا منها ، والذي اعتقد أنه عظيم جـدا ، كان لديهـم صـغيرا جدا ، حتى أنهم لم يروه » وهذه هي لغــة التناقض الصـوفي وكون اولئك الناس ربطوا حقا بعض القيمة الصوفية الظاهرية بافعالهم قد

بدا في شعارهم أو كلمتهم الرمزية رام مي دام مي وعندما سئلوا قالوا : ان كلمة رام تعني الرب ، ولكن المدلول الكامل للتعبير يصبح واضحا فقط عندما يضعه المرء الى جانب عبارات معينة في كتابات الصخابين : (كنت.....أستنفد ، والعن ، واصدم واغرق في لاشيء ، في احشاء الابدية الساكنة في(رحم امي) (كوب) ، ومرة أخرى : إنها الان تصدم وتلعن في مركزها الوحيد ، لتسكن هناك خالدة في صدر الاب الاوحد :

وهذه ، وهذه فقط هي اللعنة التي ترعب المخلوق بالخوف الاسود منها ... (كلاركسون).

ومثل سبعة من الصخابين في صباح اليوم التالي أمام السير جون وولستون الذي ارسلهم الى بريدويل لضرب القنب ، ومثل كولنز وريف ايضا في كانون الثاني التالي في أولدبايلي للاجابة على التهم الموجهة اليهما في ضوء قانون ٩ آب ١٦٥٠ ، المتعلق بحظر « الاراء الالحادية والتجديفية البغيضة » وقد حكم عليهما بالسجن لمدة ستة اشهر .(٩) واعطى همفري إليس في المسيحية الزائفة أو العلاقة الصحيحة للدجالين الكبار ، والممارسات المروعة والبغيضة ، والخدع الكبرى التي انتشرت مؤخرا في الخارج واثرت في مقاطعة ساوث امبتون .... ١٦٥٠ (٦٢ صفحة) رواية مفصلة حول قضية وليم فرانكلن وماري غادبرى اللذين يبدو انهما كانا خليفتين حقيقيتين لجماعة المسحاء وامهات الرب ، ممن ترأس تكتلات الروح الحرة في القرون الوسطى .

وإليس الذي كان قسيسا في ويذشستر (ص. ٢٩٩) مصدر يمكن الاعتماد عليه تماما ، إنه كان يعرف كما قال :«كل الاشياء التي جرت بيننا ، والتي ماتزال ذاكرتها بعد طول الامد حية نشطة في ذاكرة أغلب الاشخاص الذين في الجوار » وقد راقب كثيرا من

الامور عن كثب ، وتوفر له الوصول إلى الاعترافات التي ادلى بها اعضاء الطوائف عندما استجوبوا في المحكمة .

وعاش وليم فرانكلن وهو مواطن من اندوفر سنوات عدة في لندن كصانع احبال ، وكان رجلا محترما ومتزوجا كما كان ابرشانيا ،» وموضع تقدير من قبل الاتقياء كقديس بارز ، واستاذ في الورع » ، ولكن المحن نزلت به واصابته ، فقد اصيبت عائلته بالطاعون ، وابتلي هو نفسه بالمرض ، ولفترة ١٦٤٦ ببعض الاضطراب العقلي ، وبتاثير هذا المرض أرعب رفاقه من الابرشانيين باعلانه نفسه ربا ومسيحا ، وبعد وقت قصير شفي وأعلن توبته ، وبعد ذلك لم تعط صلاته اليومية أي انطباع جنوني ، وقد ابدى « يقظة حذرة في طريقة تعبيره عن نفسه » وبدا بالنسبة لأليس مسؤولا تماما عن افعاله ، ومن جانب آخر ما لبث أن هجر بعد وقت قصير رفاقه المتدينين ، وبادعائه بالوحي ونعمة النبوة ، بدأ يجتمع بالصخابين ويتعايش معهم ، ونبذ فرانكلين ، الذي اصبح الان في نحو الاربعين من عمره ، زوجته وبدأ يعاشر نساء اخريات ، وبشكل رئيسي كان من بينهن مريم غادري ، وهي امراة في الثلاثين وكان قد مضى عليها وقت طويل منذ هجرها زوجها ، وكانت تكسب معيشتها في لندن ببيع « الحلي الصغيرة والسلع التافهة للسادة » وحالما التقت بفرانكلن بدأت مريم غادري ترى احلاما وتسمع اصواتا ، وكان فحوى وحيها الصوفي أنه « لن يكون هناك ملك ، الا ملك الملوك ، ولورد اللوردات .... وسيحكم القديسون الارض ، وستعترف الدنيا وتقول تلك هي مدينة الرب ..... سارسل ابني في شخص رجل ، ليحكم الامم ، وسيرونه وجها لوجه وعينا لعين ، وآمنت المرأة المجذوبة بسهولة بفرانكلن وبانه كان المسيح الموعود ،و بدأت في نشر الأنباء السعيدة بين جيرانها ، و بتأثير فرانكلن شعرت بأنها يجب أن تتبع المسيح في طريق الفقر الطوعي ، و بالتالي باعت كل شيء كانت تملكه ، و قدمت المال لاطعام الجوعى و كساء العريانين و تبعت فرانكلن « محتضنه اياه .... كسيد لها ومسيح »

وباقتناعها بان الرب قد دمر الجسد السالف ، لفرانكلن ، وبذلك قطعت الروابط السالفة التي كانت تربطه بزوجته واطفـاله ، بدأت مريم غادري تنام معه كل ليلة ، مع أنها اصرت على انها « صـاحبته » فقط بمثابة « رجل روحاني » وعندما سألها قسـيس إذا مـا كانت غير خجلة من معاشرتها لفرانكلن اجابت بان أدم وحـواء كانا عراة في براءة ، ولم يخجلا ولكن الخطيئة هي التـي جلبـت الخجـل الى الدنيا : ولكنه عندما انتقل الى المسيح (ص ٣٠٠) رفـع ! وفي كل هذا ان ديانة ادم التي اتسمت بها هرطقة القرون الوسـطى يمـكن تمييزها ، ولايدهش المرء أن المراة ايضـا بـدأت تـدعو نفسـها « عروس الحمل » ، و« المراة التي تكتسي بالشمس » وحتـى انهـا اصبحت تدعى انها هي نفسها « معادلة للرب » .

وفي ١٦٤٩ تلقى الزوج مهمة الهية هي ان يتوجها الى هامبشير وهذه علامة مقنعة على اخلاصهما إذ ان هذا هو الجزء الوحيد مـن البلاد الذي كان فرانكلن معروفا فيه ، وكان متاكدا أنه معتـرف بـه فيه ، وفي القرن السابع عشر لم يعد الفقر الطوعي ممـكن التـطبيق كطريقة ثابتة للحياة ، وكان على فرانكلن أن يتـردد كثيرا على لندن لكسب المال ، وخلال غيابه كانت مريم غادري تتابع الدعوة بصـورة متواصلة نيابة عنه وكان مرجعها الوحيد وحيها الخاص ، ولكن ذلك كان يفسر في عبارات كتابية ، وكان نجـاحها هـائلا : « وكان عدد كبير في كل من المدينة والريف بعضهم مهتز ، وبعضهم مخدوع تماما بتلك الخدع » وكان لفرانكلن نفسه ايضا تلك البلاغة الغريبة ، التي كانت مميزة لمبتدعي الروح الحرة ، ولكونها مقبولة جدا في خـطبه ، كان هذا يجُعلها تتسلل بسهولة الى عقول البسطاء ، وكثيرا ما كان يقتبس عبارات من الكتاب المقدس في خطبه وكثيرا ما كان يسـتعمل لغتـه في الكلام ، ولكنه كان يسيء اسـتعمالها ويسـتعملها في غير وجهها ، ويلويها عن المعنى الحقيقي لذلك المصـدر بـطريقة غريبـة وبتخيلات مجازية ، وقام اليس بالتعليق نفسه حول أنشـطة زوجـه كما فعل اكليروس انتويرب بالنسبة لحركة تاذشيلم قبل ذلك بخمسة

قرون : في تلك الاشياء كان الشيطان يحول نفسه الى ملاك من النور .

ويقول إليس إن التوقعات الألفية كانت منتشرة في تلك اللحظة وسرعان ما وجد الرب والربة الحيين المؤمنين إحدى المهتديات المتحمسات زوجةقسيسوود ورد ،وقبل مضيوقت طويل كان الزوج يعيش في بيت القس ، وبعد ذلك بوقت قصير تم كسب القسيس نفسه ، وقال اليس : والآن هل هذه العدوى السامة قد بدأت فجاة في الانتشار ، حيث اصابت العديد ، وايضا اولئك الاشخاص النشيطين جدا ليكونوا وعاظا ومحدثين وناشرين لها خارج البلاد وبين الناس ..... وحثوا الاخرين على استضافتها والاحتفاء بها ايضا، والايمان أن .... فرانكلن هذا هو ابن الرب ، المسيح ، والمخلص » ، وقد خصص للحواريين ادوار خاصة فكان احدهم يوحنا المعمدان« المبعوث ليبشر بان المسيح قد جاء الى الارض » وكان اخر ملكا مدمرا « ارسل ليلحق اللعنة بالارض » ، وكان اخر ايضا ملاكا شافيا مكلفا بشفاءاولئك الذين لعنهم رفيقه ، وتظهر من تحت تلك الجمل النابية بشكل جلي ديانة الروح الحرة (ص ٣٠١) فيجد المرء مثلا مريم غادري تطلب كتانا ابيض من مضيفتها السيدة وود ورد ، قائلة ان الرب قد امرها أن تصنع لنفسها ثوبا ابيض ، لانه « قد جعلها طاهرة » ويجد المرء جنديا يرقب تلك الكائنات الخارقة للطبيعة وهي تقوم بالمعجزات ، ومازالت تصرح بوحدة الوجود ، ويجد المرء « الملاك المدمر » نفسه ينكر كل خصومة بين الرب والشيطان مؤكدا أن « كل الاشياء جاءت بالطبيعة » ويدعي بانه هو نفسه «رب النور والرب نفسه ».

وقبض على فرانكلن واتباعه الرئيسيين وحوكموا في وينشستر في كانون الثاني ١٦٥٠ وفي البداية تحملوا بثقة ولم ينكروا شيئا .

وبسؤالهم عن اسمائهم وسكنهم اصروا على أنهم بدون مساكن « طبقا للحم » طالما أنهم روحانيون تماما ، وكانت أعمارهم كما ذكروا من تاريخ لقائهم الاول بفرانكلن ، « كما لو انهم لم يولدوا الا

في حينه » وتمسك فرانكلن واقره حواريوه بانه كان المسـيح فعـلا ، واثناء المتابعة في بريدويل انهارت شجاعة فرانكلن ، واعلن ارتـداده فتخلى عنه حواريوه فورا في غضب ، وفي أذار مثل المسجونون امـام الهيئة القضائية للدائرة الغربية ، وحكم على جميع الرجال بالسجن حتى يقدموا الضمانات لسـلوكهم الحسـن ، واطلق سراح الجميع على الفور بالكفالة باستثناء فرانكلن نفسه ، الذي عجز عن تقـديم مثل هذا الضمان ، وارسلت مريم الى بردويل الى حيث تـم جلدهـا لبضعة اسابيع

(١٠) استمرت المواقف الفوضوية الشيوعية التي كثيرا ما كانت بصورة او باخرى مرتبطة بـالروح الحـرة بين الصـخابين ، وذكر رتشارد هيكوك على لسان الصخابين في « شهادة ضد الناس الذين يدعون بالصخابين ودفاعهم ١٦٥٩ (٨ صفحات)

قوله : القـى بنصـيبك بيننا ، « وليكن لنا كيس نقـود واحـد إضافة الى ذلك يبدو انه في كانون أول ١٦٥٠ عندما اخـذ كثيرمـ الصخابين في هجر الحركة عقد « برلمان للصخابين » في لندن ، قرب ساوث امبتون هاوس وخرج منه ثمانية من المنشقين (الذين اعطيت اسماؤهم) و في بيان الصخابين ... الذي نشره م . ستوبز وهـو من الرفاق الصخابين المتاخرين ، في ١٦٥٠ (٦ صفحات) تقـرير عن سير المحاكمات يلقي ضوءا على التركيب الاجتماعي والمذهـب الاجتماعي للحركة :

.....إن كثيرا من التساؤلات قد اقترحت ، نيابة عن الفقـراء مـن قبل جماعتهم ، برغبة في معرفة كيف يمـكن المحـافظة عليهـم على الرغم من سقوط مئات عديدة من العظماء ، وكان الجـواب على ذلك انه يمكنهم استدانة المال ، وعدم رده مـطلقا ، وانهـم يجـب أن لايستفيدوا فقط من زوجة رجل بل من ممتلكاته وبضائعه ومـاشيته ايضا ، لان كل شيء مشترك ، ولكن واسفاه إن هذا العطاء لاتثبـت فاعليته ، لان عددا كبيرا من الناس من النوعية الافقر يعتقـدون أن

هذه الحيلة غير معقولة باي طريقة ، لانهـا تـؤدي الى صراع عنيف وهم يلعنون كل اولئك الذين يناقشونهم هكذا ، ويمقتونهم تمـاما ، حتى أنه من ٣٠٠ كانوا موجودين هناك لم يعد منهم اكثر من ١٥٠ بسيماء شيطانية ، (ص ٣٠٢) والبقية ، وقد حدث فيهم تبـدل عظيم برحمة الرب الاليهة ، المخلوقـة فيهـم .... قـد اهتـدوا .... ويعيشون الان بلطف ضمن الاماكن والعادات الخـاصة بهـم .....» وهناك دلالات اخـرى أنه بـالانتماء الى الصـخابيين كان الناس العاملون يهجرون اعمـالهم المعتـادة ويعيشـون على الاحسـان ، ويلحظ كتاب ديانة الصخابين : « أن الكسل وهو ام جميع الاذى ، لم يثبت بوضوح انه هكذا مطلقا ، بفعل ...الصخابين ، فالصخابون هم أناس يعيشون حياة كسل وبطالة حتى أن كل مجـرى حياتهـم ليس الا مشهدا مستمرا للسكر ...

(١١) لقد قدم الصخابون موضوعا لتمثيلية هزلية ساخرة الفها س . س غنت (اعني صـمويل شـبرد)» الطـاقم المرح » او « الشيطان يتحول الى صخاب لكونه سمة مميزة لزئير الصخابين في تلك الايام » ، ١٦٥١ وجاءت معظم اسماءهم واكثـرها وضـوحا مصورة بالكاريكاتور في هذا الانتاج « وشيوعيتهم » مثـلا تـدفعهم إلى اعلان :

.....إن نساءنا جميعهن مشاع
ونحن نشرب حتى نثمل تماما معا ، ونشترك
في تجديفنا ، وإذا تمزقت عباءة رجل
شق الجميع ثيابهم

وياتي اعضاء الطاقم المرح من العديد مـن الطبقـات ، المختلفـة فبينهم الدارس (احيانا اسقفي) أورسام ، او صيدلي ، أو خياط أو جندي أو رجل نبيل ثري ، ويذهب هؤلاء الرجال الى حانة لشرب النبيذ الحلو وتدخين التبغ الثقيل حتى نصـبح خـالدين » وتنضـم سيدتان ، زوجتان لمواطنين محترمين الى الحفلة وتبدا حفلة العربدة

ثم يقبض على الجميع ويؤخذون الى بريدويل ليجلدوا .

وفي احد المشاهد يرقص الصخابون ويغنون في جوقة :

تعال بلا توان ، إننا غير مقتصدين في المرح
ارقص وغن ، وكلنا في حلقة ، لاننا صخابون مرحون
دع الارواح الخائفة تلفظ احشاءها
وترتجف حتى تنقلب .
دع رجال القمر يخافون الاستبداد
وتوقف امام كسيح
تعال مبتعدا ، الخ
اننا لانخاف جحيما ، عندما نكون موتى

لاامراة بشعة ولاامراة حقود :
وبينما نعيش سوف نشرب
رغما عن القاضي والمحلفين
تعالوا ياأولادي ، واحصلوا على مسراتكم
وخذوا حاجتكم من المتعة ،
قذفة مقابل قذفة ولنقم بذلك
ولكن يجب أن يكون لنا معيارنا
ليرقد الجميع بوجد ووله
لنستمتع بمنظر بهيج (ص٣٠٣)
ثم ننهض بأفخاذ عارية
من ذا الذي يخشى مثل هذا الثلج الحلو ؟
حولنا ، حولنا انتم أيها الحشد
ارقصوا رقصا غريبا مثل هوب غوبلنز
اشربوا وازأروا وسبوا وافسقوا
ولكن مع ذلك لاشجار ولاخصام

٢ـ مقتطفات من كتابات الصخابين

من المعروف ان اربعة من الصخابين قد الفوا كتبا وعلى الرغم من أفضل جهود السلطات مازالت نسخ من معظم هذه الكتب باقية ، وهي كما لو انها تملأ بالمقابل الفجوة الناجمة عن تخريب أدبيات العصور الوسطى للروح الحرة »

(١)كتب جاكوب بوثو ملى او بوتوملي « الجوانب المضيئة والمظلمة للرب » أو مقال واضح وموجز حول الجانب المضيء (الرب ، والسماء والأرض) الجانب المظلم (الشيطان ، الخطيئة ، والجحيم) وايضا بالنسبة للبعث والكتابات المقدسة » ١٦٥٠ (٨٤ صفحة) ولقد كان في الجيش في ذلك الوقت وعوقب لكتابة هذا البحث بحرق اللسان ، وفي ١٦٥٤ ـ ١٦٥٥ ـ ظهر في اجتماعات مشتركة للمزلزلين و الصخابين في ليسترشير ، و مثل بوثوملي الصخابة في اكثر مظاهر صفائها و اكادميتها ، و مع أن تعاليمه يمكن أن تستخدم بسهولة لتسويغ الفوضوية الخلقية ، فإن المرء يمكنه أن يقبل تأكيداته بأنه كتب « لا لتشجيع أي عمل غير مناسب أو شرير في أي انسان » و يتخيل المرء أن تعاليم مورى اوف بين كان لها العلاقة نفسها بتعاليم العموريين كما كان لتعاليم بوثو ملى بتعاليم الصخابين ، و لورنس كلارسون و ابييز كوب ، و المقتطفات التالية مع قصرها بالمقارنة مع البحث ككل نموذجية :

فيما يتعلق بالرب

ايها الرب ماذا اقول انت ، وانت لايمكن ان تسمى ، وماذا اقول عنك ، وانا عندما اتكلم عنك ، لااقول سوى اشياء متعارضة ؟ لأني اذا قلت اني اراك فان هذا لايكون الا رؤية ذاتك لذاتك ، لأن لاشيء في قادر على ان يراك سوى انت نفسك واذا قلت اني أعرفك ، فان ذلك ليس الا معرفة ذاتك لذاتك لأني بالأحرى معروف لديك أكثر

من معرفتي لك : واذا قلت إني احبك فهذا لاشيء ، لأنه لاشيء في يمكن أن يحبك الا انت نفسك ، وعليه فأنت لاتحب الا ذاتك وبحثي عن ذاتي ليس الا بحثك عن ذاتك : وبهجتي في الاستمتاع بك ليست سوى ابتهاجات بذاتك واستمتاعك بذاتك بطريقة غير مفهومة بدرجة كبيرة .

انك انت الحياة ومادة كل المخلوقات انها تتكلم وتتحرك ،(ص ٣٠٤) ،نعم وتعيش فيك ، واياكان المخلوق فانه كما هو فيك .... سيدي الى اين أذهب من حضرتك ؟ لأن وجودك وكيانك ، هو المادة والكيان لكل المخلوقات والأشياء وهو الذي يملأ السماء والأرض وكل الأماكن الأخرى ...

كلا اني ارى ان الله في كل المخلوقات انسان او حيوان ، سمك او طير ، وكل شيء اخضر ، من اعلى ارزة الى لبلاب الجدران وان الرب هو الحياة والكيان لها جميعا ، وان الرب يسكن بالفعل واذا شئت شخصيا ، اذا كان يشاء ان يقبل مثل هذا التعبير المتواضع بها جميعا ، وبان كيانه ليس في أي مكان أخر خارج مخلوقاته ....
هل رأى الناس أن الرب فيهم ، ويحيط بأفكارهم وفاعل لكل اعمالهم وأنه كان معهم في كل الظروف : اي روح دنيوية يمكن ان تصل الى ذلك بطريق خارجي ، وهي روحيا فيه وهو الذي يملكها حقا ؟ والذي ترى الحكمة الالهية انه الأفضل وان الأشياء لايمكن ان تكون مختلفة بالنسبة له ...

(ومن قبل) كنت أظن ان ذنوبي او سيري المقدس قد تدفع (الرب) الى ان يغير هدفه من الخير أو الشر بالنسبة لي
ولكني الآن لااستطيع أن أنظر الى اي حالة من حالاتي أو عمل الا واعتقد انه يبدو أن هناك تزامنا حلوا بينها وبين الارادة العليا ، وأن لاشيء يكون خلوا منها أو يمضي متجاوزا اياها ، أو ان أي انسان لايمكن أن يفعل أو يكون اي شيء سوى أن يكون متفقا

بكل طلاوة معها ، ذلك أنها الرحم الذي يتصور فيه كل شيء ، والذي فيه تشكلت كل المخلوقات ومنه تخرج للوجود (كذا)

وكما ان كل الأشياء تصدر عن الرب : فإنها أيضا جميعا ستتخلى عن كيانها وحياتها وسعادتها وتعود الى الرب مرة اخرى .... ومع أنَّ الكساء ينحل وينتهي الى العدم ، فان ما بداخل الانسان مع ذلك مايزال يحيي ، ومع ان الظل يموت ، فان الروح مع ذلك او المادة التي هي الأب ، تعيش للخلود الكامل ، وأكثر من ذلك انه بالنسبة لي من الواضح ، أن لاشيء يشترك في الطبيعة الالهية أو هو من الرب الا وهو الرب ، والسبب هو انه لاتمييز في الرب ، لكونه جوهرا فردا (كذا)

.... لااستطيع ان ارى ..... أن (الرب) قابل لأي درجة من التقريب : أو انه يحب رجلا أكثر من الآخر ، او يكره رجلا اكثر من الآخر .... ولااستطيع أن أرى أن هناك حب وكراهية في الرب ، أو ايا من مثل هذه العواطف : فذاك الذي يقبل بالدرجات ليس بكامل .

.... وان الرب يحب كيان كل المخلوقات ، نعم ان كل الناس متشابهون عنده ، وقد تلقوا انطباعات مفعمة بالحياة من الطبيعة الألهية ، مع انهم ليسوا بذاك البهاء ، ويظهر الذكاء في بعضهم كما في بعضهم الآخر ، وبعضهم يعيش في الجانب المنير من الرب ، وبعضهم الآخر في الجانب المظلم ، ولكن فيما يتعلق بالرب ان النور والظلام هما الشيء نفسه بالنسبة له ، لأنه لاشيء يتعارض مع الرب ، بل مع فهمنا فقط ....

بوثوملي يرفض التثليث ويختتم هذا القسم

انا لايمكنني ان افهم ان الرب كان باديا فقط في جسد المسيح ، او في الرجل الذي يدعى المسيح ، بل إنه أيضا حقا وجوهريا يسكن في جسد رجال أخرين ومخلوقات أخرين كما هو في الرجل المسيح (ص ٣.٥)

فيما يتعلق بالجنة

..... ثم يكون الناس في الجنة ، وتكون الجنة في الناس ، عندما يظهر الرب في بهائه وفي الظهور الصافي لذاته ، في الحب والنعمة ، في السلام والراحة في الروح ....

.... واني أجد انه حيث يسكن الرب ، ويأتـي ، ويأخـذ الناس ويلفهم بالروح ، هناك سماء جـديدة وارض جـديدة ، وكل الجنة التي اتطلع ابدا الى أن استمتع بها هـي ان يتـوقف خـوفي الأرضي المظلم من الرب وان لاأعيش حياة اخرى الا تلك التـي روحيا يعيش فيها المسيح في .

فيما يتعلق بالخطيئة

.... صحيح ان الناس يعملون في الظـلام ، غير ان الرب هناك يرفع بهاءه ، وهكذا يجب ان يحتاجوا الى الخطيئة ، لأن الخطيئة بالضبط هي الجانب المظلم للرب وبالتالي هي مجـرد حـرمان مـن النور .

وفوق ذلك يجب ان نعتبر أن الرب لايعطي أي قانون أو عهد مـن نفسه أو بعيدا عن مجده .... والخطيئة في ذاتها تقع ايضـا مـذعنة لمجد الرب شأنها في ذلك شأن ماندعوه النعمـة والطيبـة ، حيث أن الخطيئة تكثر كلما كثرت النعمة وازدادت .... بسبب أن الرب هـو نفسه والكل يتجه الى بهائه ، ان اخطأنا او أحسنا : اني اجيبهـم بكلمات الرسول : يجب على الناس ان لايذنبـو لأن النعمـة تـكثر ولكن لأنهم اذا اذنبوا سوف يتحول هذا الى مدح للرب ، تمـاما كما عندما يحسنون ، وهكذا ان غضب الانسان يمدح الرب مثل حبه وحلمه ، وان الرب يمجد في الواحدة كما يمجد في الأخـرى وكيفمـا يبدو ان ذلك يؤيد أن الرب هو مصدر الخـطيئة ، ويريد الخـطيئة ، انه يبقى واضحا بالنسبة لي ، انه لاشيء له كيان سوى الرب ، وان

الخطيئة شيء معدوم ، وان الرب لايمكن ان يكون مصدرا وعليه فكلها ليست في أوامر الرب ، ....

وفوق ذلك ، ارى السبب لماذا ندعو بعض الناس اشرارا او بعضهم اتقياء ، ليس شيئا في الناس ولكن لأن الكيان الألهي يبدو اكثر بهاء في واحد أكثر منه في الآخر : ولهذا ـ نقول ان الواحد قديس وتقي ، والثاني شرير ودنس ، ومع ذلك فان الواحد يتصرف على نحو ماأهل له من قبل القدرة الألهية وهكذا يفعل الآخر : واذا كان هناك اي خلاف فان هذا ليس فيما يتعلق بالمخلوق الذي يتصف بذلك او يفعله لان الكيان الالهي نفسه في الواحد منهما هو ايضا في الآخر ولكنه فقط لايظهر نفسه في الواحد كما في الآخر ...

ان مشيئة الرب هي قدرته ، وقدرته هي مشيئة : بالعمل نفسه الذاتي يريد الأشياء وبالعمل الذاتي نفسه يفعل الأشياء : وانه خلافا لذلك ان ضعفنا هو الذي يجب ان نخافه اذا لكون الرب واحدا وكاملا ، انه لايقر اي تفريق او فصل في ذاته ، انه لا يقر باختلافات ولكن كل الأشياء هي كما تفعل المشيئة العليا وتدفع اليه ، وانا ارى طبقا لمقاصد مشيئته انهم لم يفعلوا ماأدى لصلب المسيح اكثر مما فعلوا ليقتلوه ، وهذه الأشياء لااكتبها لتأييد اي عمل غير لائق أو شر في أي انسان ...

فيما يتعلق بالجحيم

.. لقد كنت باستمرار أعاني من عذاب الجحيم وجريت الى اعلى واسفل (ص ٣٠٦) لأني أدنت نفسي ... وهذا هو ماوجدت حتى ظهر لي الرب روحيا واظهر لي انه كل البهاء والسعادة في ذاته ، وان الجسد لاشيء ... الرب ... هيأ لي الحرية المجيدة لأبناء الرب ، في حين اني كنت من قبل في عبودية الخطيئة والقانون والضمير المتهم الذي هو الجحيم ....

(ان الروح) تأتي مباشرة من الرب وهي ليست مـن اي شيء سوى الرب ، واذا كان لي ان اقول اكثر دون اساءة ، انهـا الرب لأن كل ماهو من الرب هو الرب ، لأن الرب لايمكن ان يتجزأ .

كيف يمكن ان تكون الروح غير طاهرة كما يقول الناس عنهـا او مذنبة لاأدري ، اذ كيف يمـكن ان يدنس الجسـد روحـا ان هـذا مالااتصوره ...

والحقيقة هي ان لاشيء يبقى الى الأبد سوى الرب : وكل مادون الرب يهلك ويمضي الى العدم : وبما ان كل الأشـياء كان اسـاسها ووجـودها في الرب ، قبـل ان تـظهر على الاطـلاق الى عالم المخلوقات : فانها هكذا ستكون في النهاية مهمـا كان نوعهـا ففـي الرب او الرب في العالم لدى نهايته كلهم سوف ينضوون في الرب مرة اخرى وحيث ان الرب منذ ازل الأزل يعيش من نفسه وكل الأشـياء فيه ، فانه عندمـا يتـوقف عن العيش في الجسـد وفي المخلوقـات سيعيش في نفسه الى الأبـد ، وسـوف ينتصر في مجـد على الذنب والجحيم والموت ، وكل المخلوقات ستسلم سـلطتها وبهـاءها مـرة اخرى الى الرب الذي جاءت منه في الأصل ، وهكذا سـيكون الرب كل شيء .

(٢)وكان بين الصخابين الذين وجدهم جورج فوكس في السجن في كوفنتري في ١٦٤٩ ، جوزيف سلمون الذي بعد ذلك « بوقت غير طويل ... اصدر بحثا او كتابا في الشجب والارتداد عن عقيدته وبناء عليه افرج عنه » ومنذ سنة ١٦٥٠ كان سـلمون لبضـع سـنوات قسيسا في كنت يعـظ كثيرا في كاتـدرائية روشسـتر ، وفي مـراحل مختلفة من حياته كتب عددا من الأبحاث ويبدو ان واحدا منهـا كان رسالة صـخبية تدعى « تحلل الألوهية » التـي يبـدو انهـا فقدت ، والمقتطفات التالية التي تكشف عن عبقرية شـعرية متميزة فعلا هي مأخوذة من شجب يدعى :

« ارتفاعات في أعماق ، وأعماق في ارتفاعات او حقيقة ليسـت

اقل سرية منها متلالاة بطلاوة في بهائها مـن تحـت سـحابة مـن الغموض .... الى جانب التنازل باخلاص عن امور مضيئة سـواء صدرت عنه او وقعت عليه ، ١٦٥١ » (٥٤ صفحة) .

ولم يمض وقت طويل منذ بزغ هذا النور المتفوق الذي اطـل فجـره من بهائه على روحـي واعطـى في حينه انعـكاسا قـويا حلوا على العالم ، حتى كفن نفسه تحت سحابة مـن أشـد مـايكون سـوادا وظلاما ، وانسحب فصلا ، خلف ظلة مظلمة من التراب والجسـد ، وفي حالة اصبحت روحي فيها في عالم مغطى بـالظلام ولم أعد أعرف ما إذا كنت امشي او ماذا كنت افعل . هكذا كنت اقاد إلى طرقات لم اكن اعرفها ، وتحولت من ملك إلى حيوان اكل للقشور مدة فصـل ، وبعد فترة امضيتها وانا ارحل بغضب بالغ وفي حمـاس ملتهـب إلى غاية لايمكن بلوغها : كانت طريقتي في السير محكوم عليها من قبـل أولئك الذين في السـلطة خـلافا للسـلام والمدنية والنظـام المدني للكومنولث وكنت مـوضع خشـية كبيرة كمسيء (ص ٣٠٧) لقـد عانيت اكثر من نصف عام من السجن في ظل فكرة التجديف ، ومـن خلال الحاجة إلى الهواء وكثير من وسائل الراحة الأخرى اصـبحت مضجرا ومملا تجاه الناس ....

ودون سلمون كيف ثاب وارتد واطلق سراحه .

إني مدفوع الآن للكلام لأني تقريبا منهـك مـن الكلام ، ولأعرف العالم أن الصمت قد امسك بروحي ، إن صواعق الرب القـادر قـد أحدثت صوتها في وارتجفت السماء والأرض من اصـواتها المرعبـة وانتهى الانذار ، وهناك الآن صمت في السماء إلى متى لاادري .

إني انام هادئا مطمئنا بـالله وانا أرى العـالم كله ونار الحسـد لبعضه بعضا تاكله،إني اسمع ضجيجا كثيرا من حولي ولكنه فقـط يصم أذاني في سكون الراحة الالهية ، إن العالم الرسـمي مـذعور جدا ، وكل صورة قد هبت إلى السلاح لتعلن حروبا مفتـوحة ضـد نفسها : إن القدرة الالهية تدفع بشيء ضد الآخـر وتـربك ذلك الذي تواجه من قبل مع بهاء الحضور الالهي : إنه من سيستو ي ويتـطلع

نحو الأسفل وهو الذي سيقول : مـــاذا تفعــل ؟ آه ياروحـــي ادخلي حجري واقفلي الأبواب حولك واخفي الذات في الصمت فصلا حتـــى يدفع بالسخط بعيدا .... يبدو اننا نعيش في حـــالة مـــن التنوع ، في حين أننا لانعيش حقا مقابل في المظهر فقط : إن حياتنا في الوحدة : إننا من واحد ولم نعد من واحد مجزأ .

وبينما نختار التنوع ونطوف بــه ، نســير ولكن مثــل الأشــباح الكثيرة والظلال فيه حتى (كذا) ان الكيان الذاتي هو ظل الوحدة . والهبوط من التوحد او الخلود إلى التعددية ، هو فقدان أنفســنا في تيه ليس له نهاية .

وبالصعود من التنوع إلى التماثل ، هو تجميع لأرواحنا المشــتتة في مركزها الأصلي حيث نجد انفسنا حيث كانت قبل ان نكون ....

وبالمناسبة كيف يمكن للمرء إذا أن يبلغ التوحد ، والمشــاركة في هذا البهاء الذي لايمكن الوصول إليه ؟

يكون ذلك : برؤية انه ليس هناك طريق محتمل لنا (بــطموحاتنا البالغة الارتفاع) لنهتم بأنفسنا في ذلك .

ويجب أن نتوقع بصبر مجيئه في اوانه إلينا ، ذلك الذي طبيعته أن يحتوينا في ذاته وأن يذيبنا في طبيعته ومشابهته .

وفي الحقيقة حتى يحين ذلك ويظهر نفسه لنا ، فكل مـــايفعله المرء للحصول على الرضا والراحة هـــو أن يضـــاعف الأسى على راســه ويزيد من العناية بروحه وقدم سلمون بيانا عن مغامراته الروحية : « عما قريب ابدأ رحلتي إلى السماء ، إن كل قوى وقـــدرات روحـــي بلا نهاية مشغولة أيضا ... وأنا الآن قد تخليت عن عشــيرتي وبيت ابي ... » وأصبح مشيخانيا ، ومستقلا ، ومعــمدانيا وفي النهـــاية صوفيا :(ص ٣٠٨)

«وبدوت لنفسي مشــوشا في هـــاوية الأبـــدية واللاوجـــود في كيان الكيانات ... » واصبح صخابا :

وبكوني هكذا معمى عن حضرة الرب طفت بعنف عبر ممرات بالغة الظلمة حيث تعثرت حالا ودائما وسقطت في شرك الرعب والدنس والتجديف الصريح ، يقودني ويدفعني (بأي قوة ليحكم القاضي الحكيم) عنصر الحماس المجنون لتمزيق وانتزاع كل مظاهر الرب التي دللتها من قبل في صدري .

لاابهج نفسي بشيء إلا بذلك الذي حولني إلى شيء تافه ، قبيح في نظر كل الناس ، وأسبح في لاشيء سوى خجلي ....
لقد كنت في الواقع مريضا تماما بالغضب ، قارورة من الغضب اعطيت لي كي أشرب ....

حسنا يجب ان أشرب ، ولكن لاحظ اللغز .
لقد اعطيت لي كي اشرب ، وشربت حتى اتعثر ، وتعثرت حتى اني قد سقطت ، و في سقوطي كنت سعيدا
ومن الغريب كيف أن الوجود الخفي والسري للرب في ، قد ابتهج في صمت ، في حين أن الجسد قد ظهر هكذا .

لقد كان لي راحة حلوة في اللجوء إلى الرب ، حتى بينما كان جسدي يشوى ويشيط في لهيب الغضب الحانق .
لقد كنت في مأمن في الصدر الخالد ، بينما كان الجسد يتمرغ في الموج المزبد ، لغروره الخاص ....
واعرف أن هذا لغز بالنسبة للعديد لااجد من غير النصارى الحقيقيين يستطيع تفسيره ، وحتى يسر بحله ، فإنه يسرني أن يبقى في الظلام . ولكن لنصل إلى قرار .

هكذا دفعت إلى الطرق الغريبة للظلام ، التي تقود إلى الأعلى والأسفل في عاصفة ثائرة من الغضب ، وتصدعت على صخور مروعة من الدهشة ، إن كل أمواج القدرة الالهية وسجلها قد غمرتني .
أنا الآن في راحة في الأعماق الساكنة للأبدية ، وغرقت في أعماق الصمت وبعدما (قفزت فوق هذه الهاوية المخيفة) وصلت بسلام إلى صدر الحب ، وأرض الراحة .

واحيانا اسمع عن العالم الذي هجرته ، وارى ايامه محفوفة بمد من الصخب نفسه والنزاع والتنافس الذي كثر فيه عندما تـركته ، إني أعطيه إصغائي وهذا كل شيء ....

إن رغبتي الكبيرة (وهذا حيث ابتهج اكثـر) هـي أن لاارى او اقول شيئا . لقد ركضـت حـول عالم المنوعات ، وتمـركزت الآن في الأبدية ، وذلك هـو الرحـم الذي اخـذت منه ، والذي إليه تقلصـت رغباتي .... (ص ٣٠٩) إن كل شيء يحمل حركة ثـابتة وظـامئة تجاه المركز ، وعندما نضعف مرة من الاسهاب في التنوع فإننا نحـل في السكون ، حيث نكون كما لو اننا لم نوجد مطلقا ...

إن الرب بهاء واحـد بسـيط غير مـركب : لاشيء يعيش فيه او يتدفق منه ، سوى ما هو ذاته الفردية النقية

الوحدة هي الأب ، المبدع الخالق المنجـب لكل الأشـياء أو (إذا شئت) الجدة التي في رحمها الفعلي تختفي المنوعات حتى يخـرجها الزمان بشكل منظم ....

(٣) كان لورنس كلاركسـون او كلاكسـتون (١٦١٥ ـ ١٦٦٧) مواطنا من بريستون ربي في كنيسة انكلتـرا ، وفي شبابه اظهر معـارف تـطهرية (متـزمتة) ، وكان ينظـر إلى الرقص في السبت برعب خاص ، ثم اصبح مشيخانيا ثـم مسـتقلا وباعتباره ممن كان يرى أن الايمان وحده يكفي للخلاص (بـالمعنى اللاهوتي للكلمة) أصبح (قسيسا في ابرشية) في نورفولك ، وبعـد ذلك عاش حياة هائمة ، وفي ١٦٤٤ اصبح مـن القـائلين بتجـديد العماد وفي السنة التالية سجن بسبب « الغـطاس » وحتـى نهـاية ١٦٤٨ تبع أحد الميول الدينية الرئيسة من ذلك الوقت وهو مـذهب البحاثين ، وخلال تلك الفترة كان واعظا متجـولا في كنت وقسـيسا لابرشيتين أخريين في هيرتفوردشير ولنكاذشير ، وبـدا ايضـا في كتابة رسائل دينية ، وعن هذه الفترة يقول :« كان قليل مـن الكهنة قادرين على الوصول إلى مرتبتي في المذهب وفي الصلاة ، لكن هذا لم

يفد ، فلكوني لست من رجال الجامعة ، كثيرا ما طردت من الوظيفة » . وكان بناء على ذلك بشكل مستمر في ضائقة مالية . ثم اصبح واعظا في فوج للجيش ، ثم حاول أن يجد ابرشية في لندن ، وأخيرا وفي وقت مبكر من ١٦٤٩ ، تحول إلى صخاب ، وسرعان ما اصبح سيء السمعة كقائد لمجموعة فاسقة بشكل متميز ، تدعو نفسها « جسدي الواحد » . وأعطت اللجنة المشكلة للبرلمان للتحقيق في الصخابة اهتماما شديدا لكتاب كلاركسون العاق الملحد ،« عين واحدة » ، وفي ٢٧ أيلول ١٦٥٠ ،حكم المجلس على المؤلف بسجن شهر يعقبه النفي . واحرق الكتاب في وستمنستر وكذلك المقالات من قبل الجلاد العام ، وامر بتسليم كل النسخ لتحرق ولكن قليلا منها نجا من هذا المصير ، ولم ينفذ النفي مطلقا ، وبإطلاق سراحه من السجن استأنف كلاركسون حياته الهائمة وهذه المرة كمنجم ، وفي ١٦٥٨ انضم إلى طائفة من الزاهدين المتطرفين ، المغليتونيان وبعد ذلك كتب عدة رسائل نيابة عنهم . وتوفي مدينا في سجن لودغيت ، وكان أخر كتاب له سيرة ذاتية تلقي ضوءا كثيرا على طريقة حياة الصخابين :« أخر الخراف الموجودة » ،أو« المبذر يعود إلى بيت ابائه بعد سفر كثير حزين ومنهك عبر كثير من البلاد الدينية » تأليف لوركلاكسون الرسول المهتدي الحقيقي الوحيد ليسوع المسيح خالق السموات والأرض ١٦٦٠ (٦٤ صفحة) ، والمقتطفات التالية من هذا العمل تصف دخول كلاركسون في مجتمع الصخابين ، وبعض نتائجه (ص ٣١٠) «.... وسكنت في مسكن خاص ،وسألتني صديقة سالفة لي عما إذا كنت لم اسمع عن اناس يدعون « جسدي الواحد » ؟ فقلت : لها ماذا كان رأيهم وكيف يمكنني أن اتحدث مع واحد منهم ؟ فأرشدتني عندئذ (كذا) إلى جايلس كالفرت .... وبمجيئي إلى كالفرت ، واستفساري عن اولئك الناس خشي أن أكون قد جئت لخيانتهم ، ولكن بتبادل بضع كلمات بأعلى صوتي تأثر واقتنع بأني كنت صديقا لهم وكتب لي مذكرة إلى السيد برش ، وكان محتواها وفحواها ، حامل مذكرتي هذه هو رجل من اكثر المتنورين الذين سمعتهم مطلقا ، واود أن أعلمكم انكم باستقباله قد استقبلتم ملاكا ، وهكذا ذهبت إلى السيد برش

وابرزت تلك المذكرة ، التي قراها بتمعن ودعاني للدخول وقال لي انه لو اني بكرت قليلا لرايت السيد كوب الذي ظهر فيما بعد بطريقة مخيفة جدا ، وكانت هناك ماري ليك ، وتبادلنا بعض الحديث ولكنهم لم يتطرقوا إلى ماعندي ومع ذلك اخبروني باني إذا ذهبت يوم الاحد التالي إلى السيد ميليس في زقاق ترينيتي فإنه في ذلك اليوم سيلتقي هناك بعض الأصدقاء ، والآن فان حكمي في ذلك الوقت كان انه ليس هناك إنسان يمكن ان يكون متحررا من الذنب ، حتى يأتي بما يدعى خطيئة على انه ليس خطيئة ، وكان هذا بداخلي لبعض الوقت ومع ذلك لم اجرؤ ان اكشف عنه لأحد ، وكنت اعتقد ان احدا لن يمكنه تقبله ، وكانت لدي رغبة في القيام بمحاولة سواء كنت سأرضى او انزعج من ذلك حتى اني .... اخذت طريقي متوغلا في الضياع ، وفي اليوم المحدد وجدت السيد برش والسيد رولنسون والسيد غولد سميث ، مع ماري ليك واربعة أخرين : وكانت ماري ليك الآن هي المتحدث الرئيس ، وكان في حديثها شيء جميل ، ولكنه لم يكن رفيعا بالقدر الذي خبرته في نفسي، ثم كان أن اعلنت ماكنت اعرفه بكل جراة مما دفع ماري ليك ، لكونها عمياء ، لأن تسأل : من هذا الذي تكلم ؟ فقال برش إنه الرجل الذي أرسله جايلز كالفرت إلينا وعليه وبمزيد من الكلام اكدت انه ليس هناك ذنب إلا الذي قدره الانسان كذلك ، وعليه إن احدا لن يكون قادرا على التحرر من الذنب إلى ان يفعله في براءة على انه ليس ذنبا ، لاني ارى ان الطاهر بالنسبة لي ، هو الذي بالنسبة للفهم المظلم غير طاهر ، لانه بالنسبة للطاهر كل الأشياء وكذلك كل الأفعال طاهرة : وبذلك نجعل الكتابات المقدسة كتابات من الشمع ، واستشهدت بكلمات بولس : إني أعرف وإني مقتنع بالرب يسوع ، انه لاشيء غير طاهر إلا بتقدير الانسان ، وكشفت ان هذا يقصد به كل الافعال وايضا اللحوم والمشروبات وعليه حتى يمكنك ان تنام مع كل النساء كما تنام مع امراة واحدة ، ولاتعتبر ذلك ذنبا ، فإنه ليس بمقدورك أن تفعل شيئا غير ما هو ذنب : الآن وجدت في الكتابات المقدسة كلاما عن الكمال حتى اني فهمت أن لااحد يمكن ان يبلغ الكمال إلا بهذه الطريقة : التي اخذ بها السيد رولنس كثيرا ، ودعتني سارة كولن وكانت

حاضرة في حينه لتجربة ماصرحت بــه ، وفهمــت مــن ذلك بعــد أن افترقنا انهــا دعتني إلى الســيد واتس في رودلين ، حيث كان هناك واحدة أو اثنتين اخريين مثلها ، وما أن اخــذتها نامــت معــي تلك الليلة : والآن اشيع في الأحد المقابل في الخارج حديث أن رجلا ليس له نظير بمعارفه سوف يتحدث عند السيد برش ، وفي ذلك اليوم كانت هناك جمهرة كبيرة من الرجال والنساء مــن الشــباب والكهــول ، وهكذا من يوم ليوم كانت تزداد حتى اصبح لدي الآن خيار فيما كنت (ص ٣١١) من قبل اطمح إليه وبلغت الكثرة حدا وصــل إلى آذان اداريينا . وبعدما اخذت اجري تركتهم وسكنت في رودلين ، حيث كان لي زبائن عديدين حتى اني لم أكن قــادرا على تلبية كل الرغبــات ، ومع ذلك فإن أحدا سوانا لم يكن يعرف شيئا عن افعالنا ، وعلى اي حال لقد كنت دقيقا في معرفة مع من اتصرف ، وقد تزايد هذا المبــدأ الشهواني ، حتى ان اللورد العمدة وضباطه جاؤوا في منتصف الليل لاخذي ولكن ما ان علموا بذلك حتى منعوه ... وشعرت بــرغبة في أن اكتب للعالم مبينا ماهية مثلي ومبادئي وهكذا اخرجت للمــلأ كتــابا يدعى « العين الواحدة » .

حتى ان رجالا ونساء جاؤوا مــن اجــزاء عديدة لرؤية وجهــي ، والاستماع إلى معارفي في هذه الأشياء ، لكونهــم كانوا قلقين حتــى يتحرروا كما كنا نقول عن ذلك في حينه ، والآن وقد أصــبحت كمــا قالوا قائد الصخب ، كانت معظم النساء من ذوات الشرف يجئن إلى سكني من أجل المعرفة ، وســكني هــو الذي أطلق عليه بعــد اســم القيادة .

وفي قمة هذا الصــخب كنت حــريصا على أن احتفــظ بــالمال لزوجتي ، اما جسمي فقط فكنت اعطيه للنساء الأخــريات ، ومــع ازدياد رفقتنا لم أعد افتقد شيئا يمكن أن يرغب فيه القلب ، ولكنهــا أخيرا أصبحت حرفة شائعة حتى ان كل الزبد والحثالة قد اندفعــوا الى قمة هذه الشرور ، نعم لقد بدأت تصبح خزيا عاما علينا ، حتى اني تخليت عن قيادتي وتوجهت الى زوجتــي في الريف ، حيث كان

لي بالمناسبة حواريون كثيرون.... الميجور رينزبور والدكتور باركر ...والسيد واليس الفورد وقد التقيت بهم هناك ، حيث لم يكن السرور والبهجة بمدح الرب قليلا فقط بل حتى لا شيء ، مطلقا ، كم هوعظيم ما فعله الرب من أشياء مجيدة باخراجنا من العبودية الى الحرية التامة لأبناء الرب ، ومع ذلك ففي حينه كانت الفكرة المستحوذة على قلبي هي كل طرق السرقة والغش ، والخطأ او الأذى الذي يمكن إحداثه ، سرا ، مع أني كنت باللسان أصرح بالعكس ، دون تفكير في أني اخرق القانون في كل نقاطه (باستثناء القتل) ، وكان أساس ذلك كله هو حكمي أن الله قد جعل كل الأشياء طيبة ، وعلى ذلك فليس هناك شر الا الذي يقدره الانسان ، لأني كنت افهم أنه ليس هناك شيء يدعى سرقة أو غش أو كذب بل إن الانسان هو الذي جعل هذه الأشياء هكذا ، لأنه لو أنشأ المخلوق هذه الدنيا على (لا) تمليك ، أي لي ولك ، لما كان هناك شيء يسمى سرقة أو غش أوكذب ، التي للوقاية منها اخرج ايفرارد وجيرارد وينستانلي ، مبدأ الشيوع ، حتى يمكن أن يعيش الجميع بأنفسهم ، وعندها لا تكون هناك حاجة للسلب والاحتيال ، بل وحدة الواحد مع الآخر.....هذا ما تصورته كما لو اني لم أعرف ما كنت عليه قبل أن اخرج للوجود ، وعليه فالى الأبد يجب أن لا أعرف شيئا بعد ذلك حتى يتحلل كياني ، ولكنه حتى كتيار من المحيط كان متميزا بنفسه بينما هو تيار ، ولكنه عندما عاد الى المحيط ابتلع هناك وأصبح ضمن المحيط ، وهكذا روح الانسان وهي في البدن ، كانت متميزة عن الرب ولكن عندما يأتي الموت تعود للرب وتصبح في وحدة معه ، نعم الرب نفسه ، ومع ذلك ، فاني احيانا ما كنت أجد نورا دقيقا في روحي وبخوفي من أنه يجب أن لا يكون هذا كذلك ، كما كان على العكس في الواقع إلا أنه مع ذلك كان لكأس من النبيذ أن تزيل هذاالشك...».

ومضى كلاركسون في وصف كيف تم اعتقاله في النهاية في حانة في بيشوبسغيت وسجن في الوايتهول ، ويفترض أنه دفع للحرس العسكري الذي أعد له ، ولكن كان للصخابة متعاطفون في

الجيش :» ولكون بعضهم على مبداي ، كانوا يحرسونني دون مقابل ، وكان احد النقباء فيهم يعطيني نقودا ، وعندما استجوب من قبل لجنة المجلس راوغ وكذب ـ في روايته ـ بالضبط حسب السلوك الذي وصفه تيكل في الحفرة التي لا قرار لها٠

(٤) كان العنوان الكامل للرسالة الصخبية لكلاركسون هو :
« العين الواحدة ، كل النور لا ظلام ، أو النور والظلام شيء واحد.... » وقد كشف ذلك في رسالة سرية ذات سمة عالمية ، طبعت في لندن في السنة التي كانت فيها قوى السماء والأرض موجودة ، وسوف تهتز ، نعم وتلعن ، حتى لا تبقى بعد ذلك الى الأبد ، طباعة جايلز كلفرت ، ١٦٥٠ (١٦ صفحة) وتأصل بهذا العمل بما يتجاوز كل احتمالات الشك أن بعض الصخابين كانوا حقا يعلمون كل اللا اخلاقيات التي عزاها اكليروس القرون الوسطى الى اخوة الروح الحرة :

انظر لقد جاء ملك السعادة والمجد
ليخضع الرب ، والشيطان لقدرهما
لأن كليهما عبد لي
انا الذي يعيش ويحكم في جلال تام...
تبا إذا للخجل ، لاتنظر فوق السماوات

للرب او الجنة ، لأن هنا ترقد كنوزك وحتى في تلك الصور ستحكم المشيئة الخالدة
ومن خلاله كل الأشياء ، فقط واحد ، وليست زوجا
وبالتأكيد إنه النبع الذي فيه كل شيء
جيد وسيء (هكذا اصطلح) يبدو أنه ينبع....

وقد خبر أن جلالته:الكيان والعمل لكل شيء ، يظهر في وللمخلوق في صورة مزدوجة أو سيماء ، بها يصبح حقيقة للمخلوق ، الذي ليس الا ظلا لهذا الكائن اللانهائي،...
وعليه إنها صيحة جلالته التي لم تتحقق ، ولم تطع إلا من قبل

الكنائس والقديسين ، وعارض الشـياطين وازدروا . لذلك يندر أن تجـد المخلوق الذي أوقـظ مـن نومـه العميق ، ونفض عنه الغطاء ، حتى يمكنه أن يقول عند الظهور الواضح للرب ، لقد ذهبـت الغشاوة ، وأنه يؤمن بالحقيقة كمـا هـي في جـلاله ....وإذا أقـر العقل ، وفسر بذلك الكتاب المقـدس ، فـانهم يجـب أن يلاحـظوا (كذا) في هذا العمل الذي يدعونه الأمانة ، أن تـكون أن زانيا وأن العمل الذي يدعى زنا ، فيه من الأمانة ما للآخر ، لأنهما بـالنسبة للرب ليسا الا واحدا وأن هذا العمل الواحد مقدس وصـائب وطيب كالرب ، وهذا بالنسبة لي يؤكده العقل وهو معلن في الكتاب المقدس « إنه بالنسبة للطاهرين كل الأشياء طاهرة »

حتى أنه من جانبي إني لا أعرف أن شـيئا غير نظيف بـالنسبة لي ، اكثر مما هو في ذاته ، وعليه فإن اي فعل اقوم به تفعله الجلالة في نفسي..حتى اني لا اعبأ كيف يحكم علي ، وفي هذا لا احـكم على نفسي والخلاصة إن منتقدي الكتب المقـدسة والكنائس والقـديسين والشياطين لا يعنون بـالنسبة لي اكثـر مـن قـطع(كذا) عنق كلب ••• ، فيل

اشعيا ، ٤٢ ـ ١٦ « اجعل الظلمة امامهم نورا »
...والآن جاء الوقت ، الآن يوم يسلبهم الرب أوهـامهم ، وينير مفاهيمهم المظلمـة كمـا في نصي ، سـيجعل الرب الظـلام نورا بين أيديهم

...والآن يقترب الوقت حيث تظهر الاقوال التي في هـذا النص في تحرر الروح ، سأجعل الظلام نورا بين أيديهم.

وبوصولنا الآن الى المرسى المأمول ، فإن كل الصعوبة ستكون في كيفية تفريغ السفينة المشحونة بمثـل تلك اللآليء المخبـأة ، وكيف يمكن عمل سلعة منها ، وكيف نحـل هـذا الموضـوع حسـب قدرتكم ، كيف نعطيكم فـكر الرب بتعـابير ممـاثلة لظهـور الرب فيكم...قد تقراون أن النور والظلام متشابهان بالنسبة للرب ، هكذا

هو يظهر ، لكن الظلام في المخلوقات مفهوم ، وهو ليس سوى ظلام متوهم لأن النص يقول الرب هو النور وفيه لا وجود للظلام ، وعلى هذا انت ترى أي شيء ، أو بأي طريقة كان ما يدعى ظلاما في الكتاب المقدس ، مع انه لا شيء بالنسبة للرب.

ويجيب كلاركسون أولئك الذين ينسبون أعمالا خاطئة مثل صلب المسيح الى الشيطان ، أو الى الاختراعات الشريرة للانسان : والآن وقد أحاط بنا الفوج الاسود ، الذي يقوده الشيطان ، والجيش كله يتكون من تخيلات كل الخليقة ، لا طريق لدي للهرب من هذا المعسكر والخليج الذي لا قرار له ، إلا باختراق الحصن والمعقل المحصن ضدي.

ولكوني مسلحا بسلاح الجلالة ، فاني لا اشك في ان الرب في سيطيح بتلك المعاقل المتوهمة ، نعم إن كل شيء يعلي نفسه ضد قوة الأعلى...يجب أن اخبركم...إن كل القوى مستمدة من الرب ، وكذلك كل الأعمال أي كانت طبيعتها على الاطلاق إنما هي ناجمة عن قوته ، نعم تلك القوة الربانية حتى أن كل شيء يصدر عن هذه القدرة نقي بنقاء القوة ، والقوة بنقاء الرب نفسه.

وهكذا فمن ثم يأتي انه ليس من عمل ايا كان غير طاهر في الرب ، أو أثم لدى الرب أو بين يدي الرب ....

وكما قلت ، وهكذا اقول مرة أخرى إن تلك الاعمال أو أي فعل ايا كان طالما انه يقدر أو يتوهم منك بأنه خاطيء ليس في الرب ولا من الرب ، ومع ذلك فما يزال كما قلت أن كل ما هناك من افعال من الرب ، نعم هي بنقاء الرب نفسه ....لقد أخذت الخطيئة مفهومها في العصور فقط ، وعليه ، طالما ان الفعل في الرب أو صدر بوضوح عن الرب فهو مقدس كالرب: ولكن بعد ظهوره فيك أو فهمه لك فإن هذا العمل يكون إما طيبا أو شريرا ، وعليه هل كنت مع آدم تأكل من الشجرة المحرمة ، شجرة معرفة الخير والشر ، وهل ذقت تلك الثمرة التي ليست في الرب ، حيث يقول النص ، من فم الأعلى لا

يخرج شر بـل خير : خير ولكن ليس شرا ، لأن الرب طيب والخير هو الرب : وعليه فإنه هو الذي جعل كل شيء طيبـا ، نعـم إن مـا تتخيله انت شرا قد جعله طيبا : وعليه إن تصورك من الرب ما ليس يفعله الرب لكل المخلوقات هو اساءة كبيرة للرب يجعل الرب مصدرا لما ليس في الرب (ليعلم) الخطيئة ولكن بـالنسبة للأمـر الذي بين أيدينا ، لقد سمعت بكل الأفعـال القـائمة والتـي كان مصـدرها ومنشؤها من الرب ، نعم من فعل الرب وكي اكون واضـحا إن تلك الأفعال الصادرة عنك ، والتـي تـدعى السـباب والسـكر والزنا والسرقة الخ. تلك الاعمال ببساطة كأعمال هي اعمـال جـاءت مـن قدرة الرب نعم ، كملها الرب بحكمته.

ماذا قلت أنا : هل عند السباب والسكير والزاني واللص سـلطة الرب وحكمته للسـباب والشرب والعهـر والسرقـة ؟ ...حسـنا يا أصدقاء مع أن مظهر الرب في يبدو بالنسبة لكم مرعبا هكذا كما كان لموسى في الجبل ، فإنه يبقى على الرغم مـن ذلك هـو مـا سـمعته ورأيته ، إني لا اشعر بأقل رجفة ، بل ابتهـج ان اتيحـت لي هـذه الفرصة لأعلنه لكم ، كيفما كان تقبلكم له.

وكما قلت من قبل ، واقول ثانية : كلمة خطيئة هي فقط اسم بلا عاده ، لا وجود لها في الرب ولا في المخلوق ، بـل في الخيال ، وعليه يقال إن تخيلات قلوبكم هي شر مستمر ، إنه لا الجسـم ولا الحياة بل الخيال فقط وهذا ليس في مرة واحدة أو مرات بل دائمـا وهنا إن الخطيئة التي لا تأخذ في ذاتها شكلا قد وجـد لهـا شـكل في تقـدير المخلوق...

فكر في أي فعل على الاطلاق ، نعـم وليكن فعـل السـباب ، أو السكر ، أو الزنا والسرقة ، لاتزال هذهالأفعـال ببسـاطة ، نعـم بشكل مجرد ، كأفعال ليست شيئا مميزا عن افعال الصلاة ، فلماذا تعجب ؟ ولماذا تغضب ؟ إنها جميعا واحدة في ذاتها ، فليست هناك قدسية ، ولا طهارة بعد ذلك في واحدة دون الأخرى.

ولكن ما أن يعتبـر المخلوق فعـلا على انه زنا واخـر امـانة أو عفة ، واحدا طاهرا والآخـر دنسـا فإنه في النهـاية بـالنسبة لذلك الرجل الذي يعتبر احد العملين دنسا فإنه يكون دنسا بـالنسبة له : (وكمـا يقـول التـاريخ) ليس هناك شيء دنس في ذاتـه ، ولكنه ٠٠٠٠ إلا بـالنسبة لذلك الذي يعتبـره دنسـا ، نعـم ايضا ، وايضـا فإنه يسـجل انه للطـاهر كل شيء ، نعـم كل شيء طاهر ، ولكن للدنس كل شيء دنس...

ولا يهم ما يقوله الكتاب المقدس ، والقديسون ولا الكنيسة إذا لم يكن الذي في داخلك يدينك ، فانك لن تدان لأن التـاريخ يقـول مـن فمك ، لا من فم غيرك احكم عليك ، وعليه تذكر انك ما لم تحـاسب نفسك ، دع الحياة تكون ما تكون ، وافعل ما يمـكنك ، ومـع ذلك فانك إذا لم تحـاسب نفسـك لن تحـاسب ،لأني لم ات الى العـالم لادين ، بل لأخلص العـالم ، ولكن إذا كان لوم وقـذف القـديسين والكنيسة يدفعك لأن تستجوب نفسك ، الن تكون إذا مستعدا للقول بماذا يحكمون دون ان اكون مذنبا بما يتهمـونني بـه ، لهـذا فإنه صحيح القول ، اه يا ادم ان الخراب من ذاتك أنت...

إن الرب قد اعلن ان تلك الاعمـال القـذرة البغيضـة في الظـلام (التي تعرفها انت هكذا) ستدمر وتلعن ولكن كيف وأين ستلعن؟ (ص ٣١٥)إن هذا في اقوال ذلك النص سأجعل الظـلام نورا ، آه إن هذا ما فكرنا فيه بطهر ، وعندها فانك سترى ان الخطيئة يجـب ان لا تطرح خارجا بل تطرح داخلا ، هناك كونها في الراقود (وعاء التخمير) تصبغ بلون المادة السائلة نفسـها كمـا يلون الزعفـران الحليب بلونه ، هكذا يفعـل ينبـوع الضـوء في تحـويل الخطيئة ، فالجحيم والشيطان يحولها الى طبيعتـه والنور الى نور مثله ، سأجعل الطرق خشنة ناعمة : انها الآن ملعونة ومحشـوة في مركزها الوحيد هناك لتسكن الى الابد في صدر ابيهـا الأوحـد : ان هذا وهذا فقط هـو اللعنة التـي تـرعب المخلوق كثيرا بمفهـومها الاسود...

وعن بعث الجسد يقول كلاركسون:

إن جسمك الذي يتركب من لحم وعظــم هــو مــن تــراب الأرض ، وعليه عندما يختزل بدنك الى مــركزه عندهــا (وليس الا عند ذلك) يصبح جسمك حيا ، وتكتمل ســعادته ...إن هــذا المكان الذي يدعى الجنة ، سيصبح جحيما للبدن ، لأنه بعــد أن يوســد في القبر ، يقبر في سمائه ، وبهائه ، وسعادته حيث سيتعفن وسيمتص في طبيعته الخاصة الى الأبد ودائما....

لأنه في النور أعلن ، أن الأحاسيس الفاسدة يجــب ان تــكون في الفساد ، وفهمك الفاني يجب أن يكتسي بالخلود ، إذ حيث كنت حيا لخمسة وميتا لواحد ستكون الآن ميتا لخمسة وحيا لواحد ، إنه ذلك الواحد الطاهر الذي لا يرى شيئا الا النقاء ، وحيثما يذهب وأيمــا يفعل ، فكل شيء حلو وبهيج ، ولكن تحــت أي اســم كان ، فــأنت خارج من الاسم للفعل ومن الفعــل للقــوة ، ومــن القــوة الى اسمه ، وهذا الأسم الواحد فقط طاهر وغير ملوث ، حتى انك الآن ذاعيذين أطهر من أن ترى الظلم والخطيئة ، وبناء عليه إن الشيطان رب ، والجحيم جنة ، والخطيئة قدسية ، واللعنة خلاصا ، إن هذا وهذا فقط هو البعث الأول.

ومع ذلك فان هنا ليس مقــر اقــامة ، وليس مســكنا أمنا ، ذلك الذي مازلت فيه على حافة مصر ، ليس فقط مــع مــوسى بــل جبــل حرمون فقط شفهيا وليس عمليا ، يفتقر جدا إلى البعث الثاني وهو الحياة والقوة التي رأيتهــا ، فحتــى تخلص مــن ذلك الذي بعثــت فيه ، انك لاتستطيع أن تقول ايهــا الموت اين هــي لدغتــك؟ ايهــا القبر اين هو انتصارك ؟

لاتعجب مني لأنه دون فعل ، ودون مــولد ، وليس هناك تحــرر ليس فقط للمتكلمين بل للفاعلين ليس فقط روحك بل جسمك عجيب ان يكون ضحية حية ومقبولة ، وعلية حتى تفعل مــايدعى خــطيئة فانك لن تتحرر من سلطة الخطيئة ، بل مستعدا لكل انذار للارتجاف والخوف من لوم الجسد .

واقول الى أن يتحول اللحم الى روح ، والروح الى لحم ، فلا اثنين بل واحد ، فانك في عبودية تامة لأنه بدون احترام ، أعلن انه كل من يحاول أن يتصرف من اللحم في اللحم مع اللحم يرتكب الزنا: ولكن كي يتصرف من اللحم في اللحم مع اللحم يرتكب ذلك ، الذي يدعى خطيئة فاني لايمكنني ان اهيمن على الخطيئة ، حتى أني الآن ايما فعلت ليس له علاقة بالاسم ، باللحم بل بذلك الخلود في داخلي ، حتى انه معي ، ان كل المخلوقات ليست سوى مخلوق واحد ، وهذه هي صورتي (ص ٣١٦)المماثلة لكل الخليقة لذلك انظر ماذا استطيع فعله وماسوف افعل الكل ليس الا شيء واحد حلو بديع ، وعليه ياأعزائي فكروا انه بلا فعل لاحياة وبلا حياة لاكمال ، وبلا كمال لاسلام ابدا ولاحرية حقا في القدرة التي هي الجلال الأبدي ، الحكم القاهر الذي يلعن كل شيء في ذاته بلا نهاية الى الأبد .

(٨) وكان اكثر الصخابين شهرة ابيرزكوب (١٦١٩ - ١٦٧٢) وقد ولد وترعرع في وورك Warwick ومن الممتع ان نلاحظ ان ذلك التابع المقبل للروح الحرة كانت تستحوذ عليه في فترة المراهقة اعتقاد بالاثم ، وكان فريسة للقلق العصياني ، وكان يحتفظ بسجل يومي لخطاياه ، وهام كثيرا ، وفرض على نفسه صلوات المساء واذلال النفس وعن هذه الفترة يقول : في صلاتي المسائية وعند منتصف الليل ... كنت باستمرار .... (مع اسى الروح ، والتنهدات والتأوهات وكثيرا مع الدموع) اعترف بخطاياي

..... وكانت الدموع شرابي : والتراب والرماد لحمي والخيش لباسي ، والحماس والاخلاص ، وصداقة الحياة المتزايدة والحوار هي حياتي « لقد وضع حارسا صارما » يرقب كل كلمة او فعل او فكر ، وكان لديه دافع مستحوذ تقريبا للسباب واللعان ، ولكن بمثل هذه الطرق كان قادرا ـ كما يدعي ـ على تجنب كل السباب لنحو سبع وعشرين سنة .

وفي ١٦٣٦ ذهــــــب كوب الى اكســــــفورد « كدارس فقير » ـ كخـــادم في اول ســـولز All souls

وسرعان ما اصبح مدير مكتب بريد في ميرتـــون Merton ويقال ـ يصعب الحكم بمدى الصـــدق ـ أنه في ذلك الوقــت كانت اخلاقياته اقل تزمتا « وانه كان كثيرا مايرفه عن ربة بيت لعـــوب في غرفته ليلا » وعطل تفجر الحرب الأهلية مهنته في اكســفورد فتــرك الجامعة دون الحصول على درجة ، ومثـــل لورنس كلاركســـون كان لبعض الوقت مشيخانيا ثم اصبح فيما بعد قســـيسا مـــن القـــائلين بتجديد العماد ، وفي هذه الوظيفة كان نشيطا جدا في اكســفورد هير ووروبكشير وقسما من وورسسنتشير « الغطاس » ويقـــال ان ذلك شمل نحـــو ٧,٠٠٠ شــــخصا ، وكان يراس قـــداس حـــامية عسكرية .

وبهذه الأنشـــطة ســـجن في حـــوالي ١٦٤٦ في كوفنتـــري Coventry وربما حلت بكوب محـــن اخـــرى بســـبب شذوذ حياته الدينية ويقـــول ان والده ووالدتــه قــد تخليا عنه ، وان زوجته انصرفت عنه في كراهية ونفــور ، حتـــى ان ســـمعته دمـــرت واضرمت النار في بيته ، ومهدت هـــذه الأحـــداث بـــدورها الطـــريقة لتحوله الى الصخابة ، الذي جـــرى في ١٦٤٩ وتبنى كوب وحـــده الوجود في الافلاطونية المحدثة للروح الحـــرة معتقـــدا بـــأن الرب في السماء والأرض والفجر والجحيم ٠٠ يملأ كل شيء وكل مكان فهـــو الكل في الكل وان كل الأشياء تعود الى اصلها ويبـــدو انه قـــد تبنى ايضا الطرق الاداماينية وكان معتادا منه ان يعظ بالتجديف الصريح والشرور التي لم يسمح بهـــا في النهـــار وفي الليل(ص٣١٧) يشرب وينام عاريا تماما مع بغي كانت ايضا مستمعة له » ومامن شـــك في ان يسجن بسبب مثل هـــذا الســـلوك لمدة اربعـــة عشر اســـبوعا في ووروك ، ويبدو ـ اســـتنادا الى اشـــارة كلاركســـون اليه ـ انه انتمى اخيرا إلى مجموعة الصخابين الملتفـــة انذاك حـــول جـــايلز كلفرت والذين اسموا انفسهم (الجسد الواحد) وكان من الشائع ادراجه مع كلاركسون كقائد لحفـــلات العـــربدة التـــي كان يقيمهـــا

الصخابون ويبدو انه بين الفينة والفينة عندما كان يعمل كمبشر للصخابين انه كان يستخدم جدليات كتاب كلاركسون « العين الواحدة » وكان كوب قائد الصخابين الذين يشربون ويدخنون والذين سجنوا في سجن جورج فوكس في تشارنغ كروس Charing cross ، ويبدو انه في الواقع كان يدمن الشراب كثيرا ، ولكن فوق كل شيء انه ما أن تحول الى صخاب حتى انغمس في ماكان يتوق اليه من سباب ولعان.

ويتساءل ريتشارد باكستر Richard Boxter برعب كيف حدث ان اتباع هذا الرجل « رجالا ونساء كانوا يصرخون بخوفهم الحماسي من الرب يجب ... ان يتركوا ليضيفوا الى دينهم العربدة والزئير ، والشراب ، والقهر ، والقسم العلني الصريح يملء الفم عادة ،الى جانب جراح ودماء الرب ، واللعنة الأكثر ترويعا التي سمع بها » ولقد سمعنا أن كوب يلعن نحو ساعة من غير انقطاع على منبر كنيسة في لندن ، ويسب مضيفة في حانة بشكل مخيف« حتى انها ارتجفت وارتعدت لبضع ساعات بعد ذلك » وكان حواريوه يوضعون في اداة التعذيب الخشبية التي تقيد فيها ارجلهم في ستارتفورد Startford بسبب سبابهم .

وكان كوب صخابا عندما الف في ١٦٤٩ كتاباته الوحيدة التي تستحق الذكر : بعض الرشفات الحلوة من بعض النبيذ الروحي . اللفافة الملتهبة الطائرة و (حيك وصدر مع هذه الأخيرة) لفافة ملتهبة طائرة ثانية .

وادت اللفافتان الطائرتان الى اعتقاله في كانون الثاني ١٦٥٠ وسجن في كوفنتري (للمرة الثانية) ثم في نيوغيت New Gate ، واصدر البرلمان امرا بجمع واحراق اللفافتان باعتبارهما تحتويان كثيرا من التجديف المروع والأراء الملعونة البغيضة من قبل العمد ومفوضي الشرطة ، وقضاة الصلح في

كل انحاء الكومنولث وان تحرق من قبل الجـلادين العـامين ، وان تحرق نسخ منهـا علنا في وسـتمنستر وفي الســوق وفي ســاوثورك South Wark وكانت فرصة كبيرة لتطبيق قـانون ٩ أب ١٦٥٠ (المشار اليه من قبل) ضد التجديف الالحـادي والأراء البغيضة في أعمال كوب وأخيرا استجوبت اللجنة البـرلمانية التي كانت قد استجوبت كلاركسون في ايلول ١٦٥٠ كوب بعـد ذلك بوقت قصير ، واثناء الاستجواب تظاهر السجين بـالجنون واخـذ يلقي بقشور البندق والأشياء الأخرى في انحاء الغرفة ويكلم نفسه .

وفي نيوغيت اســــتقبل كوب زوارا كثيرين « وبــــالجدال الهادي » حول غير قليل منهم إلى الصخابة . وفي النهـاية على أي حال بدأ توتر السجن يحدث اثره ، وفي بداية ١٦٥١ أصدر وهـو في السجن الاعتراض على الاحتجاج الحماسي المخلص لابييزركوب ضد الأراء التجـديفية البغيضـة الواردة في قـانون ١٠ أب ١٦٥٠ (٦ صفحات) (ص ٣١٨) واعقب ذلك بنحو خمسة شـهور بـارتداد كامل بنشره :

« عودة كوب إلى طرق الحقيقة وسـقوط اجنحـة اللفـافة الملتهبـة الطائرة » الخ وفي هذا يعزو كوب سجنه إلى « بعض الأفعال الغريبة والمواقف ... بعض الكلمـات والتعـابير الصـعبة ، والسـوداء ، والصلبة ، والغريبة والقاسية ، وتقريبا بما لم يسمع بـه وقـال عن صخابته السالفة :

« إن أبرز أيام الرب رهبة قد تسلل إلي على حين غرة ، كلص في الليل .... وكان الكأس في يد الرب اليمنى فـوضع في يدي اليمنى ، وكان مليئا حتى الحافة بالنبيذ المسكر ، وشربتـه حتـى الثمـالة . وعندها ولكوني ثملت بجنون تكلمت كلاما غريبـا ، وتصرفـت بمـا لاأدري به . ولدهشة بعضـهم والحيرة الشـديدة لبعضـهم الآخـر والأسى الشديد لآخرين وإلى أن فـارقتني الكاس لم أدر مـا قلت أو فعلت».

-١٨٥٠-

والآن وقد عاد إليه فهمه ، رجا أن تجمع اجنحة اللفافة الملتهبة الطائرة وان تلقى بلا تردد في مكانها الخاص «بحيرة النار والكبريت ، والهاوية العظيمة التي جاءت منها » . ونتيجة لذلك الالتماس إلى البرلمان ومجلس الدولة أطلق سراح كوب بعد سنة ونصف السنة من السجن ، وفي أيلول وعظ في بيرفورد موعظة الارتداد التي استدعت التعليقات المتشككة لجون تيكل (المقتبسة أعلاه) وبعد ذلك أصبحت حياة كوب بلا مغامرات ولامخاطر وبعد الارتداد مارس التطبيب في باريز تحت اسم الدكتور هيغام حتى وفاته .

اما باكستر الذي تحدث مع كوب ، فكان متأكدا من أنه لم يكن مجنونا ، وتعطي كتابات كوب انطباعا بغرابة الأطوار اكثر من كونها عصابية فقد كان دائما فرديا بقوة ، وأحيانا مشوشا تقريبا ، مع حيوية لفظية لاتنكر ، وهي ذات قيمة كبيرة جدا لفهم ديانة الروح الحرة ، وأكثر وضوحا من أي مصدر آخر ، وتبين هذه الرسائل كيف أن السلوك المتطرف الفوضوي لاتباع الروح الحرة تدفق منها وتغذى بتجارب الجذب الصوفي الظاهري التحليقي ، وهي تلقي كثيرا من الضوء أيضا على « المذهب الاجتماعي » للروح الحرة ، ونجد كوب يؤكد أن كل الأشياء تخص أو يجب أن تخص الرب وحده ، وتدين تماما مبدأ الملكية الخاصة ، والحث على الفقر الرسولي وتحقير الذات العلني ، الذي كان يعتبر عادة صفة مميزة خاصة بالقرون الوسطى يمكن أن يرى هنا نشطا في انكلترا القرن السابع عشر ، ويمكن أيضا أن نلاحظ في تلك الكتابات مدى سهولة ظهور مثل هذا الرفض للملكية الخاصة مع كراهية الأغنياء وهكذا كما في القارة الأوروبية في قرون سالفة ــ ادى إلى ظهور تطرف عنيد متصلب ، واكثر أعمال كوب اهمية بلاشك ذلك الذي عانى (ص ٣١٩) بسببه من السجن « اللفافة الملتهبة الطائرة » : كلمة من الرب إلى كل عظماء الأرض ، ممن يهمهم الأمر : كونها آخر إنذار ليوم الحساب ، لأن الرب الآن ــ ١ ــ يبلغكم ــ ٢ ــ وينصحكم ــ ٣ ــ ويحذركم ــ ٤ ــ ويتهم ويحكم على

- ١٨٥١ -

العظماء ، وايضا كتبليغ بالغ الحنو والحب والتعاطف فينصح ويحذر لندن من كلمة رهيبة وضربة مميتة من الرب للكنائس مجتمعة . وكله بجلاله الرائع ، يسكن فيه ويشع من خلال بطرس العالمي المعروف بكوب . مع لفافة طائرة أخرى تالية (إلى كل سكان الأرض) طبعت في لندن في بداية ذلك اليوم المشهور ، حيث كشفت أسرار كل القلوب وحيث اكتشفت أسوا الشرور وأكثرها كراهة تحت أفضل وأنعم المظاهر الخارجية ١٦٤٩ (١٥ صفحة و ٢٢ صفحة) .

التوطئة

مدخل إلى ارض الميعاد ، هيروسالم الجديدة وبوابة إلى المقالة التالية ، التي تستحق تأملا جادا

عزيزي الأوحد
الكل أو لاشيء
كل واحد تحت الشمس
خاصتي ·
إن بالغ روعتي وجلالي (في) قد حولت هذه الصورة بشكل مختلف وغريب

وأنظر ، بقدرتي الخاصة (في) التي تحولت في لحظة في رمشة عين عند صوت البوق والآن يهبط الرب من السماء ، بصيحة ، وبصوت كبير الملائكة وبوق الرب ، والبحر والأرض ، نعم كل الأشياء تتخلى عن موتاها ، وكل شيء كان موجودا على الاطلاق هو أو سيكون منظورا .... وهو القبر حيث ملك البهاء (القدرة الخالدة غير المنظورة) ترقد كما لو كانت ميتة مقبورة .

ولكن أنظر ، انظر إنه الآن ينهض مع الشاهد ، لينقذ جبل صهيون مع الانتقام ، أو ليلعن ويبتلي كل الأشياء في نفسه وهو الذي بملاكه القوي يعلن (بصوت مرتفع) أن الخطيئة والعدوان قد انتهيا وبلغا أخرتهما ، وحل الصلاح الدائم ، والوعظ الأبدي بالانجيل ، ويؤتى بالانجيل الأبدى بزلزلة أرضية مروعة وهزة سماوية مع علامات وعجائب تالية .

وقد سر جلالتي الممتازة جدا (التي هي الحب الشامل ، وخدمتها هي الحرية التامة) أن تضع هذه الصورة (كاتب هذه

اللفافة) لا كعلامة صغيرة وعجيبة في إسرائيل الجسدية ، كما ربما سترون في المقالة التالية .

والآن (يا اعزائي) : كل واحد تحت الشمس إني سأشير فقط إلى البوابة ، التي اقتدت عبرها إلى المدينة (ص ٣٢٠) الجديدة هيروسالم وإلى أرواح الرجال العادلين المستقيمين ، الذين أصبحوا كاملين وإلى الرب حاكم الجميع .

في البداية خارت قواي وقواتي تماما واحرق البيت الذي سكنته ، وتخلى عني أبي وأخي ، ونفرت مني زوجتي الحميمة ، واهترا اسمي القديم ، وهلك وابتليت تماما واستهلكت ولعنت وصدمت وغرقت في العدم ، في أحشاء الأبدية الساكنة (رحم أمي) الذي خرجت منه عاريا والذي عدت إليه عاريا مرة أخرى ، ونمت وهلة هناك سابحا في الصمت ، وفي النهاية (وقد استيقظ الجسد والهيئة الظاهرية كل تلك الوهلة) سمعت بأذني الخارجية (لخوفي) قصفة رعد مروعة جدا ، وبعدها ثانية ، ومع القصفة الثانية التي كانت بالغة الهول رايت جسما عظيما من النور ، كنور الشمس ، وأحمر كالنار على صورة طبل (كما كان) حيث مع ارتجاف هائل ودهشة في الجسد ، وبهجة لاتوصف في الروح ، شبكت يدي وصحت : لك المجد آمين ، لك المجد آمين .

وهكذا رقدت وانا ارتجف وادخن (فترة نصف ساعة) وفي النهاية وبصوت عالي (داخليا) صحت ، يارب ماذا ستفعل بي ، وبجلالي الممتاز وبالبهاء الأبدي (في) فأجابني قائلا : لاتخف ساخذك الى اعلى الى مملكتي الابدية ، ولكنك ستشرب (اولا) كأس مرة ، كأسا مرة وعندها (وقد ملئت بدهشة زائدة) القيت في بطن الجحيم (و خذ ما شئت من هذه التعابير)مع أن الأمر يفوق الوصف وكنت بين جميع الشياطين حتى في أكثر مناظرها بشاعة .

وتحت كل هذا الرعب والدهشة كانت هناك شرارة صغيرة من البهاء الفائق الذي لايوصف والتي بقيت وحافظت على نفسها

مبتهجة منتصرة مرتفعة بنفسها فوق كل الشياطين ، وتخزي كل السواد والظلام (يجب أن تأخذها بهذه التعابير لأنها تفوق بلا حدود كل وصف) وبهذا سلبت الحياة من الجسد (فصلا) وهكذا شبهت ، كما لو أن رجلا معه فرشاة عظيمة غمست في طلاء ابيض ويجب أن يمحوها بضربة واحدة أو رسم صورة على جدار الخ ، وبعد برهة عادت النفس والحياة إلى صورتها مرة أخرى ، وعندها رايت أشعة من النور (في الليل) بدت للعين الظاهرة ، وعلى الفور رايت ثلاثة قلوب .... ذات لمعان زائد ، ثم عددا لايحصى من القلوب المصاحبة على الفور تملأ كل زاوية من الغرفة حيث كنت ، وتشتتت افكاري ، كما لو كان هناك قلوب عدة ومع هذا واشد غرابة بصورة لا توصف تتجمع وتتفرق في وحدة.

ورايت بوضوح تمايزا وتنوعا واختلافا ، ثم رايت الجميع يبتلع في وحدة. واصبحت منذ ذلك الحين أغنيتي المتكررة : في وبدون ، وحدة ، شمول وشمول وحدة ، عظمة أبدية الخ...وعند هذه الرؤيا نطق صوت قوي جدا وبهي بهذه الكلمات : إن أرواح الناس المستقيمين قد اصبحت كاملة ، ومعه كنت في حالة مشاركة تامة واضحة مطلقة وفي طريق مزدوجة مالوفة اكثر(ص ٣٢١)
وهكذا اصبحت في الحياة الظاهرة أبدا مع أعز اصدقائى واقاربي الأقربين لقد امتدت الرؤى والعرض الالهي ويد القدرة الالهية الأبدية الخالدة الي ، وفي داخلى فترة اربعة أيام وليال دون انقطاع:

ولن يتسع الوقت إذا حدثتك عن كل شيء ولكن ليس من الارادة الطيبة والسرور للجلالة الفائقة الروعة بداخلي ، أن أعلن المزيد (بعد) أو أن امضي ابعد كثيرا ، وكان من بين الأصوات المختلفة التي نطقت وقتها بداخلي ما يلي :الدم ، الدم ، أين ، اين ؟ في القلب المقدس الزائف الخ ، وأخرى كما يلي : الانتقام ، الانتقام ، الطاعون ، الطاعون ، لسكان الأرض ، النار ، النار ، النار ، السيف ، السيف الخ ، وفوق ذلك لاتنحنوا الى اسفل للجلالة الأبدية ، الحب

الشامل ، ساشفي ، اشفي ، صومي ، كتابي ، مالي اعلن : لاتخش أيا من هذه الوجوه ، اني (فيك) نخيرة من الصخور الخ .

اذهـــــــــــــــــــب الى لندن ، الى لندن ، المدينة الكبرى ، اكتب ، اكتب ، اكتب وانظر ما كتبت انظر عجبا تلك اليد التي ارسلت الي ، وكان فيها ملف من كتاب ستضع له هذه اليد التي من لحم أجنحة ، قبل الوقت وعندها خطف من يدي وسقط الملف في فمي واكلته فملأ احشائي حزقيال: ٢ / ٨ ونشيد الانشاد: ٣ / ١ /٢/٢ حيث كان مرا كالعلقم واستقرت وهي تحمي وتحترق في معدتي حتى اخرجتها في هذه الصورة

وانا أبعث بها الآن طائرة اليك ، مع قلبي وكليتي.

بطرس العالمي

من اللفافة الملتهبة الطائرة الأولى ، الفصل الأول:

هكذا يقول الرب ، ابلغكم ، اني اسقط ، اسقط. ومثل الأساقفة وشارل ، واللوردات ، وقد اخذوا دورهم أسقط وحتى يأتي دورك بعد ذلك (إنك ستبقى بعد العظماء) تحت اسم أو لقب أيا كان متميزا أو جليلا وأيا كنت ، هذا يضعني تجاه الرب الخالد ، وهو الحي الشامل ، وخدمته حرية تامة وخلاعة صرفة....

والآن هكذا يقول الرب:

مع أنكم قليلا ما تتحملون كلمة المساواةمثل ما كان الذي ذبح مؤخرا ومات ، شارل (سلفك الذي ذهب قبلك) وكان كما يسكن هنا الشيطان كان هنا شيطان المساواة (المؤيد للمساواة بين الناس) الذي ، وفي (الواقع) ليس الا ظلا مرعبا جدا لأمور عظيمة ومجيدة وطيبة ستأتي بعد.

انظر ، انظر ، انظر ، انا الرب الخالد رب الحشود المساواتي القادر قادم (نعم حتى عند الأبواب) ليسوي بأمانة

جيدة ، وليسوي لبعض الأهداف ، وليسوي مع شاهد ، وليسوي التلال بالوديان ليطرح الجبال لتصبح منخفضة.

"أيتها الجبال العالية والأرزات لقد حان الوقت لك لتدخلي الصخور ولتختفي في التراب خوفا من الرب ومن أجل بهاء جلاله ،لأن النظرات المتعالية للانسان ستصبح متواضعة وعجرفة الرجال ستنحني نحو الأسفل والرب وحده سيمجد في ذلك اليوم.. (ص ٣٢٢)

أيتها التلال والأرزات! والرجال الأقوياء! أن الانفاس في خياشيمك. أولئك الذين أعجبوا ، وعبدوا ، والهوا ، وعظموا ونصبوكم وحاربوا من أجلكم ، وضاربوا بالسلع والاسم الطيب ، الأوصال والحياة لك وستتوقف منك.

ولن يكون لكم اعتبار (للجميع) ، (لا أحد منكن) أيتها البلوطات القوية الثابتة التي لا تنحني امام الجلال الابدي: الحب الشامل ، الذي خدمته حرية كاملة ، والذي خلع الأقوياء (تذكر ، تذكر سلفك) والذي يخلع الأقوياء من مقاعدهم ، ويرفعهم من درجاتهم الدنيا والمسوي الأعظم ، يطرح الجبال في الأسفل ويسوي التلال التي في الانسان.

ولكن هذا ليس كل شيء.

لأني انظر اني آت (هكذا يقول الرب) بالانتقام لأسوي شرفكم أيضا شرفكم ، وثرواتكم ، ولألطخ فخر بهائكم ولأزدري كل مبجل (من الأشخاص والأشياء) على الأرض ، اشعيا: ٢٣ / ٩.

ولأن هذا الشرف ، والنبل ، والمنزلة ، واللياقة ، والغنى ، الخ (دون معارض) كان أبا للتفاخر الجحيمي المروع والغطرسة والتعالي والعجرفة والقتل ، والخداع وجميع مذاهب الشر والعقوق ، نعم كان هو المسبب في كل الدماء المسفوكة من الصالح هابيل الى دماء آخر المساواتيين الذين اطلق عليهم الرصاص حتى

- ١٨٥٧ -
الموت ، والآن (بينما أعيش يقول الرب) لقد جئت لأحقق من أجل الدم ، والقتل والتفاخر الخ .

إني أرى جذر كل ذلك ، إن البلطة موضوعة على جذر الشجرة (من قبل الرب الخالد ، أنا ، يقول الرب) سأقطعها وبينما أعيش ، سأبتلي شرفكم ، والأبهة ، والعظمة ، والغنى وأمزجه بالطهر والمساواة والمشاركة ، إن عنق الفخر ، والقتل وتعمد الأذى والطغيان الخ.

يمكن أن تقطع بضربة واحدة ، وإن ذاتي ، الرب الخالد ، الحب الشامل قد يملأ الأرض بالحب الشامل ، والسلام الشامل والحرية التامة ، الأمر الذي لا يمكن مطلقا أن يتحقق بالسيف البشري والقوة...

الفصل الثاني:

هكذا يقول الرب: كونوا عاقلين الآن ، أيها الحكام الخ ، كونوا راشدين الخ قبلوا الشمس الخ ، نعم قبلوا الشحاذين ، والسجناء دفئوهم ، أطعموهم ، واكسوهم ، وأعطوهم مالا ، خففوا عنهم ، حرروهم ، استقبلوهم في منازلكم ، كل ذرة بالجودة نفسها (واذا دخلت في منافسة معكم) هم في بعض الدرجات افضل منكم مرة أخرى أقول: اعترفوا بهم ، إنهم ذواتكم وحدوهم معكم والا اذهبوا لتنبحوا في الجحيم ، انبحوا من أجل البؤس الذي سيحكم بكم ، انبحوا •

إن ظل المساواة نفسه ، مساواة السيف ، مساواة الرجال ، قد أفزعتكم ، (ومن مثلكم يمكن ان يلومكم ، لأنها هزت مملكتكم ؟) ولكن قوة المساواة (ص ٣٢٣) آتية الآن .

إن الرب الخالد ، المساواتي القادر آت نعم آت بل إنه عند الباب ، وماذا ستفعلون في ذلك اليوم...

ان أذاني مملوءة حتى الحافة بصيحات المساجين المساكين صيحات نيوغيت لدغيت (المرحومة) التي يندر أن تبرح آذاني.
تلك الصيحات الحزينة ، خبز ، خبز ، خبز لله ، تحرق أذاني وقلبي اني لم اعد اتحمل بعد الآن.

إن ويرفور ترفعك بسرعة الى كل سجون المملكة إنحن أمام أولئك الفقراء ، المقرفين ، الحقيرين ، البائسين ذوي الأسمال ، قولوا لهم ، لخدمكم المتواضعين ، ايها السادة (بدون تعليق) إننا نطلقكم احرارا ونخدمكم الخ..

افعلوا هذا والا (بينما أعيش) فإن عيونكم (على الأقل) سوف تقتلع وتحملون اسرى الى أرض غريبة.

....افقدوا فرق الشرور ، وضعوا الأحمال الثقيلة ، واعطوا المضطهدين حريتهم ، واكسروا كل نير ، وزعوا خبزكم على الجوعى

وادعوا الفقراء الذين طردتموهم(من كل من البيوت والمعابر) الى بيوتكم.

اكسوا العراة لا تخفوا انفسكم عن الجسد الذي يخصكم ، عن المقعدين ، والمتشردين ، والشحاذين ، إنهم من الجسد الذي يخصكم ومعاشري البغايا ، واللصوص الخ إنهم جسد من جسدكم وسرقتهم وعهرهم جسد من جسدكم أيضا ، وجسدكم الخاص لابد أن عشرة أضعاف منه فيكم ، من ذلك الذي يتصرف ظاهريا بأي من الطريقتين ، تذكروا ولا تحولوا عيونكم عن جسدكم

كفوا عن أذى منتصف الليل

- ١٨٥٩ -
دعوا وصمة العار للحرف (م) فقط

لا تــــــكونوا بعــــــد الآن هـــــــــــــكذا مروعين ، جهنميين ، وقحين ، متكبرين ، أشرارا اذ للحكم على ما هو خطيئة ، وماليس كذلك ، وما هو شر ومــاليس كذلك ومــا هــو الكفر وماليس كذلك.

لأنك أنت وكل الهتك المبجلين ، الذين يدعون هكذا (اولئك الذين يتكهنون للعشور ، يســتأجرون ، ويدفعــون المال ويخـدمون الرب يسوع المسيح من أجل بطونهم) يجهلون هذا الشيء الواحد.

إن تلك الخطيئة والعدوان قد انتهت إنها مجرد لغز لا يمكنهم بكل علمهم البشري أن يحلوه.

ولا هم يستطيعون فهم ما هو الشرف الطاهر الملفوف في شــعار الملوك ، الشر عندهم هــو الشر الذي يفــكرون بــه ، وهناك بعض (الذين يعتبرون نفاية كل الأشياء) من هم فرسان نبلاء أصــحاب وسام ربطة الساق ، الذين منذ حصــولهم عليه لم يقــدروا أن يروا شرا ، أو يفكروا بشر أو يفعلوا الشر ، أو يعرفوا الشر.

إن كل ما يتحدثون عنه هو الدين والشرف الذي يفعلونه ، ولكنكم جميعا يا من أكلتم من شــجرة المعــرفة بــالخير والشر ولم تــدعوا عيونكم الشريرة تقتلع ، تســـــمون الخير شرا والشر خيرا والنور ظلاما والظلام نورا ، والحقيقة تجديفا والتجديف حقيقــة وانتــم في هذا الوقت ، وقت أبيكم الشيطان ، وأخيكم الفريسي الذي مــا زال يقول عن المسيح (وهو الحي الآن) دعونا لا نقول أن له شيطان .

انتبهوا ، انتبهوا ، انتبهوا(ص ٣٢٤)

ان اللوطيين العمي الذين قد دعوا الملائكة رجــالا لم يروا فيهــم أنذاك سوى صور الرجال ، هنالك مــلائكة(الآن) يهبــطون مــن السماء في صور وأشكال الرجال وهم كليا من انتقــام الرب ، وهــم مكلفون بصب بلاء الرب على الأرض وتعذيب السكان هنا.

وقد عرفت بعض هذه الملائكة كذلك

ونظرت اليهم كشياطين ، واعتبرتهم شياطين متجسدين ، وركضت من مكان لآخر لاختبيء منهم ، متجنبا صحبتهم ، وخجلت تماما عندما شوهدت معهم.

ولكن بسبب جهدي ، اصبت بالطاعون وتعذيب بما يفوق الوصف. حتى أني الآن يقينا ارى واحدا من هؤلاء الملائكة يصب بلاء الرب ويلعن ويطلب من الآخرين أن يلعنوا بمرارة.

وإني يقينا أسمع ملاكا قويا (في الانسان) يقسم قسما مغلظا ، ويرى روح نحميا (في اي صورة للرجل او المراة) تركض نحو يهودي غير نظيف (قديس مدعي) ويمزق شعر رأسه كرجل مجنون ، وهو يلعن ويجعل الآخرين يسبون ، ثم اسمع مشيخانيا متحمسا ، مستقلا ، أو روحيا عقائديا ، يصلي ، ويعظ او يتدرب.

حسنا للطاهرين كل شيء طاهر ، لقد ازال الرب اللعنة هكذا ، إن اللعنة لدى بعضهم تلك التي تؤيد السباب واللعنة فيهم هي اشد بهاء من الصلاة والوعظ لدى آخرين.

وما طهره الرب لاتقل عنه أنت غير نظيف.

وإذا ثبت ان بطرس أكبر منتهك للقانون ، وذلك بفعل ما كان بنفس درجة كراهة قتل انسان إذا اكل في النهاية (مع انه كان مشمئزا في البداية) ما كان شائعا وغير نظيف الخ (إني لا اعطي سوى لمحة) لا تلوموه ، وأقل من ذلك ارفعوا اصبعا ضده أو رسخوا قانونا جهنميا — ضده ، لئلا تبتلوا ، وتلعنوا ايضا على دينكم الأعمى المتحمس ، والقداسة اللحمية التي تنتن الآن على الأرض ، مع ما كان لها من نكهة طيبة في السالف.

ولكن أه ايها الصالح المقدس المتحمس المتدين التقي (أيا كنت) الذي يرى الشر او أي شيء غير طاهر هل تسب ، إذا تجرات ، وإذا حدث (اعتقد) سالقي بك في الجحيم من اجل ذلك (هكذا يقول الرب) واضحك من دمارك.

بينما الملائكة (في صور رجـال) سـيقسمون بـالقلب ، والدم والجراح ، وبالرب الخالد الخ ، في طهارة عميقة وفي جلال واجـلال عال.

من الفصل الثاني للفافة الملتهبة الطائرة:
(هكذا قال الرب)

اقـول (مـرة أخـرى) وزعوا مـالي الذي لديكم... على المقعدين ، والمجذومين ، نعم ، والمشردين واللصوص والعـاهرات والنشالين ، فهم لحم من لحمكم ، وكل ذرة بنفس طيبة مـا فيكم في عيني ، أولئك المستعدون للموت جوعا في سجون مزعجة في زنزانات قذرة،والا بنفسي ، هكذا يقول الرب ، ساعذبكم نهـارا وليلا داخليا او خارجيا أو في الحـالتين ، إن إصـبعي الصـغير قـريبا (ص ٣٢٥)سيكون اثقـل عليكم ، خـاصة عليكم ، انتـم ايهـا المقدسون الصالحون المتدينون المحسـنون كمـا كانت في حينه على فرعون والمصريين في الزمن القديم ، سـتبكون وسـتنبحون للمآسي التي ستحل بكم فجأة ، لأن ثروتكم فاسدة الخ ،و حيث إ نهـا غير سليمة فإنها تناسب بلاء الرب فيكم.

إن بلاء الرب في أكياس نقـودكم ومخـازن حبـوبكم وبيوتـكم وجيادكم إن طاعون الماشية سيأخذ خنازيركم (أه أيها الخنزير في الأرض) التي ستذهب قريبا الى السكين وتعلق في السـقف ، عدا العفن المسبب للذبول ، والجراد واليسروع ، نعم سـتحرق بيوتـكم وبضائعكم ، وتؤخذ فاكهتكم وقمحكم ، والعث سـيلتهم مـلابسكم والدنف ستصيب أغنامـكم ، الم تـروا يدي تلك السـنة الماضـية ممدودة؟

إنكم لم تروها
إن يدي ما زالت ممدودة

إن ذهبكم وفضتكم مع انكم لا ترونها ، تفسد ، والصـدأ فيهـا

شاهد عليكم ، وفجأة لانه منَ قبل الرب ، إنه يوم الحساب الرهيب هكذا بقـــــول الرب سآكل لحمـــــكم كمـــــا تفعـــــل النار ، جيمس : ٥ / ١ ـ ٧

إن صدأ فضتكم ، اقول سيأكل لحمكم كما لو كان نارا...
سلموا ، ســلموا ، ســلموا ، ســلموا بيوتـــكم ، وجيادكم وبضائعكم ، وذهبكم واراضيكم ، سلموا لا تحسبوا ان شـيئا ملكا لكم ليكن كل شيء مشاعا والا فابتلاء الرب سيصيب ويلتهـم كل مـا لديكم بالرب ، بذاتي ، ذات الرب ، هكذا يقول الرب إنه الحق.

تعالوا اعطـوا لكل الفقـراء واتبعـوني وســـتكون لكم كنوز في السماء.

الفصل الثالث

قصة غريبة ، ومع ذلك فهي صحيحة جدا تحتها يكمـن السـبب الذي يجعل زئيره جميع الحيوانات في الحقل تـرتجف وكل الممـالك الأرضية تهتز...

اتبعــــوني انتــــم والتقــــوا بــــــه في يوم الرب الأخير في ٣٠ ايلول ١٦٤٩ في حقل مـكشوف إنه رجـل ممسـوخ شـديد الغرابة ، يلبس ثيابا مرقعة ، هو الذي ينظر الي بلهفـة ، وتشـفق عيني عليه وقلبي ، ان يوم الرب الذي يحترق بداخلي كالفرن يشعل لساني لهبا كي اتكلم معه كما يلي:

ايها الصديق هل أنت فقير؟
اجاب نعم ياسيد فقير جدا

وبينما كانت احشائي ترتجف بـداخلي وتـرتعش سـقطت على الصدر الذي اكله الدود (أعني جسدي) حتـى اني لم اسـتطع أن امسك بمفصل ثابتا .

والحب الكبير بداخلي (وهو الرب الكبير ضمن هذا الصدر أو الجسد) كان يحترق حرارة تجاهه ، وجعل ثقب قفل الصدر يحتال على فم الجسد مرة أخرى ليفتح : هكذا

هل أنت فقير ؟
نعم فقير جدا ، قال :

وعندئذ فإن المرأة الغريبة التي تتملق بشفتيها ، واللطيفة بقلبها قالت بداخلي ، إنه فقير بائس أعطوه بنسين . (ص ٣٢٦)

ولكن فخامتي وجلالي (بداخلي) احتقر كلماتها .
وشوش لغتها وركلها بعيدا من حضرته .

ولكن على الفور فإن العاهرة الموهوبة (التي لم احملها خلفي على حصاني) والتي قامت بداخلي قالت :

إنه فقير بائس أعطه ستة بنسات ، هذا يكفي لفارس أو تابع له أن يعطيه لشخص فقير واحد .

إلى جانب (تقول العاهرة الكتابية المقدسة) إنه أسوأ مما لايقدمه كافر لعائلته .

إن الحب الحقيقي يبدأ في البيت
إنك وعائلتك تطعمون كالغربان الفتية بشكل غريب .
ومع أنك كنت واعظا دائما فإنك مع ذلك كنت تبغض كلا من العشور والرشوة وأنت لاتعرف بشكل مسبق من الذي سيعطيك مايساوي بنسا .

اعتن بالفرصة الرئيسة
وهكذا تتملق بشفتيها وكلماتها انعم من الزيت
وشفتاه تقطران مثل قرص العسل والهبت لأسرع بيدي إلى جيبي وأسحب شلنا ، وقلت للفقير البائس :أعطني ستة بنسات وهاك شلنا لك .

فأجاب لااستطيع فليس لدي مطلق بنس

عندها قلت : لقد كنت بسرور سأعطيك شـيئا لو انك صرفـت لي مالي .

ثم قال هو : ليباركك الرب .

وعندها بتردد كثير ، وحب كثير وبـدهشة (بـطابع صـحيح) اشحت براس حصاني عنه وركبت مبتعدا ، ولكن بعـد بـرهة مـن تحولي عنه (وبناء على نصيحة من ديميلنس) لأرجوه أن يطلب ستة بنسات ، التي سأتركها في المدينة التالية عند منزل احدهم الذي اعتقدت أنه ربما يعرف (شبيه سافيرا) انه ينأى بنفسه عن الباقي

ولكن (كما حكم علي الرب) فإني وهي سقطناميتين ، وانظـر بلاء الرب الذي سقط في جيبي وصدأ فضتي قـد نهض ليشـهد علي والتهم لحمي كما لو كان نارا حتى اني ومالي هلكنا معا .

والقيت في تلك البحيرة من النار والكبريت .

وكل المال الذي كان حولي حتى البنس (مع اني فكرت بتحريض عشيقتي السالفة على الاحتفاظ ببعضه وبعد أن ركبت نحو ثمـانية اميال دون أن اكل ملء فمي خبـزا في نلك اليوم ، ولم أشرب سـوى جرعة واحدة مـن الشراب ، وكان علي ان اركب مـابين ثمـانية او تسعة اميال اخرى ، وهنا ابلغ نهـاية رحـلاتي : ولكون حصـاني كسيحا ، والطرق قذرة والسماء تمـطر كل الطـريق ، ولا ادري اي فرصة استثنائية ستكون امامي للمال) ومع نلك (اقول) إن صدأ فضتي قد قام ليقف في الحساب ضدي ، ويحرق كالنار :والخمسـه من جيمس رعدهذا الانذار في آذاني حتى اني كنت مسرورا ان القي بكل مالدي في يديه ذاك الذي كانت صورته ملطخة اكثر من صورة اي إنسان أخر رأيته .

إن هذه قصة حقيقية ، اكثر صدقا في التاريخ وهي صحيحة ايضا في الخفاء.(ص ٣٢٧)

وهناك أخرى عميقة تكون تحتها لأنها ظـل لأشـياء(مـع انهـا غريبة) غريبة متنوعة ستحدث .

وللعودة بعد أن القيت بنقودي الصدئة الفاسدة .

بين أيدي الفقير البائس ركبت مبتعـدا عنه وأنا أرتجـف سرورا ودهشة وأنا استشعر بالبهاء العظيم الذي ينهض مـن تحـت هـذا الرماد وبعد هذا اضطررت (بـالقدرة الألهية التـي سـكنت هـذا الصندوق أو التابوت) أن أحول راس حصاني وعندهـا رأيت هـذا الفقير الممسوخ البائس ينظر بلهفة إلي على ذلك اضطررت أن أرفع قبعتي وانحني له سبع مرات وامتلأت (في هذا الوضـع الغـريب) بالرجفة والدهشة وظهرت بضع شرارات بهية ايضا من تحـت هـذا كما فعلت أيضا من تحت هذا الرماد ، ومـع ذلك ركبـت عائدا مـرة أخرى نحو الفقير البـائس وأنا أقـول : لأني ملك فعلت هـذا ولكن لاداعي لأن تخبر أحدا .

اليوم الذي يخصنا

لقد كان هذا في يوم الرب الأخير ٣٠ أيلول من عام ١٦٤٩ ، وهو عام جزاء الرب لصهيون ، ويوم انتقامه ، يوم الحسـاب الرهيب ، ولكني فعلت (للوقت الراهن) بهذه القصة لأنها الجزء الأخير مـن عام ١٦٤٩ .

الفصل الخامس :

إن حملة المؤلف النبيلة الغـريبة على العـظماء وحملتـه الأكثـر تواضعا تجاه الشحـاذين والمشردين والغجـر : إلى جـانب إعلانه الكبير أي بهاء سيشرق من تحت كل هذا الرماد ....

ولأني ظهرت لأولئك الذين لم يبحثوا عني
ولأن بعضهم يقول الن تخبـرونا مـاهي تلك الأشـيـاء التـي تفعلونها ؟

وبسبب اني كنت الوح لعرباتي الكثيرة المحملة ، وللمئات العديدة من الرجال والنساء من ذوي المراتب الأعظم في الطرقات المكشوفة ويدي مكشوفة وقبعتي مشرعة ، وان المع بينهم لو كنت انظر من خلالهم ، واصر بأسناني لبعضهم ، ونهارا وليلا بصوت هائل مرتفع أعلن يوم الرب عبر لندن وساوثورك ، واترك الغائصين والمستغلين المختلفين الآخرين الخ ، إن شعوري بالرضا والسرور (فقط) لأني أميز القصة السالفة عن مسيلاتها .

(أي) بضم وتطويق واحتواء وتقبيل مشوه بائس في لندن لم يعدله وجه في انفه ويكون لي على ظهر يدي (ثقبان فقط في المكان الذي يوجد فيه الأنف عادة) .

ولاتظهر العينان بعد ذلك على ظهر يدي ، وبعد ذلك تركضان إليه بطريقة غريبة مع نقودي التي أعطيها له ، لبهجة بعضهم ولخشية وحيرة بعض المشاهدين الآخرين .

وأيضا بالسقوط والانبطاح على الأرض امام المشردين والشحاذين والمقعدين من أعرج ومعوق وأعمى الخ ، وتقبيل اقدام العديد ، والنهوض ثانية وإعطائهم المال الخ ، إلى جانب هذا العمل المشهور بسوء السمعة مع الغجر والذين أمضو فترات طويلة في السجون (اخوتي واخواتي جسد من جسدي وبطيبة أعظم لورد في انكلترا) في سجن ساوثورك قرب (ص ٣٢٨) كنيسة سان جورج

والآن ذلك الذي ينهض من تحت كومة من الرماد سيلهب كلا من الأرض والسماء ، إن المرء ليخجل ويحمر خجلا بالفعل ، وبعضهم يترنح جيئة وذهابا مثل رجل ثمل .

وبسبب ذلك يقول الرب : اسمعي ايتها السماوات واصغي ايتها الأرض . سأقلب ، سأقلب ، سأقلب ، إنيَ الآن الطخ غرور كل بهاء وسأضع موضع الازدراء كل أشراف الأرض أشعيا : ٢٣ / ٩ ليس فقط الأشخاص ذوي المقام الرفيع (الذي سيكونون موضع انتقام ،

- ١٨٦٧ -

إذا لم ينحنوا للحب الشامل للرب الخالد ، الذي خدمته هي الحـرية الكاملة) ولكن الأشـياء المشرقـة مثـل شـيوخ الكنائس ورعاة الأبرشيات وزملاء الجمعيات الخيرية والكنائس والطقـوس الدينية والصلوات الخ والقدسية والصـلاح والديانات مـن كل الأنواع مـن أعلى أوج ، نعم والروحانيون والصوفية ، الذين يحتقرون الأوامـر الجسدية إني في فعلي الغريب ، وعملي ، عمل الغريب ، الذي تطن له كلتا اذني من يسمعه .

إني أشـوش وابتلي واعذب اللطيفين المحتشـمين ، العـاقر ميكال ، يحمل داود غير المناسب ، بـالقفز والوثـب والرقص مثـل واحد من المجانين التافهين الوضيعين مـن الرفـاق ، بـلا خجـل وبحقارة وعاريا ايضا أمام الوصائف .

.... إنه اللحم والشراب للملاك (لايعرف اي شيء ، ولاخـطيئة) ليقسم إيمانا مغلظة الرؤيا : ١٠ / ٦ انه لبهجـة نحميا أن يدخـل كرجل مجنون وينتف شعور الناس من رؤوسهم ويلعن كالشيطان ، ويجعلهم يقسمون بـالرب ـ نحميا ١٣ : هـل انت ايهـا الرجـل المقدس (الذي لايعرف الشر) رفعت إصبعك ضد يهودي ، وعضـو كنيسة ، وادع رفيقك بالأحمق ، وتمن قرن بازليا له ، أو أقسم اني أؤمن ، واذا لم تفعل فانك ستنبح في الجحيم لذلك ، وسأضحك مـن بلوتك.

.... اسمع كلمة أخرى (إن من يضربه يضربه)

كفوا عن صلاة المائدة الرسمية الوضيعة الكريهة قبل أكل اللحوم وبعده ، (إني ادعوها هكذا مع أنكم أعدتـم تعميدهـا) كفـوا عن واجباتكم المنزلية النتنة والقوانين الانجيلية كما تدعونها لأنه في ظلها يكمن النهش والزمجرة والعض ، إلى جـانب والاشـتهاء والنفـاق المروع والحسد وتعمد الأذى والظن السيء .

كفوا ، كفو وإلا فإن غيركم سيفعل ، سأفعل مرة عندما تفـكرون على الأقل فيه ، اجعلوا من طفلكم ثمرة عوراتكم ، الذي ابتهجت به

أرواحكم ، ناموا مـع عاهـرة ، أمـام أعينكم : إن ملك القـدسية المزعجة والصلاح في قوتكم يمـكن أن يندمـج بـالضعة ، وانتـم ستعودون باللعنة إلى أرحام أمهاتكم أرحام الخلود ، وانكم يجب أن تصبحوا أطفالا صغارا ، ودعوا الأبدية الأم والقدرة ، وهي الحـب الشامل ، والذي خدمته هو الحـرية التـامة ، البسـوا واخلعـوا ملابسكم ، قمطوا أطفالكم ، وفكوا قماطهم ، اربطوا وحلوا نامـوا وانهضوا الخ .

.... وبالنسبة لمثل هذا الطفل الصغير إن خلع الثياب جيد كلبسها والملابس الخشنة بجودة الملابس الناعمة ـ إنه لايعـرف الشر ولن يرى الشر بعد الآن ـ ولكنه يجـب أن يفقـد أولا كل صـلاحه وكل (ص ٣٢٩) ذرة من قدسيته ، وكل كسرة مـن دينه ، وأن يبتلى ، وأن يختلط بالعدم (بالأشياء الوضيعة) .

بالأشياء الوضيعة التي اخترتها انا الرب .

ومع ذلك أريك طريقة رائعة جدا عندما تجتاز ذلك ... وبكلمة ، إن قدسيتي المبتلاة القذرة ، البغيضة قد اختلطـت بـأشياء وضـيعة ، وعندها (انظر لقد أطلعتك على سر ووضعت أمامك لغزا) بـأشياء وضيعة ، أشياء وضيعة قد امتزجت أيضـا وبـذلك هـل امتـزجت بالجلال الخالد ، والبهاء الذي لايوصف ، حياتي ، ذاتي .

هناك لغزي ، ولكن لأنه لا السادة ولا الفلسطينين ولاحتى دليلتي نفسها يمكن أن تقراه .

سأقراه بنفسي ، وسوف (فقـط) المح إليه هـكذا : إن القبـل عديدة بين المذنبين ـ أشياء وضيعة ـ حسنا ! بـاللعان الجهنمـي واللعنة (كما رويتـه في زمـن قـدسيتي اللحمية) وبـالقبل الوقحة (كما رويتها في حينه) وقدسيتي المبتلاة قد امتزجت والقيت في بحيرة النار والكبريت .

وعندها مرة أخرى بالقبل الداعرة ، امتـزجت القبـل ، والقبـل

الظاهرة صنعت العجلات النارية ، لتحملني سريعـا إلى صـدر ذلك الذي تحبه روحي (فخامة جلالته ، ملك البهاء) .

حيث كنت ، حيث كنت ، حيث كنت صممت وعانقـت وقبلت مـع قبل فمه ، الذي يحب ، هو افضل من النبيذ ، وتـم عندهـا الهيمنة علي تماما بما يتجاوز الوصف وما يتجاوز الأعجاب .

ومـــرة أخـــرى إن الشـــــهوة عديدة بين المذنبين ـ شيء وضيع ـ والآن إن الأشياء الجميلة تسر عيون النظارة .
والجمال هو أبو الشهوة والحب .

حسنا لقد سرت في الطرقات حبلى بالطفل (الشهوة) الذي منح جمالا خاصا : ولكن بمجيئي إلى المكان ، حيث كنت اتـوقع ان الد ، والتقيت بفضل العناية الالهية بصحبة من الشياطين في المظهر ، رغم ان ملائكة بزجاجات ذهبية في الواقع تفرغ القوارير المليئة ، وبمثـل هذه الكلمات الكريهة البغيضة التي لا يسوغ لفظها .

كلمات تكفي لتصم آذان القدسية المزعجة ، ومثل هـذه الأفعـال المروعة البغيضـة المروعة ، المنظـر الذي كان كافيا ليطفـيء عيون الرجل المقدس وأن تلقي به ميتا تماما الخ .

وهذه الأشياء الوضيعة (أقـول) الكلمـات والأفعـال ، قـد تشوشت وانزعج حتى الموت ، الطفل الرحم الذي حبلت به.

بوساطته ومن خلال تلك الأشياء الوضـيعة (كمـا على اجنحـة الريح) حملت الى اذرع حبيبي ، وهو البهاء غير المنظور ، الجلال الخالد والطهر نفسه ، الجمال غير الملطخ ، وحتى ذلك الجمال الذي يجعل كل جمال أخر مجرد قبح ، عندما يوضع أمامه الخ.

نعم هل يمكنك تخيل أن الجوهر لكل الجمال الظاهر ، يجـب أن يستخرج وأن يشكل في جمال هـائل وأن يبـدو كمجـرد نسـخ (ص ٣٣٠)لذلك الجمال الذي من خلال الأشياء الوضـيعة رفعـت اليه. .

الجمال الفــائق الذي لا يوصـــف ، غير الملوث هـــو تـــاجي وبهجتي ، وحياتي ، وحبي ومع اني اخذت ولا يمكن ان اكون بــلا اشياء وضيعة ، وان اندمج شيئا بالرحمة وشيئا بــالحكمة ، ومــع اني أيضا كان لي عشيقات بلا عدد لا يمكن أن اكون بدونهن ، ومع ذلك فهذه هي قرينتي ، حبي ، حمامتي ، جميلتي.

الفصل السادس

ومرة أخـــرى هــــكذا يقـــول الرب أنا فيكم ، تلك الجـــلالة الأبدية ، أخفي صورتك الى حد المسخ.

وانا فيكم ، أيها الأغنياء القساة
أمركم بتسليم فضتكم الهالكة الى الفقراء.
هكذا قال الرب.

إن الملوك والأمراء واللوردات والعظماء يجب أن ينحنوا الى افقر الفلاحين ، وإن الأغنياء يجب أن ينحنوا أمـــام المشردين وإلا فإني أسف لهم....

حسنا يجب أن نحني جميعا ونحني ، الخ وميوم   يجب أن يهتدي... إنها ليست إلا وهلة صغيرة جدا ومع ذلك ، ولن تقـــول إن ما تملك هو خاص بك الخ...

وما هي إلا وهلة صغيرة والأقوى ، نعـــم الطهـــر الأطهـــر كمـــا يبدو ، الذي ربما وعلى الأغلب يلتمس المزايا والامتياز من الكتـــاب المقدس ، والعقل الشهواني يجب أن يختلط وأن يبتلى بـــالاشتراك والشمول ، وهناك تصميم اكثر بهـــاء فيه : ومســـاواة ومشـــاركة والحـــب الشـــامل ، ســـيكون في طلب الفخـــر البغيض المذهل ، والقتل ، والنفاق والطغيان والاضطهاد الخ....

- ١٨٧١ -

الفصل السابع :

انبحوا ، انبحوا أيها النبلاء ، انبحـــوا أيها الاشراف ،انبحـــوا أيها الأغنياء ، للبؤس والمحن التي ستحل بكم.

ومن جانبنا نحـــن الذين نســـتمع لوعظ الرســـل ، ســـتكون كل الأشياء مشتركة ، ولن ندعو شيئا خاصا بنا.

هل (من فضلكم) حتى يأتي بلاء الرب فتبتلوا ويهلك ما لديكم.
إننا لن نهلك وأننا سنأكل خبزنا معا في وحدة القلب.
وسنكسر الخبز من بيت الى بيت.

الحواشي والمصادر والمراجع

لم يثبت المؤلف في أسفل صفحات كتابه أسماء مصادره ومراجعه لكل فقرة معروضة ، بل اكتفى بتسمية مصادر كل صفحة أو عدة صفحات ، وأثبت ذلك في آخر الكتاب ، ولهذا السبب أثبتنا بين حاصرتين في النص المترجم أرقام صفحات الأصل ليسهل على من يود من القراء الكرام العودة الى مصادر المؤلف التي ابقيناها على حالها بدون ترجمة للافادة من العناوين بلغاتها الأصلية لأنها جميعا غير عربية.

1 The Tradition of Apocalyptic Prophecy

Jewish and early Christian apocalyptic

Page

19 Later Middle Ages: for lack of better ones, the term 'Middle Ages' has been used here for the period between, approximately, the fall of the Roman Empire in the West and the Reformation; and the term 'later Middle Ages' in a rather broad sense, for the period from *c.* 1100 to the Reformation.

For general surveys of the Judeo-Christian tradition of millenarian and messianic prophecy: Case, Döllinger (MW), Gry, Hübscher, Hundeshagen, Nigg (1); of the development of Hebrew religion: Oesterley and Robinson, and of that of Hebrew and Jewish eschatology in particular: MacCulloch (1), pp. 376–81.

The possible connexion between Persian (Mazdean) and Judeo-Christian eschatology and apocalyptic is still a matter of debate amongst experts. For contrasting views: Söderblom, pp. 270–320, and Cumont, pp. 64–96; while more recently Cumont's arguments in favour of such a connexion have been accepted by Eliade, p. 126, and rejected by Vulliaud, p. 33.

21 'shall be diverse . . .': Daniel vii, 23.

'came with the clouds . . .': ibid., 13–14, 27.

Jewish apocalyptic: Of course by no means all Jewish apocalypses are concerned with phantasies of this kind.

22 On the development of Hebrew and Jewish phantasies of the Messiah: Klausner; but cf., for their pre-exilic origins, Johnson.

Ezra-Apocalypse, XI–XIII, pp. 608–19.

Baruch-Apocalypse, XXXIX–XL, p. 501; LXXII–LXXIV, p. 518; XXIX, pp. 497–8.

23 Josephus, Book VI, Chap. V (vol. II, p. 108).

On Jewish pseudo-messiahs: Hyamson.

'For the Son of Man . . .': Matthew xvi, 27–28 (= Luke ix, 27). Cf. Matthew x, 23.

On the two eras: Vulliaud, pp. 45 sq.

For a prophecy of the Second Coming, attributed to Christ, but which is altogether in the tradition of Jewish apocalyptic: Mark xiii (= Matthew xxiv, Luke xxi); it seems to date from the 50s. On the vogue of *Baruch* amongst Christians: Charles, vol. II, p. 470.

24–25 Revelation xiii, 1, 7–8, 11, 13, 14; xix, 11, 14–15, 19–21; xx, 4; xxi, 1–5, 10–11.

'Spirit of Truth': John xv, 26; xvi, 13.

26 Tertullian, cols. 355–6.

'shortly': Revelation xxii, 6; and cf. ibid., 7, 20.

'until all should . . .': 2 Peter iii, 9.

Justin Martyr, cap. lxxx, cols. 664–8.

27 Papias, cols. 1258–9. This fragment is preserved in Irenaeus, cols. 1213–14. Cf. *Baruch-Apocalypse*, XXIX, p. 498.
Irenaeus, lib. V, cap. xxxii–xxxiv. The passage quoted is at col. 1210.

28 Lactantius (2), cols. 1090–2. The passage is condensed from Lactantius (1) (*Divinae Institutiones*), lib. VII, cap. xx, xxiv, xxvi; see esp. cap. xxiv, cols. 808–811.
Commodianus (1), pp. 53–61; and (2), pp. 175–80. The fifth century is now regarded as a more probable date for Commodianus than the third; cf. *Oxford Classical Dictionary*, 1949, p. 222.

29 Gog and Magog: These peoples continued to figure in apocalyptic literature throughout the Middle Ages; cf. Bousset (2), pp. 113–31, and Peuckert, pp. 164–71. Originally believed to be living in the far North, they were later placed behind the Caucasus and could therefore easily be equated with the hordes which periodically came out of central Asia. For the origin of the idea see Ezekiel xxxviii–xxxix and Revelation xx, 8–9.

The apocalyptic tradition in medieval Europe

Augustine, lib. XX, cap. vi–xvii (vol. II, pp. 458–84).
On the suppression of the chapters in Irenaeus: Gry, p. 74; and in PL, Note to col. 1210 of Irenaeus.

30 On the Jewish and early Christian Sibyllines: Lanchester. For a recent and convenient edition of these 'oracles': Kurfess (OS). Book VIII was the most important for the development of the Sibylline tradition in medieval Europe.
The standard work on the phantasy of the eschatological Emperor during the Middle Ages is still Kampers (1). See also Bernheim, pp. 63–109; Dempf, pp. 255–6. Kampers (2) deals chiefly with pre-Christian versions of the saviour-king.

31 For the Latin text of the *Tiburtina*: see *Tiburtina*, and Sackur (both OS). This version dates from about 1047. For a bibliographical list of the numerous revisions of the *Tiburtina* known to the Middle Ages: Hübscher, pp. 213–14.

32 For the Latin text of the *Pseudo-Methodius*: see *Pseudo-Methodius*, and Sackur. This translation was made by a Syrian or Greek monk at St Germain-des-Prés in the eighth century.

33 On the influence of the medieval Sibyllines: Kurfess, p. 347, remarks that save for the Bible and the works of the Fathers there was scarcely a writing which had such universal influence during the Middle Ages as the *Pseudo-Methodius*.
For a detailed analysis of the Antichrist symbol: Bousset (1), pp. 142–89.
'shall exalt himself . . .': Daniel xi, 36.
'speak great words . . .': Daniel vii, 25.
St Paul: 2 Thessalonians ii, 4, 9; and cf. Revelation xiii, 13–14.

34 'And it was given . . .': Revelation xiii, 7.
'waxed great . . .': Daniel viii, 10.
For the two Beasts: Revelation xi, xii, xiii.
Hildegard (1), col. 713. Vision XI as a whole is an excellent source for medieval Antichrist lore.

35 On the influence of eschatology upon political judgements in the Middle Ages: Bernheim, pp. 69–101.
On the dynastic exploitation of Sibylline prophecies: Kampers (1), *passim*.

On medieval expectations of Antichrist: Wadstein, pp. 81–158, and Preuss, esp. p. 21.

2 The Tradition of Religious Dissent

The ideal of the apostolic life

37 Recent bibliographies for medieval religious dissent, or 'heresy' are: Grundmann (6); Kulcsár.

38 St Benedict of Nursia, p. 110 (cap. xlviii).
Acts ii.44 and iv.32.
On lay preachers from the eighth to the twelfth centuries: **Russell (2).**

39 Henry (often, but on insufficient grounds, **called 'of Lausanne'**) is the subject of an abundant literature. For a good **recent summary:** Russell (2), pp. 68–74.

40 To appreciate the continuity of the **tradition of wandering preachers** see, e.g., Russell (2), Grundmann (4) and (5), **Leff and Williams.**

Some early messiahs

41 St Gregory of Tours, p. 437 (lib. X, cap. xxv).

42 'there shall be famines . . .': Matthew xxiv, 7 and 24; cf. Mark xiii, 22.
For Aldebert: Synod of Rome, 745, pp. 108–18. For recent accounts: Russell (1) and, more briefly, Russell (2), pp. 102–8.

44 Major contemporary sources for Eon or Eudes are *Sigeberti Continuatio Gemblacensis*, p. 389; *Chronicum Britannicum*, p. 558; and Synod of Rheims, 1157, pp. 771 sq. William of Newburgh, pp. 97–8 (lib. I, cap. XIX) is partly based on the first two of these. See also *Sigeberti Continuatio Praemonstratensis*, p. 454; *Annales Cameracenses*, p. 517; *Annales Casinenses*, p. 310; *Annales Parchenses*, p. 605; and Otto of Freising, p. 81. For a recent account: Russell (2), pp. 118–23.
'like flies . . .': William of Newburgh, loc. cit.

45 On Eon's following: Otto of Freising, loc. cit.; William of Newburgh, loc. cit. On the famine: *Continuatio Gemblacensis*, loc. cit.; and cf. Alphandéry and Dupront, p. 166.
For the pseudo-Baldwin see below, Chapter 5.

46 'Per *eum* . . .': *Continuatio Praemonstratensis*, loc. cit.

47 On Tanchelm s mission to the Holy See: Pirenne (2) and De Smet.
For the principal sources on Tanchelm see OS under Chapter of Utrecht and *Vita S. Norberti A*. (The account in *Vita S. Norberti B* is more scurrilous and less reliable.) Of modern writers Janssen (1867) and Essen (1912) accepted these early accounts as substantially accurate; but more recent writers, such as Philippen (1934), Mohr (1954) and De Smet (1961) have tried to discredit them and to present Tanchelm as simply a Gregorian reformer, grossly maligned. More recently still, Russell (2), adopts much the same standpoint as the present work.

48 For the monk Henry see above, pp. 39–40.

49 Werner and Erbstösser pp. 265–6, and Werner (2), pp. 385–93, suggest that Tanchelm modelled his behaviour on a tradition, still familiar in the twelfth century, concerning Simon Magus. Simon's group of followers is supposed to have consisted of a number of men and one woman, who represented wisdom (the Gnostic Sophia). The hypothesis is interesting,

but perhaps over-ingenious: the 'Master of Hungary' (Chapter 5) and the leader of the Bohemian Adamites (Chapter 11) also had 'Marys'; and their model was surely Jesus rather than Simon Magus.

50 'many massacres': *Continuatio Praemonstratensis*, p. 449.
Lost biography of St Norbert: Potthast, vol. II, p. 1494.
For documents concerning Norbert's foundations: Fredericq (OS), vol. I, pp. 24–5 and vol. II, pp. 3–6. Cf. Philippen, pp. 256–69.

51 Weber (2), p. 278 (my translation). On the general characteristics of salvationist religion amongst the underprivileged see Weber (1), pp. 245–8; and (2), pp. 267, 276–82, 296–7. For colonial and ex-colonial territories see Bibliography, part 3, on millenarian and messianic movements.
Sundkler, p. 114. (Bibliography, 3).

52 On Shembe: ibid., pp. 278.
Messiah and ruler: ibid., pp. 115, 288.

3 The Messianism of the Disoriented Poor

The impact of rapid social change

56 On peasant kinship-groups: Bloch (2), pp. 163–70, and (3), pp. 190–220; Thalamas, pp. 157–8.

59 On the insecurity of workers in the cloth industry: Carus-Wilson, p. 387. On the disintegration of kinship-groups: Bloch (3), p. 217; Dupré Theseider, p. 58; Weber (2), pp. 527–31; and in Italy: Tamassia, pp. 112–14.

The poor in the first crusades

61 For a recent and concise account of the political background and the launching of the First Crusade: Runciman (2), vol. I, pp. 93–109. Other reliable accounts in: Chalandon; Grousset, vol. I; Röhricht (4); Sybel; more briefly in Stevenson; and in great detail in the monumental work edited by Setton and Baldwin (esp. Chap. VIII, by F. Duncalf).
Urban on indigence and future prosperity: Robert the Monk, p. 728.

62 On the religious inspiration of the knightly crusade: Rousset (1) and (2). On the other hand the fullest account of the popular movements accompanying the First and Second Crusades, and of the phantasies that inspired them, is that of Alphandéry and Dupront.
On Peter the Hermit and the preaching to the people: Hagenmeyer, esp. pp. 127–51; Alphandéry and Dupront, pp. 69–71.
Peter's acts seem half-divine: Guibert of Nogent (1), p. 142.

63 For the list of catastrophes, 1085–95: Wolff, pp. 108–9. The famine of 1095 is described by Guibert (1), p. 141. Many chroniclers mention the plague, the so-called 'mal des ardents' or 'St Anthony's fire'; e.g. Bernold of Constance, p. 459; *Chron. S. Andreae*, p. 542; Ekkehard of Aura (1), pp. 105–9 (cap. viii) and (2), p. 207; Sigebert of Gembloux, pp. 366–7.
For examples of the new devotional groups: Alphandéry and Dupront, vol. I, pp. 48–9.
On the social composition of the People's Crusade: Baudri of Dol, col. 1070; Bernold, p. 464; Fulcher of Chartres, p. 385; Guibert (1), p. 142.

Urban ignores Jerusalem: in the account of the Clermont appeal given by Fulcher, the earliest and most reliable source, Jerusalem is not mentioned. On the pilgrimage of 1033: Radulph Glaber, col. 680; and on that of 1064: *Annales Altahenses maiores*, pp. 815 sq.

64 On the People's Crusade as an *imitatio Christi*, cf. Erdmann (2), pp. 318–19.
'Rejoice ye . . .': Isaiah lxvi, 10–13.
'the navel of the world . . .': Robert the Monk, p. 729.
On the descent of the Heavenly Jerusalem: Revelation xxi, 1–5, 10–11.
For the interpretation of the earthly as a symbol of the heavenly city: Röhricht (1), p. 376, Note 76; Alphandéry and Dupront, I, p. 22; Konrad,

65 (2). On the confusion of the two by the *pauperes*: Ekkehard (1), p. 301 (cap. xxxiv); the city in the sky: ibid., p. 117 (cap. x); the children: Guibert (1), p. 142.
On the sense of election amongst the *pauperes*: cf. Alphandéry (5), pp. 59 sq.
'God has chosen . . .': Raymond of Aguilers, p. 254.
For the miraculous crosses: ibid., p. 272.
On the Tafurs: Guibert (1), p. 242; *Conquête de Jérusalem*, *passim*, and esp. pp. 65 sq.; *Chanson d'Antioche*, vol. II, *passim*, and esp. pp. 254–5. The original versions of both these vernacular epics were composed at the beginning of the twelfth century. The only extant versions are those revised by Graindor of Douai in the early thirteenth century; but the passages concerning the Tafurs do not give the impression of having been much edited. It has often been held that both epics were written by one Richard the Pilgrim, but it seems most improbable that the same author could have written both. The *Conquête de Jérusalem* portrays the crusade from the standpoint of the poor. It is valuable as a guide to the psychology rather than to the external history of the People's Crusade in the East; and what it tells of the Tafurs is their legend. The *Chanson d'Antioche* gives a soberer, less flattering and no doubt factually more accurate account of the Tafurs. For a good recent account: Sumberg.
On the word 'Tafur': *Trudannes*, which Guibert, p. 242, gives as an equivalent of *Tafurs*, is a variant of *trutani*, 'vagrants', 'vagabonds', 'beggars'.

66 'no Franks . . .': *Chanson d'Antioche*, p. 5. Cf. ibid., pp. 254–5, 294–5; and *Conquête de Jérusalem*, p. 230.
'worth far more . . .': *Conquête*, p. 194. In the *Conquête*, p. 72, the *pauperes* of the Provençal army appear in close association with the Tafurs and are described in very similar terms.
On the cult of poverty amongst the Tafurs: Guibert, p. 242.
'The poorest shall take it. . .': *Conquête*, pp. 163.
The Provençal poor 'gallop on horseback . . ': Raymond of Aguilers, p. 249.
'Where are the poor folk . . .': *Conquête*, pp. 165–6. Cf. *Anonymi Gesta Francorum*, pp. 204–5.

67 For the sortie from Jerusalem: *Conquête*, pp. 243–53.
For the princes' view of the Tafurs: *Chanson*, pp. 6–7.
King Tafur urges the barons: *Conquête*, pp. 64–7; is carried from the field: ibid., pp. 82–3; crowns Godfrey: ibid., pp. 191–3; pledges himself to stay at Jerusalem: ibid., pp. 193–5.
For a forced conversion of peasants: *Anonymi Gesta*, pp. 162–4.

68 'the horses waded in blood . . .': Raymond, p. 300.

The Jews of Jerusalem burnt: Ibn al-Qalānisī, p. 48.
'O new day . . .': Raymond, loc. cit. *Cf.* Du Cange (MW) on the sense of *exanitio*.
For the massacre on the roof: *Anonymi Gesta*, pp. 204–6. Cf. *Conquête*, pp. 178–9.
First great massacre of European Jews: There had been some attacks on Jews in Spain at the time of the 'crusade' against the Moslems there in 1064; but they were on a far smaller scale. For a modern account of the massacres which accompanied the First and Second Crusades: Parkes, pp. 61–89.
'peace was established . . .': Sigebert of Gembloux, p. 367. On the massacres in France: Guibert (2), p. 240; Richard of Poitiers, pp. 411–12.

69 On the happenings at Speyer and Worms: Anonymous of Mainz-Darmstadt, pp. 171–2; Eliezer bar Nathan, pp. 154–6; Salomo bar Simeon, p. 84; Bernold of Constance, pp. 464–5. For critical examinations of the Hebrew sources: Elbogen; Porgès; Sonne.
For Mainz: Anonymous of Mainz-Darmstadt, pp. 178–80; Eliezer, pp. 157–8; Salomo, pp. 87–91; Albert of Aix, p. 292; Annalista Saxo, p. 729.
For Trier: Salomo, pp. 131 sq.; *Gesta Treverorum, Continuatio I*, pp. 182, 190.
For Metz: Salomo, p. 137.
For Cologne: Eliezer, pp. 160–63; Salomo, pp. 116 sq.
For Regensburg: Salomo, p. 137.
For Prague: Cosmas of Prague, p. 164.
On the monk Rudolph: Ephraim bar Jacob, pp. 187 sq.; Otto of Freising, pp. 58–9; *Annales Herbipolenses*, p. 3; *Annales Rodenses*, pp. 718–19 (a contemporary source, and one which favours Rudolph as against St Bernard); *Annales S. Jacobi Leodiensis minores*, p. 641. For Bernard's own comments: Bernard (3) and (4). For a modern account: Setton and Baldwin, pp. 472–3 (by V. G. Berry).

70 'Come to us . . .': Joseph ha-Cohen, p. 24.
Jew-killing earns forgiveness of sins: Anonymous of Mainz-Darmstadt, p. 170.
'We have set out . . .': Guibert (2), p. 240; Richard of Poitiers, p. 411.
'Jesus said . . .': Salomo, pp. 88–9.

4 The Saints Against the Hosts of Antichrist

Saviours in the Last Days

71 On the 'signs' and 'the Last Trump': Ekkehard of Aura (1), pp. 54–6 (cap. ii). The 'signs' are those listed in the prophecy of the Parousia in Mark xiii.
Adso, monk and later abbot of Montier-en-Der, produced his treatise at the request of Gerberga, wife of Louis IV (d'Outremer). For a recent study of his work and influence: Konrad, R. (1).
The Last Emperor becomes a western monarch: Kampers (1), pp. 30–39.

72 Benzo of Alba: pp. 605, 617, 623.
On Sibylline prophecies in the First Crusade: Erdmann (1), p. 413, and (2), pp. 276–8; Heisig, *passim*.
On Charlemagne resurrected: Ekkehard (1), pp. 120–21 (cap. xi).
On Charlemagne as pilgrim and crusader: Benedict, monk of St Andrew

on Mount Soracte, writing in the second half of the tenth century, tells (cols 32–6) of a mass pilgrimage to Jerusalem, headed by Charlemagne; but this seems to have contributed little to the growth of the legend. It is only at the time of the First Crusade that we meet the story of an armed crusade led by Charlemagne; notably in the *Descriptio* (OS), which was forged by the monks of Saint-Denis to explain the presence in their abbey of the Crown of Thorns and other relics (the relevant passage is at p. 108). On the dissemination of this legend and its employment as propaganda for the crusades: Rauschen, pp. 141–7. Of the chronicles of the First Crusade the *Anonymi Gesta Francorum*, p. 4, and the appeal attributed to Urban by Robert the Monk, p. 728, refer to Charlemagne's supposed route.

On the sleeping Charlemagne: Heisig, pp. 52 sq.; Kampers (1), p. 58. The sleeping hero, biding his time in cave or mountain, was a common figure in medieval as in other folklore. Belief in the continued existence and future return of King Arthur was particularly widespread and intense; and as for Frederick II Hohenstauffen, see Chap. 6 of the present study.

73 On leaders of the crusade who were seen as the Last Emperor: Alphandéry and Dupront, vol. I, pp. 75, 112, 131; Alphandéry (4), pp. 3–8.

On the cross on the shoulder-blades: Grauert (2), esp. pp. 709–19.

On Emico and his revelations: Salomo bar Simeon, p. 92; Annalista Saxo, p. 729; Ekkehard (1), p. 126 (cap. xii).

On Emico's horde and its fate: Albert of Aix, pp. 293–5; Ekkehard (1), pp. 128–31 (cap. xii). Albert, though often unreliable, is doubtless correct in saying that almost all of Emico's horde proceeded on foot; other chroniclers give the same impression.

For Emico in the mountain: Ekkehard (2), p. 261. On Emico's death in battle while defending Mainz against the Duke of Swabia: Otto of Freising, p. 29.

74 New versions of the *Tiburtina*: Kampers (1), pp. 53–4, describes how the prophecy was revised in the late eleventh and early twelfth centuries so as to make it refer now to the French, now to the German kings.

For the text of the oracle: Otto of Freising, pp. 10–11; and cf. *Annales S. Jacobi Leodiensis minores*, p. 641. The text is preserved also in other chronicles; see Kampers (1), p. 192, Note 32, and (1A), Appendix I, pp. 204–5. On the survival of the name Constans: ibid., pp. 206–7. For the influence of the oracle on St Bernard: Radcke, pp. 115 sq.

The oracle in Germany: Otto says it was studied 'in the Gauls'. But for him, as a learned man, the term 'Gaul' included much territory which by the twelfth century was German. Thus he refers, p. 58, to the *propheta* Rudolph as being active 'in those parts of Gaul which touch the Rhine'. When he means France he tends to speak of 'occidentalis Gallia'.

The demonic hosts

75 On the popular idea of the crusade as a Holy War, and the contrast which this presented with the papal intentions: Erdmann (2), pp. 264–73, 321. Already the Pisan invasion of Moslem-held Sicily in 1087 was seen as a Holy War. A poem written to celebrate its success shows St Michael sounding the Trump as for the battle against the Dragon, and St Peter displaying the Cross, to encourage the burghers in an attack which ends in the slaughter of every single infidel, man, woman and child; see Schneider (OS), poem 25, esp. lines 33–40.

'The Emperor has taken . . .': *Chanson de Roland*, lines 3660–70 (p. 304).
Antichrist already born: According to St Bernard (2), Tanchelm's opponent St Norbert believed this; and so, three centuries later, did St Vincent Ferrer.
Urban on Antichrist: Guibert of Nogent (1), p. 138.
Bernard on Antichrist and Saracens: Bernard (3).
Antichrist and the infidel: Like the idea of an individual Antichrist, the idea of the hosts of Antichrist developed out of Jewish eschatological phantasies which existed before Christianity; cf. Rigaux, esp. p. 402.

76 For Moslems as 'ministers' of Antichrist: Eulogius, col. 748 sq.; Alvarus of Cordova, cols. 535–6.
For Moslems as demons: *Aliscans*, lines 71–3, 1058–61.
On the identification of Jews with Saracens: Bulard, pp. 225 sq. Bulard proves from iconographical evidence that Saracens were even believed to have taken part, along with Jews, in the Crucifixion.
On the social and economic situation of the Jews in the Middle Ages: Baron, Caro, vol. II; Kisch; Parkes; Roth.

77 Antichrist a Jew: For an early example of this belief see Irenaeus, col. 1205. The choice of the tribe of Dan was determined by Genesis xlix, 16–17.

78 For a typical example of the anti-Jewish version of the Antichrist legend: Hippolytus (attrib.), esp. cols. 920, 925, 928, 944. The modern *Protocols of Zion*, which have exerted such enormous influence, derive directly from the Antichrist legend. They first appeared in 1905, in a Russian volume which has as its major theme the imminent imposition of the reign of Antichrist through his Jewish agents: see Cohn (MW).
Adso on Antichrist: Adso, pp. 106–7. In a popular rhyme (quoted in Wadstein, p. 129, Note 3) incest is added to the picture:

Un paillard Juif abominable
Connaîtra charnellement sa propre fille.

On the Jew in medieval demonology: Trachtenberg.
For animals as symbols of Jewry see e.g. the frontispiece to Trachtenberg; for the scorpion in particular: Bulard.
On black magic in the synagogue, see the extract from the *Chanson de Roland* quoted at the beginning of this section.
Jews believed to hold tournaments: Burdach (4).

79 *Pseudo-Methodius*, p. 92.
On Jews in Antichrist dramas: Trachtenberg, pp. 36–40.
On papal policy cf. Trachtenberg, p. 161: '*Constitutio pro Judeis*, expressly forbidding violence, was endorsed by successive popes ten times from its issue in 1120 to 1250.'
On the *role* of Jews as money-lenders see works listed above under p. 76. That Jews in the Rhineland were not yet given to money-lending at the time of the First Crusade seems reasonably certain; see Caro, vol. I, pp. 211–25, and vol. II, pp. 110, 192 sq.; Graetz, vol. VI, p. 402.

80 On the part allocated to pope and clergy in the demonology of various dissident sects and movements: Benz, pp. 307–14, 366–8; Peuckert, pp. 112 sq.; Preuss, pp. 44 sq.
Antichrist the son of a bishop and a nun: Adso in PL, col. 1292.
For St Bernard's view of the clergy: Radcke, pp. 15–17, 102.

81 On the *propheta* of 1209: Caesarius of Heisterbach, pp. 304–7.
For the Whore of Babylon: Revelation xvii, 6, 2; and for the Beast: Revelation xiii, 17.

On the clergy seen as the Beast: Benz, pp. 330–31.
82 'they take no care . . .': Jean le Fèvre, bk. iii, lines 602 sq. (pp. 176 sq.).

Phantasy, anxiety and social myth

85 'clothed in white linen . . .': Revelation xix, 14.
Antichrist as the bad son and the bad father: In an essay published as early as 1912 Ernest Jones analysed the medieval image of Satan in terms of images of the bad father and the bad son. The essay is included as Chap. VI in the work specified in the Bibliography.
86 For the frogs: Revelation xvi, 13; and cf. Lorch's picture of Satan-Antichrist (Plate 2), where scorpions are added to the frogs.
Jews murder Christian children: The charge was revived in the Third Reich. Pictures of rabbis sucking blood from an 'Aryan' child abounded in the official newspaper *Der Stürmer*, which indeed devoted a whole issue (1 May 1934) to the subject; cf. Trachtenberg, p. 243.
87 'the children of God . . .': quoted in Trachtenberg, p. 42.

5 In the Backwash of the Crusades

The pseudo-Baldwin and the 'Master of Hungary'

89 On Fulk of Neuilly: Reinerus, p. 654. For a full modern account: Alphandéry and Dupront, vol. II, pp. 45–64. On the Children's Crusades: see Hecker, Appendix, pp. 346–53, and Runciman (2), vol. III, pp. 139–44, for concise summaries; Alphandéry (3) and Alphandéry and Dupront, vol. II, pp. 115–48 for fuller accounts which deal with the underlying phantasies; and cf. the critical examination of sources by Munro, esp. p. 520.
90 Baldwin seen as superhuman: Cahour, p. 82. Cahour's is the fullest modern account of the pseudo-Baldwin. For a briefer summary: Kervyn de Lettenhove (1). The present account is based mainly on Mouskes (OS), vol. II, lines 24463–25325.
91 On the war against the Countess Joanna: Alberic of Trois-Fontaines, p. 794; Baldwin of Ninove, p. 541; *Chronicon S. Medardi Suessionensis*, p. 722; Mouskes, lines 24839–43. Cf. Cahour, p. 168.
On reverence shown to the pseudo-Baldwin: Mouskes, lines 25117 sq.
92 'If God had come . . .': ibid., lines 24851–5.
'the poor folk . . .': ibid., lines 24741–8; and cf. ibid., lines 24771–2. The social aspect of the movement emerges not only from the account of Mouskes but also from Latin chronicles (some of them admittedly rather late) such as *Chronicon Andrensis monasterii*, p. 579; *Chronicon Turonense*, pp. 307–9; and John of Ypres, p. 609.
For the treaties: Henry III in Rymer, vol. I, p. 177; the Countess in *Gesta Ludovici VIII*, pp. 308–9.
93 On the rising at Valenciennes: Mouskes, lines 25019 sq.
'at Valenciennes people await him . . .': ibid., lines 25201 sq.; cf. ibid., lines 24627–30. Several chroniclers describe the hermit as being the true Count; e.g. Paris, vol. III, pp. 90–91. But modern historians are united in regarding the episode as an imposture.
On the primacy of the French monarchy: Bloch (1), p. 237.

94 On the pretensions of Philip Augustus: Giraldus Cambrensis, pp. 292 sq. Cf. Folz, pp. 277–9.
On the sectarians at Paris: Caesarius of Heisterbach, pp. 304–7.
Mohammed stronger than Christ: Salimbene, p. 445.
The story of the Shepherds' Crusade of 1251 is told in a letter written at the time by a Franciscan of Paris to Adam Marsh and other Franciscans of Oxford, given in *Annales monasterii de Burton*, pp. 290–93; in the *Chroniques de Saint-Denis*, pp. 115–16; by Paris, vol. V, pp. 246–54; by Primat, pp. 8–10; by William of Nangis (1), p. 383, and (2), vol. I, pp. 207–8, 435–6. (William draws largely on Primat.) The present account is based mainly on these sources. The sources specified below are those which bring confirmation or additional information on particular points. For modern summaries: Berger, pp. 393–401; Röhricht (3).
On the 'Master of Hungary': *Chronica minor auctore minorita Erphordiensi*, p. 200; *Chronicon S. Martini Turonensis, Continuatio*, p. 476; *Flores temporum, Imperatores*, p. 241.

95 On the formation, composition and organization of the horde: Baldwin of Avesnes (attrib.), p. 169; *Chron. min. auct. minorita Erphordiensi*, loc. cit.; *Chronica universalis Mettensis*, p. 522; *Chronique anonyme des Rois de France*, p. 83; Gui (1), p. 697; John of Columna, pp. 123–4; Wykes, p. 100.
The *Pastoureaux* take food by force: *Annales monasterii de Waverleia*, p. 344; Richerus, p. 311.
Their contempt for sacraments and clergy: *Chron. univ. Mettensis*, loc. cit.

96 The *Pastoureaux* at Rouen: *Chronicon S. Catharinae de Monte Rotomagi*, pp. 401–2; *Chronicon S. Laudi Rotomagensis*, pp. 395–6; *Chronicon Rotomagense*, p. 339; *Visitationes Odonis Rigaudi*, p. 575.
At Paris, Tours, Orleans: *Annales monasterii de Oseneia*, p. 100; *Chron. univ. Mettensis*, loc. cit.; John of Columna, p. 124; John of Tayster, p. 589; Thomas of Chantimpré, p. 140.

97 Prestige from killing priests: *Chronicon Normanniae*, p. 214; Gui (1), loc. cit.
The Church in danger: Thomas of Chantimpré, loc. cit.
For the instructions of Henry III: Berger, p. 401, Note 1.
The *Pastoureaux* as Moslems: Baldwin of Ninove, p. 544.

98 On the ultimate aims ascribed to the *Pastoureaux* see the comments at the end of the letter to Adam Marsh.

The last crusades of the poor

98 On the situation in the Flemish towns in the thirteenth and fourteenth centuries Professor Carus-Wilson has recently remarked that 'the conflicts of capital and labour reached an intensity and a violence never since equalled even in the *Hochkapitalismus* of modern Europe. ... By this time the craftsmen (in the cloth industry) had everywhere fallen into dependence upon the entrepreneur' (Carus-Wilson, p. 399). On the relationship between capitalists and proletariat see also Bezold (3); Heer, pp. 469–71; Peuckert, p. 240.
On the change in the situation of the peasants: Nabholz, pp. 493 sq., 503.

99 'The poor man works ...': Tobler (OS), proverb 52.
'each man ought to have ...': quoted by Trachtenberg, p. 221.
'Magistrates, provosts ...': Jean de Meun, lines 11540–49.

100 'I would like ...': *Renart le Contrefait*, lines 25505 sq.

On the *Caputiati*: *Chronicon anonymi Laudunensis canonici*, pp. 705–6 (whence the quotation on 'frantic madness'); Robert of Auxerre, p. 251; and for the early stages of the movement: Robert of Torigny (see under Sigebert of Gembloux), p. 534.
'Sell all thou hast . . .': Luke xviii, 22–5.

101 Dives and Lazarus: Luke xvi, 19 sq.
For the rich as bad sons of Christ: Alphandéry and Dupront, vol. II, p. 197.
On the woman with the snakes: Bernheimer, p. 33; and cf. Heer, pp. 456–60.
On heretics working amongst weavers: Eckbert of Schönau, cols. 13–14; Bernard (1), col. 761.

102 On the People's Crusade of 1309: *Annales Austriacarum*, *Continuatio Florianensis*, pp. 752–3; *Annales Colbazenses*, p. 717; *Annales Gandenses*, p. 596; *Annales Lubicenses*, p. 421; *Annales S. Blasii Brunsvicenses*, p. 825; *Annales Tielenses*, p. 26; *Chronicon Elwacense*, p. 39; *Gesta abbatum Trudonensium*, p. 412; Gui (2), p. 67; John of Winterthur, p. 58; *Continuatio Brabantina* (see under Martin of Troppau), p. 262; Muisis, p. 175; Ptolomy of Lucca, p. 34; William of Egmont, p. 577. See also: Heidelberger, pp. 44–5.
Famines: The list of famines in Curschmann, pp. 82–5, reveals an illuminating fact: major famines occurred in the Low Countries and along the lower Rhine in 1225 (year of the pseudo-Baldwin), 1296 (year of flagellant processions: see Chap. V) and 1309 (year of a People's Crusade); and none are recorded for the intervening periods, long though these were.
On the famine of 1315: Lucas.
On the prophecy: William of Nangis, *Continuatio III*, vol. II, pp. 179–80.

103 On the Shepherds' Crusade of 1320: Gui (3), pp. 161–3; John, canon of St Victor, pp. 128–30 (written about 1322); William of Nangis, *Continuatio II*, vol. II, pp. 25–8 (probably copied from John of St Victor). For modern summaries: Devic and Vaissète, pp. 402–6; Graetz, vol. VII, pp. 277 sq.; Alphandéry and Dupront, vol. II, pp. 257–64. The Jewish chroniclers Usque (writing in Portuguese) and Ibn Verga (writing in Hebrew) tell the story some two centuries after the event, and with much obscurity and confusion. But, drawing on a lost Spanish source, both give valuable particulars not only about the 'saviours' but also about the massacres of Jews in southern France and in Spain: Usque, vol. III, pp. xvi sq.; Ibn Verga, pp. 4–6. Joseph ha-Cohen, pp. 46–7, copies Usque; cf. Loeb, pp. 218–20. Massacres in particular localities have been studied by: Kahn, p. 268; and Miret y Sans.

104 For the Pope's letter see John xxii.
On the class-war in the Low Countries: Pirenne (1).
On revolts in Paris and Rouen: Levasseur, p. 510.

105 A cloth-worker burnt at Ypres: document in Espinas and Pirenne (OS), p. 790.
The most accessible edition of the *Vademecum* is still that specified in the Bibliography under John of Roquetaillade, though the text is defective. Of the twenty *Intentiones* into which the work is divided, No. V prophesies social revolt. On John of Roquetaillade himself: Bignami-Odier. The social prophecy quoted there (pp. 32–3) as possibly originating in a lost work of Roquetaillade would be even more interesting than the *Vademecum* if it were genuine; but internal evidence strongly suggests that it is a fake, of much later date.

106 Of the later prophecies the most celebrated is that produced by the hermit Telesphorus of Cosenza in 1386. Dedicated to the Doge of Genoa, it aimed at bringing Genoa under French rule.

6 The Emperor Frederick as Messiah

Joachite prophecy and Frederick II

108 On Joachim of Fiore: Grundmann (1) and (3); Bloomfield. For an exhaustive bibliography to 1954: Russo.

109 On Joachite influence on modern 'philosophies of history': Löwith, pp. 158–9 and Appendix I; Taubes, pp. 90–94; Voegelin, pp. 110–21 *et passim*.
On the Joachite undertones in the phrase 'the Third Reich': Kestenberg-Gladstein, pp. 245, 283.

110 Forty-two generations: Matthew i, 17.
On Joachism in southern Europe: Benz; and more briefly: Hübscher, pp. 107–32; Morghen, pp. 287 sq. See also the account of contemporary attitudes to Rienzo in Burdach (1), pp. 5–53, *passim* and esp. pp. 1–23.
On the idea of the Angel-Pope, which played a large part in Italian Joachism: Baethgen. The French *propheta* John of Roquetaillade, mentioned in the preceding chapter, was in many respects a Joachite, though a belated one.

111 On the penetration of Joachism into northern Europe: Bloomfield and Reeves. For the influence of Joachism on the idea of the Last Emperor: Reeves (2).
Frederick II as Emperor of the Last Days: Kampers (1), pp. 76–7, 154–5.
On Frederick II, see the essays collected in Wolf, G.

112 On the preachers in Swabia: Albert of Stade, pp. 371–2. For a modern account of this movement or sect: Völter; and cf. Bloomfield and Reeves, pp. 791–2; Lempp; Schultheiss, pp. 19–20; Weller, pp. 146 sq.
For the text of the manifesto: Arnold, Dominican (OS); cf. Bloomfield and Reeves, loc. cit.; Bossert, pp. 179–81; Völter.

113 On the monk at Etna: Thomas of Eccleston, p. 568. Cf. Kampers (1), pp. 83–7, which also quotes sources for the belief in the resurrected Frederick in Sicily and Italy. At Tivoli, which being at perpetual loggerheads with Rome naturally adhered to the 'imperial' cause, Frederick's death was mourned in terms taken from the *Tiburtina*; see Hampe, esp. the Latin manifesto at pp. 18–20.

The resurrection of Frederick

113 For the pseudo-Frederick near Worms: *Annales Colmarienses maiores*, p. 211; at Lübeck: *Detmar-Chronik*, p. 367.

114 Principal sources for the story of the pseudo-Frederick of Neuss: Ellenhard of Strasbourg (2), pp. 125–6; *Vita Henrici II archiepiscopi (Treverensis) altera*, pp. 462–3. For an account which is factually less reliable but which shows how the story was reshaped in popular imagination see Ottokar's *Reimchronik*, lines 32324 sq. (pp. 423 sq.). Ottokar, an ex-minstrel writing between 1305 and 1320, seems to have drawn on a version which, circulating amongst the common people in Austria and strongly coloured by pseudo-Joachite ideas, accepted the monarch of

Neuss as the real Frederick II. For modern accounts: Meyer (Victor); Schultheiss, pp. 23–47; Voigt, pp. 145 sq.; Winkelmann.
The pseudo-Frederick a pilgrim: *Continuatio Anglica* (see under Martin of Troppau), p. 252. For his claim to have dwelt underground, see his letter given in the Note to the *Vita Henrici*, p. 462.
For reactions in Italy: Salimbene, p. 537.
German princes recognize the pretender: *Magdeburger Schöppenchronik*, p. 170.

115 On the pseudo-Frederick as the messiah of the urban poor: Schultheiss, p. 170; Voigt, p. 148.
The pseudo-Frederick promises to rise again: Ottokar, p. 426.
On the execution at Utrecht: *Annales Blandinienses*, p. 33.
The Emperor rescued from the flames: Ottokar, p. 427.
God has decreed his return: John of Winterthur, p. 280.

116 The Emperor and Prester John: Oswald der Schreiber, pp. 1012 sq. and esp. p. 1027.
On the belief in a future emperor-saviour (usually imagined as a resurrected Frederick) in Germany from the fourteenth to the sixteenth centuries: Bezold (4); Döllinger (MW), pp. 317 sq.; Kampers (1), pp. 100 sq.; Peuckert, pp 213–43, 606–29; Rosenkranz; Schultheiss; Wadstein, pp. 261 sq.
'In all countries . . .': Regenbogen. Cf. Oswald der Schreiber, loc. cit.
'one must not let . . .': *Magdeburger Schöppenchronik*, p. 313.

117 Suchenwirt: quoted in Bezold (3), p. 60.
John of Winterthur, p. 280. The *motif* of the hidden tonsures occurs already in the thirteenth-century pseudo-Joachite tract *Oraculum Cyrilli*. It was to become very popular in Germany; cf. Peuckert, p. 189.
'From the Emperor Frederick . . .': Rothe, p. 426. Cf. his comments (p. 466) on the pseudo-Frederick of Neuss and the many 'who have joined his heresy'.
On the Greek philosopher: Döllinger (MW), pp. 285–6.

Manifestos for a future Frederick

118 *Gamaleon*: For the Latin version: Wolf (OS), pp. 720 sq. (which contains most of it, in the form of a sermon supposed to have been delivered in 1409 or 1439); and Lazius (OS), H 2 (*b*)-H 3 (which contains the ending, under the title *Vaticinia de Invictissimo Caesare nostro Carolo V*). This version is summarized in Bezold (4), pp. 573 sq. For a vernacular German version: Reifferscheid (OS), Document 9. Cf. Döllinger (MW), pp. 349 sq.; Rosenkranz, pp. 516–17.
Reformation of Sigismund: see *Reformation Kaiser Sigmunds* (OS). On this work: Dohna; Bezold (3), pp. 70 sq., and (4), pp. 587 sq.; Peuckert, pp. 198 sq., 220 sq. On the vexed question of authorship see also Beer's introduction, pp. 71–4.
For 'Sigismund's prophecy': *Reformation Kaiser Sigmunds*, pp. 138–43.

119 *Book of a Hundred Chapters*: This work, which survives in a single enormous manuscript at Colmar, has never been edited. The present account is based on the lengthy analysis in Haupt (8) (MW). Cf. Doren, pp. 160 sq.; Franz, pp. 114–15; Peuckert, pp. 224–7.

120 'He will reign . . .'; 'The King will come . . .'; 'I am the beginning . . .': Haupt (8), pp. 202–3.

Abundance of bread, etc.: cf. Revelation vi, 6. Abundance and cheapness of bread, wine and oil are also characteristic of the reign of the future Constans as described in the *Tiburtina*.
The Revolutionary is himself the Messiah: Haupt (8), p. 209.

121 'to smash Babylon . . .': ibid., p. 202; and cf. pp. 163, 208 sq.
'Whoever strikes . . .', and the call to assassinate Maximilian: ibid., pp. 211–12.
'control the whole world . . .': ibid., p. 215.
'Soon we will drink . . .': ibid., p. 212; cf. p. 109.
'the great men . . .': ibid., p. 210.
'Go on hitting . . .': ibid., p. 212; cf. p. 179.

122 For the massacre of 'usurers' and lawyers: ibid., p. 201; cf. pp. 134, 166.
'What a lot of harm . . .': ibid., p. 168, Note 1; cf. pp. 167–72.
'If a person . . .', and comments on the new type of justice: ibid., pp. 164–6.

123 On the ancient German Empire: ibid., pp. 141–5.
On the Latin peoples: ibid., pp. 146–9.

124 On Germany's future destiny: ibid., pp. 156 sq., 200.
'and those that will not accept . . .': ibid., p. 201.

125 Christ taught Jews only: ibid., p. 188.
On patriarch and Emperor: ibid., pp. 156–9.
'The German's once held . . .': ibid., p. 157.

126 On the persistence of phantasies about the reincarnated Frederick: Peuckert, pp. 606 sq.
On the *Bundschuh* of 1513: Schreiber (MW). The millenarian elements in its programme emerge from Documents 20 (p. 89) and 22 (p. 92). Cf. Haupt (8), p. 200, Note 3; Peuckert, p. 625.

7 An Elite of Self-immolating Redeemers

The genesis of the flagellant movement

127 On the beginnings of self-flagellation in Europe: Förstemann, p. 7; Zöckler, p. 36. For the practice at Camaldoli and Fonte Avellana: Damian (1), cols. 415–17, and (2), col. 1002.
The friar: Suso (1), p. 43.

128 The present account of the Italian processions is based on: *Annales S. Justinae Patavini*, p. 179.
For modern accounts of the medieval flagellant movements: Förstemann, which for almost a century and a half was the most comprehensive account, has now been replaced by the symposium published at Perugia to mark the sixth centenary of the first outbreak; see *Il Movimento dei Disciplinati* (MW). Other valuable accounts: Fredericq (1) (MW); Hahn, vol. II, pp. 537 sq.; Haupt (1), (5) and esp. (11); Hübner, esp. pp. 6–60; Lea (MW), pp. 381 sq.; Lechner; Pfannenschmid; Werunsky, pp. 291 sq. For bibliography also: Röhricht (2).

129 The world about to be destroyed: *Annales S. Justinae*, loc. cit.
Salimbene, p. 466.
On the movement of 1261–2 north of the Alps: *Chronicon rhythmicum Austriacarum*, p. 363; *Annales Mellicenses*, Continuations: *Mellicensis*, p. 509, *Zwetlensis III*, p. 656; *Sancrucensis II*, p. 645; *Annales Austriacarum, Continuatio Praedicatorum Vindobonensium*, p. 728; Ellenhard (1), pp. 102 sq. (on the processions at Strasbourg); Henry of Heimburg,

p. 714; Hermann of Altaha, p. 402. The movement also reached Bohemia and Poland: *Annales capituli Cracoviensis*, p. 601; Basko of Poznan, p. 74; Pulkava of Radenin, vol. III, p. 232.

On the debt of the German to the Italian movement: Hübner, pp. 33–92. For the text of the Heavenly Letter: Closener, pp. 111 sq. The context there is the movement of 1348–9, but internal evidence shows the letter to date from 1262; cf. Hübner, pp. 54 sq.; Pfannenschmid, pp. 155 sq. The apocalyptic prophecy attributed to Christ: Mark xiii (=Matthew xxiv, Luke xxi).

130 On the social composition of the German movement: *Chronicon rhythmicum Austriacarum*, p. 363. Baszko of Poznan even refers to the flagellants as 'secta rusticorum'. Cf. Hübner, pp. 19–20.

On the flagellants' claims to salvation: Siegfried of Balnhusin, p. 705. The account in Pulkava, loc. cit., is of much later date and doubtful reliability.

131 On the repression in Germany: e.g. *Annales Veterocellenses*, p. 43.

On the flagellants of 1296: Closener, p. 104; and Note 5 thereto. For the famine see above, note to p. 102.

On the Black Death: Ziegler, which now replaces Coulton, Nohl. For Germany in particular: Hoeniger.

132 The flagellants precede the plague: *Kalendarium Zwetlense*, p. 692; *Annales Austriacorum, Continuato Claustroneoburgensis V*, p. 736. Both these sources expressly state that the flagellants were already active in Austria before the plague arrived.

For the progress of the plague across Europe: Lechner, pp. 443 sq.; but cf. Hübner, pp. 12–13.

On the flagellants in England: Robert of Avesbury, pp. 407–8.

For Strasbourg: Closener, pp. 105 sq.

For Tournai: Muisis, pp. 349, 354–5.

Statistics for the Low Countries: *Breve chronicon Flandriae*, p. 26; Muisis, pp. 354–5; and for Erfurt: *Chronicon S. Petri vulgo Sampetrinum Erfurtense*, p. 180.

133 The present account of the organization, rules and rituals of the flagellants is based on: du Fayt, pp. 703 sq.; Henry of Herford, p. 281; Hugh of Reutlingen, pp. 21 sq.; Matthew of Neuenburg, pp. 265–7; Muisis, pp. 355 sq.; Twinger, vol. IX, pp. 105 sq.

134 The ceremony invalidated by woman or priest: Gilles van der Hoye, p. 342; du Fayt, p. 704; vernacular chronicle in Fredericq (OS), vol. III, p. 15.

For the text of the hymns: Hübner.

'Simony had penetrated ...': Henry of Herford, p. 268.

135 'How contemptible ...': John of Winterthur, p. 278. The year is 1348. For the flagellants as saviours: Boendaele, vol. I, p. 590; Closener, p. 119; Fredericq (OS), loc. cit. and p. 18; Henry of Diessenhofen, p. 73; *Magdeburger Schöppenchronik*, p. 206.

People curse the clergy: Closener, loc. cit.; *Magdeburger Schöppenchronik*, loc. cit.; Muisis, p. 350; Taube of Selbach, p. 77.

Revolutionary flagellants

136 On the earthquakes as 'messianic woes': see Hübner, p. 30, Note 2, for sources.

For the eschatological interpretation of the Black Death: *Detmar-Chronik*, p. 522.

'Plague ruled . . .': quoted in Latin in Hübner, p. 31, where the source is also given.
John of Winterthur, p. 280.
For the great 'astrologer': Michael de Leone, p. 474.
For the intended duration (33½ years): Closener, p. 120.

137 For the enquiry at Breslau see the extracts from the *Quaestio* in Hübner, pp. 22, 24 (Note 1), 29, 47 (Note 2), 204 (Note 1).
The flagellants compare themselves with Christ: Boendaele, vol. I, p. 590; William of Nangis, Continuation III, vol. II, p. 218; chronicle in Fredericq (OS), vol. III, p. 18.
On the social composition of the processions: *Breve chronicon Flandriae*, p. 23; Henry of Herford, p. 282; Hugh of Reutlingen, pp. 51–2; Kervyn de Lettenhove (OS), pp. 30–31; Matthew of Neuenburg, p. 266; Tilemann Ehlen of Wolfhagen, pp. 32–3; also sources in Fredericq (OS), vol. II, p. 136, and in Kervyn de Lettenhove (2) (MW), vol. III, p. 353.
On clerics as *prophetae*: *Chronicon comitum Flandrensium*, p. 226; Closener, p. 118; *Gesta abbatum Trudonensium*, p. 432; and cf. the fourth version of Froissart, quoted in Fredericq (OS), vol. II, p. 131.
For the Bull: Clement VI, pp. 471–2.
The chronicler of the Low Countries: *Gesta abbatum Trudonensium*, loc. cit.
For the Archbishop of Cologne: Synod of Cologne, 1353, p. 471.

138 For Breslau: Klose (MW), p. 190.
On the anti-ecclesiastical attitude and acts of the flagellants: *Chron. comitum Flandrensium*, loc. cit.; *Magdeburger Schöppenchronik*, p 206; *Chron. S. Petri vulgo Sampetrinum*, p. 181; Closener, pp. 115, 119; *Detmar-Chronik*, p. 520; Henry of Herford, pp. 281–2; le Bel, vol. I, p. 225; chronicle in Fredericq (OS), vol. III, p. 18.
For the Pope's complaint: Clement VI, p. 471.
The French chronicler: le Bel, loc. cit.
For a modern study of the accusation of well-poisoning: Wickershelmer; and of the ensuing massacres: Graetz, vol. VII, pp. 360–84; Werunsky, pp. 239 sq.

139 On the happenings at Frankfort: *Annales Francofurtani*, p. 395; Camentz, p. 434; Matthew of Neuenburg, p. 264. Cf. Kracauer (MW), pp. 35 sq.
For Mainz: Henry of Diessenhofen, p. 70; Matthew of Neuenburg, pp. 264–5; Taube of Selbach, pp. 92–3. Cf. Graetz, vol. VII, p. 375; Schaab, pp. 87 sq.
For Cologne: *Annales Agrippenses*, p. 738; *Detmar-Chronik*, p. 275; *Gesta abbatum Trudonensium*, p. 432; Lacomblet, vol. III, p. 391, no. 489 (23 September 1350) (whence the quotation); *Notae Colonienses*, p. 365; Ennen and Eckertz, vol. IV, nos. 314, 385. Cf. Weyden (MW), pp. 186 sq.
For Brussels: Muisis, pp. 342–3.
On the massacres in the Low Countries: Boendaele, vol. I, pp. 588–93; du Fayt, pp. 705–7; Low German translation of Jan van der Beke in Fredericq (OS), vol. I, pp. 196–7.
'most of them . . .': Clement VI, p. 471.
The flagellants attack laymen: ibid.; and *Detmar-Chronik*, p. 275. Cf. Werunsky, pp. 300 sq.

140 Philip V bans flagellation: Muisis, p. 361; and sources in Fredericq (OS), vol. III, pp. 20–21, 116–17, and in Kervyn de Lettenhove (2) (MW), vol. III, p. 358.
Towns resist the flagellants: Erfurt: *Chron. S. Petri vulgo Sampetrinum*,

p. 180; Aachen: Haagen (MW), vol. I, p. 277; Nuremberg: Lochner (MW), p. 36.
On the flagellants of 1400: Zantfliet, p. 358.
Flagellants at Avignon: *Breve chronicon Flandriae*, p. 14; Matthew of Neuenburg, p. 267, Note 2.
For du Fayt's report, see du Fayt (OS); and cf. Fredericq (2) (MW).
On the action of the University of Paris: William of Nangis, Continuation III, vol. II, p. 217; Egasse du Boulay (OS), vol. IV, p. 314.
141 The movement suppressed by ecclesiastical authorities: Andrew of Regensburg, p. 2112; Benessius Krabice of Weitmühl, p. 516; Closener, p. 120; Francis of Prague, p. 599; Froissart, vol. IV, p. 100; *Magdeburger Schöppenchronik*, p. 206.
The movement suppressed by secular authorities: *Annales breves Solmenses*, p. 449; Tilemann Ehlen, p. 33; and sources in Fredericq (OS), vol. II, pp. 112–18.
'vanishing as suddenly . . .': Henry of Herford, p. 282.
On the penance in St Peter's: *Magdeburger Schöppenchronik*, p. 219.
For later prohibitions: the Low Countries and particularly Tournai: Fredericq (1) (MW); Utrecht: Synod of Utrecht, 1353; Cologne: Synods of Cologne, 1353 and 1357, pp. 471, 485–6.
On the Italian movement: Duplessis d'Argentré (OS), pp. 336–7.

The secret flagellants of Thuringia

142 The present account of Schmid and the secret flagellants of Thuringia is based on documents printed in Stumpf (MW) and in Förstemann, Appendix II. For Documents 2 and 3 in Stumpf, which summarize the leader's own opinions, see also Schmid (1) and (2) (both OS). For a modern account of Schmid: Haupt (12); and of the history of the sect: Förstemann, pp. 159–81; Haupt (5), pp. 117 sq., and (11).
On the flagellants of 1348–9 in Thuringia: *Chron. S. Petri vulgo Sampetrinum*, p. 180.
On Thuringia as the centre of the Frederick-cult: Grauert (1); Kampers (1), pp. 97–109.
143 For Frederick the Undaunted as an eschatological figure: Peter of Zittau, pp. 424 sq.; and cf. Grauert (2), pp. 703 sq.
144 On the recurrence of the plague: Haupt (5), p. 118, Note.
For the executions at Nordhausen: Körner (OS), col. 1113.
The Pope encourages the Inquisition: Gregory XI (1).
On the group at Erfurt: Trithemius (1), vol. II, p. 296.
145 On the flagellant movements in southern Europe from 1396 onwards: Förstemann, pp. 104 sq.
On the flagellants at Rome: Wadding, vol. X, pp. 33–4; and cf. Wadstein, p. 89.
Charlier de Gerson: Gerson (4), p. 658, and (5), pp. 660–64.
For the doctrines of the Thuringian flagellants in the fifteenth century: Stumpf, Documents 4, 5 (= Reifferscheid, Documents 5, 6); for emendations and additions to the second document, from another manuscript: Haupt (5). Also Förstemann, document in Appendix II, pp. 278–91.
146 The fifteenth-century Thuringian chronicler: Rothe, p. 426.
On the repression of 1414–16: Körner, p. 1206. Cf., on the preponderant part played by secular authorities in these persecutions: Flade, pp. 80–82.

On the flagellants at Nordhausen, 1446: Förstemann, loc. cit., and pp. 173 sq.
At Sonderhausen, 1454; Stumpf, document 5; Haupt (5).

147 For the last trials of flagellants: Förstemann, pp. 180 sq. In 1468 a monk of Erfurt wrote a tract against the flagellants: see John of Hagen (OS).

8 An Elite of Amoral Supermen (i)

The heresy of the Free Spirit

148 By far the most comprehensive account of the heresy of the Free Spirit is now that in Guarnieri (2); published in 1965, it replaces Mosheim (2) (1790) and Jundt (1875). For briefer accounts published in the last few years: Guarnieri (1); and, down to the fifteenth century only, Leff, vol. I, pp. 308–407. The account in Erbstösser and Werner ignores the established facts, in favour of an *a priori* pseudo-Marxist thesis.
The name 'Free Spirit' was taken from 2 Corinthians iii, 17: 'Where the Spirit of the Lord is, there is liberty.'

149 The existence of the heresy of the Free Spirit was queried for instance by the eminent ecclesiastical historian Karl Müller; cf. Müller (1), p. 612, and (2), *passim*. For an effective reply to Müller (2) see Niesel.
Schwester Katrei: All extant versions contain large interpolations of orthodox Catholic theology. A fair idea of the original can be gained by using together the two published versions; see Pfeiffer, Birlinger (both (OS), and cf. Simon (MW).
For the list of 'articles of faith': Preger (2) (OS).
For the *Mirouer des simples ames* see Porete, Marguerite (OS).
The accuracy of Catholic accounts of the Free Spirit is also borne out by the documents concerning a very similar, though much smaller, movement which existed in Italy during the fourteenth century. They are published in Oliger (MW).

150 On orthodox medieval mysticism: Leclercq, Vandenbroucke and Bouyer. On the relationship between orthodox and heretical mysticism, especially in Germany: Leff, vol. II, pp. 259–94.

151 In the first edition of this book I gave grounds for thinking that the Free Spirit was known in the West already in the twelfth century; but further weighing of the evidence leaves me doubtful.
On the Euchites: Runciman (1), esp. pp. 21–5, 28–9; Guarnieri (2), pp. 272–3.
On the Sufi: Guarnieri (1), pp. 367–70; Guarnieri (2) cols. 1249–50.

The Amaurians

152 For modern accounts of the Amaurian sect: Aegerter, pp. 59 sq.; Alphandéry (1); Delacroix, pp. 34–52; Gilson, pp. 382–4; Hahn, vol. III, pp. 176 sq.; Jundt, pp. 20 sq.; Preger (1), pp. 166 sq.; and works specified below.
The German chronicler: Caesarius of Heisterbach, vol. I, pp. 304–7. The list of individual sectarians given by Caesarius is confirmed by the decree of condemnation; see Synod of Paris, 1209.

153 For the story of Amaury: William the Breton, pp. 230–31. Cf. Hauréau, pp. 83 sq. On Amaury's eminent associates: *Chronicon universale anonymi*

Laudunensis; and Hostiensis (Henry of Susa, Henricus de Bartholomaels) as quoted in Capelle (MW), p. 94.
On Amaury's responsibility: *Chronica de Mailros*, p. 109.
For the tract *Contra Amaurianos*: Garnier of Rochefort (attrib.).
Robert of Courçon: in Denifle and Chatelain (OS), vol. I, p. 79.
Innocent III: in *Concilium Lateranense IV*, cap. ii, p. 986.
On Amaury's own doctrine see, in addition to Caesarius and Hostiensis: Martin of Troppau, pp. 393 sq. Martin, who was chaplain to five popes, died in 1278. His account was adopted in the fifteenth century by Gerson; see Gerson (8), p. 394, (10), p. 1242. Both Martin and Hostiensis may however simply have attributed to Amaury opinions which they found in Erigena. On Amaury and Erigena see Jourdain – whose argument however could not now be maintained in its entirety: the Amaurians were certainly disciples of Amaury, even if errant ones, and not of David of Dinant.

154 'Outwardly, in face and speech . . .': John, Abbot of St Victor.
For the heresy at Troyes: Caesarius, p. 307; at Lyons: Stephen of Bourbon, p. 294.
For the proselytism of the Amaurians: Caesarius, p. 306; *Chronica de Mailros*, loc. cit.; *Haereses sectatorum Amalrici*.
On the doctrine of the Amaurians: Caesarius; Garnier of Rochefort; *Haereses sectatorum*; John, Abbot of St Victor; and the report on the interrogation of the arrested clerics (see Alverny (MW)), which confirms the accuracy of *Haereses sectatorum*. For modern reconstructions of the doctrine: Capelle; Grundmann (2), pp. 355 sq.; Pra.
'He dared to affirm that . . .': *Haereses sectatorum*.
'each one of them was Christ . . .': Caesarius, p. 305.

155 On the theory of successive incarnations: *Haereses sectatorum*; Garnier of Rochefort, p. 30.
The Holy Spirit speaks through the Amaurians: Caesarius, p. 305.
'Within five years . . .': Garnier of Rochefort, p. 51.
On the messianic phantasies of the Amaurians: Caesarius, pp. 305–6.

156 For the sermon of the Abbot of St Victor: John, Abbot of St Victor.
'They committed rapes . . .': William the Breton, vol. I, p. 232.

The sociology of the Free Spirit

157 The sociological significance of the cult of voluntary poverty has long been a subject of controversy. In interpreting voluntary poverty as specifically a movement of the oppressed, some Marxist scholars have certainly distorted the facts. Grundmann (2) deals effectively with such over-simplifications, see esp. pp. 28 sq., 157 sq., 188 sq., 351. Nevertheless the unavoidably poor, particularly urban artisans, played a larger part in the movement, both inside and outside the Church, than Professor Grundmann suggests.

158 For Willem Cornelis: Thomas of Chantimpré, p. 432.
For antinomianism and the cult of poverty at Antwerp c. 1250: document in Fredericq (OS), vol. I, pp. 119–20; and cf. McDonnell, pp. 489–90.
On the female mystic Hadewijch, who also flourished at Antwerp around 1230, and for the Italian Jacopone of Todi, see Guarnieri (1) pp. 362–3, and Guarnieri (2) cols. 1243, 1247.

159 On the derivation of 'beg' and 'beggar' see the Oxford English Dictionary.

On the dress and public behaviour of Beghards: *Annales Basileenses*, p. 197; John of Dürbheim (1), pp. 259–60; Pelayo, vol. II, lib. ii, article 51, para. K; Wasmod of Homburg; Wattenbach (1) (OS). Pelayo, articles 51 and 52, deals at length with the way of life of Beghards, including Brethren of the Free Spirit.

The growing uneasiness with which the clergy viewed Beghards is shown in the decrees of several synods; e.g. (all OS): Synod of Mainz, 1259, p. 997; Magdeburg, 1261, p. 777; Trier, 1277, p. 27 (the date 1227 is an error); Trier, 1310, p. 247; Mainz, 1310, p. 297.

On the way of life of the Brethren of the Free Spirit see, in addition to Pelayo: Schmidt (2) (OS), pp. 224–33; Wattenbach (1) and (2) (both OS).

On artisans as Brethren of the Free Spirit: Conrad of Megenberg; Pelayo (the most relevant passage is quoted in Mosheim (2), p. 290). Evidence for the participation of apostate clerics and of men and women of prosperous families is abundant; and the attempt by Erbströsser and Werner to represent the entire movement as plebeian is misguided.

160 On the position of middle-class widows and spinsters: Power, pp. 413, 433.

On the Amaurians 'in the houses of widows': *Chron. de Mailros*, p. 109, where they are called 'Papelardi'; and *Chron. regia Coloniensis, Continuatio II*, p. 15, where they are called 'Beggini'. On the significance of these appellations: Grundmann (2), pp. 373 sq.; and cf. ibid., pp. 366 sq. For the arrest of the female followers: William the Breton, p. 233.

On the Beguines: Neumann; McDonnell; and for a brief summary: Haupt (9).

161 Monks forbidden to have dealings with Beguines: Synod of Mainz, 1261, p. 1089.

The Franciscan of Tournai: Simon of Tournai, pp. 33 sq.

The East German Bishop: Bruno of Olmütz, p. 27.

On the attitude of the secular clergy: Grundmann (2), pp. 378–84. On the assimilation of Beguines by the Mendicant Orders: ibid., pp. 199–318.

162 The reception given by a Beguine community to an adept of the Free Spirit is described by Conrad of Megenberg.

'Unbelievably subtle words ...': Nider, lib. III, cap. v, p. 45.

'A man who had great likeness ...': Ulanowski (OS), p. 248.

9 An Elite of Amoral Supermen (ii)

The spread of the movement

163 For the spread of the Free Spirit along the Upper Rhine: Hartmann (OS), p. 235. Sources for the executions at Strasbourg: in Duplessis d'Argentré, vol. I, p. 316.

For Albertus Magnus: Nider, lib. III, cap. v, p. 45.

For the diocese of Trier: Synod of Trier, 1277, p. 27.

For Cologne: Henry of Virnenburg; Wadding, vol. VI, pp. 108–9; and cf. Mosheim (2), pp. 232–3.

On the two Beghards at Nördlingen: *Annales Basileenses*, p. 194; and cf. Grundmann (2), pp. 404 sq. For the heretical articles see Albertus Magnus (OS). The manuscripts of Albert's analysis known to Preger and Haupt are both only copies. Nider, writing about 1435, claims (loc. cit.) that he saw the original list in Albert's own notebook; but that is lost. Preger

gives as well another list of 29 articles, from an independent source but dealing with the same outbreak of heresy in the Swabian Ries; see Preger (1) (OS). For reconstruction of the doctrine presented by these sources: Delacroix, pp. 60–68; Grundmann (2), pp. 401–31; Preger (1) (MW), pp. 207–12.

163–164 For Marguerite Porete: William of Nangis, *Continuatio II*, vol. I, pp. 379–80; *Grandes chroniques de France*, vol. V, p. 188; Jean des Preis, pp. 141–2. For the condemnation of her book: Langlois (OS). For the sentence passed upon her: Lea (OS). For the letter of Clement V: ibid., p. 578, Note. See also Guarnieri (1), pp. 388–9, 408–13, and on the fate of the book in England, p. 434.

164 On the Council of Vienne: Müller (Ewald), esp. Appendix B. For the Bulls see Clement V.
On ecclesiastical persecution of Beguines: McDonnell, pp. 505–74.
Pastoral letter of the Bishop of Strasbourg: John of Dürbheim (1).

165 On the episcopal inquisition: Lea (MW), p. 370.
Bishop of Strasbourg to Bishop of Worms: John of Dürbheim (2); and for his letter to the Pope: Baluze (1) (OS), vol. III, pp. 353–6.
For the heresiarch Walter: Trithemius (1), vol. II, p. 155; and cf. Mosheim (2), pp. 270 sq.
For the capture and execution of the secret group: John of Viktring, vol. II, pp. 129–30; John of Winterthur, p. 116; William of Egmont, pp. 643–4 (the last being a contemporary source).
For the House of Voluntary Poverty at Cologne: Wattenbach (1) (OS); and cf. *Gesta Baldevvini Treverensis archiepiscopi*, p. 144.
For the three Beghards at Constance: John of Winterthur, pp. 248–50; and cf. Mosheim (2), pp. 301–5.
Papal inquisitor appointed: see Innocent VI.
For the adept at Speyer: Nauclerus, pp. 898 sq.; Trithemius (1), pp. 231 sq. See also Haupt (1), p. 8.
For Cologne in 1357: Synod of Cologne, 1357, pp. 482–3.

166 For Nicholas of Basle: Nider, lib. III, cap. ii, p. 40; and the sentence passed on one of his followers, as given in Schmidt (1) (OS), pp. 66–9, and emended in Haupt (4), p. 509. The general argument of Schmidt's book on Nicholas has long since been refuted. For a modern account of Nicholas: Strauch.
For the execution at Mainz: Ritter (OS).
Sebastian Brant: *De singularitate quorundam fatuorum additio*, in Brant (OS), pp. 119–21.
The Free Spirit reaches Bohemia and Austria: John of Viktring, vol. II, p. 130.
The Free Spirit amongst Bavarian Beguines: Conrad of Megenberg.
In the diocese of Würzburg: Haupt (1), pp. 6 sq., quoting from *Monumenta Boica*, vol. XL, pp. 415–21.
For the synod of Regensburg, 1377: Haupt (2), p. 488, quoting from *Monumenta Boica*, vol. XV, p. 612.
For the trial at Eichstätt: ibid., pp. 490 sq.
For the community at Cham: *Errores bechardorum et begutarum*, and Haupt (7).
On measures against Beghards in Bavaria during the fifteenth century: Haupt (2); Lea (MW), pp. 412–13.
For the community at Schweidnitz: Ulanowski (OS).
Synod of Magdeburg, 1261, p. 777.

Matilda of Magdeburg, p. 260.

167 For the scribe at Erfurt: *Gesta archiepiscoporum Magdeburgensium Continuatio I*, p. 434.

For the three Beguines at Magdeburg: ibid., p. 435; and *Erphurdianus Antiquitatum Variloquus*, pp. 134–5.

On the appointment and powers of Kerlinger: Urban V (1); Charles IV (1) and (2). The date of the Bull is however 1368 and not, as given by Mosheim, 1367.

For the repression at Erfurt: Wattenbach (1) (OS); and Nordhausen: Körner, p. 1113.

Erfurt and Magdeburg clear: *Gesta archiepiscoporum Magdeburgensium Continuatio I*, p. 441.

On the Thuringian sect of *c.* 1550: Hochhut, pp. 182–96; Wappler, pp. 189–206.

The Pope's appeal: Gregory XI (2).

Executions at Lübeck and Wismar: Körner, pp. 1185–6.

168 On Groot's struggle against the heresy: Groot (OS), pp. 24–48; and cf. Preger (2) (MW), pp. 24–6.

For Bloemardinne: Bogaert (OS), p. 286. The literature on Bloemardinne is abundant, but adds nothing to the information supplied by Bogaert, who wrote after Ruusbroec's death. However, Bogaert claimed to have his information from a companion of Ruusbroec, John of Schoonhoven; and most historians accept his account as accurate.

Ruusbroec publicly ridiculed: Latomus (MW), p. 85.

Ruusbroec's attacks on the Brethren of the Free Spirit will be found in the works listed in the Bibliography, as follows: Ruusbroec (1), pp. 52–5, (2), pp. 228–37, (3), p. 105, (4), pp. 191–2, 209–11, (5), pp. 278–82, 297–8, (6), pp. 39–52. Ironically, twenty years after his death Ruusbroec himself was accused of heresy, by Gerson; see Combes, *passim*.

On the appointment of inquisitors in 1410: Latomus, p. 84.

For the *Homines intelligentiae*: *Errores sectae hominum intelligentiae*; and cf. Altmeyer, pp. 82–3.

169 For the Bull of 1365: Urban V (2).

On the Turlupins: Gaguin, lib. IX, p. 89; Baronius and Raynaldus, vol. XXVI, p. 240. See also Du Cange, under 'Turlupini'. On the probable origin of the name: Spitzer.

Gerson's comments will be found in the works listed in the Bibliography, as follows: Gerson (1), p. 19, (2), p. 55, (3), p. 114, (6), pp. 306–7, (7), p. 369, (9), p. 866, (11), p. 1435. One of the sources of his information was a book of 'almost incredible subtlety' which he attributed to one 'Mary of Valenciennes'. It is now clear that the book was the *Mirouer des simple ames* of Marguerite Porete; cf. Guarnieri (1), pp. 461–2.

It has commonly been held that certain sectarians who emigrated from France to Savoy in the 1370's, and others who were executed at Douai in 1420, were Brethren of the Free Spirit; but the original sources do not bear this out. For a detailed examination of the evidence in the Douai case: Beuzart.

On Pruystinck and his followers: Frederichs (OS); Luther (3). For modern accounts: Frederichs (1) and (2) (both MW); Rembert, pp. 165 sq.

170 For Calvin's first attacks on the Spiritual Libertines, in 1539 and 1544: Calvin (1), pp. 300–301, 350–51, and (2), pp. 53–4.

For the warnings to Margaret of Navarre: Bucer; Calvin (3).

171 On Quintin's end: Calvin (5), cols. 361–2.
The estimate of 10,000 is at col. 163 of Calvin (4), which is the most important of his treatises against the sect.
For the replies to the former Franciscan: Calvin (5); Farel.
For the modern accounts of the Spiritual Libertines: Jundt, pp. 122 sq.; Niesel; and more briefly: Lefranc, pp. 112–13; Saulnier, pp. 246–9. There seem no adequate grounds for believing that the various tracts which have sometimes been attributed to members of the sect really were by them. Some of these works have in fact been identified as simply French translations from the Low German of the Anabaptist David Joris; see Bainton, p. 35.

The way to self-deification

172 Grundmann (7) shows that the inquisitors made the Free Spirit look far more of a uniform 'sect' than it really was. Nevertheless a coherent tradition of speculation and practice did exist. It can be traced also in southern Europe. On the Free Spirit, or the Spirit of Freedom, in Italy: De Stefano, pp. 327–44; Oliger; Guarnieri (1), pp. 404–97. See also the suggestive comments in Burdach (1), p. 588. For Spain, see references in Guarnieri (1), pp. 483–4.
'God is all . . .': John of Dürbheim (1), p. 256.
'God is in every stone . . .': *Errores sectae hominum intelligentiae*, p. 287.
'Every created thing . . .': Albertus Magnus, articles 76, 77.
For the same ideas amongst the Spiritual Libertines of the sixteenth century: Calvin (4), cols. 178–9; Farel, p. 263.
On the doctrine of the final, all-embracing 'Blessedness': Ruusbroec (3), p. 105, (4), p. 191, (5), p. 278 (where the absorption of the Persons of the Trinity is specifically mentioned).
The soul as a drop of liquid: Ruusbroec (6), p. 41; cf. John of Dürbheim (1), pp. 257–8; Calvin (4), cols. 221, 224.
173 No afterlife: Ruusbroec (3), *loc. cit.*; John of Dürbheim (1), *loc. cit.*; and cf. Pfeiffer (OS), p. 453.
The meaning of hell: Caesarius of Heisterbach, p. 304.
'The soul is so vast . . .': Ulanowski (OS), p. 247.
On the divinity of the soul: Albertus Magnus, articles 7, 95, 96; Ruusbroec (6), p. 43.
'The divine essence . . .': Preger (2) (OS).
'Every rational creature . . .': ibid.
174 The adepts set themselves above the saints, etc.: Albertus Magnus, articles 22, 31, 39, 70, 74, 93; Preger (1) (OS), article 1; John of Dürbheim (1), pp. 256–7; Ritter (1) (OS), p. 156.
'They say they are God . . .': John of Dürbheim (1), p. 256; cf. Calvin (4), col. 158.
'It is the same with me . . .': Ruusbroec (6), pp. 44–5.
The Virgin and Christ fail to reach perfection: e.g. Wattenbach (2) (OS), pp. 540–41.
On the training undergone by novices see e.g. Ulanowski; *Schwester Katrei* (esp. Birlinger, pp. 20 sq.; Pfeiffer, pp. 456 sq.); Wattenbach (1), pp. 30 sq.; *Errores bechardorum*. Ecclesiastical critics of the movement were also struck by the severity of the training; e.g. Ruusbroec (1), (2), and (3).

'The Spirit of Freedom . . .': Wattenbach (2), p. 540. This quotation is not *verbatim* but is made up of replies given to several questions put by the inquisitor.

175 'wholly liquefied in Eternity . . .': ibid., (1), p. 533.
The inmate at Schweidnitz: Ulanowski, p. 241.
'The perfect man is God . . .': Preger (2) (OS).
Schwester Katrei: Birlinger, pp. 23–4.
For the claims of the adepts at Schweidnitz: Ulanowski, pp. 249, 242; and of the Swabian adepts: Albertus Magnus, articles 19, 70; Preger (1) (OS), article 30.
'had no longer any need of God': Albertus Magnus, articles 11, 74.

176 Adepts believe they possess miraculous powers: e.g. Gilles the Cantor according to *Errores sectae*; the hermit in the *Buch von den zwei Mannen* (Schmidt (2) (OS)); Hermann Küchener in Haupt (1).
'They say that they created . . .': John of Dürbheim (1), p. 256.
'When I dwelt . . .': Ruusbroec (6), pp. 42–3.
'When God created . . .': Ulanowski, p. 243.
'The perfect man . . .': Preger (2) (OS).

The doctrine of mystical anarchism

177 On Boullan: Bruno de Jésus-Marie.
Suso (2), pp. 352–7.
'He who attributes . . .': Garnier of Rochefort, p. 12.
'He who recognizes . . .': ibid., p. 9.
'A man who has a conscience . . .': Wattenbach (1), pp. 532–3.

178 'Nothing is sin . . .': Albertus Magnus, article 61.
'One can be so united . . .': Preger (1) (OS), article 4. Cf. Albertus Magnus, articles 21, 24, 94. For the same beliefs amongst the Spiritual Libertines: Calvin (1), cols. 350–51, (4), cols. 155, 183–5, 201, 204–9, (5), cols. 356, 361; Farel, pp. 4–5, 23–5, 27, 263, 277–8, 456–7; and amongst the Thuringian 'Blood-friends': Hochhut (MW), pp. 185–8.
'I belong to the Liberty . . .': Wattenbach (1), p. 533.
'The free man . . .': Wattenbach (2), p. 540, where the revelation to the inquisitor is also to be found.
'It would be better . . .': ibid., p. 539.
The adept must restore his strength: Wattenbach (1), p. 532; Schmidt (2) (OS); Nider, lib. III, cap. v, p. 45; Albertus Magnus, articles 44, 52 (and in Haupt's emendations: article 25 A); Preger (1) (OS), article 27.
The spiritual value of feasting is emphasized by Bertold of Rohrbach, the adept who was burnt at Speyer in 1356; for sources see above, Note to p. 171.
For the comment on the golden goblet: Wattenbach (2), p. 539.
Fine dresses at Schweidnitz: Ulanowski, p. 252.
Sister Catherine (Schwester Katrei): Birlinger, p. 31.
'They have no uniform . . .': Nider, lib. III, cap. v.

179 'When a man . . .': Schmidt (2) (OS).
'All things that exist . . .': Preger (OS).
Schwester Katrei: Pfeiffer, p. 458; Birlinger, p. 31.
Virginity regained: Wattenbach (2), p. 541.

180 On promiscuity without qualms of conscience: Calvin (4), cols. 184, 212–14; Hochhut, pp. 189–94; Preger (1) (OS), article 11; *Errores sectae*, p. 283. Henry of Virnenburg accused the heretics of holding that fornica-

tion was no sin. The Beguines at Schweidnitz and the Beghards with whom they associated maintained that to resist sexual advances was the sign of a 'crude spirit'.
'The delight of Paradise', 'the acclivity': *Errores sectae*, p. 282. Cf. Nider, lib. III, cap. v; Calvin, col. 184.
'Christerie': Hochhut, pp. 183–5; Wappler, pp. 189–92.
'till acted . . .': see Appendix, p. 352.
For the inquisitor's comment on primal innocence: *Errores bechardorum*.
For Gerson's comments: Gerson (7), pp. 306–7.
The Garden of Eden: *Errores sectae*, p. 282.
For the adept at Eichstätt: Haupt (2), pp. 490 sq.
For the Spiritual Libertines on Adam and the Last Days: Pocque (OS). Antoine Pocque, or Pocquet, was one of the leaders of the sect. In this tract, which is preserved only in the long quotations given by Calvin, the millenarian and quasi-mystical aspects of the doctrine emerge very clearly. The antinomian consequences are not stated as explicitly as in some of the English sources given in the Appendix to the present study; but cf. Calvin (4), col. 200, on the meaning which the sect attached on the notion of Adam and the state of innocence. For a comprehensive survey of the evidence concerning the Adam cult: Guarnieri (1), pp. 428–32.

181 The oath of obedience figures in e.g. Schmidt (2), Ulanowski, Wattenbach (1) (all OS).
For Gerson's comment: Gerson (3), p. 114.
The confession of Martin of Mainz: Schmidt (1) (OS).

182 'took no account . . .': Calvin (4), p. 158.
Calvin on simulation: ibid., pp. 170–71; Farel, pp. 87–8.
'They believe that all things . . .': John of Dürbheim (1), p. 257.
'The truly free man . . .': Wattenbach (2), p. 539.

183 John of Brünn: Wattenbach (1), pp. 532–5.
For Calvin's comments: Calvin (4), cols. 184, 214–20.
'Give, give, give . . .': see Appendix, p. 325.

184 'this soul has no will . . .': Guarnieri (1), p. 531.
'do nothing but what pleases them . . .': ibid., p. 591.

185 'Such souls cannot see themselves . . .': ibid., p. 527.
'At the highest point . . .': ibid., p. 594.
'This soul feels no pain . . .': ibid., p. 537.
'The thoughts of such souls . . .': ibid., p. 537.
'Why should such souls . . .': ibid., p. 538.

10 The Egalitarian State of Nature

In the thought of Antiquity

187 A fine collection of texts illustrating Greek and Roman notions of the State of Nature will be found in Lovejoy and Boas.
Ovid, lib. I, lines 90–112, and esp. 135–6.

188 'The first inhabitants . . .': Trogus, lib. XLIII, cap. i.
'Now I hear poets . . .': Lucian, Letter I.
On the egalitarianism of the Greek Stoics: Bidez, esp. pp. 27–35.

189 Diodorus Siculus, Book II, cap. lv–lx (vol. I, pp. 167–72).
For the treatise *On Justice*: Clement of Alexandria, vol. VIII, cols. 1104–13 (Book III, chap. ii). For modern summaries: Adler, pp. 78 sq.;

Walter (G.), pp. 231 sq. (which however contains some errors). The traditional view, shared by these writers, has been that the treatise was the work of one Epiphanes, supposed founder of a sect of 'Carpocratians'; but this would seem to have been conclusively disproved by Kraft.

190–1 'Those were happy times...': Seneca, Epistola XC.

191 The egalitarian order irrecoverably lost: It is true that the Stoics, with their cyclical view of cosmic history, expected the Golden Age to recur – but only in the next cycle or *annus magnus*, and after a conflagration which was to annihilate the whole existing universe, including all souls.

In patristic and medieval thought

192 On the contrast between the State of Nature and the conventional state: Carlyle, vol. I, pp. 132–46; vol. II, pp. 136 sq.; vol. V, pp. 441–2: Troeltsch, vol. I, pp. 152–4. The texts and commentaries in Boas illustrate the various ways in which the State of Nature was imagined by the Fathers and during the Middle Ages.
'Ambrosiaster', col. 439.
'This the order of nature...': Augustine, vol. II, pp. 428–9 (lib. XIX, cap. xv).

193 'Although there now exist...': Beaumanoir, p. 235, para. 1453.
Cyprian, cols. 620–21 (para. 25).
'like the day...': Zeno, col. 287.
'Nature has poured forth...': Ambrose (2), col. 62.
'The Lord God specially wanted ...': Ambrose (1), col. 1303. Cf. Lovejoy (MW). What practical consequences Ambrose drew from this doctrine is far from clear. If, as Professor Lovejoy points out, he recommended almsgiving on an immense scale as a way of reducing economic inequalities, he also maintained that poverty, hunger and pain are so many aids towards a blessed life. (Ambrose (1), Book II, Chap. V.)
Gratian's *Decretum, pars secunda, causa XII, quaestio i*, cap. ii (cols. 882–3).

194 'For the use...': *Recognitiones*, cols. 1422–3 (lib. X, cap. v).
Pseudo-Isidore: *Decretales Pseudo-Isidorianae*, p. 65 (cap. lxxxii).
Acts iv, 32, 34–5.

195 Gratian adopts the argument of the Fifth Epistle: *Decretum, pars prima, distinctio VIII, Gratianus.*
The communistic State of Nature becomes a commonplace: cf. Bezold (2), pp. 18 sq.; Carlyle, vol. II, pp. 41 sq.

195–6 'Once upon a time...': Jean de Meun, lines 8356–8452.

196 'And so, my friend...': ibid., lines 9493–8.
On the process of degeneration: ibid., lines 9561–98.
'a big villein...': ibid., lines 9609–61.

197 On the attitude of the sects to property: Troeltsch, vol. I, pp. 344–5.

11 The Egalitarian Millennium (i)

Marginalia to the English Peasants' Revolt

198 On the insurrections in Flanders and northern France, see pp. 104–5 and Note thereto.
For the English Peasants' Revolt the standard works are still Oman, Petit-Dutaillis (2) and above all Réville with Petit-Dutaillis (1). For a

more recent account: Lindsay and Groves. Important articles: Kriehn, Wilkinson. See also the relevant chapters in Hugenholtz, Steel, Trevelyan; and Burdach (2), pp. 171–203.
For the story of John Ball: Froissart, vol. X, pp. 94–7; Walsingham, pp. 32–4; and cf. *Anonimalle Chronicle*, pp. 137–8.

199 'And if we are all . . .': Froissart, vol. X, pp. 95–7.
Walsingham, pp. 32–3. Cf. Gower's version, at p. 41 (lib. I, cap. ix).

200 'by the lawe of kynde . . .': *Dialogue of Dives and Pauper*, The seventh precepte, Chap. IV, cols. 3–4.
'In commune to all . . .': Master Wimbledon, quoted in Owst (MW), p. 305.
Wyclif, Book I, Divisions i and ii, and esp. chaps. 3, 5, 6, 9, 10, 14.
'Firstly, that all good things . . .': Wyclif, p. 96.
On the popularization of Wyclif's comments: Hugenholtz, p. 212; Trevelyan, p. 198; and cf. Jusserand, pp. 159 sq.

201 'Envy heard this . . .': Langland, vol. I, pp. 594–5 (B Text, Passus XX, lines 271 sq.; C Text, Passus XXIII, lines 273 sq.). Cf. vol. II, p. 283, Note 277.

201–2 Owst, pp. 287 sq. The translation and summary of Bromyard are at pp. 300 sq.

203 'He that soweth . . .': Matthew xiii, 37–43.
For the text of the rhymes: Knighton, Continuation, vol. II, pp. 139–40; Walsingham, pp. 33–4.
On the part played by the lower clergy see, e.g., Calendar of the Close Rolls, Richard II, vol. II, p. 17; and cf. Hugenholtz, pp. 252–3. On the other hand it would seem that, contrary to a commonly accepted view, the rising was fomented neither by the friars nor by Wyclif's Poor Preachers; cf. Steel, p. 66.

204 On Richard II as 'thaumaturgic king': Hugenholtz, esp. pp. 175–9.
Froissart on Ball's following in London: vol. X, p. 97; and cf. Knighton, Continuation, vol. II, p. 132. On the part played in the revolt by Londoners in general: Hugenholtz, p. 111; Wilkinson, esp. pp. 12–20; and by the London poor in particular: Lindsay and Groves, pp. 112–14, 135; Oman, pp. 17, 68; and cf. Workman, vol. II, pp. 234–5.
For the burning of the Savoy: Monk of Westminster, p. 2; Walsingham, vol. I, p. 457.
For the Smithfield demands: *Anonimalle Chronicle*, p. 147.
For Jack Straw's confession: Walsingham, pp. 9–10. The authenticity of the confession has often been called in question.

The Taborite apocalypse

205 Huss and the Hussite movement have long been favourite subjects for Czech and also for Austrian and German historians. For a full bibliography up to the mid-1950s: Heymann; and for a shorter list of the principal works to that date: Betts, Notes to pp. 490–91. The standard general history in English is now that by Heymann; while useful summaries will be found in Leff, vol. II, and, amongst older works, Lützow, and Krofta (1), (2) and (3). The Communist regime in Czechoslovakia has fostered studies in this field from a Marxist point of view; relevant works are: Graus, Maček. Important recent studies from a sociological (but not Marxist) point of view are Seibt (1) and (2). Concerning the Taborite wing of the movement, scholarship has taken a considerable step forward

with Kaminsky (1), (2) and (3), published between 1956 and 1962; these papers make admirable use of recent Czech research without falling into Marxist oversimplifications. In German, Bezold (1) and Palacký, especially parts 1, 2 of vol. III, though inevitably dated, are still valuable. Kautsky's well-known account, which used to be the standard Marxist version, is quite unreliable.

205–6 On the teachings of Hus, his forerunners and associates: De Vooght; Leff, vol. II, pp. 610–85; and Molnár (1) and (2).

207 On the deposition of John XXIII: Leff, vol. II, p. 650.

208 On the role ascribed to the guilds: Andrew of Bömischbrod, p. 339; *Litera de Civitate Pragensi*, pp. 312–13. Cf. Bezold (1), p. 36.
On social stratification in the towns: Heymann, pp. 46–8; Maček, pp. 28–9.
On the urban poor: Graus, pp. 33–70.
On over-population: ibid., pp. 112–18.

209 On the inflation: ibid., p. 84, and Appendix I, pp. 174–95.
On the condition of the peasantry: Bezold (1), pp. 55 sq.; but cf. Heymann, pp. 42–4, who holds that for a large part of the peasantry conditions were still good.
On the rural proletariat: Maček, pp. 32, 68 sq.

210 On the founding of Tabor: Kaminsky (1).
On millenial expectations in Bohemia in the fourteenth century: Burdach (2), pp. 116, 133.

211 The *Pikarti*: There has been much controversy concerning the identity and opinions of these immigrants. The conclusions of Bartoš are still convincing; see Bartoš (3). But see also Holinka, pp. 168 sq; Kaminsky (2), pp. 69–70, Notes 77–81; and Kaminsky (3), pp. 174, Notes 23 and 24.

212 For the apocalyptic prophecy: *Tractatus contra errores* (*Picardorum*), articles 33–7. (This and all subsequent references to the articles follow the numbering in Döllinger's edition.) See also below, Notes to pp. 213–14.
The most comprehensive source for apocalyptic and millenarian beliefs of the Taborites is a list of articles of faith compiled in 1420 from the Taborite literature and statements. The list exists in various Czech and Latin versions; for a discussion of their relationship, and of the authenticity of the list, see Kaminsky (2), pp. 67–8, Note 54. A Czech version is given in Maček (1), pp. 57–66. There is no doubt that the list, which contains both Waldensian and millenarian items, is a reliable guide. Many of the articles are paralleled in extant Taborite texts; and when the articles were submitted to the Taborite preachers on the occasion known as 'the disputation at Zmrzlik's house' in Prague, on 10 December 1420, they were accepted by them as substantially correct.
'There are five ...': quoted in Kaminsky (2) p. 48.
'Faithful ones ...': quoted in Kaminsky (2), p. 47.
No pity towards sinners: *Tractatus*, article 29.
'Accursed be the man ...': ibid., article 31.
'every priest ...': ibid., article 32.

213 For Chelčický's comments: Kaminsky, (2), p. 51.
'The just ...': quoted in Kaminsky (2), p. 68, Note 57.
The neutral as the Satanic hosts: *Tractatus*, article 39.
The imitation of Christ in the hour of vengeance: ibid., article 30.
'the consummation of time ...': ibid., article 25.
Christ descends 'in glory and great power': Taborite letter, quoted in

Kaminsky (3), p. 178.
'shine like the sun . . .': ibid.

214 On the millennial realm: *Tractatus*, articles 42, 43, 44, 50, 51, 53; and cf. Lawrence of Březová, pp. 400–401; *Staří letopisové čeští*, p. 478.

Anarcho-communism in Bohemia

214 Cosmas of Prague, pp. 8–9 (lib. I, cap. iii).
Czech Rhymed Chronicle: *Rýmovaná kronika česká*, p. 8.

215 *Majestas Carolini*, para. 2, p. 68.
Taxes shall cease: *Tractatus*, article 46; cf. Lawrence of Březová, p. 400.
'All shall live . . .': *Staří letopisové*, p. 478.
'The Lord shall reign . . .': *Tractatus*, article 47.
'All lords, nobles . . .': Jan Příbam, quoted in Palacký, vol. III, part 2, p. 190.
Towns to be destroyed; Prague as Babylon: Lawrence of Březová, pp. 349, 399–400; *Tractatus*, articles 33, 34, 35. Cf. Bezold (1), p. 50.

215–16 Revelation xviii, 7–11.

216 'the army sent . . .': *Tractatus*, article 38.
'kings shall serve . . .': Lawrence of Březová, p. 406.
'the Sons of God shall tread . . .': ibid., p. 400.
For the transactions of the Taborite assembly of 1434: Charlier (OS), pp. 529 sq.
On the founding of the Taborite communities: Maček, pp. 76–8; Palacký, vol. III, part I, pp. 394, 417; part 2, p. 60.

217 'As Mine and Thine . . .': *Articuli et errores Taboritarum*, p. 220. Cf. *Invectiva contra Hussitas*, p. 627; Pulkava of Radenin, Continuation, vol. IV, p. 136; and the quotation from Windecke given in Bezold (1), p. 44, Note 1.
Property to be taken from the enemies of God: Lawrence of Březová, p. 400; *Tractatus*, article 40.
'many communities never think . . .': *Sollicitudo sacerdotum Thaboriensium*, pp. 486–7. Cf. Andrew of Böhmischbrod, p. 334; Lawrence of Březová, pp. 391, 395; *Tractatus*, articles 39, 40, 41.

218 On the fate of the peasantry: Bezold (1), pp. 59–63; Kaminsky (2), p. 62 and p. 70, Note 88.
'Almost all the communities . . .': *Sollicitudo sacerdotum Thaboriensium*, p. 484. Cf. *Invectiva contra Hussitas*, pp. 628–9.

219 On Húska's eucharistic doctrine: Kaminsky (3), pp. 174–8.
On the *Pikarti*: Bartoš (1) and (2); Palacký, vol. III, part 2, pp. 228–9; and for the political and military grounds for their persecution: Chalupný. The most reliable source for the Bohemian Adamites is in Lawrence of Březová, pp. 500–501 (in Czech, with German translation at pp. 501–505); this includes the confession forwarded to the University of Prague. Other sources are: Aeneas Silvius, cap. xli, *De Adamiticis haereticis* (p. 109); and addenda to *Staří letopisové*, pp. 476–9 (in Czech). For modern accounts in English: Heymann, pp. 261–3; in Czech: Bartoš (1), pp. 101–2, 103; in German: Büttner and Werner, which replaces earlier German accounts such as Dobrowský, pp. 318 sq. and Svátek, pp. 100 sq. The attempt of the eighteenth-century historian Beausobre to discredit the whole story of the Adamites is of historical interest only; he did not know the confession in Lawrence of Březová. Modern scholars as dissimilar as

Kaminsky and Werner are at one in accepting the contemporary accounts as substantially accurate.

220 The ruler Adam: cf. Burdach (3), pp. 158–61 on Adam as king of the world in its state of primal innocence.
Christ's remark about harlots and publicans: Matthew xxi, 31.

221 'And at midnight...': Matthew xxv, 6.
'The Bohemians now became...': *Klingenberger Chronik*, p. 198.

222 On Taborite propaganda abroad: Palacký, vol. III, part 2, pp. 498–9.
On expressions of anxiety in Germany: Haupt (6), pp. 274–8.

12 The Egalitarian Millennium (ii)

The Drummer of Niklashausen

223 On the Wirsberg brothers and their doctrine: *Annales Mellicenses, Continuatio Mellicensis*, p. 521; Glassberger, pp. 422–6 (which includes letters from the Papal Legate at Breslau with a list of heretical articles); Jobst of Einsiedeln; Ritter (2) (OS) (also a list of heretical articles). The present account is based on these sources, supplemented by Schiff (2), which in addition draws upon an unpublished manuscript at Munich and some material first published in 1882 by H. Gradl. For briefer accounts: Haupt (13); Preuss, pp. 46–7.

224 On the mercenaries: Schiff, p. 785.
'to rise in seditious rebellion...': Dorsten (OS), pp. 277–8 (article 10 *ad fin.*); and cf. Kestenberg-Gladstein, Note 190, p. 294.
'who used to be in Bohemia...': Jobst of Einsiedeln, p. 281.
On Erfurt and the professor (Dorsten): Kestenberg-Gladstein, pp. 257 sq.

225 On popular eschatology in Germany in the fifteenth century: Peuckert, esp. pp. 152 sq.; and more briefly: Rohr.
Bans on flagellants at Eichstätt: Haupt (2), p. 493.
Ban on Beghards at Würzburg: Lea (MW), pp. 412–13.

226 The remark about the team of horses is quoted in Franz, p. 81.
The present account of Hans Böhm and the happenings at Niklashausen is based in the main on four sources. The accounts of the chroniclers Fries, pp. 852–4; Stolle, pp. 380–83; Trithemius (1), vol. II, pp. 486–91; and the report submitted to the Bishop of Würzburg by an agent who had listened to Böhm's preaching (*Handell Hannssen Behem*: Barack (OS), Document 3). These sources are not mentioned again below except to identify a quotation or for some other special reason. Original sources which bring additional information are mostly to be found in Barack (OS), and are here indicated by the numeral which they bear in that collection. The one source in Reuss (OS) which is not to be found in Barack is a contemporary vernacular poem on the episode; it adds nothing of importance. For modern accounts: Barack (MW); Franz, pp. 78–92; Gothein, pp. 10–25; Peuckert, pp. 263–96; Schäffler; Thoma.

228 'What would the layman...': Trithemius, p. 488.
The Archbishop of Mainz: Document 7.
'Princes, ecclesiastical and secular...': Document 3.
'The Emperor is a scoundrel...': ibid.
The urban poor attracted: cf. Peuckert, pp. 268, 283.
On the 'original rights' claimed by the peasants: ibid., pp. 254–9.

229 'To God in Heaven...': Widman (OS), pp. 216 sq.

230 For Böhm as miracle-worker: Document 4.

The estimates of the numbers of pilgrims are taken from Trithemius, Fries and Stolle, respectively.
The Town Council of Nuremberg: Document 6; and cf. Documents 9, 10.
The diet decides on Böhm's arrest: ibid., Document 8.
For Böhm's call to arms: ibid., Document 19. This document, a letter from the Bishop of Würzburg to the Duke of Saxony, was written six weeks after the supposed event; and Franz, Gothein and Thoma are at one in distrusting it.

231 On the dispersal of the pilgrims: Document 11; Stolle.
For the misgivings at Würzburg: Document 15; Trithemius, p. 490.
The Bishop asks for support: Document 12.

232 Bans on further pilgrimages: Documents 14, 16, 17, 18.
Pilgrims continue to arrive: Documents 20, 21, 22, 23.
The church under an interdict: Document 25.
The church demolished: Document 27.
On the part played by the local lords: Barack, p. 42; Peuckert, p. 284.
Land forfeited: Document 26.
Böhm regarded as half-witted: Stolle, p. 380; as unable to form a sentence: Trithemius, p. 486; as ignorant of the Lord's Prayer: Document 15.
On the part played by the parish priest: Document 4.
On the hermit: Documents 4, 10.
The vision a trick: Document 4; Fries, p. 853.
The hermit prompts Böhm: Trimethius, p. 486.

233 The hermit a Beghard: Document 4; a native of Bohemia: Document 10; and cf. Barack (MW), pp. 37 sq.
Böhm found naked: Stolle, p. 381.

234 On the *Bundschuh* at Speyer, 1502. Franz, pp. 108–9
On the later *Bundschuh* risings: ibid., pp. 124–30; Haupt (8), p. 200, Note 3; Peuckert, p. 625; and cf. document in Schreiber, p. 93.
Jerusalem captured under the sign of the *Bundschuh*: Franz, p. 93.

Thomas Müntzer

234 Works on Thomas Müntzer are numerous. A good number of writers, following in the footsteps of Engels (*Der deutsche Bauernkrieg* (1850)) and of Kautsky, pp. 104 sq., have regarded Müntzer (whether approvingly or not) as primarily a social revolutionary. Some of the resulting works are mere *vies romancées*; among those which have some claim to scholarship one may instance Franz, pp. 408–46; Merx; Walter (L.-G.); and two recent studies from a Communist standpoint: Meusel, a popular work but with a useful appendix of documents edited by H. Kamnitzer; and Smirin, a massive treatise. In general the most original and serious contributions have been made by scholars who have seen in Müntzer primarily a theologian and mystic: in German, Boehmer, Holl, Lohmann; in English, Carew Hunt, Williams. Particularly relevant to the interpretation advanced in the present study are the recent researches of Hinrichs and some of the observations of Heyer. As for original sources, the volume edited by Brandt (see Brandt; and Müntzer (both OS)) includes, in modernized spelling, all Müntzer's pamphlets and a useful selection of extracts from other contemporary sources. Unless otherwise stated, the indications given below refer to this comprehensive and convenient edition; while *Briefwechsel* refers to the edition of Müntzer's correspond-

ence by Boehmer and Kirn (see Müntzer (OS)). A critical edition of the last three of Müntzer's pamphlets, in the original spelling, will be found in *Thomas Müntzers politische Schriften*, ed. Hinrichs. Concerning a further pamphlet, commonly attributed to Müntzer's disciple Hans Hut but which may be by Müntzer himself, see Rupp.
On Müntzer's early years see Boehmer (1) and (2), where various time-honoured legends were first demolished.

235 On Storch: Bachmann.

236 Müntzer's blood-thirstiness was noted by the Reformer Johannes Agricola early in 1521; see *Briefwechsel*, p. 21.
For Müntzer's ascetic and mystical doctrine see in particular Müntzer (1) and (2); and cf. Holl, Lohmann.
Müntzer on 'becoming God': Förstemann (C.E.) (OS), p. 241.

237 Natusius, pp. 147 sq., remarks that Müntzer may have owed something to the tradition represented by the flagellants in Thuringia.
On the social conflicts at Zwickau see the introduction to Brandt, p. 5.
On the rising at Zwickau: Bachmann, p. 13.
The Prague manifesto: Four versions, in German, Czech and Latin, are given in *Briefwechsel*, pp. 139–59.
'Harvest-time is here...': ibid., p. 150 (second German version).

238 'Let my sufferings ...': *Briefwechsel*, p. 40.
The sermon: Müntzer (3). The traditional belief that it was preached before the Elector and Duke John is incorrect; it was preached before Duke John and his son. Cf. Hinrichs (MW), p. 5, Note 1.
The Devil's empire: Müntzer (3), p. 158.

239 'Drive Christ's enemies ...': ibid., p. 160.
'The sword is necessary ...': ibid., pp. 161–2.
Müntzer sees himself as the new Daniel: Hinrichs, pp. 59–64; Lohmann, pp. 62–3; and cf. Heyer, p. 94.
Müntzer's letter to his followers at Sangerhausen: *Briefwechsel*, pp. 61–3.

240 'If knaves and rogues ...': *Briefwechsel*, p. 76.
Storch on community of goods: Brandt (2); and on the reliability of this account see Brandt's note, pp. 224–5.
On Hugwald: Schiff (1), pp. 82–5.
Karlstadt becomes a peasant: Peuckert, p. 250.
'that they should be brothers ...': Confession of Klaus Rautenzweig, in Opel (OS), p. 211; and cf. Hinrichs, p. 22.
On Müntzer's 'communistic' idea of the Law of God: Hinrichs, pp. 174 sq.
Histori Thomā Müntzers: Brandt (1); and see Brand't note, p. 223. The account of Müntzer's teaching is at pp. 41–2.

241 Müntzer's confession: Brandt (5).
For the events immediately following Müntzer's sermon before Duke John: Hinrichs, pp. 65 sq.
Luther's letter: Luther (1).
The explicit unmasking ...: Müntzer (4).
'for they have spent ...': Müntzer (4), p. 178.
'The powerful, self-willed unbelievers ...': ibid., pp. 170–71.

242 'certain (lords) are only now ...': ibid., p. 171.
'Then must what is great ...': ibid., p. 177.
The poor not yet fit: ibid., p. 178.
'If the holy church ...': ibid., p. 178.

The most amply called-for defence . . .: Müntzer (5).
Müntzer's and Luther's eschatology contrasted: cf. Hinrichs, pp. 147 sq.
243 On Müntzer's view of Luther as an eschatological figure: ibid., pp. 170 sq.
Epistle of Jude, 14–19. The allusion is all the more obvious because where (in verse 19) the English has 'sensual', the German has '*fleischlich*'.
'the will of God . . .': Müntzer (5), p. 191.
243–4 'The wretched flatterer . . .': ibid., p. 192.
244 'Woe unto them . . .': Isaiah v, 8.
'They publish . . .': Müntzer (5), p. 192.
'You wily fox . . .': ibid., p. 201.
For the Elector's remark on the common man: Hinrichs, p. 8.
On the crucifix and the sword, and their meaning: Boehmer (1), p. 17.
On social conflicts at Mühlhausen: Franz, pp. 408 sq.
245 On Müntzer's wanderings in southern Germany: Schiff (1); Carew Hunt, vol. CXXVII, pp. 239–45.
For a fair sample of divergent views on the causes of the German Peasants' War see Franz, Peuckert, Smirin, Waas. The interpretation tentatively advanced here would not be accepted by Marxist historians; but even Professor Smirin (p. 271) grants the essential point, which is that Müntzer's ultimate aim would have been quite incomprehensible to the great mass of the peasantry.
246 For the peculiarities of the war in Thuringia: Franz, pp. 434 sq.
On the situation of the copper-miners: Andreas, pp. 309–10.
Müntzer's part in the Peasants' War: As examples of disagreement one may instance the accounts in Bemmann, Boehmer (2) and Jordan, which come near to denying Müntzer all influence; in Franz, where Müntzer is shown as the sole author of the war in Thuringia; and in the works of Marxists such as Smirin, where Müntzer is presented as the ideologist of a radical tendency which, though shared only by a minority, manifested itself with great vigour and far beyond the confines of Thuringia.
247 For the banner: Kamnitzer (OS), p. 308; and cf. Boehmer (1), p. 17.
For the 2,000 'strangers': report of Berlepsch, mayor of Langensalza, quoted in Carew Hunt, vol. CCXXVII, p. 248, Note 184.
247–8 'I tell you . . .': Brandt (3); and in the original spelling: *Briefwechsel*, pp. 109–11.
248 For the symbolic meaning of Nimrod see the passage from Sebastian Franck quoted in Chapter 13 of the present study, p. 258.
On Storch's new activities: Meyer (Christian) (2), pp. 120–22.
Against the thievish, murderous gangs . . .: Luther (2).
249 On the battle at Frankenhausen, its prologue and epilogue: Baerwald, Jordan, and more briefly, Carew Hunt, vol. CXXVII, pp. 253–63.
Gideon: Judges vii, 6 sq.
Müntzer orders the peasants to join: cf. Baerwald, p. 37.
'Say, you wretched . . .': Brandt (4), p. 78.
250 The *Histori*: Brandt (1), pp. 45, 48.
On the surrender and fate of Mühlhausen: Carew Hunt, vol. CXXVII, p. 262.
For Müntzer's execution: Brandt (1), p. 50.
For Storch's death: Meyer (Christian) (2), p. 122.

13 The Egalitarian Millennium (iii)

Anabaptism and social unrest

252 The connection between Anabaptism and the medieval sects is emphasized by e.g. Erkbam; and by Knox, pp. 122 sq.
Since the first edition of this book the study of Anabaptism has advanced greatly; though very little has had to be changed in this account of the revolutionary wing of the movement, and of the Münster Anabaptists. The comprehensive and exhaustive study by Williams (1962) replaces Smithson's history as the standard work (the much earlier accounts of Bax, Heath and Newman are of purely historiographical interest). The great *Mennonite Encyclopedia* in four volumes (completed in 1959) is a splendid work of reference; while Hillerbrand (1962) is an indispensable bibliographical guide. On the aspects of Anabaptism most relevant to the present study Heyer, and the introduction to Detmer and Krumbholtz, retain their relevance.

253 On the economic doctrines of the Anabaptists: Klassen.

254 On Hans Hut: Meyer (Christian) (1); Zschäbitz, pp. 30–64; and Stayer (1). On Hut and Müntzer: Rupp.

255 'Christ will give ...', 'The government does not ...': quoted in Stayer (1), pp. 184–5.
On Anabaptist activity at Esslingen and Nuremberg: Keller, p. 46.
On the contrast between the southern and northern forms of Anabaptism: Stupperich, p. 13.
For brief accounts of the constitutional history of the ecclesiastical states and particularly of Münster: Keller, pp. 56–76; Köhler, pp. 539 sq.

257 Münster from 1531 onwards: The principal original sources for the history of the New Jerusalem at Münster are Kerssenbroch (in Latin) and Gresbeck (in Low German). As a boy of fifteen Kerssenbroch witnessed the beginnings of the revolution. He also became a distinguished scholar; and when in the 1570s he came to write his history he made use of a great number of documents from the time of the revolution, many of which are no longer extant. Although a strong partisan of the Catholic cause, Kerssenbroch was on the whole conscientious in his handling of his materials. Gresbeck, a joiner by trade, was in Münster throughout the siege and writes as an eyewitness who lived amongst the common people. He too was a Catholic and hostile to Anabaptism; but when he writes of what he himself heard or saw he is convincing. Other valuable sources are the reports and confessions collected in Cornelius and in Niesert (both OS); Anabaptist pamphlets, particularly those by Rothmann; and some of the pamphlets written by outside observers. As for Dorp's contemporary *Historia*, everything valuable that it contains was taken over by Kerssenbroch. For detailed criticism of sources see Cornelius's edition of Gresbeck and Detmer's edition of Kerssenbroch (Detmer (1) (MW)); and for bibliography: Bahlmann. Extracts from the original sources, translated into modern German and arranged in a coherent sequence, are given in Löffler (OS). For modern accounts: Apart from general studies of Anabaptism such as those listed above, there exist a number of works devoted solely to Münster. For shorter and more recent accounts: Horsch (in English); Blanke (in German). For a brief survey of recent research and of remaining problems: Stupperich. Older accounts in English include Janssen (Johannes) (translated from German); Pearson.

For studies with special reference to the communistic regime: Ritschl; Schubert. Despite all the attention which the New Jerusalem at Munster has received, its significance has generally been underestimated. This is because it has been viewed in isolation or as a mere excrescence from Anabaptism, instead of as a particularly vigorous expression of the age-old tradition of revolutionary millenarianism.

On the period of Rothmann's ascendancy: Keller, pp. 74–133; and on Rothmann: Detmer (2), vol. II.

258 On Knipperdollinck: Cornelius (4).

On Hoffman: Kawerau.

'Shortly after that . . .': Franck, p. 6A. Cf. Schubert, esp. p. 48.

259 Rothmann preaches community of goods: Rothmann (1), pp. 70–71; Kerssenbroch, pp. 419–20. Cf. Detmer (2), vol. II, pp. 154 sq.; Schubert, pp. 3 sq. About the same time the Spiritual Libertines were also invoking Acts iv to justify community of goods: see Calvin (4), col. 216.

'And so they came . . .': Gresbeck, p. 6.

'fugitives, exiles, criminals. . .': Bishop of Münster to the Imperial Diet, quoted in Keller, p. 195, Note 1.

'people who had run . . .': Kerssenbroch, p. 334.

260 On Matthys, in addition to the historical works listed above: Cornelius (5) (MW).

261 Enoch and Elijah: Kerssenbroch, p. 477.

For special studies of Bockelson: Detmer (2), vol. I; and more briefly: Cornelius (3) (MW). Cf. Keller, pp. 207–8.

Münster as the New Jerusalem

For the performance on 8 February: Kerssenbroch, p. 484.

On the women Anabaptists: ibid., pp. 472, 481–2, 499–500.

On the armed rising and its outcome: ibid., p. 505.

262 For the manifestos: Niesert (3) (OS), pp. 157–9; and the leaflet reprinted in Harting (MW), p. 78.

On the mass immigration: Kerssenbroch, p. 509.

On the iconoclasm: ibid., p. 521.

Only the Father invoked: ibid., p. 500.

All non-Anabaptists to be expelled: ibid., pp. 532–3.

263 The refugees reduced to beggary: ibid., pp. 534 sq.; Gresbeck, pp. 19 sq.; and the Bishop of Münster to the regional diet, quoted in Keller, pp. 198–9.

On the new community of love: Cornelius (8) (OS), p. 456.

The Anabaptists claim to act in self-defence: ibid., p. 445.

264 For the organization of the defence: Kerssenbroch, pp. 553 sq.

Matthys inaugurates social revolution: ibid., pp. 557 sq.

On the protest and execution of the blacksmith: ibid., pp. 559 sq.

The terror is intensified: ibid., pp. 561–4.

Private ownership of money abolished: ibid., p. 561; Gresbeck, p. 32; Ramert (attrib.), p. 246. For the attribution to Ramert of *Die Ordnung der Wiedertäufer* see Ritschl (MW), p. 5.

265 On the requisitioning of food: Gresbeck, p. 34; of accommodation: ibid., p. 47; Kerssenbroch, pp. 541, 557.

On the nature and extent of 'communism' at Münster: Ritschl.

Rothmann says Mine and Thine will disappear: Gresbeck, p. 31.

'all things were to be . . .': Cornelius (6) (OS), p. 373.

266 'Amongst us God . . .': Rothmann (2), pp. 70–71.

'The poorest amongst us . . .': quoted in Detmer (2), vol. II, p. 132.
'We in these parts . . .': Cornelius (2) (OS).

267 On the intensified repression of Anabaptism: Kerssenbroch, pp. 533-4, 566.
The unlearned will redeem the world: e.g. Rothmann (2), p. 14.
Books destroyed: Kerssenbroch, pp. 523, 564.
On the end of Matthys: ibid., pp. 568–70.

268 Bockelson gulled by the deserter: ibid., pp. 762 sq.
For Bockelson's declaration of faith: Cornelius (7) (OS), p. 402.
For the numbers of inhabitants and of able-bodied men: Gresbeck, p. 207. These estimates are confirmed, more or less, by other sources.
For the appointment of the Elders: Kerssenbroch, p. 576.
The new legal code is given in full in Kerssenbroch, pp. 577 sq.
On the direction of labour: Blanke, p. 22; Detmer (2), vol. II, pp. 137–8.

269 For Knipperdollinck's appointment: Kerssenbroch, p. 573, 583.
For the regulations governing sexual relations: ibid., p. 580; and cf. Cornelius (8) (OS), pp. 457 sq.
On Bockelson's arguments for polygamy: Gresbeck, p. 59; Kerssenbroch, p. 619. It is however merely Kerssenbroch's bias that makes him say that Rothmann and other preachers were as eager as Bockelson to introduce polygamy. Dorp's *Historia* and various confessions of captured Anabaptists agree that Bockelson had much difficulty in persuading the preachers.
On the revolt and the executions: Cornelius (6) (OS), pp. 372–3; Kerssenbroch, pp. 621 sq.

270 On the institution of polygamy at Münster: Gresbeck, pp. 59, 79; Kerssenbroch, pp. 625 sq. Cf. Detmer (2) (MW), vol. III.
On the defecting mercenaries: Kerssenbroch, p. 616, and Note 2 thereto; and for examples of the leaflets: ibid., pp. 586–8, 613–16.

271 For particulars concerning the defence: Gresbeck, pp. 36–8, 51, 80–81; Kerssenbroch, pp. 582 sq., 592, 594, 671–2.

The messianic reign of John of Leyden

271 The present account of Dusentschur's action is based on Kerssenbroch, pp. 633 sq. Bockelson, in his two confessions of July 1535, and January 1536 (Cornelius (6) and (7) (OS)), denied that there was any secret understanding between Dusentschur and himself. But he certainly began to exercise his kingly prerogatives with complete self-confidence and great ruthlessness.

272 Bockelson's speech is given in Kerssenbroch, pp. 336–8; and cf. Niesert (1) (OS), p. 34.
On the re-naming of the streets: Gresbeck, pp. 154 sq.; Kerssenbroch, p. 774.
On the naming of the children: Gresbeck, pp. 156–7.
For the inscriptions on the coins: Kerssenbroch, pp. 666–7.
For the emblem: ibid., p. 652.
On the organization of the court: Gresbeck, pp. 83 sq.; Kerssenbroch, 650 sq.

273 On Bockelson's ceremonial appearances: Fabricius, p. 99; Gresbeck, pp. 90 sq.; Kerssenbroch, pp. 662 sq.
On the confiscation of 'surplus' clothing: Gresbeck, p. 96; Kerssenbroch, p. 638; Ramert (attrib.), p. 242.

On the mistrust between the 'king' and his subjects: Detmer's Note 3 to pp. 771–2 of Kerssenbroch.
For Bockelson's self-justification and promises: Gresbeck, p. 88.

274 Rothmann's pamphlets: Rothmann (2) and (3). For a full analysis of their argument: Stayer (2). It was in answer to the *Restitution* that Urbanus Rhegius produced his two refutations, the one a popular pamphlet in the vernacular, the other a learned treatise in Latin; see Rhegius (1) and (2). On the relation between Rothmann's 'restitutionism' and other sixteenth-century versions of the idea: Williams, pp. 375–8, and the works listed there.
'The glory of all the Saints . . .': Rothmann (3), p. 69.
On the Kingdom of the Saints see Rothmann (2), cap. i, xiii, xiv, and (3) *passim*; and cf. Niesert (2).

275 On the performance in the cathedral-square: Gresbeck, pp. 103 sq. *Newe zeitung, von den Widerteuffern zu Münster*, p. 257.
On the executions in Münster: Kerssenbroch, pp. 824–5; Niesert (4), p. 502.

276 On the sending out of the 'apostles': Gresbeck, pp. 111–12; Kerssenbroch, pp. 703 sq.; and on their fate: ibid., pp. 709 sq.
On the attempt to raise mercenaries: report in Löffler (OS), pp. 194–5. The attempt was denied by Bockelson in both his confessions.
Mass risings planned: cf. Cornelius (2) (OS).
For the rising in Groningen and its fate: reports from the Bishop of Münster to the Imperial Diet and of the Imperial Stadtholder to the Bishop, both in Keller, pp. 326 sq.

277 On other risings: Kerssenbroch, pp. 792 sq.
'To kill all monks and priests . . .': quoted in Ritschl, p. 60.
The plans betrayed: Kerssenbroch, p. 724.
On the attitude of Anabaptists in the Netherlands: Cornelius (2); Mellink (1) and (2).
The famine begins: Gresbeck, pp. 140, 174–5.

278 Food reserved for the court: Cornelius (4) (OS), p. 343; Gresbeck, p. 141; Kerssenbroch, p. 804; and cf. Detmer's Note 1 to p. 805.
The extremes of famine: Gresbeck, p. 189; Kerssenbroch, p. 798.
For Bockelson's prophecies: Cornelius (6) (OS), p. 373; Kerssenbroch, pp. 793, 803; report in Löffler, p. 195.
On the public amusements: Gresbeck, pp. 131 sq., 150 sq., 168.
On the fate of the emigrants: Cornelius (3) and (4) (both OS); Gresbeck, p. 189; Kerssenbroch, pp. 805 sq.

279 On the last stages of the terror: Cornelius (3) and (4) (both OS); Kerssenbroch, pp. 772 sq., 784, 820.
On the fall of Münster: Cornelius (5) (OS); Gresbeck, pp. 194–5, 200–201, 205 sq.; Kerssenbroch, pp. 833 sq.

280 On the execution of Bockelson: Corvinus (OS), p. C ii.
On Willemsen: Bouterwek, pp. 34–5.

Appendix

The Free Spirit in Cromwell's England: the Ranters and their literature

287 Brief accounts of the Ranters have been given by e.g. R. M. Jones (MW), pp. 467–81; and by C. E. Whiting, *Studies in English Puritanism from*

the Restoration to the Revolution, 1660–88, London, 1931, pp. 272–7.
Bibliographical particulars of the seventeenth-century works mentioned below and in the Appendix itself will be found in e.g. D. Wing, *Short-title catalogue of books printed in England ... 1641–1700*, 3 vols., New York, 1945–51.
On Winstanley's millenarianism see e.g. W. Schenk, *The concern for social justice in the Puritan revolution*, London, 1948, pp. 96–111.

288 'it is no new work ...': John Taylor, *Ranters of both Sexes ... taken and imprisoned ...*, 1651, p. 4.
'high attainers': Richard Baxter, *Plain Scripture Proof of Infants Church Membership*, third edition, 1653, p. 148.
'high professors': George Fox, *Journal*, vol. I, London, 1902, p. 198.
Officers and soldiers whipped: *The Arraignment and Tryall with a Declaration of the Ranters*, 1650, p. 6.

289 Quakers were almost identified with Ranters not only by the bellicose Ephraim Pagitt (*Heresiography*, fifth edition, 1654, p. 143), but even by, for instance, the tolerant Baxter (*Reliquiae Baxterianae*, 1696, p. 77).
'When I came into the jail ...': Fox, *Journal*, vol. I, pp. 47–8.
'were very rude ...': ibid., vol. I, p. 199.
For the meeting at Reading: ibid., vol. I, p. 231.
For the Ranters at Charing Cross: ibid., vol. I, p. 212.
'ran quite out ...': ibid., vol. II, p. 7.
'if God had not raised up ...': ibid., vol. I, p. 95.

294 Parliament gives signs of concern in 1648: *Journals of the House of Lords*, vol. X, p. 240.

295 Parliament appoints a committee, 14th June, 1650: *Journals of the House of Commons*, vol. VI, p. 423.
The committee reports back, 21st June: ibid., p. 427.
The Bill debated: ibid., pp. 430, 437, 440, 443–4, 453–4.
The committee revived: ibid., p. 493.

303 The passages quoted from *The Light and Dark sides of God* are to be found at pp. 1–4, 6, 9–11, 14, 18, 33, 35, 36, 38–9, 46–7, 49–50, 53.

306 The passages quoted from *Heights and Depths* are to be found in the Preface and at pp. 2, 6, 9, 10, 17, 23–6, 28, 30, 52.

309 Clarkson's career is described by himself in *The Lost sheep found*; for the earlier part of it see also Thomas Edwards, *Gangraena*, 1646 (second edition, enlarged), pp. 104–5. In *The Routing of the Ranters*, 1650, p. 2, Clarkson is mentioned along with Coppe as being a 'chief Ringleader of this viperous generation'. For a modern account see the article by C. W. Sutton on Claxton or Clarkson in the *Dictionary of National Biography*.
'There was few of the clergy ...': *The Lost sheep found*, p. 23.
The committee reports on *A Single Eye*: *Journals of the House of Commons*, vol. VI, p. 427; is ordered to report in more detail: ibid., p. 444; makes its final report, with the result that Clarkson is sentenced: ibid., pp. 474–5.
The passages quoted from *The Lost sheep found* are at pp. 24–8.
For Clarkson's arrest and examination: ibid., pp. 29–31.

316 The account of Coppe's guilt-obsessed adolescence is taken from *Copp's Return to the wayes of Truth*, First Error. On Coppe's later career see Baxter, *Plain Scripture Proof*, pp. 147–8; Anthony à Wood, *Athenae Oxonienses*, second edition, vol. II, London, 1721, pp 500–502. For a modern account see the article by Alexander Gordon on Coppe in the *Dictionary of National Biography*.

God 'is in Heaven, Earth . . .': *Copp's Return*, Fourth Error.
317 Coppe at Charing Cross: Fox, *Journal*, vol. I, p. 212.
For Coppe's swearing in church and tavern: *The Ranters Ranting*, 1650, pp. 5–6.
Parliament orders the *Rolls* to be seized: *Journals of the House of Commons*, vol. VI, p. 354.
On Coppe's behaviour during interrogation: *The Routing of the Ranters*, p. 2.

Bibliography

Abbreviations

Fuller descriptions of the works of reference and collections of sources listed below will be found in the body of the Bibliography.

ABAW	*Abhandlungen der königlich bayerischen Akademie der Wissenschaften (Historische Classe)*. Munich
ADB	*Allgemeine Deutsche Biographie*
BHPF	*Bulletin de la société de l'histoire du protestantisme français*. Paris
CCF	*Corpus chronicorum Flandriae*
CDS	*Chroniken der deutschen Städte*
CEH	*Cambridge Economic History*
CMH	*Cambridge Medieval History*
ERE	*Encyclopaedia of Religion and Ethics*
FRA	*Fontes rerum Austriacarum*
FRG	*Fontes rerum Germanicarum*
GBM	*Geschichtsquellen des Bistums Münster*
MGHS	*Monumenta Germaniae Historica, Scriptores*
PG	*Patrologiae cursus completus, series Graeca*
PL	*Patrologiae cursus completus, series Latina*
RHC	*Recueil des Historiens des Croisades. (Historiens Occidentaux)*
RHF	*Recueil des Historiens des Gaules et de la France*
RPT	*Realencyclopädie für protestantische Theologie und Kirche*
RS	*Rolls Series*
SGUS	*Scriptores rerum Germanicarum in usum scholarum*. (See under *Monumenta Germaniae Historica* in Bibliography)
SPAW	*Sitzungsberichte der königlichen preussischen Akademie der Wissenschaften*. Berlin
ZKG	*Zeitschrift für Kirchengeschichte*. Gotha

1 Original Sources and Collections of Sources

ADSO OF MONTIER-EN-DER. *Epistola ad Gerbergam reginam de ortu et tempore Antichristi*, in Sackur, pp. 104–13 (also in PL, vol. CI).

AENEAS SILVIUS (Enea Silvio de' Piccolomini; Pope Pius II). *De ortu et historia Bohemorum*, in *Omnia opera*, Basle, 1551.

AIMO OF SAINT-PIERRE-SUR-DIVES. *Epistola ad fratres Totesberiae*, in PL, vol. CLXXXI, cols. 1707–8.

ALBERIC OF TROIS-FONTAINES. *Chronicon*, in RHF, vol. XVIII.

ALBERT OF AIX. *Liber Christianae expeditionis pro ereptione, emundatione et restitutione Sanctae Hierosolymitanae Ecclesiae*, in RHC, vol. IV.

ALBERT OF STADE. *Annales Stadenses*, in MGHS, vol. XVI.
ALBERTUS MAGNUS. *Compilatio de novo spiritu*, in Preger (1) (MW), vol. I, pp. 461–9. For emendations: Haupt (3).
Aliscans, ed. Wienbech *et al.*, Halle, 1903.
ALVARUS OF CORDOVA. *Indiculus luminosus*, in PL, vol. CXXI.
AMBROSE, ST (1). *In Psalmum CXVIII expositio*, in PL, vol. XV.
AMBROSE, ST (2). *De officiis ministrorum*, in PL, vol. XVI.
'AMBROSIASTER'. *Commentaria in Epistolam ad Colossenses*, in PL, vol XVI.
ANDREW OF BÖHMISCHBROD (Andreas de Broda). *Tractatus de origine Hussitarum*, in Höfler, vol. VI of FRA, pp. 327–53.
ANDREW OF REGENSBURG (Andreas Ratisbonensis). *Chronicon*, in Eckhart, vol. I.
Annales Agrippenses, in MGHS, vol. XVI.
Annales Altahenses maiores, in MGHS, vol. XX.
Annales Austriacorum, continuations of, in MGHS, vol. IX:
Continuatio Praedicatorum Vindobonensium
Continuatio Claustroneoburgensis V
Continuatio Florianensis
Annales Basileenses, in MGHS, vol. XVII.
Annales Blandinienses, in MGHS, vol. V.
Annales breves Solmenses, in FRG, vol. IV.
Annales Cameracenses, in MGHS, vol. XVI.
Annales capituli Cracoviensis, in MGHS, vol. XIX.
Annales Casineses, in MGHS, vol. XIX.
Annales Colbazenses, in MGHS, vol. XIX.
Annales Colmarienses maiores, in MGHS, vol. XVII.
Annales Frankofurtani, in FRG, vol. IV.
Annales Gandenses, in MGHS, vol. XVI.
Annales Herbipolenses, in MGHS, vol. XVI.
Annales Lubicenses, in MGHS, vol. XVI.
Annales Mellicenses, continuations of, in MGHS, vol. IX:
Continuatio Mellicensis
Continuatio Zwetlensis III
Continuatio Sancrucensis II
Annales Monasterii de Burton, in RS 36 (*Annales Monastici*), vol. I, 1864.
Annales Monasterii de Oseneia, in RS 36 (*Annales Monastici*), vol. IV, 1869.
Annales Monasterii de Waverleia, in RS 36 (*Annales Monastici*), vol. II, 1865.
Annales Parchenses, in MGHS, vol. XVI.
Annales Rodenses, in MGHS, vol. XVI.
Annales S. Blasii Brunsvicenses, in MGHS, vol. XXIV.
Annales S. Jacobi Leodiensis minores, in MGHS, vol. XVI.
Annales S. Justinae Patavini, in MGHS, vol. XIX.
Annales Tielenses, in MGHS, vol. XXIV.
Annales Veterocellenses, in MGHS, vol. XVI.
ANNALISTA SAXO; in MGHS, vol. VI.
Anonimalle Chronicle, ed. Galbraith, Manchester, 1927.
Anonymi Gesta Francorum et aliorum Hierosolimitorum (ed. Bréhier as *Histoire anonyme de la première Croisade*, in: *Les classiques de l'histoire de France au Moyen Âge*, vol. IV), Paris, 1924.
ANONYMOUS OF MAINZ-DARMSTADT. *Memorial*, in Neubauer and Stern, vol. II.
Archiv český čili staré písemné památky české i moravské (The Bohemian

archives, or old Bohemian and Moravian chronicles), ed. Palacký. 6 vols., Prague, 1840–72.

ARNOLD, Dominican. *De correctione Ecclesiae Epistola*, ed. Winkelmann, Berlin, 1865.

Articuli et errores Taboritarum, in *Archiv český* (OS), vol. III, pp. 218–25.

AUGUSTINE, ST. *De Civitate Dei contra paganos*, ed. Welldon. 2 vols., London, 1924.

BALDWIN OF AVESNES (attrib.). *Chronique attribuée à Baudoin d' Avesnes*, in RHF, vol. XXI.

BALDWIN OF NINOVE. Chronicon, in MGHS, vol. XXV.

BALUZE, E. (1). *Vitae paparum Avinoniensium*, ed. Mollat. 4 vols., Paris, 1914–27.

BALUZE, E. (2). *Miscellanea*. 4 vols., Paris, 1678–83.

BARACK, K. A. (ed.). Documents concerning Hans Böhm, 'the Drummer of Niklashausen'. See Barack (MW), pp. 50–108.
Document 3 (pp. 53–4) is *Handell Hannssen Behem zu Niclaeshussenn.*

BARONIUS, C. and RAYNALDUS, O. *Annales ecclesiastici una cum critica historico-chronologica*, Lucca, 1738–59.

Baruch-Apocalypse (= II Baruch or *The Syriac Apocalypse of Baruch*), ed. and trans. Charles, in Charles, vol. II.

BASZKO OF POZNAN. *Chronicon Poloniae*, in *Silesiacarum rerum scriptores*, vol. II, Breslau, 1730.

BAUDRI OF DOL. *Hierosolymitanae Historiae libri quatuor*, in PL, vol. CLXVI.

BEAUMANOIR, PHILIPPE DE RÉMI, Sire de. *Les Coutumes du Beauvoisis*, ed Salmon, 2 vols., Paris, 1899.

BENEDICT OF MOUNT SORACTE. *Chronicon*, in PL, vol. CXXXIX.

BENEDICT, ST, OF NURSIA. *The Rule of Saint Benedict in Latin and English*, Ed. and trans Abbot Justin McCann, London, 1952.

BENESSIUS KRABICE OF WEITMÜHL. *Chronicon*, in *Fontes rerum Bohemicarum*, vol. IV.

BENZO OF ALBA. *Ad Heinricum IV Imperatorem libri VII*, in MGHS, vol. XI.

BERNARD, ST. *Omnia opera*, ed. Picard, Paris, 1609. Includes, *inter alia:*
(1) *In Cantica Canticorum*, Sermo LXV, cols. 759–62.
(2) *Epistola ad Gaufridum Carnotensem episcopum*, col. 1441.
(3) *Epistola ad episcopum, clerum et populum Spirensem*, cols. 1637–9.
(4) *Epistola ad Henricum Moguntinum archiepiscopum*, cols. 1639–40.

BERNOLD OF CONSTANCE. *Chronicon*, in MGHS, vol. V.

BIRLINGER, A. (ed.). *Ein wunder nützes disputieren von einem ersamen bihter und siner bihtohter*, in *Alemannia*, vol. III, Bonn, 1875, pp. 15–45.

BOENDAELE, JAN (Jan de Klerk). *Brabantsche Yeesten*, ed. Willems, 3 vols., Brussels, 1839–69.

BOGAERT, HENDRIK vanden (Pomerius). *De origine monasterii Viridisvallis una cum vita B. Joann. Rusbrochii*, ed. de Smet, in *Analecta Bollandiana*, vol. IV, Paris and Brussels, 1885.

BRANDT, O. H. *Thomas Muntzer. Sein Leben und seine Schriften*. Jena, 1933. Includes, *inter alia* and in addition to Muntzer's pamphlets (for which see Muntzer), the following in modernized spelling:
(1) *Die Historie Thomä Müntzers*, pp. 38–50.
(2) Extract from Marcus Wagner's booklet on Storch, Erfurt, 1597, pp. 53–9.
(3) Muntzer's call to the people of Allstedt of April 1525, pp. 74–6.
(4) Müntzer's letter to the Count of Mansfeld of May 1525, pp. 77–8.
(5) Muntzer's confession, pp. 80–83.

BRANT, SEBASTIAN. *Das Narrenschiff*, ed. Zarncke, Leipzig, 1854.
Breve chronicon Flandriae, in CCF, vol. III.
BRUNO OF OLMÜTZ. *Relatio*, ed. Höfler, in ABAW, vol. IV, 1846, pp. 27 sq
BUCER, MARTIN. Letter to Margaret of Navarre, in Calvin, *Omnia opera*, vol. X b, col. 215.
CAESARIUS OF HEISTERBACH. *Dialogus miraculorum*, ed. Strange, vol. I, Cologne, 1851.
Calendar of the Close Rolls preserved in the Public Record Office. London, 1892 ff.
CALVIN, JEAN. *Omnia opera*, ed. Baum *et al.*, Brunswick, 1864–1900.
(1) vol. I. *Institutio religionis Christianae.*
(2) vol. VII. *Brieve Instruction pour armer tous bons fideles contre les erreurs de la secte des Anabaptistes.*
(3) vol XII. Letter to Margaret of Navarre, cols. 64–8.
(4) vol XXXV. *Contre la secte phantastique et furieuse des Libertins qui se nomment spirituelz.*
(5) vol. XXXV. *Epistre contre un certain Cordelier suppost de la secte des Libertins.*
CAMENTZ, CASPAR. *Acta aliquot Francofurtana*, in FRG, vol. IV.
Chanson d'Antioche, ed. P. Paris, 2 vols., Paris, 1848.
Chanson de Roland, ed. Bédier, Paris, 1937.
CHAPTER OF UTRECHT. *Epistola ad Fridericum archiepiscopum Coloniensem de Tanchelmo seductore*, in Duplessis d'Argentré, vol. I, pp. 11–12.
CHARLES IV, Emperor (1). Decree appointing Kerlinger inquisitor, in Mosheim (2) (MW), pp. 343–62.
CHARLES IV, Emperor (2). Letter to Kerlinger, in Mosheim (2) (MW), pp 368–75.
CHARLES, R. H. (ed.). *The Apocrypha and Pseudepigrapha of the OldTestament*, 2 vols , Oxford, 1913.
CHARLIER, GILLES (Aegidius Carlerus). *Liber de legationibus concilii Basiliensis pro reductione Bohemorum*, in *Monumenta Conciliorum generalium seculi XV. Scriptorum*, vol. I, Vienna, 1857.
Chronica de Mailros, ed. Stevenson (Bannatyne Club), Edinburgh, 1835.
Chronica minor auctore minorita Erphordiensi, in MGHS, vol. XXIV.
Chronica regia Coloniensis, in MGHS, vol. XVII.
Chronica regia Coloniensis, Continuatio II, in MGHS, vol. XXIV.
Chronica universalis Mettensis, in MGHS, vol. XXIV.
Chronicon Andrensis monasterii, in RHF, vol. XVIII.
Chronicon anonymi Laudunensis canonici, in RHF, vol. XVIII.
Chronicon Britannicum in collectione MS Ecclesiae Nannetensis, in RHF, vol. XII.
Chronicon comitum Flandrensium, in CCF, vol. I.
Chronicon Elnacense, in MGHS, vol. X.
Chronicon Normanniae, in RHF, vol. XXIII.
Chronicon rhythmicum Austriacurum, in MGHS, vol. XXV.
Chronicon Rotomagense, in RHF, vol. XXIII.
Chronicon S. Andreae Castri Camaracesii, in MGHS, vol. VII.
Chronicon S. Catharinae de Monte Rotomagi, in RHF, vol. XXIII.
Chronicon S. Laudi Rotomagensis, in RHF, vol. XXIII.
Chronicon S. Martini Turonensis, Continuatio, in MGHS, vol. XXVI.
Chronicon S. Medardi Suessionensis, in RHF, vol. XVIII.
Chronicon S. Petri vulgo Sampetrinum Erfurtense, in *Geschichtsquellen der Provinz Sachsen*, vol. I, Halle, 1870.
Chronicon Turonense, in RHF, vol. XVIII.

Chronicon universale anonymi Laudunensis, in MGHS, vol. XXVI.
Chroniken der deutschen Städte vom 14 bis ins 16 Jahrhundert, Leipzig, 1867–1917. (Pub. *Königlich bayerische Akademie der Wissenschaften.*)
Chronique anonyme des Rois de France, in RHF, vol. XXI.
Chroniques de Saint-Denis, in RHF, vol. XXI.
CLEMENT V, Pope (1). Bull *Ad nostrum* (*Constitutiones Clementis* ('Clementines'), lib. V, tit. III, cap. iii), in *Corpus juris canonici*, vol. II, cols. 1183–4.
CLEMENT V, Pope (2). Bull *De quibusdam* (*Constitutiones*, lib. III, tit. XI, cap. i), in *Corpus juris canonici*, vol. II, col. 1169.
CLEMENT VI, Pope. Bull against Flagellants, in Baronius and Raynaldus, vol. XXV, pp. 493 sq.
CLEMENT OF ALEXANDRIA. *Stromata*, in PG, vols. VIII, IX.
CLOSENER, FRITSCHE. *Strassburgische Chronik*, in CDS, vol. VIII.
COMMODIANUS (1). *Instructiones*, ed. Dombart, in *Corpus Scriptorum Ecclesiasticorum Latinorum*, vol. XV, Vienna, 1887.
COMMODIANUS (2). *Carmen apologeticum* (as for Commodianus (1)).
Concilium Lateranense IV, in Mansi, vol. XXII.
Conquête de Jerusalem, ed. Hippeau, Paris, 1868.
CONRAD OF MEGENBERG (Conradus de Monte Puellarum). *De erroribus Begehardorum et Beginarum* (fragment), in *Bibliotheca veterum patrum*, ed. Despont, vol. XXV, Lyons, 1677, p. 310.
CORNELIUS, C. A. (ed.). *Berichte der Augenzeugen über das münsterische Wiedertäuferreich*, in GBM, vol. II, Münster, 1852. Includes, *inter alia:*
(1) Gresbeck (q.v.).
(2) Erasmus Schetus, Letter to Erasmus of Rotterdam, p. 315.
(3) Letter of Justinian of Holtzhausen of 21 May 1535, pp. 334–7.
(4) Letter of Justinian of Holtzhausen of 29 May 1535, pp. 341–7.
(5) Letter of Sigmund of Buineburg, pp. 367–9.
(6) Confession of Jan Bockelson of July 1535, pp 369–76.
(7) Confession of Jan Bockelson of January 1536, pp. 398–402.
(8) *Bekenntnis des Glaubens und Leben der Gemeinde Christi zu Münster*, pp. 445–64.
Corpus chronicorum Flandriae, ed. de Smet, 4 vols., Brussels, 1837–65.
Corpus juris canonici, ed. Friedberg, 2 vols., Leipzig, 1879, 1881.
CORVINUS, ANTON. *De miserabili Monasteriensium anabaptistarum obsidione ... epistola ad Spalatinum*, Wittenberg, 1536.
COSMAS OF PRAGUE. *Chronica Boemorum*, in MGHS, new series, vol. II.
CYPRIAN, ST. *Liber de opere et eleemosynis*, in PL, vol. IV.
DAMIAN, PETER (1). *Epistola ad Petrum Cerebrosum monachum*, in PL, vol. CXLIV.
DAMIAN, PETER (2). *Vita S. Romualdi*, in PL, vol. CXLIV.
Decretales Pseudo-Isidorianae, ed. Hinschius, Leipzig, 1858.
DENIFLE, H. S. and CHATELAIN, E. *Chartularium Universitatis Parisiensis*, vol. I, Paris, 1889.
Descripto qualiter Karolus Magnus clavum et coronam Domini a Constantinopoli Aquisgrani detulerit ..., in Rauschen (MW), pp. 103–25.
Detmar-Chronik, ed. Koppmann, in CDS, vol. XIX.
Deutsche Chroniken (*Scriptores qui vernacula lingua usi sunt*). (Part of *Monumenta Germaniae Historica.*)
Dialogue of Dives and Pauper, ed. Pynson, 1493.
DIODORUS SICULUS. *Bibliothecae Historicae libri qui supersunt*, 2 vols., Amsterdam, 1746.
DÖLLINGER, I von. *Beiträge zur Sektengeschichte*, vol. II, Munich, 1890.

DORP, HEINRICH. *Warhafftige Historia wie das Evangelium zu Münster angefangen, und darnach durch die Wiedertäufer verstört, wider auffgehört*, ed. Merschmann, Magdeburg, 1847.

DORSTEN, JOHANNES. *Quaestio de tertio statu*, in Kestenberg-Gladstein (MW), pp. 266–95.

DU FAYT, JEAN. *Contra Flagellatores*, in Fredericq (2) (MW).

DUPLESSIS D'ARGENTRÉ, C. de. *Collectio judiciorum de novis erroribus*, 3 vols., Paris, 1755.

ECKBERT OF SCHÖNAU. *Sermones contra Catharos*, in PL, vol. CXCV.

ECKHART, J. G. *Corpus historicum medii aevi*, 2 vols., Leipzig, 1723.

ÉGASSE DU BOULAY, C. *Historia universitatis Parisiensis*, 6 vols., Paris, 1665–73.

EKKEHARD OF AURA (1). *Hierosolymita*, ed. Hagenmeyer, Tübingen, 1877.

EKKEHARD OF AURA (2). *Chronicon universale*, in MGHS, vol. VI.

ELIEZER BAR NATHAN. *Relation*, in Neubauer and Stern, vol. II.

ELLENHARD OF STRASBOURG (1). *Bellum Waltherianum*, in MGHS, vol. XVII.

ELLENHARD OF STRASBOURG (2). *Chronicon*, in MGHS, vol. XVII.

ENNEN, L. and ECKERTZ, G. *Quellen zur Geschichte der Stadt der Köln*, 6 vols., Cologne, 1860–79

EPHRAIM BAR JACOB. *Relation*, in Neubauer and Stern, vol. II.

Erphurdianus Antiquitatum Variloquus, ed. Thiele (*Geschichtsquellen der Provinz Sachsen*, vol. XLII), Halle, 1906.

Errores bechardorum et begutarum, in Haupt (7) (MW), pp. 88–90.

Errores sectae hominum intelligentiae, in Baluze (2), vol. II, pp. 277–97.

ESPINAS, G. and PIRENNE, H. *Recueil de documents relatifs à l'histoire de l'industrie drapière en Flandre*, Part I, vol. III, Brussels, 1920.

EULOGIUS, Archbishop of Toledo. *Memorialis sanctorum*, in PL, vol. CXV.

Ezra-Apocalypse (= 4 Ezra or 2 Esdras), ed. and trans. Box in Charles, vol. II.

FABRICIUS, DIETRICH. Report on mission to Münster, in *Mitteilungen aus dem Germanischen Nationalmuseum*, vol. II, Nuremberg, 1885, pp. 99–102.

FAREL, GUILLAUME. *Le Glaive de la Parolle veritable*, Geneva, 1550.

Flores temporum, Imperatores, in MGHS, vol. XXIV.

Fontes rerum Austriacarum (*Österreichische Geschichtsquellen*), Section 1. *Scriptores*, Vienna, 1849 ff.

Fontes rerum Bohemicarum, ed. Emler, Prague, 1873 ff.

Fontes rerum Germanicarum, ed. Boehmer, 4 vols., Stuttgart, 1843–68.

FÖRSTEMANN, C. E. (ed.). *Neues Urkundenbuch zur Geschichte der evangelischen Kirchenreformation*, Hamburg, 1842.

FRANCIS OF PRAGUE. *Secundus tractatus chronicae Pragensis*, in FRA, Section 1, vol. VIII.

FRANCK, SEBASTIAN. *Chronica, Zeÿtbüch und Geschÿchtbibel*, Strasbourg, 1531.

FREDERICHS J. (ed.). *Summa doctrinae quorundam hominum, qui nunc ... Loistae ... nunc Libertini ... appellantur*, in Frederichs (1) (MW), pp. 1 sq.

FREDERICQ, P. *Corpus documentorum Inquisitionis haereticae pravitatis Neerlandicae*, 4 vols., Ghent, 1889–1900.

FRIES, LORENZ. *Historie der Bischöffen zu Wirtzburg*, in Ludewig, *Geschichtsschreiber von dem Bischoffthum Wirtzburg*, Frankfort, 1713.

FROISSART, JEAN. *Chroniques*, ed. Luce and Raynaud, 11 vols., Paris, 1869–99.

FULCHER OF CHARTRES. *Gesta Francorum Jerusalem expugnantium*, in RHC, vol. III.

GAGUIN, ROBERT. *Compendio de Francorum gestis*, Paris, 1500.

GARNIER OF ROCHEFORT (attrib.). *Contra Amaurianos*, ed. Baeumker, in *Beiträge zur Geschichte der Philosophie des Mittelalters*, vol. XXIV, Heft 5–6, Münster, 1926.

GERSON, JEAN CHARLIER de. *Opera omnia*, ed. Dupin, 3 vols., Antwerp, 1706. Includes, *inter alia:*

(1) vol. I. *De examinatione doctrinarum.*
(2) *De distinctione verarum visionum a falsis.*
(3) *De libris caute legendis.*
(4) vol. II. *Epistola missa Magistro Vincento O.P. . . . contra se flagellantes.*
(5) *Tractatus contra sectam Flagellantium.*
(6) vol. III. *Tractatus contra Romantium de Rosa.*
(7) *Considerationes theologiae mysticae.*
(8) *De mystica theologica speculativa.*
(9) *Considérations sur Saint Joseph.*
(10) *Sermo de Spiritu Sancto.*
(11) *Sermo die festo S. Ludovici.*

Geschichtsquellen des Bisthums Münster, vols. II, V, VI, Münster, 1852, 1899, 1900.

Gesta abbatum Trudonensium, in MGHS, vol. X.

Gesta archiepiscoporum Magdeburgensium, Continuatio I, in MGHS, vol. XIV.

Gesta Baldevvini Treverensis archiepiscopi, in Baluze (2), vol. I.

Gesta Ludovici VIII, in RHF, vol. XVII.

Gesta Treverorum, Continuatio I, in MGHS, vol. VIII.

GILLES VAN DER HOYE. *Dicta in quodam sermone ad populum*, ed. Berlière, in 'Trois traités inédits sur les Flagellants', *Revue Bénédictine*, vol. XXV, Maredsous, 1908, pp. 334–57.

GIRALDUS CAMBRENSIS. *Liber de instructione principum*, in RS 21, 1891 (vol. VIII of *Opera*).

GLASSBERGER, NICOLAUS. *Chronica*, in *Analecta Franciscana*, vol. II, Quaracchi, 1887, pp. 423–6.

GOWER, JOHN. *Vox clamantis*, in Latin Works, ed. Macaulay, Oxford, 1902.

Grandes chroniques de France, ed. P. Paris, vols. V, VI, Paris 1836–8.

GRATIAN. *Decretum*, in PL, vol. CLXXXVII.

GREGORY, ST, OF TOURS. *Historia Francorum*, in MGHS *rerum Merovingicarum*, vol. I.

GREGORY XI, Pope (1). Letter to Kerlinger and others, in Baronius and Raynaldus, vol. XXVI, p. 228.

GREGORY XI, Pope (2). Letter to Emperor Charles IV, in Baronius and Raynaldus, vol. XXVI, pp. 240–41.

GRESBECK, H. *Summarische Ertzelungk und Bericht der Wiederdope und wat sich binnen der Stat Monster in Westphalen zugetragen im Iair MDXXXV*, in Cornelius, *Berichte*, pp. 3–214.

GROOT, GERHARD. *Gerardi Magni Epistolae XIV*, ed. R. Acquoy, Amstel, 1857.

GUI, BERNARD (1). *E Floribus Chronicorum*, in RHF, vol. XXI.

GUI, BERNARD (2). *Vita Clementis V*, in Baluze (1), vol. I.

GUI, BERNARD (3). *Vita Joannis XXII*, in Baluze (1), vol. I.

GUIBERT OF NOGENT (1). *Gesta Dei per Francos, sive Historia Hierosolymitana*, in RHC, vol. IV.

GUIBERT OF NOGENT (2). *De vita sua*, in RHF, vol. XII.

Haereses sectatorum Amalrici, in Denifle and Chatelain, pp. 71–2.

HARTMANN, CHRISTOPH. *Annales Heremi Deiparae Matris Monasterii in Helvetia*. Freiburg in Breisgau, 1612.

HARTZHEIM, J. and SCHANNAT, J. F. *Concilia Germaniae*, 11 vols., Cologne, 1759–90.

HENRY OF DIESSENHOFEN (Heinrich Truchsess). *Historia ecclesiastica* or *Chronicon*, in FRG, vol. IV.

HENRY OF HEIMBURG. *Annales*, in MGHS, vol. XVII.

HENRY OF HERFORD. *Liber de rebus memorabilioribus sive chronicon*, ed. Porthast, Göttingen, 1859.

HENRY OF VIRNENBURG. *Contra Beggardos et Beggardas*, in Fredericq (OS), vol. I, pp. 151 sq.

HERMANN OF ALTAHA. *Annales*, in MGHS, vol. XVII.

HILDEGARD, ST (1). *Scivias sive visionum ac revelationum libri tres*, in PL, vol. CXCVII.

HILDEGARD, ST (2). *Epistola ad praelatos Moguntinenses*, in PL, vol. CXCVII, cols. 218–43.

HIPPOLYTUS (attribution uncertain). *De consummatione mundi ac de Antichristo*, in PG, vol. X, cols. 904–52.

HÖFLER, C. A. C. von. *Geschichtsschreiber der husitischen Bewegung in Boehmen*, in FRA, Section 1, vols. II, VI, VII, Vienna, 1856–66.

HUGH OF REUTLINGEN (Spechtshart). *Weltchronik*, ed. Gillert, Munich, 1881.

IBN AL-QALĀNISĪ. *Continuation of the Chronicle of Damascus: The Damascus Chronicle of the Crusades.* Selected and trans. Gibb, London, 1932.

IBN VERGA, SOLOMON. *Shebet Yehuda.* German trans. Wiener, Hanover, 1856.

INNOCENT VI, Pope. Bull appointing inquisitors in France, in Baronius and Raynaldus, vol. XXV, p. 589.

Invectiva contra Hussitas, in Höfler, vol. II of FRA, pp. 621–32.

IRENAEUS, ST. *Adversus haereses*, in PG, vol. VII.

JEAN DE MEUN. *Le Roman de la Rose*, ed. Langlois, 5 vols. Paris, 1914–24.

JEAN DES PREIS DIT D'OUTREMEUSE. *Ly Myreur des Histors*, ed. Bormans, Brussels, 1887.

JEAN LE FÈVRE. *Les Lamentations de Matheolus*, ed. van Hamel, Paris, 1892.

JOBST OF EINSIEDELN. Report on the Wirsberg brothers, ed. Kurschner, in *Archiv fur oesterreichische Geschichte*, vol. XXXIX, Part I, Vienna, 1868, pp. 280 sq.

JOHN, canon of St Victor. *Vita Joannis XXII*, in Baluze (1).

JOHN XXII, Pope. Letter to Seneschal of Beaucaire, in Baronius and Raynaldus, vol. XXIV, pp. 136–7.

JOHN OF COLUMNA. *E Mari Historiarum*, in RHF, vol. XXIII.

JOHN OF DURBHEIM (1). Pastoral letter, 1317, in Mosheim (2) (MW), pp. 255–61 (where attributed to John of Ochsenstein).

JOHN OF DÜRBHEIM (2). Letter to the Bishop of Worms, in Mosheim (2) (MW), pp. 267–9.

JOHN OF HAGEN (Joannes de Indagine). *De his, qui se vulnerunt . . .*, in Stumpf (MW), Document 6.

JOHN OF ROQUETAILLADE (Rupescissa). *Vade mecum in tribulatione*, in G. Orthuinus, *Fasciculum rerum expetendarum et fugiendarum*, ed. Edward Brown, vol II, London, 1690, pp. 496–508.

JOHN OF TAYSTER. *Annales*, in MGHS, vol. XXVIII.

JOHN OF VIKTRING. *Liber certarum historiarum*, in SGUS, 1909–10, 2 vols.

JOHN OF YPRES. *Chronicon Sythiense S. Bertini*, in RHF, vol. XVIII.

JOHN OF WINTERTHUR. *Chronica*, in MGHS, new series, vol III.

JOHN, Abbot of St Victor. Sermon, in Hauréau (MW), pp. 93–4, Note 1.

JOSEPH HA-COHEN. *Emek ha Bakha* (*The Valley of Tears*). German trans Wiener, Leipzig, 1858.
JOSEPHUS FLAVIUS. *The Jewish War*, trans. Whiston and Shilleto, 2 vols., London, 1890.
JUSTIN MARTYR. *Dialogus cum Tryphone Judaeo*, in PG, vol. VI.
Kalendarium Zwetlense, in MGHS, vol. IX
KAMNITZER, H. (ed.). *Dokumente des grossen deutschen Bauernkrieges*, in Meusel (MW), pp. 185–332.
KERVYN DE LETTENHOVE, C. B. (ed.). *Récits d'un bourgeois de Valenciennes* (1254–1366), Louvain, 1877.
KERSSENBROCH, HERMANN von. *Anabaptistici furoris Monasterium inclitam Westphaliae metropolim evertentis historica narratio*, ed. Detmer, in GBM, vols, V and VI.
Klingenberger Chronik, ed. Henne von Sargans, Gotha, 1861.
KNIGHTON, HENRY. Continuation of his *Chrónicon*, in RS 92, 1895.
KÖRNER, HERMANN (Cornerus). *Chronica novella*, in Eckhart, vol. II.
KURFESS, A. (ed.). *Sibyllinische Weissagungen*, Munich, 1951.
LACOMBLET, T. J. *Urkundenbuch für die Geschichte des Niederrheins*, 4 vols., Düsseldorf, 1840–58.
LACTANTIUS FIRMIANUS (1). *Divinae Institutiones*, in PL, vol. VI.
LACTANTIUS FIRMIANUS (2). *Epitome Divinarum Instutionum ad Pentadium fratrem*, in PL, vol. VI.
LANGLAND, WILLIAM. *The Vision of William concerning Piers the Plowman*, ed. Skeat, 2 vols., Oxford, 1886.
LANGLOIS, C. V. (ed.). *Instrumenta facta super examinacione M. Porete*, in *Revue historique*, vol. LIV, Paris, 1894, pp. 296–7.
LAWRENCE OF BŘEZOVÁ (Vavřince z Březové). *De gestis et variis accidentibus regni Boemiae*, in Höfler, vol. II of FRA, pp. 321–534. (Also, with Czech as well as Latin text, in vol. V of *Fontes rerum Bohemicarum*.)
LAZIUS, WOLFGANG. *Fragmentum vaticinii cuiusdam . . . Methodii, episcopi Ecclesie Patarensis*, Vienna, 1547.
LEA, H. C. (ed.). Sentence on Margaret of Porette, in Lea (MW), Appendix, pp. 575–8.
LE BEL, JEAN. *Chronique*, ed. Viard and Deprez, 2 vols., Paris, 1904–5.
Litera de civitate Pragensi . . ., in Höfler, vol. VI of FRA, pp. 311–19.
LÖFFLER, K. *Die Wiedertäufer zu Münster* 1534–5, Jena, 1923. (Contains much of the material translated into modern German.)
LUCIAN OF SAMOSATA. *Saturnalian Letters*.
LUTHER, MARTIN, *Werke* (*Kritische Gesamtausgabe*), Weimar, 1883–1908.
(1) vol. XV. *Brief an die Fürsten zu Sachsen von dem aufrührischen Geist*, pp. 199 sq.
(2) vol. XVIII. *Wider die mörderischen und räuberischen Rotten der Bauern.*
(3) *Sendschreiben an die Christen zu Antwerpen*, 1525, pp. 547 sq.
Magdeburger Schöppenchronik, in CDS, vol. VII.
Majestas Carolini, in *Archiv český*, vol. III, pp. 68–180.
MANSI, J. D. *Sacra conciliorum collectio*, Paris and Leipzig, 1902–13.
MARTÈNE, E. and DURAND, U. *Veterum Scriptorum at Monumentum amplissima collectio*, 9 vols., Paris, 1724–33.
MARTIN OF TROPPAU (Martinus Polonus). *Chronicon expeditissimum*, Antwerp, 1574.
Continuations to Martin's *Chronicon pontificum et imperatorum*:
Continuatio Anglica, in MGHS, vol. XXIV.
Continuatio Brabantina, in MGHS, vol. XXIV.

MATILDA OF MAGDEBURG. *Das fliessende Licht der Gottheit*, ed. Morel Regensburg, 1869.

MATTHEW OF NEUENBURG. *Chronica*, in FRG, vol. IV.

MICHAEL DE LEONE. *Annotata historica*, in FRG, vol. I.

MONK OF WESTMINSTER. Continuation to Higden's *Polychronicon*, in RS 41, vol. IX, 1886.

Monumenta Boica. Munich, 1763 ff.

Monumenta Germaniae Historica, ed. Pertz, Mommsen *et al.*, Hanover and Berlin, 1826 ff.,

Scriptores, 1826 ff.

Scriptores rerum Germanicarum in usum scholarum, 1839 ff.

Scriptores rerum Germanicarum, new series, Berlin, 1922 ff.

MOUSKES, PHILIPPE (Mousket). *Chronique rimée*, ed. Reifenberg, vol. II, Brussels, 1838.

MUISIS, GILLES LI. *Chronica*, in CCF, vol. II.

MÜNTZER, THOMAS. *Schriften*, ed. Brandt (see also Brandt (OS)). Includes, *inter alia*, in modernized spelling:

(1) *Von dem gedichteten Glauben* ...

(2) *Protestation oder Entbietung Thomas Müntzers* ...

(3) *Die Fürstenpredigt*

(4) *Ausgedrückte Entblossung* ...

(5) *Hoch verursachte Schutzrede* ...

MÜNTZER, THOMAS. *Thomas Müntzers politische Schriften*, ed. Hinrichs, Halle, 1950.

MÜNTZER, THOMAS. *Thomas Müntzers Briefwechsel*, ed. Böhmer and Kirn, Leipzig, 1931.

NAUCLERUS, JOANNES. *Chronica*, Cologne, 1544.

NEUBAUER, A. and STERN, M. (ed.). *Hebräische Berichte über die Judenverfolgungen während der Kreuzzüge*, in *Quellen zur Geschichte der Juden in Deutschland*, vol. II, Berlin, 1892. (Hebrew, with German translations.)

Newe zeitung, von den Widerteuffern zu Münster, in *Zeitschrift für vaterländische Geschichte und Altertumskunde*, vol. XXVII, Münster, 1867, pp. 255–66.

NIDER, JOHANN. *Formicarius*, Strasbourg, 1517.

NIESERT, J. *Münsterische Urkundensammlung*, vols, I. II, Koesfeld, 1826. Includes, *inter alia*:

(1) vol. I. Confession of Johannes Beckemann, pp. 33–7.

(2) Confession of Zillis Leitgen, pp. 136–49.

(3) Confession of Jacob of Osnabrück, pp. 154–66.

(4) vol. II. *Newe zeittunge vonn Münster*, pp. 499–504.

Notae Colonienses, in MGHS, vol. XXIV.

OPEL, O. (ed.). 'Zur Geschichte des Bauernkrieges', in *Neue Mitteilungen aus dem Gebiete historisch-antiquarischer Forschungen*, vol. XII, Halle and Nordhausen, 1869. (Documents concerning Thomas Müntzer.)

OSWALD DER SCHREIBER (of Königsberg in Hungary), ed. Zarncke, in 'Der Priester Johannes', *Abhandlungen der sächsischen Gesellschaft der Wissenschaften, Philologisch-historische Klasse*, vol. VII, Leipzig, 1879.

OTTO OF FREISING. *Gesta Friderici I Imperatoris*, in SGUS, 1912, 3rd edn.

OTTOKAR. *Österreichische Reimchronik*, 1250–1300, in *Deutsche Chroniken*, vol. V.

OVID. *Metamorphoses.*

PAPIAS. *De expositione oraculorum dominicorum* (fragments), in PG, vol. V.

PARIS, MATTHEW. *Chronica majora*, in RS 57, 7 vols., 1872–83.

Patrologiae cursus completus. Series Latina, ed. J. P. Migne, Paris, 1844–55.

Patrologiae cursus completus. Series Graeco-Latina, ed. J. P. Migne, Paris, 1857–66.
PELAYO, ALVAREZ (Alvarus Pelagius). *De Planctu Ecclesiae*, 2 vols., Ulm, 1474.
PETER OF ZITTAU. *Die Konigsaaler Geschichtsquellen (Chronica Aulae regiae libri tres)*, in FRA, vol. VIII.
PFEIFFER, F. (ed.). *Swester Katrei Meister Ekehartes Tohter von Strâzburc*, in *Deutsche Mystiker des vierzehnten Jahrhunderts*, vol. II, Leipzig, 1857, pp. 448–75.
POCQUE, ANTOINE. Mystical treatise, quoted in Calvin (4), cols. 225–42.
*PORETE, MARGUERITE. *Le Mirouer des simples ames anienties et qui seulement demourent en vouloir et desir d'amour*, ed. Guarnieri, in *Il Movimento del Libero Spirito*, Rome, 1965. (Replaces edition by Guarnieri, Rome, 1961.)
PREGER, W. (ed.) (1). *Compilatio de novo spiritu* (anonymous), in Preger (1) (MW), pp. 469–71.
PREGER, W. (ed). (2). *Tractatus ... contra quosdam articulos erroneos*, in Preger (2) (MW), pp. 62–3.
PRIMAT, Monk of Saint-Denis. *Chronique de Primat*, translated from the (lost) Latin original by John of Vignay, in RHF, vol. XXIII.
Pseudo-Methodius, in Sackur, pp. 59–96.
PTOLOMY (Tholomeus) OF LUCCA. *Vita Clementis V*, in Baluze (1), vol. I.
PULKAVA OF RADENIN (Przibico). *Chronica Boemorum*, with Continuations, in G. Dobner, *Monumenta historica Boemiae*, vols. III, IV.
RADULPH GLABER. *Historiarum libri quinque*, in PL, vol. CXLII.
RAMERT, HERMANN (attrib.). *Die Ordnung der Wiedertäufer zu Münster, item was sich daselbst nebenzu verloffen hat*, in *Zeitschrift für vaterländische Geschichte und Altertumskunde*, vol. XVII, Munster, 1856, pp. 240–49.
RAYMOND OF AGUILERS. *Historia Francorum qui ceperunt Jerusalem*, in RHC, vol. III.
Recognitiones (S. Clementis Romani), in PG, vol. I.
Recueil des Historiens des Croisades, Historiens Occidentaux. Publ. *Académie des Inscriptions et Belles-Lettres*, 5 vols., Paris, 1844–95.
Recueil des Historiens des Gaules et de la France (Rerum Gallicarum et Francicarum scriptores), ed. Bouquet *et al.*, Paris, 1738–1876.
Reformation Kaiser Sigmunds, ed. Beer (*Beiheft zu den deutschen Reichtagsakten*), Stuttgart, 1933.
REGENBOGEN (attrib.). *Meistersingerlied*, in Schultheiss (MW), pp. 55–8.
REIFFERSCHEID, A. (ed.). *Neun Texte zür Geschichte der religiösen Aufklärung in Deutschland während des 14-ten und 15-ten Jahrhunderts*, Griefswald, 1905.
REINERUS. *Annales S. Jacobi Leodiensis*, in MGHS, vol. XVI.
Renart le Contrefait, ed. Raynaud and Lemaitre, vol. II, Paris, 1914.
REUSS, F. A. 'Die Wallfahrt nach Niklashausen im Jahre 1476', in *Archiv des historischen Vereins von Unterfranken und Aschaffenburg*, vol. X, 3, Würzburg, 1858, pp. 300–18. (Collection of documents.)
RHEGIUS, URBANUS (1). *Widderlegung der münsterischen newen Valentinianer und Donatisten Bekentnus*, Wittenberg, 1535.
RHEGIUS, URBANUS (2). *De restitutione regni Israelitici, contra omnes omnium seculorum Chiliastas: in primis tamen contra Miliarios Monasterienses*, Zell, 1536.
RICHARD OF POITIERS. *Chronicon*, in RHF, vol. XII.
RICHERUS. *Gesta Senoniensis Ecclesiae*, in MGHS, vol. XXV.
RIGORD. *Gesta Philippi Augusti*, in RHF, vol. XVII.

RITTER, G. (ed.). 'Zur Geschichte des häretischen Pantheismus in Deutschland im 15-ten Jahrhundert', in ZKG, vol. XLIII (1924), new series, vol. VI. Includes:
(1) *Articuli confessi per Johannem Lolhardum*, pp. 150 sq.
(2) *Articuli informatoris de heresi circa Egram anno* 1467, pp. 158–9.

ROBERT OF AUXERRE. *Chronologia*, in RHF, vol. XVIII.

ROBERT OF AVESBURY. *De gestis mirabilibus regis Edwardi tertii*, in RS 93, 1889.

Rolls Series (*Rerum Britannicarum medii aevi scriptores*). Published under direction of the Master of the Rolls, London, 1858 ff.

ROTHE, JOHANNES. *Thuringische Chronik*, ed. von Liliencron, vol. III of *Thüringische Geschichtsquellen*, Jena, 1854 ff.

ROTHMANN, BERNT (1). *Bekentnisse van beyden Sacramenten* (first printed in Münster, 1533), in H. Detmer and R. Krumbholtz (MW).

ROTHMANN, BERNT (2). *Eyne Restitution edder Eine wedderstellinge rechter unnde gesunder Christliker leer* ... (first printed in Münster, 1534), in *Neudrucke deutscher Literaturwerke*, nos. 77 and 78, Halle, 1888.

ROTHMANN, BERNT (3). *Eyn gantz troestlick bericht van der Wrake unde straffe des Babilonischen gruwels* ... (first printed in Münster, 1534), in K. W. Bouterwek (MW).

RUUSBROEC, JAN VAN. *Werken*, ed. Reypens and Schurmans, 4 vols., Mechelen and Amsterdam, 1932–4. Includes, *inter alia*, in order of composition:
(1) *Vanden Vier Becoringhen*, in vol. III.
(2) *Die Gheestelike Brulocht*, in vol. I.
(3) *Vanden VII Sloten*, in vol. III.
(4) *Een Spieghel der eewigher Salicheit*, in vol. III.
(5) *Dat Boecsken der Verclaringhe*, in vol. III.
(6) *Van den XII Beghinen*, in vol. IV.

RYMER, T. *Foedera et acta publica*, ed. A. Clarke *et al.*, vol. I, London, 1816.

Rýmovaná kronika česká (with *Di tutsch kronik von Behemlant*), in *Fontes rerum Bohemicarum*, vol. III, Prague, 1882.

SACKUR, E. *Sibyllinische Texte und Forschungen: Pseudomethodius, Adso und die tiburtinische Sibylle*, Halle, 1898.

SALIMBENE OF PARMA. *Cronica*, in MGHS, vol. XXXII.

SALOMO BAR SIMEON. *Relation*, in Neubauer and Stern, vol. II.

SCHEDEL, HARTMAN. *Liber cronicarum cum figuris et ymaginibus ab inicio mundi*, Nuremberg, 1493.

SCHMID, KONRAD (1). *Prophetica ... Schmid haeresi Flagellatorum infecti*, in Stumpf (MW), Document 2, pp. 16–24.

SCHMID, KONRAD (2). *Articuli ab ... flagellantium Praedicatore conscripti*, in Stumpf (MW), Document 3, pp. 24–6.

SCHMIDT, KARL. *Nicolaus von Basel*, Vienna, 1866. Includes:
(1) *Confession of Martin of Mainz*, pp. 66–9. (In Latin. For emendations see Haupt (4) (MW).)
(2) *Buch von den zwei Mannen*, pp. 205–77.

SCHNEIDER, FEDOR (ed). *Fünfundzwanzig lateinische weltliche Rhythmen aus der Frühzeit*, Rome, 1925.

SENECA. *Epistolae morales*.

SIGFRIED OF BALNHUSIN (Grossballhausen in Saxony). *Historia universalis*, in MGHS, vol. XXV.

SIGEBERT OF GEMBLOUX. *Chronographia*, in MGHS, vol. VI. Continuations to Sigebert's chronicle:
Continuatio Gemblacensis, in MGHS, vol. VI.

Continuatio Praemonstratensis, in MGHS, vol. VI.
Auctarium Gemblacense, in RHF, vol. XIII (also in MGHS, vol. VI).
ROBERT OF TORIGNY (Robertus de Monte). *Chronica*, in MGHS, vol. VI.

SIMON OF TOURNAI. *Collectio de scandalis Ecclesiae*, ed. Stroick, in *Archivum Franciscanum Historicum*, vol. XXIV, Florence, 1931, pp. 33 sq.

Sollicitudo sacerdotum Thaboriensium, in Höfler, vol. VI of FRA (as Chapter 2 of Part I of the *Chronicon Taboritarum*.)

Staří letopisové čeští (*Old Czech chronicles*), *1378–1527*, ed. Palacký, Prague, 1829 (vol. III of *Scriptores rerum Bohemicarum*). (A more recent edition is now available, ed. F. Šimek and M. Kaňák, Prague, 1959.)

STEPHEN OF BOURBON. *Tractatus de diversis materiis predicabilibus*, ed. Lecoy de la Marche, in *Anecdotes historiques d'Étienne de Bourbon*, Paris, 1877.

STOLLE, KONRAD. *Thüringisch-erfurtische Chronik*, ed. Thiele (*Geschichtsquellen der Provinz Sachsen*, vol. XXXIX), Halle, 1900.

SUSO, HEINRICH. *Deutsche Schriften*, ed. Bihlmeyer, Stuttgart, 1907. Includes:
(1) *Leben*.
(2) *Das Büchlein der Wahrheit*.

Synod of Cologne, 1353, in Hartzheim and Schannat, vol. IV.
Synod of Cologne, 1357, in Hartzheim and Schannat, vol. IV.
Synod of Magdeburg, 1261, in Mansi, vol. XXIV.
Synod of Mainz, 1259, in Mansi, vol. XXIII.
Synod of Mainz, 1310, in Mansi, vol. XXV.
Synod of Paris, 1209, in Denifle and Chatelain, p. 70.
Synod of Rheims, 1157, in Mansi, vol. XXI.
Synod of Rome, in Tangl.
Synod of Trier, 1277, in Mansi, vol. XXIII.
Synod of Trier, 1310, in Mansi, vol. XXV.
Synod of Utrecht, 1357, in Fredericq (OS), vol. II, p. 142.

TANGL, M. *Die Briefe des heiligen Bonifatius und Lullus*, Berlin, 1916 (MGH *Epistolae Selectae*, vol. 1).

TAUBE OF SELBACH, HEINRICH. *Chronica*, in MGHS, new series, vol. I.

THOMAS OF CHANTIMPRÉ. *Bonum universale de apibus*, Douai, 1627.

THOMAS OF ECCLESTON. *Liber de adventu Minorum in Angliam*, in MGHS, vol. XXVIII.

Tiburtina, in Sackur, pp. 177–87.

TILEMANN ELHEN OF WOLFHAGEN. *Die Limburger Chronik*, in *Deutsche Chroniken*, vol. IV.

TOBLER, A. (ed.). *Li proverbe au Vilain*, Leipzig, 1895.

Tractatus contra errores (*Picardorum*), in Döllinger (OS), pp. 691–700. (Also in Höfler, vol. II of FRA, pp. 434–41.)

TRITHEMIUS, JOHANNES (1). *Annales Hirsaugienses*, St Gall, 1690.

TRITHEMIUS, JOHANNES (2). *De viris illustribus ordinis S. -Benedicti*, Cologne, 1575.

TROGUS, POMPEIUS GNAEUS, in *Juniani Justini Epitoma Historiarum Philippicarum Pompei Trogi*.

TWINGER OF KÖNIGSHOFEN, JACOB. *Chronik*, in CDS, vols. VIII, IX.

ULANOWSKI, B. (ed.). *Examen testium super vita et moribus Beguinarum ... in Sweydnitz*, in *Scriptores Rerum Polonicarum*, vol. XIII, Cracow, 1889, pp. 233–55.

URBAN V, Pope (1). Bull appointing inquisitors in Germany, in Mosheim (2) (MW), pp. 336–7.

URBAN V, Pope (2). Bull against Beghards in France, in Mosheim (2) (MW), p. 412.

USQUE, SAMUEL. *Consolaçam ás Tribulaçoens de Israel*, ed. Mendes dos Remédios, in *Subsidios para o estudo da Historia da Litteratura Portuguesa*, Coimbra, 1906–7.

Visitationes Odonis Rigaudi archiepiscopi Rothomagensis, in RHF, vol. XXI.

Vita Henrici II archiepiscopi (Treverensis) altera, in MGHS, vol. XXIV.

Vita S. Norberti A, in MGHS, vol. XII.

Vita S. Norberti B, in *Acta Sanctorum Bollandiana, Junii I*, 6 June.

WADDING, L. *Annales Minorum*. 2nd edn., Rome, 1731–45.

WALSINGHAM, THOMAS. *Historia Anglicana*, RS 28, vol. II, 1869.

WASMOD, JOHANN, OF HOMBURG. *Contra hereticos Bekardos Lulhardos et swestriones*, in Haupt (3) (MW), pp. 567–76.

WATTENBACH, W. 'Uber die Sekte der Brüder vom freien Geiste', in SPAW, vol. XXIX (1887), pp. 517–44. Includes:
(1) Confession of John of Brünn, pp. 529–37.
(2) Confession of Johann Hartmann, pp. 538–43.
(Both in Latin.)

WIDMAN, GEORG. *Chronika*, in *Württembergische Geschichtsquellen*, vol. VI, Stuttgart, 1904.

WILLIAM OF EGMONT. *Chronicon*, in Antonius Matthaeus, *Veteris Aevi Analecta*, vol. II, The Hague, 1723.

WILLIAM OF NANGIS (1). *Gesta Ludovici IX*, in RHF, vol. XX.

WILLIAM OF NANGIS (2). *Chronicon*, with *Continuationes I, II, III*, ed. Geraud, 2 vols., Paris, 1843.

WILLIAM OF NEWBURGH. *De rebus Anglicis*, in RHF, vol. XIII.

WILLIAM THE BRETON. *Gesta Philippi Augusti*, ed. Delaborde, in *Oeuvres de Rigord et de Guillaume le Breton*, vol. I, Paris, 1882.

WOLF, JOHANN. *Lectionum memorabilium et reconditarum centenarii XVI*, Lauingen, 1600.

WYCLIF, JOHN. *Tractatus de civili dominio. Liber primus*, ed. Poole, London, 1885.

WYKES, THOMAS. *Chronicon*, in RS 36 (*Annales Monastici*), vol. IV, 1869.

ZANTFLIET, CORNELIUS. *Chronicon*, in Martène and Durand, vol. V.

ZENO, ST, OF VERONA. *Tractatus* (or *Sermones*), in PL, vol. XI.

2 Modern Works

ADLER, GEORG. *Geschichte des Sozialismus und Kommunismus von Plato bis zur Gegenwart*, Part I, Leipzig, 1899.

AEGERTER, E. *Les hérésies du Moyen Âge*, Paris, 1939.

Allgemeine Deutsche Biographie, ed. von Liliencron and Wegele, Leipzig, 1875–1912.

ALLIER, R. 'Les frères du libre esprit', in T. Reinach *et al.*, *Religions et sociétés*, Paris, 1905, pp. 109–53.

ALPHANDÉRY, P. (1). *Les idées morales chez les hétérodoxes latins au début du XIIIe siècle*. (*Bibliothèque de l'École des Hautes Études, Sciences religieuses*, vol. XVI, fasc. 1), Paris, 1903.

ALPHANDÉRY, P. (2). 'De quelques faits de prophétisme dans les sectes latines antérieures au joachimisme', in *Revue de l'histoire des religions*, vol. LII, Paris, 1905, pp. 177–218.

ALPHANDÉRY, P. (3). 'Les croisades d'enfants', in *Revue de l'histoire des religions*, vol. LXIII, Paris, 1916. pp. 259–82.

ALPHANDÉRY, P. (4). *Notes sur le messianisme médiéval latin (XIe–XIIe siècles)* Paris, 1912.

ALPHANDÉRY, P. (5). 'Les foules religieuses', in *La Foule* (papers read to the *Centre international de synthèse*, 1932), Paris, 1934, pp. 53–76.

ALPHANDÉRY, P. and DUPRONT, A. *La Chrétienté et l'idée de Croisade*, 2 vols., Paris, 1954, 1959.

ALTMEYER, J. J. *Les précurseurs de la Réforme aux Pays-Bas*, Paris, 1886.

ALVERNY, M. T. d'. 'Un fragment du procès des Amauriciens', in *Archives d'histoire doctrinale et littéraire du Moyen Âge*, vol. XVIII, Paris, 1950–51, pp. 325–6.

ANDREAS, W. *Deutschland vor der Reformation*, Stuttgart and Berlin, 1934.

BACHMANN, R. *Niclas Storch*, Zwickau, 1880.

BAERWALD, R. *Die Schlacht bei Frankenhausen*, Mühlhausen in Thuringia, 1925.

BAETHGEN, F. *Der Engelpapst*, Leipzig, 1943.

BAHLMANN, P. *Die Wiedertäufer zu Münster. Eine bibliographische Zusammenstellung*, Münster, 1894.

BAINTON, R. H. *David Joris*, Leipzig, 1937.

BARACK, K. A. 'Hans Böhm und die Wallfahrt nach Niklashausen im Jahre 1476', in *Archiv des historischen Vereines von Unterfranken und Aschaffenburg*, vol. XIV, 3, Würzburg, 1858, pp. 1–108.

BARON, S. W. *A social and religious history of the Jews*, vol. II, New York, 1937.

BARTOŠ, F.-M. (1). 'Žižka a pikarti', in *Kalich*, vol. IX, fasc. 3–4, Prague, 1924, pp. 97–108.

BARTOŠ, F.-M. (2). 'Kněze Petra Kányše vyznání víry a večeře Páně z r. 1421', in *Jihočeský sborník historický*, vol. I, Tabor, 1928, pp. 2–5.

BARTOŠ, F.-M. (3). 'Picards et "Pikarti"', in BHPF, vol. LXXX (1931), pp. 465–86; vol. LXXXI (1932), pp. 8–28.

BAX, E. B. *Rise and fall of the Anabaptists*, London, 1903.

BEAUSOBRE, I. de. 'Dissertation sur les Adamites de Bohème', in J. Lenfant, *Histoire de la guerre des Hussites*, vol. I, Amsterdam, 1731, pp. 304–49.

BEMMANN, R. *Thomas Müntzer, Mühlhausen in Thüringen und der Bauernkrieg*, Leipzig, 1920.

BENZ, E. *Ecclesia Spiritualis. Kirchenidee und Geschichtstheologie der franziskanischen Reformation*, Stuttgart, 1934. (2nd edn., 1964.)

BERGER, E. *Histoire de Blanche de Castille, reine de France*, Paris, 1895.

BERNHEIM, E. *Mittelalterliche Zeitanschauungen in ihrem Einflus auf Politik und Geschichtschreibung*, Tubingen, 1918.

BERNHEIMER, R. *Wild men in the Middle Ages*, Cambridge, Mass., 1952.

BETTS, R. R. 'Correnti religiose nazionali ed ereticali dalla fine del secolo XIV alla metà del XV', in *Storia del Medioevo* (MW), pp. 403–513. (In English.)

BEUZART, P. *Les hérésies pendant le Moyen Âge dans la région de Douai, d'Arras et au pays de l'Aller*, Le Puy, 1912.

BEZOLD, F. von (1). *Zur Geschichte des Hussitentums*, Munich, 1874.

BEZOLD, F. von (2). 'Die Lehre von der Volkssouveränität während des Mittelalters', 1876. Reprinted in *Aus Mittelalter und Renaissance*, Munich and Berlin, 1918, pp. 1–48.

BEZOLD, F. von (3). 'Die "armen Leute" und die deutsche Literatur des späteren Mittelalters', 1879. Reprinted in *Aus Mittelalter und Renaissance*, Munich and Berlin, 1918, pp. 49–81.

BEZOLD, F. von (4). 'Zur deutschen Kaisersage', in *Sitzungsberichte der königlich bayerischen Akademie der Wissenschaften. Philosophisch-philologische Klasse*, vol. XIV, Munich, 1884, pp. 560–606.

BEZOLD, F. von (5). *Geschichte der deutschen Reformation*, Berlin, 1890.

BIDEZ, J. *La Cité du Monde et la Cité du Soleil*, Paris, 1932.

BIGNAMI-ODIER, J. *Études sur Jean de Roquetaillade (Johannes de Rupescissa)*, Paris, 1952.

BLANKE, F. 'Das Reich der Wiedertäufer zu Münster 1534–1535', in *Archiv für Reformationsgeschichte*, vol. XXXVII, Berlin, 1940, pp. 13–37.

BLOCH, M. (1). *Les rois thaumaturges: Étude sur le caractère surnaturel attribué à la puissance royale particulièrement en France et en Angleterre*, Strasbourg, 1924.

BLOCH, M. (2). *Les caractères originaux de l'histoire rurale française*, Oslo, 1931.

BLOCH, M. (3). *La société féodale: la formation des liens de dépendance*, Paris, 1939.

*BLOOMFIELD, M. W. 'Joachim of Flora. A critical survey of his canon, teachings, sources, biography, and influence', in *Traditio*, vol. XIII, New York, 1957, pp. 249–311.

BLOOMFIELD, M. W. and REEVES, M. E. 'The penetration of Joachism into northern Europe', in *Speculum*, vol. XXIX, Cambridge, Mass., 1954, pp. 772–93.

BOAS, G. *Essays on Primitivism and related ideas in the Middle Ages*, Baltimore, 1948.

BOEHMER, H. (1). *Studien zu Thomas Müntzer*, Leipzig, 1922.

BOEHMER, H. (2). 'Thomas Müntzer und das jüngste Deutschland', in *Gesammelte Aufsätze*, Gotha, 1924.

BORST, A. *Die Katharer (Schriften der Monumenta Germaniae Historica*, vol. XII), Stuttgart, 1953.

BOSSERT, G. *et al. Württembergische Kirchengeschichte*, Calw and Stuttgart, 1893.

BOUSSET, W. (1). *The Antichrist legend, a chapter in Christian and Jewish folklore*, trans. Keane, London, 1896.

BOUSSET, W. (2). 'Beiträge zur Geschichte der Eschatologie', in ZKG, vol. XX (1900), pp. 103–31, 262–90.

BOUTERWEK, K. W. *Zur Literatur und Geschichte der Wiedertäufer, besonders in den Rheinlanden*, Bonn, 1864.

BRUNO DE JÉSUS-MARIE *et al.* 'La confession de Boullan', in *Satan (Études carmélitaines*, vol. VI), Paris, 1949.

BULARD, M. *Le scorpion, symbole du peuple juif dans l'art religieux des XIVe, XVe, XVIe siècles*, Paris, 1935.

BURDACH, K. *Vom Mittelalter zur Reformation*, Berlin, 1893–1937.
(1) vol. II, part I: *Rienzo und die geistige Wandlung seiner Zeit.*
(2) vol. III, part 2: *Der Dichter des Ackermann aus Böhmen und seine Zeit.*

BURDACH, K. (3). *Reformation, Renaissance, Humanismus*, Berlin, and Leipzig, 1926.

BURDACH, K. (4). *Der Longinus-Speer im eschatologischem Lichte*, in SPAW, vol. IX, 1920, pp. 294–321.

*BÜTTNER, Th. and WERNER, E. *Circumcellionen und Adamiten. Zwei Formen mittelalterlicher Häresie. (Forschungen zur mittelalterlichen Geschichte*, vol. II, Berlin, 1958, pp. 73–134.

CAHOUR, A. *Baudouin de Constantinople. Chronique de Belgique et de France*, Paris, 1850.

Cambridge Economic History of Europe, Cambridge, 1942–52.
vol. I: Agrarian life of the Middle Ages, ed. J. H. Clapham and E. Power.
vol. II: Trade and industry in the Middle Ages, ed. M. Postan and E. E. Rich.

Cambridge Medieval History, 8 vols., Cambridge, 1913–36.

CAPELLE, G. C. *Amaury de Bène, étude sur son panthéisme formel*, Paris, 1932.

CAREW HUNT, R. H. 'Thomas Müntzer', in *Church Quarterly Review*, London, vol. CXXVI (1938), pp. 213–44; vol. CXXVII (1939), pp. 227–67.

CARLYLE, R. W. and CARLYLE, A. J. *A history of medieval political theory in the West*, 6 vols., Edinburgh, 1903–36.

CARO, G. *Sozial- und Wirtschaftsgeschichte der Juden im Mittelalter und der Neuzeit*, 2 vols., Frankfort-on-Main, 1920–24.

CARUS-WILSON, E. 'The woollen industry', in CEH, vol. II, chap. 6, pp. 355–428.

CASE, S. J. *The millennial hope*, Chicago, 1918.

CHALANDON, F. *Histoire de la première Croisade*, Paris, 1925.

CHALUPNÝ, E. 'Adamité a Žižka', in *Jihočeský sbornik historiký*, vol. I, Tabor, 1928, pp. 51–2.

*COHN, N. *Warrant for Genocide. The Myth of the Jewish world-conspiracy and the Protocols of the Elders of Zion*, London and New York, 1967.

*COMBES, A. *Essai sur le critique de Ruysbroeck par Gerson*, 3 vols., Paris, 1945–59.

CORNELIUS, C. A. (1). *Geschichte des Münsterischen Aufruhrs*, 2 vols., Leipzig, 1855–60.
vol. I: *Die Reformation*.
vol. II: *Die Wiedertaufe*.

CORNELIUS, C. A. (2). *Die niederländischen Wiedertäufer während der Belagerung Münsters 1534 bis 1535*, Munich, 1869.

CORNELIUS, C. A. (3). 'Johann Bokelson', in ADB, vol. III, pp. 91–3.

CORNELIUS, C. A. (4). 'Bernt Knipperdollinck', in ADB, vol. XVI, pp. 293–5.

CORNELIUS, C. A. (5). 'Jan Mathyszoon', in ADB, vol. XX, pp. 600–602.

COULTON, G. G. *The Black Death*, London, 1929.

CUMONT, F. 'La fin du monde selon les mages occidentaux', in *Revue de l'histoire des religions*, vol. CIII, Paris, 1931, pp. 29–96.

CURSCHMANN, H. H. W. F. *Hungersnöte im Mittelalter*, Leipzig, 1900.

DELACROIX, H. *Le mysticisme en Allemagne au 14e siècle*, Paris, 1900.

DEMPF, A. *Sacrum Imperium: Geschichts- und Staatsphilosophie des Mittelalters und der politischen Renaissance*, Munich and Berlin, 1929.

*DE SMET, J.-M. 'De monnik Tanchelm en de Utrechtse Bisschopszetel in 1112–1114', in *Scrinium Lovaniense, Mélanges historiques Etienne van Cauwenbergh*, Louvain, 1961, pp. 207–34.

DI STEFANO, A. *Riformatori ed eretici del medioevo*, Palermo, 1938.

DETMER, H. (1). *Hermann von Kerssenbrochs Leben und Schriften*, Münster, 1900.

DETMER, H. (2). *Bilder aus den religiösen und sozialen Unruhen in Münster*, 3 vols., Münster, 1903–4.
vol. I: Johann von Leiden.
vol. II: Bernhard Rothmann.
vol. III: Uber die Auffassung von der Ehe ... während der Täuferherrschaft.

DETMER, H. and KRUMBHOLTZ, R. *Zwei Schriften des Münsterischen Wiedertäufers Bernhard Rothmann*. With historical introduction, Dortmund, 1904.

DEVIC, C. and VAISSÈTE, J. J. *Histoire générale de la province de Languedoc*, ed. Molinier, vol. IX, Toulouse, 1885.

*DE VOOGT, P. *L'hérésie de Jean Hus* (*Bibliothèque de la Revue d'Histoire ecclésiastique*, fasc. 34), Louvain, 1960.

DICKENS, A. G. *Reformation and society in sixteenth-century Europe*. London, 1966.

Dictionnaire de Théologie Catholique, ed. Vacant and Mangenot, Paris, 1899–1950.

DOBROWSKÝ, J. 'Geschichte der Bömischen Pikarden und Adamiten', in *Abhandlungen der königlich bohmischen Gesellschaft der Wissenschaften*, vol. IV, Prague and Dresden, 1788, pp. 300–343.

*DOHNA, Graf LOTHAR zu,. *Reformatio Sigismundi. Beiträge zum Verständnis einer Reformschrift des fünfzehnten Jahrhunderts* (*Veröffentlichungen des Max-Planck-Instituts für Geschichte*, no. 4), Göttingen, 1960.

DÖLLINGER, I. von. 'Der Weissagungsglaube und das Prophetentum in der christlichen Zeit', in *Historisches Taschenbuch*, fifth series, vol. I, Leipzig, 1871, pp. 259–370.

DOREN, A. 'Wunschraume und Wunschzeiten', in *Vorträge der Bibliothek Warburg*, vol. IV, Leipzig, 1927, pp. 158–205.

DU CANGE, C. DU FRESNE. *Glossarium ad scriptores mediae et infimae Latinitatis*, ed. Henschel, Paris, 1840–50.

DUPRÉ THESEIDER, E. *Introduzione alle eresie medievali*, Bologna, 1953.

ELBOGEN, I. 'Zu den hebräischen Berichten über die Judenverfolgungen im Jahre 1096', in *Festschrift zum 70-ten Geburtstage Martin Philippsons*, Leipzig, 1917.

ELIADE, M. *The myth of the eternal return*, trans. Trask, London, 1955.

Encyclopedia of religion and ethics, ed. Hastings and Selbie, Edinburgh, 1908–26.

ERBKAM, H. W. *Geschichte der protestantischen Sekten im Zeitalter der Reformation*, Hamburg and Gotha, 1848.

*ERBSTÖSSER, M. and WERNER, E. *Ideologische Probleme des mittelalterlichen Plebejertums. Die freigeistige Häresie und ihre sozialen Wurzeln*, Berlin, 1960.

ERDMANN, C. (1). 'Endkaiserglaube und Kreuzzugsgedanke im 11-ten Jahrhundert', in ZKG, vol. LI (1932), pp. 384–414.

ERDMANN, C. (2). *Die Entstehung des Kreuzzugsgedankens*, Stuttgart, 1935.

ESSEN, L. van der. 'De ketterij van Tanchelm in de XIIde eeuw', in *Ons Geloof*, vol. II, Antwerp, 1912, pp. 354–61.

FLADE, P. 'Romische Inquisition in Mitteldeutschland', in *Beiträge zur sächsischen Kirchengeschichte*, vol. IX, Leipzig, 1894.

FOLZ, R. *Le souvenir et la légende de Charlemagne dans l'Empire germanique médiéval*, Paris, 1950.

FÖRSTEMANN, E. G. *Die christlichen Geisslergesellschaften*, Halle, 1828.

FRANZ, G. *Der deutsche Bauernkrieg*, Munich and Berlin, 1933.

FREDERICHS, J. (1). *De secte der Loïsten, of Antwerpsche Libertijnen* (1525–1545), Ghent and The Hague, 1891.

FREDERICHS, J. (2). 'Un luthérien français devenu libertin spirituel: Christophe Herault et les Loïstes d'Anvers (1490–1544)', in BHPF, vol. XLI (1892), pp. 250–69.

FREDERICQ, P. (1). *De secten der geeselars en der dansers in den Nederlanden tijdens de* 14de *eeuw*, Brussels, 1897.

FREDERICQ, P. (2). 'Deux sermons inédits de Jean du Fayt', in *Bulletin de l'Académie royale de Belgique Classe des Lettres*, vols. IX, X, Brussels, 1903. pp. 688–718.

GILSON, E. *La philosophie au Moyen Âge*, Paris, 1944.

GOTHEIN, E. *Politische und religiöse Volksbewegungen vor der Reformation*, Breslau, 1878.
GRAETZ, H. *Geschichte der Juden*, vols. VI, VII, Leipzig, 1873.
GRAUERT, H. von (1). 'Zur deutschen Kaisersage', in *Historisches Jahrbuch*, vol. XIII, Leipzig, 1892, pp. 100–143.
GRAUERT, H. von (2). 'Das Schulterkreuz der Helden mit besonderer Beziehung auf das Haus Wettin', in *Ehrengabe deutscher Wissenschaft (für Prinz Johann Georg)*, ed. Fessler, Freiburg in Breisgau, 1920, pp. 703–20.
GRAUS, F. *Chudina městská v době předhusitské*, Prague, 1949.
GROUSSET, R. *Histoire des croisades et du royaume franc de Jérusalem*, vol. I, Paris, 1934.
GRUNDMANN, H. (1). *Studien über Joachim von Fiore*, Leipzig and Berlin, 1927.
GRUNDMANN, H. (2). *Religiöse Bewegungen im Mittelalter*, Berlin, 1935.
GRUNDMANN, H. (3). *Neue Forschungen über Joachim von Fiore* (Münstersche Forschungen I), Marburg, 1950.
*GRUNDMANN, H. (4). *Neue Beiträge zur Geschichte der religiösen Bewegungen im Mittelalter.* (Supplement to new edition of *Religiöse Bewegungen im Mittelalter*, Hildesheim, 1961.)
*GRUNDMANN, H. (5). *Ketzergeschichte des Mittelalters*, Göttingen, 1963. (Reprinted from vol. II of *Die Kirche in ihrer Geschichte*, ed. K. D. Schmidt and E. Wolf.)
*GRUNDMANN, H. (6). *Bibliographie zur Ketzergeschichte des Mittelalters, 1900–1966.* (*Sussidi Eruditi* no. 20), Rome, 1967.
*GRUNDMANN, H. (7). 'Ketzerverhöre des Spätmittelalters als quellenkritisches Problem,' in *Deutsches Archiv für Erforschung des Mittelalters*, vol. XXI, Cologne and Graz, 1965, pp. 519-575.
GRY, L. *Le millénarisme dans ses origines et son développement*, Paris, 1904.
*GUARNIERI, R. (1). *Il movimento del Libero Spirito. Testi e documenti*, Rome, 1965.
*GUARNIERI, R. (2). 'Frères du libre esprit', in M. Viller *et al.*, *Dictionnaire de Spiritualité*, vol. V, Paris, 1966, cols. 1241–68.
HAAGEN, F. *Geschichte Aachens*, vol. I, Aachen, 1873.
HAGENMEYER, H. *Peter der Eremite*, Leipzig, 1879.
HAHN, C. U. *Geschichte der Ketzer im Mittelalter*, vols. II, III, Stuttgart, 1845.
HAMPE, K. 'Eine frühe Verknüpfung der Weissagung vom Endkaiser mit Friedrich II und Konrad IV' in *Sitzungsberichte der Heidelberger Akademie der Wissenschaften (Philosophisch-historische Klasse)*, Abhandlung VI, 1917.
HARTING, D. *De munstersche Furie*, Enkhuizen, 1850.
HAUCK, A. *Kirchengeschichte Deutschlands*, vol. V, Leipzig, 1911.
HAUPT, H. (1). *Die religiösen Sekten in Franken*, Würzburg, 1882.
HAUPT, H. (2). 'Ein Beghardenprozess in Eichstädt vom Jahre 1381', in ZKG, vol. V (1882), pp. 487–98.
HAUPT, H. (3). 'Beiträge zur Geschichte der Sekte vom freien Geiste und des Beghardentums', in ZKG, vol. VII (1885), pp. 503–76. (Includes emendations to Albertus Magnus, *Compilatio*, from another MS.)
HAUPT, H. (4). 'Zur Biographie des Nicolaus von Basel', in ZKG, vol. VII (1885), pp. 508–11. (Includes emendations to confession of Martin of Mainz.)
HAUPT, H. (5). 'Zur Geschichte der Geissler', in ZKG, vol. IX (1888), pp. 114–19. (Includes emendations to Sonderhausen articles from another MS.)
HAUPT, H. (6). 'Husitische Propaganda in Deutschland', in *Historisches Taschenbuch*, 6th series, vol. VII, Leipzig, 1888, pp. 235–304.

HAUPT, H. (7). 'Zwei Traktate gegen Beginen und Begharden', in ZKG, vol. XII (1891), pp. 85–90.

HAUPT, H. (8). *Ein oberrheinischer Revolutionär aus dem Zeitalter Kaiser Maximilians I.* (*Westdeutsche Zeitschrift für Geschichte und Kunst*, Ergänzungsheft VIII), Trier, 1893, pp. 77–228.

HAUPT, H. (9). 'Beginen und Begarden', in RPT, vol. II, pp. 516–26.

HAUPT, H. (10). 'Brüder des freien Geistes', in RPT, vol. II, pp. 467–72.

HAUPT, H. (11). 'Kirchliche Geisselung und Geisslerbruderschaften', in RPT, vol. VI, pp. 432–44.

HAUPT, H. (12). 'Konrad Schmid', in ADB, vol. XXXI, p. 683.

HAUPT, H. (13). 'Wirsberg: Janko (Johannes) und Livin (Levin) von W.', in ADB, vol. XLIII, pp. 518–20.

HAURÉAU, B. *Histoire de la philosophie scolastique*, Part II, vol. I, Paris, 1880.

HEATH, R. *Anabaptism from its rise at Zwickau to its fall in Münster*, London, 1895.

HECKER, J. F. C. *The epidemics of the Middle Ages*, trans. Babington, London, 1859.

HEER, F. *Aufgang Europas: eine Studie zu den Zusammenhängen zwischen politischer Religiosität, Frömmigkeitsstil und dem Werden Europas im 12-ten Jahrhundert*, Vienna and Zurich, 1949.

HEIDELBERGER, F. *Kreuzzugsversuche um die Wende des 13-ten Jahrhunderts*, Berlin and Leipzig, 1911.

HEISIG, K. 'Die Geschichtsmetaphysik des Rolandsliedes und ihre Vorgeschichte', in *Zeitschrift für romanische Philologie*, vol. LV, Halle, 1935, pp. 1–87.

HEYER, F. *Der Kirchenbegriff der Schwärmer* (*Schriften des Vereins für Reformationsgeschichte*, vol. LXVI), Leipzig, 1939.

HEYMANN, F. G. *John Žižka and the Hussite revolution*, Princeton, 1955.

*HILLERBRAND, H. J. *Bibliographie des Täufertums 1520–1630.* (*Quellen zur Geschichte der Täufer, vol. X*), Gütersloh, 1962.

HINRICHS, C. *Luther and Müntzer, ihre Auseinandersetzung über Obrigkeit und Widerstandsrecht.* Berlin, 1952

HOCHHUT, W. H. 'Landgraf Philipp und die Wiedertäufer', in *Zeitschrift für die historische Theologie*, vol. XXIX, Hamburg and Gotha, 1859.

HOENIGER, R. *Der schwarze Tod in Deutschland*, Berlin, 1882.

HOLINKA, R. *'Sektářství v Čechách před revolucí husitskou*, Bratislava, 1929.

HOLL, K. 'Luther und die Schwärmer', in his *Gesammelte Aufsätze zur Kirchengeschichte*, vol. I, Tübingen, 1923.

HORSCH, J. 'The rise and fall of the Anabaptists of Münster', in *Mennonite Quarterly Review*, vol. X, Goshen, Indiana, 1935, pp. 92–103, 129–43.

HÜBNER, A. *Die deutschen Geisslerlieder*, Berlin and Leipzig, 1931.

HÜBSCHER, A. *Die grösse Weissagung, Texte, Geschichte und Deutung der Prophezeiungen von den biblischen Propheten bis auf unsere Zeit*, Munich, 1952.

HUGENHOLTZ, F. W. N. *Drie boerenopstanden uit de veertiende eeuw*, Haarlem, 1949.

HUNDESHAGEN, C. B. 'Der Communismus und die ascetische Socialreform im Laufe der christlichen Jahrhunderte', in *Theologische Studien und Kritiken*, vol. XVIII, Gotha, 1845, pp. 535–607, 821–72.

HYAMSON, A. M. 'Pseudo-messiahs', in ERE, vol. VIII, pp. 581–7.

**Il Movimento dei disciplinati nel settimo centenario dal suo inizio (Perugia 1260)*. Deputazione di storia patria per l'Umbria. Appendici al Bolletino no. 9, Perugia, 1960.

JANSSEN, H. Q. 'Tanchelijn', in *Annales de l'Académie d'archéologie de Belgique*, vol. XXIII, Antwerp, 1867, pp. 374–450.

JOHNSON, A. R. *Sacral kingship in Ancient Israel*, Cardiff, 1955.
JONES, ERNEST. *On the nightmare. Part II: The connections between the nightmare and certain medieval superstitions*, London, 1931.
JONES, R. M. *Studies in mystical religion*, London, 1909.
JORDAN, R. *Zur Schlacht bei Frankenhausen* (*Zur Geschichte der Stadt Mühlhausen in Thüringen*, vol. IV), Mühlhausen in Thuringia, 1908.
OURDAIN, C. 'Mémoire sur les sources philosophiques des hérésies d'Amaury de Chartres et de David de Dinant', in *Mémoires de l'Académie des Inscriptions et Belles-Lettres*, vol. XXVI, Paris, 1870, pp. 467–98.
JUNDT, A. *Histoire du panthéisme populaire au Moyen Âge et au 16e siècle*, Paris, 1875.
JUSSERAND, J. J. *English wayfaring life in the Middle Ages*, trans. L. T. Smith, London, 1950 (first published 1889).
KAHN, SALOMON. 'Les juifs de Montpellier au Moyen Âge', in *Revue des études juives*, vol. XXII, Paris, 1891, pp. 264–79.
*KAMINSKY, H. (1). 'Hussite radicalism and the origins of Tabor 1415–1418', in *Medievalia et Humanistica*, vol. X, Boulder, Colorado, 1956, pp. 102–30.
*KAMINSKY, H. (2). 'Chiliasm and the Hussite Revolution', in *Church History*, vol. XXVI, New York, 1957, pp. 43–71.
*KAMINSKY, H. (3). 'The Free Spirit in the Hussite Revolution', in *Millennial Dreams in Action* (MW), pp. 166–86.
KAMPERS, F. (1). *Die deutsche Kaiseridee in Prophetie und Sage*, Munich, 1896.
KAMPERS, F. (1A). *Kaiserprophetien und Kaisersagen im Mittelalter*, Munich, 1895. (Same as Kampers (1) but with Appendices.)
KAMPERS, F. (2). *Vom Werdegang der abendländischen Kaisermystik*, Leipzig and Berlin, 1924.
KAUTSKY, K. *Communism in Central Europe in the time of the Reformation*, trans. Mulliken, London, 1897.
KAWERAU, P. *Melchior Hoffmann als religiöser Denker*, Haarlem, 1954.
KELLER, L. *Geschichte der Wiedertäufer und ihres Reiches zu Münster*, Münster, 1880.
KERVYN DE LETTENHOVE, C. B. (1). 'Bertrand de Rays', in *Biographie nationale de Belgique*, vol. I, pp. 338–42.
KERVYN DE LETTENHOVE, C. B. (2). *Histoire de Flandre*, 6 vols., Brussels, 1847–50.
KESTENBERG-GLADSTEIN, R. 'A fifteenth-century polemic against Joachism, and its background', in *Journal of the Warburg and Courtauld Institutes*, vol. XVIII, London, 1955, pp. 245–95.
KISCH, G. *The Jews in medieval Germany*, Cambridge, 1950.
*KLASSEN, P. J. *The economics of Anabaptism, 1525–1560* (*Studies in European History*, no. 3), The Hague, 1964.
KLAUSNER, J. *The messianic idea in Israel*, trans. Stinespring, London, 1956.
KLOSE, S. B. *Von Breslau. Dokumentirte Geschichte und Beschreibung*, vol. II, Breslau, 1781.
KNOX, R. A. *Enthusiasm, a chapter in the history of religion*, Oxford, 1950.
KÖHLER, W. 'Münster, Wiedertäufer', in RPT, vol. XIII, pp. 539–53.
*KONRAD, R. (1). *De ortu et tempore Antichristi. Antichristvorstellung und Geschichtsbild des Abtes Adso von Montier-en-Der*. (*Münchener Historische Studien, Abteilung Mittelalterliche Geschichte*, vol. I), Kallmütz b. Regensburg, 1964.
*KONRAD, R. (2). 'Das himmlische und das irdische Jerusalem im mittelalterlichen Denken. Mystische Vorstellung und geschichtliche Wirkung', in *Speculum historiale*, ed. C. Bauer, L. Boehm and M. Müller, Freiburg i. Br. and Munich, 1965, pp. 523–40.

KRACAUER, I. *Die politische Geschichte der Frankfurter Juden bis zum Jahre 1349*, Frankfort-on-Main, 1911.

KRAFT, H. 'Gab es einen Gnostiker Karpokrates?', in *Theologische Zeitschrift*, vol. VIII, Basle, 1952, pp. 434–43.

KRIEHN, G. 'Studies in the sources of the social revolt of 1381', in *American Historical Review*, vol. VII, New York, 1901–2, pp. 254–85, 458–84.

KROFTA, K. (1). 'Bohemia in the fourteenth century', in CMH, vol. VII, chap. 6, pp. 155–82.

KROFTA, K. (2). 'John Hus', in CMH, vol. VIII, chap. 2, pp. 45–64.

KROFTA, K. (3). 'Bohemia in the fifteenth century', in CMH, vol. VIII, chap. 3, pp. 65–115.

*KULCSÁR, Z. *Eretnekmozgalmak a XI–XIV. században*, Budapest, 1964. (An exhaustive bibliography of heretical movements from the eleventh to the fourteenth centuries.)

LANCHESTER, H. C. O. 'Sibylline Oracles', in ERE, vol. II, pp. 496–500.

LATOMUS, JOANNES. *Corsendonca*, Antwerp, 1644.

LEA, H. C. *A history of the Inquisition of the Middle Ages*, vol. II, London, 1888.

LECHNER, K. 'Die grosse Geisselfahrt des Jahres 1349', in *Historisches Jahrbuch*, vol. V, Munich, 1884, pp. 437–62.

*LECLERCQ, J., VANDENBROUCKE, P., and BOUYER, L. *La spiritualité du moyen âge* (vol. II of *Histoire de la spiritualité chrétienne*), Paris, 1959.

*LEFF, G. *Heresy in the Later Middle Ages. The relation of heterodoxy to dissent, c. 1250–c. 1450*, 2 vols., Manchester and New York, 1967.

LEFRANC, A. *Les idées religieuses de Marguérite de Navarre*, Paris, 1898.

LEMPP, E. 'Sekte von Hall', in RPT, vol. VII, pp. 363–5.

LEVASSEUR, E. *Histoire des classes ouvrières françaises et de l'industrie en France avant 1789*, vol. I, Paris, 1900.

LINDSAY, P. and GROVES, R. *The Peasants' Revolt of 1381*, London, 1950.

LOCHNER, G. W. C. *Geschichte der Reichsstadt Nürnberg zur Zeit Kaiser Karls IV*, Berlin, 1873.

LOEB, I. 'Josef Haccohen et les chroniqueurs juifs', in *Revue des études juives*, vol. XVI, Paris, 1888, pp. 28–56, 209–23.

LOHMANN, A. *Zur geistigen Entwicklung Thomas Müntzers*, Leipzig and Berlin, 1931.

LOVEJOY, A. O. 'The communism of St Ambrose', in his *Essays in the History of Ideas*, London, 1949.

LOVEJOY, A. O. and BOAS, G. *Primitivism and related ideas in Antiquity*, Baltimore, 1935.

LÖWITH, K. *Meaning in History: the theological implications of the Philosophy of History*, Cambridge, 1950.

LUCAS, H. S. 'The great European famine of 1315, 1316 and 1317', in *Speculum*, vol. V, Cambridge, Mass., 1930, pp. 343–77.

LÜTZOW, F. H. H. W. *The life and times of Master John Hus*, London, 1909.

MACCULLOCH, J. A. (1). 'Eschatology', in ERE, vol. V, pp. 373–91.

MACCULLOCH, J. A. (2). *Medieval faith and fable*, London, 1932.

MAČEK, J. (1). *Kto ž jsú boží bojovníci (Who are God's warriors)*, Prague, 1951.

MAČEK, J. (2). *Husitské revoluční hnutí*, Prague, 1952.

*MAČEK, J. (3). *The Hussite Movement in Bohemia*, Prague, 1958; London and Prague, 1965 (trans. of Maček (2), by V. Fried and I. Milner).

MCDONNELL, E. W. *The Beguines and Beghards in medieval culture*, New Brunswick, 1954.

MELLINK, A. F. (1). *De Wederdopers in de Noordelijke Nederlanden (1531–1544)*, Groningen, 1953.

*MELLINK, A. F. (2). 'The mutal relations between the Münster Anabaptists and the Netherlands', in *Archiv für Reformationsgeschichte*, vol. I, Berlin, 1959, pp. 16–33.

**Mennonite Encyclopedia*. 4 vols., Scottdale, Pennsylvania, 1955–9.

MERX, O. *Thomas Münzer und Heinrich Pfeiffer*, 1523–5. *Ein Beitrag zur Geschichte des Bauernkrieges in Thüringen*, Göttingen, 1889.

MEUSEL, A. *Thomas Müntzer und seine Zeit*, Berlin, 1952.

MEYER, CHRISTIAN (1). 'Zur Geschichte der Wiedertäufer in Oberschwaben', in *Zeitschrift des historischen Vereins für Schwaben und Neuburg*, vol. I, Augsburg, 1874, pp. 271 sq.

MEYER, CHRISTIAN (2). 'Der Widertäufer Nikolaus Storch und seine Anhänger in Hof', in ZKG, vol. XVI (1896), pp. 117–24.

MEYER, VICTOR. *Tile Kolup (der falsche Friedrich) und die Wiederkunft eines ächten Friedrich, Kaisers der Deutschen*, Wetzlar, 1868.

MIRET Y SANS, J. 'Le massacre des Juifs de Montclus en 1320', in *Revue des études juives*, vol. LIII, Paris, 1907, pp. 255–66.

MOHR, W. 'Tanchelm von Antwerpen. Eine nochmalige Überprüfung der Quellenlage', in *Annales Universitatis Saraviensis, Philosophie-Lettres*, vol. III, Saarbrucken, 1954, pp. 234–47.

*MOLNÁR, A. (1). 'Eschatologická naděje česke reformace' (The eschatological hope in the Czech Reformation), in Hromáda *et al.*, *Od reformace k zítřku* (From Reformation to Tomorrow), Prague, 1956, pp. 11–101.

*MOLNÁR, A. (2). 'Le mouvement préhussite et la fin du temps', in *Communio Viatorum*, vol. I, Prague, 1958, pp. 27–32.

MORGHEN, R. *Medioevo cristiano*, Bari, 1951.

MOSHEIM, J. L. von (1). *Institutiones historiae ecclesiasticae Novi Testamenti*, vol. I, Helmstadt, 1764.

MOSHEIM, J. L. von (2). *De Beghardis et Beguinabus commentarius*, Leipzig, 1790.

MÜLLER, EWALD. *Das Konzil von Vienne, 1311–12. Seine Quellen und seine Geschichte*, Münster, 1934.

MÜLLER, KARL (1). *Kirchengeschichte*, vol. I, Freiburg in Breisgau, 1892.

MÜLLER, KARL (2). 'Calvin und die "Libertiner"', in ZKG, vol. XL (1922), pp. 83–129.

MUNRO, D. C. 'The Children's Crusade', in *American Historical Review*, vol. XIX, London, 1914, pp. 516–24.

NABHOLZ, H. 'Medieval society in transition', in CEH, vol. I, chap. 8, pp. 493–562.

NATUSIUS, M. von. *Die christlich-socialen Ideen der Reformationszeit und ihre Herkunft*, Gütersloh, 1897.

*NEUMANN, E. G. *Rheinisches Beginen- und Begardenwesen*. (*Mainzer Abhandlungen zur mittleren und neueren Geschichte*, vol. IV), Meisenheim am Glan, 1960.

NEWMAN, A. H. *A history of anti-pedobaptism*, Philadelphia, 1897.

NIESEL, W. 'Calvin und die Libertiner', in ZKG, vol. XLVIII (1929), pp. 58–74.

NIGG, W. (1). *Das ewige Reich*, Berlin and Munich, 1944.

NIGG, W. (2). *Das Buch der Ketzer*, Zurich, 1949.

NOHL, J. *The Black Death*, trans. Clarke, London, 1926.

OESTERLEY, W. O. E. and ROBINSON, T. H. *Hebrew religion, its origin and development*, London, 1949.

OLIGER, L. *De secta Spiritus Libertatis in Umbria saeculo XIV. Disquisitio et Documenta*. (*Storia e Letteratura, Raccolta di Studi e Testi*, vol. III), Rome, 1943.

OMAN, C. *The Great Revolt of 1381*, Oxford, 1906.

OWST, G. R. *Literature and pulpit in medieval England*, Cambridge, 1933.

PALACKÝ, F. *Geschichte von Boehmen*, vol. III, Prague, 1845.

PARKES, J. W. *The Jew in the medieval community*, London, 1938.

PAYNE, E. A. *The Anabaptists of the 16th century*, London, 1949.

PEARSON, K. 'The Kingdom of God', in *Modern Review*, vol. V, London, 1884, pp. 29–56, 259–83.

PETIT-DUTAILLIS, C. (1). 'Introduction historique' to A. Réville, *Le soulèvement des travailleurs en Angleterre en 1381* Paris, 1898.

PETIT-DUTAILLIS, C. (2). 'Causes and general characteristics of the rising of 1381', in *Studies and notes supplementary to Stubbs' Constitutional History*, vol. II, Manchester, 1914, pp. 252–304.

PEUCKERT, W. E. *Die grosse Wende. Das apokalyptische Saeculum und Luther*, Hamburg, 1948.

PFANNENSCHMID, H. 'Zur Geschichte der deutschen und niederländischen Geissler', in P. Runge, *Die Lieder und Melodien der Geissler des Jahres 1349*, Leipzig, 1900.

PHILIPPEN, L. J. M. 'De Heilige Norbertus en de strijd tegen het Tanchelmisme te Antwerpen', in *Bijdragen tot de Geschiedenis*, vol. XXV, Antwerp, 1934, pp. 251–88.

PIRENNE, H. (1). *Le soulèvement de la Flandre maritime de 1323–1328*, Brussels, 1900.

PIRENNE, H. (2). 'Tanchelm et le projet de démembrement du diocèse d'Utrecht vers 1100', in *Bulletin de l'Académie royale de Belgique, Classe des Lettres*, fifth series, vol. XIII, Brussels, 1927, pp. 112–19.

PIRENNE, H. (3). *A history of Europe from the Invasions to the sixteenth century*, trans. Miall, London, 1952.

PORGÈS, N. 'Les relations hébraïques des persécutions des Juifs pendant la première croisade', in *Revue des études juives*, Paris, vol. XXV (1892), pp 181–201; vol. XXVI (1893), pp. 183–97.

POTTHAST, A. *Bibliotheca historica Medii Aevi*, 2 vols., Berlin, 1896.

POWER, E. 'The position of women', in *Legacy of the Middle Ages*, ed. Crump and Jacob, chap. VII, Oxford, 1926, pp. 401–34.

PRA, M. DAL. *Amalrico di Bena*, Milan, 1951.

PREGER, W. (1). *Geschichte der deutschen Mystik im Mittelalter*, vol. I, Leipzig, 1874.

PREGER, W. (2). *Beiträge zur Geschichte der religiösen Bewegung in den Niederlanden in der zweiten Hälfte des vierzehnten Jahrhunderts*, in ABAW, vol. XXI, Part 1, Munich, 1894.

PREUSS, H. *Die Vorstellungen vom Antichrist im späteren Mittelalter bei Luther und in der konfessionellen Polemik*, Leipzig, 1906.

RADCKE, F. *Die eschatologischen Anschauungen Bernhards von Clairvaux*, Langensalza, 1915.

RAUSCHEN, G. (ed.), *Die Legende Karls des Grossen im 11-ten und 12-ten Jahrhundert* Leipzig, 1890.

Realencyklopädie für protestantische Theologie und Kirche, 3rd edn, Leipzig, 1896–1913.

REEVES, M. E. (1). 'The *Liber Figurarum* of Joachim of Fiore', in *Medieval and Renaissance Studies*, vol. II, London, 1951, pp. 57–81.

REEVES, M. E. (2). 'Joachimist influences on the idea of a Last World Emperor', in *Traditio*, vol. XVII, New York, 1961, pp. 323–70.

REMBERT, C. *Die Wiedertäufer im Herzogtum Jülich*, Berlin, 1899.

REUTER, H. *Geschichte der religiösen Aufklärung im Mittelalter*, vol. II, Berlin, 1877.

RÉVILLE, A. *Le soulèvement des travailleurs en Angleterre en 1381* (*Mémoires et documents publiés par la Société de l'École des Chartes*, II), Paris, 1898.

RIGAUX, B. *L'Antéchrist et l'opposition au Royaume Messianique dans l'Ancien et le Nouveau Testament*, Gembloux and Paris, 1932.

RITSCHL, H. *Die Kommune der Wiedertäufer in Münster*, Bonn and Leipzig, 1923.

ROHR, J. 'Die Prophetie im letzten Jahrhundert vor der Reformation als Geschichtsquelle und Geschichtsfaktor', in *Historisches Jahrbuch*, vol. XIX, Munich, 1898, pp. 29–56, 423–66.

RÖHRICHT, R. (1). 'Die Pilgerfahrten nach dem Heiligen Lande vor den Kreuzzügen', in *Historisches Taschenbuch*, fifth series, vol. V, Leipzig, 1875, pp. 323–96.

RÖHRICHT, R. (2). 'Bibliographische Beiträge zur Geschichte der Geissler', in ZKG, vol. I (1877), pp. 313–21.

RÖHRICHT, R. (3). 'Die Pastorellen (1251)', in ZKG, vol. VI (1884), pp. 290–95.

RÖHRICHT, R. (4). *Geschichte des ersten Kreuzzuges*, Innsbruck, 1901.

ROSENKRANZ, A. 'Prophetische Kaisererwartungen im ausgehenden Mittelalter', in *Preussische Jahrbücher*, vol. CXIX, Berlin, 1905, pp. 508–24.

ROTH, C. 'The Jews in the Middle Ages', in CMH, vol. VII, chap. 22, pp. 632–63.

ROUSSET, P. (1). *Les origines et les caractères de la première Croisade*, Neuchâtel, 1945.

ROUSSET, P. (2). 'L'idée de croisade chez les chroniqueurs d'Occident', in *Storia del Medioevo* (MW), pp. 547–63.

RUNCIMAN, S. (1). *The Medieval Manichee*, Cambridge, 1947.

RUNCIMAN, S. (2). *A history of the crusades*, 3 vols., Cambridge, 1951–4.

*RUPP, E. G. 'Thomas Müntzer, Hans Huth and the Gospel of all creatures', in *Bulletin of the John Rylands Library*, vol. XLIII, Manchester, 1960–61, pp. 492–519.

*RUSSELL, J. B. (1). 'Saint Boniface and the Eccentrics', in *Church History*, vol. XXXIII, no. 3, Chicago, 1964, pp. 235–47.

*RUSSELL, J. B. (2). *Dissent and Reform in the Early Middle Ages*, Berkeley and Los Angeles, 1965.

RUSSO, F. *Bibliografia Giochimita* (*Biblioteca di Bibliografia Italiana*, vol. XXVIII), Florence, 1954.

SAULNIER, V. L. (ed.). Marguerite de Navarre: *Théâtre profane*. With commentary, Paris, 1946.

SCHAAB, A. *Diplomatische Geschichte der Juden zu Mainz*, Mainz, 1855.

SCHÄFFLER, A. 'Hans Böhm', in ADB, vol. III, pp. 62–4.

SCHIFF, O. (1). 'Thomas Münzer und die Bauernbewegung am Oberrhein', in *Historische Zeitschrift*, vol. CX, Munich, 1913, pp. 67–90.

SCHIFF, O. (2). 'Die Wirsberger. Ein Beitrag zur Geschichte der revolutionären Apokalyptik im 15-ten Jahrhundert', in *Historische Vierteljahrschrift*, vol. XXVI, Dresden, 1931, pp. 776–86.

SCHMIDT, KARL. *Histoire et doctrine de la secte des Cathares ou Albigeois*, 2 vols., Paris, 1848–9.

SCHREIBER, H. *Der Bundschuh zu Lehen im Breisgau*, Freiburg in Breisgau, 1824.

SCHUBERT, H. von. *Der Kommunismus der Wiedertäufer in Münster und seine Quellen*, Heidelberg, 1919.

SCHULTHEISS, F. G. *Die deutsche Volkssage vom Fortleben und der Wiederkehr Kaiser Friedrichs II*, Berlin, 1911.

*SEIBT, F. (1). 'Die Hussitenzeit als Kulturepoche' in *Historische Zeitschrift*, vol. CVC, Munich, 1962, pp. 21–61.
*SEIBT, F. (2). *Hussitica. Zur Struktur einer Revolution*, Cologne and Graz, 1965.
SETTON, K. M. and BALDWIN, M. W. (ed.). *A history of the crusades*, vol. I: *The first hundred years*, Philadelphia, 1955.
SIMON, O. *Überlieferung und Handschriftsverhältnis des Traktates 'Schwester Katrei'*, Halle, 1906.
SMIRIN, M. M. *Der Volksaufstand des Thomas Müntzer und der grosse Bauernkrieg*, Berlin, 1952. (Translated from the Russian.)
SMITHSON, R. J. *The Anabaptists*, London, 1935.
SÖDERBLOM, N. *La vie future d'après le mazdéisme: étude d'eschatologie comparée*, Paris, 1901.
SOMMARIVA, L. 'Studi recenti sulle eresie medievali (1939–52)', in *Revista storica italiana*, vol. LXIV, fasc. II, Naples, 1952, pp. 237–68.
SONNE, I. 'Nouvel examen des trois Relations hébraïques sur les persecutions de 1096', in *Revue des études juives*, vol. XCVI, Paris, 1933, pp. 113–56.
SPITZER, L. 'Turlupin', in *Modern Language Notes*, vol. LXI, Baltimore, 1946, pp. 104–8.
*STAYER, J. M. (1). 'Hans Hut's doctrine of the sword: an attempted solution', in *Mennonite Quarterly Review*, vol. XXXIX, Goshen, Indiana, 1965, pp. 181–91.
*STAYER, J. M. (2). 'The Münsterite rationalization of Bernhard Rothmann', in *Journal of the history of ideas*, vol. XVIII, Lancaster (Penn.) and New York, 1967, pp. 179–92.
STEEL, A. *Richard II*, Cambridge, 1941.
STEVENSON, W. B. 'The First Crusade', in CMH, vol. V, chap. 7, pp. 265–99.
Storia del Medioevo. Vol. III of the Proceedings of the Tenth International Congress of Historical Sciences, Florence, 1955.
STRAUCH, P. 'Nicolaus von Basel', in ADB, vol. XXIII, pp. 620–21.
STUMPF, A. *Historia Flagellantium, praecipue in Thuringia*. Written in 1780 but first appeared (ed. Erhard) in vol. II, *Neue Mitteilungen aus dem Gebiet historisch-antiquarischer Forschungen*, Halle and Nordhausen, 1836.
*STUPPERICH, R. *Das Münsterische Täufertum. Ergebnisse und Probleme der neueren Forschung*, Munster i. W., 1958.
*SUMBERG, L. A. M. 'The *Tafurs* and the First Crusade', in *Medieval Studies* (University of Toronto), vol. XXI, London, New York, 1959, pp. 224–46.
SVÁTEK, J. *Culturhistorische Bilder aus Böhmen*, Vienna, 1879.
SYBEL, H. von. *Geschichte des ersten Kreuzzuges* Leipzig, 1881.
TAMASSIA, N. *La famiglia italiana nei secoli XV e XVI*, Milan, Palermo, Naples, 1910.
TAUBES, J. *Abendländische Eschatologie*, Bern, 1947.
THALAMAS, A. *La société seigneuriale française, 1050–1270*, Paris, 1951.
THOMA, A. 'Der Pfeifer von Niklashausen', in *Preussische Jahrbucher*, vol. LX, Berlin, 1887, pp. 541–79.
TRACHTENBERG, J. *The Devil and the Jews: The medieval conception of the Jew and its relation to modern anti-semitism*, New Haven, Conn., 1944.
TREVELYAN, G. M. *England in the age of Wycliffe*, London, 1899.
TROELTSCH, E. *The social teaching of the Christian Churches*, trans. Wyon, 2 vols., 3rd edn., London, 1950.
TURBERVILLE, A. S. *Medieval heresy and the Inquisition*, London, 1920.
VERNET, F. 'Les frères du libre esprit', in *Dictionnaire de Théologie Catholique*, vol. VI, Paris, 1920, cols. 800–809.
VOEGELIN, E. *The new science of politics*, Chicago, 1952.

VOIGT, GEORG. 'Die deutsche Kaisersage', in *Historische Zeitschrift*, vol. XXVI, Munich, 1871, pp. 131–87.
VÖLTER, D. 'Die Secte von Schwabisch-Hall und der Ursprung der deutschen Kaisersage', in ZKG, vol. IV (1881), pp. 360–93.
VULLIAUD, P. *La fin du monde*, Paris, 1952.
WAAS, A. 'Die grosse Wendung im deutschen Bauernkrieg', in *Historische Zeitschrift*, Munich, 1938, vol. CLVIII, pp. 457–91; vol. CLIX, pp. 22–53.
WADSTEIN, E. *Die eschatologische Ideengruppe: Antichrist, Weltsabbat, Weltende und Weltgericht*, Leipzig, 1896.
WALTER, G. *Histoire du Communisme*, vol. I, *Les origines judaïques, chrétiennes, grecques, latines*, Paris, 1931.
WALTER, L.-G. *Contributions à l'étude de la formation de l'esprit révolutionnaire en Europe: Thomas Munzer et les luttes sociales à l'époque del a Réforme*, Paris, 1927.
WAPPLER, P. *Die Täuferbewegung in Thüringen von 1526-1584*, Jena, 1913.
WEBER, M. (1). *Gesammelte Aufsätze zur Religionssoziologie*, vols. I, II, Tübingen, 1920.
WEBER, M. (2). *Wirtschaft und Gesellschaft*, Tübingen, 1925.
WELLER, K. 'König Konrad IV und die Schwaben', in *Württembergische Vierteljahrshefte für Landesgeschichte*, new series, vol. V, Stuttgart, 1896, pp. 113–60.
*WERNER, E. (1). 'Popular ideologies in late medieval Europe: Taborite chiliasm and its antecedents', in *Comparative Studies in Society and History*, vol. II, The Hague, 1959–60, pp. 344–63.
*WERNER, E. (2). 'Messianische Bewegungen im Mittelalter', in *Zeitschrift für Geschichtswissenschaft*, vol. X, Berlin, 1962, pp. 371–96, 598–622.
*WERNER, E. and ERBSTÖSSER, M. 'Sozial-religiöse Bewegungen im Mittelalter', in *Wissenschaftliche Zeitschrift der Karl-Marx-Universität Leipzig, Gesellschafts- und Sprachwissenschaftliche Reihe*, no. 7, 1957–8, pp. 257–82.
WERUNSKY, E. *Geschichte Kaiser Karls IV und seiner Zeit*, Innsbruck, 1882.
WEYDEN, E. *Geschichte der Juden in Köln am Rhein*, Cologne, 1867.
WICKERSHEIMER, E. 'Les accusations d'empoisonnement portées pendant la première moitié du XIVe siècle contre les lépreux et les juifs', in *Bulletin du quatrième Congrès international d'histoire de la médicine*, Brussels, 1923 (published 1927).
WILKINSON, B. 'The Peasants' Revolt of 1381', in *Speculum*, vol. XV, Cambridge, Mass., 1940, pp. 12–35.
*WILLIAMS, G. H. *The Radical Reformation*, London, 1962.
WINKELMANN, E. 'Holzschuh', in ADB, vol. XV, pp. 792–3.
*WOLF, G. (ed.). *Stupor Mundi. Zur Geschichte Friedrichs II von Hohenstauffen*, Darmstadt, 1966.
WOLFF, T. *Die Bauernkreuzzüge des Jahres 1096*, Tübingen, 1891.
WORKMAN, H. B. *John Wiclif*, 2 vols., Oxford, 1926.
*ZIEGLER, P. *The Black Death*, London, 1969.
ZÖCKLER, O. *Kritische Geschichte der Askese*, Frankfort-on-Main and Erlangen, 1863.
*ZSCHÄBITZ, G. *Zur mitteldeutschen Wiedertäuferbewegung nach dem grossen Bauernkrieg*, Berlin, 1958.

3 General Works on Millenarian and Messianic Movements in the World

ANDERSSON, E. *Messianic popular movements in the Lower Congo*, Uppsala, 1958

Archives de sociologie des religions, vol. IV (*Messianismes et millénarismes*) and vol. V (*Les messianismes dans le monde*), Paris, 1957–8.

BURRIDGE, K. O. L. *New Heaven, new earth: a study of millenarian activities*, Oxford, 1969.

*COHN, N. 'Reflexions sur le millénarisme', in *Archives de sociologie des religions*, vol. V, Paris, 1958, pp. 103–7.

COHN, N. 'Medieval Millenarism: its bearing on the comparative study of millenarian movements,' in *Millennial Dreams in Action*, pp. 31–43.

DESROCHE, H. 'Messianismus', in *Die Religion in Geschichte und Gegenwart*, vol. IV, Tübingen, 1960.

GUARIGLIA, G. *Prophetismus und Heilserwartungs-Bewegungen als völkerkundliches und religionsgeschichtliches Problem*. (*Wiener Beiträge zur Kulturgeschichte und Linguistik*, vol. XIII) Vienna, 1959.

HOBSBAWM, E. J. *Primitive Rebels*, Manchester, 1959.

LANTERNARI, V. *The religions of the oppressed. A study of modern messianic cults*, trans. Sergio, London, 1963.

Millennial Dreams in Action, ed. S. L. Thrupp (*Comparative Studies in Society and History, Supplement II*), The Hague, 1962.

MUHLMANN, W. E. *Chiliasmus und Nativismus. Studien zur Psychologie, Soziologie und historischen Kasuistik der Umsturzbewegungen*, Berlin, 1961.

SUNDKLER, B. *Bantu Prophets in South Africa*, London, 1948.

WORSLEY, P. *The trumpet shall sound. A study of 'Cargo' Cults in Melanesia*, London, 1957.

المحتوى